الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت–
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

أثر الإتّساق و الإنسجام في النّص القرآني

– سورة البقرة أنموذجا–

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في العلوم. تخصص: اللغة والأدب العربي .

– إشراف الأستاذ الدكتور:
عوني أحمد محمّد.

– إعداد الطالب الباحث:
عبد العزيز ناصر.

الرقم	الإسم و اللقب	الرتبة	الصفة	مؤسّسة الإرتباط
01	بن جامعة الطيب	أ–التّعليم العالي	رئيسا	ابن خلدون–تيارت–
02	عوني أحمد محمّد	أ–التّعليم العالي	مشرفا ومقرراً	ابن خلدون–تيارت–
03	بن شريف محمّد	أ–التّعليم العالي	مناقشا	ابن خلدون–تيارت–
04	عبّاس محمّد	أ–التّعليم العالي	مناقشا	جامعة–تلمسان–
05	مرتاض عبد الجليل	أ–التّعليم العالي	مناقشا	جامعة–تلمسان–
06	بوعرعارة محمد	أ–محاضر"أ"	مناقشا	م.ج.–تيسيمسيلت–

السنة الجامعية: 2017م–2018م./ 1438هـ–1439هـ.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت–
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

أثر الإتّساق و الإنسجام في النّص القرآني

– سورة البقرة أنموذجا–

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في العلوم. تخصص: اللغة والأدب العربي .

- إشراف الأستاذ الدكتور:
عوني أحمد محمد.

- إعداد الطالب الباحث:
عبد العزيز ناصر.

الرقم	الإسم و اللقب	الرتبة	الصفة	مؤسّسة الإرتباط
01	بن جامعة الطيب	أ–التّعليم العالي	رئيسا	ابن خلدون–تيارت–
02	عوني أحمد محمّد	أ–التّعليم العالي	مشرفا ومقرراً	ابن خلدون–تيارت–
03	بن شريف محمّد	أ–التّعليم العالي	مناقشا	ابن خلدون–تيارت–
04	عبّاس محمّد	أ–التّعليم العالي	مناقشا	جامعة–تلمسان–
05	مرتاض عبد الجليل	أ–التّعليم العالي	مناقشا	جامعة–تلمسان–
06	بوعرعارة محمد	أ–محاضر"أ"	مناقشا	م.ج.–تيسيمسيلت–

السنة الجامعية: 2017م–2018م./ 1438هـ–1439هـ.

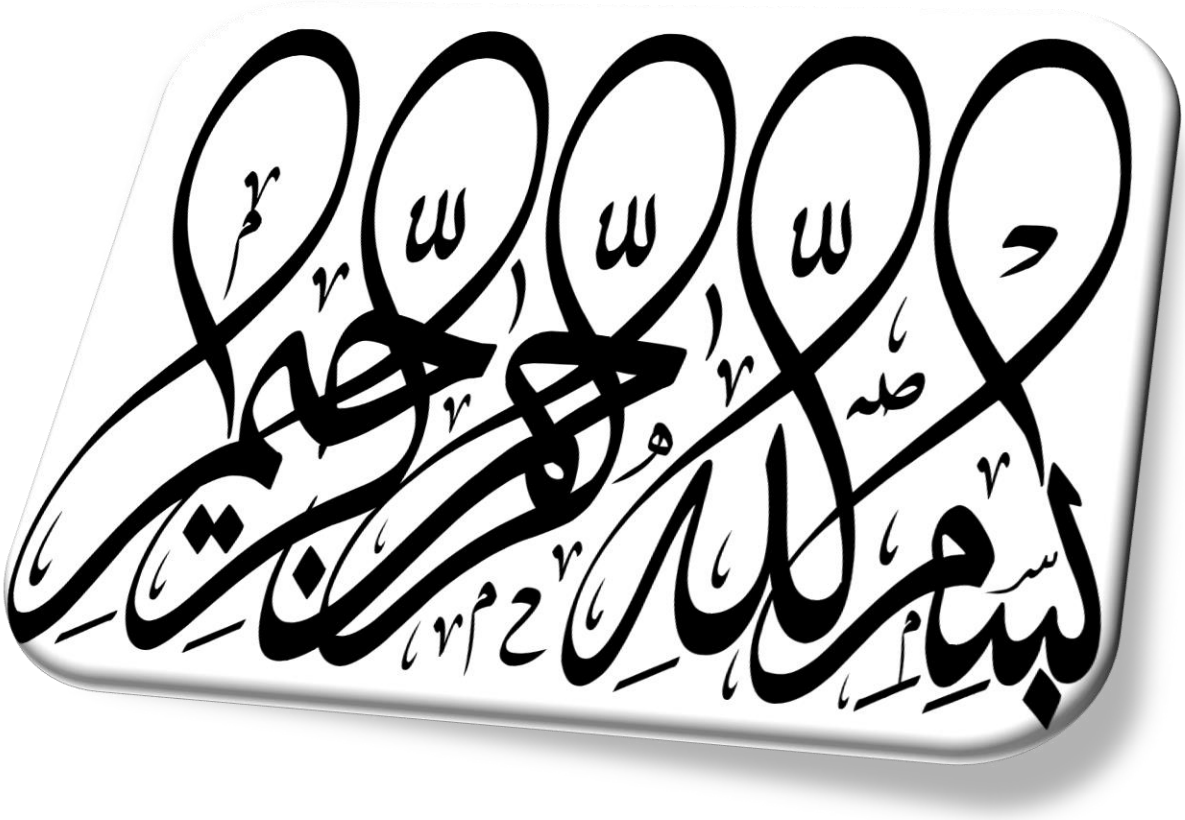
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

كلمة شكر وتقدير

- أمر الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام بالشكر فقال:﴿**يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾.(الأعراف: 144).

- وقال أيضا في سورة إبراهيم:﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾. (إبراهيم:7).

- وقال:﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾. (الأحقاف: 15).

-وعن ابن عباس-رضي الله عنه- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: "**أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: قَلْبٌ شَاكِرٌ، وَلِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَبَدَنٌ عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرٌ، وَزَوْجَةٌ لَا تَبْغِيهِ خَوْنًا فِي نَفْسِهَا وَلَا مَالِهِ**". شعب الإيمان.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم قال:" **لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ** " رواه أحمد وأبو داود والبخاري.

- ورُوي عنْ ابن عبيد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم:"**منْ أُولِيَ مَعْروفاً فلْيذكُرهُ، فَمَنْ ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَه)**. رواه الطبراني، وحسّنه العلامة الألباني.

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:"**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ)**. رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصحّحه العلامة الألباني.

- عملا بما جاء في الآيات والأحاديث السّابقة، وإلى ذوي الفضل عليّ، كلّ أساتذتي؛ منذ أن كنت تلميذا صغيرا وأنا أتلقى منهم العلوم النّافعة، إلى أن أصبحت أستاذا متفوّقا، وعربونا عن أعمالهم الصالحة. إليهم جميعا أتقدم بأخلص تشكراتي وأطيب الأماني، وأطلب من الله تعالى أن يجازيهم خير جزاء.

- كما لا أفوّت الفرصة لتقديم تشكراتي للأخوة الأساتذة: عزوز ميلود، والأستاذ مداني، والزميل منقور صالح الدين، و زغيدة مختارية وكل زملائي خرّجي دفعة 'الدّراسات النّحوية والبلاغية في ظل مناهج البحث اللغوي الحديثة' 2008م. وإلى كلّ الأساتذة بجامعة تيارت.

- والشّكر الخاّص والخالص للأستاذ الدكتور 'عوني أحمد محمد' على تقبّله الإشراف على هذا العمل؛ وصبره معي، وتحمّله مشقة هذا البحث. وأتمنى من الله العلي القدير أن يشفيه ويطيل عمره.

– الطالب الباحث : عبد العزيز ناصر

– جامعة ابن خلدون – تيارت.

– بتاريخ: 10 جانفي 2018م.

إهداء

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل باحث غيور على لغة الضاد، ساهم في الحفاظ على كينونتها واستمراريتها وتطورها.

- وإلى أساتذتي بجامعتي وهران وتيهرت.
- و إلى كل عائلتي كبيرا وصغيرا.
- وإلى زملائي وزميلاتي
- وإلى أهلي بمدينة الرحوية وولاية قسنطينة.
- وإلى روح الفقيد خالي – ستايتي الجيلالي– الذي توّفته المنيّة هذه السنة، وأدعوا من الله عزّوجل أن يتفقّده برحمته، وأن يسكنه فسيح جنانه، فاللهمّ اغفر له وارحمه، وادخله أبواب جنّتك. آمين يارب العالمين.
- وإلى الذين قال فيهم الله: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾. (الأنفال:2).

-وإلى كل من ساعدني ووقف معي معينا لي يمدني بالنصائح والدعم حتى أكمل هذا البحث.

-إلى كل عزيز لي كان معوانا.

- و إلى كلّ المسلمين في بقاع العالم.
- نسأل الله أن يوفّقنا لما فيه خير للبلاد والعباد.

إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

مقدّمة

– مقدمة:

الحمد لله رب العالمين نزّل القرآن بلسان عربي مبين، وأصلي وأسلم على رسول الله الكريم، المبعوث رحمة للعالمين، وأصحابه الطّاهرين الميامين، والتّابعين بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

إنّ البحث في لسانيات النص وتحليل الخطاب بنظرة حداثية تجديدية معاصرة، موضوع خصب بين العلوم اللغوية الحديثة، إذْ لا يزال متواصلا يبحث لنفسه منهجا كاملا متكاملا يستغني به عن كلّ المناهج التي تمدّه تارة بما يحتاج إليه وتضايقه تارة أخرى، كون طبيعة الدّراسة فيه تحليلية تعتمد على نظريات علم النص وتحليل الخطاب الحديثة، التي أبرزتها من جديد ضرورة علمية وأخرى ظرفية حتمها واقع اللغة المعاصرة التي يستعملها المجتمع الإنساني. فلم تعد المناهج القديمة تلّم بالنص والخطاب، كما تسعى إليه المناهج اللسانية الحديثة بنظرتها الشاملة والمتكاملة للنص والخطاب.

وقد أوجدت الحاجة إلى علم شامل وملمّ تخضع له النصوص والخطابات مناهج جديدة تبعث في النص والخطاب روحه وحيويته، بل لنقل إنّ إعادة قراءة كل منهما هي إعادة لإنتاج نص آخر منه يكون جديدا. يفرز تأويلات أخرى بعد تلقيه، سواء كانت مكتوبة أو منطوقة، ويلعب فيها المنتج دورا رئيسيا لتبليغ رسالته، فهو الأدرى بمغزى خطابه والغاية التي يريدها من خلفه. و لعلّ هذا ما أثقل كاهل الباحثين في هذا الميدان لأنّهم مهما قدّموا من جهود في دراساتهم قد توصف في بعض الأحيان بأنّها منقطعة النظير إلاّ أنّها لا تروي ظمأهم من البحث، فتعطشهم الزائد ونهمهم الفائض لحب المعرفة والتطلع للأفضل والاستزادة من هذه المناهل، يجعلهم يعيشون في وعاء يضيق كلما اتسعت معرفتهم.

من هذا المنطلق؛ كانت قناعتنا بأننا كلما توسّعنا في المعرفة و تطلّعنا لمعرفة المزيد غاصت أقلامنا في القرار الأعمق، و تمكنت منّا ناصية العلم، و أوحلت أيدينا بحبرها، وتلوّنت الأوراق بأسطر البحث. وتوقف كل شيء عند ممهلات لا يستطيع أيّ باحث الدّوس عليها، والمضي قدما دون أن يوليها الاهتمام. فلا هو بعيد عن البأس إذا مضى و أدار رأسه عنها، ولا هو حققّ غايته إذا فاتحها بالبحث، فنفس الباحث دائما تشرئّب للمزيد ولا تقنع بما تحققه في مجال البحث العلمي، خاصة إذا تعلّق الأمر بدراسة قرآنية، كتلك التي وقع علينا اختيارها وهي سورة البقرة، أو كما سميّت باسم يضاهيها من حيث كم المواضيع وحجمها وهو فسطاط القرآن، ولم نجد أفضل تسمية من هذه التسمية في كتب التراث، لأنها تتناسب وطبيعة المدروس، وهي أكبر سورة في القرآن الكريم، وكذلك فإنّ طبيعة الدراسة التي انتهجتاها في الكشف عن أعماق من أعماق الدراسات اللغوية القديمة و الحديثة.

ومما رأيناه أثناء مسيرة هذا البحث الطويلة، بأنّ تبليغ الرّسالة وتحقيق مقاصدها يختلف من شخص إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، لأن الفوارق الشخصية والعوامل البيئية والثقافية توسع الهوّة بين مرسل وآخر وقد تقرّبهما، و مادام النص همزة وصل بين المرسل والمرسل إليه، وسيلة تبليغية نوعية تميّزه عن بقية الوسائل الاتّصالية

الأخرى كالإيماء و الإشارة والرموز، ساهمت في بنائه وتركيبه عدّة وسائل لغوية، وخضع لمجموعة من المعايير ذكرها روبرت دي بوجراند في كتابه (النص والخطاب و الإجراء). و استهوت الكثير من الباحثين العرب المحدثين من أمثال محمد خطابي، سعيد حوى، محمد العبد، تمام حسان، إبراهيم الفقي، الأزهر زناد، أحمد عفيفي، وغيرهم كثير وشحذت فكرهم وأعادتهم إلى التّراث اللّغوي العربي يستلهمونه من جديد. حيث كانت لهم العديد من المحطات التي استوقفتهم عند كتب النحو والبلاغة والتفسير والدلالة وعلوم أخرى كالفلسفة والمنطق...، و وجدوا أنفسهم أمام هذه الهالة العلمية التراثية، وهذا الزّخم المعرفيّ الأصيل الذي كوّنته الكتب القديمة، يطرحون أفكار الأمس بثوب جديد للنظريات اللّسانية الحديثة. خاصة نظريتي علم الإجتماع وعلم النفس الحديث وكل ما يتعلق بهذه الدّراسات.

ولكل سبب مسبب، فقد حاولت وأنا أتجوّل بين رفوف المكتبات أن أبحث عن موضوع جديد، يقدم خدمة للّغة العربية غير مجتر، فصدمت بمبالغة بعض المحدثين و انبهارهم وراء هذه النظريات والمناهج الجديدة التي تتعلّق بالدراسات النصية وتحليل الخطاب، وهذا ما جعلني أتساءل عن سبب هذا الإنصياع وراء المناهج الغربية، والتأليف فيه، وكأنّنا أمام تراث لغويّ عربي نحن في غنى عنه، كونه أصبح بالي الأفكار والقواعد. وفي الحقيقة تلك هي الأساسيات التي يفرض علينا واقعنا البحثي المعاصر العودة إليها، والتنقيب عن الأطروحات الغربية المتعلّقة بالنص والخطاب، وبكل ما من شأنه أن يعطيه صفة النّصية حسب الباحثان هاليداي ورقية حسن، ويبدو كتابهما الموسوم (Cohésion in English) قد ألقى بحمله على البحث اللّغوي النصّي، وساهم بشكل كبير ومنقطع النظير في ترقية البحوث اللّغوية المتعلقة بالتراكيب بصفة عامّة وبالنص بصفة خاصّة. فالنص عندهما "فقرة منطوقة أو مكتوبة على حدّ سواء مهما طالت أو امتدت...هي نص...و النص وحدة اللّغة المستعملة وليس محددا بحجم، والنص باعتباره وحدة دلالية، وهذه الوحدة لا يمكن اعتبارها شكلا لأنّها معنى لذلك فإنّ النص الممثل بالعبارة أو الجملة يتّصل بالإدراك (الفهم)، لا بالحجم.

إن هذه التّبصرة التي أسّست لظهور مفاهيم حول النص ووسائله اللّغوية التي تعطيه خاصيتي الإتّساق والإنسجام اللّتان أصبحتا في فترات لاحقة من الإشكاليات التي يهتم بها الباحثون ويصيغون منهما عناوين لبحوثهم، وهذا ما أثّر في نفسي الفضول ودفعني لصياغة عنوانا لهذه الأطروحة الموسومة بـ " **أثر الإتّساق والإنسجام في النص القرآني** " محاولا بذلك الاستثمار في تراثنا اللغوي، من خلال دراسة تطبيقية على **سورة البقرة**، ومستعينا بأفكار وبحوث الكثير من العلماء المحدثين العرب التي اختزلت لي الطريق في البحث عن الكتب التي قاربت في طرحها للمفاهيم النصية الحديثة، فكان هذا البحث متوازنا من حيث المورد، ويظهر ذلك في مقدّمة وضعتها للأبواب الثلاثة، ثم قسّمت كل باب إلى فصلين، وختمته بخاتمة كانت هي نتائج هذا البحث.

فكان عنوان الباب الأوّل معنون بـ" **من مفهوم النص والخطاب إلى أثر الإتّساق والإحالة في النص القرآني**" كون تحديد هذه المفاهيم أصبح من الضروريات البحث اللساني حتى ترتسم ملامحه من البداية، لأنّه

حقل متشعب وغير محدد الإتّجاه، وقد يسوق صاحبه إلى رافد من الروافد ليس هو الغرض المقصود من الدراسة، لذالك كنت حريصا حرصا شديدا على أن يكون هذا البحث ملما بالغرض ووافيا في المعلومة.

وكان الفصل الأول من هذا الباب تحت عنوان" **مفاهيم أساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب وعلوم القرآن**". يتحدث عن مفاهيم مهمّة هي النص والخطاب والقرآن (السورة والآية) وهل هناك حدود فاصلة بينها؟ وما هي أشهر العلوم اللسانية الحديثة التي تناولتها بالدراسة والتحليل؟ كعلم النحو وعلم اللغة النصي ولسانيات النص وتحليل الخطاب...إلخ. ثم ذكرت المعايير السبعة التي جاء بها دي بوجراند والتي تعطي صفة النصيّة لأيّ عمل ومنتوج فكري ولغوي، ثم عرضت بعض الخلافات حول هذه المعايير. ورغم التماس الكثير من المعطيات التاريخية لهذا المنهج في إرثنا اللغوي إلاّ أن "لسانيات النص كما يعرف في المغرب الكبير، أو (علم لغة النص)كما تصفه المشارقة–هي علم ناشئ– وحقل معرفي جديد تكوّن بالتدرج من القرن العشرين، وقد نشأ على أنقاض علوم سابقة له (لسانيات الجملة)، و(اللسانيات النسقية) و(الأسلوبية). ونشير هنا إلى أنّ العرب كان لهم شرف الأسبقية في ممارسة التحليل اللساني على النصوص من خلال عملية النقد وتفسير القرآن وعلوم أخرى كعلم أصول الفقه....إلخ. ثم عرّفت بسورة البقرة والظروف التي نزلت فيها لما له من علاقة على التحليل اللغوي من خلال السياق الخارجي وأسباب النزول في فهم النص وتأويله. بالإضافة إلى معلومات إضافية رأيت في ذكرها مصلحة في هذا البحث كفضل سورة البقرة، وسبب التسمية والمقاصد الكلية للسورة...إلخ. ثم وضعت في نهاية هذا الفصل مخططات ومشجرات لأهم المواضيع والمحاور التي ذكرت في السورة حسب رأي أكثر المفسرين شهرة.

وعنونت الفصل الثاني من هذا الباب بـ " **أثر الإتّساق والإحالة في النص القرآني** " وحاولت من خلاله جمع المادة اللّغوية التي تشرح وتفسّر معنى الإتّساق مدعما ذلك بشتى التّعاريف الاصطلاحية التي توزّعت على الكتب القديمة والحديثة،ومما ذكرته من تعاريف عن هذا المصطلح وهو أنّ معنى "اِتّسق جاءت بمعنى اِنتظم واِستَوى و منه اِتّسقت الكتبُ على رُفُوفِ المكتبَةِ. ومنه متَّسقٌ: مُتَنَاسقٌ وحَسَنُ التَّكوين: (أعضاء متّسقة اِتّساقا جميلا)،أي جسم متألّف من أجزاء مرتبطة ومنسجمة في ما بينها، أو تؤلّف أجزاؤه كلاّ منطقيا متماسكا:ومنه (أفكار متّسقة)...،واِلْتِئَام أجزاءٍ واِنتظامها منطقيا، تلاحُمها وتطابقها أو تماسُكها واِنسجامُها: وهذا يعني (اِتّساق المعاني)." وما وجدته في هذا الجانب وهو أن هذا المصطلح مستمد من علم المادة وهو في أصل الإستعمال فزيائي، ثم نقل إلى اللغة العربية ومنه إلى الإستعمال اللساني الحديث.. غير أنّ هناك إشكال واجهني وهو صعوبة الفصل بينه وبين الإنسجام، لدرجة أنّ هناك من يرادف بينهما ويستعملهما استعمالا واحدا، بل وهناك من يعكس بين مفهوميهما حتى اختلطا ولم يعد يميز بينهما. وهذا ما عرضته في الباب الثالث من هذا البحث.وذكرت أهم المواطن التي وظّف فيها هذا المصطلح في بعض الكتب العربية كدليل على أسبقية العرب من غيرهم من الأمم في استعمال هذا المصطلح، وخلصت إلى أنّه موروث عربي خالص في علم اللغة النصي وتحليل

الخطاب. ثم بيّنت أهميّة هذا المعيار في الدراسات القرآنية القديمة لعلاقته الوطيدة بعلوم اللغة العربية كعلم النحو والبلاغة والدلالة. وذكر ضمن هذا المعيار قواعد الإتساق التي تسير في بناء سنتاغماتي خطي تتحكم فيه القواعد اللغوية وتبنيه العناصر اللغوية التركيبية والإحالية. وذكرت كل وسائل الإتّساق وهي: الإحالة-الحذف-الاستبدال-الوصل والفصل-الإتساق المعجمي المتمثل في التضام الذي يتم على مستوى التراكيب، ثم التكرار الذي يحصل على مستوى البنية النصية.

ثم قمت بالبحث عن وسائل الإتّساق التي تجعل النص متماسكا ومترابطا بوثاق متين لا يترك فيه ثغرة، إلا وجدت فيه وسيلة من هذه الوسائل اللغوية التالية، وهي :

أوّلاً: الإحالة:وعرّفت بمفهومها اللّغوي والاصطلاحي، وهي تعدّ أهم وسائل الرّبط النّصي والأكثر بروزا من بقية الوسائل الأخرى التي تتفاعل معها مشَكِّلةً تماسكا نصيّا قويّا بين عناصره اللّغوية، بحيث يمكن من خلالها الحكم على النص بنصِّيَتِهِ، كما أنّها خاصّية يتميز بها النص عن غيره من أنواع التراكيب اللّغوية الأخرى، متجاوزة حدود الجملة.لأنّها تربط بين متباعِدَات تركيبية وسط تزاحم لغويّ داخل النّص. ويشير مفهوم الإحالة ونعني مقابلها في اللغات الغربية كالفرنسية (**RÉFÉRENCE**) مثلا مشكلا اصطلاحياً ،إذ تعني تارة العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على الشيء الموجود في العالم. أي ما كان يسميه القدامى"الخارج" وهي تعني تارة أخرى إحالة اللفظة على لفظة متقدمة عليها.وحاولت المقارنة بين هذا المفهوم بين الغرب والعرب قدر المستطاع ووجدتهما متقاربين من حيث المفهوم والوظيفة.

وبيّنت شروط الإحالة التي تشكّل الربط الحقيقي بين أجزاء النص،وكيفية تفسيرها، وما هي قيود الضبط الإحالي وكيفية مساهمتها في اتّساق النص وذلك من خلال أمن اللبس المعنوي.ثم أدرجت كلّ أنواع الإحالات التي تتفرع إلى نوعين وهما:الإحالة المقامية الخارجية السياقية (**EXOPHORA**) (**SITUATIONAL**)، وتحدث من النص إلى خارجه وتقيم بذلك علاقة بين النص ومحيطه. والنوع الثاني وهو إحالة داخلية (نصّية) (**ENDOPHORA**) (**TEXTUAL**)، التي تقيم علاقة بين العناصر اللغوية في النص. وينقسم هذا النوع إلى قسمين وهما:الإحالة على السّابق أو الإحالة بالعودة إلى الوراء (**ANAPHORA**)، والإحالة البعدية إحالة على اللاّحق أو إحالة إلى الأمام (**CATAPHORA**): وهي الضمائر، أسماء الإشارة، الاسم الموصول، وأخرى غير لغويّة موجودة خارجة عن النص، وهي الإحالات المقامية التي تحيل إليها ضمائر وأسماء الإشارة . وفصلت في هذا في الباب الثاني. ثم ذكرت التقسيم الثاني للإحالة وهو تقسيمها من حيث المدى، أي من حيث البعد والقرب،ثم ذكرت بعض الأنماط الإحالية المهمة في عملية التحاول، كالضمائر الشخصية التي تعطي للنص إحالة إلى خارج اللغة وتدفع بالمتلقي بالبحث عن المحال إليه وغالبا ما يكون مقاميا. وأما النوع الآخر فهو الإحالة الممتدة التي يستخدم لها في الإنجليزية العنصر (**IT**) للإشارة إلى عمليّة كاملة، أو واقعة

معقّدة، فالمرجع ليس شخصا أو شخصيا أو شيئا إنّما هو عملية أو تتابع من العمليات، وليس إشارة اسمية فقط. ثم مجموعة من الأنواع الإحالية الأخرى منها الإحالة الإشارية، والإحالة بطريقة المقارنة، ومنها المقارنة العامة والمقارنة الخاصة، وحتى نفرق بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري ذكرت تعريفا للعنصر الإشاري **(DEIXIS)** ذكره الأزهر زناد وهو كلّ مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره، وأمّا العنصر الإحالي (**ANAPHORA**)فهو كلّ مكون يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره وهو يمثل أبسط عنصر في بنية النّص الإحالية.ثم ذكرت أنواع العناصر الإحالية.ثم بينت عناصر العملية الإحالية.وبينت العلاقة الإتساقية بين المحال والمحال إليه ودورها في الترابط النصي. وهكذا إلى أن وصلت إلى الكشف عن أثر الإحالة على المتلقي داخل النص وخارجه، ووظيفتها ودور الإتّساق (الربط) الزمني في سورة البقرة.

وفي الباب الثاني الذي عنونته بـ **(عناصر الإحالة ووسائل الإتّساق في النص القرآني)** ثم قسّمته هو الآخر إلى فصلين، فكان عنوان الفصل الأوّل: **(أثر عناصر الإحالة في النص القرآني)**. ثم قمت بذكر هذه العناصر، وهي عناصر لغوية مبهمة لا يكتمل معناها إلاّ بالعودة إلى العنصر الذي يفسّرها، وتمثل هذه العلاقة إحدى علاقات الإتّساق اللغوية الداخلية في النص القرآني،ويعد الضمير أوّل هذه العناصر اللغوية وأكثرها حضورا في النص القرآني، حيث عرفته لغة واصطلاحا ثم حاولت أن أجمع بين التعريفين **لأ**ن الكشف عن العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للضمير عند ابن هشام مثلا التي توحي بدلالة واحدة وهي أنّ الضمير شيء خفي ومضمر لا يظهر إلا بذكر ما يكشف عنه، حيث قال: "و إنّما سمي مضمرا من قولهم: أضمرت الشيء، إذ سترته وأخفيته، ومنه قولهم: أضمرت الشيء في نفسي" أو من الضمور، وهو الهزال، لأنه في الغالب قليل الحروف ثم تلك الحروف الموضوعة له غالبها مهموسة-و هي التاء والكاف والهاء-و الهمس: هو الصوت الخفي . فمن بين الوظائف التي يقوم بها هو أنّه يستعمل للإختصار وتجنبا للتكرار الصريح للإسم المذكور، وكأنّه تكرار للشيء الذي يحيل عليه، إلا أنّه تكرار إيحائي بفعل التّحول الذي يحصل للاسم. إذ هو دال على المعنى بواسطة المرجوع إليه غير صريح بظاهره فيه. وهو يقيم علاقة الإتّساق بهذه الإحالة والعودة إلى العنصر الذي ذكر قبله. وعلاقة الضمير بالمفسّر علاقة لزومية، تستوجب ذكر المفسر ثم الضمير، إذ لا يصحّ أن يكون هناك ضمير دون مفسّر. ثم بيّنت أنواع الضمائر ومعايير تصنيفها ودورها في الإحالة، مستشهدا بصور لها من القرآن الكريم وخاصة سورة البقرة. ثم بيّنت الدور الذي بلعبه الضمير بين الوظيفة النّحوية والأداء البلاغي لأنّها مظهرا من مظاهر الإيجاز والاقتصاد في اللغة، إذ معظمها كلمات صغيرة التكوين ضئيلة الحجم، فبناؤها اللفظي يمثل إيجازا،بالإضافة إلى وظائف أخرى كالتمليك،ورفع الإلتباس. ثم بينت دور الضمير في الربط والإرتباط بين الجمل، وانتقلت لبيان الدور الإحالي للضمائر في النص القرآني، وعرجت بقلمي لتوضيح شروط الإحالة الضميرية، وحتى يتبيّن دور الضمير في عملية الإتّساق فقد خصصت له عنوانا فرعيا تحدثت فيه هذا الدور بيّنت أهمّيته في النص من خلال الحديث عن مرجعيته في النص التي يتعلّق بها، وخصصت عنصرا لبيان دور

الضمائر الشخصية في عملية الإحالة والإتساق في سورة البقرة، فذكرت أنواعا من الضمائر لها دور في عملية التخاطب، وتستند إلى المقام لتفّسر كالمتكلم والمخاطب، وضمائر أخرى غير تخاطبية كضمائر الغائب يفسرها العنصر المحال إليه. ثم توجهت لإبراز الدّور الإتّساقي الرابطي للإضمار بين الجمل وعلى الضمير تقوم استقامة تعليق أجزاء الكلام بعضها ببعض،كون هذا الربط غير قائم على الإعراب بل على المعنى وهما أمران يهيئان الضمير لأن يكون رابطا بين أجزاء الجملة متى احتاجت إلى ذلك كما يهيئانه لأن يكون بين الجمل المستقلة.

ويلعب المتلقي دورا مهما في ترصد إحالة الضمير ، وهو بهذا الدور يشارك في عملية الربط بين أجزاء النص وبين العناصر اللغوية والعناصر الإشارية الموجودة خارج النص. ويحصل ذلك حين يستعمل المتكلم الضمير في كلامه ويكون على وعي بأن عودته على مسماه حاصلة مسبقا في ذهنه وهو المخاطب من خلال المقال والملابسات التي يجري فيها. إذ يفرض النص على المتلقي اليقظة وعدم الإنقطاع عنه لتحديد مرجع الضمير، مادام أن الإحالة "تقضي العودة إلى الوراء لتحديد مرجع الإحالة، حيث ذكر المحال إليه. وهنا حاولت دراسة الإحالة الضميرية في سورة البقرة وبيان أثرها في عملية إتّساق النص، من خلال دراسة أنواع الضمائر المستعملة في السورة خاصة المحيلة علة المتقين والكفار والمنافقين.ثم توصلت إلى نتيجة وهي أنّ أكثر أنواع الضمائر حضورا في النص أكثرها أداء للإتّساق في سورة البقرة.

وكانت لي وقفة مع إمكانية تحديد الضمير للمحال إليه والمشار إليه لأنّ الأصل في الضمير أنه يحيل إلى عنصر واحد في النص ويدل على ذلك مطابقة له في الجنس والعدد، فيتيسر تفسيره وفهم العلاقة بين المحال والمحال إليه، ويزول الغموض، ويتلاشى الالتباس عند التأويل، ومعنى هذا أنّ الضّمير يصرف إلى عنصر معين لسبب يفرضه نظم الكلام، أو يكون الضّمير لا يصلح إلاّ لذلك العنصر. ثم توصلت في الأخير إلى الكشف عن الأثر الذي تتركه الضمائر في العملية الإحالية الإتساقية. فالضمير من الأدوات الرابطة لأجزاء النص، يقوم مقام اللفظ الظاهر، فيُغني عن تكراره، ويصل الجُمَل بعضها ببعض، ويحيل ما هو لاحق على ما هو سابق، فيربط آخر الكلام بأوّله، أو العكس.

أمّا العنصر الثاني من العناصر اللغوية المبهمة التي تؤدي دورا إحاليا إتّساقيا مهمّا بعد الضمائر هو أسماء الإشارة (**DEMONSTRATIVE NOUNS**) ، فعرّفت بها تعريفا لغويا ثم اصطلاحيا، وفرقت بين الإشارة والإشاريات، ومفهوم الإشارة (**DEIXIS**): "هو مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه، من ذلك(الآن)، (هنا)، (هناك)، (أنا)، (أنت)، (هذا)، (هذه)، وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعين أو لتوجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه.وهي ألفاظ دالة على عناصر غائبة حاضرة، حصرها ولفتسون في: إشاريات شخصية وإشاريات زمنية وإشاريات مكانية، وإشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية، وأمّا

الإشارة: هي ما يدل على أي شيء يتعين من جهة بموضوع ويثير من جهة أخرى فكرة معينة في الذهن، ويوجد فيها القصد في التواصل (صفارة الإنذار)، وهي حدث أو شيء يشير إلى حدث أو شيء آخر، وأنه لابد للإشارة من أن تكون مختلفة عن الإشارات الأخرى، ولابد للإشارة من مادة أو مرجع كما لابد من مؤوّل لها.

ثم بيّنت العناصر اللغوية التي تمثل الإشاريات الشخصية (**Person Deixis**)، إذ لا يمكن تحديد الشخوص المشار إليها إلاّ في سياق الخطاب التداولي لأنها من العلامات اللغوية المبهمة التي لا يتحدد مرجعها إلاّ في غضون السياق، كضمائر المخاطب. ثم بينت أنواع الإشاريات وعرفت بها وهي إشاريات مكانية وإشاريات زمانية؟ن وإشاريات الخطاب، واشاريات إجتماعية، ثم حاولت التأصيل لهذا العنصر اللغوي، فوجدت أنّ الجاحظ كان من الذين تعرضوا لهذا المفهوم، وأعطاه مفهوما تداوليا محضا. وقد جعل الإشارة أحد وسائل تحديد الدلالة، وذكر أضرب الإشارة، حيث تكون باليد والرأس والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب، وبالسيف، وقد يتهدّد رافع السوط والسيف، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً و رادعاً ،ويكون وعيداً وتحذيراً،و لو لا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص و حسن الإشارة باليد و الرأس من تمام البيان باللسان.

وبعد ذلك ذكرت أنواع أسماء الإشارة، وحركتها الإتساقية الإشارية داخل النص وخارجه وعلاقتها بتعدد المشار إليه. لأنّ استعمال اسم الإشارة داخل النص بصفة عامة يفيد تمييز المشار إليه، الذي تربطه علاقة دلالية مع المشار إليه، حيث يوميء إليه بأي وسيلة من الوسائل التي تجعل العلاقة بينهما قائمة، فينماز من غيره بحضور شخصيته في ذهن المتلقي، ثم بيّنت الدّور الإحالي لإسم الإشارة وأثره في الإتّساق، وتقوم أسماء الإشارة بوظيفتها الإحالية من خلال تحديد موضع العنصر الإشاري، وهي مثل الضمائر يمكن أن تحيل على عنصر مفرد أو عناصر متعددة، كما يمكن أن تحيل على خطاب تام، وهذا المحال إليه قد يكون داخل النص أو خارجه. ثم وضّحت دور الإتّساق النحوي لأسماء الإشارة في تحديد الدلالة. ليرسو بي القلم على آيات سورة البقرة فتصيّدت بعض المواطن التي رأيتها تجسد الإحالة الإشارية التي اتّسق بها النص القرآني في سورة البقرة. فذكرت بعض أسماء الإشارة التي ساهمت في تركيب البنية اللغوية لنص الآيات القرآنية التي سيقت عن المتقين، والمنافقين، ثم ذكرت دور التنوع الإحالي لأسماء الإشارة في خلق تنوع اتّساقي لغوي داخل النص، يساهم في البناء النصّي لسورة البقرة. ثم تطرقت لبيان كيفية تضافر (**collaboration**) العناصر الإشارية و العناصر الإحالية في تماسك النص. وكانت لي وقفة للتفريق بين بعض المصطلحات اللسانية التي لها علاقة بالبحث وهي: المرجعية والمعنى و الإشارة.

وثالث عنصر من العناصر الإحالية الذي يقوم بوظيفة إحالية وصلية إتّساقية هو الإسم الموصول (**RELATIVE**) فعرفت به لغة واصطلاحا وسميت الأسماء الموصولة بهذا الاسم لأنها توصل بكلام يأتي

بعدها يسمى جملة الصلة، هو من تمام معناها، لذا فالأسماء الموصولة أسماء ناقصة الدلالة، إذ لا يتضح معناها إلا إذا وصلت بالصلة، لأنّ الغرض بالصلة تحصيل الوضوح للموصول.ثم ذكرت أنواع الموصولات منها الموصول الحرفي والموصول الإسمي وهو نوعان: خاص وعام. والموصول الإسمي والعام والمشترك. ثم انتقلت لبيان وظيفة الإسم الموصول في الإتّساق النصّي. ثم بينت أثر هذا العنصر الإحالي في اتّساق سورة البقرة.

كما عرّفت ببعض الوسائل التي تساهم في اتّساق النص وتماسكه كظواهر الحذف والتكرار، والاستبدال والإتّساق المعجمي، وقد كانت لي وقفات تراثية استرجعت من خلالها ما تمّ سلبه من فكرنا التراثي، عندما استعنت بكتب التراث خاصّة، كتب النّحو والبلاغة والنقد والتفسير .وحتى يكون موقفنا واضحا ويتحلّى هذا البحث بشخصية الباحث الموضوعي فإنّنا لم نُقصِ كتب المعاصرين الذين كانت لهم يد في تنوير أفكارنا ومساعدتنا على تقفّي الكثير من الأفكار التي ساهمت في إنتاج هذا البحث . فكان الفصل الثاني من الباب الثاني يتحدّث عن(**أثر وسائل الإتّساق في النص القرآني)** وهو امتداد لوسائل الإتّساق حيث ذكرت أوّل وسيلة من هذه الوسائل في الفصل الأوّل من هذا الباب وهي الإحالة، ونظرا لكون هذه الوسائل كثيرة وفيها من كلام ما يطول أدرجتها ضمن الفصل الثاني من هذا الباب، فكانت الوسيلة الثانية من هذه الوسائل هي أوّل عنصر مذكور فيه وهي الحذف (**ELLIPSIS**):، فعرفت به لغة واصطلاحا؛ والحذف في العربية يعني التخلص من الحشو والزوائد التي تجعل الكلام ثقيلا على اللسان ومن مميزات اللسان العربي أنهم يلجئون إلى الاختصار في الكلام لتبليغ المعنى، ومن صوره الحذف ويعده البلاغيون وعلماء النص من طرق الاقتصاد في الكلام. لابد أن يخضع للقبول اللغوي، وترضاه الكفاية اللغوية للمتحدثين، وتقوم عليه الأدلة والقرائن الحالية أو المقالية التي تمكن من إدراك المحذوف بوساطة السامع. وقد سمى علماء النص الحذف "بالمعنى العدمي" اعتدادا "على ما يسمونه بـ (**ZERO MORPHEME**). وذكرت أشهر التعاريف لعلماء اللغة من باب التأصيل للمفهوم، لأن العرب كانت تبلغ قولها مستعينة بالإختصار. وعلى ذلك كانت الأمثال العربية تتميّز بهاتين الخاصيتين. ويحدد الباحثان، هاليداي، ورقية حسن الحذف بأنه علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة ما يكون علاقة قبلية، تربط بين عنصريه علاقة إحالية من مكان العنصر المحذوف إلى مكان العنصر المذكور لشد الأربطة في النص بين أجزائه. وهكذا فإنّه يساهم في خلق علاقة بين ما هو موجود في اللغة وبين ما هو غائب عنها، أو بالمفهوم اللساني بين هو استبدال عنصر بعنصر لكن ذلك يتم بعلاقة صفرية أو عدمية، فالعنصر المحذوف يغيب عن النص في عملية الحذف لكنه يكون حاضرا في علاقة الإستبدال. وهذا ما يجعل الفارق واضحا بين العلاقتين.

ثم ذكرت شروط الحذف حتى يكون هناك اتّساق في النص، وهي ثالثة شروط أساسية، وهي : وجود دليل مقامي، وحالي، وضوح المعنى وأمن اللبس. ثم تطرقت إلى توضيح علاقة الحذف في البنية النصّية لأنّ الحذف لا يتم إلاّ إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، كافيا في أداء المعنى، وقد يحذف

أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى قد لا يوجد في ذكره. وتناولت هذه ظاهرة الحذف بين علم النص وعلوم اللغة كمقارنة. ثم بيّنت صلة الحذف بالروابط النصية في بعض الدراسات، ثم حاول استجلاء أثر الحذف في اتساق النص،يكمن أثر الحذف في توسيع (مدّ) السيطرة الدلالية أو النصية لجملة ما إلى جملة ثانية، وعليه فإن دور الحذف في اتساق النص ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل، وليس داخل الجملة الواحدة. لأن العلاقة داخل الجملة الواحدة علاقة بنيوية لا يؤدي فيها الحذف صورة من صور التماسك كما يقول هاليداي، فالقارئ حين يجد فراغا بنيويا في الجملة الثانية فإنّه يبحث عنه اعتمادا على ما ورد في النص السابق.

وحتى لا يكون هناك خلط في العلاقات، وفي توظيف المصطلحات اللسانية، بيّنت بعض الفروق بين الحذف والإحالة والعلاقة بينهما، ثم بيّنت علاقة الحذف بمرجعيته و دوره في تحقيق الإتّساق في النصّ، حيث يظهر على مستوى البنية السطحية العنصر المذكور الذي تربطه علاقة معنوية بعنصر آخر محذوف على مستوى البنية العميقة.و يمكن اكتشاف العنصر المحذوف بعملية التأويل، ثم بيّنت صور الحذف، منها الحذف الحرفي، وحذف الكلمة التي تنقسم بدورها إلى قسمين وهما حذف الإسم وحذف الفعل (**Nominal Ellipsis**)/ (**Verbal ellipisis**)، ثم حذف الجملة (**Clausal Ellipsis**)، ثم حذف نصي، وطبقت ذلك على سورة البقرة.

أمّا الوسيلة الثالثة من وسائل الإتساق وهي ثاني عنصر في هذا الفصل فهي ثانيا: الإستبدال (**SUBSTITION**)، فقد عرفتها لغة واصطلاحا والإستبدال مترجم عن كلمة (**SUBSTITION**) التي تعني تبدل أو استبدال، وهي استخدام كلمة مكان أخرى، الاستبدال صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية (**ANAPHORA**) أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم،ثم وضّحت علاقة الإستبدال بالإبدال، ثم علاقة الاستبدال بالحذف، ثم علاقة الاستبدال بالإحالة، ثم ذكرت بأنّ الاستبدال هو تعويض، ثم انتقلت لذكر أنواع الاستبدال، منها الاستبدال الإسمي(**NOMINAL SUBSTUTION**)، والاستبدال الفعلي (**VERBAL SUBSTUTION**)، الإستبدال الجملي (**CLAUSAL SUBSTUTION**)، وكان هذا التطبيق على سورة البقرة و اكتشفت منه الأثر الذي يتركه هذا النوع من التعبير على إتّساق النص القرآني. وبيّنت بعض الفروق بينه وبين بعض الظواهر اللسانية كالمجاورة.

ثم انتقلت لدراسة الوسيلة الرابعة من وسائل الإتّساق وهي العنصر الثالث من هذا الفصل، ولبيان الدور الذي يلعبه الإتّساق المعجمي(**Lexical Cohesion**) في عملية الربط النصّي، ويمثل الإتّساق المعجمي وجها آخر من الوجوه التي تحقق إتساق النص، وهذا النوع من الإتّساق يختلف اختلافاً عن الوظائف

والأدوار التي تقوم بها العناصر اللغوية السابقة ،حيث يظهر مما سبق ذكره أن العناصر اللغوية السابقة حتى تؤدي دورها الإتّساقي لابدّ أن تخضع للنظام النّحوي الذي يحدد العلاقات بين الكلمات. أما الاتساق المعجمي فعماده المعجم اللغوي، وما تقوم به وحداته من العلاقات.وينقسم الإتساق المعجمي إلى قسمين بارزين وهما: التضام ويهتم هذا النوع بالتراكيب وهذا يعنى أنه لا يتعدى الجملة، ويساهم في البنية النصيّة لكنه لا يساهم في نصّية النص وهو لا يعدو أن يتجاوز الجملة الواحدة إن امتدّ تأثيره، لذلك فإننا لن نفصّل فيه أكثر من التعريف به وبأنواعه، أمّا القسم الثاني وهو التكرار، فإنّ جوره يتعدى حدود الجملة، ما يعني مساهمته في البنية التركيبية الصغرى و البنية التركيبية النصّية الكبرى، وله دور مثله مثل العناصر السابقة الإحالة والحذف والإستبدال، والتكرار هو شكل من أشكال الإتّساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما. أمّا التضام : وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك، فعرفت بالتكرار (**REITERATION**)، لغة واصطلاحا يعده "شارول" من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية، فقاعدة التكرار الخطابية تتطلب الإستمرارية في الكلام، بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأول أو بتغير ذلك الوصف، ويتقدم التكرار لتوكيد الحجة والإيضاح، ثم انتقلت لبيان إهتمام العرب بهذه الظاهر من باب التأصيل لها، وذكرت بعض المفاهيم والمصطلحات القربة منه كالتكرار أو التكرير (**Recurrence /Reiteration**) والإعادة والتوكيد والمتشابه...إلخ. ثم ذكرت أنواع التكرار فمنها التكرار الصريح، وهو أن يكرر تعبير معيّن (كلمة أو ضميمة مثلا) من خلال تعبير أو عدّة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنّص في صورة مطابقة إحالية، ومن هذا النوع تكرار نفس الكلمة أو العبارة(**THE SAME WORD OR PHRASE**) وثم ذكرت بعض صور التكرار الصريح المحض في سورة البقرة، منها التكرار الحرفي كتكرار الأداة (إنّ)، ثم انتقلت إلى الصورة الثانية من هذا التكرار وهي تكرار الإسم والفعل، ثم تكرار الضمير وقد سبق وأن أشرنا إلى ذلك. ثم ذكرت النوع آخر من التكرار وهو تكرار العبارة أو الجملة.

ثم ذكرت النوع الثاني من التكرار وهو التكرار غير الصريح أو ما يسميه البعض بالإعادة الضمنية وتتميز على النقيض من الإعادة الصريحة، بعدم المطابقة الإحالية بين التعبيرين، وقد لا تظهر العناصر اللغوية والإحالية بشكل صريح. وإنما من خلال الإمتداد الدلالي، واستخرجت بعض النماذج من هذا النوع من سورة البقرة. قم انتقلت لتبيان كيفية الإتّساق عن طريق تكرار البنية، قم انتقلت لبيان النوع الثاني من الإتّساق المعجمي وهو التّضام (**COLLOCATION**) دون التعمّق فيه، وسبق وأن أشرنا إلى ذلك آنفا. فعرفت به لغة واصطلاحا، فهو استلزام عنصرين لغويين أو أكثر استلزاماً ضرورياً، أو هو الترابط الأفقي الطبيعي ما بين الكلمات أو رفقة الكلمة أو جيرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي نحو:"أهلاً و سهلاً"، وتبرز أهمية التضام باعتباره ظاهرة شكلية كبرى تصوّر أسلوب تآلف، الكلمات في اللغة تم استخدام صورة التآلف في إعطاء المعنى

العام للتركيب الكلامي، ثم ذكرت بعض العوارض التي تعترض التركيب، وذكرت بعدها أقسام التضام، وهي التضام المعجمي، والتضام النحوي، وذكرت أوجه التضام التوارد والتلازم والتنافي.

وانتقلت في الأخير لبيان أنواع أخرى لا يمكن حصرها فيما ذكرناه تساهم أيضا في إّتساق النص، وهي عبارة عن علاقات لغوية متنوّعة منها الإتّساق بعلاقتي الفصل والوصل وأشهر هذه العلاقات هي علاقة العطف، وبيّنت بعض أنماط من علاقة العطف، ثم ت طريقة الإتّساق بحروف العطف كالواو والفاء وثم، وبل ولكن وحتّى،...إلخ،والأسماء العامّة، ثم انتقلت إلى محطّة أخرى وهي الإتّساق بالتضاد(**OPPOSITION** / التقابل **CONTRAST**)في سورة البقرة، ثم ذكرت طريقة الإتّساق بواسطة علاقة التفصيل بعد الإجمال في سورة البقرة، و الإتّساق علاقة الربط بين المقدمة بالنتيجة أو العلّة بالمعلل، ثم علاقة الإتّساق بعلاقة ذكر الخاص بعد العام في سورة البقرة، وعلاقة الجزء بالكل:(**PARTE TO WHOLE**)، ثم ذكرت الإتّساق عن طريق الإرتباط بموضوع معيّن:(**ASSOCIATION WITH PARTICULAR TOPIC**)، وقد توصّلت إلى نتيجة وهي أنّ النص لا يمكن أن يتحقق إتّساقة بعنصر لغوي واحد أو مجموعة من العناصر اللغوية أو الوسائل، بل يتحقق ذلك بمشاركة كل العناصر واللغوية والوسائل التي تتضافر لخلق البنية الكلية العامّة للنص. لأنّ ذلك له أثر كبير على عملية الفهم والتأويل.

أمّا الباب الثالث والأخير فكان عنوانه يتحدث عن (**أثر الإنسجام في النص القرآني**)، الذي وطّئت له بتمهيد ثم فصّلته إلى فصلين، فكان الأوّل معنون بـ (**الإنسجام ومبدأ السياق**) وقد حوى هذا الفصل عنصرين مهمين في اللسانيات النصيّة وهما الإنسجام والسياق، فكان العنصر الأوّل هو الإنسجام. فعرّفت بالمصطلح لغة واصطلاحا، وذكرت أنّ العرب كان لهم توظيف للمصطلح في مختلف العلوم، فقد ذكرت لفظة الإنسجام في العديد من الكتب، ومما وجدناه في بعض ما جاء في كتاب (ألف ليلة وليلة) في حكاية العاشق والمعشوق ما نصه:"فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينيه بالإنسجام وقال: هيهات يا ملك الزمان!. وذكر السيوطي المصطلح في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) فقال: "الإنسجام: أن يكون لخلوه من الانعقاد منحدرا كتحدر الماء المنسجم ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة، والقرآن الكريم كله كذلك...، وقد جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوّة انسجامه، ثم ذكرت بعض المصطلحات التي تقارب في مفهومها معنى الإنسجام، وذكرت بعد ذلك أهم خصائص الإنسجام ومن أهم خصائصه أنّ الخطاب يستمد انسجامه من فهم المتلقي وتأويله، أي أنّ الإنسجام يبحث عنه وهو ليس شيء معطى في النص.و لكي يكون النّص منسجما، يجب ربطه بقصد شامل، أي إلى (غاية إنشائية) محايثة لنوع خطابها، وهذا ما يسمح للمتلفظ المشارك بتبني سلوك مطابق اتجاهها: لأنّ انسجام النّص يتم من خلال سبل مختلفة وهذا وفق طبيعة الملفوظ. ثم ذكرت علاقة الإنسجام في البنى النصّية الكبرى، وحاولت إيجاد الفرق بينه وبين الإتّساق لأنّ الكثير من

اللسانيين يخلطون بينهما ويوظفانهما في الكثير من الدراسات كمترادفين وبنفس المفهوم، وذكرت الأدوات والآليات التي يتحقق بها الإنسجام، وهي مبدأ السّياق- مبدأ التّأويل المحلي- مبدأ التّشابه- مبدأ التّغريض، ومبدأ المناسبة العربية، ثم ذكرت قواعد الإنسجام عند شارول وهي: قاعدة التكرار وقاعدة التدرج، وقاعدة عدم التناقض، وقاعدة العلاقة. ثم ذكرت أنّ معيار الإنسجام موجود في الدّراسات القرآنية وعلوم القرآن، فقد شكل الخطاب القرآني حضورا أدبيا وجماليا وروحيا وجد قبولا باذخا في الوجدان الإسلامي، بما احتوت عليه دواله من خصائص التلاؤم والإنسجام والدقة في أداء دلالاته ومقاصده ما جعله من أهم – إن لم يكن هو كذلك- الوسائل التواصلية الإبلاغية المتفردة عن الخطابات الأخرى سموا وفصاحة وبلاغة وبيانا.

ثم ذكرت أوّل مبدأ من هذا المعيار الذي يحظى باهتمام وتطبيق واسع من منظور الإنسجام، وهو السياق كعنصر ثاني من هذا الفصل، فعرّفته لغة واصطلاحا، وأوضحت بأنّ هذا المصطلح والمفهوم قد تعرض له العرب في دراساتهم وأحسنوا توظيفه وتطبيقه قبل غيرهم من الأمم. وبيّنت أنواع السياق وهما نوعين: السّياق اللغوي الداخلي (**LINGUISTIC CONTEXT**) وهو ما أسماه روبرت دي بوجراند بسياق البنية. وتلعب في هذا النوع من السياق الكلمة دورا مهما في انسجام البنية اللغوية، ويستعمل اللسانيون المهتمون بالسياق مصطلحان لسانيان نصيّان متعلقان بالكلمة؛ وهما: مصطلح (المعطى) و(الجديد) اللذان يتعلقان بسياق الكلمة داخل النص، والتي تكون لها دلالة معجمية معروفة تحيل خارج النص، ويتعهد السياق حين يوظفها بتزويدها بدلالة جديد. فدور الكلمة يتحدد بموقعها بما يجاورها من الكلمات التي تشترك معها في السّياق. وقد أوضحت أنّ دور الكلمة يكمن في انسجامها في سياق الجملة والتركيب لتحقيق المعنى، ثم طبقت ذلك على سورة البقرة لتأكيد ما قاله الرافعي حين قال:" ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها في ما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعض، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي"، واتخذت من النحو أهم بوابة لدراية السياق اللغوي، وركزت على توضيح العلاقة بين النحو والسياق اللغوي فالقواعد التي يبنى عليها النص اللغوي يجب أن يتحقق فيها الإنسجام مع دلالة (السياق)، ويعمل السياق النحوي على أداء معنى الجملة. لأصِلَ إلى استنتاج أثر السياق اللغوي في انسجام النص ومنه تبيان أثر الكلمة في انسجام النص من خلال السياق الذي ترد فيه. وذكرت بعد ذلك السياق النصي لأنّه أحد الفضاءات التي تظهر فيها العلاقات اللغوية، و يكتشف فيا الأداء الفعلي للكلمة أو لنقل السياق اللغوي ككل. بيّنت علاقة الإنسجام بين سياق السورة والسياق القرآني العام.

ثم توجهت لذكر النوع الثاني من السياق وهو السياق السياق الخارجي (المقامي) (**EXTERNE CONTEXTE**) ويقصد به "الإحاطة بالظروف التي أنشأ فيها الخطاب، معرفة (المرسل، المرسل إليه، الزمان والمكان)، لأنّ كل هذه العناصر يلاقي بينها ظرف زماني وآخر مكاني، وينتج

النّص حسب المقام، "فمقام الخطاب هو الذي يمكّن من الانتقال من معنى الجملة (المكون اللساني) إلى معنى الملفوظ (المكون البلاغي) ومقام الخطاب هو الذي يوفرها باعتبارها مجموع التعاليم التي توجه نشاط الفهم.

ثم ذكرت بأن مبدأ السياق في انسجام النص موجود في اللغة العربية؛ فعندما ينعم النظر في النظم القرآني، ونتأمل ألفاظه، وتراكيبه، يبدوا لنا اختلاف في استخدام الألفاظ، وفي التراكيب فهذه جملة مؤكدة، وتلك خالية من التوكيد، هذا اللفظ مفرد في سياق وجمع من سياق آخر، وذاك نكرة في موضوع ومعرفة في موضع آخر، هذه الكلمة قدّمت في آية وأخرت في آية أخرى، وردت مفردة في موضع، وجمعا وبمرادف له في موطن آخر، وردت واو العطف في تلك الآية ولم ترد في الأخرى .وفي هذا الاختلاف وراءه أغراض قد اقتضته وأسرار دعت إليه إنه يرجع إلى أن لكل مقام مقالا. وهذا ما ظهر لي عندما طبقت ذلك على السورة المدروسة.

وكنت حريصا في كل مرّة على توضيح العلاقة بين السياق بالإحالة، وعلاقة السياق بالمعنى، ثم انتقلت لدراسة السياق العام لسورة البقرة لأنه مساعد على فهم النص والمقاطع والآيات فهما صحيحا.

فكان أول ما وقفت عليه في هذا الجانب هو الإنسجام بين وحدة السورة وتنوع المواضيع في سورة البقرة، وذكرت نماذج من ذلك منها، الإنسجام بين القصص في سورة البقرة، وأدركت أنّه لأسباب النزول دور كبير في معرفة الإنسجام بين السورة وظروفها، وذكرت ذلك في عنصر أسميته علاقة السياق بأسباب النزول لما لأسباب النزول من دور مهم في صناعة الإنسجام، ويفرض سبب النزول في القرآن الكريم منطقه على السياق القرآني ، لأنه يساعد المؤَوِّل على تأويل الآية الكريمة وتحديد المعاني المرادة، والمناسبة التي نزلت فيها الآية الكريمة، ويساعد الفقيه على إستنباط الأحكام والمفسِّر على فهم المعاني ومقارنات السياقات اللغوية ببعضها وتفسير الآيات حسب مقام كل سياق، فالوظائف المنوطة بسبب النزول متعددة لذلك يجتهد علماء القرآن في إحلالها مكانتها اللائقة . يقول أحد علماء القرآن: "وإذا ما وجد في النص القرآني ما يوهم ظاهرة التفكك وعدم الإنسجام والتماسك، بسبب نزوله منجما على الحوادث والوقائع، ثم جمعت آياته وسوره في المصحف على وضعيتها الخاصة وترتيبها الحالي، فإن هذه الوضعية هي من أهم الظواهر الإعجازية التي لفتت نظر السلف، والخلق للكشف عن دوافع نظمه وبدائع انسجامه التي تميز بها على سائر الكلام. ثم ذكرت أسباب وظروف نزول سورة البقرة، ولمعرفة الظروف التي تحيط بالنص، كونها مساعدة على فهمه يجب أن نبحث البيئة والأوضاع التي نزلت فيها السورة، وخاصة سورة البقرة التي احتوت على أكثر الأحكام التشريعية طيلة فترة مكوث النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة. وذكرت أثر الإختلاف في سبب نزول الآيات والقصص في سورة البقرة على انسجام النص، وسورة البقرة هي جزء من القرآن الكريم وهي فسطاطه التي حوت المواضيع الكثيرة، لذلك وصفت بأنها مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني خاصة فيما يتعلق بالاختلاف الظاهر في أسباب النزول، لأنّها عبارة عن تشكيلة من الآيات التي جاءت بأحكام وأخبار متنوعة ولأسباب متنوعة، إلاّ أنّ هذا لم يكن يؤثر

على انسجامها، بل زادها ذلك. وذكرت في هذا الصدد نماذج. وتوجهت بقلمي إلى الإنسجام بعلاقة ذكرتها في الباب السابق وهي علاقة التفصيل بعد الإجمال في سياق سورة البقرة. لأنّ العلاقة تكمن في ترابط المعنى الأول والثاني ففي الثاني إحالة إلى الأوّل، وهذا النوع كثير في القرآن لأن المعنى إذا ألقي مجملا، ثم فصل كان ذلك أوقع في نفس المتلقي لما في ذلك من شوق إلى معرفة التفصيل. وأما النوع الآخر من الإنسجام فإنّه يتمثل في الإنسجام بارتباط القضايا و اقترانها في السياق الواحد.كارتباط الوعد بالوعيد وقد قال الزمخشري و فخر الدين الرازي أنّ من عادة القرآن أنّه ما جاء بوعد إلاّ أعقبه بوعد، وما جاء بنذارة إلاّ أعقبها ببشارة. وانتقلت لبيان دور السّياق وأثره في إنسجام النص القرآني، وكذلك دور الإنسجام في تحديد العلاقة بين سبب النزول و ترجيح دلالة السياق القرآني، لأن القرآن العظيم لا يطرقه احتمال الخطأ والوهم بخلاف غيره، وقد رأينا في قول الطاهر بن عاشور في الكثير من المواضع ما يوجب إقامة علاقة منسجمة بين سبب النزول وسياق الآيات.

وانتقلت للحديث عن السّياق في تحقيق الإنسجام بين المشاركين في الخطاب منهم المتكلم والمتلقي لأنّ الحكم الذي يقضي بأنّ النّص منسجم وغير منسجم قد يتغيّر وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسّياق والحجة التي يخولونها للمتلفظ، وتوجد بين عناصر التخاطب الثلاثة علاقة متينة تحيط عنصري التخاطب ويجمع بينهما الخطاب ذاته، لذلك يتطلب الإنسجام النظر إلى علمية تساوق ألفاظ الخطاب، ومن اشتراك وتكامل بين المقامات يعين على التوصل إلى تحديد معنى الخطاب. وبيّنت كيف يتم الإنسجام بين السياق وعناصر التخاطب، وذكرت عناصر التخاطب ودورها تحقيق الإنسجام، فالكلمة مشبعة بالمعنى، وهي مخزنة بمعناها أو بمعانيها في الذاكرة المعجمية لدى الأفراد، والأمر يعتبر بديهيا بالنسبة إلى المتكلم الذي يريد أن يبلّغ شيئا عن طريق اللسان واستعماله الكلمات بدون معنى أمر لا معنى له في فهم خطاب بكامله في حالات وفهم بعضه في حالات أخرى، وقد يكون عدم معرفته لكلمة ما عائقا عن فهم الخطاب بصورة تامة، وذكرت هذه العناصر ودورها في تحقيق الإنسجام في النص القرآني، ونلحظ في النص القرآني كثرة المخاطبات ، والمخاطبون فيه بحسب تقسيم (عبد الله صوله) نوعان: نوع يذكر داخل النص القرآني وهو قسمان: قسم مذكور معين باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب الذي يعينه شأن خطاب الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) وخطاب الكافرين، وخطاب بني إسرائيل، وأهل الكتاب، وخطاب الذين امنوا وهو كثير فيه، والنوع الآخر من المخاطبين يقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه، ولكنه مع ذلك معني بخطاب القرآن وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم، ثم فصّلت كيف انسجم الخطاب بين عناصر التخاطب مطبقا على سورة البقرة واستخرجت أهم العناصر التخاطبية في نص السورة.

أمّا الفصل الثاني من هذا الباب فعنوانه(**مبادئ الإنسجام وأثرها في النص القرآني**) وكان أوّل هذه المبادئ في هذا الفصل هو مبدأ التأويل، وهو ثاني مبادئ الإنسجام بعد السياق، ويعتبر من المبادئ التي تتعلق بالمتلقي، لأنّ التأويل يحصل عند تلقي النص، فعرفت بهذا المبدأ لغة واصطلاحا والتأويل هو الرجوع لأن فيه إرجاع

الآية إلى ما تحمله من معاني، وفرقت بين مصطلحين مهمّين في علوم القرآن، وهما التأويل والتفسير، ويخلط الكثير من المفسرين بين التفسير والتأويل لذلك يجب التفريق بينهما، وحتى نظهر الفرق بين التأويل والتفسير نجد أنّ التفسير أصله الكشف والإظهار وهو علم نزول الآية وشأنها و قصتها والأسباب التي أنزلت فيها والأقوام الذين أريدوا وجاهها . والتأويل من الأوّل وهو رجوع يقال: أولته فآل أي صرفته فانصرف، فتأويل الآية : صرفها إلى معنى تحمله موافقا لما قبلها أو بعدها، وهذا ما يعني أنّ يعني أن للقرآن طرق للفهم تختلف وتتنوع حسب المذاهب، ثم ذكرت القيود التأويل لأنّه لا يمكننا أن نتحرر من الضوابط والقيود التي تربطنا بالنص عند الفهم والتأويل، وإذا تعارضت التأويلات فإن أقربها إلى الصواب أكثرها انسجاماً مع سياق الخطاب، ففي القرآن ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعمله في الدنيا. ولكن الحقيقة ليست كالحقيقة، فأسماء الله وصفاته وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه في اللفظ والمعنى الكلي إلا أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقية المخلوق وصفاته، العلماء المحققون يفهمون معانيها ويميزون الفرق بينها. ونقبت عن هذا المبدأ عند العرب، فنظر ابن رشد إلى التأويل على أنّه إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخلّ ذلك بعادة العرب من التجوّز من تسمية الشيء بشبهه أو بسببه أو لاحقه، أو غير ذلك من الأشياء التي عدّت في تعريف أصناف الكلام المجازي. وقد بيّن محمد الشاوش بأنّ الإنسجام لا يكون إلاّ بالأقوال والجمل المنجزة في السياق، وقد أفضى هذا الأمر في نهاية المطاف إلى إرساء تناول ظاهرة الإتساق بين الجمل على سياق التخاطب وعلى اختيارات المتكلم والمخاطب الحقيقيين المنتجين للقول. ثم انتقلت لتوضيح دور المتلقي في عملية التأويل، لأنّه جزء من إنسجام النص.و يمكننا أن نطابق هنا بين المتلقي والإنسجام مطابقة أدائية ونقول أن فهم المتلقي للنص هو ذات الإنسجام، ويعتبر المتلقي هو محقق هذا المبدأ، وهو العنصر الأهم من النص في عملية التأويل. كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني (الآن) أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالإسم (محمد) مثلا. ولا يمكن اعتبار القارئ "مستقبلا فحسب، بل مشاركا في تشكيل النص، فالقارئ له دور فعال في عملية إنتاج النص ذاتها، فليست العلاقة بين النص والقارئ علاقة تسير في اتجاه واحد من النص إلى القارئ بل إنها تسير في اتجاهين متبادلين من النص للقارئ، ومن القارئ للنص، فبقدر ما يقدم النص للقارئ يضيف القارئ على النص أبعادا جديدة، قد لا يكون لها وجود في النص، وعندما تنتهي العملية بإحساس القارئ بالإشباع النفسي والنصي تتلاقى وجهات النظر بين القارئ والنص. وهكذا يظهر دور التأويل في إنسجام النص، فقد يقال خطاب واحد في سياقين مختلفين وبالتالي يترتب على ذلك تأويلان مختلفان، ويطلق عليه كل من براون ويول في كتابهما اسم (مبدأ الفهم المحلي). ويهدف هذا المبدأ إلى تعيين عملية التأويل للنص من قبل المتلقي وضبطها، حيث يضع بعض الحدود التي تؤثر في عملية التأويل، وذلك من خلال بعض المفاتيح في الخطاب مثل أسماء الأشخاص، ألفاظ الزمان والمكان. وتأويل الخطاب لا يتسنى إلا بوضعه في سياقه التواصلي زمانا ومكانا والمشاركين فيه ومقاما. وقد ذهب المؤلفان هاليداي ورقية حسن إلى أن: "انسجام النص، يأتيه لاحقا عند تأويل المتلقي له، وهو ليس أمرا سابقا على تأويله، ويتم

توصل، القارئ إلى تأويل نص الخطاب اعتمادا على أمرين اثنين: أحدهما تجاور مكوّنات نص الخطاب والثاني افتراض توفر الانسجام فيه. وهذا ما جعلنا نصوغ عنوانا نبرز فيه علاقة التأويل بالمقام، لأنّ أهمية المقام تظهر عند التأويل من خلال الكشف عن الملابسات والظروف التي قيل فيها الخطاب،لأنّ السياق ينظم العلاقة بين المتخاطبين والمتواصلين حول موضوع معين، ثم انتقلت إلى محطة أخرى لأبيّن فيها دور التأويل في النص القرآني. فالظاهرة القرآنية ظاهرة مركبة لا تجد تأويلها في التعديلات الأحادية الجانب، مما يتطلب اللجوء إلى نظرة شمولية تستحضر كل العوامل الفاعلة في اتساق الخطاب القرآني، وانسجامه، بحيث يشكل منظومة متكاملة، حيث تتماسك الآيات والسور القرآنية بروابط لغوية وموضوعية ودلالية.

أمّا المبدأ الثالث للإنسجام فهو مبدأ التشابه والتمثيل و يعتبر مبدأ التأويل المحلي جزءا من إستراتيجية عامّة وهي التّشابه الذي يعيشه الإنسان خلال مسيرته الحياتية، لأنّه قد يتعرض لمواقف يعيشها ويتعايش معها وتصبح رصيدا من عالم المعرفة الذي بحوزته وفي نفس الوقت تجميعا لخبراته الحياتية فإذا ما تعرض لموقف شابه موقفا ما قد مضى عليه تهيأت أفكار ذهنه لتفسيره وتأويله بناء على ما مضى من تجربته السابقة، فالتجارب السابقة التي يعيشها الإنسان في حياته عبارة عن تراكمات مفهمية، وعمليات متعددة يستطيع الشخص من خلالها مواجهة تلك المواقف التي تشبهها، ويحللها، وثمة ظهور للمتشابهات والمختلفات حيث يعتمد المحلل على التجربة السابقة التي يراكم بها عادات تحليلية وفهمية وعمليات متعددة لمواجهة النصوص. فالمتلقي يقوم بدور مهم بين التلقي والفهم والتأويل حتى يظهر الإنسجام الحقيقي بتتم عملية التواصل بين المخاطِب والمخاطَب، لذلك فإنّ استخدام الأمثال في القرآن هو دليل تساهم في حجاجية النص القرآني، وفي إثبات الحقائق، وتعتبر أداة هداية بالنسبة لمن رزق قلبا نيرا وعقلا فاحصا، وأداة ضلال بالنسبة لمن كان عنيدا. واستعمل هذا المبدأ في القرآن الكريم كأداة فاعلة في إقناع المخاطب وفي التأثير فيه، لأنه يقرّب المقاصد إلى النفس في صورة حسية ولعقد الصلة بين السياق المشاهد الحاضر، وبين السياق الخيالي الغائب، لذلك كان الإهتمام بمعرفة سبب النزول ودوره في الكشف عن التجربة السابقة مهما في عملية القران بين هذه التجربة(المعارف السابقة) وبين ما هو جديد. لإظهار الإنسجام بين النص القديم (تجربة سابقة) والنص الجديد (حالة لسانية جديدة). ثم ذكرت كيف تواردت الأمثلة في النص القرآني وانسجمت في نص السورة، و بيّنت ما هو الثابت في هذه الأمثلة وما هو متغيّر. وحاولت أن اقتفى أثر هذا المبدأ في نص سورة البقرة، وكيف ساهم في انسجام النص.

وذكرت مبدأ التغريض وهو مبدأ يتعلق بقصدية النص، يتحكم فيه المرسل ويوجهه حسب غايته لتحقيق هدفه، ودخل هذا المفهوم إلى اللّغة بالدلالة التاريخية ثم تحوّل إلى مفهوم لساني، ولقد ظهرت عبارة المسافة الأغراضية في ميدان تحليل الخطاب من جانب التاريخ بداية من الثمانينات، لأنه يوجد في الخطاب نظام تسلسل طبيعي يمكننا من أن نتوقّعه في غياب مؤشرات توحي بخلاف ذلك لأنّ الحدث الذي ذكر أوّلاً

والذي ذكر ثانيا تاله زمنيا لهذا فالمجال مفتوح أمام المستمع/ القارئ للوصول إلى إستنتاجات من هذا التّسلسل، وهي استنتاجات محدّدة بمضمون ما قيل وبالتوّقعات النمطيّة المبنية على التّجارب السّابقة،و في النص القرآني فإننا نجد مثل هذا النوع في القصص القرآنية التي يغلب عليها النمط السردي، فالأفعال تتالى متلاحقة في النّص ويربط بينها إتّساق زمني يوصل المتلقي إلى نهاية القصة بفائدة ومقصود. وهنا نجد الإنسجام هو المهيمن على كلّ النص، فالإتّساق يظهر في ذلك الترابط، والإنسجام في الطريقة التي خدمت المعنى وكيف أفرغ كلّ فعل من هذه دلالته الجزئية في المعنى العام للنص لتشبيع الدلالة العامة للنص. ويبدأ تحقيق مبدأ التغريض من بداية الخطاب إذ يمكن أن يكون عنوان النص، أو الجملة الأولى فيه، وهو يبحث في العلاقة بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوانه أو نقطة بدايته. ولهذا حاولنا أن نجتهد في هذا المبدأ لأنّه مفهوم لساني جديد، وإسقاطه على النص القرآني، فكان أوّل ما اخترته للبنية الأغراضية في نص سورة البقرة هو العنوان، فعادة ما يكون العنوان أو الجملة الأولى في الخطاب دليل على المعنى المقصود في السورة، نزل القرآن الكريم جديدا في موضوعه، وفي شكله ومن جديد شكله أسماء سوره، فلكل سورة اسم تعرف به، وهذا أمر لم نعهده في نثر الجاهلية وشعرها الذي خلا من هذه الظاهرة فإننا إذا ما تصفحنا مجاميع الشعر الجاهلي، لا نجد اسما لكل قصيدة ، إلاّ ما كان من أمر المعلقات التي عرفت بأسماء أصحابها، وما كان كذلك من أمر لامية الشنفرى، ولامية السموأل اللتين شاعتا بين العرب، فعرفتا لا بأسمائها بل بشجهرتهما وجماهيريتهما. لأنّ الجديد الفريد في أسماء سور القرآن الكريم أن منها ما جاء حكاية عن حرف في مثل: ص، و ق، أو عن حرفين في مثل: طه، ويس، أو ثلاثة أحرف في مثل ألم، وقد أشار الدكتور أحمد حسنين إلى ظاهرة عنونة السور بأسماء لم تعهدها لا نصوص الشعر لا نصوص النثر، مبيّنا أهمية هذه الظاهرة، ورأى بأنّ ظاهرة العنونة في الثقافة القرآنية في شبه الجزيرة العربية، أصبحت قضية العام والخاص، و"خطت هذه القضية خطوة نوعية في مستوى التعاطي مع العنوان وصلته بالمحتوى كإشارة إلى تماسك المنطق الداخلي الذي يحكمها والخيط المنهجي الذي يربطها، فشكلت أسماء السور القرآنية دلالات رمزية لها قدرة محورية في السورة، وإشارات من طرف خفي إلى حدث جسيم فيها. وعلى هذا النمط كانت كل سور القرآنية ماشية، آخذة من مضمونها لعنوانها، فحدث الترابط من قلب السور إلى رأسها الأعلى، وهذا الترابط يحمل في طياته تغريضا للعناوين، ويذهب الطاهر بن عاشور إلى أن أصل أسماء السور أن تكون بالوصف، لقولهم: السورة التي يذكر فيها كذا، ثم شاع فحذفوا الموصوف وعرّضوا عنه الإضافة، فقالوا: سورة "ذكر البقرة" مثلا، ثم حذفوا المضاف وأقاموا المضاف إليه مقامه، فقالوا: سورة البقرة، أو أنهم لم يقدروا مضافا وأضافوا السورة كما يذكر فيها لأدنى ملابسة. ويذكر اللسانيون وعلماء نظرية التواصل أن هدف النص أو الغرض منه، يعد هو المنطلق الأوّل لتحديد الأثر الذي يريد الكاتب أن يحققه في جمهور معيّن أو جمهور عام. ويساهم العنوان بدرجة كبيرة في عملية تغريض النّص فمنه ينطلق المتلقي بفكرة أوّلية تحدّد له معالم النّص، كما يساعده في تحديد دلالة ومجالات التّأويل التي خلّفها العالم الحقيقي، والعنوان جزء من النّص وأحد تعبيراته الممكنة، إنّه النّص المختصر والبسيط، والغير معقّد وتكمن وظيفته عند براون ويول في "أنّه وسيلة

خاصّة قوية للتغريض، فكثيرا ما يتحكّم العنوان في تأويل المتلقي، وكثيرا ما يؤدي كذلك تغيير عنوان نص ما إلى تأويله وفق العنوان الجديد. ثم خصصت عنصرا للحديث فيه عن العنوان سورة البقرة، لأنّ مفهومي التغريض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه، وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوّع الخطابات، فحقيقة الإنسجام بين العنوان والسّورة تظهر متمركزة في الآيات التي ذكرت فيها قصة البقرة، إنّه إنسجام بين العنوان والموضوع النّواة الذي جاء في السّورة، إذ هو قيد واضح للعنوان والتأويلات التي تبقى محصورة بينه وبين المضمون والسّياق الذي وردت فيه، بحيث يبقي المتلقي دائما يسير في المسار الأغراضي للسّورة، وهو مسار تشريعي في الغالب الأعمّ يهدف إلى تبيان مقاصد الشريعة الإلهية في الأرض، والتي لا تكاد تخرج عن حقيقة الحياة والموت، وإعادة البعث من جديد. إنّ متلقي سورة البقرة سيفهم مباشرة من العنوان أنّ أهمّ شيء مذكور في هذه السّورة يستحق تحليله تحليلا سيميائيا ونصّيا، هو قصّة البقرة، وعليه أن يتساءل ما علاقة العنوان بهذه القصة؟. فحين نقرأ نحن اليوم البقرة عنوانا على هذه السورة، لا يرد بخاطرنا غير بقرة بني إسرائيل، ونتذكر معاصيهم التي فاقت كلّ الحدود، فنتذكر "قصتهم في عصيانهم لله ورسوله موسى عليه السلام، فتدرك أن الله قصد بهذا العنوان أني سأقص عليكم تاريخ عصيان بني إسرائيل. ثم انتقلت للحديث عن أوّل ظاهر موجودة في القرآن ككل وفي سورة البقرة بصفة خاصة وهي حروف التهجي(ألم)، فبيّنت أنّ علاقة التغريض بحروف التهجي والإعجاز القرآني من خلال سورة البقرة، ويظهر أثر هذا الربط بين افتتاح السورة بهذه الحروف المقطعة ومع ما جاءت به السورة في تعجيز الكفار وتبكتهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن الذي هو من جنس الحروف (ألم).

ثم انتقلت لتوضيح هذا المبدأ ومواصلة تغريض النص بطرقة منسجمة من بداية الجملة الأولى بعد حروف التهجي، ونظرا لأهمية ذلك تجد الجملة الأولى في الفقرة الأولى ليس فقط من معنى الفقرة ولكن معنى بقية النّص، أي أنّنا نفترض أنّ كلّ جملة تشكّل جزءا من تعليمات تتطّور وتتراكم لتعلّمنا كيف نبني تصوّرا مترابطا للخطاب، ثم واصلت لأوضح الطريقة التي حدث بها الإنسجام عن طريق تغريض المقاصد منذ بداية السورة،. وقد استطاع السيوطي أن يؤكد هذا الترابط المنسجم بين المقاصد في سورة البقرة من خلال تناسبها مع بعضها البعض و مع الغرض العام للسورة حيث قال:"ها أنت ترى مدى التناسب بين مقاطع أطول سورة في القرآن العظيم، فهذه مناسبة بين مجموعة آيات و مجموعة أخرى داخل سورة واحدة. لذلك قال محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: "ولم أغادر سورة إلاّ بيّنت ما أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته، ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله".

ثم انتقلت لتبيان المبدأ الأخير وهو علم مستقل بذاته عرفه العرب قبل غيرهم من الأمم وهو مبدأ المناسبة، فعرفت المناسبة لغة واصطلاحا، والمناسبة علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى

تحقيق مطابقة المقام لمقتضى الحال، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها أخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، ثم بيّنت أهمية هذا العلم في الكشف عن الإنسجام الحاصل داخل السورة وخارجها، وذكرت كل أنواع المناسبات والتي أشار إليها علماؤنا منذ القرن الثاني والثالث للهجرة. وذكرت أهم العلماء الذين ألّفوا في ذلك. ولا تزال كتبهم إلى يومنا هذا تمدّنا بالمادة الخام في هذا الجانب. ثم ذكرت أنواع المناسبة كمناسبة السورة لاسمها ومناسبة فاتحتها لخاتمتها، ومناسبة الآيات لبعضها، وتناسب المقاطع، المناسبة بين سورة الفاتحة والبقرة، ثم سورة البقرة و آل عمران.

ثم ختمت هذا البحث بمجموعة من النتائج المثمرة ذكرتها في نهايته. وتوصلت في هذه الخاتمة إلى نتيجة مفادها أن الإتّساق و الذي يقصد به تماسك النص اللّغوي، يمشي يمينا ويسارا وهذا هو المسار الخطي للعناصر اللغوية التي سبق ذكرها. فبها تتحقّق الجاذبية بين الآيات وبين الجمل، وباستمرار هذا المسار يمينا ويسارا فإن الإتّساق ينتقل من الأعلى إلى الأسفل في امتداد للمعنى، وهنا يتشكّل نوع آخر من البناء وهو معمارية السورة عموديا .

وعن الإنسجام، ففيه وقفت عن مدى المناسبة بين الخطاب القرآني لسورة البقرة والواقع التاريخي لها، من خلال انسجامها مع المواقف الموجودة خارج النص والتي تحيل إليها عناصر الإتّساق. ومن هنا تظهر حقيقةً نصّيّةً وهي أنّ الإتّساق خادم للإنسجام، حيث تحافظ العناصر اللّغوية باستمراريتها في بناء السّورة على انسجام النّص داخل السّياق اللّغوي وخارج النص، أي السّياق المقامي، ومن هنا يظهر تناسب آخر بين الإتّساق الدّاخلي للنص وانسجامه بنيويا داخليا، وكذلك حاولت كشف الإنسجام خارج كتلة النص.

والنتيجة الأخيرة للبحث هي أنّ الإتّساق والإنسجام هما وجهين متلازمين للنص، فهما كالعملة الواحدة، يتّصل أحدهما بالآخر، فإذا فقد النّص اتساقه غاب انسجامه، وبحضور الأول يحضر الثاني.

1- المنهج المتبع:

أمّا المنهج المتّبع في هذا البحث فإنّه المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم بوصف الظّاهرة اللّغوية وتفسيرها وفي بعض الأحيان يلجأ إلى تأويلها خاصة إذا ما تعلّق الأمر باللغة العربية، كما يقوم على التفكيك والتركيب وذلك حتى نتمكن من شرح معياري الإتّساق والإنسجام على أحسن وجه، وتفكيك النص إلى مقاطع وآيات وجمل وفي بعض الأحيان إلى كلمات ضمن التّشكيلة الكلّية للنص، لأنّنا في أغلب الأحيان من هذا البحث نتعامل مع أجزاء من النص، أو ما يمكن أن نسمّيه بالنّص المصغّر(المقطع) داخل النص الكبير(السورة) .

2 – صعوبات البحث:

يعتبر البحث في لسانيات النص وتحليل الخطاب من ين البحوث الأكاديمية التي تعرف قفزة نوعية في هذا المجال، لذلك فإنّها كنظيراتها تواجه صعوبات في التقدم والبحث عن منهج موّحد يرسم منهج البحث اللساني

والخطابي المعاصر، فالتغيّرات الظرفية للمجتمعات تصاحبها تغيّرات لغوية لسانية، ولهذا فإنّ خصوبة هذا الحقل البحثي تواجهه صعوبات من حيث المنهج والمعلومة ومصدر لمعلومة ونقصد هنا ذلك الشح في المصادر والمراجع الذي صادفناه في بداية بحثنا هذا سنة 2012م.

ومن جملة صعوبات البحث في هذا الموضوع نذكر ما يلي :

أ- حداثة هذه المواضيع اللّسانية خاصّة في السنوات الأولى من هذا البحث .

ب- قلة المراجع منذ سنوات البحث الأولى إلاّ ما تم تصويره على الشبكة العنكبوتية، وما تم إقتناؤه فيما بعد من المعرض الدولي للكتاب المقام بالجزائر.

ت- شح في مصدر المعلومة من مصدرها التي لم تكن واضحة إلاّ بعد ما توفرت لدينا بعض المعاجم اللسانية المعاصرة.

ث- صعوبة الفصل بين مفهوم الإتّساق ومفهوم الإنسجام وذلك لعدم ترجمتها ترجمة لسانية صحيحة.

ج- صعوبة التنقل بين المكتبات للحصول على المادة المعرفية.

ح- ظروفي الصحيّة التي تدهورت مع مسيرة هذا البحث وألزمتني المستشفى.

3- أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنّه بحث لساني حديث يستمد من التراث العربي معلومته، ويحاول إعطاءها لمسة حداثية من النظريات اللسانية الحديثة كتلك التي جاء بها روبرت دي بوجراند وجون بول ويول، فالكثير من المصطلحات التي يزعم الكثير من اللغويين العرب أنّها غائبة عن تراثنا، أو تجاهلوها لسببين:

أ- لعدم إطّلاعهم على تراثنا الزاخر بالمعارف اللسانية واللغوية.

ب- أو لإنسياقهم وراء فكر غربي طمس هوية البحث العربي الخالص ومزج بهذه الأفكار.

وهذا ما كان سببا من الأسباب التي تضاف إلى دافعيتي في البحث عن جذور الكثير من المصطلحات اللسانية والخطابية المعاصرة في كتب التراث، والاستشهاد بالدراسات العربية القديمة سيما تلك التي تناولت النص والخطاب القرآني في العصور الماضية.

4- أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إقامة جسر للتواصل بين القديم (التراث) والجديد (الحداثة) من حيث المعلومة اللغوية اللسانية، لأنّ الفصل بين العصور اللسانية للعرب تضع البحث اللغوي اللساني العربي في قطيعة عن ماضيه الذي كان يزخر بثراء معرفي هائل، فكل المعارف التي تناولتها خلال مسيرة هذا البحث كنت أعود فيها دائما إلى تراثنا لأبحث لها عن تأصيل في كتبنا، وهذا ما استغرق منّي وقتا ليس بالقليل، وجهدا ليس بالمستهان به، لأنّني

حرصت الحرص الشديد على إيفاء هذا البحث بآراء نرى بأنّ الكثير من اللسانيين قد أغفلوها، فكان هذا البحث عنوانه مزيج من بين الثراث والحداثة.

5- مصادر ومراجع البحث:

حاولت من خلال هذا البحث أن يكون هناك تنويع في موارد المادة العملية من مصادر و مراجع تراثية قديمة، وأخرى جديدة حديثة حتى يكون التوازن ميزة هذا البحث من جهتي مورد المعلومة.و سمة بارزة تعطي له ملمحا خاصا، تغنيه عن صراع الأفكار و تقابلها وجها لوجه، و عليه فقد استعنت بمجموعة من الكتب التّراثية لا بأس بها منها: لسان العرب، القاموس المحيط، الإتقان في علوم القرآن، البرهان في علوم القرآن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مراصد المطالع وتناسب المقاطع، ...إلخ. وكتب التفاسير منها: الكشّاف، تفسير القرطبي، تفسير ابن كثير، تفسير البحر المحيط، معالم التنزيل، تفسير أبي سعود، والسعيد حوى، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم... و بعض كتب اللّسانيات الحديثة التي تصبّ في حقل النص وتحليل الخطاب، منها نسيج النص، لسانيات النص مدخل إلي انسجام الخطاب، علم اللّغة النصي، نحو النّص اتجاه جديد في الدرس النحوي، النّص والسياق، النّص والخطاب والإجراء، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات ... الخ. وبهذه الكتب التي ذكرتها استطعت أن أنتج بحثا لغويّا متنوع المورد متوازن الأبواب بتوفيق من الله يؤلف بين التّراث والحداثة.

تيارت في عام 2018م .

الباب الأوّل:

من مفهوم النص والخطاب إلى أثر الإتّساق والإحالة في النص القرآني.

– تمهيد:

يحظي البحث اللساني الحديث بعناية كبيرة من طرف المهتمين بهذا الحقل الدراسي أكثر مما سبق؛ وأصبحت الجامعات على اختلاف مشاربها تنتج بحوثا لا نظير لها من حيث الكمّ و النوع في هذا الميدان، تختلف عن بعضها اختلافا منهجيا ومعرفيا حسب المرجعيات. و نجم عن ذلك كثرة في المصطلحات العلمية، وزخم هائل في المعارف الجديدة، وأخرى قديمة تبحث لنفسها مكانا للتموقع فيه، وذلك بظهورها في ثوب جديد في العلوم اللسانية الحديثة.

ونلمس ذلك بوضوح في اللسانيات العربية أكثر؛ "فلما دبّت اليقضة في بلاد العرب وسرت الحياة في أوصال جسد أمتهم النائمة في منتصف هذا القرن وبدأ الدرس اللغوي ينال بعض الاهتمام، وجد اللغويون العرب المحدثون أنّهم يدرسون اللغة بمنظور غربي(تشومسكي على وجه التحديد)، ولكنّهم ينتمون إلى أمّة ذات تراث وخاصة في هذا المجال. ولم ينبر منهم من ينطوي على فكر ثاقب وجراءة حضارية تخوّله تبنّي المصطلح النحوي العربي الذي ورثه عن أجداده. واضطرّ اللغوي العربي المعاصر إلى تبني المصطلح النحوي الغربي لأسباب لا مبرر للخوض فيها هنا وهناك. وهكذا اضطرّه الأمر إلى ترجمة المصطلح في محاولة لإرساء دعائم مصطلح لغوي عربي معاصر. ونشر عدد من المعاجم، فيها جهد مشكور، ولكنّها لم ترق إلى مستوى يحقق لها التبني بالإجماع"[1].

ولذلك فقد أصبح من الأمور البديهية والمسلّمات التي يجب أن نسلّم بها، هو عقبة كثرة المصطلحات في العلوم المستحدثة والتي قد تصبح فيما بعد من أسس هذه العلوم و أركانها، فكلّما خطى العلم خطوة نحو الأمام، توازى تقدّمه مع نموٍّ لهذه المصطلحات التي تتطوّر بحثا بعد بحث، فتقترب من تحديد المفاهيم، وتتأسّس كقواعد لهذا العلم، ممّا يفرض على الباحث حتميَة الرُّجُوع للبحث فيها وتحليلها كلّما دعت الضّرورة إلى ذلك، لأنّ الغاية من ذلك هو البحث عن مفهوم دقيق يفي بالغرض المراد بلوغه من خلال الممارسة العملية للتأليف أو للنقد. ويعتمد "علماء اللغة على عدد من المصطلحات التي اتفقوا عليها، مثلهم في ذلك مثل غيرهم من القائمين على مجالات علمية أخرى. وتبدأ المصطلحات اللغوية كغيرها من المصطلحات الأخرى باستخدام فردي لا يلبث أن يشيع بين اللغويين"[2]؛ حتى تتطور وتؤسس لنفسها علما مستقلا، فإذا كان البحث بحاجة إلى ذلك، لقي تلبية له، وكشفت عن خباياه بالمناقشة والتّحليل.

---

[1] – المصطلحات مشكلة علم اللغة العربي الحديث، دراسة لمعجم مصطلحات علم اللغة الحديث لنخبة من اللغويين العرب،دراسة ومراجعة بقلم: عبد العزيز بن إبراهيم الغويل، مجلّة جامعة الملك سعود،م7، الآداب(1)، 1415هـ – 1995م، ص:244.

[2] – المرجع نفسه، ص:243.

ولهذا؛ فسوف نغوص في بعض الكتب اللّغوية والتفسيرية والنّقدية الموروثة، وكتب لسانية حديثة أخرى كان لها الفضل في إعادة بعث البحث في هذا المجال اللساني اللغوي الحديث، و الزج به من جديد إلى الساحة العلمية، ولذا سنجول فيها ونبحث في تعاريف تلك المصطلحات العربية والغربية، لتحديد المفاهيم المتعلقّة بهذا البحث، من المنظور المعجمي والدّلالي وخاصّة التّنظيري بما يكفل الوقوف على دلالات كلّ من المصطلحات المراد دراستها؛ وبصفة خاصّة النّص والخطاب، وما يعتريهما من تداخل وتلازم مع التّحليل والقراءة والنّقد.

ومن المؤكدات التي عثرنا عليها خلال مسيرة هذا البحث، والتي تزيل الشك باليقين، هي أسبقية الطّرح الذي حظي به مصطلح الإتّساق عند العرب، حيث اهتموا به وخصصّوا له جانبا من بحوثهم، وقد سجّلنا ذكرا للمصطلح في صفحات المعاجم العربية، كما عثرنا عليه في صفحات الكتب والمصادر التي استعملت هذا المصطلح النصي بمفهومه القديم، والذي قارب المفهوم النصي الحديث."فالبحث في الإتّساق الداخلي للنّصوص كان موضع اهتمام أكثر من باحث لغوي قديم إلى درجة يمكن معها الكلام عن "علم نصّ عربي". وإن كانت الدّراسات في هذا الإطار موّزعة على ثلاثة تخوم هي: البلاغة والنقد الأدبي والتفسير"[1].

وقد كانت المعاجم العربية تشرح وتفسّر معاني الإتِّساق حسب الاستعمالات التي تجيزها اللغة، والشاهد القوّي الذي يؤكد ذلك، هو ذكر الفعل (اتَّسَقَ) في سورة الانشقاق في القرآن الكريم، وهذا سند بَيِّنٌ ودليل من الأدّلة التي تؤكد أسبقية الطّرح للمصطلح في الفكر العربي بمفاهيم وعناصر تكاد تكون نفسها في علم اللغة النصي الحديث، خاصة عند جمعنا مجموعة من التعاريف اللغوية والاصطلاحية للإتساق، بغية تبسيط المفهوم وتقريبه أكثر لذهن المختصّين بهذا العلم، والتعرّف على المعنى اللغوي لكلمة اتّساق (COHESION)، وعلى البعض من معانيها الأخرى واستعمالاتها في مجال علم اللغة النصّيّ (TEXT LINGUISTICS).والأهم من ذلك كلّه، هو الكشف عن وسائله وأدواته كالإحالة وأنواعها ودورها في الترابط النصّي،وما تحدثه من أثر على مستوى البنية التركيبية والدلالية، حين تعطي للنص تماسكا بنيويا ومعنويا، يظهر به هذا الأخير متماسكا غير منفكٍّ، مترابطا غير منحلٍّ، ومتّسقا غير متلاشٍ.فكتب النقد القديم وعلم التفسير قد أشارت إلى الاستعمالات التي حظي بها مصطلح الإتّساق في الكشف عن المواطن التي تظهر فيها النصوص مترابطة ترابطا لغويا، وقد درست هذه الكتب كل أنواع الربط التي حفلت بها علوم اللغة المعاصرة، كعلم لغة النّص. وإن كانت قد أشارت إلى الوظيفة الإتّساقية والترابطية التماسكية التي تقوم بها العناصر اللغوية التي يدّل عليها الإتّساق في الكثير من المواضع، وأردفوا لها أسماء أخرى توحي إلى نفس العمل الذي تقوم به عناصر الإتّساق اللغوية، ما يدل على ثراء معرفي ألمّ بالفكر العربي منذ عهد سابق.

[1] – مدخل إلى علم النّص، ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، ص: 138.

الفصل الأوّل:

مفاهيم أساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب وعلوم القرآن.

أوّلاً: نظرة على الدراسات اللسانية القديمة والحديثة.

1- شمولية الدراسة اللّسانية الموسّعة للنّص و الخطاب:

من الإهتمامات التي أصبحت اللسانيات الحديثة توليها أهمية بالغة في الدراسات الحديثة؛ إعادة النظر في بعض الإشكالات الإصطلاحية التي أصبحت عائقا بحثيا رغم الخدمة الجليلة التي قدّمتها في بداية مشوارها، إذ أصبح من العصر الفصل بين بعض المصطلحات لتداخل مفاهيمها، كالجملة و النص، والنص والخطاب، واللسانيات وتحليل الخطاب وعلم النص، ونحو الجملة ونحو النص وعلم اللغة النصي، وغيرها من المصطلحات التي يعجّ بها الحقل اللساني؛ ولهذا الغرض استفرغت النّظرية اللّسانية المعاصرة جهدها على مدى سبعة عقود ماضية، خاصة العقدين الماضيين، من أجل تحقيق هدف الفصل بين الكثير من المصطلحات، حتى عدّ أهم إنجازاتها المنهجية. و الحقيقة التي تقال أن الإنتقال من نطاق الجملة إلى نطاق النص ينبغي له أن يكون انتقالا من الثبات إلى الحركة. من كمِّ المادة المحلّلة إلى التوسيع في كيفية التحليل؛ من الجزء إلى الكل، ومن الربط البسيط إلى الربط المتشعب؛ومن داخل النص إلى خارج النص...، كالنظر إلى العلاقات بين المنطوقات والتفاعلات بين المشاركين في الإتّصال و مقاصدهم، بل إلى كل ما يحيط ببيئة النص و جوّه العام، وإلى التفاعل الذي يحدثه بين المتفاعلين في الخطاب، وهذا ما صبت إليه النظريات اللسانية الحديثة[1].

ولذلك نجد أنّ لسانيات النّص (Texte Linguistique) وتحليل الخطاب (Discourse Analysis) أَوْلَيَا اهتماما كبيرا لمصطلحي النّص و الخطاب، وهو اهتمام نصفه بمنقطع النّظير؛ فلازالت تصبّ بالتّعاريف الحديثة للمصطلحين وكلّ ما يندرج تحت هذا العلم من روافد علمية في البحث اللّساني. فقد سعت اللسانيات إلى درس اللغة ككل، وأعادت الإتّصال والتفاعل بين مستويات الدرس جميعا. فالتحليل اللساني النظري يبدأ بالأصوات على صعيد الإفراد والتركيب وصفا؛ و بيانا لقواعد التشكيل، ثم ينظر في بناء الكلمة من حيث الشكل والوظيفة، ويرصد المقولات الصرفية ويكشف عن قواعد نموّ الثروة اللفظية، ويتقدّم بعد ذلك إلى تركيب الكلمات في الجمل إسنادية فيبيّن قواعد ذلك التركيب ومعانيه، ويحدد قوانينه، وينتهي بعد ذلك عند الدلالة اللغوية والإجتماعية من خلال تضافر مستويات الدّرس كلّها[2].

ورغم التماس الكثير من المعطيات التاريخية لهذا المنهج في إرثنا اللغوي إلاّ أن "لسانيات النص كما يعرف في المغرب الكبير، أو (علم لغة النص)كما تصفه المشارقة-هي علم ناشيء- وحقل معرفي جديد تكوّن

---

[1]-ينظر، النص والخطاب والإتّصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط 2014م، ص:07، وما بعدها.

[2]-ينظر، اللسانيات والمصطلح، د.أحمد قدور، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق-المجلد(81) الجزء(4). ص:5.

بالتدرج من القرن العشرين، وقد نشأ على أنقاض علوم سابقة له (لسانيات الجملة)، و(اللسانيات النسقية) و(الأسلوبية)"[1].

ومن هنا؛ فالنظرية النّصية والخطابية الشاملة تعنى بوصف البنية الكلية للنص، وتحليلها، وبيان علاقتها، دون الإقتصار على دراسة الجملة فقط كما هو مألوف في النحو العادي مع تركيز الإهتمام على توضيح أوجه الإطراد و التتابع اللغوي النصية التي تحقق تماسك النص، و تناسقه[2]، وقد أشار فولفجانج في كتابه (علم اللغة النصي) إلى توسّع روافد هذا العلم وشموليته لمختلف الإتّجاهات والنظريات التي تعاونت على تشكيل قواعده وأسسه منذ ظهوره فقد حقق علم النص تطورا هائلا في العشرين سنة الأولى من وجوده، وأفضى إلى إدراك جوهري لبناء النصوص وتماسكها في علاقات ممتدة. لكن ارتبط بذلك أيضا تجاوز الحدود اللغوية الصارمة، وتوسيع رقعة علم اللغة في اتّجاهات مختلفة، حتّى إنّ نقاده يتّهمونه بالتّطور في اتّجاه (علم شامل) لا بدّ أن يفضي حتما إلى (غموض) زائد في مفاهيمه المتخصصة وفي إجراءاته[3].

ولنفهم الظّاهرة اللّسانية على حقيقتها وجب علينا "دراسة اللغة دراسة نصية، وليس إجتزاء الجمل، والبحث في نماذجها، وتهميش دراسة المعنى،كما ظهر في اللسانيات البلومفيلدية أوّل أمرها"[4]، ولذلك فإن الكثير من اللسانيين لم يفصلوا بين علم اللغة النصّي و علم اللغة الجملي، و جعلوا العلاقة بينهما تكاملية، حيث ينظر إلى دراسات علم اللغة الجملي على أنّها تمهيد ضروري لأبحاث علم اللغة النصّي من جهة لكنّها من جهة أخرى يمكن أن تتجاوز في علم اللغة النّصي الأكثر شمولا[5]، ومن هنا؛ فإنّ هذه الرؤية اللّغوية كانت دافعا قوّيا لبروز اتّجاه لساني جديد مستحدث يهتم بالمعنى اهتمامه بالشكل ويُعنى بالمخاطَب عنايته بالمخاطِب، ويُعتبر بإتّساق الخطاب كإعتباره بإنسجامه، ويضع لكل ذلك؛ معايير نصيّة تميّز النّص عن اللاّنص،كما يركز على مظاهر التّماسك الشكلي تركيزه على الترابط الدلالي، وينظر إلى النص نظرة كلية شاملة، بغية تأويله وفهمه وإدراكه لتحقيق مقصديته.

---

[1]–المنهج السياقي و دوره في فهم النص و تحديد دلالات الألفاظ، نماذج تطبيقية من القرآن الكريم، د.مسعود صحراوي، ص:02. موقع شهاب www.chihab.net.php3name.

[2]– ينظر، مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر،ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ – 1999م، ص:17.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص: 7. و ما بعدها.

[4]–ينظر، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، د.نعمان عبد الحميد بوقرة، دار الكتاب الحديث للنشر و التوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2008م، ص:42.

[5] – ينظر، المرجع السابق، ص: 8.

وقد لاحظ كثير من العلماء أن"الإتّصال الوثيق بين كلّ من علم النحو وعلم البلاغة وعلم النقد وعلم الشعر أيضا، من بين الأسباب التي أدّت إلى الإحساس القوي بضرورة توسيع الدراسات القائمة على الجملة إلى الدراسات ذات إطار أوسع يتمثّل في النّص"[1]، فنحو النص الذي كان في الماضي المسيطر على الدراسات النحوية و اللغوية عدّ قاصرا لا يفي بغرض التحليل الأكبر من الجملة، و إن كانت هناك إشارات واضحة عند العرب في الدراسات القرآنية التي تثبت تفطن علماء القرآن إلى ذلك، وقد كان من أسباب اللجوء إلى الدراسة النصيّة و"كذلك العلاقة بين فقرة وفقرة، ونص ونص، وهذا يبرز عند النظر إلى السور القرآنية؛ فلا يمكن إدراك هذه الصّلة والترابط من خلال نحو الجملة، بل النظرة النصية بمفهومها الواسع"[2].

وما يهمنا في هذا البحث هو أنّ كلّ ما يتعلق بالنّص والخطاب من نظريات ومناهج، قد بدت تجلياتها بوضوح في ثنايا الكتاب العزيز. ذلك هو النص؛ و ذلك هو الخطاب القرآني الذي تظهر فيه بوضوح جميع ملامح التّماسك النّصي،كالإحالة والحذف، والفصل والوصل، والتطابق، والتكرار، والتناسب، وغيرها...، كما يتوفر على مكونات الخطاب كلها: كالمخاطِب والمخاطَب، وموضوع الخطاب وغرضه، وملابسات الخطاب: أي مكان النزول وزمانه، وأسبابه،حتّى "إنّ فهم قصد الشارع في القرآن الكريم عامّة لا يحصل على الوجه الأمثل إلاّ بمرعاة حال المخاطِب والمخاطَب، وموضوع الخطاب، وغرضه، ومكان النزول و زمانه، وأسبابه، وكلّ ما يحيط بالنّص من ظروف و ملابسات"[3].

2- أزمة المصطلح أوجدت صعوبات في فرز المفاهيم:

سنعرّج بصرير قلمنا لمعرفة أهم المفاهيم اللسانية المتعلقة بهذا البحث، والتي استطاعت أن تنتج أبحاثا اعتبرت في غاية الأهمية من حيث القيمة العلمية في هذا التخصّص، فلا أحد يستطيع أن ينكر جملة ما جلبته لنا الكتب الغربية وترجماتها من مصطلحات في الحقل اللساني، لذلك وجب علينا رفع درجة الحيطة عند الفصل بين مفاهيم تبدو متداخلة، للوهلة الأولى كالنّص والخطاب، والإتّساق والإنسجام، وغيرها من المفاهيم التي كثر استعمالها في اللسانيات الحديثة؛ حتى عدّت من قبيل الفوضى في استعمال المصطلح. وفي هذا الجانب يقول د.أحمد قدور بناء على ما سرده قاموس اللّسانيات لعبد السلام المسدي:"بأنّ أوضح مثال على الفوضى التي تعصف بالمصطلح اللساني هو عنوان هذا العلم، أي اللسانيات، فقد بلغت المصطلحات المعرّبة والمترجمة لهذا المصطلح ثلاثة وعشرين مصطلحا، منها:علم اللغة، وعلم اللسان، واللغويات، وعلم اللغة العام، والألسنية،

---

[1] – ينظر، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا،الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان،ط1، 1993م، ص:05.

[2] –علم اللغة النّصي بين النظرية والتّطبيق (دراسة تطبيقية على السّور المكية) صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للنشر، القاهرة، ط1، 2000م، الجزء1، ص: 52.

[3] – دلالة السياق في القصص القرآني،د.محمد عبد الله علي سيف،أطروحة دكتوراه، جامعة اليمن، 2002م، ص:25.

واللسانيات، والدراسات اللغوية الحديثة وغيرها"[1]، وزيد على ذلك ما تفرع عنها مؤخرا من علوم كعلم النص ولغته؛ وعلم الخطاب وتحليله. ولا تزال هذه العلوم تستمر نموا؛ وتزداد وتيرة البحث فيها حسب ما تتطلبه الدرجات العلمية والبحوث الأكاديمية.

وحسب ما يعترف به علماء اللسانيات المعاصرين، فإنّه منذ أكثر من خمسة عقود و نيّف ظهر "في الدراسات المتعلّقة باللسانيات؛ التعبير عن وجود (أزمة) في المصطلح اللّساني مفردة، أو ضمن أزمات أخرى. أو الإشارة إلى المصطلح على أنه (عقبة) من عقبات تلقّي اللسانيات، أو وصفه بأنّه (مشكلة) من مشكلات متعددة تتعلّق باللسانيات عندنا"[2]، وقد امتدت جوانب الدّرس اللساني في عقد السبعينيات وما تلاه لتشمل أكثر أقطار العروبة بعد أن كانت مقتصرة على مصر تقريبا، كما اتّسع الدّرس اللّساني ليشمل الدراسات النقدية والبلاغية. وهكذا بدأت المرحلة الأخرى التي شهدت بروز اختصاص اللسانيات؛ أو علم اللغة في المناهج الجامعية منفصلا عن فقه اللغة وعلوم اللغة الأخرى كالنحو والصرف"[3]. وتسبب هذا الإمتداد ناحيتي المشرق والمغرب العربيين في ظهور تنوّع مفاهيميّ حسب مشارب كل قطر من القطريين، والتبعية الثقافية لكل منها، حيث تجاذبتهما ثقافتين: انجلوفونية، وفرنكوفونية، ما انعكس سلبا على عملية ترجمة المصطلح بمفاهيم متنوّعة. وانتقل هذا التنوّع إلى تنوّع واختلاف في الرؤى اللسانية عند اللسانيين العرب.

3- أزمة المصطلح والمفهوم بين النص و الخطاب:

وفي خضم هذه الأزمة اعتلى كل من مصطلحي النص والخطاب وما يندرج تحتهما من مفاهيم حديثة ومعاصرة كالإتّساق و الإنسجام على واجهة البحوث والدراسات، فلقد نال مصطلح النص حظاً وافرا في الدّراسات اللّغوية والأدبية والإجتماعية لكونه ينتمي إلى المعرفة الكلية، وجالت هذه الدّراسات في مفهوم النص ومرجعياته وأثره في المتلقي، على أنّ البحث في الأصول العربية والإصطلاحية لبعض المصطلحات ككلمة (نص) أمر صعب لتعدد معايير هذا التعريف، ومداخله ومنطلقاته وتعدد الأشكال والمواقع والغايات[4].

وقد استعمل هارفج (Harveg) مصطلح (Textologie) للدّلالة على هذا الإتّجاه، وهو مصطلح أكثر قبولا- عند سعيد حسن بحيري- في حين استخدم درسلر (W.Dressler)-علم دلالة النّص- وعلم نحو النّص، والتداولية النّصيّة، في حين آخر يرى سوينسكي (Swiniskie) أنّ المصطلح الأنسب والذي

---

[1]- ينظر، قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م،ص:72. وينظر: اللسانيات والمصطلح، د.أحمد قدور، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق-المجلد(81) الجزء(4).ص:10.

[2]- اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، د.أحمد قدور، دار الفكر ، دمشق،سوريا،2001م، ص:12 وما بعدها.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص:17.

[4]-ينظر،نسيج النص،بحث في ما يكون به الملفوظ نصا،الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان،ط1، 1993م، ص:11.

يعتبره جامعا لكلّ البحوث المتعلّقة بالنّص، ونموذج النّص داخل علم اللّغة، وهو مصطلح "لسانيات النّص" (Texte Linguistique).

وعلى هذا الأساس حاول الكثير من المحدثين التّطرق إلى المصطلحات ذات الصّلة قبل الولوج في بحوثهم، فـ"النّص، وعلم النّص، ونحو النّص، والخطاب، وتحليل الخطاب، وبلاغة الخطاب، ونظريات الخطاب.السّياق ونظرية السّياق. التّماسك النّصّي وآلياته أو وسائله. الحبك والسّبك ووسائلهما. الأسلوب وخصائصه، الأسلوبية واتجاهاتها... فيضٌ من المصطلحات التي تجري على ألسنة المشتغلين باللّغويات والدّراسات الأدبية والنقدية"[1]. فقد " أحرزت اللّسانيات النّصية وتحليل الخطاب والأسلوبية والشعرية الحديثة والتّحليل التداوليّ للخطاب تقدّما معرفيا ومنهجيا، إذ أتاحت للباحثين والقرّاء أن يقفوا في النّص المدروس، على عناصر وخصائص وعلاقات لم يكن بوسعهم الوقوف عليها بنحو الجملة أو لسانيات الجملة. وهكذا أصبحنا في الوقت الرّاهن أمام ظاهرة جديدة أو سمة فارقة تميّز البحث النصّي اليوم، إنّها ظاهرة تعدّد المعارف أو التّداخل المعرفي على مستوى التركيب والدّلالة والتداوليّات، التي تستلزم من المحلّل دراية واسعة في فروع معرفية كثيرة، وتفرض بناء بنية تحليلية متماسكة ومنسجمة تدرج تعدّد المعارف وتداخلها"[2].

ونورد هنا أحد الأراء وهو أنّ "الخطاب يفترض حصول تنظيم يتجاوز الجملة، ولا يعني هذا أنّ كل خطاب يتجلى في تتابعات من الكلمات حجمها يفوق الجملة حتما، لكنّه يعني استنفار بنيات من نوع غير نوع الجملة، فالمثل أو تعبير الحظر مثل"لا تدخين" هما خطابان، فهما يكوّنان وحدة تامة رغم أنهما لا يتكونان إلا من جملة واحدة. إنّ الخطابات باعتبارها وحدات تتجاوز نمط الجملة تخضع لقواعد تنظيم جارية في مجموعة معيّنة، هي قواعد أجناس الخطاب المتعددة: قواعد تتعلق بتخطيط النص(فالخبر العادي لا يقبل تقسيما كما يقسم مقال أو طريقة استعمال...)، وطول الملفوظ إلخ."[3]. ونحن نمعن النظر في هذا الرأي نجد ثلاثة ألفاظ مذكورة في هذه المقولة اللسانية وهي: الخطاب، الجملة، النص، ما يعني الحاجة الماسة إلى تحديد مفاهيم تساعد على الدراسة.

ولا نكاد نجد ضبطا مفهوميا عند المترجمين، الذين آثروا هذا العلم وتأثروا به، لأنّنا نجده مصطلحا قوبل بترجمات عدّة:"علم لغة النّص"، و"علم اللّغة النّصّي"،"نحو النّص"،"الألسنيّة النّصيّة"،"علم النّص"لكنّنا نرى أنّ أنسبها هو"لسانيات النّص" لما يحتويه هذا المصطلح من تشعّب في علوم اللّسان. وجدير بالذّكر أنّ الاختلاف في

---

[1]– النّص والخطاب، قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، تقديم: صلاح رزق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1430هـ–2009م، ص: 5.

[2]–نحو قراءة نصيّة في بلاغة القرآن والحديث، عبد الرّحمان بودرع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1434هـ–2013م، ص: 30–31.

[3] – ينظر، معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو – دومنيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري–حمّادي صمود، منشورات دار سينترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص: 182.

التعريف بمصطلح النص ليس بدعا في الدّراسات اللّغوية، بل في العديد من العلوم، خاصّة في بداية نشأتها، وهذا أمر طبيعي، أمر عدم الاستقرار على التّعريف بالمصطلحات، وطبيعة العلوم وأهدافها، وغيرها من الجوانب المتعلقة بكل علم"[1].وكمثال عن ذلك فإن " تحديد دلالة مصطلح (النص) يختلف علماء (نحو النص) حوله؛ وذلك لما يحيط به من الغموض الذي يحول دون الرؤية الواضحة لمدلوله، الأمر الذي يمثل حجر عثرة في سبيل التفهم الحقيقي لطبيعة القضايا، و المواقف التي تتردد فيها أمثال تلك المصطلحات الغامضة، ومن ثم كانت الحاجة الماسة إلى ضبط هذا المصطلح النقدي والنحوي وتحديد مدلوله تحديدا دقيقا يقوم على استقراء النصوص، والتفهم الواعي لأنماط السياق و طبيعة المواقف التي تتردد عليه"[2] .

ويرى سعيد يقطين أن عدم وجود حدود فاصلة بين المصطلحات اللسانية هو ما سبب الاضطراب والتعتيم وعدم الوضوح. ويكمن ذلك بدءا في التسميات التي تأخذ هذه (الوحدة) التي تتجاوز الجملة. فهي عند البعض (الملفوظ)، وعند آخرين (الخطاب)، وعند آخرين (النص)...، وكل واحد من هذه المصطلحات متعدد الدلالات والمعاني. وهي أيضا يقابل بعضها الآخر، أو يرادفه في هذا السياق أو ذاك وبحسب هذا الاتجاه أو الآخر"[3].

وهذا إقرار صريح بصعوبة مهمة تحديد مفهوم للمصطلح لهذا قال الدكتور سعيد حسن بحيري معبرا عن هذه الصعوبة :" لا توجد مصاعب تواجه علما من العلوم مثلما هي الحال بالنسبة لعلم لغة النص، حيث إنّه حتى الآن وبعد مرور ما يربو على ثلاثة عقود على نشأته الفعلية – ما يربو على خمسة عقود في وقتنا الحالي–،لم يتحدد بدرجة كافية بل إنّه مسمى لاتجاهات وتصورات غاية في التباين،و فروع علمية غاية في الإختلاف، ونتيجة لذلك فإنّه لا يسود حول مقولاته وتصوّراته ونظرياته الأساسية أيّ اتّفاق بين الباحثين إلاّ بقدر ضئيل للغاية، رغم الجهود المضنية التي بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى، و بخاصة في فترة الثمانينات... وأبسط مثال يضرب في هذا المقام عدم وجود قدر مشترك من ملامح التوافق حتّى حول مصطلح (النّص)...ذاته بل إنّنا نجد لدى باحث واحد بعينه في عمل واحد بعينه في أكثر من موضع عددا من التعريفات، ويختلف محتوى أو عناصر كل تعريف عن الآخر"[4].

---

[1]– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،دراسة تطبيقية على السّور المكية، إبراهيم صبحي الفقي، ج24/1.

[2]– المعايير النصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، د.يسرى نوفل، دار النابغة للنشر و التوزيع، جامعة القاهرة، مصر، ط1، 1436هـ –2014م، ص :14 .

[3] – تحليل الخطاب الروائي، (الزمن–السرد–التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص: 16.

[4]– علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات،د. سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، (لونجمان)، الجيزة، مصر، ط1، 1997م، ص: 115 .

إنّ ظهور علم لغة النص وتحليل الخطاب اللذان أخذا على شاكلتهما علوم اللّغة مرافقة لهما، مستفيدان منها أيّما استفادة، جعلتهما يرتقيان إلى هرم العلوم الأكاديمية التي يهتم بها الباحثون في هذا المجال، فكثرة المصطلحات المنتشرة في كتب الدّراسات اللّغوية الحديثة، حول كلّ من النّص والخطاب وما يعتريهما من صفات وخصائص، شحذت للنّص تسميات متعددة وتعدّ كلّها تسمية لنفس العلم. وليس الخطاب بأسعد حظّ من النّص، إذ لاقى هو الآخر نفس الإشكال من حيث صعوبة تحديد المفهوم، رغم إتفاق أغلب اللسانيين على أكثر خصائصه، وعناصره التي يستمدّ منها قوّته اللغوية والأدبية، لتضاف إلى ذلك كلّه إبلاغيته و تواصليته من حيث القصد في تحقيق الهدف المراد بلوغه.

4- أسبقية الممارسة العربية للّسانيات النّصية وتحليل الخطاب:

ونذكر هنا أهم العلوم التي عُني العرب تقترب من حيث المنهج إلى علم النص الحديث، ففي كتب النقد فإنّنا نجدها حافلة بتلك الظواهر النصيّة التي إستفاد منها الدرس اللساني العربي المعاصر.ونورد هنا أشهر أعمال النقاد التي تحتوي على مصطلحات تكاد تكون هي أو تشابه لتلك التي يستعملها علم النص الحديث وتحليل الخطاب: كتاب"نقد الشعر" لقدامة ابن جعفر(ت337هـ)،و كتاب"البديع" لابن المعتز(ت:296هـ)؛ وكتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة (ت:296هـ)، و كتاب "الصناعتين" لأبي هلال العسكري" (ت:395هـ)، وكتاب "عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي (ت:322هـ)[1].

وفي كتب البلاغة العربية القديمة، هناك كمّ من المعارف اللغوية النصيّة التي لها صلة وثيقة بعلم النص مع اختلاف في طريقة تناولها وعرضها، إذ أن البلاغة كانت دائما تراعي أحوال و مقتضيات الكلام والخطاب، وصولا إلى الغايات و الأهداف،و قد قدمت صيغا متنوعة لتحليل النصوص،و من أشهر الكتب في هذا العلم"كتابي عبد القاهر الجرجاني-رحمه الله-في "الدلائل" و"الأسرار" وكتاب"مفتاح العلوم" للسكاكي، والفخر الرّازي والإمام الزمخشري.[2].

وفي كتب التفسير، ونظرا لتوفرها على المنهج التحليلي في تراثها اللغوي، وتنوّع أساليبها، فقد اهتم علماء التفسير بالنص القرآني أيما إهتمام، و استفادوا من النّحويين والبلاغيين والنقاد في إستخلاص الأحكام وتبيان المقاصد، وتأتي كل من دراسة الزركشي (ت 794هـ) في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، والعلوي(ت749هـ) في كتابه (الطراز)، وابن الأثير(ت637هـ) في كتابه (المثل السائر)، و السيوطي(ت 911هـ)

---

[1]- ينظر، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، د.أشرف عبد البديع عبد الكريم، كلية دار العلوم، جامعة ألمانيا، مكتبة دار الآداب، القاهرة، ط2008م، ص:15.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص:15-16.

في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، يضاف إلى ذلك كتب التفسير التي اعتنى أصحابها بتفسير القرآن من أوجه مختلفة، بلاغية ونحوية وفقهية...ألخ. و من أشهر هذه المؤلفات "معاني القرآن" للفراء(ت207هـ)، و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة (ت210هـ)، و"إعراب القرآن المنسوب للزجاج(ت310هـ)، ومعاني القرآن وإعرابه للنّحاس(ت338هـ).

لقد تشكّلت الملامح الأساسية لهذا الاتّجاه بالنسبة لتحليل النص القرآني في وقت مبكر وقد أتاحت لهم طبيعة عملهم أن يقدّموا تفسيرات ملحوظة إلى جانب المقولات النظرية في مواضع من تفسيراتهم للنص القرآني، وبروز دورها في تحقيق الترابط بين أجزاء النص القرآني، وإمكان دراستها في سياقات متباينة، وفي أبنية مختلفة في إطار القرآن وحده، دون توسع في معالجة الربط في نصوص أخرى[1].

ومن خلال ما لاحظناه، استنتجنا بأنّ النظرة اللسانية الموّسعة للنص و الخطاب برزت عند العرب منذ القرون الأولى لبداية التأليف عندهم، و إن قلّت أو كثرت فإنها لم تبتعد كثيرا عمّا هو معروف اليوم في الدراسات اللسانية النصيّة الحديثة. ولمن أراد أن يتأكد فاليعد إلى أحد الكتب التي ذكرناها سابقا. فإنّه سيجد مصطلحات شابهت تلك المصطلحات التي ذكرها اللسانيون المعاصرون، وبتطبيقات تشبه تطبيقاتهم في الكشف عن العلاقات اللغوية النّصيّة، خاصة في النص القرآني.

5-إرهاصات و مباديء النّظرية النّصيّة الجديدة:

من البديهي أن الخطاب وحدة لغوية طبيعية توظف باستمرار في عملية التواصل،غير أنه لم يشكل محور الدراسة اللسانية إلا في الستينات، حينما اقترح بايك (1964) و كليسن (1968) عملهما في تحليل الخطاب (فنكبنوند 1992).و يمكن عد هاتين الدراستين تتويجا للإرهاصات الأولى التي تجلت عند هاريس (1952)، بعد ذلك انطلقت مساهمات مختلفة تنتمي إلى حقول معرفية متعددة كاللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثوغرافيا وغيرها، فتعددت وجهات النظر و تعددت تبعا لذلك المفاهيم المرتبطة بالخطاب وتداخلت مع تلك المرتبطة بالنص.

وكانت الإرهاصات الأولى لظهور هذا العلم في عام 1952م على يد اللّغوي الأمريكي (هاريس) في كتابه (تحليل الخطاب)، وكان قد ركّز فيه على الجوانب النّحوية البنيوية، التي يتشكل منها الخطاب، ربما لأنّ الرّجل كان أحد تلاميذ بلوم فيلد البنيوي. فلقد ربط هاريس تحليل الجمل بسيّاق النّصوص، ونقل ما يتّصل

[1]- ينظر، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة، د.سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005م، ص:80 وما بعدها.

بتحليل الجملة تحليلا بنيويا (التّقطيع والتّصنيف والتّوزيع) إلى المستوى الجديد للنّص[1]. و في هذا الإطار دعا هاريس إلى ضرورة تجاوز مشكلتين اثنتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية (الوصفية و السلوكية) وهما [2]:

– **الأولى:** قصر الدراسات اللغوية على الجمل، و العلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

–**الثانية:** الفصل بين اللغة (Language)، و الموقف الإجتماعي (Situation Social) مما يحول دون الفهم الصحيح.

إذن ؛لقد اعتمد هاريس في"تحليلالخطاب" على ركيزتين:

أ– العلاقات التوزيعية بين الجمل:

The distributional Rolation Aymong-Sentences

ب– الربط بين اللغة والموقف الإجتماعي:

The correlation Bettween Language and Situation

كما عرف هذا الاتّجاه بلسانيات النّص وهو الاتّجاه الذي يتّخذ النّص كلّه وحدة للتّحليل، وبهذا أُحدثت أكبر نُقلة في الدّراسات اللّسانية، حيث انتقل البحث من الجمل القصيرة، إلى تحليل النّصوص الأكبر بنيوياً، وقد كشفت هذه النّقلة ذلك النقص الذي كانت تعاني منه البنى التركيبية الأكبر و الأوسع من الجمل التي (اعتبرتها الوحدة اللغوية الكبرى خاصّة الدّراسات الأدبية، وهذا ليس نبذاً للنموذج القديم و إحلال آخر جديد)[3]، وأنّما هو دراسة موّسعة لتحليل النصوص.

لذا؛ سنورد ما كان للدّراسات اللّسانية المعاصرة من توّجهات نحو دراسة النّص و الخطاب اللّساني المنطوق والمكتوب على حدّ سواء. فمن الدراسات اللغوية ما حشرت المفهومين واعتبرتهما متوازيان معرفيا ومفهوميا. ومنها ما فرّقت بينهما واعتبرتهما مختلفان مادة ومنهجا، و استندت إلى فروق جوهرية مهمّة بين النّص، والخطاب، نطقا وكتابة. كما حاولتْ إرساء حدود بينهما، بعد بحث مضني، بدا في بدايته عسر الفصل بين المفهومين. لأنّ الوظائف اللّغوية التي تعمل في ذينك النّص والخطاب، هي وظائف وعلاقات تتحدّد طبيعتها من

---

[1]– مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، صبري إبراهيم السيد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1422هـ–2011م، ص: 293.

[2]– ينظر، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النّصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ص:65.

[3]–ينظر، النص و الخطاب و الاتّصال، محمد العبد، ص:7 و ما بعدها.

خلال ارتباطها بعوامل تفرضها الأنظمة الكتابية والشفهية نفسها، رغم وجود تداخل كبير بين هذه الأنظمة كلّها. فكان هذا سببا مهمّا ومتميّزا جعل الباحثين يهتمون بالعلاقات القائمة بين هذه الأنظمة الكتابية والشفهية ويخوضون غمار البحث في النّص والخطاب من جهة، وبينها وبين أنظمة العلوم المعرفية الأخرى من جهة ثانية. وقد قادهم البحث في هذه الظّواهر إلى محاولة بناء نظرية شاملة قادرة على تحليل الخطاب اللساني، والنّصي تقوم على الأسس العلمية البحتتة.

ولعلّ ما عبّر به أدونيس من رأي عن النّص القرآني دليل قاطع عن ضرورة الإستعانة بعلم أوسع يتجاوز حدود الجملة، وهذه نظرة أمدّت الكثير من النقاد بأفكار متنوّعة وغاية في الدّقة، ومن ذلك ما صرح به أدونيس عن القرآن الكريم، وأن النص القرآني يتسم بكل صفات النص، مما جعل البعض يقصر لفظ نص على نص القرآن الكريم يقول (أدونيس) في مميزات النص القرآني:"إن النص القرآني يتجاوز الشخص: الله هو الذي أوحاه، ونقله إلى النبي ملاك. وبلغه النبي إلى الناس، ودوّنه كتاب الوحي، إنّه عمل إلهي – إنساني،عمل كوني، وهو بوصفه كذلك محيط بلا نهاية للمتخيل الجمعي. وربما كان أعقد ما فيه بوصفه كتابة، خلافاً لما يبدو ظاهرياً هو أنّه متابعة لما قبله وتكملة: إنه خاتمة النبوات وخاتمة الكتابة، إنّه بمعنى ما أنهى الكتابة. ذلك أنه لم يكتب الأثر الذي يولده الشيء، وفقاً لتعبير ما لا رميه، وإنما كتب الشيء ذاته. لهذا لا يطرح النص القرآني مسألة ما الشعر، أو ما النثر وإنما يطرح السؤال ما الكتابة، وما الكتاب ؟ هكذا يقرأ النص القرآني بوصفه نصاً يجمع في بنيته أشكال الكتابة جميعاً. " كأنه أعاد الأبجدية إلى فطرتها، قبل الكتابة وفيما وراء الأنواع الكتابية"[1] وهو بذلك يستعين بمعيار المشافهة والكتابة لتحديد ماهية النص القرآني.

ثانياً: النّص والخطاب بين التداخل و التباين:

تَعيين المفاصل التّعريفيّة بين مُصطَلَحَي النّصّ والخطابِ، شرطٌ في تَمايُز المفاهيم؛ في زَمَن صَخَب المصطلَحات، وما ترتّبَ على صخَبِها من اختلاط المفاهيمِ وتَداخُلِها، ومن مَتاهاتِ الأنفاقِ في طَريقِ البَحثِ العلميّ. ولا تستقيمُ لغةُ البحثِ العلميّ إلاّ بضبطِ المصطلَح وتَمييزِ المفْهومِ ووُضوح المنهَج لوقايةِ القارئِ والمتلقّي من تَناقُض المعاني في الذّهنِ.[2]

ويبدو أنّ هناك ثمّة خلط بين مفهومي النصّ والخطاب، ولاسيّما عند أصحاب الاتجاه اللغويّ المعروف بـ(تحليل الخطاب) و(علم لغة النص– نحو النص)،إذ نجد تداخلا كبيرا في تعريفات الخطاب مع ما يعرف بـ(النصّ)، لأن الآليّات المستخدمة في تحليل الخطاب هي تقريبا نفس الآليات المستعملة في تحليل النصوص، فنجد

---

[1] –ينظر، النص القرآني وآفاق الكتابة، أدونيس، دار الآداب، بيروت، لبنان،د ت، د ط،،20–34. بتصرف.

[2]– عبد الرحمان بودرع، عن موقع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، https://adibaat.net/?p=388

الحديث عن تواصليّة الخطاب، ومقام الخطاب، وعلاقات الترابط بين وحدات الخطاب.. وغيرها منتشرة في كتب اللسانيات بكثرة.

كما أنّ هناك من لا يرى فرقا بين النصّ والخطاب؛ فهما متلاحمان. وهنا نستند إلى قول لأحد رواد هذا العلم وهو رولان بارت حيث قال "فالنصّ يظلّ في كلّ الأحوال متلاحما مع الخطاب، وليس النصّ إلا خطابا، ولا يستطيع أن يوجد إلا عبر خطاب آخر".[1]

إنّ عسر الفصل بين مصطلحي النص و الخطاب ليس وليد عصرنا أو وليد علم اللغة العربية، بل إنه سبق وجوده في الثقافات الغربية قبل أن ينتقل إلينا عن طريق عملية الترجمة. فقد أصبحت اللسانيات النصّية تهتم بدراسة النص أكثر من أي وقت مضى.ففي التقليد الأوروبي يغلب استخدام "النص" على حين يغلب استخدام "الخطاب" في التقليد الأنجلو أمريكي بيد أنّ التداخل بين النص و الخطاب من حيث هما مصطلحان محوريان وعلمان لسانيان ،مما لم يحسم أمره في الأدبيات"[2]، فقد تستطيع عبارات مثل "خطاب النص"و "نص الخطاب" و"النص بنية خطابية " و "الأدب خطاب نصي"، و"الخطاب النصي"و "إدراك الخطاب" بوصفه نصا (وهو الفكرة الأساسية في الهرمينوطيقا) وغيرها، تستطيع أن تؤكد التداخل و الإشتباك بين هذين المصطلحين"[3] ويستند الأستاذ محمد الأخضر صبّيحي للتفرقة بينهما إلى الفهم الذي طرحه فان دايك فيما يخص بالعلوم التي تتدارسهما حيث يقول:"ولعل الفرق الوحيد بين العلمين هو، كما يرى فان دايك أنّ ما يطلق عليه العالم الأنجلو-سكسوني "تحليل الخطاب" (Discourse Analysis)، يقابله في بعض الدّول الأوروبية، وفي فرنسا خاصة، مصطلح"علم النص" (Science du Texte)"[4].

ولا نشكك – نحن- في البنية التركيبة للنص و الخطاب و وظيفة كل منهما في تحقيق هدفه، لأنّه في كثير من الأحيان ما يكون الدّاعي لتواجدهما ظروف معيّنة، صاحبتها مقاصد وأهداف مغرّضة للإفادة نحو متلقي معيّن، وهنا نجد اتّفاقا ملموسا بين العرب والغرب من حيث إقحام ظروف الإنتاج ومقصدية كل منهما لتحديد مفهوميهما، لذلك أثارت هذه الظاهرة (الخلط في مفاهيم المصطلحات) حفيظة المهتمين بالنص وبالخطاب على حدّ سواء، وأخذ منهم ذلك جهدا ووقتا كبيرين من خلال العمل على إيجاد حدود فاصلة بينهما. ولذا فإنّ تتبع

---

[1] – علم النصّ، ضمن كتاب آفاق التناصّيّة، المفهوم والمنظور، رولان بارت، ترجمة د. محمّد خير البقاعيّ: سلسلة دراسات أدبيّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1998، ص: 44.

[2] – ينظر، النص و الخطاب و الاتصال، محمد العبد، ص:07.

[3] – المرجع نفسه، ص:07.

[4] – مدخل إلى علم النص، و مجالات تطبيقه، د. محمد الأخضر الصبيّحي، منشورات الإختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص:80.

التّحديدات أو الحدود اللّغوية والمفهمية للمصطلحين يفيد في تبيان ما لكلّ منهما من خصائص، ويحدّد أطر اشتغالهما.

وقد نوّه بعض اللسانيين إلى أنّ "الصّفة المميّزة للنّص هي استعماله في الاتّصال، وأنّ الخطاب مجموعة من النّصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنّه تتابع مترابط من صوّر الاستعمال النصّي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق. وإذا كان عالم النّص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاختزان في الذّاكرة من خلال استعمال النّص، فإنّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما"[1]. وبهذا يكون النص عبارة عن أفكار و معلومات، و الخطاب جملة من الأحداث التي تربطها علاقة ما بين أفراد المجتمع الواحد.

ويرى الدكتور عبد الرحمان بودرع أنّ النّصُّ وحدةٌ نحويةٌ دلاليةٌ أكبر من الجملة ينتظمُ عناصِرَها اتِّساقٌ نحويٌّ توظف فيه العناصر اللغوية المتنوعة وانسجامٌ فكريٌّ موضوعيّ يصب في موضوع واحد لا تختلف أفكاره، ومَقصدٌ عامٌّ يصل إليه في خاتمته، وإنجازٌ كلاميٌّ أكبر من الجملة (Macro-act of speech) . تنتظمُ فيه أفعالُ الكلامِ الموجودةُ فيه كلُّها اِنتظاما يتنوع حسب أسلوب صاحبه. ولكنّ النّصَّ لا يقفُ عند هذه الحُدودِ؛ التي تقيّده فقَد دخَلَت في النّظرِ إلى مَفْهومِ النّصّ مَباحثُ أعلى تتسع و تختلف حسب مفاهيم كل مدرسة، تكشفُ عن بنياتِه الكبْرى التي تشكلها جميع البنيات مشتركة في تحقيق الغاية التي يأمل صاحب النص بلوغها، ومن هذه البنيات أجناسِ الخطابِ وأنماطِه، وغيْرِها من المِجالاتِ التي تتداخلُ فيها مَباحثُ لسانيّاتِ النّصّ وتَحليل الخطابِ فيما بيْنَها.

لقد بَلَغَ أمرُ تعقُّد الظّاهرةِ النّصّيّةِ عندَ كثيرٍ من الباحثينَ إلى حدٍّ صَعُبَ مَعه اختزالُ النّصّ في وحدةٍ مُحدّدةِ المِعالِمِ تركيباً ومَعْنىً. فكانَ مَفهومُ النّصّ فَتْحاً كبيراً خلَّصَ البحثَ اللّسانيَّ من وطأة الجملةِ، وسَمَحَ بالانفتاحِ على الخطابِ، في أجناسِه وأنماطِه المختلفة. والنّاتجُ من هذا التّطوّرِ أنّ الخطابَ يَحملُ في صُلبِه النّصَّ اللغويَّ في بنائه وتَماسكه، ويزيدُ عليْه بإدماجِ أطرافِ التّخاطُبِ ومَقاصد الخِطابِ وظُروفِ الزّمانِ والمكانِ التي تُنجَزُ فيها أفعالُ الكلامِ. وأصبحَ من مهامِّ نَحوِ النّصّ رَصدُ بناءِ النُّصوص ونَسْج الخطابِ في مقامٍ مُعيّن، حتّى يُحقِّقَ للنّصّ أغْراضَه التّداوليّةَ ويكشفَ عن التّناسُبِ بينَ بنية النّصّ وظروفِ إنجازها.[2]

---

1 – النّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ–1998م، ص: 6.

2– ينظر، النص و الخطاب، د عبد الرحمان بودرع، عن موقع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، https://adibaat.net/?p=388

ومن جهة أخرى يكاد يجمع أغلب اللّغويين أنّ "النّص يمثّل المظهر الشّكلي المجّرد للخطاب، بينما يعني هذا الأخير الممارسة الفعلية الإجتماعية للنّص"[1]، ويرتكز "الخطاب على جملة من المتلفظات اللغوية أو التعابير التي تنظم بطريقة معيّنة لتنتج دلالة ما، وتحقق أثراً معيّناً، وذلك من خلال إيجاد تفاعل مع المجال الإجتماعي الذي يعدّ مهاداً لتلقي موضوع الخطاب"[2]. ويعتمد في ذلك على الدّور الإجتماعي والثقافي لنص الخطاب في أرض الواقع. وإبرام علاقة بينهما من هذه الناحية أمر مقبول، إذا ما وضعنا في الحسبان الوظيفة الإجتماعية والتواصلية للغة بين أفراد المجتمع.

ويفرّق اللسانيون التطبيقيون بينهما، في الممارسة الفعلية لعملية التحليل اللساني لكليهما، حيث "يتضح الفرق أكثر بإجراء موازنة مختصرة بين كلّ من علم النص وتحليل الخطاب. وفعلا يعرّف الأوّل بأنّه الدّراسة اللّغوّية التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تنظم بناء مختلف النصوص، وعن المعايير التي تميّز النّص عن اللاّنص. كما يعرّف أيضا بأنّه العلم الذي يصف النظام الدّاخلي للنّص وطريقة بنائه ووظيفة كلّ جزء فيه. بينما يعرّف تحليل الخطاب بأنّه دراسة النص في علاقته مع ظروف إنتاجه(Etude d un texte avec ses condition de production)"[3]، ويضع الكثير من هؤلاء على اختلاف مشاربهم معايير عدّة لتوضيح الفرق بينهما.

1- الموقف الأوّل: النّص خطاب:

يقوم هذا الموقف على عدم التمييز بين "النص" و"الخطاب" واستعمالهما بالمعنى نفسه أو للدلالة على شيء واحد وهو العمل الأدبي، الذي ما فتئ أصحاب هذا الموقف يطلقون عليه –أي العمل الأدبي– تارةً مصطلح الخطاب وتارةً مصطلح النص، ويمثل هذا الموقف بعض المهتمين بالسرد أمثال: جيرار جنيت (Gérard Génette) وتدوروف (Tzetan Todorov)...إلخ . فبعض الدّارسين يرى أنّه لا يوجد فرق بين النّص والخطاب؛ وجعلوا النّص من الخطاب فـ "الخطاب يُتَصوّر باعتباره إقحاما لنّصّ في مقامه. أي ظروف إنتاجه وتقبله"4 وذلك لأنّ كلاهما مرتبط بحقل الدّراسات اللّغوية، وكلاهما يبحث في البناء والوظيفة لوحدات اللّغة، لأنّ تعريف النّص بالخطاب أصبح شيئا مألوفا عند كثير من الدّارسين.

---

1 – مدخل إلى علم النّص، ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبّيحي، ص: 73.

[2] –جمالية الخطاب في النص القرآني،قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين،د.لطفي فكري محمد الجودي،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة، ط1، 1435هـ–2014م، ص:83.

[3]– المرجع نفسه، ص: 73. وينظر: ELEMENTS D ANALYSE DU DISCOURS, SARFATI (G.E) EDETION NATHAN 1997 . P:17.

[4]–ينظر، معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو – دومنيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري–حمّادي صمود، منشورات دار سينترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص: 181.

وفي هذا الباب يقول روجر فاولر (Roger fowler): "إنّ كلّ نص خطاب، فعلُ لغةٍ من لدن مؤلف ضمني، له تصميم محدّد لقارئ ضمني محدّد الهوية".[1] وتتفق جوليا كريستيفا معه في الرأي وتجعل من النّص والخطاب شيئا موّحدا من خلال نظرتها للنّص الأدبي حيث تقول: "النّص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العلم والإيديولوجيا والسّياسة"[2].

ونجد أيضا أنّ هناك من يجعل النصّ جزءا من الخطاب، وإنّ مجموعة النصوص هي التي تكوّن الخطاب، وقولهم في ذلك:"إنّ الخطاب إذن مصطلح يعيّن الطريقة التي تشكّل بها الجمل نسقا تتابعيّا، وتشارك في كلّ متجانس ومتنوع على السواء، وكما أنّ الجمل تترابط في الخطاب لكي تصنع نصّا مفردا، فإنّ النصوص ذاتها تترابط كذلك مع نصوص أخرى لتصنع خطابا أوسع نظاما".[3]

وقدّم (فان دايك VAN Djick)عدّة مفاتيح نصية لتحديد النص، ونظرات متنوّعة حول دراسة النصوص و وصفها و تفسيرها، و قد اعتمد في نماذجه على عناصر لغوية، فأدخل فيها مكوّنات نفسية ومنطقية دلالية و اتصالية تداولية إلى جانب المكوّنات التحولية و الدلالية التداولية[4]؛ و قد أشار بعض اللسانيين متفقين على أنّ الخطاب"نص محكوم بوحدة كلية واضحة، بحيث يتألّف من صيغ وجمل متراصة منسجمة و متوالية، تصدر عن المخاطب الذي يود تبليغ الخطاب وإيصاله إلى المخاطب"[5]، و هذه النظرة هي نظرة قريبة جدا من نظرة التداولية للنصوص، كما ركزّت على بنية النص وعناصر التخاطب، و تبدو من خلال تحليلها الأقرب في توضيح العلاقة بينهما.

ثم يشير (فان دايك VAN Djick)، إلى أَنَّ من الممكن أن تشكّل متتاليات الأفعال الكلاميّة للنصّ المأخوذ ككلّ –كما في بيان المعلومات والسرد والعرض والمحادثة– بالاستدلال الذي قدّمه اعتمادا على بنى تداوليّه كبرى لكي "نتمكن من الكلام على الوظيفة الإجماليّة لنصّ معين. في الواقع حينما ننطق بنصّ مأخوذ بكلّيته، إنما نقوم أيضا بفعل كلاميّ إجماليّ أو حتى بفعل كلاميّ كبير"[6]، فهذه الأفعال الكلاميّة الكبيرة مشتقة من متتاليات أفعال بوساطة قواعد كبيرة.

1–ينظر، اللّسانيات والرواية، فاولر روجر، ترجمة: لحسن احمامة، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1997م، ص: 66.

2–ينظر، علم النّص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد عمر: مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدّر البيضاء، المغرب، ط1، 1992م، ص: 13.

[3]–مقدّمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل؛ المكتبة الأكاديميّة، ط1، القاهرة، 2001م، ص: 31.

[4]–ينظر، النص و الخطاب و الاتّصال، محمد العبد، ص:09.

[5]– مصطلحا الخطاب و النص، الدلالة في الثقافة العربية، فاتح زيوان، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، ع 70، م 17، 2007م، ص:97.

[6]–النصّ: بناؤه ووظائفه مقدّمة أولية لعلم النصّ، تون أ.فان دايك، ترجمة: جورج أبي صالح، مجلة العرب والفكر العالميّ، مركز الإنماء القوميّ، العدد الخامس، شتاء 1989م، ص: 70.

وفي هذا إشارة إلى مفهوم البنية الكبرى الشاملة للنصّ؛ الذي قدّمه (فان دايك) ليقابل البنى الصغرى (الجمل) المكونة للنصّ، فالنصّ بوصفه بنية دلاليّة كبرى ليس مخصوصا بالعناصر المكوّنة له، إذ إنّ البنية الدلاليّة الكبرى هي"بنيات دلاليّة معهودة كصيغة القضيّة المعتادة مثلا، إلا أنَّها لم يعبّر عنها في قول واحد أو جملة وإنمّا في تسلسل مفرد من الجمل؛ وبعبارة أخرى فإنّ البنيات العامة الكبرى هي من المستوى الشامل في الوصف السيمانطيقيّ لكونها تعيّن أجزاء الخطاب وكلّيته على أساس من المعاني الجزئيّة للجمل "[1].

وتقر الدكتورة خلود العمّوش بصعوبة الفصل بين مصطلحات النص، الخطاب، السياق، وتعتبر إقامة الحدود بينها مما لم تقف عليه في بحثها للصعوبة التي تلقتها، كونها وجدت المصطلحات الثلاثة احتلت موقعا مركزيا في الأبحاث و الدراسات التي تندرج في مجالات: (تحليل الخطاب)و(لسانيات الخطاب) و(لسانيات النص) و(نحو النص) وغيرها. فتقول"حتى إنّنا لا نكاد نجد مؤلفا ينتمي إلى هذه المجالات يخلو من المفاهيم الثلاثة أو من المفاهيم المرتبطة بها كالترابط و التعالق و الانسجام و الاتساق وغيرها....فالنص كما نتصوّره يتشكل ضمن سياقات أو سياقات معيّنة، ويحمل خطابا أو خطابات متنوّعة ذات أنساق لغوية مختلفة"[2]. لذلك اجتهدت من بداية بحثها لإقامة الحدود.

2- الموقف الثاني: النّص غير الخطاب:

يشير مصطلح كل من الخطاب Discourse والنّص Text في اللّغة الإنجليزية إلى وجود دلالة لكلّ مصطلح، وتتعدّد وجهات النّظر في هذا الشأن؛ ولذا يرى آخرون أنّ النّص غير الخطاب؛ وقد استندوا في ذلك إلى عدّة خصائص وعمليات كعمليتي النطق والكتابة، والعناصر المحيطة بكل منهما من ظروف الإنتاج، والعناصر المساهمة في تشكيل الخطاب وتداوليته من المتلقي إلى نص الرسالة ثم المستقبل؛ للتمييز بين بعض الحدود الفاصلة بينهما وليس كلّها، إذ أنّ الخطاب عندهم يتشكّل من نصوص وممارسات اجتماعية ينطبق بعضها على بعض، فيصبح النص هو الموازي الكتابي للخطاب المنطوق في ظروف معيّنة. وقد طرح بعض النقاد إشكالية تصنيف القرآن هل هو نصّ أم خطاب؟ لأنّ النص القرآني"نص مكتوب (نص/كتابة)، يطرح إشكالية التصنيف (ليس له شكل محدود ولا ينتمي إلى أي نوع من أنواع الكتابة المألوفة)، ليست له بؤرة مركزية (بل يتضمن بؤراً لا نهاية لها)، وهو بلا بداية أو نهاية (له فاتحة ولكن ليست له بداية أو نهاية بالمعنى المألوف)، يقبل تأويلات لا حصر لها (حظي بهذا وسيبقى يحظى بتأويلات لا نهاية لها)، ذوات طاقة رمزية مطلقة، الإحالة المرجعية في النص

---

[1]- ينظر، النصّ والسياق، تون أ. فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني؛ إفريقيا الشرق، د ط، الدار البيضاء؛2000م، ص: 24.

[2]- الخطاب القرآني،دراسة في العلاقة بين النص والسياق،د.خلود العمّوش،عالم الكتب الحديث،جدار للكتاب العالمي، عمّان،الأردن،ط1429،1هـ-2008م، ص:15.

القرآني على النص نفسه، وحقوق طبع النص القرآني غير محفوظة لأحد"[1]. وهذا الخبط في إشكالية الفصل بين المفهومين زاد من تعقيد الأمور، وأصبحت الدرايات اللسانية بدل من أن تتقدم -بقت- تراوح مكانها لغرض الفصل بين المفاهم و المصطلحات، لكنها هيهات أن تبلغ ذلك مادام الحوار بين الثقافات متباعدا.

وميّز هودج وكريس بين النّص والخطاب من ناحية المفاهيم والإجراءات النّظرية والمنهجية والأهداف، فالخطاب هو العملية الاجتماعية التي تكون النّصوص متضمنة فيها؛ ومنه يصبح الخطاب متضمنا للنصوص وأنّ النصوص جزء من عملية التخاطب، وتحليل النّص جزء من تحليل الخطاب في البحوث الاجتماعية. ومن هذا المنطلق فإنّه "ينظر إلى النّص في الأساس من حيث هو بنية مترابطة تكوّن وحدة دلالية، وينظر إلى الخطاب من حيث هو موقف ينبغي للّغة فيه أن تعمل على مطابقته"[2]، ويحصل جرّاء ذلك أن يصبح النّص عبارة عن تشكيل لغوي تشدّ وثاقه العلاقة الموجودة بين بنياته اللّغوية، والمؤدية إلى نمّو المعنى، ويضاف للخطاب إضافة إلى ما تمّ ذكره، مدى انسجامه مع الموقف الاجتماعي ومطابقته له، أي الظروف الخارجية التي سيق فيها. فهو إذن ينقلنا من النّص إلى خارج النّص.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى الاستثمار في ظاهرتي التّماسك والإتّساق؛ رغم أنّ الإتّساق ينحدر من التّماسك و هو وجه من وجوهه، الذي يرافق الإنسجام في خلق النصيّة، فعلى الرّغم من التّمييز الإضافي لويدو وسون الذي يرى بـ"أنّ التّماسك يجب أن يتعامل مع النّص والإتّساق مع الخطاب، فإنّ ذلك غير مرضٍ، فالنّص ليس أقّل من الخطاب، يكون (متّسقا) عندما يعبّر عن معنى، وتكون له وحدة، ومن ثم يكون جيّد البناء. وبالفعل، نصٌّ دون اِتّساق من الصّعب أن يكون نصّاً على الإطلاق، ونتوقع دون شك أيضا، أن يكون التّحاور متّسقا بمعنى أن يكون مناسبا و واضحا."[3] ثم إنّ هذا المعيار يكاد يكون واحدا فكلّ من التّماسك والإتّساق يعنيان بالتركيب البنيوي و الدلالي للنّص، وأنّ كلاهما يهتم بالوسائل اللّغوية التي تسهم في الكشف عن الروابط التي ساهمت في بنيته.

وأما من حيث أسبقية التشكّل النفسي أو الذاتي للنص و الخطاب عند الإنسان، فإن الخطاب هو أصل للنص وسابق عليه، لأن عملية الإنتاج تحدث أولا على مستوى الفكر ثم على مستوى النطق، فكل أثر مكتوب لا بد من أن يكون نتاج قول أو كلام، وهو ما نعبّر عنه بلغة الأشاعرة بالكلام النفسي. فمن حيث

---

[1]-ينظر،من إشكاليات النقد العربي الجديد،د.شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان،ط1، 1997م،ص:174،بتصرف.

2 – ينظر، النص و الخطاب و الاتّصال، محمد العبد، ص:12.

[3]-ينظر، معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، مراجعة: قاسم بريسم، المنظمة العربية للترجمة، بيت النهضة، شارع البصراء، الحمراء، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص: 132.

التكوين الذاتي يكون الفكر سابقاً للكلام، والكلام سابقاً للنص، خلافاً لأدبيات ما بعد الحداثة كما تتمثل في إتجاه جاك دريدا. أو لنقل إن الفكر هو علة الخطاب، والخطاب علة النص أو الأثر المكتوب. ويؤيد هذا المعنى ما يراه عالم النفس التكويني بياجيه من أن البناء المعرفي لدى الطفل سابق على اللغة كما في الحس الحركي، فالتنسيق الذي يعتمده الطفل في مستوى الفعل يشكل قاعدة تتأسس عليها البنيات المنطقية لاحقاً، وبالتالي فإن الجذور المنطقية للتفكير تتقدم على اللغة زماناً. وهذا ما يعني أنّ الخطاب ملفوظ سابق في أصل تواجده عن النص المكتوب. والنص أثر عنه.

3- النص المكتوب و الخطاب المنطوق:

هناك من إعتمدا على معيار الكتابة و النطق في تصنيف كل منهما،و النصّ إذن – وبحسب تعريف (هارتمان)– هو منظومة الكلام المدونة، وهذا التعريف يقترب من تعريفات الذين فرّقوا بين النصّ (Text)، والخطاب (Discourse)، فالخطاب هو"امتداد متواصل من وحدات لغويّة أكبر من الجملة –المنطوق منها خاصة– "[1]. و نص مكتوب تتحقق فيه مكونات العملية التواصلية، و شروطها:

أ– المرسل . ب–المتلقي. ج– الخطاب(الرسالة).

وفي النص القرآني يظهر ذلك بوضوح، أين يمثل الحضور الإلهي في النص القرآني حضورا قرائيا و كتابيا، فحيثما قرئ القرآن أو تلي فثمّ وجه الله،كما أنه يمتاز عن النصوص و الخطابات البشرية بكون مقاله سابق لمقامه، فالله تعالى أنشأه ابتداءا[2] وكان سابقا من حيث الوجود عنده.ولذا فإنّه يمكننا أن نعدّ النصّ بأنّه تدوين لامتدادات لغوية، يقول بول ريكور "لنسمّ نصّا كلّ خطاب تثبته الكتابة، وعلى هذا التعريف، يكون التثبيت بالكتابة مؤسسا للنصّ..."[3].

و يمكن كذلك؛ أن نميز بينهما من خلال عملية التحليل اللغوي لكليهما ؛ فالعلم الذي يهتم بتحليل النص هو علم اللغة النصي، وهو يهتم بالنواحي الشكلية للنصوص. أي أن تكون الجمل صحيحة نحويا بينما لا يهتم "تحليل الخطاب" بالجمل الصحيحة نحويا و إنما يهتم بالعلاقات الدلالية و التداولية التي تربط هذه الجمل مع

---

[1]- A Dictionary of Linguistics and phonetics ; David Crystal ;Black well published; (3rd ed); London 1991; S.V Text; p.p. 106.

[2] –ينظر، لسانيات الخطاب القرآني، مظاهر الإتساق و الإنسجام، د.خديجة إيكر،مركز الدراسات القرآنية،الرابطة المحمدية للعلماء،المملكة المغربية،www.alquran.ma

[3] – ينظر، من النصّ إلى الفعل، بول ريكور،ترجمة: محمّد برادة وحسان بورقيّة، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، ط1، 2001م،ص: 105.

بعضها البعض، من خلال المشاركين في العملية الكلامية أو الكتابية و بعبارة أخرى يتعامل "تحليل الخطاب"مع اللغة كعملية تواصلية، و ليس كإنتاج للنصوص الصحيحة نحويا؛ أي أن هناك مدرستين إحداهما تركز على النص والخطاب معا، و تعدهما كيانين متصلين، و الأخرى فصلت بينهما وجعلت النص نسيجا لغويا متماسكا و ركزت على الآليات الداخلية التي تربط أجزاءه بعضها ببعض ،مثل :الإحالة و العطف، و الحذف ، و الاستبدال وغيرها من الأمور النحوية و المعجمية قبل أن ينخرط في الوظيفة الاتصالية الإجتماعية فيصبح خطابا"[1].

ولهذا يعلق الدكتور فكري محمد الجود الخطاب بالنص القرآني قائلا: "وإذا كانت الخطابات النصّية الإبداعية لا تخرج عن كونها ممارسة تؤدى عبر وسيط هو اللغة ، فإن ارتباط هذه اللغة بـ(النص القرآني) أسهم في إيجاد (فواتح/فضاءات) معرفية، تتيح لنا قراءة الخطاب القرآني من منظور مفاهيم تحليل الخطاب كبعد تواصلي، يتيح لنا التعرف على تمظهراته المعرفية و الجمالية التي تكوّن من خلالها"[2].

ولطالما كانت المواقف الإجتماعية تبصم على الخطابات عند إنتاجها، وتصبح وليدة ظروف معيّنة، ويصبح الخطاب في هذه الحالة نصّا موّجها وواقعيا يصوّر جملة من الأحداث المنقولة للمتلقي، عندئذ يصبح الخطاب نصاّ له وظيفته، ويحصل من ذلك القول "بأنّ الخطاب أوسع من النّص، فالخطاب بنية بالضّرورة ولكنّه يتّسع لعرض ملابسات إنتاجها وتلقيها وتأويلها. ويدخل في تلك الملابسات ما ليس بلغة كالسلوكيات الحركية المصاحبة إيجابا للإتّصال"[3]. وبهذا تتّضح الرؤية الخطابية التي تتوسّع وتنبسط عن النّص. فـ"التميزات السابقة نرى لها نظيراً في الثقافة العربية، بينما ارتبط النص بالمتن أو ناتج العملية الاتصالية، إذا بالخطاب الشفاهي المباشر من ناحية،كما يرتبط بحضور الطرف الآخر في العملية الاتصالية و تفاعله على نحو ما و أداء وظائف إيديولوجية من ناحية أًخرى"[4].

وكخلاصة لما ذُكر سابقا، فإنّه يمكن القول بأنّه بين النّص و الخطاب علاقة قوية جدّا فلا تكاد تحدث القطيعة بينهما إلاّ في مواضع قليلة، وكأنّ الخطاب هو النّص ذاته، غير أنّ هناك من يوازن بينهما ويفرق استنادا إلى معطيات معيّنة. ويتضّح الفرق أكثر بينهما عند اللجوء إلى عملية التحليل لكلّ منهما، ويسمي علماء اللسان هذين العلمين بـ (علم النّص) و(تحليل الخطاب).

---

[1]– أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، جاسم على جاسم، مراجعة: زيد على جاسم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014م، ص:05.

[2] –جمالية الخطاب في النص القرآني،قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين،د.لطفي فكري محمد الجودي، ص:16.

3 – المرجع نفسه، ص: 10.

[4] – النص و الخطاب والاتصال، محمد العبد، ص:09.

وفعلا "يعرّف الأوّل بأنّه الدّراسة اللغوية التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تنظم بناء مختلف النّصوص، وعن المعايير التي تميّز النّص عن اللاّنص. كما يعرّف أيضا بأنّه العلم الذي يصف النّظام الدّاخلي للنّص وطريقة بنائه ووظيفة كلّ جزء فيه. بينما يعرّف تحليل الخطاب بأنّه دراسة النّص في علاقته مع ظروف إنتاجه"[1] لهذا كان الخلاف بين النظرية النّصية و الخطابية بناء على علاقة النص باللغة و الخطاب بالواقع التداولي، وهذا الخلاف هو خلاف مفهومي أكثر منه إجرائي.

4- النّص المصطلح والمفهوم:

أ- تعريف النص:

- لغة:

وأشهر المعاني لمادة (نصص) تلك التي جاء بها لسان العرب لابن منظور:"(النّص) رفعك الشّيء. نَصَّ الحَدِيثَ يَنُصُهُ نَصّاً: رَفَعَهُ.وَكُلُ مُا أُظْهِرَ، فَقَدْ نُصَّ...ووُضِعَ على المِنَصَّةِ:أَيْ عَلَى غَايَةِ الفَضِيحَةِ وَالشُّهْرَةِ وَالظُّهُورِ...ونَصَّ المِتَاعَ نَصًّا:جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ...وَقَالَ الأَزْهَرِي:النَّصُ أَصْلُهُ مُنْتَهَى الأَشْيَاءِ، وَمَبْلَغُ أَقْصَاهَا، وَمِنْهُ قِيلَ: نَصَصْتُ الرَّجُلَ إِذَا اِسْتَقْصَيْتُ مَسْأَلَتَهُ عَنِ الشَّيْءِ،حَتَّى تَسْتَخْرِجَ كُل مَا عِنْدَهُ،...وَفِي حَدِيثِ هِرَقْل: يَنُصُّهُمْ أَيْ يَسْتَخْرِجُ رَأْيَهُمْ وَيُظْهِرُهُ وَمِنْهُ قَوْلُ الْفُقَهَاءِ: نُصُّ الْقُرْآنِ، وَنَصُّ السُّنَّةِ. أَيْ مَا دَلَّ ظَاهِرُ لَفْظِهِمَا عَلَيْهِ مِنَ الأَحْكَامِ... وانْتَصَّ الشَّيْءَ وَانْتَصَبَ إِذَا اِسْتَوَى وَاِسْتَقَامَ"[2].

وفي مختار الصّحاح للرّازي هناك شرحٌ لمادة (ن.ص.ص) يقول فيه: " فِي حَدِيثِ عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِذَا بَلَغَ النِّسَاءَ نَصَّ الحِقَاقُ" يَعْنِي مُنْتَهَى بُلُوغِ العَقْلِ و(نَصْنَصَ): الشَّيْءَ: حَرَّكَهُ. وفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهُوَ يُنَصْنِصُ لِسَانَهُ ويَقُولُ: هَذَا أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ"[3]. ولحركة الكلام في النص حركة نحو الأمام تسير معها حركة أخرى توازيها هي حركة المعنى.

---

1 – مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبّيحي، ص: 73.

2–لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ ج7، مادة (نصص)، ص: 97–98.

3–ينظر،مختار الصّحاح، محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط9، 1425هـ/2005م، مادة (نص)، ص: 324.

وفي المعجم الوسيط :" و النص: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف، و النص مالا يحتمل إلا المعنى واحد، أو لا يحتمل التأويل ."[1] وهذا يعني أنّ النص يبقى محافظا على أصله كما قيل، وعلى معناه الوحيد الذي لا يجوز تأويله مرة أخرى.

وإذا كانت معاني نصّ، هي رفع الحديث، وإظهاره، والتّشهير به، وجعله بعضا على بعض، لبلوغ منتهى الشّيء وغايته، حتّى يستخرج كلّ ما عند المتلفّظ المتكلم من كلام، فإنّنا نلمس من هذه التّعريفات دلالة واضحة لمفهوم النّص الحديث، فرفع الحديث هو التّلفظ به وإخراجه حتّى يظهر ملفوظا أو مكتوبا، حتّى يصبح ذلك عند المتلقي، فصاحب النّص يرفعه والمتلقي يستقبله، على أن يكون ذلك مستوي البناء يضم بعضه إلى بعض، وفي ذلك إشارة إلى الإتّساق والتّرابط الحاصل بين الجمل، إذ كلّ التّعريفات تشترك في أنّ النّص ضمّ الجمل بعضها إلى بعض بكثير من الروابط حتّى تتّسق. وكون النّص أقصى الشّيء ومنتهاه، فذلك تمثيل لكونه أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها. وبهذا، فكأنّ التّعريفات اللّغوية المعجمية للنّص تشترك ولو بحبل رفيع مع ما سيرد ذكره في التّعريفات الإصطلاحية. وهنا نستخلص ملاحظتين بارزتين من التعاريف السابقة؛ وهي:

1- أن النص ظاهر، مرفوع على بعضه، ويبلغ أقصى الشيء.

2- أن النص له مؤلف و صيغة ومعنى.

وبالربط بين هذه المعطيات، فإنه يمكن القول بأنّ النص، عبارة عن منتوج ظاهر واضح لا غموض فيه، يكتمل بناؤه بارتفاعه حتى يصل إلى نهايته وغايته، بصيغة معيّنة يؤلفها صاحبها حسب المعنى المقصود.

- اصطلاحا:

تراكمت تعريفات النص، بعد أن أدلى كل عارف بعلم النص بدلوه، فمنها ما اعتمد على تابع المكونات الجملية، وبعضها أضفى على تلك الجمل المتتابعة خاصية الترابط، وراح فريق آخر يعتمد على التواصل النصّي و السياق، وارتأى قسم رابع الاعتماد على الإنتاجية الأدبية في حين فضل آخرون أن يقوم عملهم على جملة المقاربات والمواصفات المختلفة التي تجعل الملفوظ نصّياً[2].

وقد حظي تعريف البلغارية "جوليا كريستيفا" (Julia Kristiva) للنص باهتمام خاص. لأنها استفادت من مفاهيم لغوية وردت ضمن نظرية "هاليداي" (Halliday). العالم اللغوي ،كما أنها كانت تؤمن

---

[1]-المعجم الوسيط، مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية بمصر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1965م، 772/2، (باب النون) .

[2]-ينظر، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د.أحمد عفيفي،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة، مصر،ط1، 2001م،ص:21.

بأن التعريفات السابقة له كانت تقتصر على مراعاة مستوى واحد هو السطح اللغوي (الشكل) لذلك فهي ترى "أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذ أنّه ظاهرة غير لغوية بمعنى أنها مكوّنة بفضل اللغة"[1].

ومن المفاهيم الإصطلاحية للنّص منها ما ذكره معجم (المحيط)، من تعاريف للأصوليين عندما أورد بأنّ لفظة (النّص) تطلق على الكلام المفهوم من الكتاب والسّنة، و(منه النّص القرآني) و(نصّ السنّة) أي ما دلّ ظاهر لفظها عليه من الأحكام، إنّه إذن اللّفظ الدّال على معنى لا يحتمل غيره، فالنّص"ما ازداد وضوحا على الظّاهر، لمعنى في المتكّلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، ...والنّص مالا يحتمل إلاّ معنى واحدا، وقيل ما لا يحتمل التّأويل"[2].

ومفهوم النصّ في عرف الأصوليين تنقّل بين الظاهر والمفسّر والحقيقة والمجاز " النصّ بالفتح والتشديد هو في عرف الأصوليين يطلق على معان. الأوّل كلّ ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنّة سواء كان ظاهرا أو نصّا أو مفسّرا حقيقة أو مجازا عامّا أو خاصّا اعتبارا منهم للغالب، لأنّ عامّة ما ورد من صاحب الشرع نصوص، وهذا المعنى هو المراد بالنصوص في قولهم عبارة النصّ وإشارة النصّ ودلالة النصّ واقتضاء النصّ..."[3]. ويعضّد هذا القول تقسيم الإمام الغزاليّ (ت505هـ) للنصّ؛ فالنصّ "ضربان؛ ضرب هو نصّ بلفظه ومنظومه... وضرب هو نصّ بفحواه ومضمونه "[4]. ثم يفرّق بين النصّ والظاهر عند حديثه عن اللفظ الدال الذي ليس بمجمل فهو "إمّا أن يكون نصّا، وإمّا أن يكون ظاهرا، والنصّ هو الذي لا يحتمل التأويل، والظاهر هو الذي يحتمله "[5].

وذكر لفظة النص موجودة في الكتب العربية القديمة، مما يدل على الوعي الذي كان عليه الفكر العربي، فهذا قول ابن جنّي على سبيل المثال:"كما جاء النّص عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم من قوله :(أمّتي لا تجتمع على ضلالة)..."[6] وقول الراغب الأصفهاني:"النص يقتضي ذلك في كل..."[7]، وقول الزمخشري:"...لا

---

[1]– علم لغة النص، (المفاهيم والاتجاهات) ، د. سعيد حسن بحيري، ص:112.

[2]–التعريفات، الجرجاني، دار الكتاب اللبناني، المصري، بيروت، القاهرة، ط1، 1991م، ص: 251.

[3]– موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد عليّ التهانويّ، تقديم د. رفيق العجم وآخرين،مكتبة لبنان الناشرون، بيروت،ط1996،1م، 2/1695–1696.

[4]– المستصفى من علم الأصول، أبو حامد محمّد بن محمّد الغزاليّ، دار إحياء التراث العربيّ ومؤسسة التاريخ العربيّ،بيروت، ط1993،3م ،1/ 335.

[5]– المصدر نفسه،1/ 384.

[6]– الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق : محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية،المكتبة العلمية، القاهرة، 1/189.

[7]–تفسير الرّاغب الأصفهاني، للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف: الراغب الأصفهاني (ت:502هـ)، تحقيق: محمد عبد العزيز بيسوني، الناشر، كلية الآداب، مصر، الطبعة الأولى، 1420هـ– 1999م، 1/586.

بدّ ولن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة، فأراد أن يسمعوا النّص من عند الله..."[1]، وقول من شرح الحديث الشريف ابن بطال:"النص ظاهر جلي وليس يجوز أن يقال: إنّ عدم النّص على حادثة من كتاب الله أو سنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم..."[2]، وقول الجرجاني:"...إلاّ أنّه لم يضع علّة و معلوما من طريق النّص على الشيء..."[3]، "الواضح أن أعلى كلام هو كلام الله عزوّجل و بعده كلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم ظاهرا و باطنا، وأمّا ما جاء عندهم لكلام العرب فهو يشترط الوضوح"[4]، كما جاء في التعريفات:"النص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى التكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى"[5]. وكل هذه التعريفات تدل على الوعي الفكري العربي الذي وظّف مصطلح النص في لغته، الدينية و اللأدبية و النقدية و اللغوية و المعجمية...إلخ على أحسن وجه. وهذا ما يرجح الأسبقية في توظيف المصطلح بمفهومه الحقيقي في الفكر العربي.

والنّص(Text) يعني في (معجم المصطلحات في اللّغة والأدب) لمجدي وهبة وكامل المهندس: "الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألّف منها الأثر الأدبي"[6]. وهذا التعريف يستقي من الكتابة والأثر (المنتوج/العمل) الأدبي دلالة تجعل العمل الأدبي نصّا.

يقول الباحث فولفجانج هينه "ويعلم الجميع بالحدس تقريبا ماذا يمكن أن يسمى نصّا(من اللاتينية textus)، وتعني أصلا"النسيج" أو "الأسياخ المضفرة" من الفعل اللاتيني texere، ويعني"نسج" أو "جدلت"(شعرها):كرسالة، رواية، دراسة علمية..."[7].

أمّا في اللّغات الأجنبية؛ مما جاء عن مادة (نصّ) في المعجم الإنجليزي، فقد ورد لفظ (Text)، وهو بالفرنسيّة، (Texte)، وهو لفظ مأخوذ عن اليونانية، من اللّفظ (Textus)، والتي تعني (Tissue)، أو (Style of literary work)، وترتبط بـ (Textile)، والتي ترتبط بآلات وأدوات النّسج. فالنصّ (Text) مشتق من الفعل Textere في اللاّتينية، والذي يعني الحيّاكة، والنّسيج، في حين أنّ تعريفه في قاموس Larousse (الفرنسي) (النّص) هو مجمل المصطلحات الخاصّة التي نقرؤها عن كاتب، وعن تعريفه في قاموس

---

[1]– تفسير الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، اعتنى به و خرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ –2009م، ص: 385.

[2]– شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، 2003م، 364/10.

[3]– أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ص:280.

[4]– التحليل النصي، في التفاسير القرآنية البيانية والموضوعية،(دراسة تحليلية في ضوء منهج نحو النص)، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، فوزية ميرتاج، الجامعة الإلامية العالمية، إسلام آباد–باكستان– كلية اللغة العربية، جمادى الأولى 1434هـ – أبريل، 2013م، ص:89.

[5]– التعريفات، للإمام علي بن محمد علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 1983م، ص:241.

[6]–معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص: 412.

[7] – مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر،ترجمة: فالح بن شبيب العجمي،ص: 4.

(Robert) الفرنسي (النّص) مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكل مكتوبا أو منطوقا. والنّص بتعريف قاموس الألسنية (لاروس) هو المجموعة الواحدة من الملفوظات (Enonces) أي الجمل المنفّذة، حين تكون خاضعة للتّحليل وتسمى (نصّا). فالنّص عيّنة من السّلوك الألسني، وإنّ هذه العيّنة يمكن أن تكون مكتوبة أو منطوقة.[1] وقد أورد محمد عزّام[2] أنّ العالم الألسني (هيلمسليف) HELMSLEV.L يستعمل مصطلح النّص بمعنى واسع جدّا، فهو يطلقه على أيّ ملفوظ أيّ كلام منفّذ، قديما كان أو حديثا، مكتوبا أو محكيا، طويلا أو قصيرا، فإنّ عبارة ستوب (Stop) أي قف، هي في نظره نصّا، كما أنّ جماع المادة اللّغوية لرواية بكاملها، هي أيضا نصّ.

كما يحاول بعض الباحثين التقريب بين أصل كلمة (النص) في اللغة العربية و في بعض اللغات الأخرى كالفرنسية (TEXTE) و الإنجليزية (TEXT) و الإسبانية (TEXTO)و الروسية (TEKTA) والأصل لهذه الكلمة في كل هذه اللغات هي (TEXTUX)، و التي يعود فيها الأصل إلى معنى كلمة النسيج، حيث ذهب محمد الهادي الطرابلسي: إلى أن معنى النسيج؛ يتوفر في المصطلح الأعجمي المقابل لمصطلح "نص TEXTE" على أن هذا المعنى ليس غريباً عن تصور العرب للنص، فقد يتبين لنا أن الكلام عند العرب يكون نصاً إذا كان نسيجاً، والنسيج والنص في بعض الأحيان يلتقيان، ففي اللسان (مادتا.ن،ص،ص-ون،س،ج) "النص جعل المتاع بعضه على بعض" و "النسيج ضم الشيئ إلى الشيء فالأول تركيب والثاني ضم، والتركيب والضم واحد".

وإذا كان الأصل اللغويّ لكلمة نصّ (Texte , Text) في الثقافة الغربيّة من الأصل اللاتينيّ للكلمة (Textus) التي تعني أصلا (النسيج) أو (الأسياخ المضفرة)، وهو مأخوذ من الفعل اللاتينيّ (Textere) ويعني (نسج) أو جدلت (شعرها): كرسالة، رواية، دراسة علمية...[3]. ثم انتقل هذا المعنى اللغويّ إلى النصّ الذي عدّ نسجا من الكلمات"وإنّ العلاقة بيّنة في هذا النقل، فإذا كان النسيج الماديّ يتكوّن من السدى واللحمة والمنوال... فإنّ النصّ يتكوّن من الحروف والكلمات المجموعة بالكتابة "[4].

وقد استشهدت خولة طالب الإبراهيمي بما قاله اللّغوي السويسري (ج. ميشيل أدم J.M.Adam) في كتابه:(مبادئ في اللسانيات النّصية- Éléments de Linguistique Textuelle 1990):

---

[1]-ينظر، **Dictionnaire de linguistiques j. Dubois et All; Ed Larousse; Paris, Fance ,1972, P:486.**

[2]-ينظر، النّص الغائب، محمد عزّام، منشورات اتّحاد الكتاّب العرب، دمشق، سوريا، 2001م، ص: 15.

[3]- ينظر، مدخل إلى علم اللغة النصيّ، فولفانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجميّ، مطابع جامعة الملك سعود، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999م، ص:4.

[4]- المفاهيم معالم، د. محمّد مفتاح، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1999م،ص: 16.

"النّص إذا منتوج مترابط متّسق ومنسجم وليس تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية، النّصّ كلّ تحدّه مجموعة من الحدود تسمح لنا أن ندركه بصفته كلاّ مترابطا بفعل العلاقات النّحوية التركيبية بين القضايا وداخلها، وكذلك باستعمال أساليب الإحالة والعائد المختلفة والرّوابط والمنظِّمات العديدة"[1]. وبهذا فإنّهم يعطون النّص بعداً تركيبيا واسعاً ووحدة دلالية موضوعية، فالتّراكيب التي تظهر في النّص إنّما هي وحداته التي يتشكل بها، وتربط بينها الرّوابط التي تسهم بحضورها داخل النّص في تشكيله وبنيته ومعماريته بدءا بالعنوان إلى نهايته، كما أنّه عبارة عن قضايا ترتبط كلها لتدخل تحت هذا النظام اللغوي المسمى نص. وهكذا يأخذ النص هيئته النهائية فيظهر ذلك الترابط الذي يريح اللّسان، ويسهّل استيعاب النّص، في تلك البنية اللغوية المترابط بأيّ شكل من أشكال الربط اللغوية التي يفقهها علماء النّص، لأنّنا نتحدّث عن ترابط ضمن قواعد لغوية، وليس رصفا اعتباطيا لجمل لا معنى لها في النّص على حدّ قول خولة طالب الإبراهيمي. وعدّ د.نعمان بوقرّة النّص بأنّه عبارة عن بنية درامية"تزدحم فيها التّجارب والآراء والأصوات والأزمنة انسجاما مع حالة التّعقيد التي تحياها الإنسانية"[2].

ولمزيد من الوضوح، وقبيل الشّروع في الكلام على قواعد التّماسك النّحوي. فالنّص، في رأي هذا العلم، نسيج من الكلمات يترابط بعضه كالخيوط التي تجمع عناصر الشّيء المتباعدة في كيان كلّي متماسك[3]، وهو في رأي هاليداي (Halliday) الكلام الذي يقال أو يكتب من أجل أن يكون كيانا متّحدا، ولا عبرة بطوله أو قصره.و هو ترابط مستمر يوافق فيه محور الاستبدال (Paradigmatic)محور المجاورة، بحيث يتجلّى فيه التّرابط النّحوي على أشّده. والعناصر التي يتألّف منها لا بدّ أن يتبع بعضها بعضا بطريقة تيسّر على القارئ، أو المتلقي، تسلّم الرّسالة التي يبثها المتكلّم، أو الكاتب فيهن ويستوعب محتواه الكلّي. ويقتضي هذا التّرابط أن يُبنى المتأخّر منه– من حيث المعنى، ومن حيث القاعدة النّحوية– على المتقدّم، أو العكس. بحيث يكون المظهر الخارجي له مشكّلا لمظهره الدّاخلي، ممثلا في الموضوع. وذلك لا يتحقّق إلّا بالتّماسك أو السّبك Cohésion والإنسجام أو الإتساق Cohérences[4].

وفي أحد التّعاريف التي أوردها أحمد المتوكل للنّص يقول فيها: أنّ "مصطلح النّص فقد أطلق على الإنتاج اللّغوي الذي يتعدّى الجملة باعتباره سلسلة من الجمل يضبطها مبدآن: مبدأ الوحدة ومبدأ الإتّساق أو"التناسق". وقد استعمل هذا المصطلح في الأدبيات اللّسانية تارة مرادفا للخطاب باعتبار الخطاب نصّا وظروف

---

[1]– ينظر، مبادئ في اللسانيات، طالب الإبراهيمي خولة، الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000م، ص: 169.

[2]– لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، د.نعمان بوقرّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص: 184.

[3]– ينظر، نسيج النص– بحث في ما يكون الملفوظ به نصا–، الأزهر زناد، ص: 12.

[4]– ينظر،في اللسانيات ونحو النص،د.إبراهيم خليل،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمّان، الأردن،ط2، 1430هـ–2009م،ص: 217– 218.

إنتاج، وتارة أخرى باعتبار النصّ سلسلة جملية مجرّدة معزولة عن ظروف إنتاجها شأنه في التجرّد والصّورية شأن الجملة"[1].

ومن هنا يتّضح لنا أنّ تعاريف النّص اختلفت حسب اختلاف فهم النقّاد والدارسين له، وهو إلى حدّ السّاعة لم يضبط تعريفه بدقّة، إلاّ أنّنا في هذا البحث سنتعامل مع كون النّص تركيبات لغويّة متتابعة، تربط بينها روابط متنوّعة، تشكّل مجمل النّص الكلّي، له ظروف أوجدته و أُنتج فيها، لأنّ طبيعة المدروس هو سورة قرآنية.

ونشير هنا إلى تواجد مسميات أخرى في علوم القرآن لما يكون نصّا، فقد أطلق علماء القرآن تسميات ومصطلحات على السّورة والجزء والحزب والآية...إلخ. وهي لا تعني تلك المسميّات اللّسانية الحدية، لكننا سنتعامل معها على أساس أنّها تشكيلة لغوية واحدة لها سياقها وطريقة نظمها، فالسّورة إذن حسب رأينا هي النّص، وهي الخطاب. لتوفرها على متجلّيات كلّ منهما كما سنرى لاحقا. بهذا فإنّنا نقترب من فهم الغذامي للنّص، لأنّه يعتبره نصّا مفتوحا حين يقول: "وكذلك فالنّص مفتوح وهو بنية شمولية لبنى داخلية: من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السيّاق إلى النّص ثمّ إلى النّصوص الأخرى ليكون بعد ذلك: الكتاب امتدادا كاملا للحرف"[2].و ممّا لاحظه أيضا وهو أن النّصّ حيوي وحركيّ في بنياته، فالكلمة تعيش ديناميكية وحركية بين أخواتها حتى يستقر المعنى في سياق معيّن، لهذا أوضح الغذامي أنّ" النص كليّ في حركة مرحلية لأنّه نصّ بنيويّ، والبنية شمولية/ومتحوّلة/وذات تحكم ذاتي، والنص يتحرك داخليا بحركة مفعمة بالحياة كي يكون بنية الوجودية، ليكون له هوية تميّزه. فإذا ما تميّز فإنّه يتحرك لحواجز النّصوص ليدخل مع سواه في سياق يسبح فيه كما تسبح الكواكب في مجرّاتها"[3]، وهذا المفهوم يقترب من مفهوم الوحدة الموضوعية القرآنية لسور الكتاب، وهو ما سنتناوله في مبدأ المناسبة من الفصل الأخير من هذا البحث.

ب– محمد الشاوش يؤكد غياب مصطلح النص عن المعاجم الغربية:

يقول الدّكتور محمّد الشّاوس : "إنّ تصفّح عيّنات من مؤلفات النّحو الغربي القديم يبين أن الكلمة (نص) لم تستعمل فيها ،لا من حيث هي مصطلح ، ولا من حيث هي مفهوم تم العبير عنه بطرق أخرى ، كما يلاحظ ضحالة المباحث المتناولة للظاهرة اللغوية المتجاوزة للجملة. و التي اعتبرت مجسمة لمظاهر الترابط والإتّساق النصي كمبحث العلاقات بين الجمل، أما المباحث التي من قبيل أدوات الربط أو مباحث التعريف، و الحذف، والإضمار فتناولها كاد يقتصر على نطاق لا يتعدى حدود الجملة الواحدة، فإذا انطلقت على سبيل المثال من

---

[1]– الخطاب وخصائص العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 1431هـ/2010م، ص: 22.

[2]– الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية: عبد الله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، ط1، 1985م، ص: 90.

[3]– المرجع نفسه، ص: 90.

كتاب GREVISSEL BONUSAGE وهو مؤلف يعتبر المرجع الأساسي في النحو الفرنسي الكلاسيكي، و نظرت في فهارسة ، و مسارد المصطلحات فيه ؛ لاحظت أنها رغم اتساعها و ثرائها و تفصيلها لم ترد فيها كلمة النص، فأنت في مسرد المصطلحات و المفردات التي تم التعرض إليها نجد (ص : 150) , Tête . Terre , Tenailles

ثم ينتقل بك السرد إلى Thermos فلا تذكر كلمة Texte حتى مجرد الذكر وهو دليل على أن هذه الكلمة كانت تعد حتى زمن تأليف Grevissel لهذا الكتاب (سنة 1936م) غريبة تمام الغرابة عن المباحث اللغوية"[1]، وهذا الطرح يؤكد لنا صعوبة البحث في هذا المجال، وإلا فكيف كان لباحث كبير أن ينفي تواجد مصطلح النص في المعاجم الغربية، هذا ما يفرض علينا قراءة التاريخ اللغوي بتأني، و التحلي بروح الباحث العلمي الأكاديمي وتقصي أهمّ المفاهيم التي تسوق البحث إلى الغاية المرجوّة.

ج- السّمة البارزة للنّص:

من منطلق أنّ النّص بنية تركيبة تتشكّل بواسطة نسيج من المفردات والتراكيب التي تربطها روابط لفظية ومعنوية، كما "أكّد فانديك أنّ تصوّر البنية الكبرى لا يؤدي إلى تصّور التماسك الكلّي بين وحدات النّص الكبرى فحسب، بل يؤدي كذلك إلى تصوّر التماسك الجزئي بين الجمل والمتواليات الجملية أيضا، ومن ثم فإنّ تحليل النصوص يعتمد على رصد أوجه الترابط والإنسجام والتفاعل بين الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية الكبرى التي تجمعها في هيكل تجريدي"[2]. لذا لا يمكن لأيّ كيان لغوي أن يتشكل دون العناصر البسيطة التي تمثل وحدات بنيوية نصية، كالألفاظ و التراكيب و الجمل. فهذه هي البنى الصغرى التي تحضى بالحضور التركيبي النصي، وتساهم في عملية بنائه بواسطة العلاقات اللغوية المنتوعة. لذالك كانت الحاجة ماسة إلى علم يتسع للبنى الكبرى ليدرسها و يستوعبها، فطهرت أسماء لعلوم همها الوحيد هو دراسة النصوص، و الكشف عن الترابط الذي يمسكها وينظم بنيتها اللغوية و التركيبية و الدلالية، كنحو النص، وعلم لغة النص...إلخ.

"والحق أنّ تعبير علم النّص، أو نحو النّص (Text Grammar) تعبير جديد أطلق على ميدان من البحث غايته القصوى فهم أوجه التّرابط النّحوي المتجاوزة للجملة الواحدة إلى سلسلة طويلة، أو قصيرة، من الجمل، تؤلف نصّا محدّدا. إذ من الطبيعي أن ترتبط هذه الجمل بروابط توفّر للنّص تماسكه الشكلي والمعنوي"[3]،

---

[1] – ينظر، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع ،كلية الآداب ، جامعة منوبة ، تونس ، ط1 ، 2001م، ج1/183 –187 بتصرف.

[2]– علم لغة النّص المفاهيم والإتّجاهات، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، ط1، 1997م، ص: 144.

[3]–ينظر، المرجع نفسه، ص: 155.

ونحو النص "نمط من التّحليل يمتد تأثيره إلى ما وراء الجملة، فيسعى لتوضيح علاقة الجملة بالأخرى، في إطار وحدة أكبر، قد تكون فقرة، أو عددا من الجمل محدودا، أو نصّا يخضع لمعايير الخطاب"[1].

لقد كان الاهتمام بتحليل بنيته وبفهم لغته من أهم القضايا التي شغلت اللّسانيين المعاصرين بصفة خاصّة، وهذا ما أسهم في ظهور اتّجاه" تغلب عليه السّمة اللّغوية، العناية بالعمليات التي تنتج النّصوص، أي عناصر تتعلّق بمستوى المنتج، وعناصر تلّقي النّصوص، أي عناصر أخرى تتعلّق بمستوى القارئ، والتّذكر وكيفية تخزين المعلومات واسترجاعها وطرق تحليل التّماسك الجزئي، والتّماسك الكلّي للنّص، وأشكال الإطراد وأشكال الانحراف، وطرق الفهم وأنواع التفسير. ويشكّل علم لغة النّص في تلك الإتّجاهات مسارا مستقلا. إذ إنّه لدى أغلب المشتغلين به يحافظ على المبدأ اللّغوي العام، أعني إثبات الصّلة بين التّفسير الموضوعي وأوجه الإطراد اللغوي الذي تكشف عنه النصوص المدروسة"[2].

وإذا كان النّص كذلك، فإنّه يمكننا القول بأنّه عبارة عن مزيج من العناصر، التي تنصهر فيه، ولا تقبل أن يكون بينها عنصرا قد تنفره لغرابته عنها، ومن هنا " يكون الترابط النّصي أو التّماسك النّصي هو وجود علاقة بين أجزاء النّص أو جمل النّص أو فقراته، لفظية أو معنوية، وكلاهما يؤدي دورا تفسيريا، لأنّ هذه العلاقة مفيدة في تفسير النّص. فالتّماسك النّصّي هو علاقة معنوية بين عنصر في النّص وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير النّص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية"[3]، وقد حرص فاينريش H.Weinrich على أن يقدّم نهجا جديدا في معالجة النّص، ذلك النّهج لا ينفصل عن مفهومه الأساسي له، حيث سبق أن أشرنا إلى مفهومه الخاص، إذ إنّه يراعي أوجه ترابط نحوي عدةSyntaktisshe Verbindungen في النّص. ولا ينشأ ذلك التّرابط في حقيقة الأمر إلاّ على مستوى الجملة أوّلا ثمّ ينتقل بعد ذلك إلى مستوى النّص، حيث يمكن أن يتوازى المستويان، ويسهمان معا في تحديد البنية الكلية المتماسكة، فلا ينظر إلى الجملة باعتبارها جزءاً مستقلاّ مفيدا يمكن عزله عن بقية الأجزاء المكوّنة لكليّة النّص Textganze، بل هي جزء مكمّل في حقيقة الأمر.[4] لأنّ "الجملة في النّص ذات دلالة جزئية، ولا يمكن أن تتقرر بالتّحديد الدّلالة الحقيقية لكلّ جملة داخل النّص ما يسمّى بكلية النّص TEXTGANZE إلاّ بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة في ذلك التسلسل/التتابع الجملي، إذ ينظر إلى النّص مهما صغر حجمه على أنّه وحدة كليّة مترابطة الأجزاء، فالإعتداد هنا ليس بالإمتداد الطولي للنّص، بل بالأبنية الكبرى المتلاحمة داخليّا التي يقدّمها النّص"[5].

---

[1]–ينظر، المرجع نفسه، ص: 151.

[2] – ينظر، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، حسن سعيد البحيري، ص: 82–83.

[3] – ينظر، نحو النّص، اتجاه جديد في الدرس النحوي،د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،ط1، 2001م، ص: 98.

[4] – علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن البحيري، ص: 191.

[5] – المرجع نفسه، ص: 139.

احتّل "الرّبط بوجه خاص بكلّ صوّره موقعا متقدّما في التحليلات النصيّة، واستخدم علماء النّص عدّة مصطلحات للتّعبير عنه وللتّمييز بين أنواعه"[1]، وعلى هذا الأساس فإننا لن نقيم حدودا فاصلة بين الجملة والنّص، لأنّها تسهم في تشكيلة النص بحجمها كما تسهم الكلمة والحرف في تركيبة النص. وسنعدّها من قبيل الأجزاء التي لها نصيب كبير في بنية النّص، أمّا كونها تركيب لغوي مجرّد مستقل بذاته، له حدوده وقواعده، فهذا ما لم نستطع أن نستغني في هذه الدراسة عن الجملة، لأنّ أجزاء النّص ليست بالضرورة كلمات وحروف فقط، فقد تكون جملا أيضا، وفقرات...إلخ.

إن السّمة البارزة للنّص، والتي تبرز كلّما غصنا في أعماقه بداية من التعريف إلى أشهر النظريات النّصية، تكاد تكون واحدة وفقط، وهي أنّ النّص عبارة عن تشكيلة فسيفسائية من مختلف العناصر اللّغوية الحاضرة في بنيته، فالنّص هنا يقصي التّعريف القاضي بكونه، عدّ كلمة مثل علامة (قف) نصّا، لأنّنا لا نستطيع منحها الصّفة التركيبية التي تفضي عند التّحليل اللّغوي للنّص إلى تجزئته، وكشف مواطن الإتّساق والإنسجام فيها، ومن ثمّ الحكم عليها بنصّيتها أو لا، وذلك لفقدانها تطبيق نظرية التّحليل اللّغوي للنّص عليها، فاللّغة موجودة وإسقاط معايير النّصية عليها لا يتحقق لغياب التداعيات التركيبية. وبهذا تتأكد النظرة التجزيئية للنّص عند فاينريش"على أنّ النّص تكوينٌ حتميٌّ، أجزاؤه ثابتة، بمعنى أنّه وحدة كليّة مترابطة الأجزاء، تتتابع الجمل فيها وفق نظام، وتسهم كلّ جملة في فهم ما تليها، كما تسهم المتقدّمة في فهم المتأخّرة، بحيث لا يتحقّق المعنى من خلال معنى الأجزاء فحسب، بل من خلال معاني الأجزاء وتآزرها في بنية كلية كبرى".[2]

"ويفهم من ذلك صراحة أنّ النظام القاعدي للّغة لا يوجّه بناء الكلمة وبناء الجملة فحسب، بل بناء النّص أيضا (تكوين النّص)، ويؤسس على أوجه اطراد عامّة يفسّرها النظام اللّغوي".[3] وعندما نشير هنا إلى البنية الكلية للنّص، فإننا نشير حتما إلى حجم النّص، فالسوّر القرآنية لم ترد جملة من الجمل النحوية معلومة الحدّ، ولا كلمات وإنّما جاءت عبارة عن مجموعة كلمات تشكل آيات وهذه الآيات تعطي لنفسها توسّعا تركيبيا حسب الحاجة، وبهذا تشكّل نوع من البنيات الكبرى المترابطة هي السّورة، ويختلف عددها من سورة إلى أخرى، ولم ترد السورة إطلاقا كلمة أو لفظة، وهذا ما يجعلنا نأخذ بالاعتبار القائل أنّ السّورة هي النّص.

---

[1] – المرجع نفسه، ص: 145.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص: 192.

[3]– التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1425هـ/2005م، ص: 24.

د- بين الجملة والنص:

و للتفريق بين نظام الجملة ونظام النص، جعلوا "النص نظام واقعيّ فعّال، على حين نجد الجمل عناصر تنتسب إلى نظام افتراضيّ أنشئ لأغراض منهجية، والجملة كيان (قواعدي) خالص يتحدّد على مستوى النّحو فحسب، أمّا النصّ فحقّه أن يعرّف تبعا للمعايير الكاملة للنصّيّة Textuality"[1]. التي جاء بها روبرت دي بوجراند.

و"بنى بعض الباحثين مفهوم النص على الجملة، و من هؤلاء "برنكر" (Brinker) و"ايز نبرج" (Isenberg) و"شتاينتز" (Steinitz) و غيرهم، و ذهبوا إلى أنه تتابع مترابط من جمل. هذا يعني؛ أن الجملة تمثل جزءا صغيرا يرمز إلى النص، ونحن قادرون على وضع ما يحدد هذا الجزء من خلال نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، وبعد ذلك يمكننا أن نصفها على أنها وحدة مستقلة"[2]؛ غير أن هذا التعريف واجه نقداً ،إذ أنه تعريف دائري يعرف النص بالجملة و الجملة بالنص"[3]. وهو لا يجعل حدودا فاصلة بينهما،كما أنه يجعل من الجملة المجرّدة نصاً، بينما يمتاز النص بسياق معين و زمكاني يؤهله لاستعاب مناهج التحليل النصي،لأنه إذا قبلنا هذا التعريف الدائري فإنه حتما سيترتب على هذا مشكلات تؤثر على النص، من بينها عزل النص عن السياق، وكذا عدم وجود التماسك أو الانسجام[4]. "فالصلة بين نحو الجملة ونحو النص وثيقة إلى الحد الذي لم تنجح معه كل محاولات التمييز بينهما، إلا أنّ ذلك لا يعني الإخفاق في وضع تصوّرات واضحة عن مهام نحو النص، و يرى فانديك Van Djik مثلا أن نحو الجملة يشكل جزءا (كمّا) غير قليل من نحو النص"[5]، ويرى أيضا أنّ النحو إذا لم يهتم بالمعنى يظل ناقصا. و لذلك يشير إلى أن الأمر يقتضي ضرورة أن يحدد النحو بنية المعنى المرتبطة بهذه الأشكال[6] .

ولايمكن الفصل بينهما، ويعد نحو الجملة أكبر خادم لنحو النص. ومن ذلك أنّه يمّد نحو النّص في الحكم على النصوص بالتماسك و الإنسجام بالروابط اللغوية، كالإحالات الضميرية والإشارية، وحروف

---

[1]- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص: 89-90.

[2]- ينظر،علم اللغة و الدراسات الأدبية،(دراسة الأسلوب ،البلاغة، علم اللغة النصي)،برند شبلنر،ترجمة:محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر و التوزيع، الرياض،ط1991م، ص:188.

[3] -ينظر، المرجع نفسه،ص:188.

[4] -ينظر، نحو النص،اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص:23.

[5] - علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن البحيري، ص: 135.

[6] - ينظر، المرجع السابق ص:59.

العطف...إلخ... وكذلك يمدنا نحو الجملة في الحكم على النصوص من خلال الروابط الدلالية، والعلاقات المفهومية بين الجمل والعبارات المكوّنة له وغيرها[1].

و لاشك أنّ نحو الجمل قد عرض لتلك المسائل بشكل منظم وفي إطار أهداف محددة، ولكن عندما اتسع مجال البحث بإدخال تصوّرات أكثر شمولية- صار من الضروري نقلها إلى إطار نظرية كلية يمكن أن توضع لها عدّة نمادج للوصف و التحليل.[2]

ومن البنيويين الذين اهتموا بالنّص وحاولوا أن يثروا مفهوم النّص بمحددات بنائية محضة تختلف عن تعريف الجملة، الناقد البنيوي "تودوروف"الذي ركّز على إعطاء النص مفهوم الإستقلالية، و لذا فإنّ "مفهوم النّص لا يتموضع في نفس المستوى مع مفهوم الجملة (أو العبارة أو المركب إلخ...). وبهذا المعنى، يجب تمييز النّص عن الفقرة التي تمثّل وحدة مطبعية لعدد من الجمل. يمكن أن يكون النص جملة، كما يمكن أن يكون كتابا بأكمله. إنّ أهم ما يحدده هو استقلاليته وانغلاقه..."[3] أي إكتفاؤه بذاته. دون إضافة نصوص أخرى إليه، والهدف وراء ذلك هو تحقيق الإفادة.

هـ- تعاريف كثيرة و إجراءات متنوّعة:

لقد احتل تعريف النص حيزا كبيرا عند المهتمين بلسانيات النص، و على هذا فإنّ تحديد مفهوم النص ضرورة ملحة تحاول اللسانيات الحديثة تفصيله ووضع مفاهيم موّحدة تقيد الدراسات اللسانية اللغوية المهتمة بهذا المجال، إلاّ أن البحث عن مفهوم واحد جامع يعّد ضرباً من المستحيل وفي وسط هذا الزحم من التعريفات الإصطلاحية، فقد ذكر أحد الباحثين بعد أن أورد حوالي أربعة عشر مفهوماً لمصطلح النص إنّه لا توجد صعوبات تواجه علما من العلوم مثلما هو الحال بالنسبة لعلم لغة النص"[4] .

وحتى نتمكن من حصر الجانب التطبيقي لهذه الدراسة وتوجيهه الوجهة المنشودة لابد من فهم أكبر عدد من التعاريف التي حظي بها النص، ونذكر منها:

---

[1] -ينظر، المعايير النصيّة في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، د. يسري نوفل، دار النابغة للنشر و التوزيع، جامعة القاهرة، مصر، ط1، 1436هـ-2014م، ص:31.

[2] -ينظر، المرجع السابق، ص:135.

[3]- ينظر، مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبّيحي، ص: 22.

[4]-ينظر، علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات،د. سعيد حسن بحيري، ص:113.

ويعرفه محمد الصبيحي بأنه:"وحدة لغوية مهيكلة (Structurée)؛ بحيث تجمع بين عناصرها علاقات و روابط معينة، وهذا ما يجعل من النص كلا مترابط منسجماً"[1].و ربما قصد بهذا التعريف اتحاد العناصر اللغوية في نظام لغوي مخطط و مهيكل تربط بين أنظمته و مخططاته علاقات لغوية مقصودة و روابط معينة،تجعله ينسجم في وحدة لغوية و موضوعية. و هذا يعني أنّ النص "وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية، و على مستوى عمودي من الناحية الدلالية، ومعنى ذلك أنّ النص وحدة كبرى لا تتضمنها وحدة أكبر منها، والمقصود بالمستوى الأول (الأفقي) أنّ النص يتكون من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية،أما الثاني فيتكون من تصوّرات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية، وبهذا عند تحليل النص ينبغي أن نتبنى نظرية كلية تتفرع منها نظريات صغرى تحتية تجمع كل المستويات"[2].

و من هنا يمكن القول: أن النص يحكمه الطول و القصر، فلا يوجد ما هو أكبر منه، كما تتجاذبه علاقتين: الأولى نحوية أفقية، والثانية دلالية معنوية عمودية، و تساهم كل منهما بوجه خاص في طريقة بنائه ونظمه حتى يخلص إلى صورته النهائية. "و المعروف أن "رقية حسن " تسمي كل قطعة من اللغة ،مكتوبة كانت أم محكية، نصا، بشرط أن يكون لها طول معين، و تؤلف وحدة متكاملة فثمة بعد شاسع بين النص، و أي مجموعة غير مترابطة من الجمل"[3].

و"النص أذن يتألف من عدد من العناصر، تقييم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الإنسجام و التماسك بين تلك العناصر و تسهم الروابط التركيبة و الروابط الزمنانية والروابط الإحالية في تحقيقها يضاف إلى تلك العلاقات الدّاخلية علاقات أخرى بين النص ومحيطه المباشر وغير المباشر، ويؤدي الفصل بين هذه العناصر الدّاخلية، أو إسقاط أي منها أو إغفال أية علاقة سواء كانت داخلية أو خارجية إلى العجز عن إثبات الوحدة الكلية أو التماسك و الإنسجام الدلالين للنص"[4]. و يؤسس هذا إلى النظرة الترابطية التي توجد في داخل النص بين عناصره، و إلى نظرة خارجية تتعلق بمحيطه.

ومن هؤلاء الذين ركزوا على خاصية الربط بين الجمل والكلمات، واعتمادهم هذه الخاصية نذكر منهم الأزهر الزناد، الذي يرى بأن الخاصية الأساسية التي تميز النص وتجعله يحافظ على استمرارية الأنظمة اللغوية فيه هو الترابط. فالنص عنده"ذلك النسيج من الكلمات المترابطة، و هذا النسيج يجمع عناصره المختلفة في كل موحد"[5].

---

[1]– المرجع نفسه، ص:80.

[2]– لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس و الإجراء،د. نعمان بوقرة ، ص:55–65.

[3]–الأسلوبية و نظرية النص ،د.ابراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م،ص:135.

[4]– ينظر،علم اللغة و الدراسات الأدبية،(دراسة الأسلوب ،البلاغة، علم اللغة النصي)،برند شبلنر، ص:188.

[5]– ينظر، نحو النص،اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص: 26.

إنّ كثرة التعريفات و تنوعها للنّص جعلت بعض اللسانيين المتأخرين يترقبون هذا الثراء المتوالد في طرح مفاهيم النص،كالدكتور صلاح فضل الذي استفاد من تجارب سابقيه و حاول أن يبني تعريفاً جامعاً يحوي كلّ هذه المفاهيم عندما قال:"علينا أن نبنى مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في بحوث البنيوية والسيميولوجية، لأن علم النص يطمح إلى شيء أكثر عمومية و شمولاً"[1] . وهذا ما يعني أن النص لا يمكن لأيّ اتّجاه من الإتجاهات أن يفي بغرض الدراسة التحليلية للنص، وإنّما تتجاذب شراهتة كل النظريات اللسانية والإتّجاهات المختلفة حتى يكون هنا إحاطة شاملة للنص، و التعامل معه كبنية كلية تتفرع منه علوم تطبيقية شتّى.

ولم يبقى الإشكال محصورا في تحديد مفهوم النص، بل إمتدّ ذلك حتى المصطلحات التي رافقته بالدراسة والتحليل، فبظهور النص ظهرت مصطلحات مرافقة له تسهم في كيفية تحليله ومن بينها مصطلحا الإتّساق والإنسجام. اللذان يعدّان آليتان بارزتان من آليات علم اللغة النّصي وتحليل الخطاب، لأن القارئ في تحليله النص، يكشف عن ترابط واتّساق البنى والتراكيب، ثم يحاول اكتشاف مدى انسجاميته، و قدرة هذا النص على التبليغ والتأثير في المتلقي. فتحليل النص يقتضي دراسته انطلاقا من التركيب والدلالة أي: من الشكل والمضمون، مع مراعاة مقاصد وغايات المنتج، كما أنّ اللسانيّ محلل النّص يقوم بدراسة الأدوات اللغوية و الدلالية لإنسجام النص و الكشف عن علاقته بظروف الإنتاج و أسبابها.

وإذا أخذنا بأي تعريف من التعاريف السابقة فإننا سنجده يحصر النص و يقيده و يحد بعده و يختزله من زاوية واحدة تبنتها مدرسة معينة أو اتجاه محدد لذلك فإنّ" النص ليس مجرد لغة ، و لا هو عبارة عن اتصال، ولا مجرد كتابة وليس جملاً مترابطة يراعى فيها الظروف الخارجية، نقول إنه يتكون من كل تلك الأمور و أكثر"[2].

و- نحو النّص (Text Grammar):

مصطلح "نحو النّص" واحد من المصطلحات التي "حدّدت لنفسها هدفا واحدا وهو الوصف والدّراسة اللّغوية للأبنية النصيّة، وتحليل المظاهر المتنوّعة لأشكال التّواصل النصّي، اشترك مع مصطلح نحو النّص في تحقيق هذا الهدف بعض المصطلحات التي تُعنَي بذلك أيضا وهي: "علم النّصّ" و"علم اللّغة النّصّي" و"نظرية النّصّ""[3].ويعرّفه مصطفى النّحاس بقوله: "النّحو الذي يتّخذ من النّص وحدته اللغويّة الكبرى للتّحليل بعكس نحو الجملة، الذي يعدّ الجملة وحدته الكبرى في التحليل، أو هو دراسة الوظيفة الدلالية لبعض العناصر النّحوية وربطها بشبكة الدلالة في النّص"[4].

---

[1]– ينظر،علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، د.صبحي إبراهيم الفقي،ج1/ 28–29.

[2]–ينظر، المرجع السابق، ص: 27–28.

[3] – ينظر،علم اللغة و الدراسات الأدبية،(دراسة الأسلوب ،البلاغة، علم اللغة النصي)،برند شبلنر، ص: 182–183.

[4] – نحو النّص في ضوء التحليل اللّساني للخطاب، مصطفى النحّاس، ذات السلاسل، الكويت، د.ط، 2001م، ص: 04.

والتاريخ المشهور عند العرب "لظهور اتّجاه "نحو النص" في فضاء الدّراسات العربية هو أواخر الثمانينات ومطالع التسعينات، وقد كان سعد مصلوح من القليلين الذين رادوا هذا المجال وبشّروا به حتّى قبل هذا التاريخ، وملامح جهده في هذا وأسسه وحقيقة اسهامه تاريخيا وعلميا جملة وتفصيلا، أمور ربّما لا تكون واضحة في الدّرس اللّساني العربي بصورة متكاملة بسبب تفرق أبحاثه في هذا المجال، برغم أهمّيتها وخصوصيتها"[1]. ومع مطلع التسعينيات بدا في الأفق اللّغوي التّأسيس لمرحلة عربية جديدة، والتّنظير لنظرية نحو النص، والتّأسيس لقواعد يتمّ اسقاطها على النص، لكشف مدى تماسكية النص، وهكذا إلى أن بدأت الأراء تجتمع على القواعد التي أسست لنظرية نحو النص المعروفة حاليا.

وفيما يراه اللسانيون؛ أنّ الدراسات النحويةّ ولعصور طويلة لم تتجاوز حدود الجملة في التحليل اللغوي، تاركة تحليل النصّ للبلاغة والأسلوبيّة، وهذا ما أثرى التراث اللغوي الذي شكّل حصيلة معرفية قيمية وجوهريةّ أمدّت الوصف النحوي للنصّ بمفاهيم وأدوات حَسُنَ توظيفها في الكشف عن أسرار الربط في النصوص، ولا يمكن الاستغناء عنها لكنّ إطار نحو النصّ ومبادئه يلزم البحث عن نماذج أشمل وطرق وصف مغايرة قادرة على استيعاب ذلك التحوّل وتقديم محاولات جديدة لتحقيق الكفاية الوصفيةّ والتحليليّة[2].

و هنا ينبغي أن نضع في الإعتبار أمرا غاية في الأهمية، "وهو أنّ كل أشكال النقد التي وُجِّهت إلى نحو الجملة لا تعني–في رأي الأستاذ حسن سعيد بحيري ، و هو يظن أنّ ذلك أيضا رأي جلّ علماء لغة النّص– أنّه لم تعد قيّمة، وأنّه قد عفى عليه الزمن، وأنّ كل هذا التراث النّحوي الضخم السابق لأجيال متعددة لم يعد له مكان، إلى غير ذلك من عبارات مماثلة دالّة على التحقير أو النبذ، لم ترد لدى هؤلاء العلماء ورودا صريحا أو ضمنيّا، بل كان الأمر مخالفا لذلك تماما–كما سيتبيّن بصورة جليّة فيما يلي– حيث إنّهم قد وضعوا تصوّرات جديدة ذات أهداف معيّنة، و كان عليهم أن يجربوا ما لديهم من إمكانات و وسائل وأدوات، و لما لم تسعفهم في استيعاب تصوّراتهم وتحقيق أهدافهم عبروا عن علل الإنتقال من شكل من أشكال التحليل و الوصف اللّغوي إلى شكل آخر، و أظهروا في عدّة مواضيع كيفيات ذلك الإنتقال، وطرق التجاوز. وكان التراث النّحوي السابق، بكل ما يضمّه من تصوّرات ومفاهيم وقواعد وأشكال وصف وتحليل وغير ذلك–الأساس الفعليّ الذي بُنِيت عليه هذه الإتّجاهات النّصيّة بكل ما تتسم به من تشعّب أفكارها وتصوّراتها و مفاهيمها"[3].

---

[1] –نحو النص عند سعد مصلوح، عبد السلام السيد حامد،مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم،جامعة قطر، 2015م،ص: 530.

[2] –ينظر، علم لغة النّص، المفاهيم والإتّجاهات، د.سعيد حسن بحيري،ص:134–135–136.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص:133–134.

و لاشك أنّ نحو النّص يهتم بالبنية الكليّة للنّص ويجعله مادته الأوّلية التي يطبّق عليه نظرياته اللّسانية الحديثة فتتبدّى تلك العلاقات على شكل خيوط منسوجة مشدودة ومرتبطة ببعضها، حتّى نستطيع الحكم على نص من خلال الكشف عن تلك الرّوابط، لأنّ عملية التّحليل النّحوي للنّص تكون عن طريق"تحليل الخواص التي تؤدي إلى تماسك النّص، وتعطي عرضا لمكوّناته التنظيمية النّصية"[1]، وعلى هذا اتفق علماء النّص على أنّ الرّبط عنصر جوهري في تشكيل النّص وتفسيره، ويتحقّق على مستويات مختلفة، إذ يمكن أن ترتكز العلاقات التي تقوم بين الجمل والعبارات في متتالية نصّية على الدلالات، أي على علاقات داخلية أو على الروابط بين العناصر المشار إليها داخل النّص أو المشار إليها في خارجه، وهي علاقات الإمتداد الحارجية"[2].

"وهكذا كانت كل الإقتراحات (في شكل قيود) تتجه إلى تحديد المعنى الكلّي للنّص، بمعنى أنّه يهدف إلى تحديد القواعد التي تحكم بنية المعنى. وبناء عليه تتجاوز تلك الّدلالة الكليّة للنّص مجموع المعاني الجزئية للجمل التي تكوّنه، إذ إنّها تنجم عنه بوصفه بنية كبرى أو بنية كلية شاملة. وربّما نفهم في إطار ذلك التصوّر تعدّد محاولات لوضع ما يسمى (نحو الشعر) و(آجرومية النّص)، أدبيا كان أو غير أدبي.[3] وممن نادوا بضرورة تجاوز النّحو التقليدي، فان دايك الذي دعا إلى إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جمل، ويحدد الأطر النظرية التي نستعملها عند التعامل مع وحدة تركيبية بنيوية أكبر حجما من الجملة فيقول: "وإنّما علينا تجاوز الجملة إلى وحدة الخطاب كتجلّ عملي لوحدة مجرّدة هي النصّ لتحقيق غاية تفسير العلاقات النسقية بين النص وسياقه التداولي، ومن هنا سعى (دايك) إلى إقامة نحو للنص، أو الخطاب المترابط، وهذا النحو يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية"[4]، ولهذا تجاوبت المعيارية مع هذا التحديث للقواعد التقليدية، الخاصة بنحو الجملة حيث"تم نقل موضوع الدرس من الجملة إلى الخطاب باعتبار الخطاب سلسلة من الجمل المتناسقة تحكمها ضوابط وظروف إنتاجها."[5]

وقد ربط الكثير من عماء العربية المحدوثون العلاقة بين علم النحو العربي التقليدي وتحليل النصوص، واعتبروا أنّ "علم النّحو في مقاصده تحليل للنصّ في مرحلة أولى من مراحله لا تستقلّ بنفسها، وهو في هذه المرحلة نظر في العلاقات والروابط بين الكلمات، للوقوف على بنية الكلام ونظمه، ويستعين به الفقهاء وعلماء الدّراية

---

[1]– Halliday M.A.K and Ruqaiya hasan ،Cohesion In English ،longman Group ، London ،1976 ،p: 4.

[2] – ينظر، المرجع السابق، ص: 145.

[3] – المرجع نفسه، ص: 219.

[4] – الخطاب القرآني، دراسة في العلاقات بين النص والسياق، خلود العموش، جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص: 37.

[5] – الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان الرباط، المغرب، ط1، 1431هـ/2010م، ص: 23.

والمفسرون والنّقّاد لضبط دلالات النّص ومقاصده، فإذا غابت العلاقة والروابط تفكك النصّ ودَاخَلَه الغموض والإضطراب وفقد شروط البناء اللّغوي.[1] ولذا فإنّ تشكيلة أيّ نص لا يتّضح تماسكها إلاّ إذا نجح تطبيق القاعدة النحوية النصّية وكشفت صحّة العلاقة من علتها، وإذا صادف وأن ظهر النّص معلولا بهشاشة العلاقة عدّ ذلك من قبيل اللاّنصية حسب تعبير خبراء هذا العلم، وكأنّ النحو عندهم محلول مخبري تحلل به هذه العلاقات، ومن خلال ذلك تنكشف أهم علاقة واجهية وهي النّصّيّة.

ز– مهام نحو النص:

ومن مهام النّحو الرئيسية "رصد بناء النصوص وكيفية نسج الخطابات المختلفة في مقامات متنوّعة تكشف عن ظروف اجتماعية ورغبات نفسية معيّنة، وفي هذا المقام سيؤطر الدّرس النحوي كيفية تماسك النص وانسجامه ليحقق أغراضه التداولية، كاشفا عن التناغم بين البنية وظروف انتاجها ودلالتها التي تحقّق للنص وجوده واستقلاليته وللّغة قيمتها التواصلية في صلب الأنظمة العلامية الأخرى"[2] لذلك يفرّق الدارسون المحدثون بين نوعين من الجمل المكوّنة لهذه الوحدات هما:

– جمل النظام، ويقصد بها تلك الجمل التي يتمّ توليدها بواسطة القواعد النحوية لنظام لغوي معيّن.

– جمل النص، وتدل على المعنى المحسوس للجملة، وهو المعنى الذي تعتبر الجملة بموجبه جزءا من الخطاب، وقد تظهر هذه الجمل على شكل أجزاء نصوص"[3]

ونحو النص هو "العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها وصوّر التّرابط والإنسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدقّ صورة تمكّننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاصّ لها، مما يسهم في إنجاح عملية التّواصل التي يسعى إليها منتج النصّ ويشترك فيها متلقّيه..."[4].

وقد كانت الحاجة إلى نحو النص من أجل الكشف عن العلاقات اللغوية التي تجاوزت حدودها حدود الجملة ،حيث "ارتبطت موضوعاته بالخطاب العام والسياق التواصلي وظهر للمتلقي دور كبير في العملية الإبداعية للنص،كما ظهر أن قواعد نحو النص تؤخذ من النص لتؤكد نصيّته. وقد يحتاج النحوي إلى إضافة قواعد أخرى

---

[1] – علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن البحيري، ص: 24.

[2] – لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، نعمان بوقرّة، ص: 9.

[3] –ينظر، اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامّة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1987م، ص: 217– وما بعدها.

[4] – علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق–نماذج من السنة النبوية، نادية رمضان، القاهرة، ط 2003م ، ص: 5.

لتأكيد نصية النص"[1]. ومنه نصل بالقول إلى أنّ التداخل بين نحو الجملة و نحو النص يعطينا النتيجة التي تؤكد أن نحو النص لا يرفض نحو الجملة رفضا مطلقا ،إنما يقف به عند هذا الحدّ تاركا له العلاقات داخل الجملة الواحدة، و متجاوزا ذلك إلى سموح النص على اتساقه[2].

ح- أسس وقواعد التحليل النصّي:

يرتكز التّحليل النّصي على ذكر معايير النّصية السّبعة المعروفة، وهي:

السبك ،والحبك، والقصد، والقبول، والإعلام، والمقامية، والتناص .وهو يُعنى على وجه الخصوص بتطبيق معياري السبك والحبك على النص. وفي "السبك يُشار إلى أنّ قوام وسائله مفهوم (الإعتماد النحوي) على جميع المستويات: في الجملة وبين الجمل وفي الفقرة وفيما بين الفقرات أو المقاطع وفي النّص كلّه على وجه الإجمال"[3]. و"تقوم المعايير النصية بالمساعدة على تحوّل موقف دلالي محدد من خلال استبعاد المتلقي للدلالة غير المرتبطة بالنص، و إيمانه بالدلالة التي تنسجم و تتسق مع بقية الدلالات النصية"[4]. و على هذا المستوى الدلالي وجد التطابق الإحالي و الإشاري و غيرهما. ومنه علاقات إحالية تفسر من خلال مقولات منطقية محددة. تتجاوز العلاقات أو المعاني النحوية. و الهدف من ذلك إيجاد ترابط بين أجزاء النص من خلال علاقات دلالية. وقد أضاف بعد ذلك الترتيب الزمني و تطابق المحمولات أو تعالقها، ثم تعالق العوالم الممكنة، ثم مفهوم محور الخطاب أو مفهوم الإطار. ثم علاقات الرؤية و التذكر و الاسترجاع وصولاً إلى البنية الكبرى،أو البنية الكلية، أو البنية الدلالية المجرّدة"[5].

وميزة نحو النص تكمن في "أنّه أفاد من نحو الجملة، مبنىً ومعنىً، ومن الدّراسات الأسلوبية، ومن المناهج والمعارف السّابقة، ولكنّه أضاف إلى تلك المناهج ما يُثبِتُ نصيّة النص، وبلاغة الخطاب، من غير أن يقتصر على المناهج التي كانت تُجزِئ النّص ثمّ تقف عند الأجزاء فقط، فكلّ ما ساعد على تصوّر النص كياناً لغوياً متعدد المستويات، مكوّنا من أجزاء مترابطة، أو أنظمة متشابكة، فإنّه يدخل في علم النص، فإنشاء علم للنصوص هو المنهج الأنسب للخطاب المدروس"[6].

---

[1]- ينظر، نحو النص ،اتجاه جديد في الدرس النحوي،د. أحمد عفيفي ،ص:60.

[2]-نحو الجملة و نحو النص،نص محاضرة ألقيت في معهد اللغة العربية بأم القرى،مكة المكرمة،في الموسم الصيفي الثقافي لعام 1995م،ص:02.

[3]-نحو النص عند سعد مصلوح، عبد السلام السيد حامد، ص: 535.

[4] -نحو النص، اتجاه جديد لنظرية علم النص ،أحمد عفيفي،ص:88.

[5] - ينظر، علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات، د.سعيد حسن بحيري، ص:247.

[6]-نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، عبد الرحمان بودرع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1434هـ/2013م، ص: 22.

ومما يميّزه أيضا: "أنّه يبدأ من حيث ينتهي نحو الجملة، فحتّى منتصف الستّينات كان ينظر إلى الجملة وحدها على أنها الوحدة الأساسية التي يمكن تعيينها، ومن ثم هي متاحة للوصف اللغوي، أمّا نحو النص فهو يتجاوز الجملة، ويحدّد النص بأنّه "وحدة دلالية كبرى"، ومع ذلك فمفاهيمه ليست خارجة عن نحو الجملة أو النحو القديم، بل التراث النحوي بما يحويه من مفاهيم وقواعد هو الأساس الفعلي للاتجاهات النصية، وهو منبع كثير من أفكارها وتصوراتها ومفاهيما"[1]. وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ الدّراسات النحوية النصّيّة ليست خارجة عن نحو الجملة أو النحو القديم، كما أنّ فكرة النصية نفسها ليست غائبة عن تراثنا النحوي القديم، وكتب النحاة والبلغاء والنقاد والمفسيرين وغيرهم، ثرية بمفاهيم تشابه تلك التي عدّت من قبيل نحو النص.

كما لم تكن المعايير النصيّة غائبة عن تراثنا اللّغوي، خاصّة في النّص القرآني، فحين نقرأ مثلا قول ابن هشام: "القرآن كلّه كالسّورة الواحدة، ولهذا يذكر الشيء في سورة وجوابه في سورة أخرى"[2]، فملامح النصيّة التي جاءت بها نظرية علم النص موجودة في كتب التراث، والإشارة إلى التماسك نصيّ ممّا لمحناه في النصوص التراثية القديمة، و"نجده تعبيرا عمليا عن فكرة الوحدة النصيّة، وخروجا من دائرة الجملة إلى دائرة أرحب هي دائرة النص، نحو الجملة إذن ليس بريئا من نحو النصّ، لكنّه جعل إحكام أمر الجملة اهتمامه الأوّل، ووقف عندها وقوفا وظيفيّا ليترك ما فوقها لغيره من التخصصات تكمل التلاحم سبكا وحبكا، ولا ننسى أنّ النّحاة في سياق نحو الجملة قد أقروا عدّة أمور تفوق مرام الجملة، كمراعاة السّياق مقاماً وحالاً، وأمن اللّبس لدى السّامع"[3].

ومنه يمكننا القول بأن نحو النص يقوم على أسس نحو الجملة في الكشف عن العلاقات القريبة والبسيطة التي تربط بين العناصر اللغوية المتضامة، وهذه الأسس تقودنا أيضا للكشف عن العلاقات المتباعدة في النص، والتي تشكلها التتابعات الجملية وفق نظام النص، فهي تنصهر فيه لتأخذا قالبا يتسق على المستوى الأفقي وتنسجم الجمل فيه مع نظيراتها من البداية إلى النهاية، عندها يمكننا الحكم بنصيّة هذا النص، و مفتاح ذلك هو القواعد النحوية البسيطة التي توظف في الكشف عن العلاقات النحوية داخل الجملة.

---

[1]–النحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصّيّة، (شعر الجواهري نموذجا)، صالح عبد العظيم الشاعر، زهراء مدينة نصر، جمهورية مصر العربية، ط1، 1434هـ–2013م، ص: 6.

[2]–مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1412هـ–1992م، ص: 328.

[3]–ينظر، النحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصّيّة، (شعر الجواهري نموذجا)، صالح عبد العظيم الشاعر ، ص: 28–29.

ط – علم لغة النص:

وبظهور نحو النص تطور علم النص ونمت آليات تحليل النّصوص في الكشف عن لغة النص، والتّماسك الذي يحظى به هذا التركيب على مستوى البنيتين السطحية والعميقة. و"يعرف علم اللغة النصي بأنه: علم يبحث في أبنية النصوص وصياغاتها مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والإجتماعية والنفسية العامة"[1].

"إنّ المتأمل للّغة يراها صورة من نظام متشابك، تتوقف صلاحية هذا النظام على تكافل أركانه للوصول إلى كيفية تفيد المتلقي، حيث تتكافل الأنظمة الدّاخلية مع الأنظمة الخارجية للوصول إلى صورة ترتبط فيها المفاهيم وتتعالق الأجزاء وتتواصل الدّلالة في تفاعل ومنطقية، ولهذا ينبغي علينا أن نحاول–ونحن في سبيل الكلام عن وسائل الرّبط– توضيح صور التّرابط الذي يصل بالمتلقي إلى هدفه"[2]، وتعزى إلى هارفنج Harweng (1968) أوّل محاولة "جادة لوصف التنظيم الذاتي، الداخلي، للنص، من خلال الحديث عن بعض العلاقات التي تسوده، مثل: علاقة، الإحالة، والاستبدال، التي فصل فيها القول، مشيرا إلى التكرار، والترادف، والعطف، والتفريع، والترتيب، وذكر النتيجة بعد السبب، والجزء بعد الكلّ، وهذا كله، ممّا يقع في دائرة التّرابط والإتّساق الدّاخلي للنص"[3] .

ومايزال السؤال حول ماهية علم لغة النّص مثار جدل بين الباحثين، فماذا يريد علم لغة النص بالضبط؟ وما قيمة النظرية النصية؟ وما هي عناصر الإستقلال والتفرّد وعناصر التبعية والإمتزاج؟ ولماذا نحتاج إلى علم لغة يدرس النص؟ هذه المجموعة من الأسئلة حاول كوزريو Coseriu أن يقدّم إجابة عنها، إذ يجيب قائلا: علم لغة النص–في رأيه– ليس قي الحقيقة شيئا غير المقدرة التأويلية، ونظرية علم لغة النص ليست شيئا غير نظرية علم التّأويل (التفسير)، وذلك أنّ علّة إنشاء هذا العلم تقوم على الحقيقة القائلة بأنّ الأمر يتعلّق مع النص حول مستوى مستقل لما هو لغوي[4]، وهذا ما يؤكد بأنّ إنشاء نظرية نصية خالصة لا تصلح عند غياب الآليات اللغوية التي تدرس اللغة في النص، وهذا ما أصرّ عليه الذين تناولوا النص من جانبه اللّغوي، لأنّ اهتمامهم انصب على العناصر اللّغوية داخل النص، وانشغل من يمثلون هذا التّيار بتحديد "علاقة ما هو لغوي بما هو غير لغوي، وتأليف النص بلغة معيّنة وبلغات مختلفة، وغير ذلك من صوّر التمييز التي تكشف عن تعقد كثير من مسائله،

---

[1]–ينظر،أبحاث في علم اللغة العربية وتحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،مراجعة:زيد علي جاسم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط2014م،ص:05

[2]– نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص: 102–103.

[3]– الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، توزيع دار فارس للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1997م، ص: 129.

[4] – ينظر، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، ص: 33.

ويثير فكرة تستحقّ النظر والتّأمّل، حيث يميّز بين قواعد النص الخاص وقواعد اللّغة العامّة التي كتب بها هذا النص.[1]

والآن أُلّف عنه كتب كثيرة، وهي مؤلفات تتسم بالتّنوع والإضطراب بسبب فقدان مناهج البحث المحددة التي يمكن تطبيقها على النّصوص، وذكر الباحثان روبرت ديبوجراند ودريسلر أنّ العالم اللغوي فان دايك قد أكّد على أنّه ليس بمقدور مصطلح علم النّص أن يكون في واقع الأمر تسمية لنظرية مفردة أو لمنهاج محدد، وإنّما يدلّ على أيّ عمل في اللغة مخصص للنّص كهدف[2].

من هنا يجب على "علم النص إن يزيل، على وجه الخصوص، التعارض عند تحديد المفاهيم، وأن يجلي الغموض باستنباط المعايير التي يتحدد بها ما هو "نص" و ما هو "غير نص"-بل تتحدد بها أيضا الأنواع المختلفة للنصوص. فإذا ألقينا نظرة شاملة من هذا الجانب، على المراجع العديدة المتخصصة في الدراسات اللغوية للنصوص ظهر لنا سريعا أنّ هذه المسألة الإيديولوجية في علم اللغة النصي يجاب عنها على نحو مختلف، بأن ثمّة تعريفات عديدة للنص اليوم تحدد جوانب معيّنة من النصوص، لكنّها في حالات قليلة فقط يمكن أن تعمم أيضا، و أن تصف هذه الظاهرة المركبة"النص" و توضّحه بوصفه وحدة موظفة في إجراءات الإتّصال"[3].

ي- علم اللغة النصي غير كافٍ كمنهج:

ويرى كل من هاينمان W.Heinemann و فيفيجر D.Viehweger أنه على رغم من أن "مما يسمى بعلم اللغة النصي لا يكفي- فيما يبدو- لوضع المعايير التي يجب أن يقوم عليها علم للنّص، من حيث إنّ العنصر الأساسي- وهو(النص) وحده-قد أظهر أنّه غير كاف لبناء فرع معرفي مستقل، فإنّهما قد ذهبا إلى أنّه لا يمكن أن يفهم علم اللغة النصي على أنّه علم شامل، بل يجب على علم اللغة النصي أن يبقى بحثه محصورا في أبنية النصوص وصياغتها، مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامّة"[4]. فالعلوم المعرفية الأخرى هي التي تحدد له الفلك و الحيّز المفاهميّ الذي يدور فيه حيث تساهم العلوم النفسية والإجتماعية في رصد الظروف و الحالات التي أنشئ فيها النص، والأهداف والغايات التي يرجى تحقيقها لبلوغ مقصدية النص التي دلّ عليها كتاب دي بوجراند في ذكره للمعايير النصيّة.

---

[1] – المرجع نفسه، ص: 33.

[2] – ينظر،مراجعة كتاب، مدخل إلى علم لغة النّص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بو جراند وولفجانج درسلر، عاصم شحادة علي، التجديد- المجلد السادس عشر. العدد الحادي والثلاثون، 1432هـ/2012م، ص: 239.

[3]– مدخل إلى علم اللغة النصيّ، فولفانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجميّ ، ص: 5.

[4]– النص و الخطاب والاتصال، محمد العبد، ص:8.

"وعلم لغة النص فرع من فروع اللّغويات يعنى بدراسة النص، ويبرز تماسكه واتّساقه ويبحث عن محتواه الإبلاغي التواصلي، حيث تحتلّ النصّيّة فيها مكانا مرموقا لأنّها تجري على تحديد الكيفيات التي ينسجم بها النص/الخطاب (Texte/Discours) وتكشف عن الأبنية اللّغوية وكيفية تماسكها وتجاوزها. ويتّسم هذا العلم بتشعبه إلى حدّ بعيد، إذ إنّنا لا نجد إلاّ قدرا ضئيلا من الإتّفاق حول مفاهيمه وتصوّراته ومناهجه، فقد استوعب حدّا لا يستهان به من المفاهيم نظرا لكثرة منابعه، وأخذت اتجاهات البحث في هذا العلم أشكالا عدّة تبعا للأسس التي يستند إليها هذا العلم"[1]، واللغة هي التي تدرس وتحلل في هذا العلم، لأنّ القواعد النحوية وغيرها من نظريات في علوم اللغة الأخرى، تتطلع للكشف عن الطريقة التي يتم ربط العناصر اللغوية بها في النص، فاللغة بهذا كيان قائم في النص قبل تحليله والباقي هو كيفية إثبات وحدة النصّ، بداية من العناصر اللغوية التي تسهم في تركيبة النص.

إنّ المادة المدروسة في هذا العلم هي النص/ الخطاب لإشتراكهما في الكثير من الإجراءات التي خلقها علم لغة النص، وقواعد النحو التقليدي لاتزال تبسط ذراعيها على الدراسات الحديثة، كالكشف عن عناصر الإحالة منها: الضمائر والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة... وغيرها من الإجراءات التي صلحت لغربلة جيّد اللغة من رديئها، ولا يقوم بهذا العمل على مستوى النّص ولغته إلاّ علم لغة النص، الذي يهتم باللغة أكثر من أيّ ظاهرة أخرى.ويذكر Nils أنّ علم لغة النّص يعني- في العادة- الدّراسة للأدوات اللّغوية للتّماسك النّصي، الشكلي والدّلالي. مع تأكيده أهمية السّياق وضرورة وجود خلفية لدى المتلقي حين تحليل النص[2].

ك – الممارسة العربية لعلم اللغة النّصي على القرآن الكريم:

ليس من باب الأنانية أو المفاخرة أننا نبدي بهذا الرأي، وليس من باب الموضوعية المعرفية أننا نطمس التراث الفكري لأي حضارة من الحضارات، كما أنّه ليس من باب المعقول أننا نزعم أننا نختلق أفكارا جديدة وهي في حقيبة تراثنا الفكري، فالعرب كغيرهم من الأمم مارسوا النقد و البحث وتأثروا بغيرهم من الأمم الأخرى، وما ساعدهم في ذلك هو رغبتهم في الإجتهاد و في البحث في القرآن، لذلك"تعد علوم القرآن بداية نشوء علم اللغة النصي،لإحتوائها على دراسة الإنسجام والإتساق، والتماسك والتكرار والمناسبة وغيرها من القضايا الجوهرية في هذا العلم"[3].فقد نظر العلماء إلى النص القرآني ودرسوا طريقة نظمه .وطلبوا من محلل النص القرآني (أن ينظر في الحرف بين الحرفين ملائمة و احتباكا، و في كلمة بين الكلمتين تناسباً و إطراداً، وفي الجملة إزاء الجملة وضعاً و

---

[1]–مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، صبري إبراهيم السيد، ص: 294–295.

[2]–ينظر، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ج1/ 35.

[3]–أبحاث في علم اللغة العربية وتحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،مراجعة:زيد علي جاسم،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،2014م،ص:05.

تعليقاً. ويمر ذلك حتى يخرج من السورة"[1].و لغته ليست مجرد مفردات وتراكيب وإنما تحمل رؤيا معينة للإنسان والحياة وللكون أصلاً وغيباً ومآلاً [2].

5- الخطاب المصطلح والمفهوم:

وهو مصطلح يستعمله بعض اللسانيين كبديل للنص أو مرادف له، لدرجة أنهما يتداخلان حتى يعسر على المحلل إيجاد فروق تفصل بينهما.

أ- تعريف الخطاب:

- لغة:

ومن معاني خطاب في المعاجم العربية التي شرحت الفعل، ما جاء في المعاجم التالية:

جاء في لسان العرب عدّة معاني للفعل (خطب) ولعلّ أقربها لموضوع الرسالة هو قول ابن منظور"يقال: خَطَب فلانٌ إلى فلانٍ فَخَطَّبه وأَخْطَبَه أَي أَجابَه. الخِطابُ والمُخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وقد خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ."[3] "...والخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَب الخاطِبُ على المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، واسمُ الكلامِ: الخُطْبَة؛ قال أَبو منصور :...إِنَّ الخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيبِ، لا يَجوزُ إِلاَّ عَلى وَجْهٍ واحدٍ، وهو أَنَّ الخُطْبَة اسمٌ للكلام، الذي يَتَكَلَّمُ به الخَطِيب. فيُوضَعُ موضِعَ المَصْدر. الجوهري: خَطَبْتُ على المِنْبَرِ خُطْبَةً، بالضم، وخَطَبْتُ المرأَةَ خِطْبَةً، بالكَسْرِ، واخْتَطَبَ فيهما."[4] "وذهب أَبو إِسْحق إِلى أَنَّ الخُطْبَة عندَ العَرَب: الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّع، ونحوُه. التهذيب: والخُطْبَة، مثلُ الرِّسَالَةِ، التي لَها أَوّلٌ وآخِرٌ."[5] "ورَجُلٌ خَطِيبٌ: حَسَن الخُطْبَة، وجَمْع الخَطِيب خُطَباءُ.وخَطُبَ، بالضم، خَطابَةً، بالفَتْح: صار خَطِيباً."[6]

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "(خطب) الخاء والطاء والباء أصلان :أحدهما الكلامُ بين اثنين، يقال خاطبهُ يُخاطِبه خِطاباً، والخُطْبة من ذلك. وفي النِّكاح الطّلَب أن يزوّج، قال الله تعالى: ﴿**لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساء**﴾ (البقرة 235). والخُطْبة: الكلام المخطوب به. ويقال اختطب القومُ

---

[1]-إعجاز القرآن و البلاغة النبوية،مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب، الجزائر، د ت، ص:197.

[2]- ينظر، النص القرآني وآفاق الكتابة ، أدونيس، ص34، 20، بتصرف.

[3]- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور، الأنصاري، 361/1.مادة(خطب).

[4]- المصدر نفسه،361/1.

[5]- المصدر نفسه، 361/1.

[6]-المصدر نفسه، 361/1.

فلاناً، إذا دعَوْه إلى تزوج صاحبتهم. والخطب: الأمرُ يقع؛ وإنما سُمِّي بذلك لِمَا يقع فيه من التَّخاطب والمراجعة."[1]. ولم تبتعد المعاجم العربية الأخرى كالقاموس المحيط، معجم متن اللغة العربية، عن هذه المعاني المسرودة في لسان العربي، ومعجم مقاييس اللغة. بل في بعض الأحيان تكاد تكون نسخة مطابقة لها.

ومن معاني خطبة ما سرده معجم اللغة العربية المعاصرة" خطبة[مفرد]:ج خطبات...و خطب على/خطب في: ...قطعة من الكلام توّجه إلى جمهور النّاس،كلام يخاطب به المتكلم جمعا من النّاس لإعلامهم وإقناعهم. ألقى خطبة الإفتتاح. سمعت خطبة الجمعة من أوّلها..."[2].وهو أيضا رسالة أرسلها شخص إلى صديقه، خطاب مسجل- خطاب مستعجل/توصية/ترحيب/احتجاج. خطاب مفتوح: رسالة توجه إلى مسئول علانية عن طريق الصحافة، أو هو كلام يسمعه ويقرؤه الناس كلهم. وهوكلام يوجّه إلى الجماهير قي مناسبة من المناسبات" ألقى الرئيس خطابا سلسل مهما"[3].

وقد جاءت لفظة الخطاب مذكورة في القرآن في قوله تعالى:﴿**أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23)** ﴾ (سورة ص:23)،و كذا في قوله تعالى:﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20)** ﴾ (سورةص:20). و فصل الخطاب، الآية الكريمة التي تصف سيدنا دواود عليه سلام"عبارة عن كونه قادراً على التعبير عن كل ما يخطر بالبال و يحضر في الخيال؛ بحيث لا يختلط شيء بشيء، و بحيث ينفصل كل مقام عن مقام"[4].

وبرجوعنا إلى مادة(خ،ط،ب) في لسان العرب، نحاول استخلاص أهم المعاني الواردة والتي تتعلق بالمفهوم الاصطلاحي للخطاب. فإننا نستنتج أنّ هذه المادة اللغوية تحمل في معانيها المعجمية عناصر الخطاب، وهي: المخاطِب(المرسل)، الخطاب (الرسالة)، و المخاطَب (المستقبل)، و هو يعني كذلك الحوار والتفاعل معه، ولعل ما يميّز الخطاب هنا؛ أنّه غلب عليه النطق أكثر من الكتابة، ويكون الخطاب هنا مميّز بميزتين، وهما:

أ-المراجعة، حتى يُنتقى منه الكلام الجيّد من الرديء، و فيه إعادة و تكرار للتأثير في المتلقي.

ب- والخطاب الكلامُ المَنْثُورُ المُسَجَّع، المهذّب،الحسَن، له بداية و له نهاية، مثل الرسالة،والخطبة.

---

[1]- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ،لبنان، ط2، 1299هـ -1979م، 198/2.

[2] - ينظر، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م،ج660/1.

[3] - ينظر،المرجع نفسه،ج660/1.

[4]- التفسير الكبير، المسمى مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرّازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1421،1هـ - 2000م، ج164/26.

وهذا يعني بأنّ المعاجم القديمة فصلت بين النثر والشعر، فالشعر في غالب الأحيان يقوله صاحبه للتعبير عن حالة شعورية وجدانية يعيشها، ولا يشترط فيه وجود المتلقي والمباشرة في قوله أمامه، بعكس الخطبة والرسالة التي يشترط لها متلقي معين، مخصوص بنص الخطاب(الكلام/القول).

-اصطلاحا:

وإذا ما غصنا في التاريخ الثقافي للحضارات القديمة، سنجد مصطلح الخطاب مذكور ببعده الثقافي والفلسفي، حيث يشير نشفر(1999:60) إلى أنّه رغم اِنتماء مفهوم الخطاب إلى حقل اللسانيات، فإنّ جذوره ترجع إلى اللوغوس Logos : الإغريقي، وهي من أشد الكلمات أهمية وأكثرها غموضا في الفكرين الغربيين الديني والفلسفي، إذ تدل في سياقات شتى على مدلولات متعددة، كالخطاب، اللغة، العقل الكلي، كلمة الإله، ومعان أخرى[1]. حيث حدّد معناه سواء باعتباره اِسما مشتركا أو باعتباره مفهوما فلسفيا. إنّ الخطاب حسب تصور أرسطو هو ترتيب وتمفصل لوحدة جدلية مستمرة وقابلة للعزل في الآن نفسه. ويحدّد هذا التعريف جانبين أساسيين ومؤسسين لشروط وجود الخطاب يتمثلان في التلاحم Coherence وتمفصل الأجزاء.[2] ومن ناحية أخرى، فإنّ أغلب المرادفات الأجنبية الشائعة لهذا المصطلح مأخوذة من أصل لاتيني، وهو الاسم Discursus المشتق-بدوره- من الفعل Discurrere الذي يعني (الجري هنا وهناك) أو(الجري ذهابا وإيابا)، وهو فعل يتضمن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي، وإرسال الكلام، والمحادثة الحرّة، والارتجال"[3].

لقد ازدهرت الدراسات النصّية في الغرب في الربع الثالث من القرن العشرين، بعد أن أخذت الدّراسات التخاطبية ممثلة في علم التخاطب (Paragmatics) و تحليل الخطاب (Discourse inalysis) تتحدد معالمها متخذة من النص الوحدة الصغرى للتحليل، و كان أبرزها ما يميز تلك الدراسات من علم الدلالة أنها تدرس الخطاب الشفهي، والنص المكتوب في ضوء سياقاتها الداخلية و الخارجية، لتترك دراسة الجملة في شكلها الوضعي و بمعزل عن السياق الذي ترد فيه موضوعا لعلم الدلالة"[4].

---

[1]- ينظر، ويكيبيديا، موسوعة حرّة، موقع https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%88%D8%BA%D9%88%D8%B3، وينظر، كتاب موسوعة الفلسفة، لـ عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1984م، ج2/ 371-372.

[2]- ينظر،ربيعة العربي، الحدّ بين النص والخطاب، مجلة علامات، مجلة ثقافية، كلية أكادير، المغرب، ع33، يناير 2010م، ص:33.

[3] - ينظر، أفاق العصر، مهرجان القراءة للجميع، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص: 64.

[4] - قضايا في اللغة و اللسانيات و تحليل الخطاب،د.محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، لبنان،ط1، 2013م، ص:51.

و"يعدّ الخطاب(Discourse) واحدا من أكثر المصطلحات التي تم استعمالها بكثرة وإفراط في كثير من فروع اللسانيات، والأسلوبية والنظرية الثقافية والنقدية. و يبدو عموما أنّه استعمل لكلّ معاني اللغة التي بعبارة الفيلسوف اللغوي الروسي ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin)[1].ولقد"أصبح مصطلح (الخطاب)-في الآونة الآخيرة- مصطلحا شائعا، إلاّ أنّه تشعب، وصارت له دروب عديدة ومفاهيم مختلفة ولا متناهية، حتى بات العثور عليه وتحديده أمرا صعبا"[2] وهو "أحد المعاني البارزة والمدركة، التي حقا لا يوجد لها مكافىء مباشر آخر، تشمل كل مظاهر التواصل تلك التي تتضمن ليس فقط رسالة (Message) أو نصًّا (Text) ولكن أيضا مخاطِبا ومخاطَباً وسياق الحال المباشر لهما:ما أسماه مايك شورت(Mick Short) (1996)بهندسة الخطاب(Discourse Architecture)[3]. وقابل بعض اللسانيين بين الخطاب والجملة من بينهم هاريس الذي اعتبر بأنّ الخطاب وحدة لسانية متكوّنة من جمل متعاقبة"[4].وهذا تعبير عن الميل إلى المنهج البنيوي الذي تتابع فيه الجمل مشكلة البنية الكلية له.

ب- تلاقح الخصائص اللغوية و غير اللغوية في الخطاب:

الخطاب في أحد معانيه "هو اللغة باعتبارها حوارا بين الكاتب والقارئ، أو بين أفكار الكاتب وأفكار القارئ، أو بين ما يمثله الكاتب(اجتماعيا أو سياسيا أو ثقافيا...إلخ) وما يمثّله القارئ"[5]،و ربط أحمد المتوكل اللغة من منظور خطابي بالمقام والوظيفة وظروفها، والخطاب عنده أيضا هو" أي إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية وبالوظيفة التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف(...)، يتبيّن من هذا التعريف العام أنّ الخطاب في النحو الوظيفي هو كل مجموعة من الجمل يتم بها التواصل بين مستعملي اللغة"[6] ثم بيّن مجموعة من الفوارق عند مقارنته بين الجملة والخطاب على اعتبار أنّ الخطاب "يتسم بسمتين: تعدّيه للجملة من حيث حجمه وملابسته لخصائص غير لغوية دلالية وتداولية وسياقية.وعلى أساس هذا التمييز، وُقف من الخطاب موقفان:

---

[1]- معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة:خالد الأشهب،المنظمة العربية للترجمة، ط1، 1435هـ -2015م، ص: 213.

[2]- الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي، دراسة أسلوبية، عبد الرحمان حجازي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005م، ص: 19.

[3]- المرجع السابق، ص: 213.

[4]- ينظر، معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو – دومنيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري-حمّادي صمود، منشورات دار سينترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص: 180.

[5] - ينظر: من قضايا الأدب الحديث، محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1995م، ص: 32.

[6]- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2001م، ص: 17-18.

– **أولهما:** إقصاؤه من الدّرس اللّساني الصّرف باعتباره يندرج، بخلاف الجملة، في حيّز" الإنجاز" أكثر من اندراجه في حيّز "القدرة اللغوية".حيث "يقيّد بعض اللّغويين الخطاب في التواصل الشفوي"[1]، وهذا يعيدنا إلى المقارنة بين النّص و الجملة، وأنّ الجملة بنية نظامية تحقق كفاية لغوية معيّنة، أمّا النّص وهنا يصبح مرادفا للخطاب فهو إنجاز فعليّ للّغة في ظروف معيّنة. ويشار بالخطاب إلى كلّ كيان لغوّي يتعدّى الجملة من حيث الحجم، ويلابس خصائص غير لغوية وظروف معيّنة أوجدته، يضاف إلى ذلك خصائص دلالية وتداولية وسياقية حسب طبيعة كل خطاب، وهو يندرج في حيّز الإنجاز أكثر من اندراجه في حيّز القدرة اللغوية التي تعتبر خاصية للجملة، وهو يتّخذ الآن موضوعا لدرس لساني منفصل يدعى بلسانيات الخطاب أو تحليل الخطاب في مقابل لسانيات الجملة."[2] وهذا ما يجعلنا نقف أما إشكالية تداخل المصطلحات، لأن الخطاب في حدّ ذاته نص، غير أنّ إجراءات تحليله والكشف عن اتساقه وانسجامه يقودنا إلى الظروف المحيطة به والسياق الذي قيل فيه، "فيدخل في الخطاب الكلام والمتكلم وبيئة التنزيل وسياقه وأساليب التخاطب.[3]

وبناء على هذا المنهج "يركن الباحثون إلى تحليل الخطاب بمنهج نصيّ واقعي يستند إلى سياق الموقف وبساط الحال ومرجعية النص"[4]. وهذا يعني "أنّ مدار الخطاب إذا كان في صميمه يشكّل علاقة تلفّظ لغوي، إلاّ أنّه بجانب هذه العلاقة– وحتى تتم العملية التواصلية الإبلاغية– يتحتم وجود علاقة تخاطبية مع الآخر، وهو ما يمكن أن نطلق عليه ملامح البنية المكوّنة لهذا الخطاب"[5]

–**ثانيهما:** الاحتفاظ به لكن على أساس أن يتّخذ موضوعا لدرس لساني منفصل سمّي"لسانيات الخطاب"(أو"تحليل الخطاب") في مقابل "لسانيات الجملة".[6]

مشجر يوضح الفرق بين الجملة و النص و الخطاب

---

[1]– **معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، ص: 215.وينظر، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، ص:22.**

[2]– **ينظر، في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، عبد الرحمان بودرع، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1434هـ/2013م، ص: 17.**

[3] – **المرجع نفسه، ص: 17.**

[4] – **نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، عبد الرحمان بودرع، ص: 25.**

[5] – **جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ/2014م، ص: 82.**

[6]– **الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ– 2010م، ص: 22.**

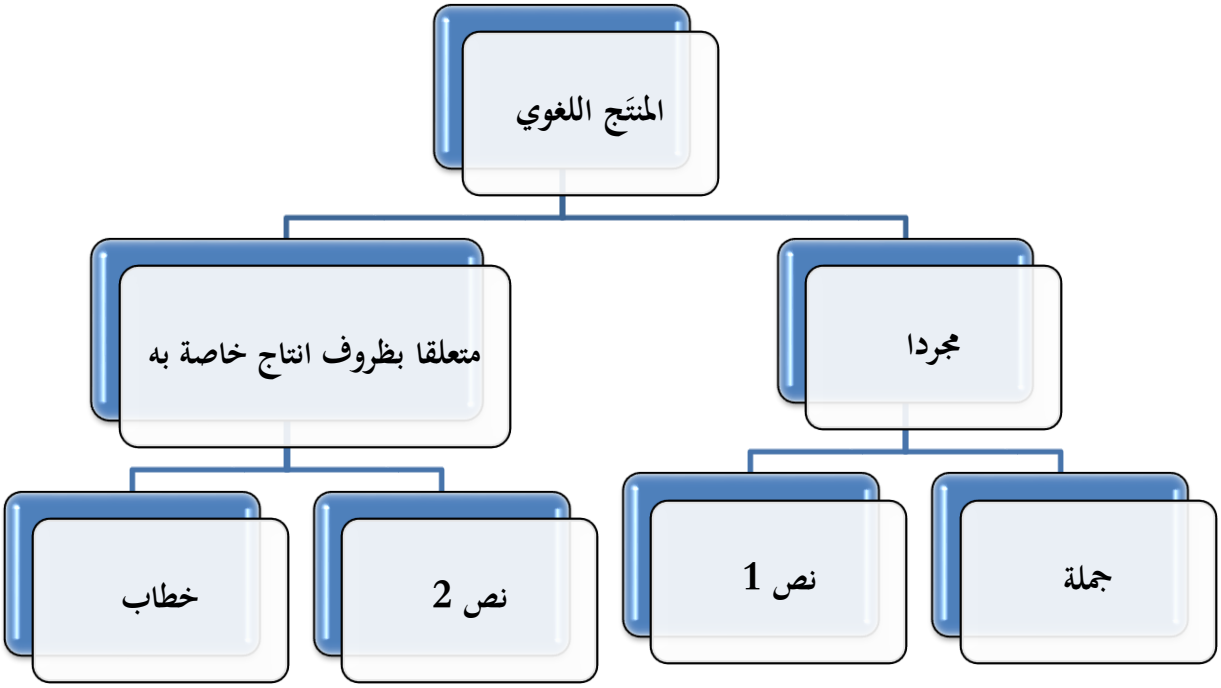

وهنا، يمكننا أن نعد أي منتوج لغوي تحكمه قواعد نظام لغوي معيّن خطابا إذا ما تعلق بظروف مقامية وحالية أوجدته، وتتحدد منه عناصر التخطاب، ونقصد هنا المخاطب(المتلقي بالدرجة الأولى)، لذلك نرفض كل جملة أو نص تجرد من ظروف إنتاجه وزعم لنفسه معيار المخاطبة قاعدة لغوية يلجأ إليها للكشف عن معايير النصية التي جاء بها رواد علم النص و تحليل الخطاب على حدّ قول أحمد المتوكل، ومنه يصح أن يكون الخطاب الذي يقال في مكان ما، و في ظروف ما إذا ما ترك أثرا كتابيا نصّا، و يمكن كذلك للنص(المنتوج اللغوي) أن يكون خطابا إذا ما صاحبته ظروف، و إذا تجرد من تلك الظروف صار نصّا مغلقا بعيدا عن التواصل يهدف إلى تحقيق غاية جمالية فنية، أو تعليمية. بل وأبعد من ذلك يصبح نصا نظاميا شبيها بالجمل النظامية التي كان يستعملها النحاة في تعليمهم النّحو كخرج زيد وقام عمر.

ج– الخطاب في التراث العربي:

من أشهر تعاريف تحليل الخطاب التي بين أيدينا، أنّه:" هو كيفية استعمال الناس اللغة أداة للتواصل. وكيف يؤلف المتكلم رسائل لغوية يوجهها إلى المتلقي، فيقوم هذا بمعالجتها لغويا على نحو خاص لتفسيرها. وهذا العلم حديث النشأة عند الغرب. أمّا العلماء العرب فتحدثوا عنه من خلال علوم القرآن والبلاغة العربية منذ القرن الثاني الهجري تقريباً من أمثال: الجرجاني والسكّاكي والزّركشي والسيّوطي؛ وغيرهم من علماء التفسير والبلاغة. ومن موضوعات هذا العلم: المناسبة والإحالة (أي مرجعية الضمير، الإتّساق والإنسجام، والدّلالة والتّداول، والفصل والوصل، والإطناب والإيجاز، والحقيقة والمجاز، وصدق الجملة وكذبها، والخصوص والعلوم، والمجمل

والمفصل، والتكرار ، وغيرها من موضوعات علم البلاغة العربية وخاصة علم المعاني، الذي يعدّ العصب الحساس لهذه العلوم اللغوية الحديثة، فالمصطلحات غربية حديثة والعلوم عربية أصيلة"[1].

"وإذا ما تأملنا تراث العربية فسنجد أنّ النّحاة هم الذين حملوا على عاتقهم مهمّة دراسة الجملة من النّاحية الوضعية، فصاغوا قواعدها. واستقصوا أنماطها، ولكنّهم لم يتجاوزوا حدود الجمل في دراساتهم وتحليلاتهم بل تركوا هذه المهمّة للبلاغيين والأصوليين الذين أسهموا إسهاماً واضحا في تحليل النّص، فربطوه بالسيّاق الذي يرد فيه، وكان أكثر ما يشد انتباه المهتمّين بالدّراسات النصّية في دراسة علماء التراث، ولا سيّما المفسّرون والأصوليون منهم؛ معاملتهم القرآن الكريم بأنّه وحدة واحدة يترابط بعضها ببعض، وتتعلّق أجزاؤه على نحو تكاملي، بحيث لا يستقل منه جزء من الآخر" [2].

وأبرز علم عند العرب وُظِّف فيه مصطلح الخطاب، كان عند الأصوليين، و ممن استعملوا هذا المصطلح تقريباً بدلالته المعاصرة شيخ الإسلام (على بن عبد الكافي السبكي) (ت771هـ) بمعنيين حددهما في قوله:"فحصل في الخطاب قولان أحدهما: أنّه الكلام؛ و هو ما تضمن نسبة إسنادية. و الثاني: أنّه أخصّ منه؛ وهو ما وُجِّه من الكلام نحو الغير لإفادته"3. وعرّفه بدر الدين الزركشي (ت794هـ)بقوله: "إنّه الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيء للفهم. و عرّفه قوم بأنّه ما يقصد به الإفهام أعم من أن يكون من قصد متهيئاً أم لا"[4]. لذلك، نفى الأصوليون كل ما هو إشاري و سيميائي من عملية التخاطب على اعتبار أن الوسيلة التي تحقق التخاطب هي اللغة؛ وأن مدار كل خطاب هو عملية التواصل.لأنّ الخطاب أولا وقبل كل شيء هو حدث لغوي، ثم تواصلي، فمزج هؤلاء بين مصطلحي الخطاب و الكلام و اعتبروهما يدلان على مقصود واحد[5].

يقول السيوطي:"ولقد انكبّ العلماء منذ القديم على كتاب الله عزوّجل، يسجلون خصائص نظمه، وطرائق أساليبه و وجوه التعبير فيه، وعرضوا الحقائق والمجازات، وتشابهاته واستعاراته وكناياته وبدائعه إلى غير ذلك من أفانين التّصرف في خطاباته ومحاوراته، وبسطوا القول في هذا في كتب التفسير وفي مصنفات أخرى استقلالا"[6]

---

[1] – أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم، ص:05.

[2] – قضايا في اللغة و اللسانيات و تحليل الخطاب،د.محمد محمد يونس علي،ص:51.

[3]– الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، علي عبد الله الكافي السبكي،تحقيق:جماعة من العلماء،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط1، 1414هـ–1995م،ج43/1.

[4]– البحر المحيط في أصول الفقه،محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي،دار الكتبي،القاهرة،ط1، 1404هـ/1994م، ج168/1.

[5]– جمالية الخطاب في النص القرآني،قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين،د.لطفي فكري محمد الجودي، ص:75.

[6]– مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع، بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن و خواتمها للحافظ جلال الدين السيوطي، مكتبة دار المنهاج للنشر و التوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط1، 1426هـ، ص:11.

وذكره الآمدي وعلماء آخرون في كتب التفسير عند تحليلهم للنص القرآني، و كذلك استعمل المصطلح في كتب النقد العربي القديمة وعلوم القرآن[1].ومن الأدلة التي وجدناها على استعمال العرب لهذا المصطلح، الإمام الراغب الأصفهاني، ومن أقواله التي حوت الخطاب و المخاطب، قوله:"وفائدة الأمر والنهي شيئان :أحدهما: حث المخاطب على اكتساب محمود واجتناب مذموم، والثاني :حثه على الوجه الذي به يكتسب المحمود ويجتنب المذموم المقررين عند المخاطب، والغرض الأقصى من الخطاب الخبري :إيصال المخاطب إلى الفرق بين الحق والباطل ليعتقد الحق دون الباطل."[2]، وكذلك هو موجود عند أبي حيّان الأندلسي في قوله:"...الزيادة في الخطاب نسخ له..."[3]،وعند الزمخشري في قوله:"...الخطاب للرسول صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنون..."[4]، وقولهم:"...وهو في الشريعة الخطاب بأمر أو نهي..."[5]، وكذلك عند الجاحظ في قوله:"..دعا إليه بلين الخطاب..."[6].

ونلحظ ذكرها قي كتب النحاة كلما دعت الضرورة لاستحضار المخاطب الإفتراضي في أذهانهم لتعليم اللغة والنّحو، ومن ذلك ما قاله ابن عقيل:"...أسماء الأصوات ألفاظ استعملت كأسماء الأفعال في الإكتفاء بها دالة على خطاب..."[7]، ولذلك "فكلمة(الخطاب) عندهم يعني الخطاب: الكلام، الحديث ويعني بها في الأغلب النحاة المخاطب فيذكر في ذكر كاف الخطاب"[8].وعلى العموم فإنّ جملة ما استنتجناه من هذه المذكورات السابقة هو وجود علاقة بين ثلاثة عناصر وهي:

1- المخاطِب
2- المخاطَب
3- الرسالة (الخطاب).

---

[1]–المرجع نفسه، ص:75.وما بعدها.

[2]– تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا،،ط1، 1420 هـ – 1999 م، 8/1.

[3]– تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، تحقيق مجموعة من العلماء،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1413هـ –1993م، 426/1 .

[4]– تفسير الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر، الزمخشري الخوارزمي،اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه، خليل مأمون شيحا،دار المعرفة للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان،ط3، 1430هـ – 2009م، ص:83.

[5]– ينظر، نزهة الخاطر العاطر روضة الناظر وجنة المناظر،عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن بدران الدومي المقدسي، دار الحديث بيروت ومكتبة الهدى رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة،ط1، 1991م، ج30/1.

[6]– رسائل الجاحظ، للإمام أبي عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م، 219/4.

[7]–شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، لعبد الله بن عبد الرحمان بن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون، 1980م، 306/2.

[8]– التحليل النصّي في التفاسير القرآنية البيانية و الموضوعية،(دراسة تحليلية في ضوء منهج نحو النص)، فوزية ميرتاج، رسالة دكتوراه،جامعة جمادى الأولى 1434هـ – أبريل 2013م، الجامعة الإسلامية العالية، إسلام آباد–باكستان– كلية اللغة العربية، ص:90.

أين تحصل العلاقة بين هذه العناصر عن طريق تمرير الرسالة (الخطاب) من شخص إلى آخر فيتحقق شيئين و هما :

-الهدف من الخطاب.

- والقصد منه .

وعندما نقول الهدف من الخطاب هنا، فإننا نقصد تغريض النّص (الخطاب) و جعله ذا مقاصد محددة من طرف المنتج (المخاطب)، فلا يحيد الهدف عن تلك المقاصد، وهذا يعني أن الهدف يخدم القصد وهو مقوّم من مقوّماته ومؤشر بارز لتوجيه الأفكار.ولذلك يتحتم على المخاطِب "توفير قصد الإفهام لديه و إيصال الرسالة، والخطاب؛ يجب أن يكون مما تواضع عليه النّاس، و أمّا المخاطَب أو المستمع فلابد من أن يكون متهيئا للفهم مستجيباً للخطاب وصاحبه"[1].

د- خصائص الخطاب وعناصره:

قادنا هذا البحث إلى تحديد الكثير من خصائص الخطاب ومعرفة عناصر التخاطب، وأهم الكتب اللسانية التي حفلت بذكر المصطلح، وخاصة المعاجم، حيث نجد في معجم المصطلحات العربية، الخطاب هو "الرسالة letter، نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه، يتضمن عادة أنباء لا تخصُّ سواهما، ...ثم انتقل مفهوم الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربية (سواء أكتب نظما أو نثرا)، أو من المقامة في الأدب العربي"[2]. وما يفهم من هذا؛ هو أنّ الخطاب يأتي على أشكال تخاطبية متنوّعة، تكون هادفة، وتنتقل من شخص إلى شخص آخر أو جمهور معيّن، لإطلاعه على مضمون الرسالة(الخطاب). وأهم ما يقوم عليه مفهوم الخطاب " في اللغة –سواء العربية أو الأجنبية- على التلفظ أو القول بين طرفين: أحدهما مخاطَب، وثانيهما مخاطِب، وقد يتحاوران في شكل حديث حرّ، فيقال حينئذ: إنّهما يتخاطبان، فيفهم أحدهما الآخر عن طريق البيّنة وفصل الخطاب"[3]. وهذا ما يحدد أهم خاصية فيه، وهي الكلام بشتى أنواعه المذكورة في هذا القول وهي: التلفظ، القول، الحوار، الحديث. شريطة أن تكون واضحة وبيّنة حتى لا تكون هناك ضبابية في استقبال الرسائل التخاطبية، وهذا ما يقصد به فصل الخطاب.

ويذهب السوسيولوجيون إلى إضافة الظروف الإجتماعية في انتاج الخطاب، وأنّ الدّاعي إلى ذلك ظرف إجتماعيّ معيّن ألزم الكاتب (المنتج) أن يكون كاتب قضية إجتماعية معيّنة، وتعبير اللغة وسيلة من وسائل التواصل و التخاطب عندهم، والخطاب من هذا المنظور"ممارسة اجتماعية لا تنفصل فيه اللغة عن الموقف، أو

---

[1] – جمالية الخطاب في النص القرآني، د.لطفي فكري محمد الجودي، ص:76.

[2] – ينظر، معجم المصطلحات العربية في الأدب واللغة، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص: 159.

[3] – الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي، دراسة أسلوبية، عبد الرحمان حجازي،ص: 19.

المنطوق عن الفعل. إنّه عمليّة من عمليات الإتّصال وإنتاج المعنى التي تكسبه الأبعاد المختلفة.. التي تضمن له الإنسجام وشروط التّواصل من خلال دورانه ضمن معايير الاتّصال الأدبي العام. ولئن كان هناك نزوع نحو التفرّد، فلا يتجلى ذلك من خلال الترتيب البنيوي للوسائل اللّغوية المختلفة في علاقتها بالخطابات النوعية[1]. وهكذا يكون الخطاب عند هؤلاء تُميّزه ثلاثة خصائص:

1- تواصل لغوي.

2- موقف اجتماعي.

ولذلك يصلح القول أن الخطاب إنتاج لغوي يهدف إلى التواصل في قضية إجتماعية معيّنة لتحقيق غرض معيّن.

3- ضابطه هو الإنسجام الملحوظ بين النص والموقف الإجتماعي.

أما ديكرو فإنّه يذكر بعض الخصائص للخطاب في أحد تعريفاته، ولذلك يعرّفه "بوصفه تتابعا لملفوظات تتقاسم المقتضيات نفسها"[2]، ويقصد بالمقتضيات عنده القضايا. لأنّ "اللسانيات الخطابية تقوم على فرضية الإعتقاد بإمكانية صياغة قواعد تتعلّق بتسلسل الجمل. ذلك لأنّ الخطاب يتأسّس في جوهره، على بعض أشكال الإنسجام، التي تسمح بتأويل الجمل المكوّنة له ضمن علاقاتها البينية"[3]. و هذا ما يجعل الخطاب يخضع لنظريات تحليلية لها قواعدها وآلياتها التي تحلل الخطاب وتكشف عن مدى الإتّساق و الإنسجام فيه. يمكننا كذلك أن نعني بالخطاب كلّ وحدة تتجاوز حجم الجملة، فالخطاب إذن يمثّل مجموع الجمل المترابطة عبر مبادئ مختلفة للإنسجام.

هـ – تحليل الخطاب:

إنّ أول من تطرق لمفهوم مصطلح الخطاب وطرحه هو الباحث اللساني هاريس (Harris) من خلال نشره لكتاب (تحليل الخطاب) عام 1952هـ، وكان تقديمه لشروحات ومفاهيم هذا المصطلح يعتمد على توسعة تحليل مفهوم الجملة الذي كان بمثابة النواة التي أسست لظهور مصطلح جديد؛ بمفاهيم جديدة واسعة عن نطاق الجملة، و طالب هاريس (Harris) بمستوى أعلى للتحليل اللساني الذي يفوق و يتجاوز الجملة، في إشارة منه إلى الخطاب أو النص.

---

[1] – جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، ص:71.

[2] – المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور، ترجمة: عبد القادر فهيم الشيباني، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007م،ص: 49.

[3] – المرجع نفسه، ص: 50.

و"يعتبر عمل زيلينغ هاريس (Zelling Harris) (1952) على (السلاسل) الخطية للأقوال بشكل واسع المبشر بتحليل الخطاب، حيث ارتبط في بريطانيا بشكل بارز انطلاقا من السبعينيات بالعمل في جامعة بيرمنغهام (Birmingham University) بواسطة جون سنكلير، ومالكوم كولتهارد وآخرون، حول الأنماط المشكلة نسبيا للخطاب، مثل التبادلات في القسم وبين الطبيب والمريض"[1]. وقد اهتم زيلنج هاريس بتوزيع العناصر اللغوية في النّصوص والروابط بين النّص وسياقه الإجتماعي[2].

ويطلق بعض الباحثين اللسانيين على غرار ز.س. هاريس (تحليل الخطاب) على ما يسمّى أيضا ب(اللسانيات النّصية)؛ هذا م.شارول وب. كومبات(1999) أو أ. ربول وج.مُشلار الذين ينكرون من ناحية أخرى مشروعية ذلك. إنّ تحليل الخطاب حافزا مزدوجا: فالجمل تحتوي على عناصر لا يمكن تأويلها في مستوى الجملة نفسها، ولا ينحصر تأويل خطاب ما في مجموع تأويلات الجمل التي يتكوّن منها (1998)"[3]، وهاريس"لم يكن أول لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني فحسب، بل إنّه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياه التي ضمنها برامجه بتقديم أوّل تحليل منهجي لنصوص بعينها، وقد خرج بذلك على تقليد أرساه(بلوم فيلد) يقضي بأنّ التعبير اللغوي المستقل بالإفادة أو الجمل هو مادة اللساني، أمّا النّص فليس إلاّ مظهراً من مظاهر الاستعمال اللغوي غير قابل للتحديد"[4].

و في هذا الصدد يقول هاريس(Harris) "إنّ اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك"[5].و قد حاول بذلك هذا الباحث الوصول بالبحث اللغوي إلى أبعد نقطة يمكن من خلالها وصف اللغة من خلال مجموعة من العلاقات التي تهيئ هذا الإرتقاء. فالوصف القواعدي النّحوي للكلمات وللعلاقات اللغوية المحدود في كتب النّحو التقليدي، قد لا تفي بالغرض في تحليل أوسع من الجملة، ولكي يتحقق هذا الهدف، رأى (هاريس) أنّه لابدّ من تجاوز مشكلتين وقفت فيهما الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية وهما:

-الأولى:قصر الدراسات على الجملة و العلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة .

-الثانية: الفصل بين اللغة و الموقف الإجتماعي. فهو اعتمد في منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين:

-علاقات توزيعية بين الجمل.

---

[1] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة، خالد الأشهب، ص: 216.

[2] – علم اللغة النّصي بين النظرية والتّطبيق ،دراسة تطبيقية على السّور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، 1/ 23.

[3] – معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو– دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود، مراجعة صلاح الدين شريف، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص:44.

[4] – علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، ص:18–19.

[5] – مدخل إلى علم اللغة النصيّ، فولفانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجميّ ، ص:21.

-الربط بين اللغة و الموقف الإجتماعي.[1]

يستخدم مفهوم تحليل الخطاب في مجالات بحثيّة متنوّعة وتخصّصات متعدّدة في إطار الآداب والعلوم الإجتماعية "وقد ارتبطت نشأته بحقل اللّغويات ثم تطوّر مع ظهور عدّة نظريات ومناهج في تحليل الخطاب. ورغم هذا التوسّع والإنتشار في استخدام الخطاب وتحليل الخطاب فإنّه لا يوجد اتّفاق حول المفهوم والإطار النظري والمنهجي لتحليل الخطاب، بل ظهرت عدة مدارس تتبنى الطريقة والمفهوم"[2]. و"يوجد بينها نقاط اتّفاق واختلاف عديدة، ولعلّ أهم نقاط الإتّفاق هي التوجّه النقدي في تحليل الخطاب، والإتّجاه للتقريب بين مدارس تحليل الخطاب، حيث سقطت أو تكاد الحدود التقليدية بينها، خاصّة بعد أن سعى الكثير من الباحثين للدمج والتّأليف بين مفاهيم وطرق لتحليل الخطاب تنتمي لمدارس متعددة من جهة، و بعد أن ظهر اتفاق واسع على أنه لا توجد طريقة واحدة و إجراءات منهجية متفق عليها لتحليل الخطاب من جهة الثانية"[3].

وإذا ما اعتبر تحليل الخطاب دراسة له دون تخصيص أدّق، "أي دراسة الإستعمال الحقيقي للّغة من قبل متكلمين حقيقيين في وضعيات حقيقية، فإنّه يبدو الفنّ الذي يدرس اللغة باعتبارها نشاطا رأسيا في مقام ومنتجا لوحدات تتجاوز الجمل، وباعتباره" استعمالا للّغة لغايات اجتماعية تعبيرية وإحالية، وفي هذه الحالة يعمل تحليل النصوص على تعايش مقاربات شديدة التصنع: تحليل الخطاب، وإثنية التواصل واللسانيات الإجتماعية التفاعلية،..."[4]،"إن السؤال الرئيسي الذي يسعى تحليل الخطاب إلى الإجابة عليه هو: لماذا أخذ هذا النص هذا الطريق؛ و لم يأخذ طريقاً آخر"[5].

ومبدئيا، فإنّ تحليل الخطاب ينطلق من النص إلى خارجه، وقد تنعكس العلاقة في الكثير من الأحيان خاصة في النظرية السياقية(مبدأ السياق) حيث تنطلق عملية التحليل من السياق الخارجي الذي يكشف عن المقام والأحوال التي أوجدت الخطاب، لتظهر العلاقة بين الخطاب والسياق، فقد دلّ معجم تحليل الخطاب تحليل الخطاب يرجع إلى العلاقة بين النّص والسيّاق. وعليه لا يمكن الكلام عن تحليل للخطاب بخصوص الأبحاث في التداولية التي أنجزها أ. ديكرو (O.Ducrot) التي درس فيها ملفوظات (Enonces) معزولة عن سياقها[6]. هذا ما أكد عليه فان دايك سنة 1985، بأنّ تحليل الخطاب هو"دراسة الإستعمال الحقيقي للغة من قبل

---

[1]-البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية،جميل عبد الحميد، ص:65.

[2]-ينظر،اللغة الإعلامية ، مفهومها ، و مبادئها...، و تطورها الواقع،..الفُرَصْ..و التحديات...حمزة الجبالي،ص:176.

[3]- ينظر،المرجع نفسه، ص:176.

[4]- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو- دومينك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود،ص:44.

[5]- البحوث الكيفية في الدراسات الإعلامية ،د.محمد شومان، ص:36.

[6] -ينظر، المرجع نفسه، ص:44. و ما بعدها.

متكلمين حقيقيين في وضعيات حقيقية"[1] وبهذا يكون للسياق نصيب أوفر في تحديد العلاقات بين النص والسياق، وبين النص وعنصري الخطاب(المتكلّم /المخاطِب-المتلقي/المخاطَب).

و نلاحظ أنّ أغلب اللسانيين الذين كان لهم الشرف في تناول الخطاب، ركزوا على معيار الكتابة والمشافهة (التلفظ) أي الخطاب الشفوي قبل الكتابة، فعند "حصره على القضايا اللغوية، يرتكز تحليل الخطاب على سجل العملية(شفهيا كان أم مكتوبا) التي تستعمل فيها اللغة في بعض السياقات للتعبير عن القصد"[2]، لهذا ألفينا دافيد كريستال (David Crystal) يذكر في كتابه أنّ "تحليل الخطاب (Discourse Analysis) يرتبط بتحليل اللغة المنطوقة. بينما تحليل النص (Text Analysis) يرتبط بتحليل اللّغة المكتوبة، ولكّنه أكّد بعد ذلك أنّ التحليل سواء أكان نصّا أم خطابا فإنّه يشمل كلّ الوحدات اللغوية المنطوقة والمكتوبة مع تحديد "الوظيفة التواصلية"[3] وهذا أمر لا يخلو من تطبيق القواعد اللغوية على النصوص، وبشكل خاص في فروع "تحليل الخطاب (Discourse Analysis) وتحليل التحاور(Conversation Analysis)، التي أبدت أنماطا مختلفة من البنية، تفاعلية ولغوية معا على مدى التبادل الشفوي على نحو خاص... ويصنف تحليل الخطاب المكتوب في غالب الأحيان تحت لسانيات النص(Text Linguistics)" [4]. "ومن الطبيعي أن تستقطب بنية الخطاب اهتماما كبيرا، مع تركيز خاص على ما يكوّن نصّا صحيح البنية. وينصب التركيز-ضمن هذا المنظار- على مواضيع مثل الروابط الجلية بين جمل النص التي تنشئ التماسك Cohesion. أو على عناصر تنظيم نصّيّة"[5] ويعد تواصل الجمل وارتباطها في الخطاب مظهر من مظاهر التماسك، لذلك تم استعمال الوصلية (Connectivity) في تحليل الخطاب والنص كمظهر للتماسك، وربط الكلام أو الجمل... ويمكن أن تكون الوصلية (Connectivity) ضمنية وصريحة معا.و التجاور البسيط للجمل كافٍ لتضمن ضرب من الوصل الدلالي: نتوقعه في نص ما أو كلام."[6]

لقد تبنى تحليل الخطاب منظورا معرفيا حديثا، "حيث ينصبّ الاهتمام على النشاط الذهني لقارئ النص المكتوب والمتمثل في بناء نص أكثر غنى من الكلمات الحرفية على الصفحة"[7].

---

[1] -ينظر، المرجع نفسه،ص:44.

[2] – التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتّابي، الدّار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ/2010م، ص: 128.

3 – علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ج1/ 35.

[4] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة، خالد الأشهب، ص: 215.

5 – التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتّابي، ص: 128.

[6] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة، خالد الأشهب، ص: 153.

[7] – المرجع نفسه، ص: 216.

فالخطاب في صميم بنائه لا يخرج عن كونه وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب و يتسم بأنه كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء.[1]

و"يضيء تحليل الخطاب عناصر الكلام التي تم تجاهلها في أنحاء ولكن التي لها وظائف خطاب مهمة. هي دائما وحدات طبقة مغلقة (Closed-class)، ولكنّها صعبة التصنيف كأجزاء تقليدية للكلام، أو جميلات (اعتراضية)، مثلا قد تمت تسميتها بواسمات خطاب (Discourse Markers) حروف (Particles) أو إشارات (Signals): Well، وI Mean، وYou Know، وYes...إلخ"[2].

يقوم تحليل النصوص ووصفها في تحليل الخطاب على "وصف البنى المقطعية الأساسية التي يتألف منها البناء النّصي اللاّمتجانس في تركيبته، فإذا كان النّص بنية تكوينية كبرى فإنّه يحيل إلى ترابط مجموعة من البنى الصغرى الأوّلية"[3]. التي ينشيء حبل الوريد الذي يحيا به النص حتى يكتمل نموّه اللغوي الطبيعي، وتعتبر اللغة هنا حجر البناء الذي يشكل الأعمدة البنيوية التي يرتكز عليها نص طال بناؤه. فدراسة الخطاب وتحليله هو إنكباب على " البحث في الأبنية الكبرى المنتظمة بطبيعة العلاقات النحوية الرابطة بينها"[4].

وتحليل الخطاب وفقا ل(دايك) فيعني "تحليل عنصر الانسجام، وهذا الإنسجام بين النص والسيّاق له مظاهر هي: الترابط، وانسجام مكوّنات المقطع اللّغوي الواحد، ثم المقاطع جميعها عن طريق تطابق الذوات المؤلفة لها، والعلاقات المختلفة، ومراعاة الحالة العادية المفترضة للعالم، كما يعدّ ترتيب الخطاب ووقائعه من أبرز مظاهر الإنسجام عند (دايك)، كما أنّ الخطاب التام لديه هو حصيلة هذا الإنسجام، ويميّز النقص في الخطاب عن طريق الاستدلال والتضمين. كما أنّ موضوع الخطاب أو بنيته الكلية مظهر آخر يشي بعنصر الإنسجام"[5] وإذا كان الخطاب يتجلى في استعمال "لكل ملفوظ يتعدى الجملة منظورا إليه من وجهة قواعد تسلسل متتاليات الجمل. ومن هذه الزاوية فإنّ تحليل الخطاب يقابل كل اختصاص يرمي إلى معالجة الجملة كأعلى وحدة لسانية".[6]

تقول الدكتورة مريم الهمامي وهي باحثة لسانية عن الخطاب "فتناول الخطاب بالدراسة يجعلنا نقف عند ضبابية المفهوم، وهي ضبابية يعكسها تعدد المقاربات التي تناولته بالدّراسة. ومما سنسلم به أنّ البحث في الخطاب

---

[1] – وصف اللغة العربية دلاليا،محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا،1993م، ص:135.

[2] – المرجع السابق، ص: 216.

[3] – لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، نعمان بوقرّة، ص: 184.

[4] – الاقتضاء و إنسجام الخطاب ،د. ريم الهمامي، دار الكتاب الجديد المتحّدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م،ص:134.

[5] – الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن ط1، 1429هـ/2008م، ص: 37.

[6] – تحليل الخطاب الروائي، (الزمن–السرد–التبئير)، سعيد يقطين،ص:21.

بحث في وحدة وصفية يزعم أنها تتجاوز عينه الجملة. ولئن كنا نفترض مبدئيا أنّ الخطاب بنية كلية تسيره جملة من الغايات التخاطبية، وأنّ كل مكوّن من مكوّناته لا ينظر إليه منعزلا عن غيره. ولكن في علاقته مع بقية المكونات التي يدخل معها في علاقة تراكب و تعالق هي عندنا علاقة اقتضائية"[1]. والمقصود بالعلاقة الإقتضائية هنا أنّها" ليست إلاّ بنية من أبنية النظام؛ بل هي علاقة ناظمة مجسدة بين مكوّنات الجملة الواحدة"[2]

"إنّ المشكلة التي لازمت تحليل الخطاب هي تحديد موضوعه....وهي مشكلة لازمت الخطاب منذ البداية وستظل لاصقة به رغم التطورات التي طرأت على القضية. فعلى الرغم من كونهما (الخطاب وتحليل الخطاب) غريبين وسط قلعة اللسانيات العتيدة، فإنّ المشكل الذي سيتعرضان له منذ أواسط السبعينات هو أنّهما سيصبحان أهلا لكل المجالات والاختصاصات... وأكثر المشاكل إثارة حسب منكينو في تحليل الخطاب والتي يراها تكمن ليس فقط في مشكلة أن يجد له مكانا ضمن العلوم الإنسانية، ولكن أيضا مشكلة أن يحدد وحدة في داخل النظرية اللسانية مادام لم يحدد بعد منهجيته وموضوعه بالشكل المناسب"[3].

و من هنا فإننا نلحظ جملة من الملاحظات، و هي وجود:

1- رسالة/نص.

2-مخاطِباً (الباث/المتكلم/المنتج/المرسل).

3-مخاطَبا (المستقبل/المتلقي/المشارك).

4-سياق (أي الظروف و البيئة التي أوجدت الرسالة أو النص و هذا مخطط لهندسة الخطاب) (Architecture Discourse) حسب مايك شورت Mick Short.

مخطط يوضح علاقة الخطاب بالسياق وعناصر التخاطب(المخاطِب/الرسالة/المخاطَب).

[1]-الاقتضاء و انسجام الخطاب،د. ريم الهمامي، ص:133-134.

[2]-ينظر، المرجع نفسه، ص:132.

[3] - المرجع السابق، ص: 21-22.

و– محاولة لتحديد تمايز بين النّص و الخطاب:

يجدر بنا أن نتبيّن الفرق الواضح بين النّص والخطاب من وجهة نظر علماء النص وتحليل الخطاب، فعندما نقرأ بعض الدّراسات اللسانية النصية الحديثة نجد كثيرا منها قد استعملت مصطلح النص وهي تقصد الخطاب وأخرى استعملت الخطاب وهي تقصد النص. ولذلك نتساءل ما الفرق بين النص والخطاب، أين يلتقيان وأين يفترقان؟.

السياق

حركة الخطاب بين المرسل والمتلقي

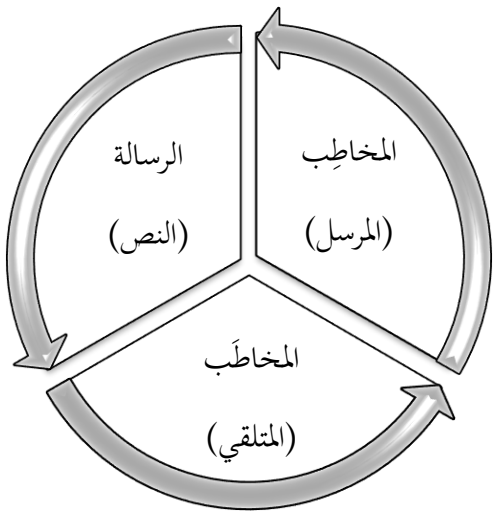

عملية التبادل التخاطبي والتفاعل بين المرسل و المتلقي

لقد استعمل "مصطلح النص في الأدبيات اللسانية تارة مرادفا للخطاب (بوصف الخطاب نصاً وظروف إنتاج) وتارة بوصفه سلسلة جملية مجردّة معزولة عن ظروف إنتاجها"[1]. وشغل مفهوم (الخطاب) ومازال يشغل موقعا محوريا في جميع الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجالات تحليل النصوص، فالخطاب "وسيلة تعبيرية منتجة عن طريق العلامة اللغوية تتيح للإنسان التعايش الجمعي الذي يمكنه من مشاركة الآخرين، والإندماج معهم في

[1]–ينظر، الخطاب و خصائص اللغة العربية،دراسة في الوظيفة و البنية و النمط،د.أحمد المتوكل، ص:21–22.

بوتقة الثقافة الجماعية. فهو فعالية إجتماعية قادرة على استيعاب الأنساق الحضارية وتصويبها وتقويمها وتطويرها"[1].ويأتي مصطلح (الخطاب)مرتبط تمام الإرتباط بدلالته على فعل التّواصل، حيث تحيل كل عملية خطابية على عناصر عديدة للتواصل تشمل المتخاطبين وسياق الخطاب ومقاصده[2].وإذا ما استقرءنا ما ذُكر من تعاريف، "فإنّ الخطاب يطلق إجمالاً على أحد المفهومين يتفق في أحدهما مع ما ورد قديما عند العرب، أمّا في المفهوم الآخر فيتسم بجّدته في الدرس اللغوي الحديث و هذان المفهومان هما:

- أولهما :أنّه ذلك الملفوظ الموجه إلى مخاطبين بإفهامه قصداً معيناً.

- ثانيهما: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة"[3].

فمفهوم الخطاب مثلا عند العرب القدامى يشمل الملفوظ، أي إبلاغ المتلقي (السامع) منطوقاً لغويا، قصد التواصل. وهذا بوجود كل من المتحدث والسامع، ثم تطور مفهومه إلى أنّه استعمال لغوي، يتجاوز فيه مستوى الجملة وهذا دليل على أن مصطلح الخطاب لا يمكن تحديده بمفهوم شامل جامع فمن الصعب إعطاؤه تعريفا ثابتاً قارّاً"[4].و يمكننا أن نجمع الفروق البارزة بين النص و الخطاب في هذا الجدول:

النص	الخطاب
- يتوجه النص إلى متلق غائب يتلقاه عن طريق الرؤية و القراءة. - النّص مدوّنة مكتوبة. - النّص له ديمومة الكتابة فهو يقرأ في كلّ مكان. و زمان. - النّص كلام مكتوب.	- يفترض الخطاب وجود حضوري للمتلقي. - الخطاب نشاط تواصلي يتأسس على اللغة المنطوقة. - الخطاب لا يتجاوز سامعه إلى غيره. - مرتبط بلحظة إنتاجه. - يتعلق الخطاب باللغة الشفاهية (كالنبر-التنعيم-الوقف-الوصل).

[1]- جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوّن، د.لطفي فكري محمد الجودي،ص:72.

[2]- ينظر،المرجع نفسه:72.

[3]-ينظر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدّة، بيروت، لبنان، ط1،مارس 2004م،ص:37.

[4]- ينظر، المرجع نفسه، ص:36.

– قد يترك الكلام المنطوق أثرا كتابيا. -يحكمه نظام لغوي منظم، ولغة فن في الأدب.	– تلقى الخطبة شفاهيا أمام جمهور من الناس. – يحتاج الخطيب إلى الجهر بالخطاب. – إذ كتب الخطاب أصبح نصّاً.

مع الأخذ في الاعتبار أن العلاقة بين (الخطاب) و (النص) علاقة قوية فـ"إذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة و المنشطة بعد الإقتران في الذاكرة من خلال استعمال النّص، فإنّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقة المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما ...أو جملة الهموم المعرفية التي جرى التعبير عنها في إطار ما"[1] .

ومحور محمد العبد ولسانين عرب أيضا فروقا تحد بين النّص والخطاب وهي إضافات إلى ما سبق ذكره لخّصناها في هذه النقاط حسب الجدول التالي[2]:

النص	الخطاب
– بناء لغوي مترابط له دلالة. – له وظائف و مقاصد. – نتاج العمليات الإتصالية. – في الأصل يكون مكتوبا. قد يكون قصيرا أو طويلا.	– موقف تطابقه اللغة. – له وظائف و مقاصد. – موقف أو سلسلة من الواقعات évants يتسع لعرض إنتاجه و تلقيه و تأويله. – في الأصل يكون كلاما منطوقا -طويل(حوار– مبادلة كلامية–وجهة نظر– موقف ما)

ويمكننا أن نلخّص أهم المفاهيم التي جاءت بها نظرية الخطاب و هي :

أ– عند سوسير: يرادف مصطلح الخطاب مصطلح الكلام (Parole) في بنيويته.

ب– عند هاريس: يتجاوز حدود ونطاق الجملة، وهو وحدة لغوية يقوم المتكلم بإنتاجها .

ج– عند بنفيست: اشترط فيه البعد التواصلي، وهو عبارة عن وحدة لغوية تفوق الجملة .

---

[1] –ينظر، النص و الخطاب و الإجراء،روبرت دي بوجراند، ص:06 و ما بعدها.

[2] – ينظر، النص و الخطاب و الإتصال،محمد العبد، ص:6–9.

د- في أغلب المعاجم الفرنسية يقابل مصطلح الخطاب الملفوظ في الفرنسية.[1]

أمّا ميشيل فوكو فقد منحت أعماله " الخطاب كمفهوم ومنهج للتحليل حياةً جديدةً، وفتحت أفاقا حيّة أمام الباحثين في العلوم الإجتماعية، حيث أسس مفهوما للخطاب لا يقوم على أصول ألسنية أو منطقية. بل يتشكّل أساسا من وحدات سمّاها بالمنطوقات، وهذه المنطوقات تشكّل منظومات منطوقية تسمّى بالتشكيلات الخطابية، هذه التّشكيلات تكون دائما في حقل خطابي معيّن وتحكمها قوانين التّكوين والتّحويل. وهكذا، ارتبطت رؤية فوكو للخطاب بالميدان العام لمجموع المنطوقات أو مجموعة متميّزة من العبارات بوصفها تنتمي إلى تشكيلة خطابية محدّدة، تتركب من شبكة معقّدة من العلاقات الإجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه"[2].

إنّ دراسة الخطاب عند باختين تعني دراسة عمليات التّلفظ اللّغوي في سياقاتها الإجتماعية مما يعني أنّ السيّاق الإجتماعي جزء لا ينفصل عن أيّ فعل لغويّ، وأنّ معنى كلّ تلفظ يتضمن وضع المتكلم بوصفه ذاتا اجتماعيا تنعكس على غيرها، كما يتضمن أفق الإستقبال الذي يعني القيم السّابقة للمستمع والتجسّد التاريخي للّغة بوصفها فضاء (أيديولوجيا) تؤسّسه وتتفاعل فيه بوصفها ظواهر إجتماعية، فكلّ خطاب بمثابة فضاء أو (عملية) تتأسس فيها العلاقات بين الأفراد، يتم إنتاج موضوعات المعرفة، وتتولّد مواضعات القيم، وذلك على نحو يميّز كلّ خطاب عن غيره، ويواجه به كلّ خطاب غيره، في علاقات المعرفة التي هي علاقات القوّة والمجتمع[3].

ومن خلال ما سبق فإنّ المقاربة بين المفاهيم اللغوية و الاصطلاحية لكل من الخطاب و النّص يجعلهما يشتركان في الكثير من الخصائص لدرجة أنّ هنا الكثير من الباحثين يرادفون و يساوون بينهما كما استعمل مصطلحا (النّص و الخطاب) في الدراسات اللسانية الحديثة للتعبير عن وصف بنيوى لغوي يفوق نطاق الجملة، دون تميّز كبير بينهما، فعندما يكون الحديث عن اللغة في النصّ من حيث معجميتها وشكلها وبنيتها، يتجّه الباحث نحو استعمال المصطلح الأنسب وهو(النّص)، وحينما يخرج من محتوى اللغة ويتجاوز النص إلى دلالته الاجتماعية والسياقية و التواصلية، فإنّ المصطلح الأنسب هو(الخطاب)، ويفرق بعض الباحثين بين المفهومين على أساس الكتابة، ومن ثمّ التواصل؛ لأنّ المدوّن والمكتوب من منظورهم لا يحقق شروط عملية الاتّصال، لأنّ المتلقي

---

[1]- ينظر،الأسلوبية في النقد العربي الحديث،(دراسة في تحليل الخطاب)، فرحان بدري العربي، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، ط1، 1424هـ-2003م، ص:39-40.

[2]- وينظر،جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوّن، د.لطفي فكري محمد الجودي،ص:79. وينظر، البحوث الكيفية في الدراسات الإعلامية، د. محمد شومان، ص:36.

[3]-ينظر،آفاق العصر، د.جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة،1997م، ص: 68. وينظر،جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوّن، د.لطفي فكري محمد الجودي ،ص:81.

مفقود ولا يكون التأثير عليه مباشرة، فالخطاب هو كلّ ملفوظ قبل تدوينه[1].و"تحليل الإستعمال اللغوي في هيئته النصية لا الجملية هو الهدف المشترك بين النص و الخطاب و الاتصال "[2] وفي النهاية يمكننا القول إنّ مصطلح (الخطاب) يشير إلى الطريقة التي تُشكّل بها الجمل نظاما متتابعا تسهم به في نسق كلّي متغاير ومتحد الخواص، وعلى نحو يمكن معه أن تتألّف الجمل في نظام بعينه لتشكّل نصّا مفردا، أو تتألف النصوص نفسها في نظام متتابع لتشكّل خطابا أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد، وقد يوصف الخطاب بأنّه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلامات، أو يوصف بأنّه مساق من العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض متعيّنة"[3].

وهذا ما جعلنا نشعر بصعوبة تحديد المفاهيم من بداية البحث، ولهذا سنسلك الطريقة التي نرى فيها مقاربة دراسية لتحليل الخطاب وعلم اللغة النّصي، بإعتبارهما علمان ينبثقان من القواعد اللغوية التقليدية في ثوب جديد.

6- النصيّة أو نصّي (Textual):

النصّيّة أو ما يعرف عند أكبر فئة من اللسانيين بـ (Textuality) سواء في الفكر الفرنكوفوني أو الأنجلوفوني، هي الخاصّية الأساسيّة لكلّ كلام، ففي مجموعة أفعال تواصليّة لا يتحدث المتكلمون بكلمات أو جمل، وإنما بنصوص. والنصّ – الموضوع المنفصل- يجب أن يفهم أو يحلل بوصفه مكونا لمجموعة أفعال تواصليّة، و ينبغي في حالات التلقي أن توسّع إلى لعبة تواصليّة انتشاريّة بفعاليّة تساوي الدور المكوّن لمعنى التلقي،[4] وليس من البساطة أن نعطي لأيّ كلام ملفوظ أو مكتوب هذه الخاصية اللسانية، لأنّها تعتمد بالأساس على معايير هي في حدّ ذاتها مقوّمات لتشكّل النص و الخطاب، و تتنوّع هذه المقوّمات بين داخل النّص، وخارجه بم يكفل للنص تمظهره التام والكّلي، فاللغة وسيلة والغاية أوسع مما تحققه اللغة، فهناك عوامل بعيدة عن اللغة تساهم هي الأخرى في إبراق هذه الصفة على النص والخطاب. كظروف الإنتاج، وأسباب النزول، فإنهما يدخلان في علاقة النص والخطاب بالسياق، وليس كلاهما من اللغة.

---

[1]- ينظر، بلاغة الخطاب وعلم النّص، د صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، 1992م، ص: 278.

[2]- ينظر، النص و الخطاب و الإتصال،محمد العبد، ص: 07.

[3] – ينظر، الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي، دراسة أسلوبية، عبد الرحمان حجازي،ص: 21.

[4]- ينظر، دراسة علمية للسرديّة الأدبيّة، نظريّة وتطبيق، شميدت (س.ج)؛ ترجمة: قسم الترجمة في مركز الإنماء القوميّ؛ مجلة العرب والفكر العالميّ، مركز الإنماء القوميّ، بيروت، العدد التاسع، شتاء 1990؛ ص:72.

وحتّى نفرق بين النّص واللاّنص والنّصيّة ذكر علي الجاسم في كتابه (أبحاث في علم اللغة النّصي وتحليل الخطاب) أنّ" اللاّنص: هو مجرد جمل غير متعالقة. وأمّا النّص: فهو مجموعة متتالية من الجمل شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وأخر وارد في جملة سابقة أو لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمّتها سابقة أو لاحقة، فالنّص ليس مجموعة من الجمل فإنّه يختلف عنها نوعيّا. إنّ النّص وحدة دلالية، وليست الجمل إلاّ الوسيلة التي يتحقق بها النّص، وإن كلّ نصّ يتوفر على خاصيّة كونه يمكن أن يطلق عليها (النّصية). ولكي يكون لأيّ نص نصيّة ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النّصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة (الوسائل اللغوية: أدوات الربط بين الجمل)".[1]

وتعتبر"النّصيّة نتاج تشكّل مزدوج مقطعي تداولي لعلّ هذه هي الفكرة المتميّزة للمؤلف، مفهوم المقطع الذي من خلال يضع تصوّرا بنيويا (بمفهوم النظام) تراتبيا للنّص الذي يمكن أن يمفصل إلى مقاطع بفعل التنظيم والتنقيط والشكل. ولكن وهذا هو الأهم بفعل علامات لغوية معيّنة إلى مقاطع حيث يصبح المقطع هو الوحدة المكوّنة للنّص أمّا توجه النّص التداولي فيحدده غرضه وتحدّه العلاقات التي تربطه بمحيطه الخطابي والمرجعي العام"[2]. والمقصود البنية اللغوية المقطعية أجزاء النص المشكّلة له، على أن تربط بينها علاقات في غاية الوضوح، وتكون داخل النّص، وأمّا الوجه التداولي لها فإنّ المحيط هو الذي يتحكم فيها مكانا و زمانا.

ولاشك في أنّ الباحثان ماك هاليداي ورقية حسن نبّها إلى حصول النصّية بتضافر عدّة عوامل دلّ عليها أحد تعريفات النصّ التي قدّموها، ومما جاء في ذلك أنّ النص مرتبط بظروف خارجية عن اللغة ولا يمكن للنصّية أن تتحقق بمعزل عن ذلك" فنحن نستطيع تحديد النّص بطريقة مبسطة بالقول إنّه اللغة الوظيفية، ونعني بالوظيفية–ببساطة– اللغة التي تفعل أو تؤدي بعض الوظائف في بعض السياقات...والنّص أساسا وحدة دلالية... والنّص إنتاج وعمليات... والنّص تبادل المعنى بين المشاركين في الحديث..."[3] وترى الدكتورة خولة طالب الإبراهيمي أنّ الكشف عن النصيّة هي أن"يخضع النّص إلى معالجة عمودية ومعالجة أفقية في نفس الوقت"[4] وهذا العمل هو الذي يكشف نصّيّة النّص، التي "شروطها وقوامها التّرابط والإتّساق والإنسجام"[5].يقول الدكتور عبد

---

[1] – أبحاث في علم اللغة النّصي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم، مراجعة: زيد علي جاسم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2018م،ص:15.

[2] – مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر،الجزائر، ط2، 2006م، ص: 165.

[3] – ينظر: علم اللغة النّصي، إبراهيم الفقي، الجزء1، ص: 30.

[4] – ينظر، المرجع السابق، ص: 170.

[5]– المرجع نفسه، ص: 168.

الرحمن بودرع:"عندما نتحدث عن الإنسجام و التماسك في النص، فإنما نتحدث عن معيارين رئيسين من معايير بناء النص أو ما يدعى بالنصية(Textuality)"[1].

ويرى النقّاد أنها"صفة تنتسب إلى النص الأدبي (الصياغة اللفظية النهائية). وتشير كذلك إلى نقد النّصوص وهو محاولة إعادة تصميم النّص الأصلي باعتباره نشاطا لغويا صرفا دون اعتبار لأيّ عامل من العوامل التي توجد خارج النص"[2]. وهذا ما يعني إسقاط ظروف الإنتاج من عملية النقد، ويصبح فكر الناقد واللغوي هو كشف مدى ارتباط النّص وتماسكه وانسجام أفكاره داخل البنية اللغوية الكبرى لأيّ منتوج فكرى لغوي حتّى نستطيع تبيّن نصيّة أيّ منتوج لفظي أوكتابي. في حين ترى فئة أخرى أنّ ضرورة إدراج عناصر التخاطب ودراستها من حيث علاقاتها فيما بينها، وظروف السياق اللغوي تدخل بقوة حضورها في عملية الدراسة للمنتوج لتبيّن نصيّته من اللاّنصيّته كما يحلو للبعض تسميتها.و"يسمى تتابعا محدودا من علامات لغوية متماسكة في ذاتها، وتشير بوصفها كلا إلى وظيفة تواصلية مدركة"[3] تغرّض نحو تحقيق فكرة محددة مقصودة. فهذا التعريف يركّز على العلاقات بين العناصر اللغوية من جهة ومدى تحقيقها لعملية التواصل بين المرسل والمتلقي. إذ تظهر النصّية بتكامل كلّ العناصر اللغوية والظروف المحيطة بالنّص، وتمكين اللغة من تحقيق علاقة بين أطراف التراسل والخطاب بالتواصل بينهم. فإذا حصل حضور الكلّ وتمّ المقصود وتحققت الغاية، عندئذ نحكم على النّص بنصيّته. ولا تستقيم نصيّة القطعة إلاّ بإنسجامها وهذا يأتي عند إدراج النص ضمن إطار السيّاق ولا يكتمل إلاّ إذا اكتملت كلّ أبعاد النّص وبعده التداولي"[4].

ونظرا لأهميته البالغة في الكشف عن هذه الخاصيّة التكاملية للبناء اللغوي والفكري للنّص، هناك علماء اللغة النّصيون ممن جعلوا مؤلفاتهم تحمل هذا المصطلح، ولعلّ أهمّها، كتاب"هاليداي"و "رقية حسن" (Cohesion in English) وقد أكدّا فيه على التّماسك داخل النّص لدرجة أنّنا نعتقد أنّ التّماسك هو النّص في حدّ ذاته، و أنّ النّص ما هو إلاّ تماسك"[5]. و في هذا الكتاب تطرق الباحثان إلى أمور لغويّة محضة نراها في الكتب اللغوية النّحويّة و البلاغية العربية حاضرة بشكل منقطع النظير كالإحالة بالضمائر و الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة والتكرار والفصل والوصل، والسياق اللغوي وغير اللغوي ...إلخ. وهي قضايا لغوية محضة نجدها في

---

[1]– في لسانيات النص و تحليل الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية،كرسي القرآن وعلومه، عبد الرحمن بودرع، جامعة الملك سعود، السعودية، 1434هـ–2013م،ص:30.

[2]– معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، سفاقص، الجمهورية التونسية، ط1، 1986م، ص: 384.

[3]– التحليل اللغوي للنّص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1425هـ/2005م، ص: 27.

[4] – مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ص: 169.

[5]– ينظر، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي،ج1/ 93.

تراثنا اللغوي العربي القديم مستعملة بشكل لا تستطيع لا كتب النّحو ولا كتب البلاغة الحديثة ، ولا كتب علم اللغة النّصي وتحليل الخطاب التي تنزوي إلى الدراسات اللغوية وتميل إليها، أن تلمّ بها كما حصل في نظيرتها القديمة، إنّه علم متشعب من حيث الروافد ولا يختصر في تخصص لغوي واحد فالنصيّة تثبت بالكشف عن علاقات التماسك وهي علاقات الإتّساق والإنسجام.

وهكذا أصبح الكشف عن التماسك النصيّ وهو أهم ملمح لنصيّة النصوص يفرض وجوده في الدراسات النصيّة، وهو بمثابة محلول للكشف اللغوي عن نوعية العلاقات الإتّساقية والإنسجامية للنص، لأنّ كل جملة يمكنها أن توفر لنفسها عناصر تترابط من خلال ترابطها بالجمل السابقة واللاحقة، وهذا ما عبر عنه في علم النص بالإتساق، حتى أضحى هذا المصطلح الأخير (الإتساق) خاصية من خصائصه النصيّة، و ربما يتطور ويصبح نظرية مستقلة في القريب لإحتوائه على مؤهلات التنظير كونه "مجموعة الإمكانيات المتوافرة في اللغة والتي من شأنها أن تجعل أجزاء النص تتماسك"[1]. ولا يقلّ أهمية عنه معيار الإنسجام، فقد حظي هو الآخر بنفس العناية والدراسة و التطبيق في المجال اللغوي للنصوص. وهذا ما سنتناوله بالدراسة والتحليل في النصوص الموالية.

أ- معايير النصّية (TEXTUALITAT) :

رسم كلّ من درسلر DRESSLER ودي بوجراند BEAUGRAND معالم المعرفة النّصيّة TEXTUALITAT، " فقد جعلا الرّبط النّحوي المعيار الأوّل، ويُعنى بكيفية ربط مكوّنات النّص السّطحي، أي الكلمات، والتّماسك الدّلالي المعيار الثّاني، ويعنيان به الوظائف التي تتشكّل من خلالها مكوّنات عالم النّص. وهكذا فالأوّل ربط بين علامات لغوّية، والثاني ربط بين تصوّرات عالم النّص"[2]. وأشار إلى أنّ المعايير المستعملة في دراسة النّص وتقويمه تعتمد على عوامل عدّة، وهي: العامل اللغوي، والنفسي، والإجتماعيّ، والذهني، وعلى المعايير التي لا غنى عنها لتوافر صفة النّصيّة في تشكيلية لغوية ما، وهي : التّضام، والتقارن، والقصدية، والتقبلية، والموقفية، والإعلامية، والتناص، فضلا عن وجود معايير تنظيمية كالجودة والفعّاليّة والملاءمة، وبيّنا أنّ المرء حين يستغلّ نصّا ما، يقوم ببناء نموذج للمشارك الآخر، وأحيانا يتعدّى إلى بناء نموذج للنموذج الذي يكون الشخص الآخر له من دون أن يستغني عن تكوين نموذج للنّص ذاته بوجود علاقة الإستمرارية، ويعرف النموذج بـ"عالم النّص".[3]

---

[1]- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ،تأسيس نحو النص،محمد الشاوش،جامعة منوبة،كلية الآداب،تونس،2001م، مج1/ 124.

[2] – علم لغة النّص، المفاهيم والإتّجاهات، سعيد حسن بحيري، ص: 145.

[3]- مراجعة كتاب، مدخل إلى علم لغة النّص: تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفجانج درسلر، عاصم شحادة علي، التجديد- المجلد السادس عشر. العدد الحادي والثلاثون، 1432هـ/2012م، ص: 238.

ومن هنا يمكننا أن نؤكّد ضرورة التوسع المعرفي لأيّ عالم يهتم بهذا العلم، أو لنقُل أن تكون معرفته موسوعية، وعارفا حاذقا لقواعد علوم شتّى بما فيها علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والبلاغة العربية التي تزوّد المهتمين بهذا العلم أساسيات اللغة العربية سواء كانت على مستوى الجملة أو على مستوى النص، وكلاهما له صلّة وثيقة بالآخر، كون الجملة العربية تمثل النص في أبسط تراكيبه، والقواعد التي تدرسها هي جزء هام من القواعد العامّة التي تسيطر على الدراسة ككل، لذلك يشترط في صاحب هذا العلم دراية واسعة وإطلاّع عميق على علوم اللغة العربية حتّى يتسنى له ترجيح حكم على حكم، و تعلق لغوي على تعليق لغوي آخر. وهذا ما تسعى إليه علوم اللغة المستحدثة؛ وهو خلق علم لغة شامل و أوسع وموّحد تحت غطاء واحد تحكمه قواعد موّحدة وشاملة تطبق في الكشف عن نصّية النص.

ب– أهمّ المعايير الجامعة لنصّية النّص :

– عند روبرت ألان دي بوجراند Robert Alain de Beaugrand،و ولفجانج أولريخ دريسلر Wolfgang Ulrich Dresslar:

وهي سبعة معايير، شاعت في الدراسات اللسانية الحديثة و المعاصرة و يؤثرها أغلب المتمرسين في هذا الميدان، لأنهم يرون بأنّها الأجدر بإثبات نصيّة النّصوص حسب علمهم، وهي :

1- السبك (الاتّساق) : Cohesion.

2- الحبك (الإنسجام) : Coherence.

3- التنّاص : Intertextuality.

4- السّياق (الموقفية) : Situationality.

5- الإعلامية (الإخبارية): Informativity.

6- القصد (المقصدية-القصدية): Intensionality.

7- القبول(المقبولية-التقبلية) : Acceptability.

ويمكن تصنيف هذه المعايير السبعة في :

أ- ما يتّصل بالنّص في ذاته Texte-centered وهما معيار السّبك والحبك أو كما يسمّيهما آخرون الإتّساق والإنسجام.

ب- ما يتّصل بالسّياق المادي و الثّقافي المحيط بالنّص، وتلك هي معايير التّناص والسّياق والإعلامية.

ج- ما يتّصل بمستعملي النّص سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا User Centered، وذلك معيار القصد و القبول.[1]

- عند حاتم الصّكر :

استنتج حاتم الصّكر مجموعة من المعايير التركيبة و البنيوية في تحديد شامل لهذا المكوّن المركب ،الذي لا يمكن لخاصية واحدة من خصائصه أن تغنيه عن البقية الأخريات ،و من جملة ما ذكره من خصائص ما يلي:

1-النص بنية.

2-مركبة العناصر.

3-موحدة، بمعنى مُنْضمّة إلى بعضها.

4-كلّية، يتكامل بعضه مع بعض.

5-متجانسة و متسقة.

6-ذات أفق دلالي تؤدي إليه المستويات المتعددة.[2]

إن هذه المجموعة من الخصائص بتضافرها جميعا، يمكن أن تحقّق للنص نصيّته التّامة دون أن يبتعد عن أبعاده التداولية، فإن تحققت الغايات والمقاصد وأصبح النص فاعلا ومؤثرا صَبَوْنا به إلى أعلى مراتب الإنتاجية.

- عند إبراهيم الفقي:

اجتهد الأستاذ إبراهيم الفقي في حشر مجموعة من المعايير استنبطها من التعاريف المختلفة للنص وهي:

---

[1] **- ينظر، النص و الخطاب و الإجراء ، روبرت دي بو جراند ، ص :103-106.**

[2] **- ينظر، ترويض النص، حاتم الصّكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط1، 1998م، ص: 42.**

1-كون النص منطوقا أو مكتوبا أو كليهما.

2- مراعاة الجانب الدّلالي.

3- مراعاة التّحديد الحجمي.

4- مراعاة الجانب التّداولي.

5- مراعاة جانب السّياق؛ و هو متعلّق بالجانب السّابق.

6- مراعاة جانب التّماسك و هو أهمّ المعايير التي يقوم عليها التّحليل النّصي.

7- مراعاة الجانب الوظيفي للنّص.

8- مراعاة التّواصل بين المنتج و المتلقي.

9- الربط بينه و بين مفاهيم تحويلية، مثل : الكفاءة و الأداء ... و غيرها.

10- إبراز كونه مفيدا.

وتعد هذه المعايير سمات للنص الكامل؛ وإذا اختلت سمة من هذه السمات يمكن أن نطلق عليها نصا ناقصا، ولذا يمكن أن نعدها شروطا ينبغي توافرها حتى يمكن أن نطلق عليه نصا كاملا.[1] وربّما يكون هذا الإجتهاد الخاص محاولة لجمع معايير النص وقواعده، لكنّ بعض الباحثين لا يعتدّ بهذه المعايير جميعا في التخصصات المختلفة، خاصة في عملية تحليل النصوص لذلك تبقى بَيْنِيَة التطبيق من حيث عددها.

ج- معايير النّصيّة:

أرجع BERTINETTO مقومات النص باعتباره مجموعة من الجمل (أو جملة واحدة) إلى وجوب توفر ثلاثة شروط هي:

1- أن تكون الجمل منسجمة من حيث الموضوع.

2- أن تكون ذات وظيفة تواصلية

3- أن تكون منجزة في عملية تواصلية.

---

[1]- ينظر، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي،ج1 /29.

وأورد DE BEAUGRAND IRE DIESSHER المعايير السبعة التي يريان بأنّها تحكم النص ،وهي:

1- الإتّساق (Cohesion):

هو ما يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على هيئة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق، بحيث يتحقّق لها الترابط الرصفيّ، إذ يمكن استعادة هذا التّرابط على هيئة نحويةّ للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل التكرار، والألفاظ الكنائيّة، والأدوات، والإحالة المشتركة (Co-reference)، والحذف والروابط. ويقصد به عند السّواد الأعظم من علماء التفسير وعلماء النص، بالربط النّحوي وهو عبارة عن" الآليات اللغوية الشّكلية التي تربط بين أجزاء النّص على المستوى السّطحي"[1].و"يعكس هذا الملمح ارتباط وحدات النّص في نصّ ما، ويرتكز على أوجه التّبعيّة النّحوية[2]، وهكذا يكون مجاله البنية السطحية المتكونة من وحدات متضامنة مترابطة، ويسميه البعض الآخر بالحبك (Cohésion): ويتمثل في الترابط الرصفي لجمل وعبارات النّص"[3].

2- الإنسجام (Coherence):

باعتبار أن عالم النص متكوّن من متصورات وعلاقات مقيدة وقابلة للإدراك."هو الآليات التي تتجاوز المستوى السّطحي، إلى مستوى مجموعة المفاهيم الرابطة بين مكوّنات النص"[4]، ويتطلّب هذا المعيار إجراءات تنشط بها عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهوميّ (Conceptual Connectivity) واسترجاعه، وتشمل وسائل الإنسجام على:

أ- العناصر المنطقيّة؛ كالسببيّة والعموم والخصوص.

ب- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

ج- السّعي إلى التّماسك فيما يتّصل بالتّجربة الإنسانيةّ.إذ إنّ ما يدعّم الإنسجام هو تفاعل المعلومات التي يعرّفها النصّ مع المعرفة المسبقة بالعالم الخارجي.

---

[1]-أبحاث في علم اللغة النّصي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم،ص:11.

[2]- مدخل إلى علم اللغة النصّي، فولفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، ص: 80.

[3]- تطبيقات نظرية علم لغة النص، دي بوجراند و دريسلر، على القرآن الكريم، إياد عبد الله، مجلة قرآنيكا، د. عدنان محمد يوسف، د. نورة عزيري إسماعيل، مج9، ع1، يونيو حزيران 2017م، جامعة ملايا، ماليزيا، ص:112.

[4]- أبحاث في علم اللغة النّصي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم، ص:11.

وهناك من يسمّيه بالتّماسك الدّلالي، وهو"استمرار المضمون بمعنى"تشكيل"، فهو ليس مجرّد ملمح للنّصوص، بل إنّه بالأحرى نتيجة عمليات إدراكية لمستخدم النّص"[1]، "ويسمى كذلك بالسّبك (Cohérence)، وهو التّماسك الشّديد أو التّلاحم بين أجزاء النّص"[2].

3- المقبولية Acceptability :

ويرجع أصل التسمية إلى "النسخة اللاتينية من الكتاب المقدّس التي أعدّت في القرن الرابع الميلادي واستخدمت باعتبارها النص المعتمد. وقد اتّسع معنى التعبير وأصبح منطبقا على أيّ نسخة مقبولة لدى الجمهور من عمل أدبي وبعد ذلك اتّسع المعنى- إلى أبعد من ذلك ليعني أيّ نص شائع أو مقبول بشكل عام"[3]. بحيث يظهر فيها "موقف المتلقي من الوقائع النصية التي يتضمنها النص، الذي يفترض فيه أن يحقق له منافع ما، و يزوّده بمعارف جديدة، و ثمّة عناصر تحدّد درجة تقبل الدّارس للقصة أو النص أو المقال، يمكن أن يشار إلى طائفة منها (الأسلوب- مراعاة الميول و الرغبات- احترام الثقافات الأخرى- الصور)"[4].وتتعلّق أيضا بمناسبة النّص للموقف.[5] وهي رهينة عون المتقبل وحسن استعداده.

وتتعلّق المقبولية بموقف مستقبل النّص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص منسجم ومتّسق. ما يعني هذا؛ أنّ النصوص التي يرفضها منطق اللغة والفكر وتكون لغتها ودلالتها غير مقبولة بنية ومعنىً تستثنى من معيار النصوصيّة وتصبح تشكيل لمفردات ينعدم فيها المعنى والدلالة، لأنّ المتلقي يستقبل النصوص قد يقبلها، أو يرفضها، ونقصد هنا بالرفض لسبب معنوي ولغوي مؤسس على علاقة منطقية وقواعدية، ليس بالرفض معارضة الأفكار وعدم تقبلها لعدم تماشيها مع تيّار فكري معيّن.

و"تقع التقبلية أولا على مستوى الجملة ثم تنمو لتعم كامل النص، وهنا يزداد هذا المعيار في التنامي وهذا ما يدل على أنّ المقبولية يمكن أن تكون على مستوى الجملة و على مستوى النص، غير أنها تتطور في الجملة عن النص، حيث تكون المقبولية في الجملة أولاً على مستوى الرصف وصحة القواعد النحوية، ثم يأتي المعنى النصي المتسم بالتماسك"[6].

---

[1]– مدخل إلى علم اللّغة النصّي، فولفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، ص: 80.

[2]– تطبيقات نظرية علم لغة النص، دي بوجراند و دريسلر، على القرآن الكريم، إياد عبد الله، مجلة قرآنيكا، د. عدنان محمد يوسف، د. نورة عزيري إسماعيل، مج9، ع1، يونيو حزيران 2017م، جامعة ملايا، ماليزيا، ص:112.

[3] – معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، الجمهورية التونسية، ط1، 1986م، ص: 384.

[4] – ينظر،أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم، ص:15 –16.

[5] – علم لغة النّص، المفاهيم والإتّجاهات، سعيد حسن بحيري، ص: 146.

[6] – ينظر، نحو النص اتجاه جديد في الدّرس النحوي،د.أحمد عفيفي،ص:89

و"يحظى هذا المفهوم داخل النّحو التوليدي بدور منهجي مهم ضمن تأسيس المعطيات التي تسمح بوصف كفاية الفاعل المتكلّم. إذ يستطيع هذا الأخير أن يقرن كلّ جملة بحكم حدسي يثمّن من خلاله مدى مقبوليتها.في الوقت الذي ترتبط به بعض الجمل بأحكام ثابتة، لا تتغيّر باستهداف الذّات ولا حتّى باستهداف ظروف التلفظ كما هو حال الجملتين(1)و(2) حيث تعدّ الأولى جملة نحوية والثانية جملة غير نحوية:

- 1- Que veut tu manger?

- 2- Quoi veut-tu manger?

و يبدو أنّ أحكام المقبولية، تبدو في عديد الحالات أقلّ وضوحا، على غرار جملة من قبيل(3)

- 3- C est le Chevale Qui est Le Poème.

كون هذه الجملة، تظل غير مقبولة في الخطاب اليومي، فهي لا تحظى بالقبول إلاّ ضمن سياق خاصّ (نصّ أدبي مثلا)"[1]

4- القصدية (المقصدية) Intensionality:

يعني بالقصد "التّعبير عن هدف النّص أو تضمّن موقف منشئ النص من كونه صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصّا يتمتع بالسبك والإلتحام وأنّ مثل هذا النّص وسيلة Instrument من وسائل متابعة خطة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها"[2] **فالمتتالية في النص خاضعة لقصد المتكلم وخطته.** وفي هذا يعتمد صاحب النص على مجموعة الصّور والأحداث اللغوية التي يتبّع فيها طريقة معيّنة يقصد بها أن تكون نصاً يتصف بالسبك والإلتحام .

وهي تعبير عن هدف النّص[3]، ويقابلها في الإنسجام مبدأ تغريض النص، أي توّجه الكاتب/المنتج إلى غرض أو هدف معيّن ومقصود ينصبه في نهاية النص أو الخطاب، ويظهر ذلك بوضوح في الخطابات الهادفة، (الدينية والسياسية...) وهي تعبّر عن موقف منتج النّص في بناء نصّ مترابط ومتماسك حتّى تبث بذلك معرفة أو يتوصّل إلى هدف مرسوم في خطة معيّنة، ولا يصير تتابع العلامات نصّا إلاّ من خلال هذا الملمح الجوهري[4]،

---

[1] – المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور، ترجمة: عبد القادر فهيم الشيباني، ص: 09.

[2] – النص والخطاب و الإجراء،روبرت دي بوجراند،ص:103.

[3] – المرجع السابق، ص: 146.

[4] – مدخل إلى علم اللغة النصّي، فولفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري،ص: 81.

"وقد ذكرها ريتشاردز (Richards) في كتابه المشهور عن النقد التطبيقي (1929م) Practical Critivism: إنّ القصيدة لها دلالات أربع: الأولى: ما أسماه بالمعنى Sense أي ترجمة كلمات المؤلف إلى مدركات ذهنية متواضع عليها"[1]. ثم ذكر الدلالات الثلاثة الباقية. فـ"كلمات النّص ما هي إلاّ رموز لأفكار المؤلف"[2]." وهناك مدى متغيّر للتغاضي Tolerance في مجال القصد، حيث يظل القصد قائما من النّاحية العملية حتّى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والإلتحام، ومع عدم تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوّة. وهذا التغاضي عامل من عوامل ضبط النظام Systemic Regulation يتوسط بين المرتكزات Strategies اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للموقف"[3].

ويرمي هذا المعيار "إلى الكشف عن مرامي منتج النّص الذي يستفيد من عناصر الإتّساق والإنسجام، فيوّزع، شبكة المعلومات على نحو يحقّق أهدافه"[4]. وكإجراء تحليلي للنّص فإنّه يزيل الإلتباس عند التأويل وتعدد الدلالات، وقد أخذ هذا العنصر في الدراسات القرآنية القديمة و الحديثة حضا وافرا من الدراسة إذا ما قورن مع المقبولية كون النص/ الخطاب القرآني حوى على آيات تنص على أحكام مقصودة ومحددة.

– بين المقبولية والقصدية:

يمثل هذان المعياران طرفي العملية الإتصالية، فالقصدية تمثل المرسل بالدرجة الأولى، والمقبولية تمثل المستقبل وردة فعله لما يتلقى"[5]"و هما يربطان منتج النص بمتلقي النّص، فمعيار القصد يوضّح هدف منشئ النّص، فليس نصّا ما هو خطأ أو لغو الكلام و حشوه..أما معيار التقبلية، فهو أن النّص مقبول لدى المتلقي"[6].

و"تتعلّق بموقف المتلقي الذي يقرّ بأنّ المنطوقات اللغوية تكون نصّا متماسكا مقبولا لديه"[7] وهي متعلقة "بموقف متلقي النص لتوقّع نص مترابط ومتماسك (وهو الإبراز لدى ق.هاينه مان W.H) يعدّ مفيدا وثيق الصّلة. ويطرح السّامع هنا شروط المعرفية بمعنى مدّ الإستدلال بوصفه إسهاما/ في إنتاج التّماسك ومغزى النّص."[8]

---

[1] – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ص: 265.

[2]– المرجع نفسه، ص:265.

[3]– النص والخطاب و الإجراء،روبرت دي بوجراند،ص:103–104.

[4]– أبحاث في علم اللغة النّصي، جاسم علي جاسم، ص:15.

[5]–الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب،خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع،عمّان، الأردن، ط1، 1430هـ – 2009م، ص:94.

[6]–ينظر، تطبيقات نظرية علم لغة النص، دي بوجراند و دريسلر، على القرآن الكريم، إياد عبد الله، د. عدنان محمد يوسف، د. نورة عزيري إسماعيل، مجلة قرآنيكا، مج9، ع1، يونيو حزيران 2017م، جامعة ملايا، ماليزيا، ص:112.

[7] – علم لغة النّص، المفاهيم والإتّجاهات، سعيد حسن بحيري، ص: 146.

[8] – مدخل إلى علم لغة النصّ، فولفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، ص: 81.

وهنا ننبه إلى ضرورة التمييز بين النّص المقبول نحويا وتبليغا، "ضمن بعض السياقات، بين (المقبولية) والنحوية. فالجملة النحوية هي التي تخضع في إنتاجها لقواعد النّحو، أمّا الجملة المقبولة فهي الجملة المحكمة، التي لا يرتبط حكمها بالنّحو فحسب، (فقولنا مثلا: أنت ترزان وأنا جان، هي ببساطة جملة مقبولة داخل سياقها، على الرّغم من كونها جملة غير نحوية)، فهي كثيرا ما تترك مجالا للرّيبة، وذلك لأسباب مختلفة (الوسط الإجتماعي للمخاطب: في قولنا (أين ما هو عنوانك؟) كما أنّ هناك صعوبات متعلقة بالمعنى: الأفكار الخضراء عديمة اللّون، تنام غاضبة"[1] .

والمقبولية هي"جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في إستغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها"[2].ولقد نبّه حازم القرطاجني إلى ذلك من خلال حركة المعنى في النّص التي يظهر في"حسن الإطراد والتناسب والتّلطف في الإنتقال عن جهة إلى جهة والصيرورة من مقصد إلى مقصد"[3]. لأنّ"إنتاج النص لا يكون إعتباطيا أو عشوائيا، بل يرتبط بخطة و هدف يراد تحقيقه منه"[4]، و هذا يعني بأنها تتعلق بالمرسل فهو الذي يكيف لغته حسب ما يريده من قصده.

وفي الجهة المقابلة للمرسل، فإنّه"غالبا ما يوجه النص إلى مستقبل محدد وبذلك يحمل النص مادة معرفية أو عاطفية تلبي حاجة معيّنة لدى المستقبل، ولكن بعض النصوص تحمل رسالة إلى فئات كثيرة من المستقبلين مثل النصوص المتضمنة مادة علمية وتطبيقية، أمّا النوع الثاني فأكثر ما ينطبق على النص القرآني لأنّه بالفعل –وثبت هذا على مرور الزمن– يحمل رسائل متنّوعة للإنسانية، فهو عقيدة تعرّف الناس بعلاقاتهم مع الخالق، وهو شريعة وأحكام فقهية تعرّف الناس بعلاقتهم فيما بينهم، وهو كذلك معاملات تنظيم شؤون المجتمع وغيرها من الأحكام التي يتضمنها هذا النص"[5].

وإذا كانت المقبولية مرتبطة بمنتج النص ومتلقيه، فإنه يجب ألاّ نغفل تلك الظروف التي تحيط بهما في السياق أو الموقف، لغوياً أو غير لغوي فهو الذي يساعد على الحكم "بالقبول أو عدمه من خلال مجموعة القواعد الحاكمة التي يُشير إليها جون لاينز، حيث إن نظرية السياق عنده لا تعتبر الجملة كاملة المعنى Meaningful

---

[1] – المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور، ترجمة: عبد القادر فهيم الشيباني، ص: 10–11.

[2] –ينظر،مدخل إلى علم لغة النص،إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط2، 1999م،ص:157.

[3] – منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم و تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،ط3، 1986م، ص:364.

[4] – الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب،خليل بن ياسر البطاشي،ص:89.

[5] – المرجع نفسه،ص:89.

إلاّ إذا صيغت طبقا لقواعد النحو، وراعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة، وتقبلها أبناء اللغة وفسروها تفسيراً ملائماً، وهو ما أطلق عليه اسم التقبلية Acceptality "[1].

"و تعد المقبولية خاصية تساعد على تفادي مشكلة عدم القدرة على تقعيد اللغة تقعيداً كلياً؛ أي أن هناك عجزاً عن الإلمام في أثناء تقعيد اللغة بكل الخطابات اللغوية في اللغة الواحدة، إذ يبقى هناك تجاوزات من قبل مستخدمي اللغة يتجاوزون بها القانون اللغوي المتعارف عليه في أثناء الإجراء الإتصالي، فاللغة ظاهرة إنسانية، وحاجات الإنسان متجددة حسب الزمان والمكان والظروف التي تحيط به، وهنا تتدخل خاصية المقبولية للنصوص إذ يكون المتلقي في ظل هذا التجاوز –واعياً بمقصد المتكلم "[2]. وكأنّ المتلقي يكون لديه حدس مسبق حول ما سيقال بناء على معطيات لغوية و سياقية.

5– الإخبارية: الإعلاميّة (Informativity):

ومصدرهما الإخبار والإعلام ومعناهما في"اللغة الإنباء، والإعلام، وهو في مصطلح النّحاة إسناد المحمول إلى الموضوع،كإسناد الخبر إلى المبتدأ. وحرفا الإخبار هما (قد) و (هل) التي بمعنى(قد)"[3]. وهو عند أهل النّص معيار يؤكد على وجود مضمون[4]. وتسمّى كذلك بالإبلاغية، و"تتعلّق بتحديد جدّة النّص، أي توقّع المعلومات الواردة فيه أو عدم توقّعها"[5]، أي مدى وإمكانية "توقّع عناصر النّص المقدّمة أو عدم توقعها أو معرفتها، أو عدم معرفتها/غموضها. ففي الواقع إنّ كلّ نصّ هو إخباري على نحو ما، إذ إنّه ينقل على الأقل معلومة صغرى. غير أنّ مقدار الإبلاغية هو ما يوجّه اهتمام السامع: فإبلاغية ضئيلة للغاية (أشكال الابتذال والبديهيات؛ لمجموعة محدّدة من السّامعيين) تنتج مللا، ويمكن أن تؤدي إلى رفض نصّ ما، فإنّها تشقّ على الشّريك ويمكن أن تدفعه إلى التّحول عن ذلك النّص. ولذلك يشكّل القدر المناسب من الإبلاغية في نصّ ما –التّابع للمقصد والتوقع والموقف–مكوّنا نصيّا جوهريا، ويكوّن مقدار التواصلية"[6]. لذلك يجتهد المنتجون في تبريز المعاني واستخراج طاقاتها لبيان الغرض من النص بداية من الجملة الأولى، كما أنّها توفر عنصرا مهما لمتابعة الأحداث والأخبار في النصوص السردية، ونجد هذا المعيار يكاد يتوازى مع النمّو الواضح للمقاصد داخل النص، بيد أنّه يظل معيارا من المعايير التي تهتمّ بنقل الأخبار والمعلومات حتّى أصبح من خاصيّة من خصائص النّصوص الإعلامية والإشهارية التّسويقيّة.

---

[1]–ينظر،نحو النص اتجاه جديد في الدّرس النحوي،د.أحمد عفيفي،ص:89. و ينظر، علم الدلالة، أحمد عمر المختار، ص:77.

[2]– المرجع السابق،ص:94.

[3]– موسوعة علوم اللغة العربية،إميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 2006م،ج1/288.

[4]– ينظر، تطبيقات نظرية علم لغة النص، دي بوجراند و دريسلر، على القرآن الكريم، إياد عبد الله، مجلة قرآنيكا، د. عدنان محمد يوسف، د. نورة عزيري إسماعيل، مج9، ع1، يونيو حزيران 2017م، جامعة ملايا، ماليزيا، ص:112.

[5]– علم لغة النّص، المفاهيم والإتّجاهات، سعيد حسن بحيري، ص: 146.

[6]– مدخل إلى علم لغة النصّ، فولفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، ص: 81.

ويمكن القول بأنّها العوامل المؤثّرة بلا حتميّة الحكم على الوقائع النّفسيّة، أو الوقائع في عالم نصّي في مقابل البدائل الممكنة. فالإعلاميّة تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الإختيار الفعليّ لبديل من خارج الإحتمال. ويرى (دي بوجراند) أَنَّ اثنين من هذه المعايير السبعة لهما صلة وثيقة بالنصّ؛ وهما (الإتّساق والإنسجام)، واثنين منهما نفسيّان؛ هما (رعاية الموقف والتناصّ). أمّا المعيار الأخير (الإعلاميّة) فهو بحسب التقدير[1]. وعادة ما تكون البدائل لغوية داخل النصوص ومعجمية كالإستعانة بالمترادفات والأضداد لتحقيق أكبر قدر من إبلاغية النّص، بتوظيف نصيب ضئيل من الألفاظ والعبارات، فلغتنا لغة معاني؛ وهذا ما يجعلنا نشقّ لأنفسنا أخصر السبل وأبلغ الألفاظ لتحقيق المعاني؛ عندئذ صحّ لنا القول أننا حقّقنا أكبر قدر من الإبلاغية أو الإعلامية.

ويعبّر عنها بالعلاقة بين المتوقع وغير المتوقع، وبين عون المتقبل والفائدة[2]. ويعطي هذا المعيار للمتلقي حسّ حدسي يتوقّع من خلاله حتى السياقات التي يمكن أن تتبع أخواتها السابقة، وتتعلّق الإعلامية أو الإخبارية بإمكانية توقّع المعلومات الواردة في النّص أو عدم توقّعها على سبيل الجدّة، ولهذا يشير اِحتمال وروده في موقع معين(أي إمكانية توقّعه) بالمقارنة بالعناصر الأخرى في النص نفسه من وجهة النظر الإختيارية، وكلّما بعُدَ اِحتمال ورود بعض العناصر، ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية[3]. ويشترط فيها أن"يتضمن النص عناصر جديدة، وطريقة تخالف توقّعات المتلقي، وتحقق مقاصد منتج النّص على النّحو الذي يرتفع به الكلام في سلم النّصية، وعليه؛ فسوف تنتفي القصّة أو النّصوص، أو المقالات التي تثير انتباه الدّارسين وتتعلّق بها قلوبهم"[4]. حتّى لا يبدو النّص وكأنّه نصّ مجتّر يكون الخبر فيه سابق لذكره، فيهيم فيه المتلقي بين الجديد، وما يعتقده قديما ولم يحدث جديدا يذكر من حيث الإعلامية والإخبارية.

ولهذا لابدّ أن يحمل النّص دلالات يريد المبدع إيصالها للمتلقي عن طريق النّص اللغوي، إذ لو جاء النص فارغا المحتوى من الدلالة، فليس نصّا ولا علاقة لنّحو النّص به، بل لابدّ لهذه الدلالات أيضا من الترابط(الإتساق)و الإنسجام .لإنّ الإعلامية ترتبط بإنتاج النّص، وإستقباله لدى المتلقي ومدى توقّعه لعناصره[5].

---

[1]- ينظر، النص والخطاب و الإجراء،روبرت دي بوجراند، ص: 106.

*يذكر حسن سعيد بحيري نقلا عن (دي بوجراند) و (درسلر): (أن الإعلاميّة ورعاية الموقف هما المعياران اللذان يتصلان بالسياق الماديّ والثقافيّ المحيط بالنصّ). ينظر:حسن سعيد بحيري ؛علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات ص: 169.

[2] –ينظر، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المجلد 1، ص: 105– 106.

[3]– النص و الخطاب و الإجراء،روبرت دي بوجراند، ص:249.

[4]– أبحاث في علم اللغة النصي و تحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،ص:17.

[5]– ينظر،نحو النص،إتجاه جديد لنظرية علم النص،دأحمد محمد عفيفي،ص:86.

وينبّه علماء النّص إلى عدم الأخذ بالوظيفة الإعلامية وإسقاطها على الجملة وحصرها فيها، إذ "إنّ الجملة ليست هي الوحدة القاعدة للتبادلات الكلامية والخطابية بل النّص هو وحدة التبليغ والتبادل.ويكتسب النّص انسجامه وحصافته من خلال هذا التبادل والتفاعل. فينبغي إذن؛ أن نتجاوز إطار الجملة لنهتم بأنواع النسج النّصي التي يحدثها المتكلمون أثناء ممارستهم الكلامية"[1]. لأنّ النص هو المبلغ الحقيقي، وكلما زادت بنيته ضاقت فجوة الإبهام، وحصل تقارب بين المرسل و المرسل إليه، إلى أن يصل المبلّغ/المرسل إلى غايته ومقصديته.

6- الموقفية (رعاية الموقف) Situationality:

عرّفها علماء النّص بأنّها "مجموع العوامل التي تجعل نصّا ما ذا ارتباط وثيق بالموقف الإتّصالي، لذلك لا يوجد نصّ بدون ارتباط بالموقف، لأنّ معنى النّص واستعماله يتحدد من خلال الموقف"[2]، و"يمثل مصطلح (رعاية الموقف) تسمية عامّة للعوامل التي تقييم صلة بين النص وموقف لواقعة ما؛ سواء كان موقفا حاضرا أم قابلا للاسترجاع، وقد عبّر علماؤنا القدامى والمعاصرون عن هذا المصطلح بقولهم :المقام، والظروف الكلامية ومقتضى الحال، وسياق الحال، ويستفاد من هذا المعيار بأن يقع الإختيار على القصّة أو النّص أو المقال التي يعين سياقها اللغوي وسياق الموقف استجلاء مضمونها"[3]. أي أن يكون النص مفيدا في مقام معيّن [4].و"ترتبط بالموقف أو المقام الذي أنشئ من أجله النص،و تتضمن المقامية أو رعاية الموقف كما يقوم دي بوجراند، العوامل التي تجعل النص مرتبطا كموقف سائد يمكن استرجاعه"[5].ومن هذا نلمس الدّور الذي تقوم به البيئة في تنشئة النّص وفي فهم مضمونه وتقصي دلالاته. ويكون للبيئة والظروف المحيطة بالنّص دور كبير في عملية خلق النّص وانسجامه مع الموقف الاتّصالي.كما أنّ هناك من يطلق عليها مصطلح المقاميّة. ويأتي النصّ في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيّره. وقد لا يوجد إلاّ القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الإتّصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربّما توجد وساطة جوهريةّ كما في قراءة نصّ قديم ذي طبيعة أدبيّة حول أمور تنتمي إلى عالم آخر(مثلا: ملحمة كلكامش، أو الأوديسا).

وهذا المعيار يدرج طرفي الإتّصال والتخاطب في ظروف تخاطبية واتّصالية واحدة، وهي التي تحدد السياق الذي دار فيه نص الإتّصال والتّخاطب، لأنّ مدى رعاية الموقف يشير دائما إلى دور طرفي الإتّصال على الأقل،

---

[1]- علم لغة النّص، المفاهيم والإتّجاهات، سعيد حسن بحيري، ص: 168.

[2]- مدخل إلى علم لغة النصّ، فولفجانج هاينه مان ديتر فيهقجر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، ص: 81.

[3]- أبحاث في علم اللغة النصي و تحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،ص:16.

[4] - ينظر، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المجلد 1، ص: 105- 106.

[5] - ينظر،النص و الخطاب و الإجراء، روبرت دي بوجراند، ص:104.

وإذ كان هذا المصطلح يعني إرتباط النص بموقف سائد يمكن إسترجاعه فإنه يعد معيار الإعلامية أو الإبلاغية (Informativité)، والمقامية أو رعاية الموقف (Contextuality) البديل الحديث للبلاغة التقليدية"[1].

ويجدر بنا هنا أن ننبّه إلى ما فرقّ به كل من (كوزريو) و(بحيري) بين الموقف والسياق؛ فالسياق (Context) هو المحيط اللغويّ الخالص للعلامة في النصّ، أي ما قيل وما سيقال. أما الموقف (Situation) فهو المحيط غير اللغويّ للعلامة، أولسلسلة من العلامات بما فيه من ظروف وملابسات تصاحب الحدث اللغويّ، فضلا عن معلومات يتجاوزها المتكلم والمستمع، إذا كانت معلومات تقع بينهما[2]. حتّى لا يلتبس بما هو سيذكر في الفصول التابعة لهذا الفصل من هذا البحث.

7- التناصّ (Intertextuality):

نظرية التناص نظرية"ولدت في حقول السيميائية والبنيوية، وانطلقت شرارتها الأولى من الشكليين في كتابات سلوفيسكي وباختين، حتى عملت الناقدة البلغارية "جوليا كريستيفا" على صياغة الرؤية المكتملة للنظرية، مستخدمة للمرة الأولى مصطلح التّناص في كتاباتها بين عامين 1967/1966م، وكانت مع ذلك معنية بالنتاج الأدبي، فأهملت التلقي والقارئ"[3]."و ظل مفهوم التناص مرتبكا ما بين 1979-1982م، ثم دخل بعد عام 1982 مرحلة النضج"[4]. ويذكر الدكتور حسين جمعة أن نظرية التناص تدين بنشأتها لجملة من النظريات الغربية أولا. و تعد إمتداد لثقافات أخرى كالعربية[5].

وقد ظهر المفهوم مؤصلا في الثقافة الغربية بداية من رولان بارت في دراسته عن "نظرية النص" حيث يرى أن:"كلّ نص هو تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصّية على الفهم بطريقة أو بأخرى، إذ نتعرف على نصوص الثقافة السابقة والحالية، فكل نص ليس إلاّ نسيجا جديدا من

---

[1] – ينظر، تطبيقات نظرية علم لغة النص، دي بوجراند و دريسلر، على القرآن الكريم، إياد عبد الله، مجلة قرآنيكا، د. عدنان محمد يوسف، د. نورة عزيري إسماعيل، ص:113.

[2]–ينظر، اتجاهات معاصرة في تحليل النصّ، سعيد حسن بحيري، مجلة علامات في النقد؛ إصدار النادي الثقافيّ جدة،ج 8 / م 103، ديسمبر 2000م، ص:160.

[3]– ينظر،بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بأسيوط،الإمام عبد القاهر الجرجاني وجهوده في إثراء علوم اللغة العربية، ظاهرة التناص بين الإمام عبد القاهر الجرجاني وجوليا كريستيفا،د.علاء الدين رمضان السيد، جامعة الأزهر، نوفمبر2014م، المجلد3، ص:1387.

[4]–ينظر، التناص بين التراث والمعاصرة، د.لوشن نور الهدى، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها،مكة المكرمة، صفر،1424هـ/2003م، العدد26، المجلد15، ص:1020.

[5]– ينظر بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بأسيوط،الإمام عبد القاهر الجرجاني و جهوده في إثراء علوم اللغة ،ظاهرة التناص بين الإمام عبد القاهر الجرجاني جوليا كريستيفا،د.علاء الدين رمضان السيد،جامعة الأزهر،المرجع نفسه، ص: 1411.

استشهادات سابقة"[1]والتناص عند بارت:"نسيج من الإقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله"[2].وهو بذلك يلمّح إلى إمكانية احتواء النّص على نصوص أخرى تخترقه وتتواجد بداخله، وبالتّالي فإنّ التّناص هو"العلاقة المتولّدة داخل النّص بين أجزائه أو مع نصوص أخرى، وهذا المعيار ذو صلة وثيقة بأسلوب النّص"[3].

"وقدظهرت مصطلحات عديدة في الحقل البلاغي العربي القديم، تشير إلى (التناص) وتمثل له، من مثل:الاستحياء، والتلميح، والتضمين، و الاقتباس..إلخ."[4]. فقد نشأت"فكرة التناص في الثقافة العربية في ربوع الدراسات القرآنية التي استمد منها مرجعيتها أولا"[5]. وقد أشار عبد القاهر إلى ظاهرة شبيهة بالتناص، وهي سرقة النصوص من أصحابها ونلمس ذلك في قوله:"فإن زعمت أنّك جعله قائلا له من حيث إنّه نطق بالكلمة وسمعت ألفاظها من فيه على النسق المخصوص، فاجعل راوي الشعر قائلا له:فإنّه ينطق بها، ويخرجها من فيه على الهيئة والصورة التي نطق بها الشاعر"[6].

ويكون التّناص إمّا مباشرا، ومنه السّرقة والإقتباس والتضمين والأخذ والإستعانة والمعارضة والحل والاستشهاد والتعاضد، أو يكون غير مباشر ومنه :المجاز والتلميح والتوليد والإيحاء والتلويح والكناية والرمز وبعض صور التضمين ...[7].كما يراد به العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى ذات صلة..وعلى ذلك يفضل أن تشتمل القصة أو النص أو المقال على شواهد قرآنية أو حديثية أو شعرية تتقاطع مع أحداث القصة ويوظف هذا المعيار- أيضا- في التدريبات من خلال الإختيار من متعدد[8].

---

[1]-ينظر، من الأثر الأدبي إلى النص، رولان بارت، ترجمة:عبد السلام بن عبد الله، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، آذار 1986م، العدد38، ص:115.

[2]-ينظر، التناص بين التراث والمعاصرة، د.لوشن نور الهدى، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد26،المجلد15،ص:1022.

[3]- ينظر، تطبيقات نظرية علم لغة النص، دي بوجراند و دريسلر، على القرآن الكريم، إياد عبد الله، مجلة قرآنيكا، د. عدنان محمد يوسف، د. نورة عزيري إسماعيل، ص:113.

[4]- ينظر،بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بأسيوط،الإمام عبد القاهر الجرجاني و جهوده في إثراء علوم اللغة ،ظاهرة التناص بين الإمام عبد القاهر الجرجاني جوليا كريستيفا،د.علاء الدين رمضان السيد،جامعة الأزهر،المرجع نفسه، ص:1412.

[5]-ينظر، المرجع نفسه، ص:1411.

[6] -دلائل الإعجاز،أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني،تعليق:محمود محمد شاكر،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، ص:38.

[7]-ينظر،انفتاح النص الروائي، النص والسياق،سعيد يقطين،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط2، 2001م، ص:97 وما بعدها.

[8]-ينظر،أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل ،جاسم علي جاسم، ص:17، وينظر،نحو النص:اتجاه جديد في الدرس النحوي،د.أحمد عفيفي،ص:81.

ولم يتفق المترجمون والنقّاد العرب المعاصرون على تقريب مصطلح التّناص(Intertextuality) فبعضهم يعرّبه: التناص وآخرون التّناصية، وفريقا ثالث بالنّصوصية، ورابعا بتداخل النّصوص، ومن المصطلحات التي شاعت: التناص، وما قبل النّص، وما بعد النص، وما وراء النص، وما فوق النص، وما تحت النص، وما بين النص، والنص المفقود، والنص الظل، والنص الموازي، والنص المسكوت عنه، والنص الغائب، والنص المبدد، والنص السابق، والنص اللاحق... وغير ذلك من المصطلحات"[1] "و يمثل التناص امتصاص نصوص متعددة داخل النص"[2] أي أن يكون استعمال النص رهين المعرفة بنص أو نصوص متقدمة عليه [3]. وهذا يعني بأن تشارك مجموعة من النصوص من ثقافات مختلفة وبعلاقات شتى في عملية إنتاج المعنى الموصل إلى تحقيق الهدف.

وهكذا سيكون للتناص بهذا المفهوم دور كبير في نحو النص،حيث سيؤكد وجود الروابط على مستوى النص الواحد، وذلك إذ ما لاحظنا علاقة الجواب بالسؤال أو علاقة المفسر بالمفسر؛ كذلك سيخدم المعنى في تقليل الاحتمالية الدلالية، أو ربما تحديد المعنى الذي يغمض على المتلقي[4].

د- خلاصة عن المعايير النّصيّة:

كل هذه المعايير وإن اختلف البعض في تصنيفها؛ فمنها ما يتعلق بالنص، ومنها يتعلق بالمتلقي، ومنها ما يتعلّق بالمنتج(المرسل).فإن كان د. أحمد عفيفي يرى أن معيار التناص"يدخل ضمن إطار ما يتصل بالنص وسياقه. مرتبطين معا، لا كما صنّف من قبل؛ ولا كما صنّفه روبرت دي بوجراند، حيث صنّفه هو والمقامية (رعاية الموقف) ضمن عوامل نفسية"[5].حين قال "ومن هذه المعايير السبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص(السبك والالتحام)، و اثنان نفسيان بصورة واضحة (رعاية الموقف والتّناص) أمّا المعيار الأخير الإعلامية؛ فهو واجب التقدير"[6].وترك دي بوجراند المعيارين المتّصليْن بمنتج النص ومتلقيه (القصد و القبول) دون أن يصنفهما، كما ترك (الإعلامية) لتقدير المنتج والمتلقي وأشار في الأخير إلى أنّ هذه المعايير السّبعة التي سبق ذكرها هي ما يتميّز بها النص عن غيره من اللانص..ولهذا يفرّق الكثير من الباحثين بين نحو النص و نحو الجملة، من

---

[1]- ينظر،التناصية في: دراسات في النص والتناصية، ليون سمفل، ترجمة: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998م، ص:109.

[2]-علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1997م، ص:78.وينظر، التناص بين التراث والمعاصرة،د.لوشن نور الهدى،مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها،مكة مكرمة،صفر،1424هـ/2003م، العدد26، المجلد15، ص:1022.

[3] -ينظر، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المجلد 1، ص: 105- 106.

[4]- ينظر،نحو النص،اتجاه جديد في الدرس النحوي،د.أحمد عفيفي،ص:83.

[5]-ينظر،المرجع نفسه، ص:76.

[6]- ينظر، النص الخطاب و الإجراء، روبرت دي بوجراند، ص:106.

خلال المعطيات السابقة، و يستقل نحو النص عن نحو الجملة بمجموعة من الصفات أو المعايير الخاصة التي تستقى كلّها من النّص، بما يحتويه من (تناص) في داخله (وقصد) المتكلم في تعبيره عن الهدف، و(قبول) المتلقي، والمقام الذي يقدم فيه النّص و(الإعلامية المرتبطة) بتوقّع معلومات معيّنة هي أكثر ارتباطاً بالموقف من غيرها مما لا يدخل كثيراً في حسابات نحو الجملة، وإن احتاج إلى بعض ذلك أحياناً[1].

ثالثا: مصطلحات قرآنية مهمّة:

1- في مفهوم القرآن:

اختلف العلماء في لفظ القرآن من جهة كونه مهموزا أو غير مهموز؛ أمّا القائلون بأنّه مهموز فإختلفوا على رأين:

-الرأي الأوّل:

قال أصحاب هذا الرأي بأنّ القرآن مهموز و هو مصدر(لقرأت). بمعنى تلى كالرجحان و الغفران، سمّي به الكتاب المقروء، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزّل على النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من باب تسمية المفعول بالمصدر. و يشهد لهذا الرأي ورود القرآن مصدر بمعنى القراءة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17)** ﴾ (سورة القيامة:17).أي قراءته[2] ومن هؤلاء ابن العباس. قال أبو عبيدة: وسمّي بذلك، لأنّه جمع السوّر بعضها إلى بعض.[3]

-الرأي الثاني:

قال جماعة منهم، هو مشتق من (القُرْء) بمعنى الجمع. يقال في اللغة:قرأت الماء في الحوض؛ أي:جمعته، ومنه قولهم ما قرأت هذه النّاقة سلى قطّ.كأن يراد أنّها ما حملت قطّ،كما قال الشّاعر:

-ذِرَاعَيْ عَيْطَلَ،أَدِمَاءُ بَكْرٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِيناً

---

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص:89.

[2]-ينظر،لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم إبن منظور الإفريقي المصري، ج1/127 -128- 129.،المادة(ق،ر،أ). وينظر، الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي، اعتنى به وعلّق عليه مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون،بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ-2008م،ج1/116.

3- ينظر، المرجع نفسه، ج1/116.

ويعني بقوله: لَمْ تَقْرَأْ جَنِيناً،لم تَضْمُمْ رَحِماً عَلَى وَلَدٍ[1]

وقرأت الشيء قرآنا، جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، ثم سُمّي به الكلام المنزّل على النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– لجمع السّور و الآيات فيه"[2] .

أمّا من حيث الإشتقاق:

اختلف أصحاب هذا الرأي في أصل كلمة (قرآن) و في أصل اشتقاقها، و نذكر منهم:

أ– "من قال بأنّه اسم غير مشتق من شيء، بل هو اسم خاص بكلام الله. كبقية الكتب السماوية مثل التوارة والإنجيل[3] كالشافعي.

ب– وقيل هو مشتق من القرى وهو الجمع ومنه قريت الماء في الحوض، أي: جمعته .

ج– وهناك من قال بأنّه"مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه فسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه.... "[4]

د–قال القرطبي:"القران بغير همز مأخوذ من القرائن، لأن الآيات منه يصدّق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضا، فهي حينئذ قرائن"[5].

ومن أشهر الأسماء التي سُمي بها القرآن، أوّل اسم ذكر به في المصحف الشريف هو (الكتاب)، ثمّ جاءت بعده الأسماء الأخرى كالتنزيل والفرقان، الهدى...إلخ.

و "القرآن هو الكلام الذي أوحاه الله تعلى كلاما عربيا الى محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل على أن يبلغه الرسول إلى الأمة باللفظ الذي أوحي به إليه للعمل به، ولقراءة ما يتيسر لهم أن يقرأوه منه صلواتهم،

1– ينظر، تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، مراجعة الأستاذ: محمد علي النجّار،الدّار المصرية للتّأليف والترجمة، مطابع سجل العرب،القاهرة، ج271/9 مادة (ق ر أ) .

2–ينظر،أسماء سور القرآن وفضائلها، د.منيرة محمد ناصر الدوسري، تقديم الأستاذ الدكتور:فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي،دار ابن الجوزي،المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ، ص:19–20.

3– ينظر، أسماء سور القرآن وفضائلها،د.منيرة محمد ناصر الدوسري، ص:21.

4– البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، أحمد علي، دار الحديث، العربي، القاهرة، ط1422هـ –2006م، ج194/1 .

5– ينظر، المرجع نفسه، ج195/1

وجعل قراءته عبادة "[1] يقول الطاهر بن عاشور"القرآن اسم للكلام الموحى به الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو جملة المكتوب في المصاحف المستعمل على مائة وأربع عشرة سورة ، أولاها الفاتحة وآخراها سورة الناس"[2].

2- نزول القرآن وترتيبه:

لا يختلف العلماء حول حقيقة نزول القرآن، فقد اجمعوا على نزوله أوّلا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، وقد استشهدوا بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3)** ﴾ (سورة الدخان:03). وفي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1)** ﴾ (سورة القدر:01).وفي قوله أيضا: ﴿شَهْرُ **رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** ﴾(سورة البقرة: 185). فقد نزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك مفرقاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك حسب الوقائع والأحداث التي حدثت زمن النزول، طيلة ثلاث وعشرين سنة تقريباً ويؤكد هذا ما روى عن ابن العباس حيث قال:" أُنْزِلَ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً لَيْلَةَ القَدْرِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَكَانَ اللهُ يُنَزِّلُهُ عَلَى رَسُولِهِ بَعْضَهُ فِي إِثْرِ بَعْضٍ"[3].

وهذا النزول الأخير الذي أنزل به القرآن بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام كان نزولا مفرقا حسب الأحداث و الوقائع، التي عاشها -النبي صلى الله عليه و سلم -و المقصود الرئيسي من تنزيله منجماً "هو مراعاة حاجة الدعوة إلى الدّين الجديد من الوجهة التربوية الإلهية الخالصة، والتدرج بالناس شيئا فشيئاً حتى يتم المراد منه إكمال الدين ، وتمام النعمة دون أن تكون هناك عوائق نفسية تعوق الإنسان السوي عن متابعة التنزيل، وتذكر معانيه والاقتناع بمراميه، والعمل بما تضمّنه من أحكام[4]، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** ﴾ (سورة الفرقان:32)، أي كما أُنزلت الكتب على من قبله من الرسل، فأجابهم الله تعالى بقوله للرسول -صلى الله عليه و سلم-: ﴿ **كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ (سورة الفرقان:32) "[5].

وقد يتساءل سائل لماذا ندرج هنا أسباب وكيفية النزول؟ والجواب هو معرفة أسباب النزول تقدم للمتأوّل مفاتيح لفهم المعاني، وتساعده على إصدار الحكم حسب الظروف التي نزل فيها النّص القرآني، وتحدّد المراد من السياق اللغوي للآية أو النص القرآني حتّى يتمكن المحلّل النّصي من ترجيح العلاقات اللغوية النّحوية والبلاغية لذلك النّص دون غيرها. كما يساعدنا في معرفة عملية بناء الهيكل العام للسورة القرآنية وكيف تمّ

---

[1] تفسير التحرير والتنوير ، محمد الظاهر بن عاشور ، ج70/1 .

[2] ينظر، المصدر نفسه ،ج1/ 71 .

[3]- أخرجه الحاكم(2/530) ، والبيهقيّ في "دلائل النبوّة" (7/31) .

[4]-تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق عبد القادر،أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ-1986م، ص:03.

[5]- المرجع نفسه، ص:04.

الإتّساق والإنسجام بين الآيات رغم وجود فارق زمني كبير قد يصل في بعض الأحيان إلى سنين طويلة بين الآية وسابقتها وبين الآية وتابعتها، كما حصل في سورة البقرة، إذ كانت بداية نزولها في المدينة المنوّرة مع بداية الدعوة الجهرية للدّين الإسلامي، واختتمت بآخر آية من القرآن ككّل وكان ذلك مع نهاية الدعوة الإسلامية، في آخر أيام حياة النبي –صلّى الله عليه وسلّم، ومع ذلك وضعت في موضع لم يختل فيه المعنى، وحافظت السورة على اتّساقها وانسجامها.

فقد كان نزول القرآن من السّماء الدّنيا على النبي –صلى الله عليه وسلّم– بخلاف ترتيب المصحف "غير أنّ جبريل عليه السّلام كان يعرّف النبّي –صلى الله عليه وسلّم – موقع يتنزّل به من السّورة، وفي آخر كلّ عام يعرض ما نزل به على النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى يكون على الترتيب الأوّل للنزول من اللّوح المحفوظ"[1]. وكان النبي– صلى الله عليه وسلم– يقول لكتاب الوحي:"ضعوا هذه الآية أو الآيات بين آية كذا وكذا من سورة كذا"[2].

ووجه دلالة هذا التفريق في النزول على" أنّ القرآن كلام الله وليس كلام بشر على الإطلاق: أنّ عقلا بشريا مهما أوتي من القوّة والحفظ والإحكام لا يستطيع أن يذّكر موضع فقرة من كلام سابق مضى عليه سنوات طويلة، فيضعها في مكانها، بحيث تلتحم مع سابقاتها ولاحقاتها في اللفظ والمعنى والسياق، ولو أنّ عقلا اتقن ذلك في حالة واحدة، فلن يستطيع أن يحكمه في حالات كثيرة وفي سوّر كثيرة بحيث لا تشذ حالة واحدة عن قاعدة الأحكام المشهودة في كتاب الله"[3]. ويعتبر من المستحيلات أن يستطيع هذا العقل البشري أن يسترجع أفكارا سابقة مضت عليها سنوات طوال ويتذكّرها مرتّبة كما قيلت، ويحدّد المكان الذي يريد وضعها فيها، وإعادة بناء سياقه عند الجملة التي أرادها، ويجعل لها سابقة ولاحقة، تسهم في بناء النص ولا تحيد عن المعنى الذي كان البعض يظنون أنّ الزمن أبلاه وجعله من صنيع الماضي. ومن الأمثلة الآيات التي نزلت متأخرة بكثير ما وحدث في سورة البقرة، حيث نزلت مجزّأة وبعد ذلك بسنين طويلة، نزلت آخر آية لتوضع في مكانها ."متلاحمة تمام التّلاحم مع سوابقها ولواحقها ، فلا تنافر بينها في المعنى ولا في الجرس،"[4] وهذا هو الحال مع سوّر كثيرة قدّرها علماء القرآن بتسع وعشرين سورة.

---

[1]– التماسك و التناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني، د.محمد احمد أبو بكر أبو عامود، دار النابغة للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1435هـ–2014م، ص:07.

[2]–المرجع السابق، ص:08.

[3]– المرجع نفسه، ص:07.

[4]– المرجع نفسه، ص: 08.

وقد نزّل الله سبحانه وتعالى القرآن على قلب رسوله –صلّى الله عليه وسلّم– على خلاف الكتب السّماوية السّابقة منجماً حسب الوقائع والأحداث على مدى ثلاث وعشرين سنة، وكان النبي –صلّى الله عليه وسلم–كلّما نزلت عليه آيات أمر أصحابه بكتابتها في مواضع يعيّنها حسبما أوقفه عليه جبريل –عليه السلام– دون مراعاة لترتيب النزول، وقد تألف مما جمع على هذا النّحو سوّر مؤتلفة المباني متّسقة المعاني لا تكاد تحس بأدنى خلل في بنائها أو تنافر بين أجزائها. وبهذه السّورة وقع التّحدي وصحّت المعجزة[1] وذكر ذلك في قوله تعالى:﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)**﴾ (سورة البقرة:23).

3– في مفهوم السّورة القرآنية:

ذكر بعض العلماء في اصطلاح السّورة:" أنها طائفة من آيات القرآن جُمعت وضُمَّ بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول المقدار الذي أراده الله سبحانه وتعالى بها"[2]. واختلف في معنى السّورة مما هي مشتقّة: فقيل من الإبانة و الارتفاع،"فكأنّ القارئ ينتقل بها من منزلة إلى منزلة، وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلدان"[3]. "والسورة من البناء: ما حسن وطال"[4]. "وسمّيت السورة من القرآن سورة،لأنّها درجة غيرها، ومَن همزها جعلها بمعنى بقية من القرآن وقطعةً"[5]. والسورة من سورة القرآن عندنا قطعة من القرآن سبق وجدانها جمعها،كما أن الغرفة سابقة للغرف، وأنزل الله عزوجل القرآن على نبيه –صلى الله عليه وسلم– شيئا بعد شيء، وجعله مفصلا وبيّن كلّ سورة بخاتمتها وبادئتها[6]، و"السورة تهمز ولا تهمز.فمن همزها جعلها من أسأرت أي أفضلت. من السؤر وهو ما بقى من الشراب في الإناء، كأنها قطعة من القرآن. ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهلها، ومنهم من شبّهها بسور البناء أي القطعة منه أي منزلة بعد منزلة، وقيل من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور، ومنه السوار لإحاطته بالساعد، وعلى هذا فالواو أصلية، ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة لأنّ الآيات مرتبة في كل سورة ترتيبا مناسبا، وقيل لتركيب بعضها على بعض من التسوّر بمعنى التّصاعد و التركيب ومنه (إذ تسوّروا المحراب) أي نزلوا عليه من علوّ، وقيل لعلوّ شأنها وشأن قارئها. والسّورة المنزلة الرّفيعة: قال النّابغة:

---

[1]– وحدة النسق في السورة القرآنية، فوائدها وطرق دراستها، رشيد الحمداوي، مجلّة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ع3، جمادى الآخرة، 1328هـ، ص: 139.

[2]– المدخل لدراسة القرآن الكريم،د. محمد أبو شهبة، دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط3، 1407هـ–1987م، ص:320.

[3]– تفسير القرآن العظيم، ابن الكثير،للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقيّ ، ج21/1.

[4]– لسان العرب، ابن منظور، مج386/4.

[5]– المرجع نفسه، مج386/4.

[6]– لسان العرب، ابن منظور، مج387/4.

– أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ ملكٍ حَوْلَهَا يَتَذَبْذَبُ

وهي في الإصطلاح: قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلّها ثلاث آيات. أو هي الطائفة من القرآن المسمّاة باسم خاصّ بتوقيف من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وقد ثبت أنّ أسماء السّور توقيفية يدل على ذلك الأحاديث والآثار، وفي الصّحيح عن ابن مسعود أنّه قال (هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة)"[1].

فقد قال تعالى في مطلع سورة النور:﴿ **سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1)** ﴾ (النور:01)"وهذا الإسم يحمل في طواياه معنى الإحاطة وتوحيد الأجزاء المتعدّدة، فتصاريف مادة "س.و.ر" تدور على هذا المعنى كالسّور الذي يحيط بأبنية المدينة وبجميع بيوتها، والسّوار الذي يحيط بالمعصم...وفي السّور وحدة و استقلال و في السور زينة و جمال"[2]

من التّعاريف السّابقة نستنتج أنّ أشهر معانيها هي البناء الحسن الذي يطول ويستمر، ولذلك كانت هذه الخاصية هي ميزة من ميزات السّور القرآنية التي أحكم بناؤها وأحكمت آياتها، واستمرت هكذا حتى شكّلت البناء العام للنّص القرآني،كتاب الله العزيز الحكيم قال تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1)** ﴾ (سورة هود:01). و"المعنى:أن القرآن كتاب من عند الله ...،والإحكام: إتقان الصنع مشتق من الحكمة بكسر الحاء وسكون الكاف. وهي إتقان الأشياء بحيث تكون سالمة من الإخلال التي تتعرض لنوعها، أي جعلت آياته كاملة في نوع الكلام بحيث سلمت من مخالفة الواقع، ومن إخلال المعنى واللفظ "[3].وآيات القرآن:الجمل المستقلة بمعانيها المختتمة بالفواصل [4]، والتفصيل:التوضيح والبيان :وهو مشتق من الفصل بمعنى التفريق بين الشيء وغيره بما يميزه، فصار كناية مشهورة عن البيان لما فيه من فصل المعاني[5] .وسميت السّورة "لتمامها وكمالها لأنّ العرب يسمّون النّاقة التّامّة سورة"[6].

ويرى ابن كثير بأنّ اسمها" يحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنازله و دوره، وجمع السّورة سوَر بفتح الواو وقد يجمع على سورات وسوارات"[7]." والسورة اسم مجموعة من آيات

---

[1]– ينظر، الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي ج1/118–119.

[2]– وحدة النسق في السورة القرآنية، فوائدها وطرق دراستها، ص:145.

[3]– تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج1/314.

[4]– المرجع نفسه، ج1/314.

[5]– المرجع نفسه، ج1/315.

[6]– تفسير القرآن العظيم، ابن الكثير،للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقيّ ، ج1/21.

[7]– المرجع نفسه، ج1/21.

القرآن الكريم مقرونة ببعضها بشكل تستقل به عن غيرها، و يربطها موضوع واحد تدور في فلكه"[1].وهذا ما ميّز سورة البقرة فقد أحاطت بمواضيع شتّى اختلفت مضامينها واتسقت تحت حدود وحّدت بينها، وجعلتها تنصهر في إطار واحد وهو سورة البقرة، وهذا التنوّع في المواضيع يجعلك تشعر بكثرتها و وحدتها في نظام لغوي متميّز لا نكاد نفكّ نسيج كلّ موضوع على حدا إلاّ بعد إمعان النظر جيّدا في علاقته بالموضوع السابق واللاحق، والبحث في الآليات التي جعلت هذه المواضيع المتنوّعة تظهر متسقة ومنسجمة في سورة السورة الواحدة وكأنها موضوع واحد.

4- أهمّ خصائص السّورة القرآنية:

تحظى السّورة القرآنية بعملية بناء هيكلي هندسه الله سبحانه وتعالى بأسلوب خاص، تفتقده النصوص التي ينتجها البشر، وتتعلّق هذه الخصوصية بالألفاظ ونوعيتها وطريقة انتقائها من حيث الوزن والصيغة، وعدد الحروف، والدلالة التي توحي بها، والمعنى الذي تؤديه وهي مع أخواتها، وكيفية تحقيق التآخي بينها، كلّ هذا يساهم في تحقيق تركيب أعلى منه وهو التراكيب والعبارات والجمل النّحوية التي تتحوّل إلى جمل نصّية يحكمها نظام النص عموما، ويحدّدها نظام ذلك النّص الخاصّ الذي أوجده الله سبحانه وتعالى إلاّ لتلك السّورة، وإلاّ لتلك الآية في ذلك الموضع، وإلاّ لتلك اللفظة في ذلك التركيب.

إنّه بناء وتصميم إلهيّ لا يمكننا أن نصفه بالأوصاف التي تأتي على ألسنة البشر، هو خارق لعادة أسلوب البشر عامّة والعرب خاصّة، إذ لا يمكننا أن نجد له وصفا أفضل من أن نقول: إنّه تصميم إلهيّ البنية والتركيب أعجز الفصحاء، وأبهر البلغاء، فحجر البناء الذي تبنى عليه السّورة هو الآية، وتكتمل بأخواتها حين تلتحم معها يمينا وشمالا، وتشدّها علاقات لغوية قريبة ومتباعدة تزيدها اتّساقا ومتانة، وتشتدّ أطرافها كلّما زاد امتدادها.عندئذ يشعر المتلقي بأنّه أمام لغة غير لغته التي ألِفَ، وأسلوب لأسلوبه قد تميّز عنه وخالف. ولنقُل عنه إنّه القرآن. وإنّها سوّره التي تحظى بهذا التّفرد في النّوع والحجم. وقد "أراد الجاحظ أن يقابل معاني التّسمية الشعرية فيما عند العرب بما في القرآن فقال:سمّى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لماّ سمّى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، سمّى جملته قرآنا كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة وبعضه آيات كالبيت، وآخرها فاصلة كالقافية"[2].ويشير هذا إلى ذلك التّخطيط الإلهي في عملية هندسة وتصميم السّورة القرآنية حسب طبيعة اللغة التي كان يستعملها العرب، والنظام الأدبي والهندسي لكلامهم، الذي صُمّم على أشكال متنوّعة كالقصيدة والبيت والقافية،...إلخ.

---

[1]- من موضوعات سور القرآن الكريم الإسلام لله تعالى في سورة البقرة،عبد الحميد محمود طهماز،دار القلم،دمشق ،الدار الشامية،بيروت،ط1، 1414هـ-1993م،ص:48.

[2] - ينظر،إعجاز القرآن و البلاغة النبوية،مصطفى صادق الرافعي،ص:196.

"وعندما تنتظم مجموعة من الآيات في سورة خاصة فلابد حينئذ من أن تكون لهذه الآيات المجتمعة في سورة دون غيرها من الآيات؛ لابد أن تكون لهذه الآيات خصوصية من حيث تناسب بعضها مع الآخر، وإلاّ لم تكن هناك ضرورة بأن يأمر النبي -صلّى الله عليه وسلم- كتّاب الوحي بأن يضعوا هذه الآية أو تلك في السّورة الفلانية، أو بجانب الآية الفلانية ،كل ذلك يعني أن وضع الآيات في سورة خاصّة وتحديد مكان الآية من السّورة أو الآيات الأخرى،كلّ ذلك يعني أن السّورة هي هيكل أو بناء قد خطّط له بدقة و إتقان"[1].

"ومن ثم فالسّورة تحيط بطائفة من الآيات ذات المعاني المتنوعة وتجمعها برِبَاط وثيق، ومطلع السّورة وختامها بمنزلة الحدود التي تحفّ بآياتها فتجعل لها صبغة الإستقلال والتّميز عن غيرها من السّوّر الأخرى، وما تضمه السّورة بين تضاعيفيها من مواضيع مرصوص متكامل كتراص لبنات البناء الواحد،متساوٍ في الجودة والحسن في السّوار الذي لا يدري أين طرفاه، فتكتسي من إجتماعها على ذلك النّحو رونقا وجمالا."[2]

وينظر إلى (الوحدة العامة) التي تحكم السّورة من عدّة زوايا متنوعة منها:

أ- من حيث الموضوعات والأهداف: فالسّورة الكريمة تتخذ أحد الأبنية من حيث علاقة موضوعاتها بالأفكار المطروحة فيها:

-وحدة الفكرة و وحدة الموضوع- وحدة الفكرة و تعدد الموضوع- وحدة الموضوع وتعدد الفكرة- تعدد الفكرة وتعدد الموضوع، ومنها:

ب- من حيث الأشكال: تتخذ السّورة واحدا من الأبنية التالية:

1-البناء الأفقي،وهو أن تبدأ السّورة بموضوع وتختم بالموضوع ذاته عبر سلسلة من الموضوعات المتنوعة.

2- البناء الطولي:وهو أن تبدأ السّورة بموضوع تتدرّج في عرضه، بحيث يختم الموضوع مع نهاية السورة.

3- البناء المقطعي:وهو أن تطرح السّورة جملة من الموضوعات.ينتهي كلّ واحد منها بآية أو أكثر تتكرر في المقاطع جميعا،مثل: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ (سورة الرحمان: 13)، ومنها:

ج- من حيث العلاقات: تتخذ السّورة واحدة من العلاقات الآتية:

---

[1]-التفسير البنائي للقرآن الكريم،دمحمود البستاني،مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد،إيران، ط1، 1422هـ، ص:07.

[2]- وحدة النسق في السورة القرآنية،فوائدها وطرق دراستها، رشيد الحمداوي، ص:145.

1- السببية:ويقصد بها أن الموضوعات في السورة يترتب أحدها على الآخر على نحو (السببية) بحيث يكون الموضوع(سببا) للاحقه،و(مسببا) عن سابقه.

2- النّموّ: ويقصد به أن الموضوع ينتقل أو يتحوّل أو يتطوّر من مرحلة إلى أخرى، كما يتنامى النبات ويقطع مراحل متنوّعة حتى يصل إلى نهاية نموّه.

3- التّجانس: ويقصد به مجانسة كلّ عنصر من عناصر النّص مع الآخر؛ أي مجانسة الموضوعات مع الأفكار بالنسبة إلى الأدوات الفنية المستخدمة كعنصر القصّة و الصّورة و الإيقاع.و ...إلخ"[1].

وربما قد نتوجّه بفكرنا إلى آية التّحدي التي نزلت في سورة البقرة :أين قال تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)** ﴾ (سورة البقرة:23).فقد تحداهم الله تعالى بالإتيان بسورة واحدة من مثل سوّر القرآن إعجازا لهم من عدّة زوايا:

1- أنّ العرب لم تعرف هذا النّوع من بناء النّصوص من قبل، فقد كان الشّاعر يأتي بمجموعة من الأبيات على وزن واحد وفي موضوع واحد عكس القرآن الذي تنوّعت فيه المواضيع في السّورة الواحدة ورغم ذلك شكّلت نصا واحد منسجما وبالغرابة التي تبعث الإعجاز.

2- أن هذا التّحدي دليل على أنّ بناء السّورة وتأليف آياتها على هذا النّحو العجيب أمر معجز للأولين والآخرين، ولا يمكن أن يضع الإعجاز بالسّورة القرآنية إلا إذا كانت متآزرة المعاني متّسقة المباني معجزة في ترتيبها وبنائها مع تنوع مضامينها"[2]. وهنا نشير إلى ظاهرتي الإتّساق الإنسجام اللتين تسم بها البنيتن السّطحية والعميقة للقرآن الكريم،كما أنّها تمتد إلى ما فوق الآيات والجمل حتى تبلغ السّورة الواحدة كاملة، بل جميع السّور لتصبح ميزة كتاب الله تعالى ككلّ.

وما هو ملاحظ على السّور القرآنية تعدّد مواضيع السّورة الواحدة واتّحادها لتلبية مقصد السّورة، ونضرب مثالا لذلك، سورة البقرة "فإنّها أطول سوّر القرآن وأكثرها تشعّبا في مضامينها، ولذلك افتتحت بنفي الرّيب الذي قد يتردّد في الصّدور من القرآن، فقال تعالى مشيرا إلى علوّ قدره: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (سورة البقرة: 2)[3]، "فكثيرا ما تستفتح السّورة القرآنية بوصف القرآن، كما جاء في سورة البقرة بالإحكام والتنويه بعلوّ مصدره وعظمة المتكلّم به سبحانه تنبيها للقارئ على عظم قدر ما يتلقّاه وسمّو مضمونه،

---

[1]- التفسير البنائي للقرآن الكريم،د.محمود البستاني، ج1/ 9- 10.

[2]- وحدة النسق في السورة القرآنية، فوائدها و طرق دراستها،رشيد الحمداوي، ص:146.

[3]- المرجع نفسه، ص:143.

وطردا لكل الوساوس التي تهجس في نفس السّامع من جهة تعدّد موضوعاته وتشعب معانيه أو غرابة أحكامه. ومن تأمّل مطالع معظم سوّر القرآن التي تتّسم بالطّول نسبيا وجد هذا الأمر مطّردا على نحو يجعلنا نجزم بوجود مقصود عظيم وراء ذلك، وكلّما كانت السّورة مجالا فسيحا لتعدّد موضوعاتها كلّما كان التّأكيد على عظمة القرآن أشدّ والتنبيه على أحكامه وإعجازه أقوى"[1].

وهنا يظهر التّمايز الذي يمتاز به النّص القرآني من تعدّد في الموضوعات والمضامين داخل السّورة الواحدة- وسنشير في ما بعد إلى أهمّ المواضيع التي جاءت في سورة البقرة وتنوّع المقاصد التي دارت حول محور واحد، فلو شاء الله سبحانه وتعالى لجعل لكل موضوع سورة، وأفرد كلّ سورة بموضوع واحد، لكنّ الحكمة في إعجاز القرآن تكمن في هذه الخصائص التي امتاز بها كتاب الله، فتحدّى بها جميع العرب ممن كان لهم شؤوٌ كبير في الفصاحة .

وتختلف سوّر القرآن طولا وقصرا، فأقصرها سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار، وأطولها سورة البقرة 286 آية، وبين سورة البقرة وسورة الكوثر، سوّر كثيرة تختلف طولا وتوسّطا وقصرا. ويمكن بلورة المعاني السابقة للسورة كما يلي[2]:

-مشجر يوّضح خلاصة لمفاهيم السورة، وعلاقتها بالنص.

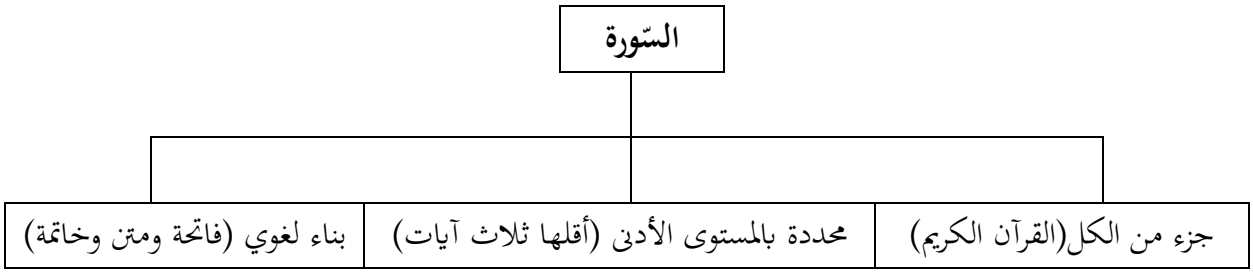

- ولنوضح العلاقة بين النص و السورة في الجدول التالي:

النص	السّورة
- عبارة عن تتابع من الجمل.	- عبارة عن آيات.

[1]- ينظر، المرجع نفسه،ص: 143.

[2]-في علاقة النص بالمقام (سورة الكهف أنموذجا)، مفتاح بن عروس، جامعة الجزائر، مجلة اللغة والأدب (ملتقى علم النص)، العدد 14، شعبان 1420هـ- ديسمبر1999م، ص:298.

– وظيفة اتصالية تبليغية. – تتوفر فيه العناصر المقامية (المرسل، المرسل إليه، الرسالة). – يخضع النص لنظام اللغة والعلاقات. –يمكن أن يكون النص هادفا.	– وقد تكون الآية جملة أو تزيد عنها أو تقل عنها. – وظيفتها إتصالية تبليغية. –تتوفر فيه كذلك العناصر المقامية (المرسل–المرسل إليه–الرسالة). –يحكم السّورة بناء لغوي محكم فريد. –له أحكام و مقاصد شرعية.

ولو واصلنا التّنقيب عن خصائص كلّ منهما، لوجدناهما يتطابقان في الكثير من الخصائص، مع وجود جودة لغوية وفنية تختص بها السورة عن النّص، وذلك كلّما مضينا في البحث عن خاصية من الخصائص النصية، لوجدنا أفضلية التّمايز عند السّورة، أي النص القرآني. ولهذا يمكننا القول أنّ السّورة تحوز على نفس الخصائص البنيوية والدلالية التي يتميز بها النص وأكثر من ذلك أنّها تتميّز بالإعجاز، وهي موجّهة للعالمين وفي كلّ زمان ومكان يمكن قراءتها وتبقى محافظة على قيمتها. بينما نجد في النّصوص التي ينتجها البشر أنّها تفاوتت في الجودة والقيمة حسب كفاءة صاحب النص الفكرية الثقافية والإبداعية. ولذلك نجد أنّ السّورة تسمو بخصائصها عن النص والخطاب وتفوقه، وهي تطابقه الإنطباق التام حسب المعايير الدّي بوجراندية والدّريسلرية. مما يصوّغ لنا القول بأنّ السّورة عبارة عن نص تتوفر فيه كلّ مقوّمات الإتّساق والإنسجام .وعلى النقيض؛ فإنّه لا يمكن أن يرتقي النّص إلى درجة السّورة القرآنية، لأنّه من إنتاج البشر والبشر يصيبون ويخطئون ومن عيوب أعمالهم أنّها قابلة للنقد، لأنّ إنتاجاتهم لا تمتاز بالكمال الذي يتميز به النص القرآني، أمّا النص القرآني فإنّه يقبل التحليل ولا يقبل النقد.

5– في مفهوم الآية:

هناك خلاف حول تسمية و إشتقاق اسم (آية) في الكثير من الكتب اللغوية، ونسرد هنا هذا الخلاف حول "اشتقاق الآية إمّا من أيّ فإنّها هي التي تبيّن أيّا من أيٍّ. أو من التأتي الذي هو التثبيت والإقامة على الشيء. أو من قولهم أَوِيَ إليه. .. ولكل جملة من القرآن دالة على حكم آية. سورة كانت أو فصولا أو فصلا من سورة، وقد يقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي: آية... ووزنها قيل هو فعلة، وحقّ مثلها أن يكون لامه معتلا دون عينه نحو حياة، لكن صحح لوقوع الياء قبله نحو راية. وقيل فَعَلَة إلاّ أنها قلبت كراهة التضعيف كطائي في طيء، وقيل هو فاعلة وأصلها آيِيَة فخففت فصارت آية، وذلك ضعيف لقولهم في تصغيرها أُيَيَّة، ولو كانت فاعلة لقيل أُوَيَّة. والأوّل قول سيبويه والأخير للكسائي"[1].

[1]–ينظر، مفردات ألفاظ القرآن، العلاّمة الرّاغب الأصفهاني، تحقيق، صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط4، 1430هـ – 2009م،ص:101–102–103.

والآيات:جمع آية-وتطلق الآية في اللغة على:المعجزة، العلامة، العبرة، الأمر العجيب، الجماعة، الدليل.[1] قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)**﴾ (سورة البقرة:39). "والآيات جمع آية وهي الشيء الدال على أمر من شأنه أن يخفى، ولذلك قيل لأعلام الطريق آيات لأنهم وضعوها للإرشاد إلى الطرق الخفية في الرمال، و تسمى الحجة آية لأنّها تظهر الحقّ الخفي،كما قال الحارث بن حلّزة:

– مَن لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ آيَا تٍ ثَلَاث فِي كُلِّهِنَّ القَضَاءُ"[2]

و"الآية طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وما بعدها، وهي مسألة توقيفية أخذت عن الرسول، وهذا الإختلاف الذي وقع بين السّلف في عدد الآيات مرجعه إلى اختلاف السّامعين عن الرسول في ضبط الوقف والوصل، فالمعروف أنّه كان -صلّى الله عليه و سلّم- يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلّها وصل التمام، فوهم بعض السّامعين عند الوصل أن ليس ثمّة فصل، ومن هنا كان الخلاف"[3]."وكما كان ضبط الآيات بفواصلها توقيفا كذلك كان وضعها في مواضعها توقيفا، دليل ذلك الآية: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)** ﴾ (البقرة: 281). كانت آخر ما نزل، فوضعها النبيّ عن وحي من ربّه بين آيتي الربا و الدّين من سورة البقرة، و هكذا كان الأمر في سائر الآيات."[4] و"سمّى أجزاء القرآن آيات، لأنّ كلّ سورة من القرآن يعجز البشر عن الإتيان بمثلها،كما قال تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾ (سورة البقرة:23). فكان دالا على صدق الرّسول فيما جاء به وكانت جمله آيات لأنّ بها بعض المقدار المعجز[5] فالمراد بآياتنا هنا آيات القرآن؛ أي و كذّبوا بالقرآن أي بأنّهم وحي من عند الله [6].

"حقّا إنّ آيات القرآن الكريم في غاية الدّقة والإحكام، والوضوح والبيان، أحكمها حكيم، وفصّلها خبير، وسيظل هذا الكتاب معجزاً من الناحية البلاغية والتشريعية والعلمية والتارخية، وغيرها إلى أن يرثَّ الله الأرض ومن عليها،لم يتطرق إليه أدنى[7] شيء من التحريف، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)** ﴾ (سورة الحجر:09) ويقول ابن الكثير:أمّا الآية فهي العلامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن

---

[1]– ينظر، فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم، أحمد السيّد الكومي، محمّد أحمد يوسف القاسم، ص:11.

[2]– تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج1/ص:445.

[3] – الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري ،مؤسسة سجل العرب، 1405هـ–1984م، مج3/ 10.

[4]– المرجع نفسه، مج3/ 15.

[5]– تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج1/445.

[6]– المرجع نفسه،ج1/446.

[7]–الكتاب:التعريف بالقرآن الكريم، المؤلف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص:01.–https://al-maktaba.org/book/2914

الذي بعدها وانقضائها، أي:هي بائنة عن أختها ومنفردة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ**﴾ (سورة البقرة:248). وقال النابغة:

– تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا مِنْ سِتَّةِ أَعْوَامٍ وَ ذَا العَامُ سَابِعٌ

وقيل:لأنّها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه كما يقال: خرج القوم بآياتهم أي بجماعتهم، قال الشّاعر:

– خَرَجْنَا مِنَ النَّقِيبَيْنِ لَا حَيَّ مِثْلَنَا بِآيَاتِنَا نَزْجِي اللِّقَاحَ المطَافَ لَا[1]

و"حدّ الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديراً ذو مبدأ ومقطع جيّد في سورة، ومن العلماء من قال بأنّ "الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينهما شبه بما سواها"[2]. "وليس معنى هذا أنّ الآية لا تعلّق لها بمعنى سابقتها ولاحقتها، بل المراد أنّها مستقلّة في العدّ ولا تكون جزءا مما قبلها أو بعدها"[3].

ومن الواضح البيّن "مناسبة المعنى اللغوي للآية القرآنية، فهي من القرآن المعجز، وهي علامة على صدق الآتي بها صلّى الله عليه وسلّم، وفيها عبرة لمن أراد أن يذكر. وهي من الأمور العجيبة لسمّو أسلوبها ومعناها، وفيها معنى الجماعة لأنها مؤلفة من الحروف و الكلمات، وفيها معنى الدليل لأنها برهان على ما تضمنته من هداية وعلم"[4] .

"ومن المعجز البيّن أسلوبه و نظمه الباهر ،فإنه: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1)** ﴾ (سورة هود:01)، قال:و الذي ينبغي في كل آية أن يبحث أوّل كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها. ففي ذلك علم جّم و هكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها و ما سيقت له"[5].

ثم خصت الآية في الاصطلاح بأنها "طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن والمناسبة بين هذا المعنى الاصطلاحي والمعاني اللغوية السالفة واضحة لأن الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها

---

[1] – تفسير القرآن العظيم، ابن الكثير،للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقيّ ،ج22/1.

[2] –ينظر، البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ج187/1.

[3] – فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم، د.أحمد السيّد الكومي،د. محمد أحمد يوسف القاسم،دار إحياء الكتب العربية،عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2،(د.ت)،ص:12.

[4] –ينظر، المرجع نفسه، ص:11.

[5] – البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ج38/1.

إليها ثم هي علامة على صدق من جاء بها صلى الله عليه وسلم وفيها عبرة وذكرى لمن أراد أن يتذكر وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السمو والإعجاز وفيها معنى الجماعة لأنها مؤلفة من جملة كلمات وحروف وفيها معنى البرهان والدليل على ما تضمنته من هداية وعلم وعلى قدرة الله وعلمه وحكمته وعلى صدق رسوله في رسالته."[1]

ومما سبق يمكننا أن نعتبر الآية في السورة القرآنية بمنزلة الجملة من النّص والخطاب، والعلاقة بينهما هي علاقة الجزء بالكلّ، حيث أنّ النّص لا يمكن أن يتشكل من كلمات مفردة منعزلة عن بعضها البعض، ولا تربط بينها علاقات لغوية معيّنة تحدد المعنى في النص الذي تنتمي إليه، فإنّ للآية القرآنية نفس الميزة التي تتميّز بها الجملة في النص، ومردّ ذلك إلى أنّ الآية هي حجر الأساس في بناء السّورة الذي به تكتمل، وحتى لا نقول بأنّ الآية تعادل الجملة في السورة، فإنّ هناك آيات تتشكل من عدد من الجمل، كما أنّ هناك آيات تتشكلّ من حروف، وهذه خاصيّة يعرف بها القرآن ككل، فالسورة القرآنية حجر بنائها هو الآيات وحجر بناء الآية هو الجملة، وحجر بناء الجملة هو الكلمات في علاقات مختلفة ومتنوّعة في النص. لذلك نقول أنّ الآية لا يمكن أن تكون بالضرورة جملة والعكس كذلك، وحتى التنوّع في الآيات من حيث التركيب فقد أخذت الآيات جميع الأصناف التركيبية، على غرار كونها كلمة واحدة، ولم يعثر العلماء على كلمة واحدة وهي عبارة عن آية سوى قوله تعالى في سورة الرحمان: ﴿ **مُدْهَامَّتَانِ**﴾ (سورة الرحمن:64).

6 – التعريف بسورة البقرة:

أ– بطاقة فنية لسورة البقرة:

سورة البقرة مدنيّة من السّور الطوال عدد آياتها 286 آية، وتعتبر أوّل سورة نزلت في المدينة المنوّرة، يوم النّحر في حجة الوداع بمنى.فقد ورد من عدّة طرق عن عبد الله بن عباس قال: "نزلت بالمدينة سورة البقرة"[2]،وهي السّورة الثانية من حيث الترتيب في المصحف بعد الفاتحة، وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة، تبدأ بحروف متقطعة "ألم". ذكر فيها لفظ الجلالة أكثر من مائة مرة (100)، بها أطول آية في القرآن الكريم وهي آية الدين رقم (282). تقع في الأجزاء الثلاثة الأولى (1،2،3) وتحتوي على خمسة أحزاب، من الربع الأول من القرآن الكريم. واختلف في عدد آياتها فمنهم من قال"مائتان وخمس وثمانون في عدّ المدني والمكي والشامي، ومائتان وست وثمانون في العدّ الكوفي، ومائتان وسبع وثمانون في العدّ البصري"[3]. وقد صنفها العلماء من السور الطوال، وقد بين ذلك

---

[1]–ينظر، مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، 1362هـ–1943م، ج1/339.

[2]– ينظر،التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،إعداد نخبة من علماء التفسير و علوم القرآن، إشراف،أ.د.مصطفى مسلم ،كلية الدراسات و البحث العلمي،جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة،ط1، 1431هـ–2010م، مج1/24.

[3]– ينظر،التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف:أد.مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشّارقة، ط1، 1431هـ/2010م، مج1/25.

الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) إذ قال: "وأطول سورة في القرآن هي البقرة وأقصرها الكوثر"[1].وتحمل سورة البقرة الرقم سبعة وثمانون في ترتيب نزول القرآن الكريم، ونزلت بعد سورة المطففين التي كانت آخر سورة نزلت في مكة و قبل سورة آل عمران[2]. و ذكر الإمام السيوطي أن" أوّل ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم آل عمران ثم الأنفال"[3].

وإذا كانت الروايات في عمومها تفيد أنّ سورة البقرة نزلت بعد الهجرة، فإنّ هناك حديثا يستثني خواتيم سورة البقرة، ويؤكد أنها نزلت ليلة الإسراء والمعراج، أي في العهد المكي وفق المشهور من أقوال العلماء[4].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ:"لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا ، قَالَ : (**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى**) [النجم: 16]، قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا : أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحِمَاتُ[5] " رواه مسلم."[6].

وذكر ابن الكثير بأنّها نزلت بالمدينة،" والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل ما نزلت بها، لكن قوله تعالى فيها:﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ (سورة البقرة:281). ويقال أنها آخر ما نزلت من القرآن ويحتمل أن تكون منها، وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل. وكان خالد بن معدان يسمي البقرة: فسطاط القرآن، قال بعض العلماء: وهي مشتملة على ألف خبر وألف أمر وألف نهي، وقال العادّون: آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات، وكلماتها ستة آلاف كلمة ومائة وإحدى وعشرون كلمة، وحروفها خمسة وعشرون ألفا وخمسمائة حرف"[7].والجدول الإحصائي التالي يوضّح ذلك.

---

[1]–ينظر، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ–1984م، ج252/1.

[2] – تفسير التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس، 1984م، ج202/1.

[3]– الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي،تحقيق:شعيب الأرنؤوط، تعليق شيخ مصطفى مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1429هـ–2008م، ص:64.

[4]– السيرة النبوية الصحيحة،أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة، ط5، 1413هـ–1993م،ج188/1–189.

5 – (الْمُقْحِمَاتُ) : الذنوب العظام الكبائر ، التي تهلك أصحابها وتوردهم النار ، وتقحمهم إياها والتقحم الوقوع في المهالك . انتهى من " شرح صحيح مسلم للنووي " (3 / 3).

[6]– صحيح مسلم،كتاب الإيمان، رقم(173)،باب في ذكر سدرة المنتهى.

[7]– تفسير القرآن العظيم، ابن الكثير،للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقيّ،اعتنى بها وخرّج أحاديثها: محمود بن الجميل أبو عبد الله، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 1430هـ –2009م، ج69/1–70.

– جدول إحصائي لوصف سورة البقرة:

الاسم	عدد			
	الآيات	الكلمات	الحروف	ملاحظة
سورة البقرة	286	6121	25500	– هناك خلاف في عدد الآيات وهو خلاف بسيط (287/286/285).سبق ذكره. – وخلاف حول الآية المكية.

ومما قاله علماء التفسير عنها:"بأنها أطول سور القرآن وأكبرها في مبانيها ومعانيها، وأكثر أصولا وفروعا، أحصت الإسلام كله، فما تكاد تجد بابا من أبوابها إلا طرقته، ولا موضوعا من موضوعاته إلا عرضته، فضلا عمّا حَوَتْ من قصص وأخبار وأمثال، غنية بالمواعظ والعبر والدروس، المتصلة بأفكارها، والمقرّبة لمعانيها"[1]. وقيل:"فيها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾(سورة البقرة:281)"[2].

ب – فضل سورة البقرة:

هناك الكثير من الأحاديث الوارد في بيان فضل سورة البقرة، وهي موجودة في كتب التفسير والحديث النبوّي الشريف، وهذه بعض منها:

1– عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ:"إِقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ. اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ ". قَالَ مُعَاوِيَةُ بَلَغَنِى أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ. رواه مسلم.

2– أمّا النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلاَبِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ" يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ". وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه

[1]– من موضوعات سور القرآن الكريم، الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، لبنان،ط1، 1414هـ/1993م، ص:19.

[2]– مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، مكتبة المعارف، الرياض،ط1، 1408هـ/1987م، ص: 5.

وسلم- ثَلاَثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ" كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا". رواه مسلم.

3- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ".رواه مسلم (806).

4- وقد روى مسلم (780) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ:" لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ".رواه مسلم.

5- وحديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا ، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلًا؛لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا ؛لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ". رواه ابن حبان في صحيحه (777). رواه ابن حبان وهو حديث حسن.

وهذه الأحاديث بيّنت فضل هذه السورة على عباد الله، ومكانتها عند الله سبحانه وتعالى. فهي تحظى برتبة خاصّة بين سوّر القرآن، لما جاء فيها من مواضيع وأحكام شرعية وقصص وأخبار.

ج – قصّة و سبب التّسمية:

يُرجِع الزركشي سبب تسمية سوّر القرآن الكريم بأسمائها إلى إتّباع تقاليد العرب في تسمية الأشياء بأوصافها أو بخلقتها، حيث "أن العرب تراعي الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصّه وتكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمّى، ويسمّون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء القرآن كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة قصّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها"[1].

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ**

[1]- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ-1984م، ص:160.

صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74) ﴾. و"الْبَقَرَةُ : الْأُنْثَى مِنْ هَذَا الْحَيَوَانِ الْمَعْرُوفِ ، وَقَدْ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ . وَالْبَاقِرُ وَالْبَقِيرُ وَالْبَيْقُورُ وَالْبَاقُورُ ، قَالُوا : وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بَقَرَةً لِأَنَّهَا تَبْقُرُ الْأَرْضَ ، أَيْ تَشُقُّهَا لِلْحَرْثِ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : الْبَاقِرُ ."[1]

يقول الطاهر بن عاشور"وَوَجْهُ تَسْمِيَتِهَا أَنَّهَا ذُكِرَتْ فِيهَا قِصَّةُ الْبَقَرَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِذَبْحِهَا لِتَكُونَ آيَةً وَوَصَفَ سُوءَ فَهْمِهِمْ لِذَلِكَ، وَهِيَ مِمَّا انْفَرَدَتْ بِهِ هَذِهِ السُّورَةُ بِذِكْرِهِ، وَعِنْدِي أَنَّهَا أُضِيفَتْ إِلَى قِصَّةِ الْبَقَرَةِ تَمْيِيزًا لَهَا عَنِ السُّورِ ال (الم) مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا رُبَّمَا جَعَلُوا تِلْكَ الْحُرُوفَ الْمُقَطَّعَةَ أَسْمَاءً لِلسُّوَرِ الْوَاقِعَةِ هِيَ فِيهَا وَعَرَّفُوهَا بِهَا نَحْوَ: طه، وَيس، وص وَفِي الِاتِّفَاقِ عَنِ (الْمُسْتَدْرك) أَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(إِنَّهَا سَنَامُ الْقُرْآنِ)وَسَنَامُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ وَهَذَا لَيْسَ عَلَمًا لَهَا وَلَكِنَّهُ وَصْفُ تَشْرِيفٍ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ إِنَّهَا فُسْطَاطُ الْقُرْآنِ وَالْفُسْطَاطُ مَا يُحِيطُ بِالْمَكَانِ لِإِحَاطَتِهَا بِأَحْكَامٍ كَثِيرَةٍ."[2].

و"سمّيت السورة الكريمة "سورة البقرة "إحياء لذكرى تلك المعجزة الباهرة التي ظهرت في زمن موسى الكليم حيث قُتِلَ شخص من بني إسرائيل ولم يعرفوا قاتله فعرضوا الأمر على موسى لعلّه يعرف القاتل ؛فأوحى الله إليه أن يأمرهم بذبح بقرة وأن يضربوا الميّت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل وتكون برهانا على قدرة الله جلّ وعلا في إحياء الخلق بعد الموت "[3].

و للسورة عدّة أسماء منها الزهراء – سنام القرآن– فسطاط القرآن[4]، " وأشار الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، إلى كثرة أسماء الكثير من سور القرآن الكريم،حيث قال:"قد يكون للسّورة اسم وهو كثير، وقد يكون لها اسمان، كسورة البقرة، يقال لها:فسطاط القرآن لعظمها وبهائها"[5].

---

[1]– البحر المحيط في التفسير ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي الغرناطي،(645هـ–754هـ)،عناية صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت، لبنان، 1431هـ–1432هـ –2010م، ج1/400.

[2]– تفسير التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/201.

[3]– الكتاب:التعريف بسور القرآن: ضمن موسوعة القرآن الكريم، إعداد موقع روح الإسلام:www.islamspirt.com، ص:03.

[4]–ينظر، تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء ابن كثير ،ج1/65–70.

[5]– البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ص:269.

ومن أشهر الأحاديث الواردة عن النبّي صلّى الله عليه وسلّم في تسميتها قوله صلّى الله عليه وسلم: لكلّ شيء سنام وإنّ سنام القرآن سورة البقرة. و فيها آية هي سيدة آي القرآن، آية الكرسي"[1]. و البقرة حيوان معروف، ولكن لوضع اسمها عنوانا على سورة قرآنية هي أكبر سوّر القرآن، هذا يشير إلى شيء بدون شك؛ وله دلالته، وله مناسبته. ومناسبة تسمية هذه السورة بهذا الاسم: فلأنّ سورة البقرة على طولها من أوّلها إلى آخرها، وعبر آياتها تحكي تاريخ بني إسرائيل، وهو تاريخ عصيان وعناد وكفر وجحود، وهو تاريخ تطاول على شريعة الله، وتحريف في آيات الله وإيذاء لرسل الله عليهم الصّلاة والسّلام، لذلك كان يمكن أن تسمى هذه السّورة سورة بني إسرائيل، ولكن الله أحكم، ولكن قول الله أعظم"[2].

وإذا كانت الفاتحة هي أمّ القرآن؛ فإنّ البقرة هي السّورة البِكر، وهي أوّل الذّرية، وهي بداية التّفصيل الذي جُمِع في الفاتحة.كما أنّها أطول السّور القرآنية، ومن أعلاها قدراً؛ ولذلك أطلق عليها رسول الله —صلى الله عليه وسلم (سنام القرآن). والسّنام هو أعلى شيء في الجمل، وهو الموضع الذي لا يلتصق أبداً بالتراب، وهو مع ذلك كلّه مخزن الغذاء عند الجوع. وكما أنّ السّنام هو أعلى الشّيء مكاناً، فهو أعلاه مكانةً أيضاً؛ حيث يقال: مجد مُسنّم؛أي عظيم. وعليه فإنّ السّورة تجمع بين عظم المكان والمكانة.[3] وتعد هذه السّورة كما هو واضح، "أكبر السّور القرآنية حجما، ومن ثمّ أكثرها تنوّعاً في الموضوعات، إلاّ أنّها صيغت وفق عمارة محكمة، تترابط فيها الموضوعات وتتنامى على نحو ممتع ومدهش، فضلا عن بنائها العضوي المتمثل في توظيف عناصرها القصصية والصورية لإنارة الأفكار التي تنتظمها "[4]."وغالب السّور المدنية يكون فيها تفصيل أكثر من السّور المكيّة؛ يكون التفصيل فيها في فروع الإسلام دون أصوله، وتكون غالبا أقلّ شدة في الزجر والوعظ، والوعيد لأنها تخاطب قوما كانوا مؤمنين موحدين قائمين بأصول الدين، ولم يبق إلاّ أن تُبَيِّن لهم فروع الدين ليعملوا بها، وتكون غالبا أطول آيات من السّور المكية"[5].

وذهب جماعة إلى أنّه لا يقال : سورة البقرة و لا غيرها من السوّر، و إنّما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة، واستدلوا بما روى عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لا تقولوا:سورة البقرة، ولا سورة آل

---

[1] – ينظر، تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء ابن كثير ،ج1/65.

[2]– مقاصد سورة البقرة، أسماء سور القرآن الكريم.. معانيها ومغازيها (2)سورة البقرة، لأحمد الجوهري عبد الجواد، https://www.alukah.net/sharia/0/123450/

[3]– البلاغة العالية في آية المداينة، دكتور سعيد جمعة، الأستاذ المساعد في جامعة الأزهر، فرع المنوفية، ص:02. نقلا عن موقع: صيد الفوائد www.saaid.net موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنةwww.55a.net

[4]– التفسير البنائي للقرآن الكريم، د.محمود البستاني، مجمّع البحوث الإسلامية، مكتبة مؤمن قريش، مشهد، إيران، ط1، 1422ق – 1380ش، ج1/21.

[5]– تفسير القرآن الكريم، الفاتحة، البقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، صفر1423هـ، مج/21.

عمران، و لاسورة النساء و كذا القرآن كله، ولكن قولوا: السورة التي يذكر فيها البقرة، والتي يذكر فيها آل عمران، و كذا القرآن كله"[1].و لكن هذا الحديث منكر فلا يحتج به، وهو حديث غريب لا يصح رفعه و عبيس بن ميمون راوي هذا الحديث، هو أبو سلمة الخواص و هو ضعيف الرواية لا يحتج به"[2].

د – الظروف و الأجواء و البيئة التي نزلت فيها سورة البقرة:

نزلت سورة البقرة بالمدينة، والمدينة بوضعها الرمزي بل والأصيل هي حاضرة دار السلام، وعاصمة الحكم لأمّة الإسلام، ومنطلق الفاتحين المبشرين بالدين الجديد، ومركز الدعوة ضد دار الكفر في مكة، وفيما وإلى مكة والمدينة من أقاصي الجزيرة، وفيما تاخم المدينة من أرض اليهود، أي أنّ المدينة قد أصبحت قاعدة الصراع والدعوة، ومجتمع المؤمنين القادة الأوائل،وكان القرآن قد استقرّ بمنطقه وقوّته بين المؤمنين، وخلف بين كفار مكة بعد الهجرة فزعا أطاش منهم الصواب"[3].

وذكر سيد قطب في كتابه (الظلال) الأجواء والبيئة التي نزلت فيها سورة البقرة، فقد نزلت وسط أهوال جسام وأحداث ضخام. ألمت في المجتمع الإسلامي، فقد" أخذ المسلمون في مكة يهاجرون إلى المدينة تباعا، تاركين وراءهم كلّ شيء، ناجين بعقيدتهم وحدها، حيث لقوا من إخوانهم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، من الإيثار والإخاء ما لم تعرف له الإنسانية نظيرا قطّ. ثم هاجر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصاحبه الصديق. هاجر إلى القاعدة الحرة القوية الآمنة التي بحث عنها من قبل طويلا..وقامت الدولة الإسلامية في هذه القاعدة منذ اليوم الأوّل لهجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم"[4]. وهذه بعض الظروف التي نوجزها فيما يلي[5]:

1–كانت العرب خارج مكّة ينتظرون المصير النهائي للمعركة القائمة بين الإسلام وقريش، فإذا كانت الغلبة للإسلام يدخلون في دين الله، و إن كانت لقريش فسيظلون على شركهم.

2– نزلت بعد أن بحث النبي–صلى الله عليه وسلم– قاعدة آمنة تحمي العقيدة، يأوي إليها المسلمون بإيمانهم ومن ثم يزاولون تطبيق أحكام شريعتهم التي كانت بالمدينة المنورة.

3– نزلت بعد بيعة العقبة الأولى والثانية سرّا عن أعين قريش التي كانت مقدمة لإيجاد الدّرع الحصينة والقاعدة الآمنة التي كان يبحث عنها–صلى الله عليه و سلم–طويلا.

---

[1]– التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف، أ.د.مصطفى مسلم،مج19/1.

[2]– ينظر، تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء ابن كثير ،ج70/1.

[3]– تناسق الدرر في تناسب السوّر، للحافظ جلال الدّين السيوطي، ص:18.

[4]– ينظر،في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط الشرعية الثانية والثلاثون، 1423هـ–2003م، ج30/1.

[5]– ينظر،المرجع نفسه،ج27/1–35.بتصرف.

4- نزلت في المدينة بعد أن أصبح الإسلام منتشرا في كلّ بيت؛ حتى لم يبق فيها بيت لم يدخله الإسلام.

5- نزلت في ظرف استطاع به-صلى الله عليه وسلم- أن يعقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبنى منهم جبهة قوية داخل المجتمع الإسلامي، وقد نوّه القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع كثيرة منها، ما قاله تعالى في سورة الحشر: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)** ﴾ (الحشر:آية:09).

وكما هو معروف أنّ ظروف تواجد النّص، لها دور كبير في معرفة المناسبة التي قيل فيها النص وكذلك لمعرفة سبب النزول دور لا يقل أهمية عن ذلك، وتكمن أهميّة ذلك في توجيه التأويل، وتكشف لنا هذه المعرفة عن علاقة النّص والخطاب بالمقام وسياق الحال، وحتّى نتمكّن كذلك من تطبيق نظرية النص وتحليل الخطاب على أحسن وجه للكشف عن الإتّساق والإنسجام الذي يحكم النّص، و كيف لهما أن يجعلا من التراكيب والجمل نصّا واحدا موّحدا. وتتجلى البنية النصّية كاملة متكاملة من داخل النّص وخارجه.

هـ – المقاصد الكلية داخل سورة البقرة:

"هَذِهِ السُّورَةُ مُتَرَامِيَةٌ أَطْرَافُهَا، وَأَسَالِيبُهَا ذَاتُ أَفْنَانٍ، قَدْ جَمَعَتْ مِنْ وَشَائِجِ أَغْرَاضِ السُّوَرِ مَا كَانَ مِصْدَاقًا لِتَلْقِيبِهَا فُسْطَاطَ الْقُرْآنِ، فَلَا تَسْتَطِيعُ إِحْصَاءَ مُحْتَوَيَاتِهَا بِحُسْبَانٍ، وَعَلَى النَّاظِرِ أَنْ يَتَرَقَّبَ تَفَاصِيلَ مِنْهَا فِيمَا يَأْتِي لَنَا مِنْ تَفْسِيرِهَا، وَلَكِنَّ هَذَا لَا يُحْجِمُ بِنَا عَنِ التَّعَرُّضِ إِلَى لَائِحَاتٍ مِنْهَا، وَقَدْ حِيكَتْ بِنَسْجِ الْمُنَاسَبَاتِ وَالِاعْتِبَارَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ مِنْ لُحْمَةٍ مُحْكَمَةٍ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ، وَسُدًى مَتِينٍ مِنْ فَصَاحَةِ الْكَلِمَاتِ.

وَمُعْظَمُ أَغْرَاضِهَا يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يُثْبِتُ سُمُوَّ هَذَا الدِّينِ عَلَى مَا سَبَقَهُ وَعُلُوَّ هَدْيِهِ وَأُصُولَ تَطْهِيرِهِ النُّفُوسَ، وَقِسْمٌ يُبَيِّنُ شَرَائِعَ هَذَا الدِّينِ لِأَتْبَاعِهِ وَإِصْلَاحِ مُجْتَمَعِهِمْ"[1].

تضمنت السّورة الكريمة مقاصد الإسلام الرئيسة وكليّاته الأساسية حسب أهل التفسير؛ لأن فيها ما فيها من إقامة الدليل على أنّ القرآن الكريم المنزل على سيّدنا محمّد -صلّى الله عليه وسلّم -كتاب هداية ليُتَّبَع في كل حال وفي كلّ الأزمنة، وأعظم ما يهدي إليه هو الإيمان بالغيب، الذي أعربت عنه قصّة البقرة، فمدارها الرئيس يدور حول الإيمان بالغيب؛ فلذلك سميت بها السّورة (نعني قصّة البقرة)؛ لأنّ إحياء ميّت بمجرد ضربه

[1]– تفسير التحرير والتنوير، محمد الطّاهر بن عاشور، ج203/1.

ببعض أجزاء تلك البقرة أقوى دلالة على قدرته سبحانه، وهو دليل دامغ يميّع حقيقة بني اسرائيل من زيفهم وجحودهم وكفرهم، وعنادهم، إلى غير ذلك من مذمومات بني إسرائيل.

وعلى الجملة؛ فإنّ هذه السّورة –على طولها وتنوّع مواضيعها– تتألّف وحدتها الموضوعية من: مقدمة، وأربعة مقاصد رئيسية، وخاتمة. "وفكرة(الوحدة العضوية)التي يبدو العمل في إطارها كلا واحد، متناغم الأجزاء، مؤتلف العناصر، وتكون دراسة النص(السورة) فيها شاملة، تعنى بشتى العناصر التي تنظم وحداته، وتؤلف بين أجزائه، من أجل تكوين المعنى الكلي الموحد"[1]. وهذا المعنى الكلي والشامل يسهّل عملية الإدراك والفهم.

"سورة البقرة من السور المدنية، التي تعنى بجانب التوجيه و التشريع، وهي أطول سور القرآن على الإطلاق، شأنها كشأن سائر السور المدنية التي تعالج النظم والقوانين التشريعية للدولة الإسلامية الجديدة.اشتملت هذه السورة الكريمة"سورة البقرة"على معظم الأحكام التشريعية في العبادات، والمعاملات، والأخلاق، وفي أمور النكاح، والعدة، والطلاق، وسائر الأحكام الشرعية من صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، لأن المسلمين كانوا في بداية تكوين (الدولة الإسلامية) وهم في أمس الحاجة إلى التشريع الإلهي، والمنهاج الرباني، الذي يعصمهم من الخطأ والزلل، والذي يسيرون عليه في حياتهم الدنيوية، سواء منها ما كان في العبادات أو المعاملات"[2]. وهذا الثراء في المواضيع زاد من حجم السورة، ما خلق نوعا من الإختلاف في تحديد المقاصد وتقسيم السورة منذ القديم، استمر إلى الأساتذة المحدثين والمعاصرين، ونذكر منهم الشيخ عبد الله درّاز والسعيد حوّى، وغيرهم من الذين اجتهدوا في دراسة القرآن.

يقول الشيخ دراز– رحمه الله – ما خلاصته: (إن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة:

–المقدمة: من الآية (1 _ 20) في التعريف بشأن هذا القرآن وبيان أن ما فيه من هداية قد بلغ من الوضوح مبلغا لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يُعرض عنه مَن لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض.

–المقصد الأول: دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام من الآية (21 _ 40).

---

[1]– ينظر،أدبية النّص،محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي،د. صلاح رزق،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، (د.ط)، 2002م،ص:149–150.

[2]– قبس من نور القرآن الكريم،من سورة الفاتحة و البقرة و آل عمران،دراسة موسعة تحليلية لأهداف و مقاصد السور الثلاث،الشيخ محمد علي الصابوني،دار القلم،دمشق،ط2، 1408هـ–1988م، ص:17.

–المقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم، والدخول في هذا الدين الحق من (40 _ 162).

– المقصد الثالث: في عرض شرائع الدين الإسلامي مفصلاً من (163 _ 283).

–المقصد الرابع: آية واحدة، وفيها الوازع الديني الباعث على ملازمة الشرائع، والعاصم من مخالفتها، وهي الآية رقم (284).

– ثم الخاتمة: في التعريف بالذين استجابوا، وما أعد لهم من (285 _ 286). [1]

ويقول الأستاذ محمود توفيق سعد_ حفظه الله _ "الذي أذهب إليه أن تقسيم العلاّمة درّاز أفضل من تقسيمات أخرى إلا أنني أميل إلى أن السّورة مكونة من مقدمة وقسمين كبيرين وخاتمة.

– المقدمة: من الآية (1 _ 20) من قوله تعالى:﴿**الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)** ﴾(البقرة:1-2) إلى قوله: ﴿ **يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)** ﴾(البقرة: 20) مثلما أبان عنه الدكتور دراز.

–القسم الأول: من الآية (21 _ 167) من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (البقرة:21) إلى آخر قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾ (البقرة:167). وهذا القسم قائم بالحقائق والتكاليف العقدية الإيمانية.

–القسم الثاني: من الآية (168 _ 283) من أول قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ (البقرة:168) إلى آخر قوله تعالى:﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة:283).وآيات هذا القسم معقودة لبيان أحكام الشريعة؛ لتكتمل بها صورة الإسلام وهديه؛عقيدةً وشريعةً.

---

[1]– ينظر: النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز، طبعة دار الثقافة – الدوحة ، قطر، 1405 هـ – 1985م، ص:163 وما بعدها.

واستهلال هذا الشطر بدعوة الناس كافة إلى أن يأكلوا مما في الأرض حلالاً طيبا، ولا يتبعوا خطوات الشيطان؛ فهو عدوهم المبين يتناغم مع ما عُقدت له آياته من بيان أحكام الشريعة، وأبرزها أحكام المطعم؛ لأنها أساس الأعمال؛ فإنّ كلّ جسم نبت من حرام فإنّ مآله إلى النار، ولا تقبل صلاته وصيامه ولا زكاته ولا حجه ولا جهاده إلى آخر تلك الشرائع التي فصلتها آيات هذا العقد.

فالتوحيد رأس الجانب العقدي. وطيب المطعم رأس الجانب التشريعي. فكانت الدعوة إلى الجانب الأول للناس كافة في مستهل آيات القسم الأول العقدي. وكانت الدعوة إلى الجانب الآخر للناس كافة في مستهل آيات القسم الثاني التشريعي. ثم توالت التشريعات؛ ليحقق الأمن من طيب المطعم وأحكام الصيام والجهاد والحج والإنفاق والقتال في الأشهر الحرم، والخمر والميسر، وأحكام الأسرة، وأحكام المعاملات المالية من صدقة وربا وقرض ورهن، فختم آيات هذا القسم بأطول آية: (آية المداينة)، فآية الرهن؛ مؤكدا الدعوة إلى الأمانة والقيام بحق الشهادة.

-الخاتمة: في ثلاث آيات (284 _ 286) مقررة أن الكون كله لله وحده، وأن ما في الأنفس يحاسب عليه؛ فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، فكأن في هذه الآية تعقيباً على القسمين معاً (العقدي والتشريعي)، وفي الوقت نفسه توطئة لذكر الذين قاموا بحق هذين القسمين فكان فيه رد عجز السورة على صدرها)[1] .وهذا التقسيم يضع السورة _ على طولها _ في إطارين اثنين مع وجود مقدمة وخاتمة، وهذا أقرب إلى واقع السورة، وأكثر تحديداً لأركانها، وأضبط لمعاقدها.

وقد استطاع الأستاذ عبد الله محمود شحاتة اختزال الأهداف العامّة لنص سورة البقرة فيما يلي:

1- بيان أصول العقيدة وذكر أدلة التوحيد ومبدأ خلق الإنسان.

2- بيان أصناف الخلائق أمام هداية القرآن، وذكرت أنهم أصناف ثلاثة المؤمنون والكافرون والمنافقون.

3- تعرضت السورة لتاريخ اليهود الطويل، وناقشتهم في عقيدتهم، وذكّرتهم بنعم الله على أسلافهم وبما أصاب هؤلاء الأسلاف حينما لِتَوت عقولهم عن تلقي دعوة الحق من أنبيائهم السابقين وارتكبوا من صنوف العناد والتكذيب والمخالفة...

[1]- ينظر، منهج البحث البياني عن المعنى القرآني، محمود توفيق – مطبعة الإخوة الأشقاء – مصر، ص: 137 – 141 .

4- والنصف الأخير من سورة البقرة اشتمل على التشريع الإسلامي الذي اقتضاه تكوُّن المسلمين جماعة متميزة عن غيرها في عبادتها ومعاملاتها وعاداتها"[1].

ومنهم من قسم سورة البقرة نظرا لطولها حسب مايلي:

– **أولاً**:بيان صدق القرآن، و أنّ دعوته حقّ لاريب فيه.

– **ثانيا**:بيان أصناف الناس أمام هداية القرآن، وذكرت أنهم أصناف ثلاثة: (المؤمنون، والكافرون، والمنافقون).

– **ثالثا**: تناولت السّورة الحديث بإسهاب عن أهل الكتاب، وبوجه خاص اليهود، وناقشتهم في عقيدتهم، وذكّرتهم بنعم الله على أسلافهم و نبّهت المؤمنين إلى خبثهم ومكرهم.

– **رابعا**: والنصف الآخير من السورة تناول جانب التّشريع لأنّ المسلمين كانوا في بداية تكوين (الدولة الإسلامية)، وهم في أمس الحاجة إلى التشريع السّماوي الذي يسيرون عليه في حياتهم وقد ذكرت السّورة من ذلك (القصاص، وأحكام الجهاد في سبيل الله، وشؤون الأسرة وما يتعلق بها وذكرت الإنفاق في سبيل الله وذكرت البيع والربا).

–**خامسا**:حتمت السّورة بتوجيه المؤمنين إلى التوبة والإنابة والتضرع إلى الله وطلب النصر على الكفار"[2].

والحقيقة التي يجب أن تقال وهي أنّ معظم السور القرآنية متعددة المواضيع ولكنها مع تعددها متّحدة في هدف عام تتجه إليه ملتحمة في نسيج واحد دون تنافر أو تفكك، وما يعبّر عنه بعض الكاتبين بأنّه موضوع السّورة إنما هو هدفها المحوي الذي تدور عليه جميع موضوعاتها"[3] . وعلى العموم فإننا سنحاول الإلتزام بتطبيق منهج علم اللغة النصي وتحليل الخطاب على سورة البقرة لنستقصي منها الأثر الذي يتركه الإتّساق والإنسجام على النص، وكيف استطاعت اللغة أن تلم بمواضيع مختلفة ومتنوعة تحت لواء سورة واحدة.

---

[1]– أهداف كل سورة و مقاصدها في القرآن الكريم،د.عبد الله محمود شحاتة، ص:14.13.

[2]–أسماء السور القرآن و فضائلها،د.منيرة محمد ناصر الدوسري، ص:150.و ينظر :أهداف كل سورة و مقصدها،د،عبد الله شحاتة ،ج1/13.

[3]– وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها، رشيد الحمداوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية،ع3، جمادى الآخرة، 1428هـ، ص:140.

و- تنوّع الأحكام الشرعية الواردة في سورة البقرة:

يمكن أن نجمل الأحكام الشرعية التي تناولتها السورة في ما يلي:"أحكام الصيام، أحكام القصاص، أحكام الحج والعمرة، أحكام الجهاد والقتال، ثم شؤون الأسرة وما يتعلق بها من النكاح، والرضاع، والعدة، والطلاق، والخلع، والإيلاء وسائر الأمور المتعلقة بالأسرة كالتحذير من معاشرة النساء في الحيض، وتحريم نكاح المشركات. وكذلك فقد تناولت السّورة أحكام الحلف (اليمين)، وأحكام الدين وأحكام القبلة، والنسخ في القرآن، وتحدثت بالتفصيل عن (جريمة الربا) التي تقوّض بنيان المجتمع، وتهدم أركانه"[1]. وخلاصة ما في هذه السورة من أمهات الشريعة:

"1- دعوة الناس جميعا إلى عبادة ربهم.

2- عدم اِتخاذ أنداد له.

3- ذكر الوحي والرسالة والحجاج على ذلك بهذا الكتاب المنزل على عبده وتحدي الناس كافة بالإتيان بمثله.

4- ذكر أسس الدين وهو توحيد الله.

5- إباحة الأكل من ميع الطيبات.

6- ذكر الأحكام العملية من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأحكام الصيام والحج والعمرة، وأحكام القصاص والقتال.

7- الأمر بإنفاق المال في سبيل الله.

8- تحريم الخمر والميسر.

9- معاملة اليتامى و مخالطتهم في المعيشة.

10- أحكام الزوجية من طلاق ورضاعة وعدّة.

11- تحريم الربا والأمر بأخذ ما بقى منه.

12- أحكام الدين من كتابة وإشهاد وشهادة وحكم النساء والرجال في ذلك.

13- وجوب أداء الأمانة.

14- تحريم كتمان الشهادة.

15-خاتمة ذلك كله الدعاء الذي طلب إلينا أن ندعو به.

---

[1]- قبس من نور القرآن الكريم، من سورة الفاتحة و البقرة و آل عمران، دراسة موسعة تحليلية لأهداف ومقاصد السور الثلاث، الشيخ محمد علي الصابوني،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1408هـ - 1988م، ص:18.

وعلى الجملة فقد فصّلت فيها الأحكام، وضربت الأمثال، وأقيمت الحجج ولم تشتمل سورة على مثل ما اشتملت عليه، و من ثم سميت فسطاط القرآن"[1].و من جملة ما سبق نلاحظ أنّ هذا يوّضح الخلاف الحاصل بين الدّارسين للقرآن وخاصّة سورة البقرة في الطريقة التي تناولوها بها. وكيف حاولوا إثبات نصيّة السورة واتساق بنيانها المرصوص، الذي انسجم تحت هذه الوحدة التي تجعل المتلقي لا يشعر بمفاصل مواضيعها، وسنمثل لبعض ذلك بخرائط ذهنية لسورة البقرة عند بعض الدارسين الذين قسموا مواضيع ومقاصد وأهداف السورة حسب فهمهم لها.

ز- اجتهادات وتنوّعات في تقسيم سّورة البقرة:

اجتهد علماؤنا لتقسم مواضيع سور القرآن الكريم كل حسب فهمه للنص، وكان هذا الإختلاف هو اختلاف في التقسيم والفهم، ولم يكن يوما يحيد عن مقاصد السورة، فمنهم من جعل للسورة محاورا ومنهم من جعل لها أقساما ومنهم من قسّمها إلى مقاطع حسب طبيعة الموضوع الذي عالجته بعض الآيات،...، لكن هنا تقسيم واحد أجمعوا عليه وهو تقسيم القرآن إلى أجزاء وأحزاب وأنصاف أحزاب، وأرباع أحزاب، وأثمان أحزاب، وأسداس أحزاب، وهذا هو أشهر التقسيمات إتّفاقا عند علماء القرآن، وسنذكر أشهر تقسيمات العلماء لسورة البقرة والتي نعتبرها مهمة في الدراسات القرآنية واللغوية (اللسانية) القديمة والحديثة.

- خريطة ذهنية لتقسيم أغراض سورة البقرة عند الظاهر بن عاشور :

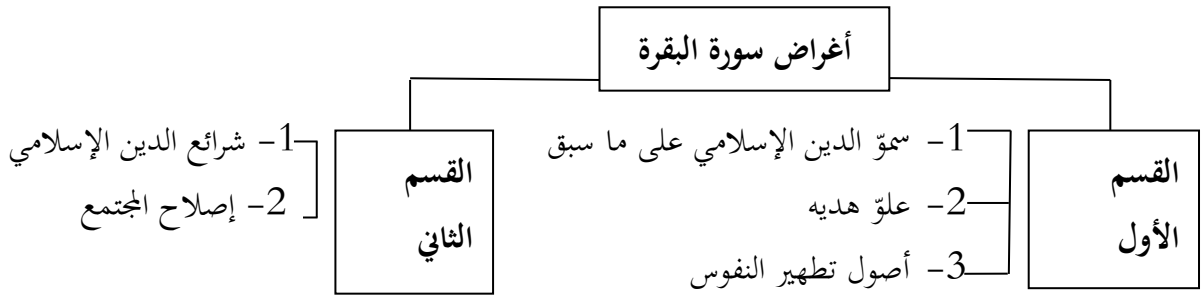

ويماثل هذا التقسيم الطّاهر بن عاشور تقسيم سيد قطب حيث قال :"ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين :قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هدية وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم"[2]. ويعكس هذا الإهتمام بالنص القرآني وتجزئته إلى أقسام ومحاور ومواضيع وأغراض ومقاصد النظرة التجزيئية للنص، التي تعتمدها الدراسات الحديثة في تقسيم النص إلى وحدات وتحديد فكرة كل

[1]- تفسير المراغي،أحمد مصطفى المراغي،شركة مكتبة و مطبعة مصطفى، ط1، 1365هـ/1946م، ج3/85.86.

[2] - التحرير والتنوير ، الظاهر بن عاشور ، 203/1 .

وحدة نصية تساهم في بناء النص. وهذا ما يدل على الوعي الذي وصل إليه الفكر العربي في وقت سبق فيه الفكر الغربي.

ح- محور مواضيع سورة البقرة عند علماء القرآن:

مما لا شك فيه أنّ سورة البقرة لم تختص بموضوع واحد، لتشرحه وتوضحه، كما لم تختص بمقصد واحد، فهي مجموعة من المواضيع والأخبار والقصص والأحكام التشريعية التي شغلت المسلمين آنذاك، كما يقرّ جلّ العلماء بأنّ هذا التنوّع في المواضيع لم يشتت بنية السورة، بل كان يدور في حلقة واحدة جمعت مختلف مواضيع السورة الواحدة تحت غرضها وقصدها العام وهو وجوب الإنقياد لله تعالى وحده مع الإيمان بالغيب المتمثل في حقيقة البعث من جديد يوم القيامة، كما أن ذكر حادثة البقرة في قصص بني إسرائيل هم تفرّد بذكر موضوع تقليدي يتمثل في حقيقة البعث كان يصارع حقيقة إيمان العقول به، ونظرا لأنّ الناس كانوا أكثر ما يؤمنون به هو التمثيل المادي غير الروحي لاقى هذا الموضوع إقصاءه من العقل الإنساني منذ القدم، فكفرت به عقول البشر وهذا ما كان دافعا لإعادة ذكر هذه القصّة وتحديد القصد منها في سورة البقرة، لهذا كان "موضوع سورة البقرة الإسلام لله تعالى، بمعنى الاستسلام الكامل لأحكامه القدرية والشرعية والانقياد والإذعان لها، هذا هو الموضوع الأساسي لسورة البقرة والذي دارت آياتها كلها في فلكه"[1]. وقد قسم الدكتور عبد الحميد محمود طهماز مواضيع سورة البقرة التي تدخل تحت الموضوع الرئيسي إلى تسع فصول متوالية حسب تسلسل آيات السورة، كما يلي:

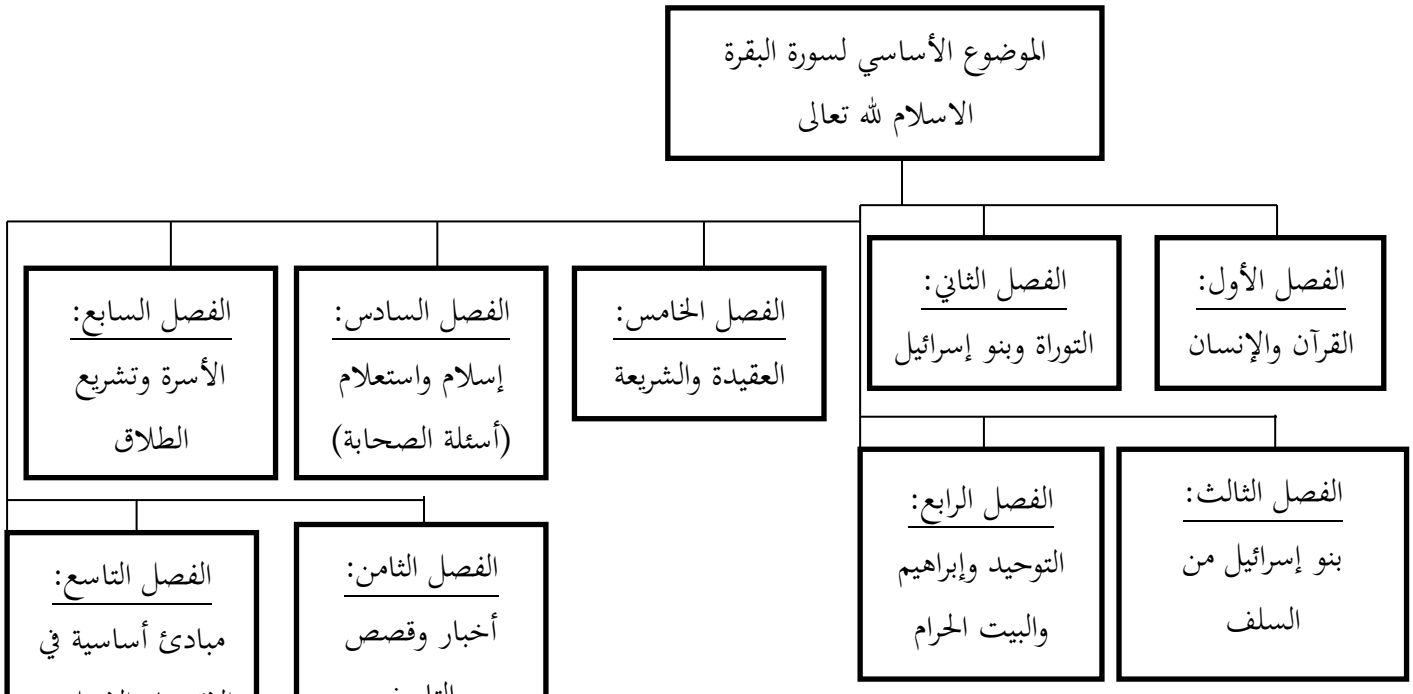

[1] – من موضوعات سور القرآن الكريم، الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبد الحميد محمود طهماز، ص: 21.

وقد اجتهد الكثير من العلماء في تجزيء السورة حسب تتابع موضوعاتها وتسلسلها كما جاءت في بنيتها، وبالنظر إلى هذا التنوع في طبيعة المواضيع التي ذكرت في سورة البقرة في نص واحد وخطاب واحد، قد يتساءل الكثير من المهتمين بالبحث في هذه السورة عن طبيعة العلاقة الموجودة بين هذه المواضيع وكيف انسجمت بلغة واحدة واتسقت ألفاظها وعباراتها.

معلوم أنّ سورة البقرة من أطول السّور القرآنية لاحتوائها مواضيع متنوّعة، يتعلّق أغلبها بالشريعة والأحكام، ومع هذا فإنّ الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة واضحة تمام الوضوح، فحروف كلماتها متسقة في ذات الكلمات وألفاظها متماسكة أشد التماسك، وعباراتها وتراكيبها محكومة بعلاقات شتى، وآياتها منسوجة أيما نسج، واستمرار آياتها وتعالق بعضها البعض خاصية نصية، وانسجام سياقاتها ومواضيعها وفق عمارة محكمة. وعن ذلك قال سيد قطب:"هذه السورة تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان، الرئيسان فيه ترابطا شديدا، فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها ومواجهتهم لرسولها وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها...، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى . وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة الإسلامية في أول نشأتها، وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السّورة كون بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها، وتجريدهم شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم عليه السلام صاحب الحنفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم.. وكلّ موضوعات السورة تدور حول هذا المحور المزدوج بخطيه الرئيسيين"[1].

- خريطة ذهنية لمحاور سورة البقرة عند سيد قطب :

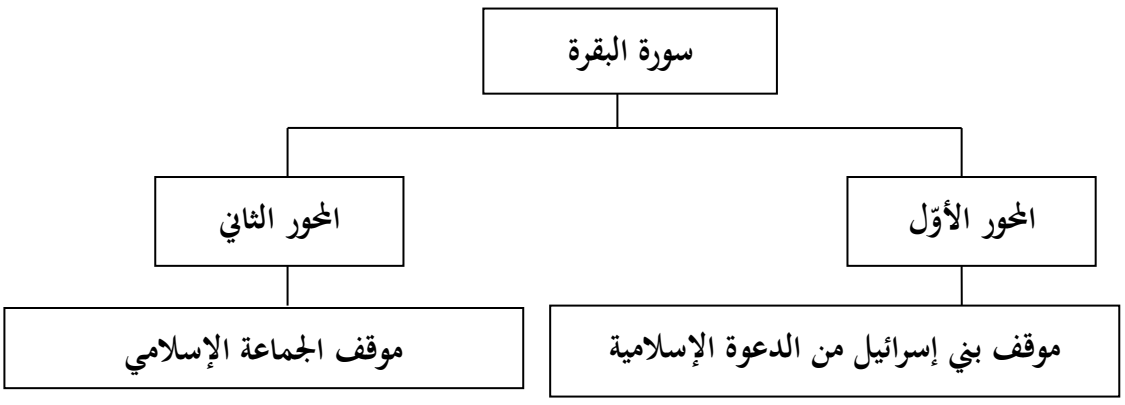

[1]- في ظلال القرآن، سيد قطب، ج28/1 .

إن هذه السورة كسائر أخواتها نموذج رائع لحسن الارتباط في آياتها وروعة التناسق فيما بين أجزائها وذلك بالرغم من أنها لم تنزل جملة واحدة ، بل نزلت على فترات زمنية متباعدة . والفواصل الزمنية في النزول وإن كانت طويلة مديدة إلاّ أنّها لا تحلّ أبدا بهذا الارتباط وذلك التناسق.[1]

أما سعيد حوى فقد اجتهد وحاول أن يفكك تآلفها ووجدها تتألف من "مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة، أما المقدمة فعشرون آية وفيها كلام عن المتقين وصفاتهم، ثم عن الكافرون وأوضح علاماتهم، ثم عن المنافقين وحقيقتهم و علاماتهم، وتوضيحات في شأنهم ، وبعد أن تقسم مقدمة السورة الناس الى أقسام ثلاثة هم : المتقون، الكافرون، والمنافقون، وتحدد السمات الرئيسية لكل هؤلاء، يأتي القسم الأول ويمتد من الآية الحادية والعشرين الى نهاية الآية السابعة والستين بعد المئة".[2]

- مخطط لمواضيع سورة البقرة و طريقة تقسيمها عند السعيد حوى:

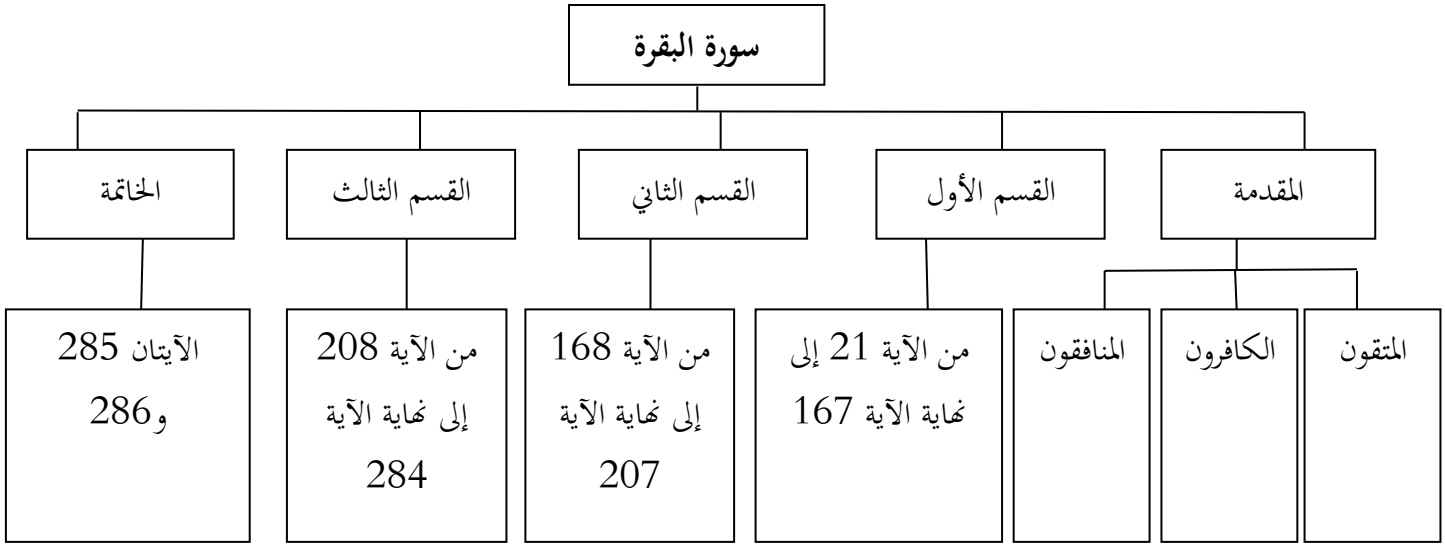

أما القسم الثاني فإنه يمتد من الآية الثامنة والستين بعد المائة (168) إلى نهاية الآية السابعة بعد المائتين (207)، ثم يأتي بعد ذلك القسم الثالث ويمتد من الآية الثامنة بعد المائتين (208) إلى نهاية الآية الرابعة

[1]– البرهان في نظام القرآن ، نظام سور: الفاتحة و البقرة وآل عمران، د محمد عناية الله أسد سبحاني، قدم له، العلامة د. محمد أديب الصالح، العلامّة أبو الحسن علي الحسني الندوي، د مصطفى مسلم، دار الكتب، للنشر والتوزيع، جدّة، ط1، 1414هـ 1994م، ص : 92 .

[2]– الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ص : 61

والثمانين بعد المائتين (284) . ومن المعلوم أن الآيتين الأخيرتين في سورة البقرة قد ورد فيها أكثر من نص يخصهما بالذكر فهما خاتمة السورة .[1]

ومن التفاسير الحديثة التي تطرقت إلى سورة البقرة من خلال تطبيق المنهج البنيوي عليها وتحليل السورة والكشف عن هندستها اللغوية والفنية، ما قام به د/محمود البستاني وهو شيعي المذهب حيث قال : "أمّا الهيكل الداخلي لها، فيمكن تقسيم ذلك الى أقسام (رئيسية) ، كل واحد منها يتضمن مقاطع ثانوية وكل من الخطوط الرئيسية والثانوية تتلاقى من خلال شبكة تنظمها جميعا مع ملاحظة أن هناك عشرات الظواهر أو الموضوعات أو الأفكار تجد لها مكانا تدلف إليه ضمن هذه الخطوط وفق منحنى فني غير مباشر، مما يضفي مزيدا من الجمالية والامتاع على عمارة السورة "[2]وقد قسم مواضيع السورة إلى ستة أقسام وهي:

1- القسم الأول : يركّز على سلوك المنافقين، مع (تمهيد) يتناول سمات (المتّقين) حيث تظلّ السمة المشار إليها (الاتقاء . التقوى) أهمّ الأعصبة أو المحاور الفكرية للسورة، بحيث تُلقي بإنارتها على أقسام السورة جميعاً: بخاصّة القسم الأخير منها.

2- القسم الثاني : يركز على المولد البشري (تجربة آدم عليه السلام) .

3- القسم الثالث : يركز على السلوك الإسرائيلي .

4- القسم الرابع : يركز على شخصية إبراهيم عليه السلام .

5- القسم الخامس : يركز على سمات المؤمنين .

6-القسم السادس : يركز على (الأحكام الشرعية).[3]

و"يتفق جمهور المعاصرين على أن محور السورة يدور حول الخلافة في الأرض ومقوماتها وأهلها ".[4]

– مخطط لخريطة ذهنية يوضح التقسيم البنائي لمواضيع سورة البقرة عند محمود البستاني:

---

[1]– بنظر الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، 62–64 .

[2]– التفسير البنائي للقرآن الكريم ، د.محمود البستاني، مكتبة مؤمن قريش، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد،إيران،ط1، 1422ق–1380ش، ج21/1 .

[3] – ينظر، التفسير البنائي للقرآن الكريم ، د.محمود البستاني ، ج21/1 وما بعدها.

[4] – التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، د.مصطفى مسلم ، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 1431 هـ /2010 م ، مج1/ 27 .

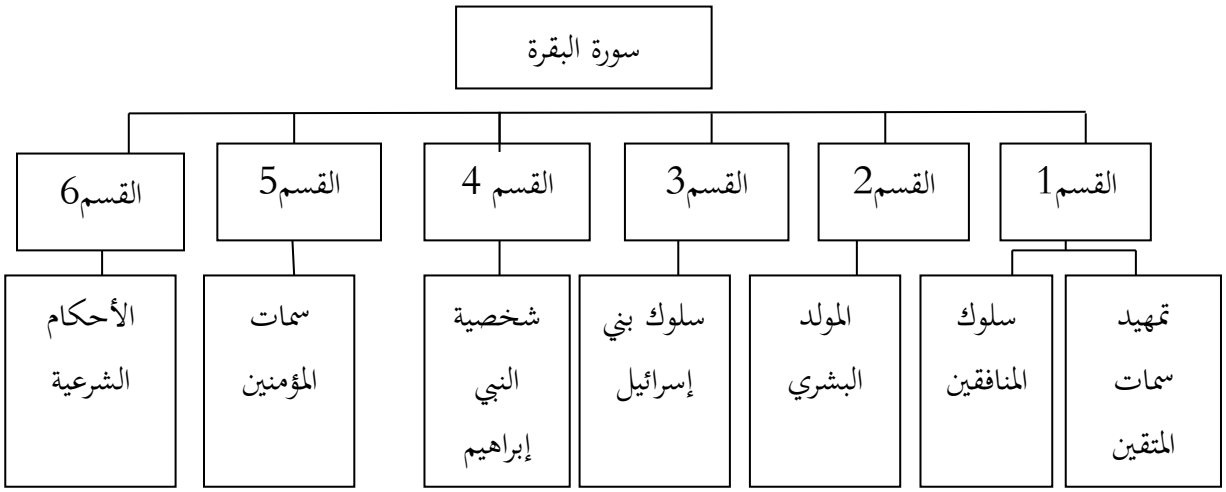

وهناك من اعتمد في تفسيره وتحليل مواضيع القرآن الكريم على نظام التجزئة وعندهم كل جزء يتكوّن من حزبين، وكل حزب يتكون من نصفين، وكل نصف يتكون من ربعين، وكل ربع يتكوّن من ثمنين، ومنه كل حزب يتكوّن من ثمانية أثمان وأربعة أرباع، وكل ربع يتكوّن من ثمنين؛ وربما رأى أصحاب هذا الرأي أنّ نظام التجزئة للسور القرآنية أسهل طريقة لدراسة مواضيعه، كما جاء في كتاب " الدّرة في تفسير سورة البقرة". وقد استغرقت سورة البقرة لوحدها "جزئين ونصف جزء، وعدد أجزاء القرآن جميعه ثلاثون جزءا، ولذلك كان الرجل إذا حفظ سورة البقرة عظم في أعين المسلمين، وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة، وعدد آياتها (286) آية وعدد كلماتها (6121) كلمة ".[1]

ط- في النص والخطاب القرآني:

ومن المعلوم أنّ النّص القرآني تناوله بالبحث والتفسير علماء الفقه والأصول والتفسير والبلاغة والنّحو، وكان لعلماء(علوم القرآن) والمفسرين والبلاغين النّصيب الأوفر من دراسة النّص القرآني، وذلك بتوظيف كثير من العلوم والآليات والأدوات التي ألمت بالنّص القرآني الكريم من جوانب متعددة ولاستكشاف قيّمه الدلالية وجوانبه الجمالية وعلاقاته الكليّة المتكاملة، فكانت هذه العلوم مؤهلا بأن تكون أقرب إلى النهج الذي نهجته لسانيات النص وتحليل الخطاب، وهو صالح لأن يصاغ منه أنموذج تحليلي يستخرج الظّواهر اللسانية من أعماق النّص ويكتشف فيها الجمالية التي تنطوي عليها اللغة العربية نفسها و يُفهمها، لأنه يدعو إلى تطبيق النظرة الكلية للنص، التي بها يكتشف مدى تحقق الإتساق والإنسجام، وبهذا المنهج يستطيع الباحث اللساني، أن يكتشف وحدة النص الكاملة.

[1] أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ، د/عبد الله محمود شحاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 1976 ، ص : 11 .

إن القراءة العلمية الرصينة المتبنيّة لمناهج تحليل الخطاب، وعلم لغة النص، المعتمدة على القراءة المقاصدية الهادفة للنص القرآني، القائمة على احترام خصوصيات القرآن الكريم، وإعتماد منهج التفسير علما وقواعدا، تبرز لنا تميّز القرآن الكريم و انفراده بخصائص جمّة قد لا نجدها في الكتب التي ينتجها البشر، فهو كلام الله المعجز الخارج عن معهود الكتابات، والذي لا يخضع لمعهود الوحدة التي يتعارف عليها البشر في الكتابة والتأليف، ومن ثمّ فإنّه يتفرّد بوحدة خاصّة تتمثّل في وحدة الأهداف والمقاصد من حيث البناء الدلالي والمفاهيمي (الإنسجام)، ومن حيث بناؤه التركيبي فإنه يتماسك بدمج الأدوات التركيبية مع الأساليب الفنية(الإتساق) هذه هي الخاصية التعبيرية الإتصالية والجمالية والفنية التي يمتاز بها القرآن الكريم تجعل الإنسان في حيرة من أمره، إذ أنها ألغت ما تعارفنا عليه في عالم المعرفة اللسانية ومناهج تحليل الخطاب من تفريق بين المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والأسلوبية، والتداولية؛ لتظهر تماسك النص، الخطاب القرآني على غير معهود البشر وبطريقة مضمرة ولا يمكن الكشف عنها إلا بعد إعمال العقل"[1] "إن القرآن الكريم بألفاظه ومعانيه كلام الله، وهو المنهج السماوي للبشر كافة، وللخلق عامة، وهو المرجع الأوّل في أمور دين المسلمين، وهو الحكم الذي إليه يحتكمون، وفصل فضائه الذي إليه ينتهون، والأحكام التي وردت في القرآن الكريم لم تصدر دفعة واحدة، بل نزلت تدريجيا طوال مدّة الرسالة، فبعضها لتثبيت فؤاد النبي – صلّى الله عليه وسلّم– وتقوية قلبه، وبعضها لتربية هذه الأمّة الناشئة، علما وعملا، والبعض الآخر نزل بمناسبة حالات وقعت فعلا للمسلمين في حياتهم اليومية، في أوقات مختلفة، وأزمنة متفرقة، فكلما وقع منها حادث نزل من القرآن ما يناسبه ويوضح حكم الله فيه، من ذلك الأقضية والوقائع التي كانت تحدث في المجتمع الإسلامي في عهد التشريع، فيحتاج المسلمون إلى معرفة حكمها، فتنزل الآيات مبيّنة حكم الله فيها،كتحريم الخمر"[2].

والقرآن هو كلام الله المنزّل على قلب النبيّ –محمّد صلّى الله عليه وسلّم– بواسطة الوحي، روح القدس الملك جبريل عليه السّلام، منسجما في شكل آيات وسور خلال مدّة ثلاث وعشرين سنة،مبدوءا بفاتحة الكتاب مختوما بسورة الناس، منقولا بالتواتر المطلق برهانا معجزا على صدق رسالة الإسلام.

وهذا التعريف للنص القرآني يشير إلى مصدره وهو الله سبحانه وتعالى، وحامله هو جبريل أو روح القدس عليه السلام، والمتلقي الأوّل هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيفية التنزيل أو (الوحي) وشكل التنزيل (آيات أو سور)، ومدّته وهي ثلاث وعشرون سنة، وكمّه وهو ما يضمّه المصحف المعروف الآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، كما تشير إلى وظيفته وهي أنّه برهان معجز منقول بأوثق سند حمله إلى العالمين، وهو

---

[1]– لسانيات الخطاب القرآني،مظاهر الإتساق و الإنسجام،د.خديجة إيكر، مركز الدراسات القرآنية،الرابطة المحمدية للعلماء،المملكة المغربية، موقع: http://www.alquran.ma/Article.asp

[2]– التعريف بالقرآن الكريم،مجمع الملك،فهد لطباعة المصحف الشريف،ص:06.

سند التواتر المطلق.[1] و يذكر ذلك الإمام السيوطي فيقول:"ولقد انكبّ العلماء منذ القديم على كتاب الله عزوّجل، يسجلون خصائص نظمه، وطرائق أساليبه و وجوه التعبير فيه، وعرضوا الحقائق و المجازات، وتشابهاته واستعاراته وكناياته وبدائعه إلى غير ذلك من أفانين التصرف في خطاباته ومحاوراته، وبسطوا القول في هذا في كتب التفسير وفي مصنفات أخرى استقلالا"[2].إنهم وعووا كلّ القوانين التخاطبية منذ العصور الأولى لبداية التأسيس للنظرية العربية اللسانية والتخاطبية التي وجدوها في القرآن وعرفوا بها من أوّل وهلة عناصر الخطاب (المخاطِب– المخاطَب– نص الخطاب) وفن التراسل الإلهي،و الوسيط الناقل لهذه الرسالة الخطابية من أعلى مرسل إلى أدنى مرسل إليه، وأوّل المستقبلين، ثم إعادة خلق لتراسل الخطاب مرّة أخرى بين آخر مستقبل للرسالة السماوية إلى المستقبلين الآخرين الذين حُوّل إليهم الخطاب مرّة أخرى، وبنفس النص ومن الشخص المستقبل(النبي صلّى الله عليه وسلّم) إلى المخاطبين المعنيين بهذا الخطاب وهم البشرية جمعاء، والفئة التي آمنت وقتذاك على وجه التحديد.

ك – النَّصُّ القرآنِيُّ خطابٌ:

إنّ عناية الكثير من العلماء واهتمامهم بالدراسات القرآنية يوحي بالثراء المعرفي، والموضوعاتي واللغوي الذي ينّم عنه النّص القرآني، ولعلّ ما عثرنا عليه في كتبهم دليل قاطع على تلك العناية التي حظي بها القرآن الكريم، فكلّ الأعمال التي أُلِّفت منذ القديم كان لعلماء اللغة نصيب فيها، لأنّ اللغة هي الصانعة الحقيقية للنّص وهي الوسيلة التي تتطاوع بكلماتها وأساليبها في حبك النصوص، وتشكّلها في صورة ما شاءها المنتج، ولغة القرآن هي اللغة العربية النوذجية التي تصاغ منها قواعد الكلام والنظم، وهي اللغة التي تسمو على كلّ لغة العرب شعراً ونثر. لذلك كان القرآن النموذج النّصي والخطابي والأسلوبي واللغوي الذي يجب أن تدرس لغته وتركيبته ومعانيه.

و لكون القرآن بعمومياته و ديموماته جاء خطابا إلهيا إلى الأمة قاطبة في جميع الأقطار و العصور، أنزل بلسان عربي للبشر، لأن تلك اللغة أوقر اللغات عبارة، أقلها حروفا، و أفصحها لهجة، و أكثرها تصرفا في الدلالة على أغراض المتكلم، فكان القرآن جامعا لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني في أقل ما يسمح به نظم تلك اللغة"[3].

يقول الدكتور درّاز (1377 هـ): "ولا عجب أنه من كونه أكثر الكلام افتنانا وتنويعا في الموضوعات هو أكثر افتنانا وتلوينا في الأسلوب في الموضوع الواحد...ألاّ تراه كما ينتقل في السورة الواحدة من معنى إلى معنى ينتقل في المعنى الواحد بين إنشاء وخبر...وإظهار وإضمار...وغيبة وخطاب إلى غير ذلك من طرق الأداء على

---

[1]– تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، مارس 2007 م، ص: 23.

[2]– مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع، بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتمها، للحافظ جلال الدين السيوطي، قرأه وقدمه، د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ، ص:11.

[3]– تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج91/1.

نحو من السرعة لا عهد لك بمثله...ومع هذه التحوّلات السريعة المستمرة التي هي مظنة الاختلاج والاضطراب بل مظنة الكبوة والعثار في داخل الموضوع أو في الخروج منه تراه لا يضطرب ولا يتعثر، بل يحتفظ بتلك الطبقة العليا من متانة النظم وجودة السبك حتى يصوغ من هذه الأفانين منظرا مؤتلفا"[1].

لقد تنوّع فهم هؤلاء للقرآن من نص مسموع ومكتوب بلغة معيّنة ونظام لغوي عربي خالص إلى خطاب موقفي وتداولي لأنّ مفهوم الخطاب القرآني مرتبط بشكل وثيق بالنصوص من خلال ارتباطه بمعانيها، إلاّ أنّ الخطاب من جهة أولى ليس هو المعنى الحرفي المباشر للنّص، وليس النص من مشمولاته، إنّما هو قائم في المعنى الذي يستقى من المعنى المباشر والحرفي للنص، فمستوى المعنى التفسيري الحرفي والمباشر جزء من مفهوم النص ذاته، أمّا مستوى الخطاب –حيث النص هو وسيلة– فإنّ فهم مغزى النص وتأويله ومنطوقه ومسكوته هو مشمولات مفهوم الخطاب.[2]

ولعل الوعي الذي كان عليه الفكر العربي فيما مضى ومعرفتهم بلغتهم وقواعدها وصيّغها وتراكيبها ساعدهم على اكتشاف أسرار اللغة القرآنية التي أعجزتهم، و "توسل القدماء إلى قراءة النص القرآني بما تهيأ لهم من أدواتهم النظر؛ فأصابوا كثيرا من وجوه الكشف عمّا ينطوي عليه الخطاب القرآني. ثم نجم في هذا الزمان جيل من الباحثين في العربية خاصة شكّل تيارا عريضا يمثّل امتدادا لجهود الأوائل، إذ يقوم منهجهم على المزاوجة بين النظر في الخطاب القرآني تديّنا وابتغاء البركة (أن يكونوا بسبب من النصِّ المقدّس وسدانته) واسترفاد مناهج في النظر حادثة توافق بعض ما تفطّن إليه الأوائل وترفده بأنظار إضافية مبصرة."[3]

والنّص القرآني خطاب موجّه إلى البشرية يبيّن لهم شريعتهم: "إنّه (موجّه) لا فقط لأنّه مصمم حسب مرمى للمتكلم وإنما لأنّه يتطوّر في الزمان.إنّه يُبنى فعلا حسب غاية ويعتبر سائرا نحو جهة ما، لكنّه يمكن أن يحيد أثناء الطريق (استطرادات...)، ويرجع إلى اتجاهه الأصلي، ويغيّر اتجاهه إلخ. وتتجلى صيغته الخطيّة غالبا خلال عدد من الاستباقات(سنرى أنّ...)، (سأعود إلى هذا...)، أو من الرجوع إلى الوراء، (أو بالأحرى...)، (كان عليّ أن أقول...)، ويمثّل كلّ هذا (قيادة) حقيقية للكلام من قبل المتكلم، لكنّ هذه القيادة تتم في ظروف مختلفة جدّا حسب كون الملفوظ صادرا عن متلفظ واحد يراقبه من أوله إلى آخره"[4].

---

[1]– ينظر، النبأ العظيم، د. عبد الله درّاز، ص: 144.

[2] – جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، ص: 99–100.

[3] – الخطاب القرآني– دراسة في العلاقة بين النص والسيّاق–، خلود العمّوش، جدار للكتاب العالمي، عمّان، الأردن، ط1، 2008م ص: 6.

[4] – ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو – دومنيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري–حمّادي صمود، منشورات دار سينترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص: 182.

ونجد بعض الأسلوبيين أطلقوا لفظة الخطاب على القرآن الكريم بقولهم: "مادام القرآن الكريم خطابا كاملا، فهذا يتيح إمكانية الاستقراء التام لما يعرضه من آيات وقصص وأحكام، كأن يستقري الدّارسون أحكامه في قضية من القضايا، أو يتتبعون قصصه، أو يرصدون آيات الإعجاز العلمي فيه..."[1] وقصدهم في ذلك "أنّ القرآن يحرص في بعض مخاطباته وأساليبه على أن تطرد معانيه على نسق دلالي وتركيبي واحد لا يكاد يختلف مهما تباعدت الآيات والسور، ومهما تباعدت تلك المعاني والأساليب زمانا ومكانا"[2]. وينحصر الغرض هنا في تتبع بعض إشارات أسلافنا وعلمائنا المتعلّقة بهذا الموضوع، "رجاء وضع ترتيب منهجي يساعد على مواصلة البحث في أسرار الخطاب القرآني"[3].

ومما يميّز اللسانيات الحديثة هو ذلك التنوّع في الدّراسات اللّسانية الحديثة في تسمية السّور القرآنية بمفهومي النص والخطاب، ويرجع هذا الاختلاف إلى طبيعة النظريات التي يستقي منها محلّل النّصّ القواعد والإجراءات التي يوظّفها في تحليله للنصّ القرآني، فقد تزيد أو تنقص من باحث إلى آخر، وما يفرّق بين البحوث القرآنية هو مضامينها ومرتكزاتها التي ترتكز عليها في الدّراسة، ولعلماء النص والخطاب نوافذهم التي توغّلوا بها إلى القرآن الكريم، لذلك نظر محلّلو الخطاب للسّورة القرآنية على أنّها خطاب، فقد حاولت هذه الدّراسات الحديثة "أن تضيء بعض معالم التكّيف اللغوي أو (المناسبة)- في مصطلح الأوائل – في الخطاب القرآني مع معطيات السياق المختلفة مجتهدة أن تجمع بين البدء من النص وصولا إلى السياق، والبدء مع السيّاق المحيط بالنّص وصولا إلى بنائه اللغوي"[4].

وهناك الكثير من الباحثين الذين عدّوا القرآن نصّا وخطابا في آن واحد كأولائك الذين اهتموا بالجانب الأسلوبي، لذلك لم يكلّفوا أنفسهم عناء البحث عن حدودهما فـ "القرآن نص ينعقد مدلوله بأحوال متلقيه لا بأحوال مرسله، وهو لأنه كذلك، فإن التمثيل الوجداني الذي تضطلع أسلوبيته الفردية به، لا يقوم هنا على مثال مرسله، ولكن على مثال متلقيه. وبناء على هذا، يمكننا أن نقول: إنّ التّحليل الأسلوبي لمضامين النّص القرآني الوجدانية، إنما هو صورة ترسم انفعال المتلقي بالنص، دون أن ترسم انفعال المرسل، وذلك لسببين:

---

[1] – اطرادات أسلوبية في الخطاب القرآني، رصد واستدراك، محمد إقبال عروي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 1417هـ/1996م، ص: 11.

[2] – المرجع نفسه، ص:11.

[3] – المرجع نفسه، ص: 11.

[4] – الخطاب القرآني– دراسة في العلاقة بين النص والسيّاق–، خلود العمّوش، ص: 10.

– لأن المتلقي (موضوع الخطاب) يُعتبر جزءاً من دلالة الخطاب نفسه، فهو المنفعل فيه من جهة، وهو الذي يجليه إن سلباً وإن إيجاباً من جهة أخرى. وهو لأنه كذلك، يصبح أداة الخطاب في الدلالة على مرجعيته، فتتعين العلاقة بهذا بين الخطاب دالاً وما يشير إليه، أي مدلوله. لأن الله في التصور الإسلامي، لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء و"ليس كمثله شيء".

وما دمنا ننظر إلى القرآن بهذا المنظور، فسنرى أن ثمة علاقة تجاذبية تقوم بينه وبين المتلقي. فالدّال يدل. من جهة أولى، على متلقيه ويتعدّد به. والمتلقي من جهة ثانية، يرتبط به ارتباط المستدل بغيره على نفسه، وبه يتحوّل"[1]. وقد ربطوا بين الخطاب والنصّ في القرآن الكريم كون الخطاب القرآني نصٌّ ورسالة من مرسل في عالم الغيب، وهو الله، إلى مرسل إليه في العالم الدّنيوي وهم البشر، عن طريق الوسيط الأوّل وهو جبريل عليه السلام المكلّف بتنزيل الوحي الإلهي، إلى الوسيط الثاني وهو سيدّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم المكلّف بتبليغ الرسالة إلى البشر وهم المستقبلون لا أحد بعدهم. وبهذا فإنّنا نلاحظ ترابط عناصر الخطاب وتعالقها مع بعضها البعض، من أوّل عنصر (المرسل) وهو الله سبحانه وتعالى، إلى آخر عنصر (المستقبل) وهم الجنس البشري. وتتمثل عملية الإرسال وبعث القرآن كلّه كالرسالة الواحدة إلى البشر، متّسقا في بنيته، ومنسجما مع الحال والمقام. فالمتلقي الثالث بعد الملك جبريل عليه السلام، وبعد النبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم، هم البشر، ومن هذه الزاوية ينظر إلى القرآن كونه خطاب.

فالخطاب القرآنيّ هو خطاب تبليغ مرسل من ربّ العلمين، إلى مرسل إليه هم الناس أجمعين، وأنّ حامل الخطاب هو الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم. فهذا الخطاب مخترق حدود الزمان والمكان والبيئة، ومن ثم يحتاج فهم مضمونه إلى اعتبار متطلبات المستقبل وحاجاته، وذلك من خلال بنية اللغة التي يتلقى بها ذلك المضمون، لاسيما إذا كان الخطاب يتّبع في تأليفه نظاما محكما. فالقرآن الكريم يجسد أداة توصيل مبنية في تبليغها، وشاملة لكلّ ما تقوم به حياة (المرسل إليه) على أكمل وجه رآه (المرسل)، فيكون بذلك خطابا مستمرا وصالحا ووافيا بحاجات الإنسان الذي هو مركز الوجود وغايته.[2] والخطاب في النص القرآني يتميّز عن بقيّة النصوص بفرادة تماسكه وكيفية هذا التماسك، فهو نص يقدّم نفسه بوصفه نصوصا متداخلة في إطار السّورة الواحدة، كما يقدّم نفسه بوصفه نصوصا متداخلة في إطار السّور المتعددة[3].

أمّا وكونه نصا، فهذا يسوقنا إلى الاعتداد بالنظريات اللسانية الحديثة، التي تنظر إلى النص على أنّه إنتاج مترابط متّسق ومنسجم، وليس رصفا اعتباطيا للكلمات والجمل...مع ضرورة الربط بينه وبين الموقف

---

[1]– مقالات في الأسلوبية– دراسة، منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1990م، ص 231–232.

[2] – جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي،ص: 72.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص: 100.

الاجتماعي"[1] و قد نظر بعضهم إلى النص القرآني بأنّه نوع من الكتابة متميّز عن غيره من النصوص التي ينتجها البشر، فهو " نص مكتوب (نص / كتابة)، يطرح إشكالية التصنيف (ليس له شكل محدود ولا ينتمي إلى أي نوع من أنواع الكتابة المألوفة)، ليست له بؤرة مركزية (بل يتضمن بؤراً لا نهاية لها)، وهو بلا بداية أو نهاية (له فاتحة ولكن ليست له بداية أو نهاية بالمعنى المألوف)، يقبل تأويلات لا حصر لها (حظي بهذا وسيبقى يحظى بتأويلات لا نهاية لها)، ذوات طاقة رمزية مطلقة، الإحالة المرجعية في النص القرآني على النص نفسه، وحقوق طبع النص القرآني غير محفوظة لأحد"[2]. وهذا ما يعني بأنّ اشكالية تصنيف القرآن تبقى قائمة لأنه لا يمكن – حسب أصحاب هذا الرأي– أن ننزله إلى منزلة النصوص التي ينتجها البشر، لأنه يتفوّق عليها بنية وتركيبا ومعنىً وغاية، فصاحب هذا النص خصص له رسالة هادفة وشاملة من بدايته إلى نهايته على مدى ثلاثة وعشرين سنة، ولم يحيد عن ذلك المقصود والمضمون.

"فالخطاب في النص القرآني يتحدّد على أنّه رسالة لسانية في حدّ ذاته، ولكنّها من جانب آخر هو شهادة عن رسالة عقائدية، ولاسيما أنّه نص توافرت فيه عوامل الوضوح في الفهم، فلم يكن مبهما ولا مستعصيا، بل جاء خلوا من الطلاسم والملغزات"[3].

ومنطق هؤلاء وهو أنّ النص القرآني "نص لا يسمّى، أو لا تسمح معايير الأنواع الأدبية بتسميته. إنّه نصّ لا يأخذ معياره من خارج، من قواعد ومبادئ محددة، وإنما معياره داخلي فيه... وإنه مطلق: لا يدرك معناه، ولا يبدأ ولا ينتهي، وهو بوصفه مطلقاً يتجلّى في زمان ومكان، متحرك الدلالة، مفتوح بلا نهاية. إنه الأبدية المتزمنة. إنه ما وراء التاريخ الذي نستشفه ونقرأه عبر التاريخ ... الكتاب بهذا الشكل شبكة تتداخل خيوطها وتنحبك في علاقات متعددة ومتنوعة، مفتوحة كالفضاء. إنه فن آخر من القول، وفن آخر للقول. فن في الكتابة، وفن في تكوين النص ... إنه الكتابة المطلقة لكتابة المطلق"[4].

إنّ هذه النظرة المتباينة للنص القرآني هي نظرة افتراقٍ وتلاقٍ، وتظهر في تفرّق واختلاف تسمياتهم للقرآن، فمنهم من سمّاه بالخطاب لإمكانية تطبيق إجراءات تحليل الخطاب وآلياته، ومنهم من سمّاه نصّا للسهولة تطبيق منهج علم النصّ على سوره وآياته ما لم تتعارض وقداسة النص القرآني. ومنهم من جعله متفردا بخصائصه ولا يمكننا أن نسمّيه بأسماء يطلقها البشر على كتبهم. وإذا كان مفهوم النص ينصرف غالبا إلى

---

[1] – ينظر،مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، صبري إبراهيم السّيد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1422هـ/2011م، ص: 294.

2– من إشكاليات النقد العربي الجديد، د. شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997، ص 174، بتصرف.

[3] – جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، ص: 100.

4 – النص القرآني وآفاق الكتابة، علي أحمد سعيد إسبر أدونيس، دار الآداب، بيروت، بدون سنة أو طبعة، ص: 29–30.

مبادئ صياغة بنية الخطاب وقواعدها، أي إلى شكله ونظامه والعلاقات التي تربط أجزاءه الدّاخلية بعضها ببعض، وإلى الآليات التي تنظّم العناصر داخل هذا الكيان اللّغوي المسمّى نصّاً، بغض النظر عن الوظائف الاتصالية وعلاقة المقال بالمقام وربط الكلام بالمتكلم المخاطَب[1].فإنّ القرآن الكريم له من ذلك ما يتوفر في النظريات اللسانية الحديثة التي يخوّل لها الحكم على نصّية تلك النصوص، وإنّه لتوجد فيه كلّ ما ذكرته تلك النظريات من قواعد لتحليل النصوص والخطابات، إنّه نص محكم وخطاب هادف لبناء المجتمع على جميع الأصعدة الإجتماعية والإقتصادية والتربوية والأخلاقية والدينية...إلخ. وقد اختار اللغة العربية آلة ووسيلة له لإيفاء كلّ هذه المعطيات. لما تمتاز به من خصائص تبليغية متميّزة عن غيرها من اللغات التي يعرفها البشر.

ويمتاز القرآن الكريم بكونه نصا وخطابا إلهيا مطلقا غير قابل للمحاكاة، وله ترتيبان ترتيب التلاوة وترتيب النزول، وموافق للنظام العام الذي يحكم اللغة العربية،كما أنه يعدل عن معهود العرب في الكلام، ومن ثم فهو بناء فكري لغوي محكم ومتفرد. فالقرآن الكريم خطاب ملفوظ ونص مكتوب تتحقق فيه مكونات العملية التواصلية وشروطها.

وخلاصة الأمر، فإنّ مصطلح الخطاب في الدراسات القرآنية لم يسلم هو الآخر من هذا الخلاف فقد تجاذبته اتجاهات متعددة، إلاّ أنه يمكن أن نستقر على الجمع بين الخطاب والنص من حيث الدلالة.لأنّ النص ما هو إلاّ وحدة معقّدة من الخطاب، إذ لا يفهم منه مجرّد الكتابة فحسب وإنّما يفهم منه عملية إنتاج الخطاب في عمل محدد."[2]

وفي هذا البحث سنتعرض إلى المعالجة النصّية العربية القديمة والمتفرّقة للقرآن الكريم، ونحاول جمعها في بناء عام لإعادة قراءتها في ضوء تصوّرات علم لغة النص الحديث ومناهجه وأدواته، و"ليمحص مدى قدرة تلك المعالجات النصيّة القديمة على كشف بنية النص ودلالته الكليّة ووظيفته التي توافق مقاصد واضعه، ولكّن من غير اعتقاد بأنّ معايير علماء النص المحدثين صالحة مطلقا لتحليل النص القرآني"[3] لأنها أُوجدت في ظروف خاصّة، وأنّ منها ما يصلح للتّطبيق على النّص القرآني، ومنها ما قد يتعارض معه لكونه نصّاً مقدّسًا، وهذه القضيّة هي التي حاول الكثير من علماء النّص العرب إثارتها على الساحة اللّغوية، واستدراك بعض النقائص والأخطاء في المعايير الحديثة، وتسديد ذلك" بما استنبطه علماء البلاغة والتفسير وعلماء علوم القرآن الكريم، من النص القرآني، من معايير نصيّة وافية. فنحصل، من اتحاد علوم النص العربية وعلم لغة النص الحديث على علم موّحد يكشف غوامض النصوص ويفك رموزها ويستكنه أسرارها، فلابدّ أن يأخذ العلم القديم بيد العلم

---

[1] – الخطاب القرآني– دراسة في العلاقة بين النص والسيّاق، خلود العمّوش، جدار للكتاب العالمي، عمّان، الأردن، ط1، 2008م، ص: 45.

[2] – ينظر،مقالات في الأسلوبية، دراسة، منذر العيّاشي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1990م، ص: 241.

3 – نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، عبد الرحمان بودرع، ص: 26.

الحديث، ليزدهر المنهج النصّي ويتطوّر وتتفتّح أمامه أبواب التحليل فلا يغرق النص في لجج العجمة فتمحى معالمه"[1].وهذا ما سنعمل به إنشاء الله.

ل- التّماسك النّصي وعلاقته بالإتّساق والإنسجام في النّص القرآني:

إنّ التماسك النّصي خاصية يتميّز بها النّص القرآني من أوّله إلى آخره،و يتصّف بها القرآن الكريم من فاتحته إلى سورة الناس، وهو ما يجعله كتابا واحدا ونصّا واحدا لذلك خاض فيه علماء القرآن بحوثا كثيرة لإثبات ذلك خاصة في علم المناسبة، حيث كشفوا عن العلاقات داخل السورة الواحدة، التي تمثلها الآيات والجمل والمفردات، وتجاوزوا حدود السورة الواحدة ليكشفوا عن العلاقات المتقاربة بين السوّر؛ ثم علاقة السورة بسورة أخرى بعيدة عنها من حيث الموضع، واستعانوا بظروف النزول، وأسباب نزول الكثير من الآيات التي ساعدتهم على تقصّي مواطن الربط بين السور، حيث يعلم الجميع أنّ الطريقة التي ربط بها القرآن كانت توقيفية من عند الله سبحانه وتعالى إلى الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-، فالنبّي- صلّى الله عليه وسلّم- هو الذي يأمر بوضع الآية في موضعها الذي حدّده الله سبحانه وتعالى بوساطة من ملك الوحي جبريل عليه السلام مدّة ثلاث وعشرين سنة. يقول سعيد حوى - رحمه الله-:"و هكذا يمضي العمر الطويل و الرسول- صلى الله عليه و سلم- على هذا العهد، يأتيه الوحي بالقرآن نجما بعد نجم، و إذا القرآن كله بعد هذا العمر الطويل يكمل ويتم و ينتظم ويتآخى ويأتلف ويلتئم، ولا يؤخذ عليه أدنى تخاذل ولا تفاوت بل يعجز الخلق طرٌ بما فيه من انسجام ووحدة وترابط﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1)** ﴾ (سورة هود:01)"[2].

ومن خصائص القرآن الكريم أنه لم يفرد كل سورة من سوّره لموضوع معين في الغالب، بل كان يجمع في السورة الواحدة مواضيع متنوّعة وأغراضا مختلفة من عقائد وأحكام ومواعظ وقصص وأمثال وجدل وحكم وينتقل بينها من غير فصل، وهو بذلك مباين لمناهج التأليف البشرية التي تعتمد التبويب والترتيب، "وهذا ما جعل المغرضين من المستشرقين كدوزي و بلاشير وغيرهم يطعنون في القرآن و يرون أن آياته لا يجمعها سياق وليس بينها وفاق! بل في سرده للموضوعات العشوائية و اضطراب، و زعموا أن ذلك يعزى إلى البدائية والبساطة في طريقة التأليف مما يدل على أنه فكر بشري لا وحي إلهي"[3]. و من هنا كان لبعض هؤلاء مطالب لإعادة النظر في ترتيب سوّر القرآن ومواضيعه حسب المواضيع ووفق"السياق التاريخي المعقول بناء على أسباب النزول، تيسيرا للقارئ

---

[1] – المرجع نفسه، ص: 26.

[2] – الأساس في التفسير،سعيد حوى،دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة،القاهرة،1405هـ/1985م،ص: 26.

[3] – ينظر،آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، عمر إبراهيم رضوان،دار طيبة، ط1، 1993م، ج579/2.

الغربي ومساعدة له على فهم القرآن"[1]. وهذا ما يدفع بالباحثين الغيورين على القرآن واللغة العربية بتجنيد أقلامهم دفاعا عن القرآن واثبات اتّساقه وانسجامه لتفنيد رأي هؤلاء دون الخوض في جدلية عقيمة لا تزيدهم إلاّ جحودا، خاصة وأنّ القرآن الكريم له خاصية تفتقدها النصوص البشرية نسمّها نحن بأنّه نص حيّ لا يمت، تلمع دلالته من جديد كلّما طبّق عليه منهج جديد. وهذا ما جعله نصا معجزا، وهذا الإعجاز تتجرد منه كل النصوص التي ينتجها البشر ولا نكاد نجدها عند واحد منهم.

ومن هذا الإعجاز الذي حيّر العلماء؛ الإعجاز البلاغي وهو "ما نجده فيه من مناسبة و اتّساق في المستويات المختلفة، حيث يبدو في شكل مترابط لا يظهر فيه الخلل، فالمعاني متناسبة والألفاظ متماسكة كأنّه ككلمة واحدة مترابطة المعاني، متسقة المباني، مع أنه أنزل مفرقا على بضع وعشرين سنة، مشتملا على معاني مختلفة ومع هذا كان محكم النظام﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1)** ﴾ (سورة هود:01)[2] وهذا ما قاله تعالى منبّها على كمال علمه وحكمته: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6)** ﴾ (سورة النمل:06).

وقد "وقف علماء القرآن على ملحظ آخر يتمثل في التفطن إلى العلاقة بين الخطاب القرآني وشروط نزوله. ويفضي بنا هذا... لتمثيل ما بين الخطاب القرآني ...في تعالقه المنسجم مع المناسبة المباشرة في أسباب النزول، وتعالقه المنسجم مع تباين المكان ومنطوياته في المكّي والمدني...إلخ، وما بين الخطاب القرآني واستيعابه للشروط الإنسانية للعالمين والناس كافة في كل زمان ومكان"[3]. ولم يكتف العلماء بدراسته من جانب واحد بل نجد عناياتهم متنوّعة ومختلفة داخل النص وخارجه، وفي السورة الواحدة وبين السورة والسوّر الأخرى، ومن هنا نذكر اهتمام بعض المؤلفين وعنايتهم "بالتعرف على بناء هيكل السورة الواحدة، من خلال ما بين أجزاء السّورة من ترابط ظاهر وخفي، وما بين مقاطعها من تواشح وانسجام تشكّل معه السّورة وحدة متكاملة من الوجهة الفنية والمعنوية"[4]. "و قد استطاع سعيد حوى أن يبرهن على نصية القرآن بتوفيق من الله، إذ رأى أن كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة، و كما له في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سوّره و آياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلا ولا يمكن أن تخطر على قلب بشر"[5].

---

[1]– وحدة النسق في السورة القرآنية، فوائدها و طرق دراستها، رشيد الحمداوي ،مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية،العدد الثالث،جمادى الآخرة، 1428هـ.ص:141.

[2]– التماسك و التناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني، د.محمد احمد أبو بكر أبو عامود، دار النابغة للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1435هـ–2014م، ص:1–2.

[3] – الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، ص: 5.

[4]– التفسير البياني للقرآن الكريم،د.محمود البستاني،مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد إيران،ط1، 1422هـ،ج06/1.

[5]– الأساس في التفسير،سعيد حوى،ص:27.

ومن هنا يمكننا أن نقول عن النص القرآني:"إنّ نظم القرآن مبني على وفرة الإفادة وبعدد الدلالة، فجمل القرآن لها دلالتها الوضعية التركيبية التي يشاركها فيها الكلام العربي ولها دلالتها البلاغية التي يشاركها في مجملها كلام البلغاء ولا يصل شيء من كلامهم إلى مبلغ بلاغتها، ويتميز نظم القرآن ببلوغه منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف لفظا ومعنى بأقصى ما يراد بلاغه إلى المرسل إليهم"[1]. وهذا يعني بأنّ العلاقات النصّية التي أشار إليها دي بوجراند ودريسلر، متوفرة في النص والخطاب القرآني وما بقي على المحلل سوى التحقق من ذلك واستظهارها في مواضعها، وتحديد أماكنها، فإن غابت عن هذا الموضع أو عن هذه الآية فليتأكد أنّها موجودة في موضع قبله أو بعده، ولا يكّلفه البحث عنها سوى إحالة فكره نحو الأمام، أو الوراء.

ومن الذين حاولوا تبيان الإنسجام القرآني د.محمود البستاني من خلال تطبيقه للمنهج البنيوي في تحليل هيكل السور القرآنية حين عُنِيَ"بالتعرف على بناء هيكل السورة الواحدة من خلال ما بين أجزاء السورة من ترابط ظاهر أو خفي، وما بين مقاطعها من تواشح وانسجام تشكل معه السّورة وحدة متكاملة من الوجهة الفنية والمعنوية"[2] .

وأكدّ الدكتور محمد أحمد أبو بكر أبو عامر في كتابه (التماسك و التناسب)، عند تطبيقه لمنهج علم النص على القرآن للكشف عن تماسكه؛ أنّ هناك تضارباً كبيراً بين العلماء في ترجمة مصطلحي الإتّساق والإنسجام أو السبك والحبك، فقد اختار للأوّل "يقصد السبك اسم التماسك وهو السبك و الربط و يعني به الاتصال بين العناصر النصية من خلال السّطح (الألفاظ).كما اختار للثاني -يقصد الحبك-مصطلح التناسب وهو الترابط؛ وهو اتصال العناصر المكونة للنص من خلال المعاني، أي في البنية العميقة [3] كون النص القرآني يحتوي على أكثر العناصر النصية ظهوراً و هما الحبك (coherence) والسبك (cehesion) أو المصطلحين اللذين آثرت استخدامهما (الإتّساق و الإنسجام)"[4]."ويعدّ هذان المعياران من أهمّ معايير النص، طالما أنّ الإتّساق النّصي من أهمّ الأهداف عند تحليل الخطاب النقدي، ثم إنّ مصطلح السّبك أعمّ من الحبك بل يحتويه"[5]. والخلط بين مصطلحي السبك والحبك وترجمتهما لا يزال قائما إلى يومنا هذا وقد عثرنا في الكثير من

---

[1] – تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج110/1.

[2] – التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمد البستاني،مجمع البحوث الإنسانية،مكتبة مؤمن قريش مشهد،ط1422،1هـ،ق/1380 ش،6/1.

[3]–التماسك و التناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني ،د.محمد أحمد أبو بكر أبو عامود، سلسلة رسائل جامعية، دار النابغة للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، ط1، 1435هـ–2014م، ص:02

[4]– ينظر : المرجع نفسه، ص:02.

[5]– ينظر،تطبيقات نظرية علم لغة النص،لـ دي بوجراند و دريسلر، على القرآن الكريم، قرآنيكا، ص:112.

الكتب على ترجمات تتعاكس مفاهيمهما، وكذلك هو الحال بالنسبة لمصطلحي الإتّساق والإنسجام اللذان يمثلان تسمية أخرى لمصطلحي السبك والحبك.

لذلك آثرت أن استخدم مصطلح الإتّساق والإنسجام لأنهما الأكثر تداولاً، و الأكثر تمايزا عن غيرهما.

م – الدراسات المعاصر السابقة:

كثرت الدراسات اللّغوية للقرآن في السّنوات الأخيرة، وتحركت عجلتها، وتنوّعت بين المشارقة والمغاربة، وأكثر البحوث السّابقة تداولاً في هذا المجال نذكر على سبيل المثال:

1- في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النصيّ للقرآن الكريم، بودرع عبد الرحمن 2013م.

2- المصاحبة اللفظية و دورها في تماسك النص مقاربة نصية في مقالات، د. خالد منيف، الحلوة نوال بنت إبراهيم بن محمد 2012م.

3- مظاهر الإتساق في النص القرآني،دراسة وصفية لغوية، لبنى عبد الرحمن، وعبد الرحمن أكمل خزيري، شمس الجميل أيوب 2011م.

4- اتساق الصيغة و سياق الحال، القرآن الكريم أنموذجا،مختار طارق المليجي.

5- التعلق النصي في شعر ابن قلاقس،وئام محمد أنس 2009م.

6- المستوى المعجمي في قصيدة:فارس الكلمات الغربية لأدونس، لسانيات النص،مدخل إلى انسجام،محمد خطابي،2006م.

7- التماسك و التناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني ،د.محمد أحمد أبو بكر أبو عامود.

8- الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش.

10- التفسير البياني للقرآن الكريم،د.محمود البستاني.

11- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، عمر إبراهيم رضوان.

12- جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي.

13- إطّرادات أسلوبية في الخطاب القرآني، رصد واستدراك، محمد إقبال عروي.

14- البرهان في نظام القرآن ، نظام سور: الفاتحة و البقرة وآل عمران، د محمد عناية الله أسد سبحاني.

فكل هذه الدراسات بالإضافة إلى عدد كبير من مذكرات التخرج التي تناقش في الكثير من الجامعات اليوم، تناولت قضيتي الإتّساق والإنسجام في النص. كون هذه الوسائل هي التي تبني و تشد الوثاق بين الجمل المتباعدة في النص.

الفصل الثّاني:

أثر الإتّساق والإحالة في النص القرآني.

أوّلا– الإتّساق.

1– تعريف الإتّساق (Cohesion):

– لغة:

جاء في معجم الصّحاح للجوهري (المتوفي 398هـ) قوله:"...أوسق: الوسقُ: مصدر وسقتُ الشيء:جمعته وحملته. ومنه قوله تعالى:﴿**واللَّيْلِ ومَا وَسَقَ**﴾، (الإنشقاق17)... والاتّساق:الانتظام. ووسقْتُ الحِنطَة تَوْسيقًا، أيْ: جعلْتُها وَسْقا وَسْقا. واِسْتَوْسَقَتِ الإِبِلُ: اِجْتمَعَتْ....وَ أَوْسَقْتُ البَعِيرَ: حمَّلْتُه حِملَهُ. وأَوْسَقَتِ النَّخْلَة: كَثُرَ حَمْلُهَا."[1]. ومن هذا التعريف تظهر أهّم المعاني التي شملها مصطلح الإتِّساق، وهي الجمع والكثرة والانتظام.

كما دلّ على ذلك معجم لسان العرب وأغلب المعاجم العربية القديمة والحديثة. فمِمَّا جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) في الجذر (وسق) : "...وسقت النّاقة وغيرها تسِق أي حمَلَت وأغْلَقَت رَحِمَهَا على الماء، فهي ناقة واسِقٌ، ونُوقٌ وِسَاقٌ...، والوُسُوقُ: ما دخَلَ فيها اللَّيْلُ وما ضمّ، وقد وسق اللّيل واِتّسق، وكلّ ما اِنظمّ، فقد اِتّسق. والطريق يأتسق ويتّسق أي ينضمّ، حكاه الكسائي. واِتّسق القمر: اِستوى. وفي التّنزيل: ﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَق(18)**﴾، قال الفرّاء: وما وسق أي وما جُمِع وضُمّ. واِتّساق القمر: اِمتلاؤُه واِجتماعُه واِستواؤه ليلةَ ثَلاثَ عشْرة وأربع عشْرة، ...واستوسقت الإبل: اجتمعت ...والإتّساق: الانتظام..."[2].

ولا يكاد القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت 817 هـ) يبتعد عن مضمون التعريف الذي جيء به في لسان العرب إذ يقول فيه صاحبه: " وَسقه يسقُه: جَمعه وحملَه، ومنه: ﴿**واللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ**﴾ (الإنشقاق: 17)، وطرده، ومنه: اَلوسيقة، وهي من الإبل كالرُّفقَةِ من النّاس، فإذا سُرِقَت طُرِدَت معا، و– الناقةُ حَمَلَت وأغلقت على الماءِ رِحِمَها، فهي وَاسق، ...واِستوسقت الإبلُ: اِجتمعت. واِتّسق اِنتظَم."[3].

---

[1] – الصِّحَاحُ، تاج اللغة وصِحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، مراجعة: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ/2009م، ص: 1245.

[2] – لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ، المجلد10، ص:379–380–381. مادة (وسق).

[3] – القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مراجعة: أنس محمد الشّامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص: 1753.

وجاء في مفردات الراغب:"الوسق جمع المتفرق، يقال: وسقت الشيء، إذ جمعته...و قوله: ﴿**وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ**﴾ (الإنشقاق:17).قيل:وما جمع من الظلام...و وسقت الشيء جمعته...والإتّساقُ الإجتماع والإطراد".[1]

أمّا في المعاجم الحديثة، فإنّ معنى الإتّساق لم يبتعد عن المعاني التي جاءت بها المعاجم القديمة، كما هو الحال في معجم متن اللغة الذي يقول صاحبه: "وسَقَه يسِقُه وسقا ووسوقا: ضمّه وجمعه وحمله (وأصل الوسْق الحمل). وتقول العرب: إنّ الليل لَطويل ولا أسق بَالَهُ، ولا أسِقُه بالاً. وهو من وَسَقَ يَسِقُ أي وَكِلْتُ بجمع همومه....اِتّسَقَ يتّسقُ ويأتسِقُ الشيئ: اِنضمّ واِنتظم....اِستوسقت الإبل: اِجتمعت واِنضمّت وأطاعت..."[2].

وقد أضاف معجم اللغة العربية المعاصرة معنىً آخر يضاف إلى الضّم والجمع والحمل والاجتماع والانتظام حيث ورد فيه: " اِتّسق الشيء: اِجتمع واِنضمّ...اِنتظم وتلاءم واِستوى (اِتّسقت صفوف التلاميذ في المدرسة- اِتّسقت العبارات- ﴿**وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ**﴾)، اِتّسقت الأفكار: ترابطت...اِتّساق (مفرد): مصدر اِتّسق...عدم التّناقض أو التكلّف في أجزاء الفكرة...اِنسجام أو توافق تامّ بين المقدمات والنتائج..."[3].

وقارب المعنى اللغوي للاتّساق الذي جاء به المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، المعنى الإصطلاحي المستعمل في علم النص الحديث، لحمله دلالات أخرى أُضِيفت للمصطلح، ومنها ما جاء في هذا النص: "اِتّسق: اِنتظم واِستَوى (اِتّسقت الكتبُ على رُفُوفِ المكتبَةِ). متَّسقٌ: مُتَنَاسقٌ وحَسَنُ التَّكوين: (أعضاء متّسقة اِتّساقا جميلا)، متألّف من أجزاء مرتبطة ومنسجمة في ما بينها، أو تؤلّف أجزاؤه كلاّ منطقيا متماسكا: (أفكار متّسقة)...، اِلْتِئَام أجزاءٍ واِنتظامها منطقيا، تلاحُمها وتطابقها أو تماسُكها واِنسجامُها: (اِتّساق المعاني)."[4]، وفي هذا التعريف نلاحظ إدراج معنىً من بعض المعاني التي جيء بها في نظرية علم النص الحديث المتعلقة بالإتِّساق في الأفكار والإلتئام في الأجزاء، وتماسكها بنظام معيّن وفق ترتيب منطقي لا يخلّ بالشكل البنيوي للنّص، حيث يؤدي منها السّابق للاّحق، ويرتبط اللاّحق بالسّابق بطريقة مخصوصة تهدف إلى تحقيق معنى معيّن مقصود بذاته.

---

[1] – مفردات ألفاظ القرآن، العلامة الراغب الأصفهاني، ص:871.

[2] – معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، الشيخ رضا أحمد، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1380هـ/1960م، المجلد5، ص: 755.

[3] – معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، المجلد3، ص: 2440.

[4] – المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، إشراف: صبحي حموي، مراجعة: مأمون الحموي، أنطوان غزال، ريمون حرفوش، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص: 1111.

ولم تبتعد المعاجم الغربية في تقديمها لمفهوم الإتِّساق عن المفهوم المعجمي العربي للمصطلح، فقد عرّفه معجم (OXFORD) بأنّه: "اِلْصَاق الشيء بشيء آخر، بالشّكل الذي يشكلان وحدة مثل: اِتّساق العائلة الموّحدة، وتثبيت الذرّات بعضها ببعض لتعطي كلاّ واحدا..."[1]. وفي هذا دلالة على أنّ الكلّ لا يحصل اِكتماله إلاّ بواسطة الأجزاء التي يتشكل منها، وتلتصق بعضها البعض، ومثال ذلك؛ هو العائلة، إذْ لا يمكن أن نطلق هذا اللّفظ على شخص واحد، بل بإضافة أشخاص آخرين إليه فتتشكل العائلة من هذا الخليط بين الذكور والإناث و الكبار والصغار وهلّم جرا..

ونفس الشيء بالنسبة للأجسام، فإنّها لا تتشكّل إلاّ بأجزاء صغيرة تسمى الذّرات، لتعطي في الأخير شكل الجسم في صورته النهائية، وعلى هذا النمط تتشكل الصورة النهائية للنص، لأنها تبدأ بتشكّلها الحرفي ثمّ ترتقي إلى التشكل اللفظي والكلماتي، فالتركيبي، وبهذا يبدأ نسيجه يظهر إلى أن يصل لبنيته الكليّة، وعندها يظهر النص في صورته النهائية حاملا لرسالته ومؤديا لوظيفته.

والأمر جليٌ وواضح من هذه التعاريف، لأنّها تصبّ كلّها في معاني الحَمْل والغَلْقِ والجَمْعِ والضّم والانتظام والاستواء، ولا غرابة إذا كانت هذه هي الخصائص التي يتميز بها البناء النّصي، لأنّه يحمل في بنيته ألفاظاً ومعانياً تتحكم فيها قواعد النّحو فتسدَّ فجواتُه وتغلق ثغراتُه، وتجمع أشتات النّص مضمومة إلى بعضها البعض منتظمة السّياق مستوية النظم، لا تفكّك في ما بينها، ولا تشرذم في بنيتي النص العميقة والسطحية. وهذه حقيقة تستوقفنا عند مصطلح الإتِّساق في مفهومه المعجمي العام، فالإتِّساق لا يقع في التَّفَرُّدِ، ولا في الأشياء المجَزّئة والمفكّكة والمشتتة والمبعثرة، التي لا يربط بينها رابط حتّى وإن كان بسيطا، وإنّما يقع في حيّز المجموعة وبصفة منتظمة، ويمكن أن نكشف عن ذلك من بوابة الأسلوبية، التي تراعي اللفظ والنظم.

– اِصطلاحا:

عند محاولتنا تحديد المعنى الإصطلاحي للإتِّساق والتعريف به ثم ضبطه، وجدنا أنفسنا مضطرين للبحث عن أصول هذه الكلمة، التي تُرجِمت بالمصطلح الإنجليزي النّصي (COHESION)، إذ بحثنا عن أصل كلمة (COHESION) في اللّغات الأوربية، فوجدنا ما يقرّبها من معناها اللّغوي في العربية، فهي تعني "ترابط جمل النص وأجزائه بنيويا (عن طريق أدوات الرّبط ووسائل أخرى)"[2] ومنه التّرابط السّطحي.

---

[1] – **Oxford** (**Advanced Learner's Encyclopedic**), **Oxford University** ,**press** , **New York**, **Oxford 1989**, **p.173**.

–A Dictionary of Stylistics and Rhetoric, **English–Arabic/ Arabic– English**,**by dr**. **Hasan Said Ghazala**,**Elga** , **Valletta**,**2000**.**p**: **16**.

[2]

وتنحدر هذه الكلمة "من الأصل اللاّتيني (HAERER) الذي يعني الإلتصاق زيدت عليه البادئة (CO) التي تعني (معا أو على نحو متّصل) لينتج عن ذلك الفعل (COHAERER) ويعني (ملتصق معا). ويرجع أوّل ظهور للفعل (COHERE) إلى سنة 1601م وذلك في مسرحية (الليلة الثانية عشرة) للكاتب المسرحي الإنكليزي شكسبير. أمّا أول ظهور لكلمة (COHESION) فلم يكن إلاّ في سنة 1678م. في بحوث الفيلسوف (هوبس) عن الفلسفة الطبيعية"[1]. وهذا ما دلّت عليه أغلب المعاجم الأوروبية، خاصة معاجم الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللّغة العربية أين ترجمت الفعل (COHERE) بـ": يترابط، يتماسك، ينسجم، يلتصق بعضه ببعض، يتساوق (منطقيا)."[2].

وما هو ملاحظ أيضا أنّ المعاجم الغربية لم تبتعد عن المعاني التي دلّت عليها المعاجم العربية لمعنى الإتِّساق، لأنّها حملت تقريبا نفس المعاني كالترابط والتماسك والإلتصاق، ومن هنا يمكننا أن نصدر حكما جامعا، يوّحد بين معاني المصطلح في اللّغة العربية، ونظيراتها من اللّغات الأوروبية خاصة اللّغتين: الإنجليزية والفرنسية. لذلك تعامل علماء النّص المعاصرون غربيون وعرب، مع قضايا نحو النص بنفس الإجراء تقريبا، وحاولوا الإحاطة بكلّ جوانب النص، فاستثمروا في كلّ ما هو متّصل بالتّشكيلة النّصية، ودرسوا كلّ أنواع الرّبط والتّرابط النّصّي، بمختلف أنواعه، لأنّ المادة التي تناولوها بالدراسة هي النّصّ و الخطاب، والقصد واحد.

وفي هذا المقام نذكر أهم نص ورد لهذا المصطلح في القواميس اللسانية الغربية، وهو نص لدافيد كريستال(DAVID CRYSTAL) في قاموس اللسانيات والصوتيات(ADICTIONARY AND PHONETICS OF LINGUISTICS)، جاء فيه:

"cohesion (*n.*) (1) A term often used in grammar to refer to a defining property of the word, seen as a grammatical unit; also called cohesiveness. The criterion states that new elements cannot usually be inserted into words in normal speech, but only at word boundaries. An alternative name for this criterion is 'uninterruptibility'. The criterion works well for English (apart from such examples as *abso-blooming*

---

[1] – **See**: **Rendition of Syntactic Cohesion**: **Application of text linguistics on translation; Al-Algawi** (**Bayda' A**. **L**.) **A thesis of Master; Submitted to the council of the college of Arts of the Al-Mustansiriya University**). **1996**, **p**. **1**.

[2]– **قاموس المصطلحات العلمية والتقنية، إنجليزي-عربي، أحمد، عودي، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، بيروت، لبنان، 2008م، ص: 113.**

lutely), but has to be modified if applied to languages where infixes are used.

(2) The term is used by some linguists to refer to the property of larger units than the morpheme to bind together in constructions, e.g. article + noun. In this use, any group of words which acts as a constituent of a larger unit can be said to be internally cohesive. In the hallidayan approach to grammatical analysis, cohesion is a major concept, referring to those surface-structure features of an utterance or text which link different parts of sentences or larger units of discourse, e.g. the cross referencing function of pronouns, articles and some types of adverb (as in *The man went to town. However, he did not stay long* . . .). A distinction is usually drawn with the notion of a text's underlying coherence[1]".

وترجمة هذا النص حسب المختصين في علم الترجمة هو أنّ التماسك الذي نقصد به هنا الإتّساق، (مصطلح غالبا ما يستخدم في قواعد اللغة للإشارة إلى خاصية تعريف للكلمة، وينظر إليها على أنها وحدة نحوية؛ كما دعا التماسك. وينص المعيار على أنّه لا يمكن عادة إدراج عناصر جديدة مع الكلمات في الكلام العادي، ولكن فقط عند حدود الكلمات. والاسم البديل لهذا المعيار هو "عدم القدرة على العمل". يعمل المعيار جيدًا للغة الإنجليزية (بخلاف أمثلة من الأمثلة مثل abso-blooming leeping) ، ولكن يجب تعديله إذا تم تطبيقه على اللغات التي تستخدم فيها اللاحقات.

ويستخدم هذا المصطلح من قبل بعض اللغويين للإشارة إلى ممتلكات وحدات أكبر من تلك التي ترتبط مع بعضها في البناء، على سبيل المثال. المادة + اسم. في هذا الاستخدام، يمكن القول أن أي مجموعة من الكلمات التي تعمل كمكون من وحدة أكبر تكون متماسكة داخليًا. في النهج اللغوي للتحليل النحوي، يكون التماسك مفهومًا رئيسيًا، مشيرًا إلى سمات بنية السطح لكلمة أو نص يربط أجزاء مختلفة من الجمل أو وحدات أكبر من الخطاب، على سبيل المثال. وظيفة الإشارة المرجعية للضمائر والمقالات وبعض أنواع الظرف (كما في الرجل ذهب إلى المدينة. ومع ذلك، لم يظل طويلاً ...). وعادة ما يتم التّمييز بينه وبين مفهوم التّماسك الأساسي

[1] – **ADICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS SIXTH EDITION DAVID CRYSTAL BLACKWELL PUBLISHING USA 2008 P:85**.

للنص" الذي نقصد به الإنسجام في هذا البحث. وقد وجدنا ترجمة للمصطلح الإنجليزي COHESION في معاجم الترجمة الذي تُرجِم بأنّه: "تماسكٌ، ترابطٌ، اِلتحامٌ، اِلتصاقٌ، جاذبيةُ التماسكِ (فيزياء)."[1].و أمّا الصفة منه": COHESIVE ADJ مترابطٌ، متماسكٌ، تماسكيٌّ."[2].

ونظرا للاهتمام الكبير لعلماء النص بهذا المصطلح، الذي يظهر في عناوين كتبهم ككتاب هاليداي ورقية حسن المعَنْوَن بـ "COHESION IN ENGLISH". فقد اختُلِف في ترجمته عند نقله إلى اللغة العربية، لأننا نتعامل في هذا البحث بدقّة مع مفاهيم ومصطلحات تخص العلم ذاته، وهذا ما وجدناه، فقد عثرنا أيضا على مصطلحات أخرى في اللغة العربية تقابل الكلمة الإنجليزية COHESION ومنها (التّماسك)، كما يترجمها محمد خطّابي بـ (الاتّساق)، وتمّام حسان بـ (السّبك)، أمّا إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد فيترجمانها بـ (التّضام)، وقد نتج عن هذا الاختلاف تضارب الآراء في ضبط مفهوم الإتِّساق لجعله مفهوما موّحدا، لأنّ الدارس لهذا العلم ستصادفه أوّل عقبة هي إشكالية مفهوم المصطلح الذي يتداخل مع الإنسجام، كما سنرى لاحقا.

وفي دراسات أخرى ترجم بـ(الإلتئام) وكذلك الترابط "فهناك بعض اللّسانيين ممن يستخدم مفهوم الاتّصال/الإرتباط CONNEXITE بدلا ممّا سمي بـ (الاتّساق)، بيد أنّ لسانيين آخرين يتحدثون عن الإتّساق عندما يتعلق الأمر فقط بالعلاقات (التي تقيمها أدوات الربط/الوصل بين الجمل).

ومن النصّانين من يرى أنّ ترجمة سعد مصلوح للمصطلحين أكثر إقناعا من غيرها، لأنه ترجمهما بمصطلحين وهما: السبك والحبك، وهما مقابلان عربيان يقترب معناهما اللّغوي من المفهوم المراد.فأمّا السبك فمن معانيه المعجمية: الإذابة والإفراغ ومنه:"أذابه وأفرغه في قالب فانسبك"[3]، فالسّبك هنا يحمل في دلالاته الإحائية معنى القالب، وهذا أيضا أقرب من حيث دلالته على بعض الخصائص النصّية، لأنّ النّصوص تأخذ قالبها النهائي، بعد أن تُصَبَّ فيها الكلمات في تراكيب نحوية وتفرغ بمعانيها حسب القالب النصّي المعيّن وفق ما تقتضيه طبيعة النص.

وأمّا الحبك، فهو الشدّ[4] ومنه "...حَبَكَ الثّوْبَ...أَجَادَ نسجه وحسّن أثر الصنعة فيه."[5] لأنّ خاصيّة النّصية تكمن في قوّة شدّ وتّماسك الألفاظ، وجودة نسيجها وبنية تراكيبها، وحسن صنعتها وجمالها.

---

[1]– المرجع نفسه، ص: 113.

[2]– المرجع نفسه، ص: 113.

[3] – معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، الشيخ رضا أحمد، المجلد3، ص: 99.

[4] – ينظر، لسان العرب، ابن منظور، المجلد10، ص: 407. مادة (حبك).

[5] – المصدر نفسه، المجلد10، ص: 408. مادة (حبك).

وهو أيضا "إحكام الشيء في امتداد واِطِرّادٍ"[1] وهذا هو حال الكلمة في البناء النصّي. ولهذا يسمي السرديون نقطة التأزُّم ومرحلة تعقّد الأحداث وتشابكها في القصة بـ "حبكة القصة وهي ترابط بنائيّ بين أجزاء القصّة...لأنّ الحبكة القصصيّة تجعل القصّة شائقة"[2]. "وهي تشير في الأدب إلى ترتيب الأحداث للوصول إلى تأثير مقصود وهي سلسلة من الأفعال التي تصمم بعناية وتتشابك صلاتها وتتقدم عبر صراع قويّ بين الأضداد إلى ذروة الإنفراج"[3] غير أنّ الملفت للانتباه وما نجده في الدّراسات النّصية العربية الحديثة هو غلبة استعمال مصطلحي: الإتّساق والإنسجام.

ويدور المعنى الاصطلاحي لمفهوم الاتّساق (**Cohesion**)، ولا سيما في مجال الدراسات اللغويّة المعاصرة، وخاصة في ما يسمى بعلم لغة النصّ، حول البنية السطحيّة للنصّ؛ أي العلاقات والروابط التي تشكّل بنية النصّ. فقد استعمل هذا المصطلح عند اللغويين "للإشارة إلى خاصيّة الوحدات الأكبر من (المورفيم) لتتماسك معا في بنى أكبر، مثال ذلك؛ (الأداة + الاسم)، ففي هذا الاستعمال تعمل مجموعة من الكلمات كمكوّن للوحدة الكبرى، كما يمكن أن يوصف بأنّه انسجام داخلي"[4].

وجاءت مرادفات كثيرة لهذا المصطلح دلّ عليها القاموس الإلكتروني (المعاني): وهي: "إنتظام، تآلف، إئتلاف، إتفاق، إنسجام، تآلف، تساوق، تلاؤم، تناسب، تناسق، مطابقة، ملائمة، مناسبة، مواءمة، موافقة، وئام"[5] . وكلّ هذه المعاني تقترب من بعضها البعض وتدخل تحت دلالة الإرتباط في نظام معيّن، وإذا ما لاحظنا وحللنا دلالتها فإننا نجدها توحي بوجود شيئين أو أكثر، لأن هذه المسميات لا يمكن أن تتحقق في جزء من الشيء نفسه وعليه فإنه يستوجب حضور الجزء الآخر أو الطرف الآخر، وربّما يكون أكثر من طرف ويتعداها إلى مجموعة أجزاء أو أطراف أخرى. وأما الملاحظة الثانية؛ و هي أنّ الإتساق هنا ذكر مرادفا للإنسجام، وهذا يوحي بوجود علاقة متينة بينهما لدرجة يصعب الفصل بينهما.

أمّا أضدادها فهي حسب قاموس (المعاني) الإلكتروني فهي:"إختلاف، تنافر، تباغض، تباين، تخالف، تنازع، تنافر، شقاق، مشاجرة، معاكسة، مخاصمة، مخالفة، منافرة، نفور، نزاع"[6] وكل هذه الأضداد توحي بعدم

---

[1] – ينظر،معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن زكريا ابن فارس، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر: المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط2، 1399هـ/1989م، الجزء2، ص: 130.

2 – ينظر، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، المجلد1، ص: 438.

3 – ينظر، معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، الجمهورية التنوسية، ط1، 1986م، ص: 135.

[4] –Crystal; s.v– Cohesion p.p. 61.

[5] – الموقع:المعاني لكل رسم معنى:/WWW.Almasnycom/ar/thes/ar–AR

[6] – الموقع:المعاني لكل رسم معنى:/WWW.Almasnycom/ar/thes/ar–AR

الإرتباط، وعدم قابلية إقامة علاقة مع شيء آخر، و هذا ما ينطبق على بعض الأساليب التي تتنافر فيها الكلمات من بعضها البعض، والقول الأصح هنا أنّه إذا تنافرت غاب إتساقها.ومنه قوله تعالى: ﴿ **الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)** ﴾(البقرة:1-6) إذ أن بداية سورة البقرة حديث عن القرآن وصفات المؤمنين ثم عقب ذلك بذكر صفات الكافرين وهي نقيض وضدّ لصفات المؤمنين وهذا هو الذي أباح الربط هنا، فحصل إتّساق بالتّضاد بين المؤمنين والكافرين، وبين الإنذار من عدمه، صيغة الماضي والمضارع. وكذلك قوله تعالى:﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)** ﴾(البقرة: 245) ومسوّغ الإتّساق هنا ما بين القبض والبسط وهو التّضاد .

وجاءت معاني كلمة الإتّساق في معجم اللغة العربية المعاصرة متشعبّة فمنها ما هو في الفلسفة والتّصوّف كعدم التناقض أو التكلف في أجزاء الفكرة، وتعني كذلك إنسجام أو توافق تام بين المقدمات والنتائج، أو بين البراهين الرياضية ومكوناتها من الأوّليات والبديهيات"[1] لذلك يبدو الخلط بين مفهومي الإتساق والإنسجام لا يزال قائما، وذلك لغياب آليات وأسس تفرّق بينهما وتجعل لكل مصطلح مفهوم يميزه عن المصطلح الآخر ويحدده.

وقد كان لهذا الخلط والتشابك بين مفهومي الإتساق و الإنسجام تأثير سلبي على الدراسات اللغوية التحليلية والوصفية لاعتقاد الكثير من الباحثين إنهما يرفدان إلى نهر واحد ومجال مفاهمي يكاد يكون هو نفسه في كليهما.

جدول يوضح أسماء علماء النص العرب وترجمتهم لمصطلحي:(Cohesion) (Coherence) الإنجليزيين:

المصطلح	ترجمته بالعربية	إسم الباحث
(Cohesion)	- السبك	- سعد مصلوح-محمد العبد- تمام حسان
	- التضام	- تمام حسان-إلهام أبو غزالة
	- التماسك	- محمد خطابي-فالح بن شيب العجمي
	الربط النحوي	- سعيد بحيري

[1] – ينظر،معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة،ط1، 1429هـ –2008م، ص:2440.(وسق).

(Coherence)	- الحبك	- سعد مصلوح-محمد العبد
	- الإنسجام	- محمد خطابي- صلاح فضل
	- التماسك	- سعيد بحيري
	- التناسق	- فاتح بن شبيب العجمي
	- الإتساق	- تمام حسان
	- التقارن	- إلهام أبو غزالة
	- الإقتران	- إبراهيم خليل

كما أنّ هناك ممن قسم الإتّساق إلى نوعين وهما:

"**1- الإتّساق الخطي**: هو تتبع الوسائل التي تجعل النّص متّسقا خطيا؛ أو هو العلاقة في مستوى الجمل المتواليات (عدّة جمل).

2-الإتّساق العمودي: هو الذي يبيّن العلاقة بين المقاطع التي يتكوّن منها النّص، أو هو الحوار بين مقاطع السّورة"[1].

وربما قد استعمل البعض الآخر لفظ (التناسق) لدلالته على نفس المعاني التي تعلّق بها الإتّساق، فهو في اصطلاح المفسرين المتأخرين"نظم كلمات القرآن وجمله وآياته بطريقة هي غاية في التناسب وبمنتهى الدّقة والإحكام لتؤدي المعنى المراد على أبلغ ما يكون التعبير"[2] و"أصله قولهم:ثغرٌ:نسق إذا كانت الأسنان متناسقة مستوية، و حرز نسق:منظم"[3] .

من خلال هذه التعاريف اللغوية والإصطلاحية التي تقربنا إلى مفهوم العنوان (الإتساق المذكور في عنوان الأطروحة)، يظهر في علوم القرآن بأنّ الإتّساق والتّناسق يتحدّان في المفهوم الواحد وهو المراد، حيث يعني كلاهما أنّ العلاقات من هذا المنظور تكون بين كلمات وجمل الآية الواحدة، ويكون بين آيات السّورة الواحدة، ويكون كذلك بين مجموعة من الآيات التي تتحدث عن موضوع معين، ويكون كذلك الربط بين آيات السورة الواحدة بموضوعاتها المتناسقة لإظهار الموضوع الرئيسي أو الموضوعات الرئيسية التي تدور حولها آيات السورة.

---

[1]- أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب،جاسم علي جاسم، مراجعة: زيد علي جاسم، ص:11.

[2]- ينظر،أسرار إعجاز القرآن،أ.د.جمال مصطفى النجار،مكتبة الحسين الإسلامية،القاهرة،1417هـ،ص:135.

[3]-ينظر، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية للجوهري،1558/4، وينظر، معجم مقاييس اللغة لإبن فارس420/5.

2- مصطلح الإتّساق بين المفهوم والإجراء العربي:

وكعملية إجرائية في وصف إتّساق الخطاب/ النص"يسلك المحلل الواصف للنص، طريقة خطية متدرجاً من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالباً) حتى نهايته، راصداً الضمائر، والإشارات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية، مهتماً أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف،و الاستبدال، و الحذف،و المقاربة،و الاستدراك و هلم جرا، كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/الخطاب، المعطى اللغوي بصفة عامّة، يشكل كلا متآخذاً "[1].

والإتّساق مفهوم يعنى بخصائص "الرّبط النّحوي بين الجمل والعبارات لتأليف بنية نصيّة متماسكة مترابطة، ويعتمد الربط النّحوي على الإحالة والتّكرار والرّبط بالعطف والفصل والوصل وغير ذلك"[2]."فالإتساق هو الذي يضمن تماسك النص و تمييزه عن اللّانص"[3]. حيث تساهم العناصر اللغوية التي تسند إليها وظيفة الربط بشكل كبير في صناعة البنية الكلية للنص منذ البداية، ولا يقتصر عملها على الربط المحلي داخل الجملة، فقد تحيل الكلمات المعجمية إلى مواضع مختلفة من النص لصناعة الإتّساق وتحيينه كلما دعت الضرورة من المنتج ذلك، ويستمر العمل الإتساقي لهذه العناصر على امتداد النص إلى أن يخلص صاحبه منه.

وكإجراء عربي خاصة عند أهل علوم القرآن فقد "عُني علماء التّفسير بهذا المنطلق، فحللوا النص القرآني ومارسوا نقدهم عليه واكتشفوا بهذا؛ الترابط والتناسق بين الآيات والسور وسمّوه (علم المناسبات)... وقالوا: إنّ فائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[4]. وقد أكثر عدد من أئمة التفسير القدماء، من ربط نجوم السورة، أجزاء السورة ومقاطعها، أكثر من مرّة خلال التفسير ثم يحملون العلاقة بين هذه الأجزاء وبالأخص قبيل ختام السورة، شعوراً منهم وإشعاراً لقرّائهم بوحدة السورة القرآنية، ومن هؤلاء سيد قطب الذي يعدّه بعض الدّارسين أوّل من تنسب له فكرة الوحدة الموضوعية للنص القرآني، حيث يقول عن ملمح السورة:"لها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص. ولها جوّ خاص يظلل موضوعاتها كلها؛ ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو. ولها إيقاع موسيقي خاص – إذا تغير في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة .. وهذا طابع عام في سور القرآن جميعا ."[5] وسوف نذكر عددا من الأمثلة في ربط المقطع بين الدراسات القديمة والحديثة على تبلور فكرة الوحدة الموضوعية في السّورة القرآنية.

---

[1]-لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب،محمد خطابي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ،ط1، 1991م،ص:05.

[2]-ينظر،مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه،محمد الأخضر صبّيحي،الدّار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف،ص:82.

[3]-تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص،دراسة تطبيقية في سورة البقرة،بن يحي طاهر ناعوس،دار القدس العربي،وهران،الجزائر،(د،ط)(د،ت)،ص:208.

[4]- البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ج36/1.

[5]- في ظلال القرآن، سيد قطب، ج27/1-28.

3- الإتِّساق موروث عربيّ:

الإتِّساق ظاهرة لغوية عامّة تشمل جميع النصوص على اختلاف أنواعها، يلجأ إليها علماء اللغة والنّقاد لإصدار أحكامهم النقدية على الأعمال المنتَجة من طرف الكُتَّاب والخطباء، وتدرج فيه مجموعة من العناصر اللّغوية المتنوعة التي تناولتها كتب النّحو والبلاغة والدّلالة والتّفسير وعلوم القرآن، ونذكر منها الضمير، الاسم الموصول، اسم الإشارة، التكرار، الحذف...إلخ، ويضيف علماء النص إلى ذلك الرّوابط المتنوعة التي تسهم بحضورها داخل بنية النص في اتِّساقه كالعلاقة السببية وعلاقة الإجمال والتفصيل...إلخ.

وكان للعرب سبق من المراس بهذه الظاهرة على النصوص، لأنهم كانوا على إحاطة كبيرة بعناصرها اللغوية، فقد تناولوها وذكروها في كتبهم، عندما مارسوا التّحليل النصّي على القرآن والشّعر، ووقفوا على مواطن الرّبط والتّماسك، والجودة والجمال، والغرابة والتنافر، والعيوب والرداءة، فقد ذكرها ثعلب ووظّفها توظيفا نقديا نصّيا فقال (إتّساق النظم) في الشِّعر بأنّه: "ما طاب قريضه، وسلم من الإقواء والإكفاء والإجازة والإيطاء وغير ذلك من عيوب الشّعر، وما قد سهَّل العلماء إجازته من قصر ممدود، ومدّ مقصور، وضروب أخرى كثيرة وإن كان ذلك قد فعله القدماء وجاء عن فحولة الشعراء. ومعظم الشعر يتَّصف بإتّساق النظم، ولا يخرج منه إلَّا ما وقع فيه عيب أو ضرورة."[1]

وأمّا توظيف المصطلح في دراسات النّص القرآني نذكر ما ذكره السيوطي من قول لأبي بكر الأنباري حين قال:"أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر ينزل، والآية جواباً لمستخبر، ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة، فإتّساق السّور كإتّساق الآيات والحروف،كان عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فمن قدّم سورة أو أخّرها فقد أفسد نظم القرآن "[2]. و هناك أبيات كثيرة من الشعر ذكر فيها هذا المصطلح و بنفس المفهوم المعاصر له.

- و شتِيت كالأقحوان جلاه الطلل....فيه عذوبة و اتّساق[3].

ومما ذكره الجرجاني عن الإتّساق في النّص القرآني ما جاء نصّه كالآتي:"إنّهم تأمّلوه سورة سورة، وعشرا عشرا وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها،أو يُرى أنّ غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحْرى وأخلق، بل وجدوا اتّساقا بهر العقول، أعجز الجمهور، ونظاماً وإلْتِئاماً، وإتْقَانا وأحكاماً"[1].

---

[1]- ينظر، موسوعة علوم اللغة العربية، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ج1 /193.

[2]-ينظر،تناسق الدرر في تناسب السور،جلال الدين السيوطي،ص:56-57.

[3]- شرخ ديوان المتنبي،أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبدالله العكبرى،البغدادي محي الدين،تحقيق:مصطفى سيقا إبراهيم الأنباري،عبد الحفيظ شبلى،دار المعرفة،بيروت (د ط)(د ت)،ج317/1.

لقد أدرك عبد القاهر الجرجاني "سمة التماسك في النص،فصاغ نظرية متكاملة سمّاها"النظم" أكدّ فيها أهمية تعلق أجزاء الكلام بعضه ببعض مشبّها واضع الكلام بمن "يأخذ قطعاً من الذهب والفضة، فيذيب بعضهما في بعض حتى تصير قطعة واحدة"[2] . وقد بيّن الكثير من العلماء الذين تتبعوا الإعجاز القرآني أنّ الربط بين أجزاء الكلام هو أهمّ مواطن الإعجاز القرآني أكثر من الكلمة اللفظ والمعنى الذي تحمله، حتى قال أحدهم:"إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم، ...ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه. وأمّا المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنّها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها،...فتفهم الآن. واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني... ومعلوم أنّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرهم"[3]. ولذا كان القرآن لغزهم اللاّغز الذي أثبت لهم ذلك الإعجاز في ثلاثة أشياء إذا اتّسقت في نظام لغوّي معيّن أعجزهم، وهذه الثلاثة هي:

1- الألفاظ الفصيحة.

2- النظم الحسن.(التأليف/التنظيم/الربط...إلخ).

3- صحّة المعاني (تحقيق الفائدة).

ويحصل أن تحتبك هذه الأمور الثالثة في صياغة التراكيب والأساليب حسب المسار الذي يختاره المؤلف في بناء نصّه إلى أن تتحقق غايته، وتصبح هذه العملية التفاعلية بين هذه الأمور منسجمة تماما في النص لتحقيق القصد منه والمعنى المراد.

وقد كان الجرجاني سبّاقا في طرح فكرة الإتِّساق النّصّي من خلال (نظرية النظم)، "فالنظم عنده شبيه بالنسج والتّضام والتّأليف والبناء، وما أشبه ذلك مما يوجب تضّام الأجزاء بعضها مع بعض، ويهتم فيها بكيفية تركيب الكلام بدءا من الجملة البسيطة وحتّى التّراكيب الصّوتية والدّلالية والنّحويّة والبلاغيّة والأسلوبيّة"[4]، وفي ذلك يقول: "وليس الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها في النّطق، بل أن تناسقت

---

[1]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة المدني، السعودية، ص:39.

[2] -ينظر، المرجع نفسه، ص:412-413.

[3]- البيان في إعجاز القرآن، للشيخ عبد الوهاب غزلان، دار التأليف، سنة 1384هـ- 1965م، ص:23-25.وينظر، فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم، أحمد السيّد الكومي، محمد أحمد يوسف القاسم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2، (د،ت)، ص:18.

[4]- ينظر، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 225-229.

دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[1]، وفي هذا النص الذي ذكره الجرجاني ذكر لكلمة (تناسقت) وهي لفظة مشتقّة من الفعل (نسّق) و قريبة من الفعل (إتّسق)، ولا تزال نظرية النّظم الجرجانية في طليعة الدّراسات اللّسانية الوصفية، التي تهتم بالتركيب والبنية النّصّيّة، فكل العلاقات اللّغوية الدّاخلية والسّياقية التي أشار إليها الجرجاني هي اليوم من بين اهتمامات علماء النظرية النّصّية، أو ما اصطلح على تسميته بنحو النّصّ.

وليس خافيّا على أحد، ما للجرجاني كذلك من آراء سديدة، في مواضع عديدة من كتابه دلائل الإعجاز، حول ضرورة ألاّ يكون الحكم على الشعر بالحسن والجودة، وعلى صاحبه بالحذق والصنعة، إلاّ بعد تتبع القصيدة واستيفاء القطعة وتلمس ما بين أجزائها من تلاحق، ومن انضمام بعضها إلى بعض. يقول في ذلك: "و اعلم أنّ من الكلام ما أنت ترى المزية قي نظمه والحسن كالأجزاء من الصّبغ تتلاحق وينضمّ بعضها إلى بعض حتّى تكثر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه ولا تقضي له بالحذق حتّى تستوفي القطعة وتأتي على عدّة أبيات"[2].

مخطط توضيحي يبين علاقة النظم بالإتِّساق:

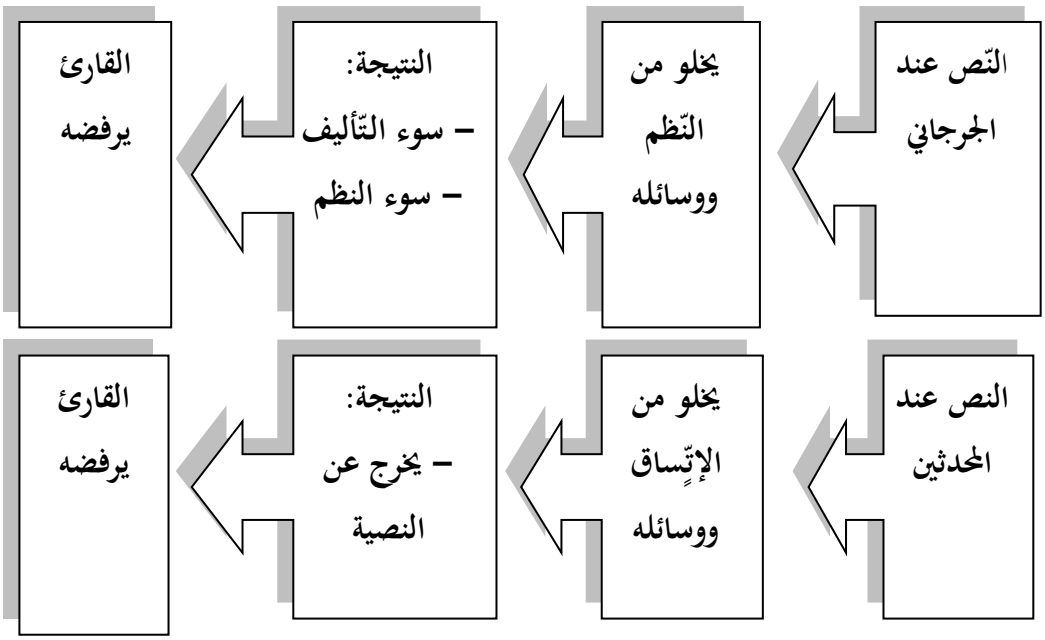

وحسب المخطط، فإنّ البنية النصية التي يغيب عنها النظام اللغوي، الذي يؤدي دوره في تراصف الكلمات وترتيبها، بما أتيح له من وسائل لغوية متنوعة، لا تعدّ نصا، بل ضربا من ضروب عشوائية التركيب،

1– دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، ص: 49–50.

[2] – المرجع نفسه، ص: 89.

فلا التركيب وقع، ولا المعاني حصلت، وهذا يجهد القارئ ومستقبل النص في البحث عن ترتيب النص حسب العلاقات التي تفرضها اللغة، والكشف عن الروابط التي توّحد تراكيبه، وتجعل منه نصا مقبولا وله غاية ومقصد. وهذه العلاقة نادى بها الجرجاني كما هو الحال بالنسبة لأصحاب نظرية علم النص.

ويمكننا أن نقول أنّ الإحالة عند الجرجاني هي من الأدوات التي يؤدي استخدامها إلى تحسين الكلام، ولا يقتصر دورها على الربط، فقول البحتري الآتي:

– بلونا ضرائب من قـــد نـــرى ..... فـما إن رأينا لفتح ضريبا

– هو المرء أبدت له الحادثات .....عوما وشيطا، ورأيا صليبا

فاستخدام الضمير هو في بداية البيت الثاني فضلا عن أنه؛ ربطه بالأول أضفى على المعنى فيه شيئا من القوة، ومع أن الإحالة بوساطة الضمير من عوامل الربط التي تفيد الكلام تماسك و اتساقا، وتنفي عنه التكرار، وتجنبه التشتت، إلا أنها لا تروق عنده في كل مقام، ولا تعذب في كل مساق [1].

وفي النقد العربي، فقد ذكر ابن طباطبا، على سبيل المثال، مصطلح الاتّساق، وأشار إليه على أنّه وسيلة من وسائل الرّبط، لما استخدمه للكشف عن مواطن التماسك في القصيدة العربية القديمة، ومن أشهر الأقوال التي ذكر فيها المصطلح قوله: " وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتّسق به أوّله مع آخره على ما ينسّقه قائله.... يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أوّلها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة، وجزالة ألفاظ...حتّى تخرج القصيدة كأنّها مفرغة إفراغا...تقتضي كلّ كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلّقا بها مفتقرا إليها"[2]

ويعدّ السّيد الطباطبائي من الذين أشاروا إليه صراحة في تفسير سورة (آل عمران) بقوله: "ويشبه أن تكون السورة نازلة دفعة واحدة، فإنّ آياتها وهي مئتا آية ظاهرة الإتّساق والانتظام من أوّلها إلى آخرها متناسبة آياتها مرتبطة أغراضها"[3]، وهو بذلك لا يجعل خطوطاً تفرّق بين الإتّساق والإنتظام، ولربما يقصد به التتابع والتسلسل. أو الربط الذي تتحكم فيه العلاقات النّحوية.

---

[1]– في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط 2007م، ص:227.

2 – عيار الشعر، ابن طباطبا، مراجعة: نعيم زرزور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص: 131.

[3]– الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، محمد حسين (ت 1981/)ط1، صححه و أشرف على الطباعته الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،1417هـ/1997م، ج5/3.

قد أشار المفسّر إلى مصطلح الإتّساق عند تفسيره قوله تعالى أيضا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)** ﴾،(سورة المائدة:41). يقول السّيد الطباطبائي معلقا على هذه الآية:" وهذه الجمل المتّسقة بيان حال الذين هادوا، أمّا المنافقون المذكرون في صدر الآية فحالهم لا يوافق هذه الأوصاف كما هو ظاهر"[1]. وهذا ما يؤكّد وعي العقل العربي بهذه الظاهرة النّصيّة وذكرها في كتب كثيرة وبنفس الدلالة التي نصّت عليها كتب لسانيات النّص وتحليل الخطاب الحديثة.

4- معيار الإتّساق أساسيّ في الدراسات القرآنية النصية القديمة والحديثة:

يعتبر أبو بكر بن العربي(543هـ) من الأوائل الذين تلفظوا بمصطلح الإتّساق في الدراسات القرآنية، وكان له الفضل الكبير في تداوله على ألسنة الدارسين للنّص القرآني، ونقل لنا الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) قولا لابن العربي مستعملا فيه لفظة (متسقة) التي تحيل مباشرة إلى الإتساق المتعارف عليه في علم النص الحديث . ودوّن في كتب الكثير منهم تدوينا هو المفهوم النّصي الحديث، يقول ابن عربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلاّ عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، و رأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[2].

و به قال أبو بكر بن الأنباري في ترتيب الآيات بعد أن يوحى بها إلى النبّي -صلّى الله عليه وسلّم-: "كان جبريل يوقف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على موضع السّورة والآية، فاتّساق السّور كاتّساق الآيات والحروف، فكلّه عن محمّد خاتم النبيين- عليه السلام- عن ربّ العالمين، فمن أخّر سورة مقدّمة أو قدّم أخرى مؤخّرة فهو كمن أفسد نظم الآيات وغيّر الحروف والكلمات"[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ج347/5.

[2]- ينظر, إعجاز النظم القرآني، التناسب البياني، أحمد أبوزيد، منشورات الآداب، الرباط، 1992م، ص:06. و أسرار ترتيب القرآن، ص:39-40.، والإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي،108/2. البرهان في علوم القرآن،بدر الدين الزركشي،ج62/1.

[3]- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، قدّم له، فضيلة الشيخ خليل محي الدين الميس، ضبط ومراجعة على الأصول، محمد صدقي العطّار، خرّج حديثه، الشيخ عرفان الدمشقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ/ 1429هـ-2008م، مج 55/1.

أمّا المعاصرون ممن اعتنوا بفكرة الإتّساق واهتموا بها اهتماماً شابه أو كاد يشبه ذلك الاهتمام الذي رصدناه في كتب الغربيين ونذكر منهم الفراهي، وسيد قطب، والدكتور مصطفى مسلم، والدكتور صلاح الخالدي، وسعيد حوى، وأسد سبحاني، ومحمود البستاني، وطه جابر العلواني، وصبحي ابراهيم الفقي، وغيرهم كثير ممن تكرر الرجوع إلى مؤلفاتهم في هذا البحث، حيث استخدموا مصطلحات كثيرة تعبّر عن فكرة الإتّساق مثل:(الوحدة الموضوعية في السّورة، أو الوحدة العضوية وكذا التماسك، والوحدة البنائية، وعمارة السّورة، ومعمارية النص القرآني، والتفسير البنائي، فضلاً عن النظام والتناسق والترابط والتناسب وحسن النظم ...)، وكلّ هذه المصطلحات التي غصّت بها كتبهم تشير إلى مفهوم الإتّساق، و إلى ما هو منه، حيث اعتنى كلّهم بدراسة النّص القرآني من جميع نواحيه، حتى بدا لهم كالبناء، أو كالجسد الواحد بل وحتّى كلمة واحدة. وكان لسيد قطب نفس الرأي الذي أكّد به أراء سابقيه من العلماء حول اتساقية القرآن الكريم وتماسكه، وبهذا نجده يقول في هذا الصدد:"إنّ التّناسق في القرآن بلغ الإعجاز في ألوانه ودرجاته وآفاقه، فمن نظم فصيح إلى سرد عذب إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل إلى لقط معبّر..إلى اتّساق في أجزاء إلى تناسق في الإطار"[1].

أمّا الدّكتور عبد الله درّاز فكان من الباحثين المهتمين بالدراسات القرآنية وكان له نصيب من المساهمة في إرساء قواعد هذا المصلح في كتاباته، منها كتاب (النبأ العظيم) الذي يذكر فيه المصطلح قائلا عن الإتّساق القرآني: "ستجد اتّساقا و إئتلافا يسترعي من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر، وعلى أنّه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر، وستجد شيئاً آخر لا تجده في الموسيقى ولا في الشّعر. ذلك أنّك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هي تحدد الأوزان فيها بيتاً بيتاً، وشطراً شطراً، وتسمع القطعة من الموسيقى فإذا هي تتشابه أهواؤها وتذهب مذهبا متقارباً، فلا يلبث سمعك أن يمحها، وطبعك أن يملّها، إذا أعيدت وكررت عليك بتوقّع واحد، بينما أنت من القرآن أبداً في لحن متنوّع متجدّد تنتقل فيه بين أسباب و أوتاد و فواصل على أوضاع مختلفة يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء، فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد"[2].

وها هو مصطفى صادق الرافعي يصف أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم – بإعجازها البلاغي، فيما وصفه باجتماع كلامه وقلّته ذاكراً للفظة الإتّساق في خضم هذا الوصف قائلا:"ومن كمال تلك النفس العظيمة وغلبة فكره –صلى الله عليه وسلم– على لسانه قلّ كلامه وخرج قصداً في ألفاظه، محيطا بمعانيه، تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها: فلا ترى من الكلام ألفاظاً، ولكن حركات نفسية في ألفاظ، وبهذا كثرت الكلمات التي انفردت بها دون العرب، وكثرت جوامع كلمه ...، وخلص

[1]–التصوير الفني في القرآن،سيد قطب،ص:118.

[2]– القرآن؛ محاولة لفهم عصري، مصطفى محمود : فصل (المعمار القرآني) : دار المعارف، مصر، 1976 . ص:12 –19.

أسلوبه، فلم يقصر في شيء، ولم يبالغ في شيء، و اتّسق له من هذا الأمر على كمال الفصاحة والبلاغة ما لو أراده مريد لعجز عنه، و لو هو استطاع بعضه لما تمّ له في كلّ كلامه؛ لأن مجرى الأسلوب على الطبع..."[1].

تلك هي بعض النصوص التي تثبت أسبقية العرب في طرحهم لفكرة الإتّساق ومعرفتهم بهذا المصطلح، أكثر من غيرهم ولمن أراد أن لا ينفذ إليه شكّ في ذلك عليه بقراءة التراث الذي أهمله وانساق منبهرا وراء التيار الفكري الغربي كأنّه كان في ظلام حالك لا تضيئه سوى أفكار الغرب التي لم يستطع أن يتخلّى عنها، ونحن نوافقه الرأي شريطة تأصيل أفكاره بثقافته العربية التي لا يستطيع أن ينسلخ منها مهما حاول تجديد فكره والتنّصل من هويته العربية، بل إنّه مطالب أكثر من أيّ وقت مضى باستئناف بحوثه بهويته العربية خاصة و أنّ أفكاره تواجهها أفكار أخرى وفي بعض الأحيان تصارعها في أجهزة الإعلام الآلي.

وقد أشرنا فيما سبق بأنّه لهذا لمصطلح (الإتساق) تسميات عديدة في التراث اللغوي والنقدي العربي منها: الحبك والترابط والانسجام والسبك والتنضيد والتضام وغيرها. وكلها تقوم بوظيفة واحدة وهي الكشف عن تماسك النص وترابطه الذي حقق به هذا المنتوج نصيّته.

وعلى العموم فقد"نال مصطلح الإتّساق اهتماما من علماء النّص بتوضيح مفهومه وأدواته ووسائله، وإبراز عوامله وشروطه، وبعرفه "carter" بقوله:" يبدو لنا الإتّساق ناتجا عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النّصية، أمّا المعطيات غير اللسانية(مقامية، تداولية) فلا تدخل إطلاقا في تحديده"[2].

5- الإتّساق خاصيّة نصّية في القرآن (نصاً/خطابا):

ولقد تبيّن مما سبق أنّ العرب لهم السّبق في توظيف مصطلح الإتّساق بمفهومه النصي الحديث، فمنذ القرون الأولى لبداية تفسير القرآن الكريم -كما جاء في الكثير من المدّونات العلمية- بدأت معالم النّصيّة تتأسّس في الأفق اللغوي والأدبي والنقدي العربي، و واصلت التّطور في سلك هذا الطريق حتى ظهر مفهوم الإحالة في كتبهم مستعملا هو الآخر بالمفهوم النصي الحديث وبنفس العناصر الإحالية التي توظفها نظرية علم النص الحديث. لأنّ طريقة نظم النّص القرآني أبهرتهم ونشّطت ذاكرتهم، ما دفعهم دفعا إلى دراسة الطريقة التي انتظم بها هذا الكتاب،كون نظام"السّور القرآنية نظام متميز، فالكتب التي يؤلفها البشر تقسم إلى أبواب وفصول ومباحث حسب جزئيات الموضوع التي تتناوله، وكلّ مبحث يتناول واحدة منها دون أن يخلطها بغيرها، أمّا السّورة القرآنية فتجمع في كثير من الأحيان مواضيع متعددة، وهي على اختلافها متآلفة في نسيجها، وهنا يكمن

---

[1]-ينظر:إعجاز القرآن و البلاغة النبوية،مجموعة مصطفى صادق الرافعي،مكتبة رحاب،الجزائر،ص:300.

[2]-المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب،دراسة معجمية،د.نعمان بوقرة، جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، عمّان الأردن، ط1، 1429هـ - 2009م، ص:81.

الإعجاز، ثم إنّنا لو عمدنا إلى القرآن وجمعنا طائفة من الآيات متحدة الموضوع من سوّر مختلفة وجعلناها سورة واحدة لوجدناها متنافرة الأسلوب مضطربة التركيب، ولو أخذنا من سورة معيّنة آيات موضوع واحد كالآيات التي تتحدث عن قصة خلق آدم في سورة البقرة مثلا{من الآية 30 إلى الآية 38 }وهي قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)** ﴾و جعلناها سورة قصيرة لوجدنا أنّ القصة قد خفتت إشعاعاتها، و انكسفت أنوارها، ولكن الله تعالى أراد أن تكون سور القرآن على ذلك النحو، وترك استخراج المواضيع ذات الصبغة الواحدة للجهد البشري، تصنيفا وتفسيرا واستنباطا على مدى العصور، بما يلبي حاجات البشرية و يوفي بمطالبها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها"[1]. ولا نستطيع تقليص خصائص النص القرآني في أيّ بحث من البحوث أو تجاهلها لأنّ "القرآن في كل جملة منه جهاز من أجهزة المعنى. وفي كل كلمة منه عضو من أعضائه وفي كل حرف منه جزء بقدره. وفي وضع كلماته من جمله ووضع جمله من آياته سرُّ الحياة الذي ينتظم المعنى بأداته. وبالجملة كما قال الباقلاني: محاسن متوالية وبدائع تترا"[2].

يقول الإمام الرّازي:".. من تأمل في لطائف نظم السور و بديع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه و شرف معانيه، فهو –أيضا– معجز سبب ترتيبه و نظم آياته.."[3]وَقَالَ أيضا واصفا طريقة نظم واتّساق اللغة فِي سُورَةِ الْبَقَرَة: وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي لَطَائِفِ نَظْمِ هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي بَدَائِعِ تَرْتِيبِهَا عَلِمَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَمَا أَنَّهُ مُعْجِزٌ بِحَسْبِ فَصَاحَةِ أَلْفَاظِهِ، وَشَرَفِ مَعَانِيهِ، فَهُوَ أَيْضًا بِسَبَبِ تَرْتِيبِهِ، وَنَظْمِ آيَاتِهِ، وَلَعَلَّ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّهُ مُعْجِزٌ بِسَبَبِ أُسْلُوبِهِ أَرَادُوا ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ جُمْهُورَ الْمُفَسِّرِينَ مُعْرِضِينَ عَلَى هَذِهِ اللَّطَائِفِ غَيْرَ مُنْتَبِهِينَ لِهَذِهِ الْأَسْرَارِ وَلَيْسَ الْأَمْرُ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَّا كَمَا قِيلَ:

---

[1] – وحدة النسق في السورة القرآنية، فوائدها وطرق دراستها، رشيد الحمداوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد3، جمادى الآخرة، 1428هـ، ص:147.

[2] – النبأ العظيم، محمد عبد الله درّاز، ص:112.

[3] –نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسّر برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي،(ت885هـ–1480م)،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1404هـ– 1984م، ج9/1.

– وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ ** وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّغَرِ"[1]

–ثم يقول أيضاً:"...أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات و الروابط"[2].

ويصف سيد قطب القرآن بالإتّساق والتناسق والتفاف المواضيع حول المحاور الموجودة في سور القرآن،"يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أنّ لكل سورة من سوره شخصية مميزة... ولها موضوع رئيسي أو عدّة موضوعات رئيسية، مشدود إلى محور خاص، ولها جوّ خاص يظلل موضوعاتها كلها و يجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معيّنة و تحقق التناسق بينها وفق هذا الجوّ"[3]. وبهذه الأحكام نخلص إلى أنّ النص القرآني محكوم عليه من الله سبحانه وتعالى بالإعجاز، وهذا الإعجاز مكنون في لغته وفي طريقة بناء آياته وسوره واتّصاف كل سورة عن الأخرى بشخصية تميّزها عن باقي السور ولا تخرج بهذا الحكم عن الخط العام لكتاب الله، حيث تساهم هذه السور كلها في اتساق التشكيلة العامة للقرآن الكريم رفقة أخواتها، وتمثل جزءا من بنيته العامة التي تحقق غاية محددة من غايات هذا الكتاب ومقصدا من مقاصده العامة.

وتعتبر نظرية النظم الكاشف المثالي للإعجاز الحقيقي للقرآن الكريم عند الجرجاني، حيث يؤكد أن السبب الذي جعل الكفّار يدعون معارضة القرآن وقد تحدّوا إليه، أنّه قد:"أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية، ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، ولفظة ينكر شأنها أو يرى أنّ غيرها أصلح مكانا أو أشبه، أو أحرى أو أخلق. بل وجدوا اتّساقا بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما، ولم يدعو في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء موضع طمع، حتى خرست الألسن أن تدعي وتقول"[4]. ومن المحدثين الذين اهتموا بوحدة النص القرآني الدكتور محمد عبد الله دراز الذي وصف العلاقة بين المعاني في ترابطها بتماسك الحجرات في البنيان، واستعمل لفظة الإتساق في حكمه على النص القرآني بذلك، وكان ممّن نوّه إلى ذلك الترابط في كتابه (النبأ العظيم) حيث قال:"إنك لتقرأ السّورة الطويلة المنجمة، يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشيت حشوا، و أوزاعا من المعاني جمعت عفوا، فإذا هي لو تدبرت؛ بنية متماسكة، قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل فصل منها شعبة وفصولا، وامتد من كل شعبة منها فصول تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة ...ولماذا نقول إنّ هذه المعاني تتّسق بالصّورة كما تتّسق الحجرات في البنيان؟ لا؛ بل إنها

---

[1]– ينظر المرجع نفسه، ج1/9.

[2]– المرجع نفسه، ج1/6.

[3] –في ظلال القرآن،لسيد قطب، ج1/26–27.

[4]–دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ص:39.

لتلتحم الأعضاء في جسم الإنسان: فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب ومن وراء ذلك كلّه يسري في جملة الصّورة اتّجاه معيّن، و تؤدي بمجموعها غرضا خاصّا كما يأخذ الجسم قواما واحدا، ويتعاون بجملاته على أداء غرض واحد مع إختلاف وظائفه العضوية"[1].

وفي هذا النص تصريح بلفظة (تتسق) التي لا تفارق وصف النص القرآني عند عبد الله درّاز وفيها دلالة الإتّساق التي تعنيها نظرية النص، وقد حملها الدكتور، معنى الربط والجمع والتماسك والضّم والإلتئام تحت نظام السّورة التي تقبض أزرها تلك العناصر اللغوية فتشتبك مشكّلة عروقها وأعصابها كما هو جسم الإنسان وكما هو البيت.

ومن الأمثلة التي ذكر فيها المصطلح مع الإنسجام تعليق لأحد المدرسين في بغداد عن قوله: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12)** ﴾ (سورة الطارق: 11-12) قال رشيد رشدي (مدرّس الجغرافية في المدارس العالية ببغداد) : انظر إلى هذا الإنسجام والاتّساق، والإعجاز في تعبير الرجع والصدع، والربط الوثيق الطبيعي بينهم، فلو حاول كلّ عباقرة البيان ونوابغ علوم الطبيعة ليأتوا بكلمتين تخلفان هاتين اللفظتين بمعناهما المتّسع الشامل لَما قدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً"[2].

وجملة القول من النصوص السابقة نجد أنّ عناية العرب بظاهرة الإتّساق النّصي كانت موجودة منذ القدم، وبنفس الإهتمام الذي تحظى به النصوص الحديثة وصاحبها مصطلح الإتساق الذي ذكر في أكثر من كتاب في العصور الأولى المتقدمة ثمّ المتأخرة عند تفسيرهم القرآن. ومحاولة الكشف عن ظاهرة الإعجاز فيه من خلال التماسك والترابط. فلا يزعم زاعم ولا يظن ظانّ بأنّ الإتّساق ولد حديثا وقائما بمناهجه وأسسه في نظرية علم النّص الحديثة التي تصدر لنا من الفكر الغربي.

6- الإتّساق بين علمي النّحو والبلاغة (قواعد اللغة وعلم المعاني):

يعتبر البعض من أهل النص والخطاب أنّ هناك مصطلحا يجمع بين مصطلحي الإتّساق والإنسجام، وهما يتلاقحان ليولد مصطلح يشمل المعنيين وهو:"التماسك النصي ويعني الإتّساق، الكيفية التي يحدث بها التماسك النصي بترابط عناصره، وهو مفهوم دلالي يحيل إلى علاقة المعنوية القائمة داخل النص، وهي عناصر

---

[1] – النبأ العظيم،محمد عبد الله دراز، ص:155.

[2] – تلخيص التمهيد، محمّد هادي معرفة، الأستاذ المحقّق: الشيخ محمّد هادي معرفة (رحمه الله)، مؤسّسة النّشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرّسين بقم ،ط6، 1428هـ/ق، ج2/487. موقع الضياء للدراسات المعاصرة.

تحّدده وتمنحه صفة النصانية، ويشمل مفهوم الإتّساق هذا عددا من المنسقات كالإحالات إلى الضمائر، الإشارة والحذف والاستبدال و الوصل والإتساق المعجمي.[1]

ولمعرفة كيفية الكشف عن الإتساق ووصفه يقول محمد الخطابي راصدا لنا طريقة لإستقصائه داخل النص "ومن أجل وصف إتساق (الخطاب/النص) يسلك المحلل الواصف طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب إلى نهايته"[2]، ويفسر هذا في حدود معرفتنا أنّ المحلل الواصف يستمر في ترصد الربط والتماسك النصّي كلمة بعد كلمة ولا يمكنه أن ينتقل بين فقرات النص قافزا هنا وهناك، لأنّ ذلك لن يقدّم له أي معرفة، بل يعد مضيعة للوقت، ولذلك فهو مطالب بقراءة النص كلمة كلمة وبالتتابع الذي بناه عليه صاحبة، ثم يتدرّج من بنية إلى بنية أخرى تليها مباشرة، وهكذا يبقى مستمرا على هذه الحال وفي تتبع الخط النحوي لتلك التراكيب إلى أن ينتهي من ذلك.

وللكشف عن إتّساق أيّ نص فإنّه يتعيّن على الباحث أن يكون ملمّا بقواعد النحو ووظيفة الحروف والأسماء والمصادر والأفعال وأزمنتها ..إلى غير ذلك مما يحتاجه المحلل، ويجب عليه كذلك أن يستعين بالمعاجم لمعرفة المرادفات والتضاد وأنواع المشتقّات التي يظهر بها النظام المعجمي للنص وحقوله الدلالية، وعلى الباحث أن يتوخى معاني النحو للتفريق بين المعاني وترجيحها عن بعضها البعض، حيى نستطيع أن نتبيّن تماسك النص واتّساقه،"و لا ينبغي أن يفهم أن التماسك متوقف على وجود هذه الوسائل وحدها، بل واقع الأمر أنّ هذه الوسائل قد لا تكون وحدها كافية في إضفاء صفة التّماسك على النص، وهو ما قال به بعض محللي الخطاب، إذ قد يكون الرابط بين أجزاء النص المناسبة السياقية، بحيث يمكن للمخاطب أن يجد بعض العلاقات و الصلات بين أجزاء الخطاب في عناصر السياق الخارجية، مستعيناً في ذلك بقدراته العقلية في الربط بين تلك العناصر"[3].ومن هذا الباب علّق الجرجاني على بيت بشار بن برد:

– كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا و أسيافنا ليل تهاوى كوكبه.

بقوله:"إذا تأملته وجدته كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم، ورأيته قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنع الصانع حين يأخذ كسراً من الذهب فيذيبها ثم يصبها في قالب و يخرجها لك سواراً أو خلخالاً، وإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض، كنت كمن يكسر الحلقة و يفصم السوار، ذلك أنّه لم يرد أن يشبه

---

[1] – ينظر، لسانيات النص،مدخل إلى إنسجام الخطاب،محمد الخطابي،ص:15.

[2] – المرجع نفسه، ص:05.

[3] –قضايا في اللغة اللسانيات وتحليل الخطاب،د.محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص:54.

النقع بالليل على حدّة، و الأسياف بالكواكب على حدّة، ولكنّه أراد أن يشبه النقع و الأسياف تحول فيه بالليل حال ما تنكدر الكواكب و تتهاوى فيه، فالمفهوم من الجميع مفهوم واحدٌ، والبيتُ من أوّله وآخره كلام واحدٌ"[1].
وقد كان لنحو النص ملمح ظاهر يتمثل في دراسة الروابط مع التأكيد على المزج بين المستويات اللغوية المختلفة، و كل هذا يؤدي إلى الإتّساق الذي يتضح في تلك النظرة الكلّية إلى النّص دون الفصل بين أجزائه[2]، وقد ذكره الدكتور علي أبو المكارم في كتابة (الظواهر اللغوية في التراث النحوي) أنّ الإتّساق "الإتساق اللغوي لا يمكن أن يعزل مستوى من مستويات النشاط اللغوي عن غيره من مستويات هذا النشاط، ويستحيل أن يكون الأداء اللغوي صحيحا مع فقدان الصحة في أي مستوى من مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية"[3]، ويحتاج الإتّساق إلى تضافر القواعد اللغوية على جميع المستويات للكشف عن طريقة الربط والتماسك التي أحدثتها وبأيّ كيفية وبأي لغة ومفردة أو عنصر لغوي تحقق ذلك، إنّه يبدأ من البنية السطحية وبهدوء حتى يصل إلى أقوى وأمتن نقطة حدث فيها التماسك، وهنا للمحلل أن يعلّق بما يراه مناسبا في تحقيق معيار الإتّساق، وهذه الرؤية تقريبا هي نفس الرؤية التي رآها دافيد كريستال بأنّ الإتّساق متصل بالبنية السّطحية للنص[4].

كما تساهم المعاني وهي ترافق القواعد النحوية بالتوازي في صناعة البنية الكليّة للنص من جهة أخرى، فالنحو يقوّم اللسان والبلاغة تقوّم الغاية وتحدد مقصدية الكلام، ثمّ إن البلاغيين اهتموا بدراسة بعض المظاهر الخطابية إبرازا لوعيهم بتماسك الخطاب و ارتباط أجزائه بعضها ببعض، لأن البلاغة تسعى إلى الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبير قادر على شد انتباه المتلقي والتأثير فيه، فقد انطلقت مباحث عديدة في علم البلاغة من منطلق المعالجة النصية مثل: الإيجاز والفصل والوصل، بل نظرية النظم نفسها أكدت النّظام والاتّساق بين الكلمات[5].

وإذا كان النحو العربي وغيره قد انطلقوا من نحو الجملة وانحصرت التحليلات النحوية في هذا الإطار ولم تتجاوز حدود الجملة حسب زعم بعضهم، فإن هذا ليس قصورا و إنما هو راجع إلى الأسباب التي من أجلها تم

---

[1] –ينظر:دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني،ص:282.

[2] – نحو النص،إتجاه جديد في الدرس النحوي،أحمد عفيفي،ص:95.

3 – الظواهر اللغوية في التراث النحوي (الظواهر التركيبة)، د.علي أبو المكارم، القاهرة الحديثة للطباعة، 1968م، ص:325.

[4] – ينظر،علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق،د. صبحي إبراهيم الفقي،ج1/94 و ما بعدها.

[5]– يقول عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز (فصل منه أن نظم الكلام بحسب المعاني و الفرق بين نظم الكلم و نظم الحروف): "و أما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني و ترتيبها في الكلام حسب ترتيبها في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه بعض، و ليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء كيف جاء و اتّفق. و كذلك كان عندهم نظير للنسيج والتأليف والصياغة والبناء... وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض... والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها و تلاقت على معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل... واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك، علمت علما، لا يعترضه شك، أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه سبب من تلك... وننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله" ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. فصل منه أن نظم الكلام بحسب المعاني والفرق بين نظم الكلم ونظم الحروف.

القيام بتقعيد اللغة. ولا يعني ذلك بأية حال من الأحوال أن نطرح مقولات نحو الجملة جانبا لأن نحو النص يقوم أساسا على تصوّرات نحو الجملة ومفاهيمه وقواعد وأشكال الوصف والتحليل فيه. فباتّساع مجال الرؤية أصبح الدارسون يسعون إلى تحقيق هدف جديد يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص أي محاولة تقديم صياغات كلية دقيقة للأبنية النّصية وقواعد ترابطها. وعليه فنحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم تدخل في الاعتبار من قبل أو على الأقل كانت متوارية في تحليلات النحاة. [1]

ويعتبر اللسانيون ومحللوا الخطاب أنّ الإتّساق هو جزء من نظام أ يّة لغة، وتكمن إمكانيتّه في الوسائل النظاميّة للإحالة والحذف وسواهما مما هو مبني في تضاعيف اللغة نفسها، ولا يعتمد في أيّ مثال معطى على انتقاء خيار ما من بين هذه الوسائل فحسب، بل يعتمد على حضور عنصر آخر يحلُّ الإقتضاء الذي تقيمه هذه الوسائل، إذ تنشأ العلاقة الاتّساقيّة إذا وردت الكلمة بوضوح، أو وردت كلمة ذات اتصال بها[2].و"هذه الظواهر التي من قبيل الإحالة والإستبدال والحذف لا تعتبر محققة للإتساق النصي إلا متى تجاوزت حدود الجملة الواحدة"[3].ولعلّ من أبرز دواعي التحوّل من نحو الجملة إلى نحو النصّ؛ أنّ الأخير لا يقرّ للجملة بالاستقلال،مما يجعل نحو الجملة غير كاف لوصف تتابعات كبرى تتجاوز الجملة، وظواهر تتعلق ببنية النصّ ككلّ، أي أنَّ الجملة ذات دلالات جزئيةّ في النصّ، ولا يمكن أن تقرّر الدلالة الحقيقيّة لكلّ جملة داخل كليّة النصّ، إلا بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة في التتابع الجملي، إذ ينظر "إلى النصّ مهما صغر حجمه على أنَّه وحدة كليةّ مترابطة الأجزاء، أو بنية معقدة متشابكة مكتفية بذاتها دلاليّا، يتحقق التماسك بين عناصرها المضمونيّة والإئتلاف، أو الترابط بين عناصرها الشكليّة "[4].

ويعد نحو النص من العلوم المستحدثة التي عنيت بالإتساق، وهذا ما صرّح به فيهفيجر قائلا:"تنطلق تصوّرات نحو النص من فرضية أنّ النّص في الأساس يمكن تحديده بأنّه مركب بسيط من جمل تقوم بينها علاقات تناسق.[5] ويعد ايزنبرج تعاقب الجمل من بين السمات النصّية، وينتج عن ذلك أن ينظر إلى مشكلة ربط الجمل على أنّها أساس وشرط لإيضاح إجراءات إنتاج النص وتكون وظيفة نحو النص بهذا الفهم إذن استنباط قواعد النص للربط بين الجمل...تلك التي تقدّم معلومات دلالية ونحوية، ويمكن أن تشترك مع سائر مكوّنات النحو في

---

[1]– ينظر،علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، د.صبحي إبراهيم الفقي، ج1/49–56.

[2] –See; Cohesion in English Halliday (M.A.K.) and Ruqaya Hassan; Long man; 1st pub; New York; 1976; p.p.. 5.

[3] – أصول تحليل الخطاب،في النظرية النحوية العربية،تأسيس نحو النص،محمد الشاوش،مج1/135.

[4]– اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النصّ؛سعيد حسن بحيري، مجلة علامات في النقد؛ إصدار النادي الثقافي؛ جدة؛ ج 38 /م10رمضان 1421هـ– ديسمبر 2000م.ص:140.

[5] – مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ص:25.

توضيح مفهوم النص[1].ومن هنا فإنّ الإتساق يعني تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة، ولا يحده شيء ولعل تحقيق ذلك الأمر بالغ الصعوبة، كما يقول الدكتور علي أبو المكارم-إذ تحقق الإتّساق على هذا المستوى يتطلب قدرة على النظر الشامل ويستلزم دقة في تلمس العلاقات المتشابكة، ويحتاج إلى بصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة"[2]. لأنّ عزل النص والجمل نحويا عن بقية المستويات تقيّد وظيفته وتحصر تراكيبه، ومنه تصيح البنية النّصيّة تخضع لقواعد الصحّة النّحوية وتنحرف عن الوظائف المراد تحقيقها من خلال هذا المنتج.

أما دي بوجراند ودريسلر فإنهما يريان أنّ الإتّساق(التضام) عبارة عن إجراء يتبعه المحلل اللغوي للنص من خلاله يكتشف مدى ترابط أجزاء النص."وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص،كبناء العبارات و الجمل و استعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة"[3]. وعليه يكون لعلم اللغة النصي (نحو النص) دورا أكثر رحابة واتساعا وشمولا في المزج بين المستويات اللغوية المتداخلة، إذ لا يصح الفصل بينها وبذلك يكون للوصف النّصي خاصية جوهرية تفرقه عن الوصف البلاغي والأسلوبي. وربما تكون أكثر هذه الوسائل اللغوية بروزا هو علاقة الربط بالإحالة أين تحيل كلمة إلى كلمة أخرى في النص، أو إلى موضع آخر في النص يتوصل المتلقي إلى فهمه عن طريق هذه العلاقة التي تتأسس في البنية اللغوية للنص بوسائل متعددة، يكون حضورها قويّ ومتنوّع منذ بداية النص، وهذه الوسائل هي الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، والتكرار والتضام.

وتسهم الإحالة بمختلف أنواعها بواسطة هذه الوسائل في ترصيص التماسك النّصي من جميع الجهات والنواحي، فهي تتحرك تارة نحو اليمين وتارة أخرى نحو الشمال، وتارة نحو الأعلى وتارة أخرى نحو الأسفل، وتارة إلى مكان قريب وتارة إلى مكان بعيد، إنّ هذه العناصر اللغوية لها حرية التحرك في النص كلما اقتضى الأمر ذلك، إنّها تنتقل من مكان إلى مكان آخر بتلك العلاقة من مكان تواجدها في النص، فتربط بين الجمل، والعبارات، وبين الكلمات، بل ولا تقتصر وظيفتها الإتّساقية عند ما ذكرناه، إنّها أيضا تحيلك إلى بداية النص، ووسطه ونهايته، إنها تشارك المتلقي البحث عن العلاقات داخل النص ليربط بين أجزائه، ولنقل إنّها تصنع النص والمتلقي يبحث عن ذلك ليتأكد بأنّه نص، ليس وإلاّ بل إنها تؤكّد بأنّه نص محكم البناء فهو متّسق ومتين من جميع النواحي."وتعني الإحالة أن العناصر المحيلة كيف ما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بدّ

---

1 – المرجع نفسه، ص:25.

2 – الظواهر اللغوية في التراث النحوي (الظواهر التركيبة)،د. علي أبو المكارم، ص:325، وينظر،نحو النص، إتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص:96.

3 – مدخل إلى علم لغة النص،تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند و لفغانغ دريسلر، إلهام أبو غزالة علي خليل حمد، مطبعة دار الكتاب، مركز نابلس للكمبيوتر، ط1، 1413هـ-1992م، ص:11.

من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، و لكل لغة عناصر خاصة بالإحالة كالضمائر مثلا"[1]. ولذلك يؤكد أهل هذا العلم إلى تتبع حركة اللغة والعلاقات التي تبرمها داخل النص بين الكلمات والجمل والفقرات لتأويل المعاني تأويلا سليما يتناسب وتلك العلاقة في تلك البنية التركيبية.

7- قواعد الإتّساق:

تربط أجزاء النص علاقات متعددة تلتقي في بعض مفاهيمها بما اصطلح عليه الإتّساق (التماسك) لأنّ مكوّنات النّص متعددة إذ لا يمكن أن يكون هناك نص بوسائل من صنف واحد أو نوع أو نوعين كالأسماء أو الأفعال أو الأدوات فكل هذه العناصر تساهم بحضورها داخل النص في إنتاجه، والذي ينظم لغته هو العلاقات اللغوية المتنوّعة بين هذه العناصر،"فالنص يحتوي علاقات داخلية وأخرى خارجية مرتبطة بالسياق، وهذه وتلك تحققان التماسك النصي"[2]، و لا يمكن عدّ هذه العلاقات وإحصاؤها على الأصابع فأدوات التماسك النصي كثيرة ومتنوّعة ويمكن أن تقسم إلى قسمين[3]:

– **القسم الأول**: وسائل تماسك داخلية مثل (العطف والفصل والوصل ، وأدوات التعريف والأسماء الموصولة والحال والزمان والمكان والرتبة والإسناد). وهذه كلها نلاحظ أن دورها يقتصر على إحداث التماسك الداخلي في النص .

– **القسم الثاني**: وسائل خارجية مثل المرجعيات والإحالة والإشارة وهذه تسهم في الربط بين ما يوجد داخل النص وما يتصل به من خارجه ..و ينسجم المعنى العام للإتّساق حسب هاليداي و رقية حسن في مفهوم النصّ، فدور الإتّساق في نشأة النص إنّما هو توفير عناصر الإلتحام، وتحقيق الترابط بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، فالترابط النصي هو الذي يخلق بنية النص، هذه البنية التي لا يمكن أن تكون مجرد تتابعات للعلامات ولكنّها تملك تنظيما خاصّا من داخلها و رؤية دلالية من ذاتها.

إنّ دراسة الربط في البنية النصيّة مهمّ لأنّ تأكيده يثبت صفة النصيّة ووحدة البناء، وسيكون الطريق مفتوحا بالنسبة إلى الدارس لكي يحاور نصه، و يؤوّله انطلاقا من معرفته الخلفية و رؤيته للعالم"[4]، وينقسم الربط إلى أقسام تناولها علماء لسانيات النص و أثبتوا العلاقة التي تؤدي إلى ربط النص من خلال مجموعة من القواعد أشار إليها اللسانيين، و هذه القواعد هي:

1–أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم، ص:17.
2– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي: ج1/ 107.
3– المرجع نفسه، ج107/1.
4– لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، نعمان بوقرّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2012م، ص:147.

أ- الربط التعليلي: و يقوم على ارتباط مركبين نحويين تامّين بأداة مفيدة للتعليل والإختصاص كاللام ولأنّ[1] أو ما يقوم مقامهما. فقد لا تظهر الأداة فينوب البناء المضموني دالا على معنى التعليل كدلالة القيد أو الإشتراط، والظاهر أنّ التّعليل مختّص بأحد طرفي الإسناد أو بمضمونه الذي يحتل صدر الكلام، وعليه مدار الخبر[2]. وهنا تلعب علاقة الإتّساق من هذا الباب دورا لا يقل أهميّة عن دلالة أدوات الربط والتعليل التي توكل إليها مهمة الربط المباشر بأدائها لوظيفتها في النص، والفرق بين هاتين العلاقتين يكمن في أنّ الأولى تظهر فيها الأداة واضحة بارزة مؤدية لوظيفتها اللغوية، وأما الأخرى فإنّ الربط الأداتي غير موجود ولا يظهر فيها، وإنّما توكل إليها مهمة الربط مباشرة بين الأطراف من دون كلمة وبالمعنى الصحيح السليم.

ب- الربط الإشاري: ويكون بالإحالة الإشارية، ووظيفته متصّلة رأسا بتحقيق الوصل بين بنى نصيّة متباعدة في المساحة النصّية، مما يجعل من مهام الربط بهذا النوع من الأدوات تحقيق الإنسجام الدلالي بين البنى المضمونية الصغرى للخطاب، وفي هذا الصدّد تبرز القيمة الإحالية لضمير الفصل في كونه توظيف يؤذن بتمام الإسم وكماله، وأنّ ما بعده خبر وليس نعتا، أمّا ضمير الإشارة فتتنزل قيمته الإحالية في تحقيق الترابط بين أجزاء الخطاب المتباعدة عبر تسلسل محكم يحيل إلى مرجع واحد وثابت يمثّل موضوع الخطاب، ويرتبط بالإحالة الضمير(Pronom)، الذي تتحدد مرجعيته بحسب وجه الإحالة فقد يحيل إلى سابق (Anafor)، وقد يحيل إلى لاحق (Catafor)،[3] وهذه الوسائل الإشارية كثيرا ما تتلاعب بذهن المتلقي كعقرب الساعة، لذا يتطلب منه النباهة واليقضة في ترصد المشار والمشار إليه لإقامة علاقة صحيحة بينهما، وإذا تعذر ذلك فإنّه مضطر على الأقل لمعرفة الأجناس والأنواع والألفاظ والنصوص التي تسبق وتلحق لتسهيل عملية التأويل الجزئي في النص، ثم التأويل العام للنّص الذي يؤديه المعنى المتنامي في النص لا غير.

ج- الربط الإستنتاجي: وهو ما يسمى أيضا بالربط الحكمي، وهو يقوم على ارتياط بنيتين نصيتين متتاليتين إحدهما كلية وعامة، واللاحقة لها متضمنة معنى الحكم أو النتيجة الموجزة بناء ودلالة، ومن صور الحكم وأدواته؛ على هذا...، إذن:...، إذا...، وبالجملة...، وبهذا...، وبذلك...[4].

ويضاف إلى هذه القواعد قاعدة التماسك النحوي، الذي يعبّر عن مجموعة من:"الآليات اللغوية الشكلية التي تربط بين أجزاء النص على مستوى السطحي"[5]، ويظهر النص سالما خاليا من الأغلاط اللغوية

1- الجني الدّاني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق: طه محسن، مؤسسة دار الموصل للطباعة والنشر، الموصل، 1976م، ص:109.

2- ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، الأنجلو مصرية، ط1، 1995م، ص: 245. وينظر، لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، نعمان بوقرّة،ص:147.

[3] - ينظر، لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس و الإجراء، نعمان بوقرّة، ص:148.

[4]- ينظر، ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص: 270.

[5] -أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم، ص:11.

والهشاشة البنيوية إذا أحسن توظيف هذه الأدوات النّحوية والقواعد اللغوية، التي تنّم على العلاقات اللغوية المتشعبة والمختلفة في النص، إنّ هذه العلاقات السطحية هي الواجهة المقابلة الأولى للمتلقي ومنها ينفذ الحكم على نصيّة هذا النص من عدمه، وقد سبق وأن أشرنا إليها سابقا.

8- الإتِّساق والبنية السّطحية للنّص:

اهتمت الدّراسات اللغوية المعاصرة بالإتّساق (COHESION)، ويظهر ذلك بصورة أكثر عند علماء النص، لا سيّما في مجال الدّراسات اللغويّة المعاصرة، أو ما يسمى بعلم لغة النصّ، حيث يدور هذا المصطلح حول البنية السطحيّة للنصّ؛ التي تحكمها مجموعة من العلاقات والروابط المشكلة لبنية النص. فقد استعمل هذا المصطلح عند اللغويين "للإشارة إلى خاصيّة الوحدات الأكبر من(المورفيم) لتتماسك معا في بُنى أكبر، مثال ذلك؛ (الأداة + الاسم)، ففي هذا الاستعمال تعمل مجموعة من الكلمات كمكوّن للوحدة الكبرى، كما يمكن أن يوصف بأنّه انسجام داخلي"[1].

وقدّم روبرت دي بوجراند تصوّرا له حدّد فيه مجموعة من الإجراءات "تبدو بها العناصر السطحية SURFACE على صورة وقائع، يؤدي السّابق منها إلى اللاّحق PROGRESSIVE OCCURRANCE بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي SEQUENTIAL CONNECTIVITY وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط، ووسائل التّضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات PHRASES والتراكيب CLAUSES والجمل، وعلى أمور مثل التّكرار والألفاظ الكنائية PRO-FORMS، والأدوات والإحالة المشتركة CO-REFERENCE والحذف والروابط JUNCTIONS"[2]. ومن خلال هذه التعاريف الإصطلاحية نجد أنّ أغلب علماء النص قد أشاروا إلى أمور معجمية، ونحوية وتركيبية، بالإضافة إلى أخرى معنوية دلالية تساهم كلها في عملية التماسك النصي، فالنص المتّسق، ما كَثُرَت عناصره وسُبِكَت سَبْكاً مُحْكَماً، لتعطيه خاصية الكمال البنيوي والتّمام المعنوي.

ونلفت النظر هنا، إلى اجتهاد خاصّ، قام به الأستاذ محمد خطابي، يظهر فيه تأثره بـ(روبرت دي بوجراند) حاول من خلاله تقريب مفهوم الإتّساق إلى القارئ العربي برؤية عربية نصّية تحاكي نظيرتها الغربية، بل وتكاد هذه الرؤية تشمل التعاريف اللّسانية الغربية للمصطلح، بيّن فيها أنّ الإتّساق في أيسر تعاريفه هو" ذلك التّماسك الشّديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين

– David Crystal ;A Dictionary of Linguistics and phonetics; Black well published; 1 (3rd ed); London 1991; S.V Text; p.p. 61.

[2] – ينظر، النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمّام حسان، ص: 103 .

العناصر المكوّنة لجزء من نص أو نص برمته"[1] "وهكذا ينبغي أن يكون ثمة ترابط رصفي SEQUENTIAL CONNECTIVITIES تتوقف به عناصر النّص السّطحي SURFACE TEXT من الناحية النّحوية بعضها على بعض"[2]. فالإتِّساق عبارة عن مظهر للتماسك المهيمن على سطحية النص، وهو واجهة النّص الأمامية التي يلتقي بها القارئ، لأنه من خلال معرفته بالعناصر اللغوية التي تشكل تركيبة النص، وكشف مواضعها ووظيفتها في النص، يستطيع الحكم على النص بالتماسك أو بغير ذلك. وهذه الرؤية تقريبا من نفس الرؤية التي رآها دافيد كريستال"بأنّ الإتّساق متّصل بالبنية السطحية للنّص"[3].

وبالمفهوم التّداولي للاتّساق، فقد أشار القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة في جزئه الثاني إلى ما أقّرته المعاجم الأخرى، عندما أشار إلى وجود علاقة تربط بين كلمتين أو لفظتين وذلك في تعريف له للإتِّساق على أنّه: "علاقة دلاليّة تربط ملفوظين من قبيل: زيد أعزب. إنّه لم يتزوج قطّ."[4] وبهذا فقد أعطى المصطلح مفهوما دلاليا، كما أشار إلى العلاقة التركيبية بين كلمتين أو لفظتين. ويحصل ذلك بحضور العائد وهو الضمير في(إنّه). ويلعب الضمير هنا دور الرابط بين التركيبين.

9- الإتِّساق إجراء تحليلي نصيّ:

يحيل مصطلح الإتِّساق (COHESION) إلى تلك العلاقات أو الأدوات التي تسهم في الرّبط بين أجزاء النّص الداخلية، بالكيفية التي يحدث بها التماسك النصي بترابط عناصره، وهي عناصر تحدده وتمنحه صفة النَّصانية، ليصبح معيارا يهتم بظاهر النص ودراسة الوسائل التي تحقق الاستمرارية اللفظية، لإنّه يكشف عن العلاقات المعنوية القائمة داخل النّص. ويشمل الإتِّساق عدداً من المنسّقات (الأدوات والوسائل اللغوية) التي تحدّد النّص وتحكم عليه بالتّماسك والتّرابط.

ويحدّد كلٌّ من هاليداي ورقية حسن مجموعة الوسائل التي يعرف بها الإتّساق؛ وبها يكتشف التّماسك النصي حيث تلعب دورا بارزا في ربط النص كالإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والإتّساق المعجمي، حتّى وإن اِختلف بعض النصّانيّين في تحديد عناصر ووسائل الإتِّساق، إلاّ أنّهم أجمعوا على أنّ

---

[1] – لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي،ص: 5.

[2]– النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمّام حسان، ص: 99.

[3]– ينظر، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د.صبحي إبراهيم الفقي، ج1/94 وما بعدها.

David Crystal A Dictionary of Linguistics and Phonetics,basil black well. –oxford.p:53–54.

[4] – القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، موشلر جاك– ريبون آن، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف: عزّالدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010م، ج2 /566.

الاتّساق ضرورة لسانيّة ونصيّة لابدّ منها، لإظهار القول أو الكلام مترابطا ومحكم البناء، سواء كان نصاً مكتوباً أم خطاباً منطوقا، وذلك أنهم اِهتّموا ببنيتيْ النص السطحية والعميقة، متوسّعين في الكشف عن العلاقات الترابطية التي تناولوها في الجملة. وإذا كان هذا هو حالهم، فقد استوجب عليهم إيجاد إجراءات وآليات تتناسب وحجم المدروس عندهم، ونقصد هنا النص كبنية تركيبية أكبر حجما وأوسع من الجملة.

10- وسائل الإتّساق:

ويسميها البعض بمظاهر الإتّساق، غير أنّ الأصلح هو تسميتها بالوسائل والأدوات أو الآليات، فهي تسهم كوسيلة في إعطاء النص صورة نهائية وبها يظهر النّص متّسقا متماسكا، وعلى هذا بُنِيَ الخلاف في أنواعها وتعدادها، غير أنّ هذا لا يمنع من وجود إتفاق حول بعضها، وسنعرض أكثر هذه الوسائل ذكرا وتناولا في كتب اللسانيات. فالنصيون من أمثال "هاليداي"و"رقية حسن" يحصونها خمسة وسائل (أدوات) يتحقق بها إتّساق النص، وهي:[1]

1- الإحالة (REFERENCE)
2- الإستبدال (SUBSTITUION)
3- الحذف (ELLIPSIS)
4- الوصل (CONJUNCTION)
5- الإتّساق المعجمي (LEXICAL COHESION).

وقد خالفهما دافيد كريستال في عددها وفي بعض أنواعها وهي عنده:[2]

1- العطف
2- المرجعية بأنواعها القبلية والبعدية.
3- الاستبدال.
4- الحذف
5- التكرار.
6- أدوات معجمية .

[1] -ينظر،.HALLIDAY AND ROQUAIA HASSAN COHERSION IN ENGLISH.P.40

[2] -ينظر،علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق،د. صبحي إبراهيم الفقي، ج118/1. الهامش2.

وقدّ تنوّعت هذه الأدوات وكثرت في الكتب اللغوية والنقدية والبلاغية العربية، وكان كلّ صاحب علم يتناول النصوص بالدراسة والتحليل من زاوية اختصاصه، وهذا ما يدل على صعوبة الدراسة والثراء المعرفي والنقدي الذي تحظى به هذه الدراسات. غير أننا سنركز على أكثرها حضوراً وممارسة عند العرب والغرب.

يتكوّن الإتّساق المعنوي من اعتماد تأويل جزء من أجزاء النص على تأويل عنصر آخر منه، فلا يتسنّى فهم العنصر الأوّل إلاّ بفهم الجزء الثاني ثم الثالث فالرابع ...إلخ حتّى نصل إلى بنية المعنى الكلّي للنّص، فإذا قلت:جاء زيد وجاء علي. أفلتت العلاقة بين الجملتين من قبضة الإتساق لعدم قيام تأويل إحداهما على ما تؤول به الأخرى.

وتستمد طبيعة العلاقة الإتّساقية مظاهرها من جملة العلاقات التي تحكم ترابط الجملة، فمن حيث طبيعتها فإنها هي نفس الظواهر التي تعمل داخل الجملة الواحدة (من حذف وإضمار وتعريف وإشارة واستبدال معجمي). على أن الظاهرة لا تعتبر ذات دور اتّساقي متى جرت في حدود الجملة الواحدة؛ وتعتبر ذات دور اتّساقي متى تجاوزت حدود الجملة الواحدة [1].كما يميز الباحثان بين طرفين من الإتّساق:

1- إتّساق باعتباره علاقة في النظام.
2- إتّساق باعتباره إجراء في النص.

وتظهر وظيفة "الإتّساق بكونه مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل (أجزاء) النّص متماسكا، بعضها ببعض[2].واعتبر المؤلفان أن الجمل تكوّن نصاً متى قامت بينها أو بين بعض عناصرها علاقات، وهذه العلاقات نوعان، إمّا:

1-علاقات قبلية تقوم على ارتباط لاحق بسابق.
2-علاقات بعدية تقوم على ارتباط سابق بلاحق.

وتعتمد النصّية ككل على مجموعة من العناصر اللغوية (كلمات -أسماء- أدوات) التي تحققها هذه الوسائل وهي: الإحالة والمقارنة والاستبدال والحذف وأدوات الربط والإتّساق المعجمي[3].

وهذا يعني أن الإحالة هي ما يحيل عليه (المتكلم أو الكاتب) عندها يستعمل جملة أو مفردة،أو تركيباً ما، وليس الإحالة ما يقوم به هذا التعبير، ومن هنا نستنتج أن المتكلم أو الكاتب هو الذي يتحكم فيها ويحيل

[1] – أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس"نحو النص"محمد الشاوش مج1/ 124.
[2] –ينظر،المرجع نفسه، مج124/1.
[3] – ينظر،المرجع نفسه، مج125/1.

المتلقي إلى المحال إليه وقتما شاء و بأيّ نوع من أنواع الإحالة المتوفرة لديه شاء. غير أنها حتى تصْدق وتؤدي وظيفتها الإحالية بين عناصرها لابّد من وجود مطابقة بين المحال و المحال إليه أو عليه،حتى يحصل الرّابط بينهما، وإلاّ تنافرا العنصران وتقطع الخيط الرابط بينها و يبدو لنا تعريف الإحالة من هذا المنظور دقيقاً باعتبار أن المتكلم أو الكاتب له الحق في الإحالة وفقا لما يريده هو، وعلى القارئ أن يدرك كيفية تلك الإحالة من خلال النص والمقام"[1].

– مخطط توضيحي لأدوات (وسائل /آليات) الإتّساق.

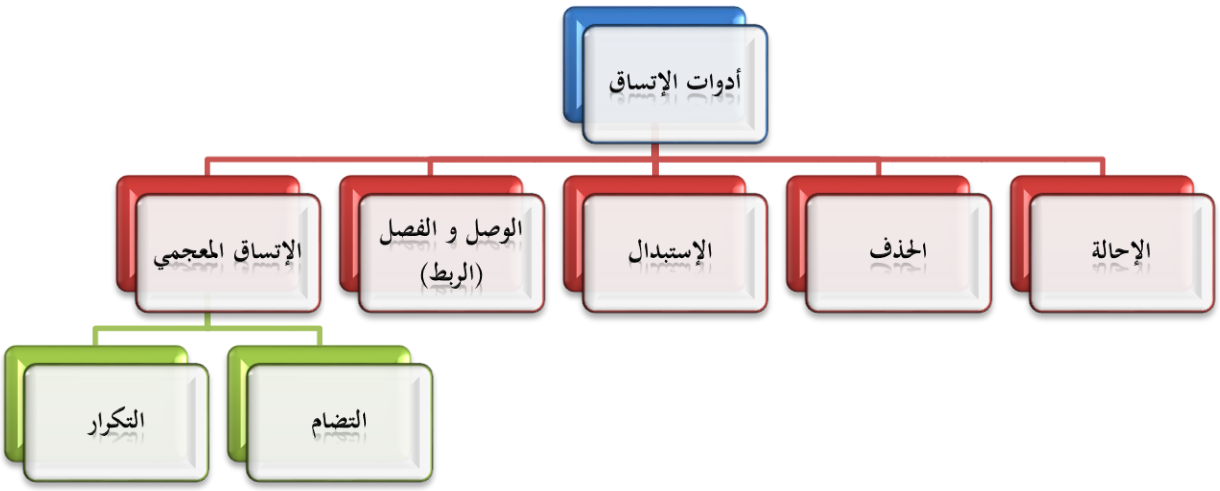

ثانيا: وسائل الإتِّساق:

1– الإحالة:

وتعدّ أهم وسائل الرّبط النّصي والأكثر بروزا من الوسائل الأخرى التي تتفاعل معها مشَكِّلةً تماسكا نصيّا قويّا بين عناصره اللّغوية، بحيث يمكن من خلالها الحكم على النص بنصِّيَتِهِ، كما أنّها خاصّية يتميز بها النص عن غيره من أنواع التراكيب اللّغوية الأخرى، متجاوزة حدود الجملة.لأنّها تربط بين متباعِدَات تركيبية وسط تزاحم لغويّ داخل النّص.

والإحالة (REFERENCE) علاقة مهمّة في خلق التّرابط بين مكوّنات النص، كونها من الوسائل المهمّة للرّبط، وهي " كذلك من أهمّ الوسائل المتعدّدة والمتنوّعة لسبك العبارات لفظيا دون إهدار لترابط

[1] – ينظر،نحو النص،إتجاه جديد في الدرس النحوي،أحمد عفيفي،ص:117.

المعلومات الكامنة تحتها"[1]، كما أنّها تمتاز بخاصيّةٍ تنفرد بها عن باقي العلاقات النصيّة الأخرى، إذ أنّها "قادرة على صنع جسورٍ كبرى للتواصل بين أجزاء النّص المتباعدة والرّبط بينها ربطا نوعيا واضحا وهذا ما يؤكّد أهمّية الإحالة في الرّبط النصّي"[2].

لقد تناول علماء النص الإحالة كوسيلة من وسائل الرّبط اللّفظي، وهي تندرج ضمن ما اصطلح على "تسميته بـ COHESION (الإتِّساق) الذي أشار إليها هاليدي ورقية حسن سنة 1976م.وفي سنة 1981م. ظهر مصطلح يضاهيه في المعنى، وهو الذي قدّمه دي بوجراند، ودريسلر، وسمّياه بالصّيغ الكنائية. ويندرج تحته إضمار الإسم PRO-NOUM، وإضمار الفعل PRO-VERB، وإضمار المكمل.PRO- COMPLEMENT ثم اِستخدَم براون ويول سنة 1983م مصطلحا آخر وهو الإحالة المتبادلة CO-REFERENCE أو الإحالة النصية"[3]. وتعبّر كل هذه التسميات عن وجود علاقة ترابطية وإن خفيت في البداية إلاّ أنّ معالمها سرعان ما تتّضح وتنصب أوتادها بين المحال والمحال إليه لتنسج في النهاية خيطا يربط بينهما كمعلمين لغويين بارزين يصلان بين أجزاء النص، وبهما تزداد العلاقة اللغوية متانة في نسيج النص، ما يؤهّله لتحصيل جزء من خصائصه النصّية بواسطة الإحالة.

ويشير مفهوم الإحالة ونعني مقابلها في اللغات الغربية كالفرنسية (**RÉFÉRENCE**) مثلا مشكلا اصطلاحياً ،إذ تعني تارة العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على الشيء الموجود في العالم. أي ما كان يسميه القدامى"الخارج" وهي تعني تارة أخرى إحالة اللفظة على لفظة متقدمة عليها"[4]. لذلك نجد الكثير من الباحثين ينبّهون المتلقي إلى استحضار ذهنه في النصوص الطويلة وترصد مواطن الإحالة، ويشترط في ذلك أن يكون على علم بمحيط النص وظروفه حتى يسهل عليه تبيّن العلاقة الإحالية ولا يتكّلف باجتهاده في صناعة المحال والمحال إليه بمجرد إخراص ألسنة المتأوّلين.

وعلى العموم، فإنّ هذا المصطلح سواء كان في اللّغة الفرنسية (RÉFÉRENCE) أم في اللّغة الإنجليزية (REFERENCE). له دلالة واحدة ومفهوم جامع بين اللّغتين، وهو ما ترجمته فئة كبيرة من علماء النصّ إلى اللّغة العربية بمصطلح الإحالة، وقد حاول الكثير منهم ربطه بالتّراث العربي من خلال البحث عن قرين له في كتب النّحاة العرب، ونذكر منهم على سبيل المثال الدكتور أحمد عفيفي.

---

[1]– الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ص: 3.

[2] – المرجع نفسه، ص: 3

[3]– ينظر، علم لغة النص، النظرية والتّطبيق، عزّة، شبل محمد، تقديم: سليمان العطّار، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430هـ/2009م،ص: 119.

[4] – ينظر،أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس"نحو النص"محمد الشاوش، مج125/1.

أ- تعريف الإحالة:

- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "المُحَالُ مِنَ الكَلَامِ: مَا عَدَلَ بِهِ عَنْ وَجْهِهِ. وحَوَّلَهُ جَعَلَهُ مَحَالًا، وَأَحَالَ أَتَى بِمُحَالٍ، ورَجُلٌ مِحْوَالٌ: كَثِيرٌ مُحَالُ الكَلَامِ...وَ يُقَالُ أَحَلْتُ الكَلَامَ أُحِيلُهُ إِحَالَةً إِذَا أَفْسَدْتُه، ورَوَى ابْنُ شَمِيل عَن الخليل بن أَحْمَد أَنَّه قَالَ: المِحَالُ الكَلَام لِغَيْر شَيْئ...وَ الحِوَلُ: كُلُّ شَيْئ حَالَ بَيْن إِثْنَيْن...حَالَ الرَّجُلُ يَحُولُ مِثْلَ تَحَوُّل مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ. الجَوْهَرِيُّ: حَالَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ أَيْ تَحَوَّلَ..."[1].

وفي هذا النّص التعريفيّ لمادة (ح ، و ، ل) نجد عدّة معاني لكلمة الإحالة فهي تعني: العُدُولُ، والتَّحْوِيلُ، والإِسْتِحَالَةُ والمِفْسَدَةُ، والحَيْلُولَةُ بين الإثنين، والتَّحَوُّلُ من موضِعٍ إلى آخَرَ..إلخ. وعليه، فإنّ نحو النّص يأخذ منها ما يدّل على العدول والتّحويل، والتّحوّل من موضع إلى آخر، وفي هذين المعنيين الأخيرين ما يقرّبُ معنى الإحالة اللغوي إلى معناها الإصطلاحي.

أمّا في تاجِ العَرُوسِ فقد جاء فيه معنى أحال بمعنى تحوّل، كما "في الحديث: " من أحال دخل الجنة"، قال ابن الأعرابيّ : أي: (أسلم) لأنّه تحوّل عمّا كان يعبد إلى الإسلام"[2] أَحَالَ الشَّيء تَحَوَّلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.أَوْ أحَالَ الرَّجُلُ: تَحَوَّلَ مِنْ شَيء إِلَى شَيء"[3].

كما أن الفعل "أَحَالَ"يستعمل لازما ومتعديا، "وإذا تعدّى فإنّه يعني نقل الشّيء من حالٍ إلى حالٍ أُخرى، وهذا يعني توجيه شيء أو شخص إلى شيء أو شخص آخر، لجامعٍ يجمع بينهما، كما تجوز الدّلالة بها على المعنى الإصطلاحي لذي يحيل فيه العنصر الإحالي على عنصر إشاريّ يفسّره ويحدّد دلالته"[4]، لذا فإنّ المعنى اللّغوي للإحالة لا يكاد يبتعد عن معناها الإصطلاحي.

---

[1]- ينظر، لسان العرب، ابن منظور، المج08، ص: 187-188. مادة (حول).

[2] - تاج العروس من جواهر القاموس، مجد الدين أبو فيض السيد محمد مرتضي الحسيني الواسطي الزبيدي، ، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مراجعة: عبد السلام محمد هارون، وزارة الإعلام، الكويت، 1413هـ/1993م، ج28/365. مادة(حول).

[3]- المصدر نفسه، ج 28 / 366.مادة (حول).

[4]- ينظر، الإحالة النصيّة وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرآنية، د.عبد الحميد بوترعة، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الوطني الأوّل حول: اللسانيات والرواية، يومي22 و23فيفري 2012م، جامعة الوادي، الجزائر، ص: 91.

ويؤكد هذا قول عمر أحمد مختار الذي جاء نصّ كالآتي وهي: "إستعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة"[1].

وكل هذه التعريفات السابقة توحي بأنّ الإحالة هي عملية ربط بين عنصريين هما المحال والمحال إليه. وهذا ما أقرّ به كل علماء النص ولم يختلفوا فيه، وذكرهم لذلك في التعاريف الإصطلاحية دليل على وعيهم بهذه العلاقة.

– إصطلاحا:

من بين ما وجدناه من ترجمة لمصطلح الإحالة (REFERENCE) في قاموس الأسلوبية والبلاغة أن كلمة (REFERENCE) يقابلها في العربية الكلمات التالية: "إشارة....كلمة إشارية، أداة إشارة، ...دلالة إحالة، إرجاع"[2] لأنّها تعتمد على مجموعة من الأدوات والوسائل اللّغوية التي لا تدل على معنى تام في ذاتها. بل تحيلك إلى كلمات أخرى، ومن هنا يظهر الاتّساق النصّي بصورة عملية، بحيث يجبر المتلقي على اكتشاف العلاقات بين أجزاء النص، حتّى وإن تباعدت هذه العلاقات، فللإحالة دور بارز في خلق نسيج لغويّ يعطي للنصّ تماسكا بنيويّا يرتقي به إلى مستوى النصّية.

وقد عرّفها دي بوجراند بأنّها: "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"[3]. وتصنع الإحالة من جهة علاقة داخلية في النص بواسطة الوسائل اللّغوية المتاحة والمستعملة في بنيته العامّة، وذلك عندما تحيل "بعض الوحدات اللّغوية على وحدات أخرى سابقة عنها أو لاحقة لها في النص"[4]، ومن جهة أخرى فإنّها تحيل خارجه من خلال السياق وظروف إنتاج النص، "باعتبار أنّ اللغة تحيل دائما على أشياء وموجودات خارج النص"[5]، أين يظهر تظافر لغويّ بين مجموعة من الإحالات الموجودة في نص ما. وبهذا يكون للإحالة دورين لإنشاء علاقات إتّساقية، تكون الأولى وهي الإحالة اللغوية الفعلية في النص، أمّا الأخرى في إحالة غير نصّية تحيلك إلى خارج النّص، أي إلى المقام. "والإحالات بين الأسماء بكلّ ما في الكلمة من معنى هي ظواهر نصيّة داخلية، ومن ثم هي انعكاسات نصيّة لأفعال الإحالة

---

[1]– معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر أحمد مختار، مج1/ 587.

[2]– ينظر: قاموس الأسلوبية والبلاغة، إنجليزي–عربي/عربي–إنجليزي، حسن سعيد غزالة، دار النشر Elga فاليطا مالطا، ط، 2000م، ص: 89.

[3]– النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، ص: 172.

[4] – مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ص: 89.

[5] – المرجع نفسه، ص: 89.

النصيّة الخارجية، أي لأفعال التعلّق الداخلي بما هو خارجي"[1]. وهي بهذا تعيدنا إلى الرّبط بينها وبين نظرية الدّال والمدلول في علم الدلالة، مادام أنّها تعيد المتلقي إلى حقيقة الأشياء العرفية، أي خارج النص.

وقد أشار معجم تحليل الخطاب إلى عدم الخلط بين مفهوم الإحالة ومفهوم المرجع إذ عدّ الإحالة "خاصيّة العلامة اللّسانية أو عبارة متمثلة في الإحالة على واقع. أمّا المرجع فهو الواقع الذي أشارت إليه الإحالة، وكثيرا ما خلط بين الإحالة والمرجع حتى صارا مترادفين"[2].

ويكمن دور عناصر الإحالة في "عودة بعض عناصر الملفوظ على عناصر أخرى نقدّرها داخل النصّ أوفي المقام"[3]، وتطلق تسمية "العناصر الإحالية" "ANAPHORS" على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النصّ وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر، وهي لذلك تتميّز بالإحالة على المدى البعيد "-CROSS-REFERENCE""[4].

وتعتبر الإحالة من عنصر إلى عنصر آخر من أدوات الرّبط التي تدّل على وحدة النصّ وإتّساقه، لأنّ تباعد أجزاء النصّ الواحد، لا يمنع من وحدته فهناك شبكة من الوسائل والأدوات اللّغوية تعطيه تلاحما كبيرا بين هذه الأجزاء المتباعدة، إذ أنّ صفة النصّ تطلق على النصّ نتيجة إتّحاد جانبي السّبك (التّرابط اللفظي)، والحبك (التّرابط المفهومي)، لكونهما يتبادلان العلاقة بالأخذ والرّد في ما بينهما، فهذان الجانبان النصيّان الدّاخلي والخارجي لا يمكن الفصل بينهما فهما كوجهي "العملة الواحدة أحد وجهيها السّبك والآخر الحبك".[5]

ونستدل بمثال أكثر توضيحا، "ألست حين تقول "شجرة" قد أَحَلْتَ المخاطب إلى شيء ينمو على الأرض له أوراق أو جذع أو أغصان؟ ألست تلفت نظره من عندك إلى هذا الشيء غير الموجود أمامك؟ إنّنا لولا هذه الإحالة التي تغنينا عن كثير من المتاعب لكنّا ملزمين بأن يحضر المتحدّث منآ ما لا يستطيعه حتى

---

[1]– مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنباك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1431هـ/2010م، ص: 136–137.

[2]– معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو–دومينيك منغنو، ترجمة عبد القادر المهيري– حمّادي صمود، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص: 474.

[3]– ثنائية الإتّساق والإنسجام في قصيدة الوقت، سامح الرواشدة، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات، ع3، المجلد30، 2003م، ص: 517.

[4]– نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الزنّاد، الأزهر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص: 118.

[5]– ينظر، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، د. عبد الكريم أشرف عبد البديع، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008م، ص: 142.

نمكّنه من التواصل"[1]. وهذه الوظيفة الإحالية هي في الحقيقة وظيفة إتّساقية تعمل على الربط بين شيئين لغويين موجودين في النص، وبين شيئين آخريين يكون تصوّرهما ذهني خيالي يستحضرهما العقل في ذاكرته بناء على معطيات في عالم الوقع وهو العالم المعرفي الحقيقي لحصول المعارف وتحققها، إنها علاقة أخرى بين عنصرين تنطلق من النّص إلى خارج النص، وكثيرا ما تكون هذه العلاقة هي الهيكل المجسم للغة النص في عالم الواقع.

وفي هذا المثال توضيح لعلاقة المسمّيات التي تحيلك إلى الأشياء، فكلمة شجرة تحيلك إلى خارج النص، وهذه الإحالة مقامية خارجية، أمّا إذا كان توظيفها في نصّ يتحدث عن الشّجرة، وجاء بعدها ضمير يقصدها ويحيلك إليها فإنّ هذا النّوع من الإحالة يسمّى بالإحالة النصّية. أي إحالة داخل النصّ بواسطة هذا الضّمير. إنّها اللغة هي التي تتحرك وتحيلك نحو الأمام والوراء صانعة بذلك علاقات تجعلك تؤسسها كمرجعية لفهم عملية التحاول وتحيينها للفهم واسترجاع الذاكرة كلما دعت الضرورة لذلك، إنّها تحيين للغة أيضا وتحيين لوسائلها التي تعيد فتل الخيط الرابط بين أجزاء النّص كل ما بدت الهشاشة تظهر عليه، وهي تجديد للعلاقة في كل مرّة.

وقد بحث الذين اعتبروا أن النص"مرادفاً للأقوال المجراة"دور الإحالة على المرجع في الخارج. أنه من نتائج بحوثهم "أن يكتسب النص مختلف الأدوار التابعة للإجراء في الظاهرة اللغوية، فدور الإجراء والتحقق أن يتوفر كل جزء من أجزاء القول على إحالة ومرجع، إذ لا سبيل حسب Longacre إلى الكشف عن مختلف ظواهر الإحالة على المشاركين دون اعتماد نص أو خطاب"[2]. ولذلك يرى ستراوس"أنّ الإحالة ليست شيئا يقوم به تعبير ما، ولكّنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرا معيّنا"[3]، وهذا ما أشارت إليه أغلب البحوث التي تناولت الإحالة.إذ رأت أنّ شرطها الضّروري يكمن في مدى صدقها وصحّتها."فأهل علم الدّلالة الشّكلاني يركّزون في الغالب على أهمّية أن تكون العبارة المستعملة للإحالة على شيء صادقة، صحيحة في وصفها لذلك الشّيء".[4] فإن كانت الإحالة صورية لا صدق بين عناصرها أثناء وظيفة التّحاول، فهذا يعني أننا أمام نصّ عير متّسق، رصفت فيه الألفاظ والكلمات رصفا إعتباطيا، وبهذا فنحن مجبرون بالحكم عليه بعدم نصّيته، وبالتالي نخرج من عالم النصّ إلى عالم اللاّنص.

---

[1]– الإنسجام والإتساق النصي المفهوم والأشكال، د.حمودي السعيد، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الوطني الأول حول: اللسانيات والرواية يومي 22 و23 فيفري 2012.جامعة المسيلة، الجزائر، ص: 112

[2] – ينظر:أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس"نحوالنص"محمد الشاوش ،المجلد الأول،ص:116.

[3]– تحليل الخطاب، براون.ج، ويول.جورج، ترجمة: الزليطي، محمد لطفي، التريكي، منير، جامعة الملك سعود، د.ط، 1997م، ص: 36.

[4] – المرجع نفسه، ص: 245.

ب – الإحالة بين العرب والغرب:

يستعمل مصطلح الإحالة في عدّة اختصاصات" كعلم الدلالة والتداولية وفلسفة اللغة والأدب ولسانيات النص"[1]. حيث ظهر الاهتمام بهذا المصطلح في "فلسفة روسل (RUSSEL) وأوستن (AUSTIN) في الكشف عن المحيل عليه وقيمة التعابير، فيما يتعلّق بالسيّاق والتواضع (CONVENTION) في الإحالة. وفي علم الدّلالة فقد ذكر جون لاينز (JOHN LYONS) بأنّها علاقة بين الدّال والمدلول أي بين الأشياء ومسمياتها، كما أكّد بريان فيتش (BRIAN FITCH) على الاهتمام بالإحالة في مجال تحليل النصوص الأدبية"[2]. وقد كانت هذه الآراء المتنوّعة حول التخصّصات التي كانت تعنى بمصطلح الإحالة وأهمّ الاستعمالات التي كان يستعمل فيها، وكما هو مذكور في النصّ السّابق فإنّها لم تكن محصورة على علم اللغة النصيّ فقط، بل كلّ العلوم ساهمت في إعطائها أبعادا دلالية وتداولية تثري المفهوم أكثر، ويعود الفضل في تحديد مفهومها الحالي إليها جميعا دون استثناء.

أمّا سول كريبك (SAUL KRIPK). تحدّث عن " الإحالة المباشرة وصنّفها إلى أسماء العلم التي ليس لها أيّ معنى لأنّ قيمتها الدّلالية تتمثّل في إحالتها"[3]، وعناصر أخرى تأشيرية مثل كلمات (I، YOU، YESTERDAY، NOW، THERE، HERE) حيث تعتمد الإحالة فيها على السيّاق الذي ترد فيه هذه الكلمات من جهة، وتتعلق بزمن الفعل من جهة أخرى.[4] لأنّها تكون فارغة دلاليا ولا تمثّل ولا جزءا من المعنى، وحاجتها إلى غيرها يخضع إلى الظروف التي قيلت فيها لتتشبع دلاليا من خلال العلاقة التي تنشأ بين المحال والمحال إليه، فكثيرا ما يزيل إبهام هذه العناصر اللغوية المبهمة ذكر العناصر المعجمية قبلها أو بعدها، ونؤكد هنا على الدور الذي تلعبه العناصر المعجمية كالتكرار مثلا في صناعة وتحديد علاقة الإتّساق عندما يتعلق الأمر بعنصر لغوي مبهم لم تعرف مرجعيته الإحالية إلا بعد تحديد علاقته.

إنّ تفحصّ الطّرح الغربي للإحالة من خلال ما سبق، يجعل الباحث العربي يهتدي أكثر إلى قناعة قد لا تفارق فكره اللّغوي أثناء التحليل النصيّ، لأنّه سوف يجد نفسه يتعرّض للطّرح العربي الذي تناول مواضيع وأنواع الإحالة وعناصرها اللغوية، سيما الضمائر، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، ...إلخ، وكلّ ما يساهم من أدوات وروابط في جعل النصّ متماسكا، وبقدر أكثر هذه الوسائل الإحالية.

---

[1]– ينظر: الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأوّل والثاني من كتاب"**Cohesion In English**" لـ: ماك هاليداي ورقية حسن بلحوت، شريفة، جامعة الجزائر، 2005م/2006م، ص: 03.

[2]– **Reflexions In The Mind's Eye: Reference And Its Problematization In Twentieth Century French Fiction'' Brian Fitch. University of Toronto Press. Toronto. P: 04.**

[3]– ينظر، دور الكلمة في اللّغة، أولمان، ستيفن، ترجمة: بشر، كمال، دار غريب، القاهرة، ط12، 1997م، ص: 82.

[4]– ينظر، الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأوّل والثاني من كتاب " **Cohesion In English**"، ص: 05.

وفي اللسانيات، اِهتمّ أصحاب نحو النّص بتوضيح صوّر التّماسك والتّرابط النّصي حسب الطريقة التي تناولوا بها النصوص، ويعتبر جون فان دايك (JEUN VAN DJIK)، أوّل من خطّ لتصوّر واضح لنظرية نحو النصّ، في كتابه "SOME ASPECTS OF TESET GRAMMIOR" وفي " TEXT AND CONTEXT"[1]، وما قدّمه الباحثان هاليداي ورقية حسن في كتابهما باللّغة الإنجليزية محاولة صريحة لتقعيد نحو النّصّ "COHESION IN ENGLISH"، وضبط كلّ ما يتعلّق بتحليل النّصّ، والكشف عن جوانب تماسكه واتّساقه من جهة، وإبانة مواضع الهشاشة النصيّة، وضعف الأداء اللغوي لعناصر الإتّساق فإذا غابت هذه الوسائل غاب معها الإتّساق ووجد المتلقي نفسه بين صعوبتين لا تزول الثانية إلاّ بتجاوز الأولى وهما: شرود الذهن في ظل نص غير منظم لغويا ، وعناء البحث عن العناصر اللغوية التي تقوم بدور الربط الإحالي في النص.

ويذكر الغربيون الإحالة البعدية إزاء القبلية باعتبارهما صنوين، وإن غلّبت الثانية على الأولى كمّاً ... وإذا علمنا أنّ مقابل هذين النّوعين من الإحالة في النحو العربي هو نوع المبهم باعتبار موقع المفسّر و رافع الإبهام عنه منه، وعلمنا أنّ النحاة العرب اشترطوا تقدم المفسرّ على المبهم لفظاً ورتبة أو محلاً وتقديراً وكادوا يمنعون الخروج عن هذا الأصل، وهو أصلٌ إن أنت ترجمته إلى نظرية الإحالة"[2]. وهذا دليلنا على اهتداء العرب للفهم السليم للإحالة من خلال المصنفات القديمة، لأنّهم وعوا ضرورة معرفة وتقدم المتحدّث عنه قبل اِلْصاق الأخبار والأحكام به. وأمثلتهم في ذلك الأسماء الموصولة التي لا تظهر وظيفتها كاملة إلاّ بذكر صلة الموصول، فهذه العلاقة الجبرية محتومة في هذا النوع من التراكيب لفهم النصوص.

لقد احتك البحث اللّغوي العربي من هذا الجانب ببحوث اللّسانيين الغربيين، وانساق العرب كعادتهم منبهرين بما جاءت به اللسانيات الغربية، غير أننا لو عدنا إلى أمّهات الكتب في اللّغة العربية لوجدنا ما يغنينا عن ذلك، ويكفينا البحث فيه، ففي المراجع العربيّة الحديثة، نلمس تأثّرا واضحا باللّسانين الغربيين، ويظهر ذلك في تعريف أحمد عفيفي للإحالة الذّي استمدّه من تعريف جون لاينز، إذ قسم الإحالة الدّاخلية باعتبار المدى الذي يفصل بيّن العنصر المحيل والعنصر المحال إليه حيث قسّمها إلى إحالة ذات المدى البعيد وإحالة ذات المدى القريب"[3]. واِمتدّ هذا التأثّر ليشمل كلّ العناصر اللّغوية التي تندرج تحت الإحالة.

---

[1]– ينظر، النصّ: من القراءة إلى التنظير. مفتاح، محمّد، تقديم: د.أبو بكر الغزّاوي، المدارس، الدّار البيضاء، المغرب، ط 2000م، ص: 108.

[2]– ينظر، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس"نحو النص"محمد الشاوش ،مج1/ 125–126 .

[3]– ينظر،نحو النص، اتجاه جديد في النص النحوي، أحمد عفيفي، ص: 116–121.

ولم يبتعد محمد خطّابي في كتابه "لسانيات النصّ-مدخل إلى إنسجام الخطاب" عمّا ذكره ماك هاليداي ورقية حسن عندما ذكر كلّ أنواع الإحالة التي أشار إليها الباحثان"[1]، وقد حاول الباحث الأزهر الزنّاد في كتابه "نسيج النصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا"، بنوع من التّفصيل أن يعّرف الإحالة، ويذكر أنواعها، وعناصرها وأن يعطي لها بعدا تراثيا"[2]، وذكر إبراهيم الفقي.الإحالة بشتّى أنواعها، وأشار إلى المرجعية وأنواعها، من تعريفه لعلم لغة النّصّ أو علم نحو النّص حين قال عنه: "ذلك الفرع من فروع علم اللّغة، الذي يدرس النّصّ بإعتباره الوحدة اللّغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمّها: الترابط، أو التماسك، ووسائله وأنواعه، والإحالة والمرجعية، وأنواعها، والسيّاق النصّي، ودور المشاركين في النصّ (المرسل والمستقبل)"[3].

من خلال هذه المقارنة البسيطة، فإننا نجد أنّ النّصّانيين من العرب المحدثين لم يبتعدوا بمفهوم الإحالة عن الذي جاء به نظراؤهم من الغرب، حتّى وإن كانت هناك إشارات لسانية نصيّة في كتب أهل التّراث. إلاّ أنّ الإحالة بمفهومها المعاصر وتطبيقاتها الصّرفة الخالصة في ميدان تحليل النصوص، قد استوفت مفهومها النّهائي من علماء النّص الغربيين. وهذا لا يتناقض مع المفاهيم التي وردت عند العرب. وكتب التفسير آهلة بذكر هذا المصطلح ولمن أراد البحث عن هذا المصطلح فعليه بها.

ج- شرط الإحالة:

يشترط وجوبا في كلّ مضمر موجود في أيّ بنية لغوّية أن يكون له مفسّر مناسب يقيّده، حتّى تحدّد مرجعيّته ويفهم المقصود، أو يكون له عنصر مفترض يكون قابلا للتّطابق معه بطريقة ما، لذلك فإنّ الإحالة "تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدّلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، فالعلاقة بين المحيل والمحال إليه علاقة تطابقية، وكقاعدة عامّة يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقاميّة أو نصيّة، وإذا كانت نصيّة فإنّها يمكن أن تحيل إلى السّابق أو على اللاّحق، وحتّى يمكن الحكم بنصيّة النصّ وترابطه، لابدّ من معرفة موضع الإحالة ليتمّ ربط خيوط النصّ مع بعضها، وإلاّ بقيت حلقات مفقودة تفقد النصّ نصيتّه، أو تبقي الباب مفتوحا للتّأويلات والإجتهادات، فوجود عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له، وكذا وجوب التّعرف على الشيء المحال إليه في مكان ما".[4]ويلعب المتلقي هنا دورا ثانيا يتمثل في البحث عن تلك العلاقات

---

[1]- ينظر، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمّد خطابي، ص: 17.18.19.

[2]- ينظر، نسيج النص"بحث فيما يكون به الملفوظ نصا"، الزنّاد، الأزهر، ص: 94-110.

[3]- علم اللغة النّصي، بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السّور المكية)، صبحي إبراهيم الفقي، ص: 36.

[4]- ينظر، لسانيات النصّ، مدخل إلى اِنسجام الخطاب، محمد خطابي ، ص: 17-21.

الموجودة بين العناصر الإحالية، وعليه أن يجتهد في بعض الأحيان الأخرى لتفسيرها، ويفاضل بين التّأويلات التي قد يوّلدها البناء النصيّ، ويساهم هذا الدّور أيضا في خلق انسجامية النص.

ومن المزايا المهمة للإحالة والّتي ينبغي الإشارة إليها أنّها قادرة على صنع جسور كبرى للتواصل بين أجزاء النص المتباعدة والربط بينها ربطاً واضحاً، وهذا ما يؤكد أهميّة الإحالة في الربط النصيّ ،ويشير روبرت دي بوجراند إلى أنه ليس من المستحسن أن نجعل مسافةً كبيرة بين اللّفظ الكنائييّ وما يشترك معه في الإحالة[1].

ومن هذا الجانب، ذهب الباحثان هاليداي ورقية حسن إلى تفسير أكثر وضوحا لإزالة الغموض بين الإحالة المقاميّة والإحالة النصّية، وبيّنا الإختلاف البسيط بينهما، وهو أنّ "الإحالة المقاميّة تساهم في خلق النصّ، لكونها تربط اللّغة بسياق المقام إلاّ أنّها لا تساهم(...)في إتّساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصيّة بدور فعّال في إتّساق النّصّ"[2]. لذلك يستحسن التّفريق بينهما عند تحليل النّصوص و يمكننا أن نحدد فرقاً جوهرياً آخر بين الإحالة المقامية والإحالة المقالية، "فالإحالة المقامية لا دور لها في بناء اِتّساق النص، بخلاف الإحالة المقالية فإنّها هي التي تحقّق ترابطه و اِتّساقه"[3].

ويظهر إتّساق النّص من خلال العنصر الإحالي النصيّ الذي يجعل العلاقة بين المحال والمحال إليه قائمة مادام هناك استمرارية متواصلة في بناء النصّ، وبهذا يتجلّى التّماسك النصّي من الدّاخل بواسطة العناصر الإحالية الموجودة في النصّ، ويتّصل "النصّ الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين محال ومحال إليه، وكلاهما يمتلك نفوذا داخل النصّ، وتحديدهما موكول إلى ثقافة المتلقي، وسياق النّصّ"[4]، أي إلى المقام الذي قيل فيه النّصّ، ويسهم هذا النوّع من الإحالة المقامية في تأويل النّصّ وإزالة اللّبس حسب سياق النصّ وظروفه.

وحتّى تكون في النصّ إحالة يشترط في وجودها بنية لغوية نصيّة تحيل عناصرها اللغوية إلى بعضها البعض، بحيث تسهم هذه العلاقات في تشابك المعاني وتقاطعها بين البنيات التركيبية المتواجدة في تشكيلة النص اللغوية، ويذهب الأزهر الزناد في كتابه (نسيج النص) إلى اشتراط النصّ حتّى تتحقق الإحالة "فشرط وجودها هو النص"، [5] وممّا سبق، يمكننا أن نجمل أهمّ شروط الإحالة في ما يلي:

---

1 – ينظر، النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص:327.

[2]– ينظر، المرجع السابق، ص: 17–18.

[3] – ينظر:أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس"نحو النص"محمد الشاوش مج125/1.

[4]– تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الإتساق والإنسجام، الخوالدة، فتحي رزق الله، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص: 45.

[5] – نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الزنّاد، الأزهر، ص: 118.

1- وجود النصّ، مهما كان نوعه يؤدي رسالة معيّنة، فلا تحدث الإحالة في الكلمة الواحدة ولا في التركيب الذي يغيب عنه المعنى.

2- الحضور الوجوبي لعناصر الإحالة، (المحال، والمحال إليه)، داخل النصّ، ويتمثل ذلك في الإحالة النصيّة. وخارج النصّ ويتمثّل في الإحالة المقامية أي حسب السّياق "لأنّ الكلمات مرادفة للواقع ورديف له"[1].

3- التّطابق النّحوي والدّلالي بين عنصري الإحالة (المحال والمحال إليه). فوجود علاقة ترابطية فعلية بين عنصري الإحالة، تكون مباشرة واضحة، أو تفهم بواسطة القرائن من خلال السّياق يعد شرطا من شروط معرفة الإنسجام بينهما.

إنَّ الإحالة تعمل على اتّساق النصّ بنوعيها الداخليّ عن طريق ما تؤديه أدوات الإحالة من دور في ربط أجزاء النصّ، مع وجود ما تحيل إليه هذه الأدوات إلى الكلام الظاهر في النصّ، والخارجيّ المتمثل بما يحيط النصّ من سياق، إذ من دون وجود ذلك الظاهر من الكلام لا يتمكن (المستمع/القارئ) من فكّ شفرة النصّ – أي ما تحيل إليه الضمائر وأسماء الإشارة- إلا عن طريق معرفته التامَّة بالسياق المحيط بالنصّ، ولذلك فإنّ معرفة شروط العلاقة الإحالية ضروري للمحلل لاكتشاف الإتّساق داخل وخارج النّص.

كما يمكن القول بأنّ الإحالة هي علاقة من عنصر لغوي وآخر غير لغوي أو خارجي بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني، ولذا فإنّ فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها نص ما؛ يقتضي أن يبحث المخاطب في مكان آخر داخل النص أو خارجه على الكلمة التي يعود عليها العنصر اللغوي المحال، و على سبيل المثال، فإنّ قوله تعالى:﴿**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا**﴾ (سورة الأنبياء:64).لا يمكن أن يفهم إلاّ بتحديد مراجع الكلمات الإحالية فيها،و هي:الضمائر في "قال"و "فعله"و "هم" و"اِسم الإشارة"، وليس ثمة علامة صرفية أو نحوية أو معجمية في العنصر المحيل نفسه يمكن أن يساعد المخاطب في تحديد المرجع المقصود ولا يمكن للمخاطب-اتّكالا على السياق أو المقام بمفهومه الواسع بأن يحدد الأشياء أو الأشخاص، أو العناصر اللغوية التي تحيل عليها العناصر المحيلة"[2]. وعليه أن يستحضر كل ما أوتي من معارف لتحديد الإحالات الواردة في أيّ نص.

---

[1]- المفسّر ومستويات الإستعمال اللغوي، د.علي، كاضم أسد، دار الضيّاء للطباعة والتصميم، النجف الأشرف، العراق، ط1، 1428هـ/2007م. ص: 33.

[2] – قضايا في اللغة و اللسانيات و تحليل الخطاب،د.محمد محمد يونس علي،ص:58-59.

د – الروابط الإحالية في علاقة الإحالة:

تساهم الروابط الإحالية وهي العناصر اللغوية –في فهم اللسانيين– بطرق شتّى في بنية النص، فالوظائف النحوية التي تؤديها من خلال تواجدها في التراكيب والجمل تلهمها قيمة نصّية جزئية ولو بنصيب ضئيل، وتعطي هذه الروابط المتنوّعة والمختلفة العلاقة الإحالية صلاحية تحديد المحال إليه، إذا لا يمكنها أن توّجه علاقتها أينما وكيفما شاءت، فالأعراف النحوية واللغوية كفيلة بتقييد دورها في النص، وتحديده ثم توجيهه وجهته المقصودة، حيث تتّحد هذه الروابط في بناء علاقات متنوّعة البنية ومن أماكن مختلفة في النّص.

وتعد الروابط الإحالية قسما مهما لتشكيل هذا الإتحاد، وقد درسه النحاة من خلال الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وعناصر معجمية أخرى في مواضع متفرقة،كما كان للمفسرين إضافات ملحوظة إلى المقولات النظرية في مواضع عدّة من تفسيراتهم لنص القرآن، و قد تركز البحث على مستوى واحد، وهو مستوى النص القرآني؛ إذ أتاح شيوع هذه الروابط، وتعدد دلالتها وبروز دورها في تحقيق الترابط بين أجزاء النص القرآني، إمكان دراستها في سياقات متباينة وفي أبنية مختلفة في إطار القرآن الكريم وحده"[1].

وتساهم الضمائر بالجزء الأكبر من إحداث علاقات في النص، فحضورها المكثف يعطي للنص اتّساقا يميّزه عن أيّ بنية تخلو منها، ثم تليها الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، بالإضافة إلى ما تقوم به أنواع العلاقات الأخرى كالحذف والإستبدال و العلاقات المعجمية والربط بأدوات الربط المتنوّعة منها الفصل والوصل. ونضرب مثالا لذلك في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)** ﴾ (سورة الرحمن:1–4). فعند استظهارنا للإحالة مثلا: تكون الآيات كالتالي:{ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ(الرحمن) الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ (الرحمن)الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ (الرحمن) الْبَيَانَ (4)، فالإحالة هنا أدت معنى جوهرياً في ترابط النص القرآني واتّساقه، إذ أنّها أحالت الآيات، الثانية والثالثة والرابعة إلى الأولى، وذلك من خلال الإحالة الضميرية للفظ الجلالة (الرحمن) تحقيقا للفائدة المرجوة، وتفادياً للحشو الذي لا فائدة منه"[2].

إنّ العناصر المحيلة "لا تكتفي بذاتها فهي محتاجة إلى استكمالها، فقد تنشئ من علاقاتها مع البنى النصية وما تثيره في ذهن المتلقي نظاماً إشارياً متعدد المدلولات يستخدم لإحداث الإتّصال، فهي حركة تثري النص وتعكس تفاعل العقل مع اللغة، وقد كان لقدرة (الضمير و أسماء الإشارة) التي هي من أدوات التماسك على التحرر داخل النص من القيود النّحوية، ومن ثم خضوعها لقيود دلالية مرتكزة في كل ذلك على أدوات التأويل؛ كامتداد أثرها في السياق لتمنحه من خلال حركتها مقوّمات تماسكه، وهي لا تستغني عن معرفة المتلقي كأداة

[1] – دراسات لغوية تطبيقية بين البنية و الدلالة،د.سعيد حسن بحيري، ص:96.

[2] –أبحاث في علم اللغة النصي و تحليل الخطاب،جاسم علي جاسم، ص:08.

للوصول إلى ما تحيل عليه، وعدم اكتفائها بذاتها يمّكنها من الخروج إلى فضاء أوسع من حدود النص لتوصله بالمقام"[1].

هـ-كيفية تفسير الإحالة:

تلعب وسائل الإتِّساق الإحالية بما فيها من عناصر لغوية (الضمائر- أسماء الإشارة-أدوات المقارنة...) دورا مهما في ربط النّص نّحويا ودّلاليا، نظرا لحضورها المكثف في النص، وكثرتها في البناء النّصي، فلا تكاد تخلو منها جملة أو نص، وتشكّل عناصرها اللغوية جسورا للرّبط بين أجزاء النّص، وتقدم على التّحكم في الرّسالة المبثوثة مجبرة المتلقي على التّنقل في فضاء النّص لفكّ شفرات هذه الرّسالة. إنّ فهم الإحالة يعتمد في المقام الأوّل على البنية التركيبية الموجودة داخل النّص، ثم إلى خارجه، ولأنّه "ليس في جميع السّياقات يمكن استخدام (الصيغ الكنائية)، حتى لا يحدث لبس في المعنى، فقد يعود الضّمير إلى مرجعين، فيصبح الضّمير مرجعا مشتركا.وعندئذ لا يسهم المعجم في حلّ هذا الإشكال، وإنّما يحلّ بواسطة معرفة العالم "-WORD KNOWLEDGE""و هذا ما أقرّ به الباحثان دي بوجراند ودريسلر، لأنّ الإحالة"رابط دلالي إضافي لا يطابقه أيّ رابط بنيوي"[2].

ولأّن الأدوات النّحويّة وبعض الوسائل اللّغوية قد تكون غير كافية في تحديد العلاقة بين العناصر الإحالية. فالمعرفة النّحوية داخل التّركيب مهما بلغت من قوّة الفحص النصّي تبقى غير كافية لتحديد الإلتباس المتعلّق بمرجعيّة الضّمير مثلا. والدّليل على ذلك"طول الفترة التي قد تستغرقها القراءة، ممّا يدلّ على أهمّية معرفة القارئ العامّة وهي عامل براجماتي هام عندما تكون المفاتيح النّحوية ناقصة"[3].

وهناك أمثلة كثير عن دور الدلالة في تفسير الإحالة خاصة في الإحالات التي تكون معانيها متقاربة، حيث يشكل كل جزء من التفسير جزءا من المعنى العام للنص، وأكثر الإشكالات التي وقع فيها المتأوّلون في النص القرآني هو مرجعية الضمائر، وهي عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عنصر آخر يفسّرها، لذا اتّسمت العناصر المحلية مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة بالإبهام ... ، وهذا ما يفرض على المفسّر أن يرجح الدلالات في تحقيق المعاني.

---

[1]- التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية، أطروحة دكتوراه، نوار محمد إسماعيل الحيالي، إشراف،د/عماد عبد الحي الحيالي،جامعة الموصل،العراق،محرم1425هـ/شباط فبراير2004م، ص:153.

[2]- Introduction to text linguistique Robert de Beaugrand et dressler.p65

[3]-Discourse Studies: An Introductory Text book Jan Renkema: John Publishing Company: Amesterdam/Philadelphia,1993.p: 75.

لقد ذهب كل من هاليداي و رقية حسن إلى اعتبار الإحالة أنها علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية، بل تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه. لأنّها تشير إلى عملية استرجاع المعنى الإحالي في الخطاب مرة أخرى، فيقع التماسك عبر استمرارية المعنى[1]، وبهذا يكون قد أشار إلى وظيفة مهمة من وظائف الإحالة وهي الاستمرارية التي تتحقق من خلال السّماح لمستخدمي اللغة بحفظ المحتوى مستمدا في المخزون الفعال من دون الحاجة إلى التصريح به مرة أخرى.

ومن أمثلة ذلك في سورة البقرة، قوله تعالى:﴿...**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ**﴾ (البقرة:27)" النقض هو الفسخ وفك التركيب، والعهد الموثق، والضمير في (**مِيثاقِهِ**) يعود إلى العهد أو لله تعالى، والميثاق من الوثاقة وهي: إحكام الشيء ، فإذا كان الضمير للعهد صار المعنى ينقضون عهد الله من بعد ما وثقوه به من قبوله وإلزامه أنفسهم ، وإذا كان الضمير (لله) صار المعنى : ينقضون عهد الله من بعد توثقته عليهم، وعهد الله هو: إما ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصّاهم به ، ووثّقه عليهم، وإمّا الميثاق بأنّه إذا بعث رسولا يصدّقه بالمعجزات أن يؤمنوا ويتابعوا، وإمّا أخذ الله العهد على ألا يسفك دم ظلما وألا يكون بغي وفساد وتقطيع أرحام.[2]

وقد وضّح نحو النّص طريقة تحليل النّصوص، فيتعامل مع النّص"بوصفه جملا وسياقات، وظروفا وفضاءات تتعالق فيها المعاني وتترابط بما قبلها وما بعدها، فهو الأكثر اتّصالا بمجال تحليل النّص"[3] كالكشف عن علاقة التّطابق بين الصّفة والموصوف والحال وصاحبه والإسناد...إلخ. ويكون ذلك على المستوى البنيوي والتركيبي، والكاشف عنها هو النّحو، أمّا المستوى الدّلالي فإنّه ينمو في فضاء النّص، ويتزايد المعنى بطريقة تصاعديّة، والوسيلة الوحيدة التي تكشف عن هذا التّطور الإتِّساقي المتنامي في تشكيلة النّص هو نحو النّص. "فهو يهدف إلى دراسة الوظيفة الدّلالية لبعض العناصر النّحوية وربطها بشبكة الدّلالة في النّص"[4] واستظهار الإحالات والعناصر التي تحيل إليها، والكشف عن المرجع الذي تشير إليه. ومن هنا يمكننا القول بأنّ تفسير الإحالة في النص يخضع لضابطين:

– **أوّلاً**: ربط دلالي يوافق الربط البنيوي (التركيبي).

---

[1] –الإحالة و أثرها في تماسك النص القرآني، أنس بن محمود فجال، رسالة دكتوراه، 1429هـ – 2004م، ص:188.

[2] – الأساس فب التفسير، سعيد حوى، ج99/1.

[3] – تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، بن يحي طاهر ناعوس، دار القدس العربي، تعاونية الهداية، بلقايد، وهران، الجزائر، 2014م. ص: 280.

[4] – نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، مصطفى النحاس، ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1422هـ/2011م، ص: 4.

-ثانيا: ربط دلالي إضافي يمثل الإحالة وهو الربط الإحالي (CONNEXIAN ANAPHORIQUE)، وهو الذي يمدّ جسور الإتّصال بين الأجزاء المتباعدة في النّص"[1] وفيه يكون للمتلقي أكبر نسبة في تحديد الإحالة والمرجع. استنادا على معطيات سياقية مقامية ويمكننا إذن وصف شكل دلالي ما بعلاقته بقائمة من الأشكال، ...بأنّه جزء من تسلسل لعدّة أشكال (وصف تركيبي)، ... وبعلاقته بأشكال غير لغوية (وصف مرجعي)"[2] والكشف عن هذه العلاقة هو الكشف عن تفسير الإحالة. وإزالة الغموض عند التّأويل، لذلك فإنّ شرط نجاح عمل الإحالة يصحّ "إذا وفقط إذا تطابقت إحالة المتكلم والإحالة الدّلالية"[3] فعندما تؤدي "الكلمة وظيفتها التمثيلية لشيء أو أشياء وهي ما يعرف بالمرجع"[4] لأنّ العلاقة بين الدّال بالمدلول لا تحتاج من المتلقي إعمال الذّهن وتنشيط الذاّكرة، لأنّ الإتّصال بين الدّال والمدلول هو اتّصال "ليحيل على مرجع ما، وإذا كانت العلاقة بين الدّال والمدلول علاقة مباشرة فإنّ العلاقة بين المدلول والمرجع علاقة غير مباشرة"[5].وهذا الربط الدلالي هو" الذي يمد جسور الاتّصال بين الأجزاء المتباعدة في النص ،إذ تقوم شبكةَ من العلاقات الإحالية المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كلٍّ واحد عناصره المتناغمة"[6].

وإعادة الضمير إلى مرجعه من أهم المهام التي يقوم بها مفسّر النص؛ لأنها تزيل عنه اللبس، وتوضح دلالاته، ولا شك أن اللبس يحولُ دون تماسك النص، كما أن إزالة اللبس عن النص تقوّي تماسكَه، وتبين الترابط بين أجزائه. ولما كان ضميرا المتكلم والمخاطب يرجعان إلى المشاركين في عملية التخاطب، فإن مهمة تحديد ما يشيران إليه عملية سهلة عادة؛ لعدم إمكان اللبس فيها، ولكن الصعوبة قد تكتنف عملية إحالة ضمير الغائب إلى صاحبه؛ لأنه عارٍ عن المشاهدة، فاحتيج إلى عود الضمير ما يفسّره. وإنما يقتضي ضمير الغائب تقدم المفسّر عليه لأنه وُضِع معرفة لا بنفسه، بل بسبب ما يعود عليه، فإن ذكرته ولم يتقدمه مفسره بقي مبهما منكّراً لا يُعرف المراد به حتى يأتي مفسره بعده، وتنكيره خلاف وضعه[7].

---

[1]– ينظر، نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 122.

[2]– فنون النص وعلومه، فرانسوا واستيتي، ترجمة: إدريس خطاب، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2010م. ص: 66.

[3]– القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر–آن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، إشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م، سلسلة اللسان، ج1، ص: 365.

[4] – ينظر: دور الكلمة في اللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، ص: 214.

[5] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 114.

[6]– دراسات لغوية تطبيقية، سعيد حسن بحيري، ص : 82.

[7] – الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النَّص القُرآنيّ،دراسة وصفيّة تحليلية، نائل محمّد إسماعيل، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ،2011المجلد ،13العدد 1(B)ص 1061–1100،ص: 1069.

و– قيد الضبط الإحالي ودوره في الإتّساق النصّي من خلال أمن اللبس المعنوي:

مهمة تحديد المعنى وإبعاد التأويلات الهامشية التي تزيح المعنى الجزئي في النص عن رواقه من وظائف الإحالة ومهامها، فقيود الإحالة داخل نص كثيرا ما تكون دائما متّجهة نحو العنصر المحال إليه، ولإزالة الغموض والإبهام عن السياق يوّظف المتلقي فكره ويعمله في البحث عن موضع المحال إليه الذي يعود عليه الضمير. ومن أكثر مظاهر عملية التحاوُل (الربط الإحالي) في النصوص القرآنية عدم اتّضاح المحال إليه في الكثير من المواضع في النّص القرآني، فتتجاذب العنصر المحال هذه العناصر التنازعة فيه، ما يعسّر عملية الفهم عند التلقي، ويأتي اللبس من تعدد المحال إليه (العنصر الإشاري)، فتتعدد بالتالي الاحتمالات والتأويلات، فيلجأ عندئذ إلى ترجيح أحدها اعتماداً على مهارة المفسّر أو المتلقّي أو بالإحتكام إلى قرائن معيّنة، ففي قوله تعالى : ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)** ﴾ (البقرة 213 .) فالفعل (ليحكم) لا بدّ له من إسناده إلى شيء تقدم ذكره، وقد تقدّم ذكر ثلاثة عناصر إشارية، وأقربها إلى هذا اللفظ (الكتب)، ثمّ (النبيّين)، ثم (الله)، فإن كان كلٌّ واحد منها صحيحاً، فيكون المعنى: ليحكم الله، أو النبي المنزل، أو الكتاب، ثم إن كلَّ واحد من هذه الاحتمالات يختص بوجه ترجيح. وإسناد الحكم إلى الكتاب مجاز، وإذا جاز أن يكون هدى وشفاء جاز أن يكون حاكماً، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ... ﴾ (الإسراء:9) فيفيد بذلك تفخيم القرآن وتعظيم شأنه. [1]. وهذا ما يوّضح الصعوبة التي تزيلها الإحالة وتساعد المتلقي على استقبال النص بأريحية فكرية، وكلّما قلّ المحال إليه (العناصر اللغوية المعجمية الإشارية في غالب الأحيان)ن سهلت عملية التفسير ومعرفة مرجع الإحالة، والعنصر الإشاري الذي تعود إليه.

ونلاحظ أن تعدد الإحالة يمكن تفسيره بقرينتين: إحداهما نحوية، وهي عود الضمير على العنصر الإشاري الأقرب، والثانية بلاغية تعتمد على لعبة الحقيقة والمجاز،[2] فإذا عاد الضمير المستتر على الله كانت الإحالة حقيقية؛ لأن الله بعث النبيين وأنزل الكتب. وإذا كانت الإحالة إلى الكتاب كان الإسناد مجازياً بحكم الاستعمال المتعارف عليه.وهذا ما يوّضح العمل التقييدي للإحالة في تحديد المعاني في النّص، وخاصّة وأنّ التأويل في النص القرآني له ضوابطه، منها معرفة مرجع الضمير المختلف في تفسيره.

---

[1] – ينظر، التفسير الكبير، الفخر الرازي ، دار الفكر، بيروت، ط. 1981، 15/6.

[2] – الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النَّص القُرآنيّ،دراسة وصفيّة تحليلية، نائل محمّد إسماعيل، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ،2011المجلد ،13العدد 1(B)ص 1061–1100،ص:1070.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)** ﴾ (البقرة:146) فهناك ثلاثة احتمالات لما يعود عليه الضمير المنصوب في(يعرفونه): فإمّا عائد على الرسول، وإن لم يسبق ذكرٌ لمعاد مناسب لضمير الغيبة، لكنّه قد علم من الآيات السابقة وتكرر فيها: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ** ... ﴾ (البقرة: 143) وقوله:﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ... ﴾ (البقرة:144) فالإتيان بضمير الغيبة وهو على تقدير مضاف، أي يعرفون صدقه. وإمّا أن يعود للحقّ في قوله السابق (لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) فيشمل رسالة الرسول وجميع ما جاء به، وإما أن يعود إلى العلم في قوله: ﴿...**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)** ﴾ (البقرة: 145) يتّضح من هذه الاحتمالات أن الضمير يحيلُ إلى سابق مذكور صراحةً، فإذا جعل الضمير محيلاً إلى الرسول فقد جاء ظاهراً مرة واحدة في الآية (143) ومستمراً في الآيات اللاحقة بضمير الخطاب المتّصل، والضمير في هذه الحالة يحيل إلى عنصرٍ فقط، وإذا كان محيلاً إلى الحقّ يصبح عنصراً محيلاً إلى خطاب، وهكذا تكون الضمائر محيلة إحالة مزدوجة[1] لذلك نجد المفسرين أحرص الحارصين على التدقيق في تحديد مرجعية الضمير وهذا ليس مبالغة منهم وإنّما لوعيهم الكامل بقداسة النص القرآني، وحتى لا تهتّز الأحكام الشرعية من خلال التأويل، لذلك تجدهم حريصين حرص العابد المحنث على ضرورة المعرفة بالقواعد النحوية. وبناء عليه فإن الضمير ــكما يظهر من التأويلات والتخريجات التي تدفع اللبســ يساهم بشكلٍ فعال في اتّساق الخطاب القرآني.

ز- أنواع الإحالة:

يعد الجهد الذي قدّمه كل من هاليدي ورقية حسن أفضل دراسة نصيّة مفصلة حديثة ذكرت فيها كلّ أنواع الإحالات في كتابهما "COHESION IN ENGLISH". إذ أصبح كتابهما بمثابة مرجع للباحثين في علم النّص، حيث ذكرا كلّ أدوات الإتّساق النّصيّة، بما فيها الإحالة، وقد أخذ هذا العنصر حصّة الأسد في الكتاب، إذ عرّفوا بالإحالة وذكروا كلّ أنواعها وأقسامها، وقد أشرنا إلى بعض المتعلّقات بهذا العنصر، وتنقسم الإحالة حسب رأيهم كما يوضحها المخطط التالي إلى:

[1] – لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص:175.

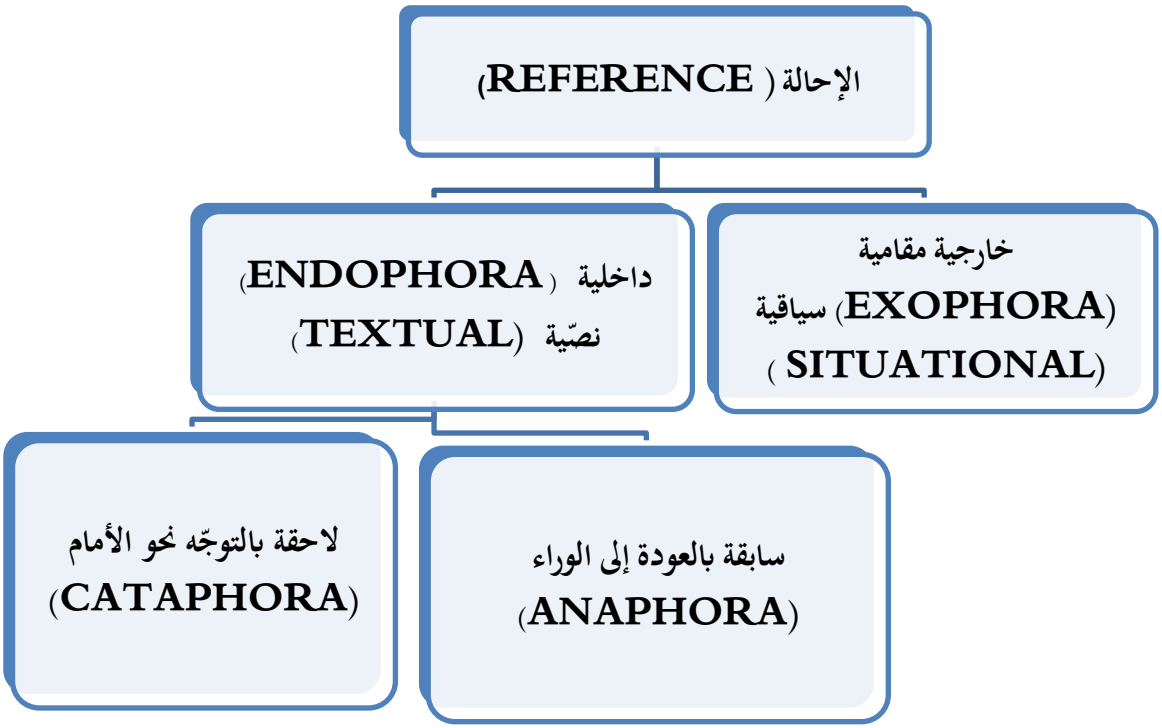

رسم توضيحي لأنواع الإحالة حسب النص والمقام.

1- إحالة داخلية (نصّية) (Textual) (Endophora):

وتشير إلى أن العنصر المشار إليه موجود في محيط النص"[1] لأنّ الأصل في ذلك أن تكون موجودة في النّص لأنّها تشير إلى شيء موجود في ثنايا النّص، "ينتمي إليه، ويكون جزء من عالمه، سواء كان قبل الإحالة أو بعدها، حتى يتمّ صنع هذا التّماسك حيث تشير الإحالة إلى "معلومة مسلّمة" لدى المتكلّم، ينقلها للمتلقي عن طريق الإحالة"[2] و"هي التي تحيل فيها بعض الوحدات اللّغوية على وحدات أخرى سابقة عنها أو لاحقة لها في النّص"[3]. وهذا يعني أنها في هذه الحالة تربط المتلقي بما هو موجود في النص ونقصد بذلك اللغة وهي الأثر الكتابي الموجود أمام المتلقي، ومن جهة أخرى فهي تربطه بالعالم الخارجي لأنه يكسب تصوّرا عن الأشياء في العالم الواقعي، وهذا ما يجعله دائم الصلة بهذا العلم، إنّها إحالة أبدية من الذهن إلى الواقع لأنّه لا يمكن أن تتغير الأشياء أو أسماؤها إلى يوم الدين. وهذا ما يجعل المتلقي جاهزا لتفسير الأشياء بعملية الإحالة إلى الواقع.

---

[1] -Cohesion In English Halliday.M.A.k. and R. Hassan, Longman, London ,1976.p: 32

[2] – الإحالة في نحو النص، د.أحمد عفيفي، ص: 39.

[3] – مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، محمد الأخضر صبيحي، ص: 89.

وقد ذهب هاليدي ورقية حسن إلى تحديد دور الإحالة الفعّال في اتِّساق النّص، عن طريق الوسائل اللّغوية الواردة في الملفوظ، "فهي تسير من اليمين إلى اليسار في اتجاه أفقي وهذا ما يطلق عليه في علم اللّغة النّصي (أفقية النّص) أي أن بديل الصيغة يعقب في كلّ الحالات التّعبير المرجع، وهنا يتحدّث البحث اللّغوي النّصي عن إحالة إلى السّابق، ويطلق على بدائل الصيّغ التي تكرر في النّص وحدات لغويّة متقدّمة، بدائل الصيّغ الدّالة على إحالة إلى مذكور سابق... غير أنّه توجد أيضا إمكانية مقابلة تسمى (إحالة لاحقة)، وتحقيقها بدائل الصيّغ الدّالة على إحالة إلى مذكور لاحق"[1]، وعلى هذا الأساس يقوم إتِّساق النّص، بين أجزائه المتباعدة. فالإحالة النّصيّة لا تخرج عن إطار النّص لأنّ حدودها مرسومة بخيوط معلومة في كلّ نّص، فإمّا أن تحيلك الوسائل والأدوات اللّغوية إلى مسبوق قد ورد ذكره، أو إلى متبوع سيذكر فيما بعد. وهنا تظهر الوسائل اللّغوية كبدائل إحالية للمحال إليه تتجلّى صوّرها في تجنب التّكرار وخلق ترابط نصّي ثري بمختلف أنواع الوسائل اللّغوية التي سنذكرها لاحقا، ولذا فإنّ الحكم على نصّيّة النّص التي تتجاوز الوصف النّحوي للجمل، إنّما ينبع من قوّة تواجد العناصر الإحالية داخل النّص."فالنّص جملة من العناصر تترابط بتوفر الرّوابط التّركيبية والرّوابط الزمانية وكذلك الرّوابط الإحالية.فلا يكاد أيّ نص يخلو من ضمير عائد أو اسم إشارة أو اسم موصول أو غيرها من المعوّضات، وهذا أمر يسّرته وظيفة الذّاكرة البشرية، التي يمكنها أن تختزن آثار الألفاظ السّابقة وتقرن بينها وبين العناصر الإحالية الواردة بعدها أو قبلها "[2] وللذّاكرة وظيفة هامّة في تخزين النّصوص، التي تتشكّل من تتابع غير محدود للجمل، وفيها تتوالى العناصر الإحالية اللّغوية داخل النّص، ومن هذا الجانب تتدخّل الذّاكرة للكشف عن التّرابط الذي تخلقه العناصر الإحالية حتى تكشف العنصر المشار إليه من قبل هذه العناصر وبالتالي تظهر اللّحمة اللّغوية، ويتجلّى في الأفق إتِّساق النّص.

ونضرب مثالا هنا لهذا النوع من الإحالة في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)** ﴾(سورة البقرة:134)"عقبت الآيات المتقدمة من قوله(وإذ ابتلى إبراهيم ربه) بهذه الآية لأن تلك الآيات تضمنت الثناء على إبراهيم وبنيه والتنويه بشأنهم والتعريض بمن لم يقتف آثارهم من ذريتهم وكأن ذلك قد ينتحل منه المغرورون عذرا لأنفسهم فيقولون نحن وإن قصرنا فإنّ لنا من فضل آبائنا مسلكا لنجاتنا، فذكرت هذه الآية لإفادة أنّ الجزاء بالأعمال لا بالاتّكال. والإشارة بتلك عائدة إلى إبراهيم وبنيه باعتبار أنهم جماعة وباعتبار الإخبار عنهم باسم مؤنث لفظه وهو أمة. والأمة تقدم بيانها آنفا عند قوله تعالى(ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) "[3]، إنّنا نلاحظ أنّ الإحالة هنا كانت بلفظ الإشارة (تلك) التي

---

[1]– التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1431هـ/2010م، ص: 55، 56.

[2]– نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 121.

[3] – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج735/1.

أحالتنا إلى لفظة الأمة التي سبق ذكرها في قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128)** ﴾(البقرة:128). حيث أحالت تقريبا إلى مجموعة من الآيات تناولت الحديث عن أبناء سيدنا إبراهيم ويعقوب عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)** ﴾(البقرة:132-133)، وهذا ما جعل الموضوع واحدا يظهر من خلاله تلاحم لفظي وأسلوبي، أدت فيه العناصر اللغوية في هذا المقطع دورا بارزا في عملية الربط بين الآيات حتى تتماسك بقوّة ويظهر اتّساقها الجيّد.

وإذا كانت الإحالة النّصيّة هي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة سابقة في النص أو المحادثة. وفيها يجري تعويض لفظ المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر، لدلالة السياق عليه: مثال (زيد استعمل السكين، لكن عمرو لم يستعملها) فالضمير (ها) يشير إلى السكين الواردة في الجملة الأولى، وبهذا ابدل الاسم بالضمير، بيد أنّ هذه الوظيفة التي أدّاها الضّمير قد تؤديها بعض الأفعال لتعطينا الوظيفة الإحالية نفسها مثل الفعل (فَعَلَ) ومثال على ذلك (خالد كتب درسه، وكذلك فعل سمير) فالفعل (فعل) رجوعا إلى ما سبق، إلى الفعل (كتب) [2]، كذلك "تكون الإحالة بتكرار كلمة واحدة أو عبارة واحدة في جملتين متعاقبتين "[3] مثل: اِحذر أنْ تلمس النّار، النّار تحرقك) فكلمة (النّار) الثانية هي تكرار للأولى، و ما هذا التّكرار هنا إلّا ليشير إلى أنّ المقصود بالنّار الثانية هي النّار الأولى. وبهذا يتحقّق التّماسك بين الجملتين.

ومن هنا يمكن أن نقول أنّ الإحالة النصيّة متنوّعة بين إحالة بالمضمرات، وإحالة بالأفعال التي تدل في السياق على الفعل السابق مثل الفعل (فعل)، وتكون كذلك بالتكرار مهما كان نوعه. بالإضافة إلى الحذف والإستبدال. وكلها هذه الأنواع إحالات تقع داخل النص، وفي اللغة التي بني بها النص، لأنها تربط بين العناصر اللغوية المتقدمة والمتأخرة حتّى يتبيّن للمتلقي أنّ المضمون واحد وأفكار النص متّحدة جميعا في بنائه، والذي ينشط حركة الإنتقال من معنى إلى معنى آخر، ومن موضع إلى موضع آخر هو العمل الإحالي للعناصر اللغوية داخل النّص.

وتعمل الإحالة النّصيّة (الدّاخلية) على إتّساق النّص بشكل مباشر، فتربط أجزاءه بعضها ببعض، "وهي عودة العنصر الإحالي على العنصر الإشاري (المفسّر) داخل النّص، وتعمل الإحالات النّصية على ربط النّص باتّجاهين السّابق واللّاحق"[1] فهي تزيد من فاعلية التّرابط الدّلالي داخل النّص، وتؤدي إلى ترابط أجزاء

---

[1]– أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، دراسة نصية من خلال سورة يوسف مثالا، محمود سليمان حسين الهواوشة، دار عماد الدين للنشر والتوزيع، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية ط1، 1430هـ – 2009م،ص:96.

النّص لسانيا أكثر من المقامية. فالإحالة النّصية الدّاخلية تؤدي إلى ترابط النّص، وتحقق مثالية التّعبير التي تعرف بأنّها تعاقب أفقي متناسق لوحدات لغوية مترابطة تقوم على أسس محدّدة من حيث التّسلسل"[1].

فقوله تعالى: ﴿..**وَآمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ** ...﴾ (البقرة:41) يعني به القرآن الذي أنزل علي محمد –صلى‌الله‌عليه وسلم– مشتملا على الحق من الله تعالى مصدّقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل في أصليهما السماويين قبل التحريف والتبديل. ﴿...**وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ**...﴾ قال ابن عباس : (أي) «ولا تكونوا أول كافر به وعندكم من العلم ما ليس عند غيركم» ، وهذا تعريض : بأنه كان يجب أن يكونوا أوّل من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته، والضمير في (به) يعود إلى القرآن ﴿...**وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلاً**...﴾ أي لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فإنها قليلة فانية[2]. فالضمير هنا أحال إلى الوراء إلى شيء سبق ذكره وهو القرآن ودلّ عليه قوله :(ما أنزلت)، إذ نلاحظ أنّ الإحالة الضميرية حافظت على استمرار المعنى في الآية في البنية التركيبية السطحية، وساهمت في اتّساق النص بإعادته إلى حيث يوجد العنصر المحال إليه الذي فسّر الضمير وحدّد دلالته.

ويظهر الدّور الإحالي التّبادلي بين عناصر الإحالة في خلق تماسك نصّي متين تحكمه الضّرورة الدّلالية بين موضوع النّص الواحد. ومثل ذلك ما نجده في موضوعات القرآن الكريم، التي ذكرتها السّور، حيث نجد الإحالات متبادلة بين هذه الموضوعات وهذا دليل على وحدة نصوص القرآن الكريم"[3]. بل وقد تخرج هده الإحالات في بعض الأحيان عن نطاق السورة لتحيل المتلقي إلى سورة أخرى وهذه الأمثلة كثيرة في القرآن الكريم، وقد تناولها القدماء في باب المناسبة القرآنية.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الزمخشري عند تفسيره للإشارة(ذلك) الواردة في الآية (74) من سورة البقرة في قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ يقول :" (ذلك) إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدّم من الآيات المعدودة" [4]. ونلاحظ هنا أنّ الاحتمالين مختلفان، إذ في الإشارة إلى (القتيل) نكون أمام إحالة عنصر إلى عنصر ، وفي الإشارة إلى الآيات المعدودة وهي سبع آيات تتناول ذبح البقرة من الآية (67) إلى الآية (73) نحن أمام الإحالة إلى (خطاب/نص) مكوّن من عدة آيات، ورغم أنّ المفسّرين لم

---

[1]– ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفانج فيهفيجر، ص: 25–27.

[2] – الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج136/1.

[3]– ينظر، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، دراسة نصية من خلال سورة يوسف مثالا، محمود سليمان حسين الهواوشة، ص: 96– 97 – 98.

[4] – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (467–538هـ)، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ–2009م، ص:84.

يفرّقوا بين النوعين، فإنّ هذا لا يمسّ المبدأ العام الثاوي خلف الإشارة، وهو جعل الخطاب متماسكا من خلال استحضار عنصر متقدّم أو خطاب بأكمله. وتنقسم الإحالة النّصيّة (الدّاخلية) إلى قسمين بارزين؛ وهما:

أ- الإحالة على السّابق أو الإحالة بالعودة إلى الوراء (ANAPHORA):

ومنهم من يسميها بالإحالة القبلية "وهي تعود على مفسّر (ANTECEDENT) سبق التّلفظ به"[1]، وهي تعني استخدام الضمير(الصيّغ الكنائية) بعد التّعبير المشار إليه، أي أنّها تعود على مفسّر سبق التّلفظ به"[2] وتعدّ الإحالة بالعودة إلى الوراء أكثر أنواع الإحالة تواجدا في النّص. لأنّه عادة ما يتمّ التّلفظ بالمشار إليه في بداية النّصوص لذلك نجد أنّ أكثر أنواع الإحالة حضورا في النّص هي الإحالة على السّابق الذي ورد ذكره قبل عناصر الإحالة.

ويسّمى كذلك بالعائد القبلي (ANAPHORA) ويتكوّن هذا المصطلح من العنصرين اللغويين اليونانيين (ANA): ومعناه: نحو الأعلى أو نحو الوراء، (PHOREIN): ومعناه حمل"[3]، وهو أحد العناصر التي تساهم في تسلسل الإحالة والتّناسق النّصي، ومن هناك يقيم العائد "علاقة تأويلية في ملفوظ أو عدد من الملفوظات بين مقطعين على الأقل توجّه أولاهما تأويل الأخرى أو الآخر".[4]. لأنّ المساهمة التّأويلية للعائد مهما كان نوعه رهينة عبارة أخرى، وردت في النّص، تتجلّى وظيفتها في تفسيره، والكشف عن العلاقة الإحالية الواردة في هذا النّص.

ومن أمثلة هذا النوع من الإحالة قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132)** ﴾(البقرة:130-132) فالضمير في قوله (أوصى بها) يربط بين الآيتين، وهو يحيل إحالة مزدوجة إلى ما سبق ذكره، وتتحدد دلالة الضمير بالمعنى الذي يتحقق حسب مقصود الآية، "وَالضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ بِالْبَاءِ عَائِدٌ عَلَى الْمِلَّةِ أَوْ عَلَى الْكَلِمَةِ أَيْ قَوْلُهُ(أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فَإِنْ كَانَ (بِالْمِلَّةِ) فَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَوْصَى أَنْ يُلَازِمُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مَعَهُ فِي حَيَاتِهِ ، وَإِنْ كَانَ الثَّانِي فَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَوْصَى بِهَذَا الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ شِعَارٌ جَامِعٌ لِمَعَانِي مَا فِي الْمِلَّةِ"[5].

---

[1]- نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 118.

[2]- المرجع نفسه، ص: 119.

[3]- ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينك مانغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ص: 47.

[4]- المرجع نفسه، ص: 48.

[5] - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج728/1.

وهذه الإحالة وجهّت المتلقي إلى محطّة المعنى الذي يحيل إليه الضمير في (بها)، وهو معنيين، فإمّا (الملّة) أو (أسلمت لربّ العالمين) وكلاهما لا يمسّ بقداسة النص، ويزيد إتّساقا للنص القرآني. والمخطط التالي يوضح ذلك:

قال تعالى:﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)** ﴾(البقرة:48) "يتجه الخطاب إليهم بالتذكير بالآخرة ..﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً.** ﴾ أي:يوم القيامة الذي من صفاته: ﴿**لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً**﴾ أي : لا يغني أحد عن أحد ، فلا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئا من الحقوق التي لزمتها (﴿**وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ**) الضمير في (منها) يرجع إلى النفس المؤمنة أي لا تقبل منها شفاعة للكافرة فهو كقوله تعالى في سورة المدثر:﴿**فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ فهذا أبلغ رد على اليهود الذين يزعمون أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ، وعلى النصارى الذين يزعمون أن عيسى يحمل عنهم خطاياهم ، وعلى أمثالهم ، ممن كفر بعد إيمان".[1] هنا يلعب الضمير دورا أساسيا في الربط بين حيث ترتبط الجمل داخل الآية الواحدة وهذا فيما نراه ربطا متوسط المدى لأنّه ليس ببعيد عن عن المحال إليه الذي يفسّر الضمير، وبهذا تكون الإحالة الضميرية التي تحيل إلى الوراء مساهمة بقسط كبير في تحقيق الإتّساق، وهذا ما يميّزها من الحضور، فهي أكثر الأنواع حضورا وأقواها تأدية للمعاني على اعتبار أنّ الضمير من أكثر الأنواع إبهاما إذا لم يسبقه مذكور يفسّره.

[1] –الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج146/1.

وهنا تصبح الذّاكرة البشرية للقارئ مجبرة على الاحتفاظ بالمرجع المشار إليه للحفاظ على نسقيّة النّص، "لكن لابدّ للتّأويل الإحالي العائدي أن يأخذ بعين الاعتبار المفسّر"[1]، ويذكر الدكتور تمّام حسان دور الضّمير العائد، فذكره في النّص "قرينة دالة على الارتباط بين جملة فرعية أو نحوها وبين بقية أجزاء الجملة الكبرى"[2]، وقد أوضح دي بوجراند أنّ إتّساقية النّص تتحقق من خلال تتابع السّابق باللاّحق، "وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السّابق منها إلى اللاّحق بحيث يتحقق بها التّرابط"[3]. ففي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (8)**﴾ (**يونس،7– 8**) فالضمير الإشاري "أولئك" يعود إلى الذّين لا يرجون لقاء الله فمرجعيته سابقة في الآية.كما كان تأويله واضحا لا لبس فيه ولا غموض. وهنا يظهر الإتّساق النّصي بين الجملتين والرّبط المفهومي واضحا. ولا حاجة لإجهاد الفكر في تحديد العلاقة الإحالية بين المحال والمحال إليه. فقد اتجه الضمير الإشاري "أولئك" إلى الوراء (إلى ما سبق ذكره) وهذا النّوع من الإحالة ينطوي تحت الإحالة الداخلية التي تعجّ بها النصوص.

وعند ابن عاشور توضيح لمسألة الإشارة باسم الإشارة (ذلك) ودوره في اتّساق الخطاب، ففي تفسيره للآية (176) من سورة البقرة من قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(174) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ(175) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176)**﴾ (البقرة:174-176). "جيء باسم الإشارة لربط الكلام اللاحق بالسابق على طريقة العرب في أمثاله إذا طال الفصل بين الشيء وما ارتبط به من حكم أو علة أو نحوهما... والكلام السابق الأظهر أنه قوله فما أصبرهم عل النار"[4].

ونلاحظ هنا أنّ الإحالة أعادت المتلقي إلى نص سابق مرّ عليه وقرأه، وهذا النوع من الإحالة فيه استرجاع لما مضى عليه وتحيين لاستذكاره من جديد، وهو ما تتوفر عليه الإحالة إلى الأمام لأنها لا تتوفر على الخصائص التي تتميّز بها الإحالة إلى الوراء، فالعنصر المحال إليه غير موجود ولن يتعرف عليه المتلقي إلاّ عندما يصل إليه، عندئذ يمكن له أن يربط بينه وبين العنصر المحال، وهذا قد يستغرق منه وقتا في بعض الأحيان خاصة في النصوص التي يطول ذكر المحال إليه.

---

[1]– معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينك مانغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ص: 48.

[2]– اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص: 218.

[3]– النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، ص: 103.

[4]– تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج126/2.

وعلى النقيض فإنّ الإحالة إلى عنصر قد سبق ذكر تجعل المتلقي في حالة راحة ذهنية لأنّ المحال إليه مقيّد ومعروف، وهو في الإحالة إلى الأمام يفرض على المتلقي البقاء على حالة ترصد دائمة ومستمّرة إلى أن يصل إلى بؤرة يفك فيها عملية التحاول، ومعرفة العلاقة الإحالية بين المحال والمحال إليه، ويحكم على الربط الإتّساقي الذي قامت به العناصر الإحالية.

ب- الإحالة على اللاّحق أو الإحالة إلى الأمام (CATAPHORA):

ومنهم من يسمّيها بالإحالة البعدية أو بالعائد البعدي، "و هذا المصطلح مأخوذ من (CATA) اليونانية بمعنى: (نحو الأسفل) و(PHOREIN) بمعنى: (حمل) ويمثّل العائد البعدي علاقة موازية لعلاقة العائد القبلي.. لكن رغم هذا التوازي فليس للعائد البعدي نفس الخصائص"[1] وعرفها قاموس الأسلوبية والبلاغة بأنها"إشارة إلى مايتبع"[2] وتكون العلاقة هنا اِتباعية أو "إشارة سابقة لما هو لاحق"[3] أي علاقة تسبيق كما سيرد ذكره لاحقا، "وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النّص ولاحق عليها، ومن ذلك ضمير الشأن في العربية"[4]. وهي عند جورج يول"استعمال كلمة(ضمير غالبا) لتقديم شخص أو شيء يتم تعريفه أكثر لا حقا، مثلا، ألف الإثنين في (ركبا) في (بعد أن ركبا في السيارة، ذهب علي وأحمد إلى المدرسة)"[5] وفي هذا النوع من الإحالة تستعمل كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النص أو المحادثة [4] وهذا الأمر نجده في الوظيفية التي يؤديها (ضمير الشأن) في العربية، وأسماء الإشارة، وكذلك الجمل المفسرة التي تفسر جملة أو عبارة، ومن ذلك أيضا عناوين القصائد وأسماء السّور التي تحيل إلى ما سوف يأتي في النص. ونذكر على سبيل المثال قول تعالى في سورة الإخلاص: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)** ﴾ فالضمير (هو) يحيلنا إلى لفظ الجلاله (الله) الذي أتي ذكره لاحقا، وهذه إحالة جاءت في بداية السورة ولا وجود لما يفسّره قبله، لذلك فهو يحلنا إلى الأمام منتبهين إلى ما سيذكر ويفسّر ضمير الشأن (هو) وهي لفظ الجلالة (الله) الذي أزال الإبهام عنه، فلو توقف المتلقي عند قوله (قل هو...) ولم يذكر لفظ الجلالة (الله) لوقع الإلتباس ولم يفهم أهذا القول من سورة الإخلاص أم من قول للبشر؟، وذكر لفظة (الله) حدد الإحالة للضمير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ساهم تكرار لفظ الجلالة في زيادة الإتّساق عن قرب من الضمير، وتكرار الجذر(و-ل-د) بصيغتي المضارع المتضمن للماضي وهو مبني للمعلوم

---

[1]- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينك مانغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ص: 95.

[2]- قاموس الأسلوبية والبلاغة، إنجليزي/عربي، عربي/عربي-إنجليزي، د: حسن غزالة، منشورات إلقا، فاليطا، مالطا، 2000م، ص: 13.

[3]- المرجع نفسه، ص: 13.

[4]- نسيج النص، الأزهر الزناد،:ص: 119.

[5]- التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1431هـ/2010م، ص: 186.

والمضارع المبني للمجهول (يولد)، أضاف للسورة إتّساقا آخر إضافيا متّن العلاقة الترابطية، وزادها تماسكا، ثم أُضمر لفظ الجلالة في الفعلين (يلد-يولد) لدلالة ما سبق عليه وهو لفظ الجلالة. وهنا نقول أنّ كلّ النصوص بما فيها النص القرآني تساهم الإحالة الضميرية بنسبة كبيرة في إتّساقها، ثم يأتي الضمير في (له) ليربط بين الآية الأخيرة والآية الأولى، وخلاصة القول هنا أنّ هذه السورة محاطة بالإحالة ومسيّجة بها من البداية إلى النهاية على اختلاف أنواعها، وهذه الإحالات نصّية ساهمت في تنويع البنية الإتّساقية للنص القرآني، وجعلته يتحلّي بصفات النّصية، بل لنقل إنّنا أمام نص ثرّاء بالبنيات الإحالية المتنوّعة التي تبادر في اتّساقه منذ البداية حتى النهاية.

ومن صوّر هذا النّوع من الإحالة في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58)**﴾ (البقرة:58) حيث أحال اسم الإشارة (هذه) إلى (القرية) التي بعده من حيث الذكر والترتيب، وهذه إحالة إلى الأمام وجّهت حبال الربط إلى مراسي نتوقعها، وليس مختزنة في الذاكرة القريبة التي تساعدنا على استرجاعها، لأنّ هذه الأخيرة سبق ذكرها وهي مختزنة في انتظار إعادة استظهارها. "الظاهر أن هذا القول لهم (بني اسرائيل) بعدما خرجوا من التيه بعد وفاة موسى -عليه الصلاة والسلام- في عهد يوشع بن نون خليفة موسى على قومه والقرية إما بيت المقدس أو أريحا.[1]

وتظهر العلاقة بين المحال والمحال إليه علاقة متوازية مع البناء الأفقي للنّص حيث تسير حسب معمارية النص، وتتنامى بنزولها نحو الأسفل عكس الإحالة على السّابق، التي تحيلك دائما إلى الوراء ثم تعيدك إلى حيث يتم مواصلة النص، وتكون العلاقة هنا دورانية من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى حتى يكتمل النّص. وخير مثال نضربه لذلك، قوله تعالى: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (59)**﴾ (الزخرف:59)، فإنّ ضمير الشأن الذي يمثل العنصر اللغوي المحيل (هو) ساهم في تأكيد عبودية عيسى- عليه السلام- بقصره على العنصر الإشاري(عبد)، وبالمطابقة بين المبتدأ والخبر، فوضعت هذه الآية حدا للجدل الذي أثير حول ألوهية عيسى -عليه السلام- من عبوديته، وإزالة الشك في طبيعة خلقه وأنّه كان عبدا نبيّا من عباد الله صالحا.

يقول محمد الطاهر بن عاشور معلقا عن هذه الآية:"قد قصر عيسى على العبودية على طريقة قصر القلب للرد على الذين زعموه إلها، أي ما هو إلا عبد لا إله لأن الإلهية تنافي العبودية. ثم كان قوله أنعمنا عليه إشارة إلى أنه قد فضل بنعمة الرسالة، أي فليست له خصوصية مزية على بقية الرسل، وليس تكوينه بدون أب إلا

[1] – ينظر الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج150/1.

إرهاصا"[1].وهنا نلاحظ الأثر الذي تركته الإحالة في تحديد المحال إليه، حيث ساهمت في اتّساق الآية وفي تحديد المحال إليه ليستقيم التأويل في النهاية.

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة لهذا النّوع من الإحالة أين يسبق الضّمير عددا من الآيات، ثم تأتي هذه الآيات بعده لتفسّره، وقد تتتابع الآيات بشكل ترابطي متّسق لتفسّر الضّمير المبهم عندما يكون متقدما، ويحيل إلى هذه الآيات التي تلحقه مثل قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (80)**﴾ (الواقعة: 77-80).

فهذه الآيات جاءت متتابعة بعد الآية الأولى والتي ورد فيها الضمير المبهم المتقدم في (إنّه). هي آيات مفسّرة له وهو يشير إلى القرآن الكريم، فالضّمائر إحدى العناصر الإحالية ولا يمكن أن تفهم"هذه العناصر إلاّ إذا ارتبطت بالعنصر الإشاري الذي تعوّضه.حيث يدرك المتلقي دلالتها باستحضار ذلك المشار إليه"[2]، وعليه فإن استظهار العلاقة الموجودة بين العناصر الإحالية في أي نص إنّما هو كشف عن طبيعة العلاقة بينهما وشدّة التّلاحم والإتّساق بين أجزاء النص، التي تدفع به علاقة الإحالة أحيانا، وتجرّه أحيانا أخرى حتى تبرز بنية النص النهائية.

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139)** ﴾(البقرة:139)"فجملة وهو ربنا حالية أي كيف تحاجوننا في هاته الحالة المعروفة التي لا تقبل الشك، وبهذه الجملة حصل بيان لموضوع المحاجة، وكذلك جملة ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم وهي عطف على الحال ارتقاء في إبطال مجادلتهم بعد بيان أن الربوبية تؤهل لإنعامه كما أهّلتهم، ارتقى فجعل مرجع رضى الله تعالى على عباده أعمالهم فإذا كان قد أكرمكم لأجل الأعمال الصالحة فلعله أكرمنا لأجل صالحات أعمالنا فتعالوا فانظروا أعمالكم وانظروا أعمالنا تجدوا حالنا أقرب إلى الصلاح منكم " [3]. وهنا مجموعة من الإحالات القبلية والبعدية غير أنّنا نشير إلى الإحالة التي لعبها ضمير الشأن (هو) الذي أحال إلى لفظة (ربّنا)، وهذه إحالة ربطت بين الله والربوبية كما سمّاها صاحب التحرير والتنوير ليلتقيان في أنّ رضاه على عباده هي أعمالهم.

ومن أمثلة هذا النوع من الإحالة قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ**

[1]- ينظر تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج241/25.

[2]- الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، الزهرة توهامي، المركز الجامعي، البويرة، الجزائر، 2010م/2011م، ص: 29.

[3] - ينظر، تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج746/1.

بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) ﴾(البقرة:85). حيث أحال الضمير (هو) إلى تحريم القتال(محرّم)، وفي هذا إتّساق قريب بين ما جاء بعده وما سبقه، وكأنه يقوم بوظيفتن ؛إحالة إلى ما سبق قوله من قتل وإخراج من ديار و تظاهر بالإثم والعدوان ثم فدية الأسارى، ثم التوّجه بهذه الأفعال وإحالتها إلى الأمام نحو تحريمها، وهذا ما يؤكد أنّ الدور الإحالي الذي يقوم به ضمير الشأن مهم في عملية الإتّساق داخل النص.

ومنه ما جاء قي قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)** (البقرة: 126)، حيث أحال اسم الإشارة (هذا) إلى لفظة (بلد) وقد جاءت بعده، وهي إحالة بعدية ساهمت في مدّ الربط الإتّساقي نحو الأمام، ووسعت من البنية التركيبية للنص، وتفسير ذلك "واذكر (**إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ**) هذا البلد أو هذا المكان بلدا ذا أمن، وارزق المؤمنين بالله واليوم الآخر من أهله من الثمرات"[1] وما نلاحظه أنّ هذا النوع من الإحالة يساهم بسط البنية النصيّة وتوسيعها، عكس ما تقوم به الإحالة القبلية التي تحيلنا إلى الوراء وتوقف المتلقي عند تلك البنية لاسترجاع المعنى السابق إنهما متناقضتان من حيث الأثر فالأولى تقبض النص وتوقف نموّه واستمراره، كما تمتّن العلاقة الترابطية أكثر من الإحالة نحو الأمام، وأمّا هذه الأخيرة فإنّها تزيد في بناء النص وتسهل الطريق للمتلقي الذي تجعله دائما يطلب المعنى البنى التركيبية القادمة، لذلك تجده في سباق مع التركيب لمعرفة العناصر المعجمية المفسرّة التي تحيل إليها هذه العناصر اللغوية المبهمة في ذاتها.

وهكذا فإنّ الإتّساق بهذا النوع من الإحالة له أثر نحو الأمام وهو أثر كتابي أو ملفوظ يجعل المتلقي في حالة استقبال يترقب المعاني والألفاظ إلى أن يلتقي المحال بالمحال إليه ويستقرّ عنده المعنى..

2- الإحالة المقامية الخارجية السياقية (EXOPHORA)(SITUATIONAL):

وهي مقسمة إلى كلمتين إغريقيتين وهما (EXO) والتي تعني بالعربية (في الخارج)، وكلمة (PHOREIN) تعني بالعربية (حمل)، أي حمل في الخارج"[2]. وهذا المعنى يتناسب مع المعنى الإصطلاحي الذي وضعه هاليداي ورقية حسن (1976)، حيث "تشير إلى أن العنصر المشار إليه محدّد في سياق الموقف"[3]، وهي تنقل القارئ (المتلقي) من جوّ النّص إلى خارجه وتكون الإحالة هنا هي: "إحالة عنصر لغوي إحالي على

---

[1] – الأساس في التفسير، سعيد حوى،ج270/1.

[2]– ينظر، معجم تحليل الخطاب، شارودو، دومينك مانغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ص: 214.

[3] – Introduction to Text Linguistics.Robert de Beaugranda and Dressler: p: 61

عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم. حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم"[1]. ويقسّم ت.فرازار وا.جولي (1979) العائد على الخارج " إلى عائد على خارج بالحضور وعائد إلى خارج بالغياب، حسب ما إذا كانت الإحالة تجري مع عنصر من عناصر الوضع الخارج لغوي حاضر وقت التّفاعل (جئتك بالكتاب)-(في يد المتكلم كتاب)- أو تستند إلى معطى واضح الحضور في الذّاكرة-(هذا الوضع لا يعجبني)(يفكر المتكلم في وضعية مخصوصة غير تلك التي تمثل حاضره الآن)"[2].

إن العناصر اللغوية الموجودة في النّسيج النصي تخلق ترابطا بين النص والمقام الذي قيل فيه، لذلك فإنّه يمكن النظر إلى الضّمائر من زاوية الإتِّساق والتّميز بين "أدوار الكلام (SPEECH ROLES) التي تندرج تحتها جميع الضّمائر الدّالة على المتكلم والمخاطب، وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي"[3]، "و يمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم"[4].

وما وجدناه في القرآن الكريم من إحالات مقامية أحال إليها سياق الآية أو السّورة إلى خارج النسق اللغوي المتواجد في النص كثير، أين يتواجد العنصر المشار إليه الذي يمثل المرجع الفعلي للآية أو السّورة. ومن ذلك ما ورد في سورة الضّحى.قال الله تعالى: ﴿ **وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآَوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)**﴾ (سورة الضحى، الآيات 1-11).

فإذا نظرنا إلى العناصر الإحالية اللغوية الموجودة في السوّرة، لوجدنا أن أكثرها عبارة عن ضمائر المخاطب، والمتمثلة في شخص النبي-صلى الله عليه وسلم- الذي لم يرد ذكره في نص السّورة، ورغم ذلك فإنّه معلوم ومعروف من خلال القرائن اللغوية داخل النص، وخارجه وهو المقصود بالخطاب الذي ظهر في صورة حرف الكاف. وهذه الضّمائر من قبيل الإحالة الخارجية لأنّها تعود على شخص واحد يمثل وحدة المرجعية في هذا النّص، وهو النبي –صلى الله عليه وسلم- وهذا ما جعل هذه السّورة تسمو بوحدتها الشكلية والدلالية إلى مستوى النّصية المثلى، نظرا لما يمتاز به النّص القرآني من إتِّساق وتماسك وخصائص أخرى فهذا"النوع من

---

[1]- نسيج النّص، الأزهر الزناد، ص: 119.

[2]- معجم تحليل الخطاب، شارودو، دومينك مانغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، ص: 215.

[3]- لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 18.

[4]- نسيج النّص، الأزهر الزناد، ص: 119.

الإحالة يتوقف على معرفة سياق الحال أو الأحداث المواقف التي تحيط بالنّص"[1]، وتحدث النقلة من داخل النّص إلى خارجه معتمدة على السيّاق ومقتضى الحال (خارج حدود النّص)، وتأويلها في عالم النّص سيحتاج تركيزا على عالم الموقف الإتّصالي لهذا العالم النّصي[2].

وتُعد ظاهرة التسلسل الضميري بوجه خاص شرطاً من الشروط النحوية التركيبية الأساسية لتماسك النص ، فأشكال التسلسل الضميري تلك هي الوسيلة الحاسمة لتشكيل النص ،ومن ثم يعرَف النص بأنّه نسيج من الكلمات يترابطُ بعضها ببعض من خلال تسلسلٍ ضميري ،تجمعّ عناصره المختلفة والمتباعدة في كلٍّ واحد، هو ما نطلقُ عليه مصطلح (نص)[3]، فكل الجمل الّتي يربطها التسلسل الضميري تكون _ إذن_ نصاً، وحيثما تتوقّف سلسلة الإضمار أو تحلّ محلّها أخرى فإنّه يبدأ بذلك نصّ جديد.

ولهذا فإنّ العنصر الإحالي المشار إليه قد لا يذكر في بنية النّص، وهذا ما سمّاه دي بوجراند بالإحالة لغير المذكور، لذلك يتطلب من المتلقي الإلتفات خارج النّص حتّى يتعرّف على المحال إليه. ومن هنا يظهر الدّور الذي تلعبه الإحالة الخارجية في خلق النص وصناعته، دون أن نهمل علاقته بالمقام. ونجد هاليداي ورقية حسن قد عبّرا عن ذلك حين قالا: "إنّ الإحالة المقامية تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللّغة بسياق المقام إلاّ أنّها لا تساهم... في إتّساقه بشكل مباشر"[4]، ومن ثمة تتمثل العلاقات الدّاخلية المرتبطة بالسّياق أي (المحيط اللّغوي) وأخرى خارجية تتمحور في البيئة المحيطة بالنّص، ومن شأن هذين النّوعين أن يحقّقا التّماسك النّصي بوصفه أهم المعايير قاطبة فالنّص واقع بين التّأثير والتّأثر من البيئة المحيطة "[5] وهذا ما تمّ ترجمته في قاموس الأسلوبية والبلاغة بأنّ مصطلح "EXOPHORA" يعني بالعربية إشارة سياقية"[6] أي إلى خارج النص.

و من أمثلة ذلك لفظة (عبدنا) التي تحيل إلى خارج النص وهو نبيّنا محمد –صلّى الله عليه وسلّم–، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)** ﴾ (البقرة:23). فالمتلقي لهذه الآية سوف يحال إلى خارج النص، إلى شخص النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– وهذه إحالة من النص إلى خارجه ساهمت في معرفة السياق الذي قيلت فيه الآية، وهو التذكير بنعم الله على النّاس، فالذي خلق الأرض والسماء وأنزل الماء، وأخرج النبات والثمر والرزق، كفيل بأن ينزّل القرآن على النبيّ محمد – صلّى الله عليه وسلم– قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**

---

[1]– علم اللّغة النّصي، بين النّظرية والتّطبيق، إبراهيم صبحي الفقي، الجزء2، ص: 41.

[2]– ينظر: النّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص: 332.

[3] – ينظر، نسيج النص، الأزهر زناد، ص:12.

[4] –Halliday.M.A.k. and R. Hassan,Cohesion In English,p: 37.

[5] – ينظر: علم اللّغة النّصي، بين النّظرية والتّطبيق، إبراهيم صبحي الفقي، ج1/ 107.

[6]– ينظر: قاموس الأسلوبية والبلاغة، إنجليزي–عربي/عربي– إنجليزي، حسن سعيد غزالة، ص: 32.

وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25) ﴾ (البقرة:21-25)، "واتنظم النون في (نزّلنا) من يتنزّل بالوحي من روح القدس والروح الأمين ونحو ذلك، لأنّها تقتضي الإستتباع، واقتضت النون في لفظ(عبدنا) ما يظهره النبّي- صلّى الله عليه وسلّم- لهم من الإنقياد والإتباع وما اقتضاه خلقه العظيم من خفض الجناح، حتّى أنّه يوافق من وقع على وجه من الصواب من أمّته صلّى الله عليه وسلّم ، وحتّى أنّه يتّصف بأوصاف العبد في أكله كما قال: آكل كما يأكل العبد"[1]يقول أبو حيّان:" وَفِي نَزَّلْنَا الْتِفَاتٌ لِأَنَّهُ انْتِقَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْغَائِبِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ ؛ لِأَنَّ قَبْلَهُ (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) وَ (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) . فَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى هَذَا السِّيَاقِ لَكَانَ مِمَّا نَزَلَ عَلَى عَبْدِهِ ، لَكِنَّ فِي هَذَا الِالْتِفَاتِ مِنَ التَّفْخِيمِ لِلْمُنَزَّلِ وَالْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ مَا لَا يُؤَدِّيهِ ضَمِيرٌ غَائِبٌ، لَا سِيَّمَا كَوْنُهُ أَتَى بِـ " نَا " الْمُشْعِرَةِ بِالتَّعْظِيمِ التَّامِّ وَتَفْخِيمِ الْأَمْرِ ، وَنَظِيرُهُ (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا ، وَتَعَدِّي نَزَّلَ بِعَلَى إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِعْلَاءِ الْمُنَزَّلِ عَلَى الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ كَالْمُلَابِسِ لَهُ ، بِخِلَافِ إِلَى فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الِانْتِهَاءِ وَالْوُصُولِ . وَلِهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي أَفَادَتْهُ عَلَى تَكَرُّرِ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ فِي آيَاتٍ ، قَالَ تَعَالَى: (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) ، (طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) ، (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ.) وَفِي إِضَافَةِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ تَعَالَى تَنْبِيهٌ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِهِ وَاخْتِصَاصِهِ بِخَالِصِ الْعُبُودِيَّةِ ، وَرَفْعِ مَحَلِّهِ وَإِضَافَتِهِ إِلَى نَفْسِهِ تَعَالَى ، وَاسْمُ الْعَبْدِ عَامٌّ وَخَاصٌّ ، وَهَذَا مِنَ الْخَاصِّ :

- لَا تَدْعُنِي إِلَّا بِيَا عَبْدَهَا لِأَنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي

... وَالرَّسُولُ أَوَّلُ مَقْصُودٍ بِذَلِكَ ، وَأَسْبَقُ دَاخِلٍ فِي الْعُمُومِ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي طَلَبَ مُعَانِدُوهُ بِالتَّحَدِّي فِي كِتَابِهِ ..."[2] .

والأمثلة لهذا النوع من الإحالة كثيرة، في سورة البقرة، إذ تحيل لفظة مثل بني إسرائيل إلى خارج النص، وهم اليهود الذين عاصروا عهد النبّي- صلّى الله عليه وسلّم- ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ**

[1]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسوّر، للأمام المفسّر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ج167/1.

[2] - البحر المحيط في تفسير ، لأبي حيّان الأندلسي،ج168/1-169.

تَعْلَمُونَ (42) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47) ﴾ (البقرة:40-47).والسياق الوارد في هذا الخطاب النصي موّجه إليهم، ما يدفع بالمتلقي إلى الخروج من النص لمعرفة المرجع المشار إليه والمحال إليه في هذا النص، وهذا ما يمنح النص إتّساقا آخر بين النص والبيئة التي قيل فيها وهي بيئة كافرة لا خير فيها، بالرغم من النعم التي منّها الله عليهم. ويعني هذا أنّ هذا النوع من الإحالة يساهم بناء النص وترتيب أخباره وأحداثه، لتصل المتلقي متّسقة مرتبة وفق نظام معيّن، وتعمل اللغة على تجسيد هذا النظام بأساليبها المتنوّعة وفق بنية النص الذي له معالم معيّنة ينبغي الوصول إليها وألا نتجاوزها، فالإحالة الخارجة فضاء لتحديد السياق اللغوي وتأويله تأويلا يتّسق مع البنية العامة للنص.و"والمراد بقوله:(يا بني إسرائيل اذكروا) من كان بحضرة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالمدينة، وما والاها من بني إسرائيل ، أو من أسلم من اليهود وآمن بالنبي، صلى الله عليه وسلم، أو أسلاف بني إسرائيل وقدماؤهم، أقوال ثلاثة، والأقرب الأول"[1] .

وأمّا الملاحظ الآخر يكمن في الضمير (إياي) في قوله:(**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**)، إذ يحيل هذا الضمير إلى لفظ الجلالة (الله)، وهو أمر غيبيّ عقديّ ندركه بقوّة الإيمان، ول يحيل إلى النبيّ بحكم أنّه هو ناقل للرسالة والمتكلّم بها، فالمتكلم هنا هو الله عزّوجل على لسان نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم-، " ولا يبعد تأكيد الضمير المنفصل بالضمير المتصل، كما أكد المتصل بالمنفصل في نحو: ضربتك إياك، والمعنى: ارهبون أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره، وهذا قول ابن عباس"[2].

ومن صور هذا النوع أيضا ما جاء في قصة بناء البيت (الكعبة)، حيث يحلنا مقطع القصة إلى خارج النص ولنتأمل السياق اللغوي الذي سيق فيه هذا المقطع وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)** ﴾ (**البقرة:125-127**). وهنا تلعب مجموعة من الألفاظ المعجمية دورا مهما في عملية الإحالة الخارجية للنص وهي (البيت- مقام- مصلى- بيتي- بلدا- القواعد من البيت)، وتحيل هذه الألفاظ المتلقي لمعرف هذه الأماكن، فالبيوت كثيرة والمقصود هنا هو

[1] – المرجع نفسه، ج**281/1**.

2 – المرجع نفسه، ج**285/1**.

بيت الله الحرام الذي بناه سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل –عليهما السلام– في مكة المكرّمة، لذلك استعمل اسم الإشارة (هذا) لدلالته على القرب من مقام سيدنا إبراهيم–عليه السلام– أي المكان الذي كان يقيم فيه نبيّ الله. وهذه الإحالة حققت اتّساقا إِحاليا مع السياق الذي قيلت فيه هذه الآيات التي تتحدّث عن قصة واحدة، ومن خصائص هذا النوع من الإحالة أنّها تساهم في تحديد المحال إليه وهي هنا الأماكن الموجودة خارج النّص.

كما تساهم الإحالات الشّخصية بالضمائر في تحديد المحال إليه، وهي إحالة في الغالب ما تكون خارج النص، أي إحالة مقامية نفهمها من المقام المساقة فيه، ويساهم هذا النوع من الإحالة في ربط النص بالمقام الذي قيل فيه، حتّى ينسجم معه.

3- الإحالة من حيث المدى (القرب والبعد):

يقوم النسيج النصي على تشابك مجموعات من التراكيب والمكونات اللغوية، فالبناء الجملي المتتابع داخل البنية النصية يحكمها منطق القواعد اللغوية الذي يمد العلاقات بين مكوناته زخما متنوعا من البنى التركيبية سواء كان على مستوى الجملة أو على مستوى أوسع منها، ونعني بذلك النص وعلى "هذا الأساس تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص"[1]، وإذا كانت العلاقة الإحالية بين العنصر الإحالي والمفسّر قائمة في داخل النّص أو خارجه لا محالة، فإنّ البنية النّصّيّة تتحكّم في تموضع العنصر الإحالي، فقد تقرب المسافة بين العنصر الإحالي والمفسّر، وتسمّى في هذه الحالة إحالة ذات المدى القريب، أو إحالة قريبة، وقد تتّسع المسافة بينهما وتبعد، وتسمّى في هذه الحالة، إحالة ذات المدى البعيد، ويمكن القول بأنّ الإحالة البعيدة هي تقوية العناصر اللغوية على أداء وظيفتها اللغوية، حيث تعود إلى الظهور بعدما يشعر المتلقي بأنّ الفجوة الإتّساقية بدأت تتسع وبدأ الترابط بين أجزاء النص يتشتت، عندئذ يقوم النص باستحضار عنصر لغوي أو معجمي لإحياء المحال إليه من جديد في النص، وبعث الروح النصيّة فيه ليستمر في أداء مهمته داخل النص وبين العناصر اللغوية التي يتآخى معها في سياق معيّن وهذه الوظيفة الإحالية التي يقوم بها العنصر اللغوي يشترط فيها القوّة الأدائية في تحصيل إتّساق النص لأنّها تحيل إلى مذكور بعيد في النّص، بعكس ما تقوم به الإحالة القريبة فمهمتها تنحصر أمامها في التراكيب اللغوية، وقد تكون في نفس الجملة أو الآية، أما البعيدة فقد تمتد إلى بدايات النصوص، وبذلك يكون الحبل اللغوي الرابطيّ طويل المدى وموقع المحال إليه قد يختفي عن المتلقي من تلك الصفحة وتحول بينه وبين المحال صفحات.

وتنقسم الإحالة باعتماد معيار المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسّره إلى نوعين:

[1]– نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 121.

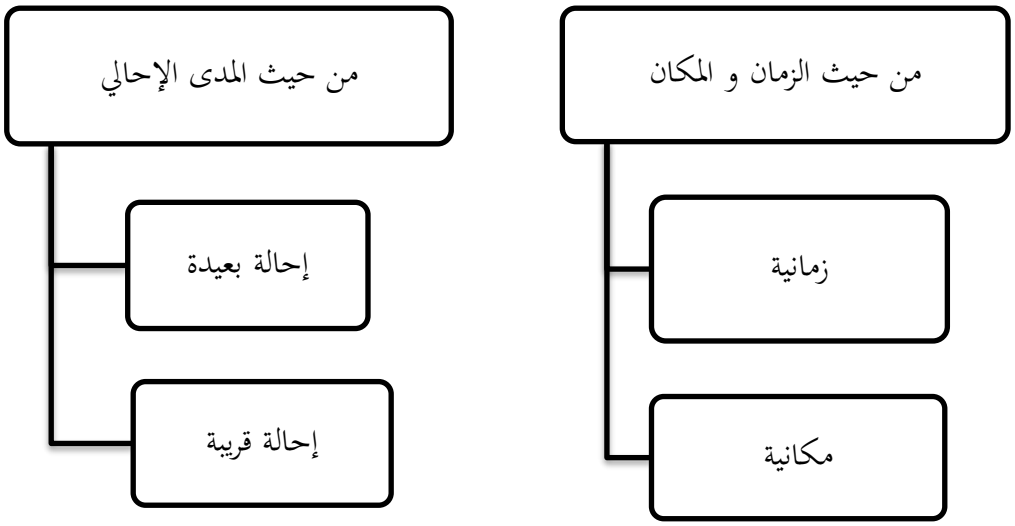

رسم توضيحي(1) لتقسيمات الإحالة حسب الزمان والمكان– والمدى الإحالي.

أ– الإحالة القريبة:

"و هي التي يكون عنصراها المحال والمحال عليه موجودين داخل الجملة الواحدة كقولك: الطّفل علّمه أبوه، فالضّمير الهاء الموجود في قولك (علّمه) وقولك (أبوه) يعودان على الطّفل الذي هو لفظ سابق وبها تكون هذه الإحالة إحالة قبلية، لأنّ المرجع كان سابقا، ولأنّهما كانا موجودين في جملة واحدة فإنّ الإحالة قريبة"[1] وتجري الإحالة من هذا النّوع "في مستوى الجملة الواحدة حيث لا توجد فواصل تركيبية (BARRIERES) جملية"[2]. فالتّحليل النّصي يعتمد أساسا على التّماسك في تحقيق النّصّيّة كما يهتمّ بالعلاقات بين أجزاء الجملة الواحدة.مثل: عبارة (الشاروني) التي يقول فيها: "لم ينتبه حمدان إلى مشاركة ناقته له" فالضّميران في (ناقته– له) في الجملة التي تحتوي على المحال إليه (حمدان) فسمّيت الإحالة بذلك (ذات المدى القريب)"[3]، وبالتّالي فإنّ قرب العلاقة بين العنصر الإحالي والمفسّر توحي بقوّة الربط والتّماسك بين هذه العناصر، ومنه يستمد الإتِّساق النّصّي قوتّه أكثر فأكثر، لأنّه ينتقل من الجملة إلى النص ككل متكامل. ومثالنا في ذلك قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)**﴾(البقرة:55). فالضمير (كاف الخطاب) في قوله (لك) يحيل إلى ملفوظ قريب وهو سيدنا موسى عليه السلام. وهكذا كان الإتّساق قريبا في النص، ويساهم هذا النوع من الإحالات في نسج وفتل خيوط ترابطية بسيطة وقصيرة تتجّه نحو

[1]– مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، صبري إبراهيم السيد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1432هـ/2011م، ص: 301.

[2]– نسيج النّص،الأزهر زناد ص: 123.

[3]– نحو النّص اتجاه جديد في الدرس النّحوي، أحمد عفيفي، ص: 120.

اليمين ونحو الشمال حتى يحتبك النص في حلقات لغوية تزيدها خيوط أخرى أطول منها من حيث المدى لتربط النص مرة أخرى. وهكذا تزداد الإحالات في الإمتداد إلى أن تصل إلى أبعد نقطة إحالية يمكن الوصول إليها في النص. وفي قوله تعالى: ﴿**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58)** ﴾ (الأنبياء 57-58).وهنا تستوقفنا مرجعية الضمير في (إليه) فالمرجع القريب الذي يحيل إليه الضمير هو (كبير الأصنام) الذي تركه إبراهيم -عليه السلام- فتكون عودتهم إليه لمقصد إبراهيم -عليه السلام- بأن يسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صغار الآلهة يقول الطاهر بن عاشور" "الضميران البارزان في (جعلهم) وفي (لهم) عائدان إلى الأصنام بتنزيلها منزلة العاقل، وضمير (لعلهم) عائد إلى قوم إبراهيم ،والقرينة تصرف الضمائر المتماثلة إلى مصارفها مثل ضميري الجمع في قوله تعالى (وعمروها أكثر مما عمروها) "[1].

ونحو قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43)**﴾ (يوسف: 43) فضمير المتكلم (الياء) في قوله تعالى" (أفتوني في رؤياي) يحيل على عنصر إشاري داخل الآية وهو (الملك) وضمن مقطع يتحدّث عن قصّة يوسف والملك، فهذه الإحالة النّصّيّة قريبة جاءت داخل الجملة النّصّيّة وفي المقطع النّصي الواحد الذي يتحدث عن قصة يوسف وإخوته.

ب- الإحالة البعيدة:

"وهي الإحالة التي يكون العنصر المحال إليه في غير الجملة التي ينتمي إليها العنصر المحال، وتكون درجة التّباعد بقدر بعد العنصرين بعضهما عن بعض"[2] أو أكثر. ويكون المدى بعيدا بين عنصري الإحالة (العنصر الإحالي ومفسّره)، وهنا تكون الإحالة ذات المدى البعيد، "و تكون بين الجمل المتّصلة أو الجمل المتباعدة في فضاء النص والإحالة في هذا النّوع لا تتمّ في الجملة الأولى الأصلية"[3]، أين يكتمل البناء النصي فتتشكل الصورة العامة له من حيث ترابط أجزائه، وتتبدّى العملية الإتّساقية متلاحمة بين عناصر الجملة الواحدة تارة وبين سائر الجمل المتواجدة في النص" فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي، ولكن الواحد منها متصل بما يناسبه أشد الإتصال من حيث الدلالة والمعنى، فالإحالة عامل (OPERATEURE) يحكم النص كاملا في توازي مع العامل التركيبي والعامل الزمني"[4].

---

[1] – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج98/18.

[2]– مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، صبري إبراهيم السيد، ص: 301.

[3]– نحو النص اتجاه جديد في الدرس النّحوي، أحمد عفيفي، ص: 120.

[4]– المرجع نفسه، ص: 124.

"وهي تتجاوز الفواصل أو الحدود التّركيبية القائمة بين الجمل"[1]، ويقصد بهذا أن يتقدّم أحد العنصرين ويتخلّف الآخر بقدر يكاد يُنسى فيه. وهنا تلعب ذاكرة المتلقي دورا فعّالا في استحضار العلاقة بين العنصر الإحالي ومفسّره، حتّى تظهر نصّيّة النّص وتشكل الإحالة "جزءا من الأشكال يتضمّنها المحتوى النّصّي في النّظام اللّغوي. إنّه الوسائل التي تترابط بها العناصر بنيويا الواحدة تلوى الأخرى، معتمدا كلّ واحد منها على الآخر في عملية التّوضيح والتّفسير"[2].

غير أن ضبط الإحالة القريبة والبعيدة في إطار النّص الواحد، وعدم توسيعتهما في أنماط بعض النّصوص كالفصول المسرحية والقصصيّة، قد يخلق قطيعة مرجعية بين العنصر الإحالي ومفسّره، ويضطر المتلقي إلى العودة إلى النص المهضوم والبحث عن مرجعية العنصر الإحالي بعناء، ومن النّقطة التي يتواجد فيها لذلك يغيب على مثل هذه الأنماط عدم تكرار العنصر الإحالي بملفوظه الشّخصي، أو بمعجميته، حتّى يتسنّى للمتلقي تذكر المرجع الصّريح بين الفينة والأخرى. وحتّى يربط بين السّابق من النّص واللاّحق منه.

وفي القرآن الكريم، نجد الإحالات متبادلة بين الآيات في السّورة الواحدة، وتمتد إلى أبعد من ذلك فقد تكون بين بداية السّورة، وآخرها. والعكس صحيح. وهذا النّوع من الإحالة يندرج ضمن إحالات النّص الواحد. وقد أثبتت الدّراسات اللغوية أنّ القرآن الكريم نصّ واحد تتبادل فيه الإحالات بين السّور مشكلة بذلك إتّساقا أوسع من إتّساق الآيات في السّورة الواحدة، بل وقد تمتد إلى السّورة التي بعدها، لتشرحا، وذلك لوجود تناسب بينهما، ويساهم المتلقي بشكل كبير في اكتشاف علاقة التّحاول ووجه المناسبة بين السورتين، بل وبين كلّ السّور، ليصل في الأخير إلى الحكم على نصيّة القرآن، وكأنّه نص واحد وضع إحالاته البعيدة التي تتبادلها السّور سبحانه وتعالى بإحكام.ومن أمثلة هذا النوع من الإحالة قوله تعالى في أواخر سورة البقرة: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)** ﴾(البقرة:285). حيث تحيل عبارة مثل (ما أنزل إليه) إلى الكتاب الذي ذكر في بداية السورة (ذلك الكتاب لا ريب) وهذه الإحالة ممتد من آواخر سورة البقرة إلى بدايتها. و يمثل هذا النوع من الإحالة أتّساق على المدى البعيد وهو بمثابة الخيط الرئيسي الذي تمشي عليه أنظمة اللغة في السورة، وهو من أهم أنواع الإحالة لما يحققه من ربط مستمر يمتد حتّى نهاية السورة.

وخلاصة القول أنّ مهمة الإحالة بمختلف أنواعها تكمن في اتّساق النص، وفي الأثر الذي تتركه على النص والمتلقي، فأمّا الأول فإنّها تجعله يظهر كتلة واحدة مبنية بقالب واحد، تنصهر فيه المواضيع المختلفة والأخبار والقصص تحت عنوان واحد تنفرد به السورة القرآنية عن النصوص التي ينتجها البشر، وتكون العلاقة

[1]– نسيج النص، الأزهر الزنّاد، ص: 124.

[2]– See:,Cohesion In English Halliday.M.A.k. and R Hassan.,p: 27–28.

بين البناء اللغوي المتّسق في النص علاقة متفرّعة في كلّ الجهات ومن مختلف الأماكن، يحشرها عنوان واحد يؤاخي بين مواضيع النص، وهذا ما نلاحظه متحققا في سورة البقرة، حيث اتسق نص السورة وتوحّدت بنيته اللغوية والمعنوية تحت اسم سورة البقرة، وساهمت العناصر اللغوية بمختلف أشكالها وأنواعها في تطريز نسيجه اللغوي، فأحكمته إحكاما منقطع النظير، ولا نجده إلاّ في معالي وسمّو النص القرآني المنظم والمتّسق.

وأمّا الأثر الذي يخرج به المتلقي لا ينفلت عن الإنبهار والتعجب من هذا الإعجاز اللغوي الذي بنيت به السّورة، فاللغة الراقية والألفاظ التي اختيرت بدّقة وعناية والأسلوب الذي أفصح عن بيان الآيات والمعاني والطريقة التي رصّفت بها، والنظام المعجز الذي أنزلت به السورة، وطريقة العمل الإحالي بين العناصر اللغوية والمعجمية؛ كلها تترك الأثر على نفسية المتلقي وثقافته ومعرفته وعقيدته، فكما يزداد النص نموّا تزاداد معه الألفاظ وتزداد معها الروابط وتكثر الوظائف الإحالية للعناصر اللغوية، ويزداد النص سبكا ومتانة، وتقوى بنيته العامة، وتتشكل السورة في صورتها النهائية، وتنتهي بخاتمة لبدايتها، وتحاصَر المعاني بهذا السيّاج اللغوي المتين، عندئذ يدرك المتلقي ما هو الأثر الذي تركته السورة فيه، والتحدي الموجود فيها، والإعجاز المعجز الذي أخرس ألسنة البلغاء والنحويين، والرسالة التي جمعت مقاصدها، وأنّ هذه السورة هي اللغة وهي العقيدة وهي الشريعة، وهي المجتمع وهي الإنسان، وهي الأخلاق والمعاملات وهي كل شيء...إلخ، هنا سيكون لها الأثر الكلي الذي يبدأ من إتّساق الألفاظ وينتهي إلى فهم المقاصد ومعرف والإحالات والتأويلات.

ح- صوّر الإحالة:

لكل لغة من لغات العالم عناصر لغوية معيّنة يستعملها أصحابها تجنبا للتكرار واقتصادا في الكلام تتمثل في الإحالة. وهذا ما استدلّ به هاليداي ورقية حسن في كتابهما بالنسبة لّلغة الإنجليزية، وقد وجدا الباحثان بأنّه توجد عناصر لغوّية في الإنجليزية تساهم في التّكوين الكلّي والموسع للإحالة التي تجعل النّص متماسكا "تتفرّع وسائل التّماسك الإحالية إلى الضّمائر وأسماء الإشارة والموصول وأدوات المقارنة مثل التّشبيه وكلمات المقارنة مثل: أكثر، أقل...الخ..."[1] ومن ثم يمكن تحديد أنماط الإحالة كما يلي:

1- الإحالة الشّخصية (PERSONAL REFERENCE):

وتسمى كذلك بـ (PERSONAL PRONOUNS)[2]. وهي أكثر الكلمات شيوعا مثل الضمائر الشّخصية وضمائر الملكية"[3]. "وهي عناصر تحفز المتلقي على البحث في مكان آخر عن معناها،

[1]- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص: 118.

- See, Text and Discourse analysis, Raphael Salkie.p: 66.[2]

- Cohesion In English.Halliday.M.A.k. and R. Hassan, ,p: 37.[3]

ومتى كان الشيء المحال إليه داخل النّص فإنّ تلك الأدوات تلعب دورا أساسيا في تحقيق الماسك النّصّي"[1] وهي:

2- الإحالة الممتدة (EXTENDED REFERENCE):

ويستخدم لها في الإنجليزية العنصر (IT) للإشارة إلى عمليّة كاملة، أو واقعة معقّدة، "فالمرجع ليس شخصا أو شخصيا أو شيئا إنّما هو عملية أو تتابع من العمليات، وليس إشارة اسمية فقط"[2] وتختلف كلمة (IT) عن باقي الضّمائر فهي تحيل على شخص معيّن أو شيء مادي فحسب إذ ما تشغر لغويا "كمشارك" اسم أو عبارة اسمية بل يمكنها أن تحيل أيضا إلى مقطع نصّي محدّد، وهذا ما يضمّ فعلا ظاهرتين مميّزتين إلى حدّ ما."[3]، لذلك فإنّ إحالة الضمير (IT) على المتتابعات الواردة في النّص يخضع لنظام لغوي سبقه لأنّه يحيل إلى الجملة التي سبقته في الترتيب أو إلى مجموعة من الجمل التي تترجم الموقف، ومن هنا توصف اللّغة بأنّها نظام، فبنية النّص "توضّح العناصر (أو أقسام العناصر) وعلاقات تنظيمها وورودها بعضها مع البعض الآخر. ويتبيّن من التّرتيب الأفقي للعناصر اللّغوية في المنطوقات العلاقة النّحويّة (الأفقية) لأوجه انتظام للعناصر اللّغويّة في النّص بوصفها العلاقة المهمّة الأولى.يبحث المرء في أي محيط ومع أيّ عناصر أخرى يمكن للعناصر اللّغوية أن ترد"[4]. ومقابله في اللغة العربية اسم الإشارة هذا التي لا تعني (THIS) وإنّما تلك التي تعني وتقارب معنى (إنّه) المركبة من (إنّ) وضمير الهاء المتصل بها الذي كثيرا ما يحيل إلى شخص أو متتابعات من الجمل أو نص، فيحدث الإتّساق هنا بواسطة هذا العنصر إحالي الممتد إلى نقطة بعيدة.

ونذكر منها قوله في سورة البقرة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)** ﴾(البقرة:26).قال البغوي في تفسيره للضمير"﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ﴾، أَيْ: لَا يَتْرُكُ وَلَا يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ ﴿ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾؛ أي: يَذْكُرُ شَبَهًا، ﴿ مَا بَعُوضَةً ﴾، مَا: صلة، أي: مثلًا بالبعوضة، وبعوضة: نَصْبُ بَدَلٍ عَنِ الْمَثَلِ، وَالْبَعُوضُ صغار البق، سمّيت بعوضة لأنها بَعْضُ الْبَقِّ، ﴿ فَما فَوْقَها ﴾، يَعْنِي: الذُّبَابَ وَالْعَنْكَبُوتَ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَيْ: فَمَا دُونَهَا، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ جَاهِلٌ، فَيُقَالُ: وَفَوْقَ ذَلِكَ، أَيْ: وَأَجْهَلُ، ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ :بِمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ، ﴿ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ﴾، يَعْنِي: الْمَثَلُ هُوَ

---

[1]- الإحالة بالضمائر ودوروها في تحقيق الترابط في النص القرآني، نائل إسماعيل، ص: 1067-1086.

[2]- Cohesion In English. M.A.k. Halliday. and R. Hassan,p: 52.

[3]- الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب Cohesion In English ، شريفة بلحوت، ص: 151.

[4]- المدخل إلى علم اللغة، كارل ديتر بونتنج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1431هـ/2010م، ص: 58.59

﴿ الْحَقُّ ﴾ :الصِّدْقُ مِنْ رَبِّهِمْ، ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا ﴾؛ أَيْ: بِهَذَا الْمَثَلِ، فَلَمَّا حَذَفَ الألف واللام نصب عَلَى الْحَالِ وَالْقَطْعِ، ثُمَّ أَجَابَهُمْ فقال :﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ﴾ من الكفار، وذلك أنهم يكذبون فَيَزْدَادُونَ ضَلَالًا، ﴿ وَيَهْدِي بِهِ ﴾، أَيْ: بهذا المثل كَثِيرًا من الْمُؤْمِنِينَ فَيُصَدِّقُونَهُ، وَالْإِضْلَالُ هُوَ الصَّرْفُ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَقِيلَ: هُوَ الْهَلَاكُ، يُقَالُ: ضَلَّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ إِذَا هَلَكَ، ﴿ وَما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ ﴾: الْكَافِرِينَ، وَأَصْلُ الْفِسْقِ: الْخُرُوجُ، يُقَالُ: فَسَقَتِ الرطبة إذا خرجت عن قِشْرِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ (الْكَهْفِ: 50) .[1] فالهاء في قوله (أنّه الحق) تعود على المثل، الذي يحيلك على جملة الأمثال التي سيقت قبل ذلك، وبالتالي فإنّ الإحالة هنا هي إحالة على الأمثال التي سبقت في الآيات الثلاثة، وهي تمتد إلى غاية المثل الأوّل، قال الطبيري:" حَدَّثَنِي بِهِ مُوسَى بْن هَارُونَ , قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرو بْن حَمَّاد , قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاط , عَنْ السُّدِّيّ فِي خَبَر ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِك , وَعَنْ أَبِي صَالِح , عَنْ ابْن عَبَّاس , وَعَنْ مُرَّة , عَنْ ابْن مَسْعُود , وَعَنْ نَاس مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَمَا ضَرَبَ اللَّه هَذَيْنِ الْمَثَلَيْنِ لِلْمُنَافِقِينَ , يَعْنِي قَوْله: ﴿ مَثَلهمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ وَقَوْله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاء ﴾ الْآيَات الثَّلَاث , قَالَ الْمُنَافِقُونَ : اللَّه أَعَلَى وَأَجَلّ مِنْ أَنْ يَضْرِب هَذِهِ الْأَمْثَال . فَأَنْزَلَ اللَّه ﴿إِنَّ اللَّه لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِب مَثَلًا مَا بَعُوضَة ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿ أُولَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ "[2].

ويؤدي هذا العنصر الإحالي البسيط دورا كبيرا في الرّبط بين أجزاء النّص الواحد من خلال الإحالة إلى عمليّة تتابع بين الجمل التي يشير إليها أو إلى المقطع النّصّي.

3- الإحالة إلى نص كامل (TEXT REFERENCE):

ننبّه هنا إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها بعض المترجمين في ترجمة هذا المصطلح، ومنهم من ترجمه بالإحالة النصيّة، لكن هذا المصطلح سبق وأن أشرنا إليه، بحيث يقصد به الإحالة الداخلية في النص، وهو مصطلح عام يشمل كلّ أنواع الإحالة في الوسط اللغوي للنص، وما نعنيه هنا هو مصطلح خاص يندرج تحت الإحالة النّصية، أي هو نوع من أنواع الإحالة النصية، وهذا النوع من الإحالة لا يحيل إلى كلمة مفردة، وإنّما يحيل إلى نصّ برمتّه، وهي بذلك تحيل المتلقي إلى نصّ كامل حيث يستحضر معناه ذهنا ويربط بينه وبين العنصر اللغوي الإحالي، وهو بهذه الوظيفة يجنّب المتلقي تكرار ما فاته (نص كامل)، وعملية استحضار المفاهيم والمعارف السابقة هي عملية ذهنية لا تكلّف المتلقي وقتا ولا جهدا، لأنه لو أعيدت مثل هذه

---

[1] – تفسير البغوي، معالم التنزيل، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، (ت 516هـ)، حقق وخرّج أحاديثه: محمد عبد الله نمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،الرياض، ط1، 1409هـ ،مج1/76-77.

[2]– تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (224هـ– 310هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط1، 1422هـ – 2001م، ج1/423.

النصوص في الخطاب الواحد لملّ المتلقي ذلك ونفر من النص. وتسمّيها مريم فرنسيس (1988) بالإحالة المطلقة (المتعالية على الإشارة) و"هي تنطبق على الحال التي يتناول فيها المتكلم موضوعا عامّا فيعالجه دون أن يربطه بزمان معيّن وكأنّه حقيقة دائمة أو حال ثابتة"[1]. وتكون مثل هذه النّصوص غير مرتبطة بزمان أو مسمّى يحيط بها، بحيث تتناسب مع أيّ زمان أو أي مكان تقال فيه، ومن ذلك الحكم والأمثال، التي تصحّ لأيّ مكان وزمان، لذلك فهي غير مقيّدة بزمان أو مكان، لأنّ إحالتها مطلقة، ويلاحظ "هذا بشكل عام في الأبحاث العلمية والنّظرية وفي الحكَم والأمثال، كقولنا: "الإنسان عدوّ ما يجهل" و"من وجد الإحسان قيدا تقيّدا"[2]. وفي القرآن تكثر في الفواصل القرآنية صفات الله المطلقة التي لا تتقّد لا بزمن ولا بمكان مثل قوله تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)** ﴾ (البقرة:37) فقد أحال الضميرين الهاء المتّصلة بأنّ و الضمير (هو) إلى اسمين من أسماء الله الحسنى التي يتّصف بها وهي صفات قارة وثابتة لا تتغيّر، فكلما سمعها المتلّقي إلاّ وأحالته إلى الله تعالى مباشرة.

كما "تشير إلى حقيقة فلا يدرك المرجع من خلال قيمته الاسمية"[3]. لأنّها تشير إلى حقيقة معرفيّة أو علميّة وبالتّالي فإنّ مثل هذه النّصوص تحيل إلى أشياء عرفانيّة (حقائق معرفيّة) يعرفها الإنسان، وليس في معيّن بالذّات. ومن ذلك اسم الإشارة (تلك) في قوله تعالى: ﴿**الر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1)**﴾ (يوسف: 01). إذ أحال اسم الإشارة (تلك) إلى جميع آيات الكتاب أي إلى كلّ (القرآن) في جميع سوّره وموضوعاته، "وقد تؤديها ألفاظ من قبيل (قصة، خبر، أي فعل)"[4].

4- الإحالة الخارجية العامّة (GENERAL EXOPHARIC REFERENCE):

لا يكاد أي نص يخلو من إحالة إلى خارج النّص، أي إلى السّياق ففيه تستعمل الضّمائر المستترة إلى الكاتب(أنا، نحن..) أو إلى القارئ (القرّاء) بالضّمائر(أنت، أنتم...) هذا بالنّسبة إلى "أدوار الكلام"[5] وأدواتها هي: (نحن، المرء، أنت، هم، هي) وتستخدم كإحالة خارجية عامّة عندما يكون المرجع متّصلا بسياق الموقف مثل: كيف حالنا اليوم؟ (من الطبيب إلى مريضه)"[6] والضّمير في (حالنا) يحيلك إلى خارج النّص وهو الطبيب المتكلم كما لو قلنا: ما هذا؟ لا نعرف المشار إليه إلاّ من خلال سياق الموقف وبعض الضّمائر مثل (أنا، نحن)

---

[1]- في بناء النص ودلالته.محاور الإحالة الكلامية،مريم فرنسيس، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، سوريا، 1988م،ص: 27.

[2]- المرجع نفسه، ص: 27.

[3]- Cohesion In English Halliday.M.A.k. and R. Hassan, ,p: 52. .

[4]- نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ص: 119.

[5]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 18.

[6]- ينظر: علم لغة النص، النظرية والتّطبيق، عزّة شبل محمد، ص: 124.

تعزّ أحيانا على تحديد المقصود"[1] وهذا حسب أدوار الكلام. ونذكر مثال هنا عن الإحالة العامّة التي أحالت إلى متكلّم خار النص، ويتمثل ذلك في دعاء سيدنا إبراهيم عند بنائه الكعبة المشرفة؛ قال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)** ﴾ (البقرة:127-129). حيث أحال ضمير المتكلم(نا) إلى سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وهذه إحالة عامة، ساهمت في تحديد المحال إليه الموجودين خارج النص، ويعرفان من خلال مرجعية الضمير (نا) إلى إبراهيم وإسماعيل في قوله تعالى :(**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا**).

وكذلك الضمير في (نحن) في قوله: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11)** ﴾(**البقرة:11**)، **فإنّه يحيل إلى المتكلمين وهم المنافقون، وعن ذلك يقول الطبري:**"إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** ﴾،نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنْ كَانَ مَعْنِيًّا بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَ بِمِثْلِ صِفَتِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[2]"**ثم يقول:**" حَدَّثَنِي بِهِ مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ:حَدَّثَنَا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** ﴾ ، هُمُ الْمُنَافِقُونَ . أَمَّا " لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ " فَإِنَّ الْفَسَادَ ، هُوَ الْكُفْرُ وَالْعَمَلُ بِالْمَعْصِيَةِ[3] .. .

وهكذا نرى أنّ الإتّساق بهذه العناصر اللغوية العامّة التي تحيل إلى خارج النّص لمعرفتها، ينطلق من النص إلى خارجه. تساهم بكيفية أخرى في صناعة الإتّساق العام للنص، إنّها تساهم عن طريق تبادل أدوار الكلام بين ما قيل للمنافقين، وبجوابهم"وفي جوابهم بقولهم (إنما نحن مصلحون) ما يفيد أن الذين قالوا لهم لا تفسدوا في الأرض كانوا جازمين بأنهم مفسدون"[4].

---

[1]– نحو النّص، اتجاه جديد في الدرس النّحوي، أحمد عفيفي، ص: **121**.

[2] – المرجع نفسه، ج**297/1**.

[3] – تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج**296/1**.

[4] – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج**284/1**.

5- الإحالة الإشارية (DEMONSTRATIVE REFERENCE):

وهي من وسائل الإتِّساق الدّاخلية، ويذهب الباحثان هاليداي ورقية حسن "إلى أنّ هناك إمكانيات لتصنيفها: إمّا حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا...) والمكان (هنا، هناك...) أو حسب الحياد (THE) أو الإنتقاء (هذا، هؤلاء...)، أو حسب البعد (ذاك، تلك...) والقرب(هذه، هذا..)"[1] ويعبّر عنها بـ"الأسماء الدّالة على الإشارة ويميّز داخلها بين ثنائيات:

- العناصر الدالة على قرب (THIS-THESE)
- والعناصر الدالة على البعد (THAT-THOSE)
- العناصر الدالة على المفرد (THIS-THAT)
- العناصر الدالة على الجمع (THESE-THOSE)
- العناصر الدالة على المكان (HERE-THERE)"[2]

وأضاف الباحثان هاليداي ورقية حسن إلى ما ذكره دي بوجراند العناصر الإحالية الدّالة على الزّمن (NOW-THEN)، وهي (الآن ، وبعد/ثم) وقد أشرنا إلى ذلك سابقا.

ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)** ﴾(البقرة:22) وقوله تعالى:﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)**﴾ (**البقرة:25**) **فلفظة هذا في قوله** (هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) وهو قول أهل الجنة المذكور في الآية (25) تحيلنا إلى الآية السابقة رقم (22)، وهو يحيل إلى الرزق الذي وهبهم الله إياه في الدنيا الموعود به أو بمثله في الجنّة ، وهذا الربط الإحالي ساهم في ربط الرزق والثمار في الجنة بما هو مثله في عالم الدنيا، "والضمير في قوله تعالى: به، عائد على الرزق، أي وأتوا بالرزق الذي هو من الثمار، كما أن هذا إشارة إليه. قال الزمخشري قال قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: وأتوا به ؟ قلت: إلى المرزوق في الدنيا والآخرة ؛ لأن قوله:﴿ **هذا الذي رزقنا من قبل** ﴾ انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين"[3]. وللتذكير فإنّ الخاصية التي تتميز بها هذه العناصر اللغوية، بما فيها أسماء الإشارة" تقوم بوظيفة الرّبط

---

[1] – ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 19.

[2]– Between text and context: Deixis anaphora and the meaning of Then: Deborah Schiffrin text10/3: 1990: pp245–270: p: 246.

[3]– تفسير البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي،ج187/1.

القبلي والبعدي، وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنّها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق من ثم تساهم في إتّساق النّص، فإنّ اسم الإشارة المفرد يتميّز بما يسميه المؤلفان "الإحالة الموّسعة" أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل"[1]، ويدخل هذا العنصر ضمن الإحالات المقطعية "التي تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسّر هو مقطع من ملفوظ (جملة أو نص أو مركب نحوي)"[2].ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)**﴾ (البقرة: 72-73).فقوله تعالى (ذلك) إشارة أو إحالة "إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة"[3] كما يقول صاحب الكشاف التي ذكرت في قوله تعالى من الآية 39 إلى 73 من سورة البقرة.

6- الإحالة بطريقة المقارنة (COMPARATIVE REFERENCE):

تقوم المقارنة على طرفين أساسيين هما المقارن والمقارن به، حيث تقوم العلاقة بينهما لتقوية طرف على طرف آخر، وهي من منظور الإتّساق"لا تختلف عن الضّمائر وأسماء الإشارة في كونها نصيّة، وبناءا عليه فهي تقوم، مثل الأنواع المتقدمة، لا محالة بوظيفة اتّساقية "[4] وهي تنقسم إلى نوعين:

أ- المقارنة العامّة (GENERAL COMPARISON):

وتقع بين محوري التشابه والاختلاف دون الأخذ في الاعتبار صفة معينة، فالمقارنة قد تأخذ شكل التطابق أو التشابه أو الاختلاف.

مثال1: إنّها نفس القطّة التي رأيناها أمس.

مثال2: إنها قطة مشابهة لـ (مختلفة عن) تلك التي رأيناها أمس[5]

وذلك مثل قوله تعالى:﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)**﴾ (البقرة:25)، فلفظة (متشابها) لفظة مقارنة عامّة أحدثت إتّساقا بين الرزقين كما أشرنا

---

[1]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 19.

[2]- العلاقات النّصية في لغة القرآن الكريم، أحمد عزّت يونس، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ/2014م، ص: 290.

[3]-تفسير الكشاف، أبو القاسم جار الله الزمخشري، 83.

[4]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص:19 .

[5]- علم لغة النص، النّظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص: 124.

سابقا.و" متشابها في مطلق اللون والجنس ليظن أنه متشابه في الطعم ، فيصير فضله في ذلك بالذوق نعمة أخرى والتشابه المراد هنا اشتراك في ظاهر الصورة ، والإتيان بأداة التكرار يدل على أن الشبه يزداد عظمة في كل مرة فيزداد العجب[1]. وهذا التشابه بين الرزق في الدنيا والرزق في الآخرة هو الذي ربط بين الآيتين، فأحدث بينهما اتّساقا بواسطة هذه الآدات المعجمية العامة .

ومن العناصر الإحالية العامة التي تستعمل للتطابق مثل (SAME...) والتشابه مثل (SIMILAR...) والإختلاف (OTHERWISE-OTHER..)[2].

ب- المقارنة الخاصّة (PARTICULAR COMPARISON):

وتعبر عن إمكانية المقارنة بين شيئين من حيث "الكمية تتم بعناصر مثل: (MORE) وكيفية (أجمل من، جميل مثل..)"[3] مثال: "إنّ الطالب المجتهد يسأل بطريقة منظمة مثل ذلك الباحث"[4] المخطط التالي يوضح ذلك:

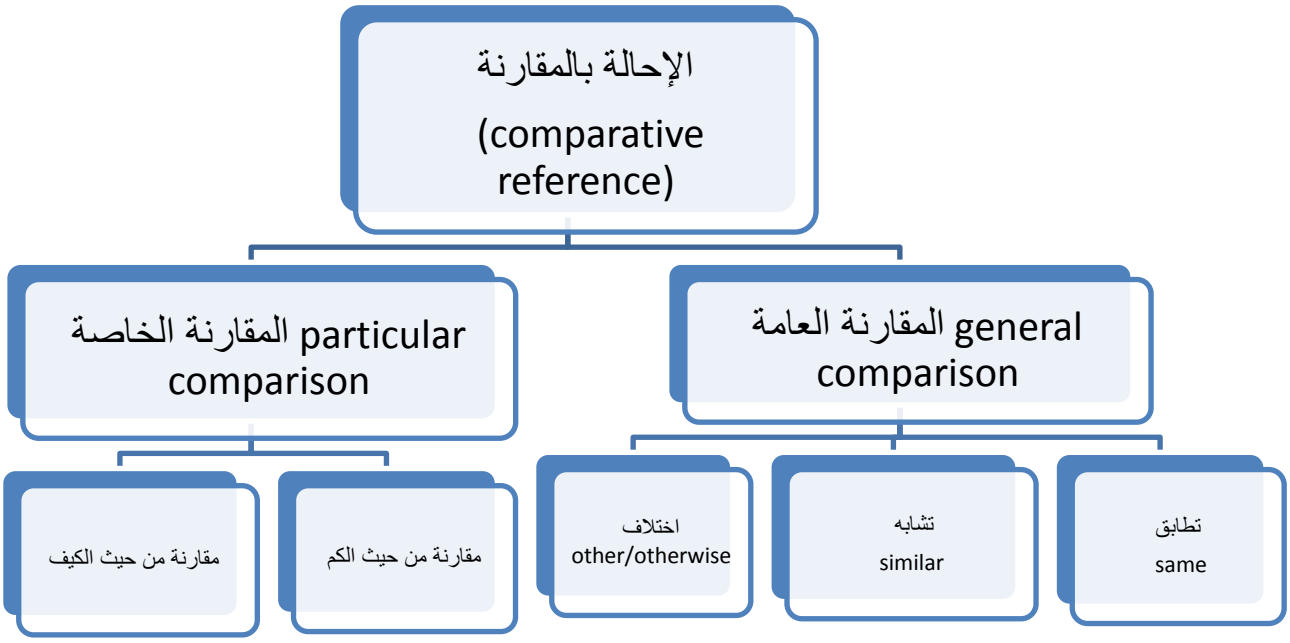

[1] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ،ج1/193.

[2]– ينظر، لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، محمد خطابي، ص19

[3]– المرجع نفسه، ص: 19.

[4] – ينظر، أثر الربط المعجمي في إتّساق النص القرآني، سورتا الرحمان والواقعة أنموذجا، دراسة لسانية وظيفية، عبد المالك العايب، جامعة سطيف الجزائر، 2013م/2014م، ص: 46.

"وتقوم المقارنة من ناحية الصدق الفني بربط أجزاء النص، فالمقارنة إذن تقوم بوظيفة إتساقية"[1]، واضحة المعالم، بين طرفين هما المقارن والمقارن به.

ط- العنصر الإحالي والعنصر الإشاري:

تشتمل اللّغة على نوعين من العناصر اللغوية المهمة، وهما اللذان يمثّلان قطبي الإحالة، وهما: العنصر الإشاري والعنصر الإحالي :

1- العنصر الإشاري (DEIXIS):

يعرّفه الأزهر الزنّاد بأنّه " كلّ مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره"[2]، فقد يكون لفظا دالاّ على حدث أو ذات، كإحالة ضمير المتكلّم (أنا) على ذات صاحبه، وحينئذ يرتبط العنصر الإحاليّ بعنصرٍ إشاريّ غير لغويّ ممثَّلاً بذات المتكلّم، أو موقع ما في الزّمان. تعتبر إحالة عنصر إحالي في النص على عنصر إشاري إحالة نصية إذ يبقى الإرتباط دالا على وحدة النص، فتباعد أجزاء النص الواحد لا يمنع من الإحالة النّصيّة (الدّاخلية) ولا يعطّل فاعلية أدواتها[3]، لأنّ العناصر اللّغوية التي تتواجد في نص ما تقوى فاعليتها عندما تتقاطع الإحالات وتتشابك مظهرة اتِّساق النص "فعالم الإشارة عادة ما يحدد بأنّه (خارج الكلام) أي العالم غير اللغوي الذي نطلق عليه السّياق(CONTEXT)، في حين أنّ عالم الإحالة يحدّد بأنّه (داخل الكلام) أي العالم اللّغوي الذي نطلق عليه النّص"TEXT"[4]، وهذا لا يعني أنّنا نفصل بين العالمين، فالإحالة موجودة في النّص وهو عالم اللغة الذي تتموقع فيه الكلمات والعناصر اللغوية، والعنصر الإشاري قد يحيلك إلى العالم المحسوس الواقعي، ويكون المشار إليه من الواقع، أو من عالم التّصورات أي الخيال، وهو عنصر افتراضي غير واقعي، فليس بالضرورة أن يكون المشار إليه من الواقع الذي نؤمن به فقط. فقد نتصادف مع نص فيه من الخيال ما لا نستطيع تجسيده في الواقع وتكون هنا الإشارة الأولية إحالة إلى خارج النص من العالم الافتراضي الذي يمدنا الخيال بصوّر له.

حاول الزنّاد أن يقدم تفسيرا واضحا للعناصر الإشارية، "وهي الكلام وحدات معجمية (أسماء مفردة وما يضارعها من المركبات) يمكن أن نطلق عليها مصطلح (العنصر الإشاري) (DEICTIC ELEMENT)

---

[1]- ينظر، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، دراسة نصية من خلال سورة يوسف، محمود سليمان حسين الهواوشة، ص: 117-118.

[2] - نسيج النص، الأزهر زناد، ص:114.

[3]-ينظر، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، محمود سليمان حسين الهواوشة، ص: 93-100.

[4]-Between Texte and Context.Deixis Anaphora.and The Meaning OF Then Deborah Scheffrin.Text (3) 10.1990.P. :245-246

وتشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة أوّلية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة، فيمثل العنصر الإشاري معلما (INDEX) لذاته، لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره"[1]، وينحصر دور هذه العناصر في تعين وتحديد المرجع المشار إليه من أجل ضبط المقام الإشاري (DEICTIC CONTEXT) مكانا وزمانا، ويعدّ الباحث (KARL BUHLER) (1934م)، ممّن اهتموا بالظّاهرة الإشارية، حيث صنف العناصر الإشارية إلى حقلين متمايزين وهما:

– الحقل الإشاري (DEICTIC FIELD):

و هو ما يعني عند علماء اللسانيات ارتباط العناصر الإشارية بالمقام دون توسط للعناصر الإحالية، حيث تحيل العناصر اللغوية إحالة مباشرة إلى العنصر الإشاري، فالكلمات (أنا/نحن) التي تشير إلى (المتكلم/ المخاطِب) و(أنت/ أنتما/ أنتم/....) (للسامع/ المخاطَب) المتلقي و(هنا وهناك) (للمكان) و(أمس/ الآن/ اليوم) (للزمان) تنتمي إلى الحقل الإشاري الواسع، وعلى هذا فالإشارة للشّخص مهما كان مركزه التخاطبي، تدرك من خلال الضّمائر الشّخصية التي يستعملها صاحب النص، والإشارة للمكان مهما كان موقعه، تدرك من خلال استخدام ضمائر الإشارة التي تحدده وظروف المكان التي تقيّده وتكون مصاحبة له عند وصفه، والإشارة للزمان تدرك من خلال ظروف الزمان كاستعمال ألفاظ من قبيل (الآن/بعد/قبل...) وتعدّ هذه العملية إحالة مباشرة. وهي تغني عن السؤال واستثارة الذّهن للبحث عن المشار إليه لأنّها أبسط أنواع الإحالات المعلومة المشار إليه. وتكمن وظيفة العنصر الإحالي في التوجيه إلى المشار إليه مباشرة من وسائط لغوية، لأنّه يوّجه توجيها مقصود المعلم (شخص–مكان–زمان)[2] وهو توجيه نحو العنصر المفسر الذي يخفف عنا عناء البحث عنه في المقام.من ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)** ﴾ (البقرة:71). فلفظة الآن تحيل مباشرة إلى زمن التكلم. وكذلك قوله: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)** ﴾ (البقرة:187).

---

[1]– نسيج النص، الأزهر الزنّاد، ص: **115–116**.

[1]– **Discoure Studies An Introductory Text Book. John Benjamins Publishing Company. Amzsterdam.Philadelphia.1993.P 76–79.: Jan renkema:**

[2] – ينظر، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص:**122**.

- الحقل الرمزي (SYMBOLIC FIELD):

ونعطي مثالا واضحا لذلك.فالكلمات مثل"(جميل-يجري-سطح...الخ) لها معنى محدّد لا يعتمد على المواقف"[1] فهذه الكلمات لا تحتاج إلى إحالة تشير إليها داخل النص، لأنّها عبارة عن مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره. مثل لفظة البقرة في سورة البقرة فإنّها لا تحتاج إلى ما يفسّرها، لأنّها تفسّر نفسها بنفسها،وإنّما رمزيتها الدلالية هي التي تحيل إلى قصة بقرة بني إسرائيل، فمرجع البقرة المذكورة في السورة ورمزيتها هو من تلك القصّة.لذلك تقوم الإحالة هنا بدورين وهما:

- الإحالة إلى البقرة الحيوان الموجود في عالم الواقع.

- الإحالة إلى البقرة الرمز وهي بقرة بني إسرائيل، وفيها عبرة القتل والإدّراء.

وهكذا يتوسع الدور الإحالي للفظة البقرة داخل النص، وخارج النص، حيث تقوم بالربط بين القصة الحقيقية التي وقعت زمن سيدنا موسى عليه السلام، وإعادة استحضارها للقص مع بداية الدعوة الإسلامية ونزول الوحي، وكأنّها تشير إلى أنّ هناك تشابه في الرسالات وتشابه في المعانديين، لذلك وجب التحذير من هؤلاء. خاصة اليهود منهم، والنصارى، وفئة المنافقين.

أصبح ذكر اسم البقرة تذكرة لسلوك بني إسرائيل، و أصبحت الأخبار التي جاءت في نص السورة عن اليهود وبني إسرائيل ذمًّا لهم، فكلما ذكر اسم سورة البقرة إلاّ واتجهت الأذهان إلى ما كان يقوم به بنو إسرائيل؛ وإذا ما فصلنا القصة عن هذا الحيوان أصبح ذكر اسم البقرة دالاّ على محال إليه خارج النص، أي في عالم الموجودات الحقيقية، فالبقرة حيوان معروف كغيره الحيوانات، لكن نص السورة و القصة التي وقعت لبني إسرائيل عندما طلبهم نبيهم موسى (عليه السلام) بذبح بقرة لمعرفة القتيل، تجاهلوا الأمر وأكثروا عليه من الأسئلة لتحديدها، وهنا يظهر عنادهم واستهزاءهم بالنبي عليه السلام، و ذكر هذا فيما يقرب ثلث السورة ،أين عرضت فيها أخطاء بني إسرائيل، وتسمية هذه السورة باسم الحيوان "إحياء لهذه المعجزة الباهرة وحتى تبقى قصة بني إسرائيل ومخالفتهم لأمر الله وجدالهم لرسولهم وعدم إيمانهم بالغيب وماديتهم وما أصابهم جرّاء ذلك تبقى حاضرة في أذهاننا، فلا نقع فيما وقعوا فيه من أخطاء أدت إلى غضب الله تعالى عليهم، وهذه القصة تأكيد على عدم إيمان بني إسرائيل بالغيب وهو مناسب ومرتبط بأوّل السّورة (الذين يومنون بالغيب) وهي من صفات المتقين، وفي قصّة البقرة أخطاء كثيرة لأنها نموذج من الذين أخطئوا وهي امتحان من الله تعالى لمدى إيماننا بالغيب"[2].

---

[1]- ينظر،المرجع نفسه، ص: 122.

[2] – ملتقى أهل التفسير، محاضرات تفسير سورة البقرة، جمع و إعداد، مفيدة محمد زكي البكر، أم أيمن، المحاضرة الأولى، 2012/04/21– 1433/05/30، :pm06:17 .

فالكلمة الرمز هنا هي (البقرة) تقابلها فكرة وهي قصّة بني إسرائيل مع القتيل والنبي موسى عليه السلام.فكلما ذكرت البقرة استحضرت القصة في الذهن، وما تشير إليه وهنا تكون العلاقة بين البقرة (الرمز) مباشرة مع الفكرة (القصة) أما العلاقة بين البقرة (الرمز) و المشار إليه وهو الشيء الموجود في عالم الواقع علاقة غير مباشرة، لأنّ هذه القصة لم تتحدث عن أي بقرة من هذا النوع من الحيوانات وإنما كانت بقرة متميزة عند بني إسرائيل فعملية الربط بينهما تتم عن طريق الفكرة وما يتصوره العقل.

الرمز عند أوقدن وريتشاردز OGDEN AND RICHARDS انطلاقا من مثلثهما الشهير"هو العنصر اللساني أي الكلمة المنطوقة المرتبة حروفها ترتيبا معيّنا، ويقع الرمز مقابل الفكرة أو المحتوى العقلي الذي يستحضره الذهن أو المدلول LE SIGNIFIE، من ناحية وفي مقابل المشار إليه، أي المرجع LE RÉFÉRENT من ناحية أخرى، وإذا كانت العلاقة بين الرمز والفكرة علاقة مباشرة فإنّ العلاقة بين الرمز والمشار إليه أو بين الرمز والشيء الموجود في عالم الواقع علاقة غير مباشرة، بمعنى أنّه لا صلة مباشرة بين الكلمة أو اللغة LE LANGAGE بصورة عامّة والحياة وتكون الصّلة عن طريق الفكرة أي عن طريق تصوّرات عقولنا"[1].

– مخطط توضيحي للحقل الإشاري و الحقل الرمزي لسورة البقرة

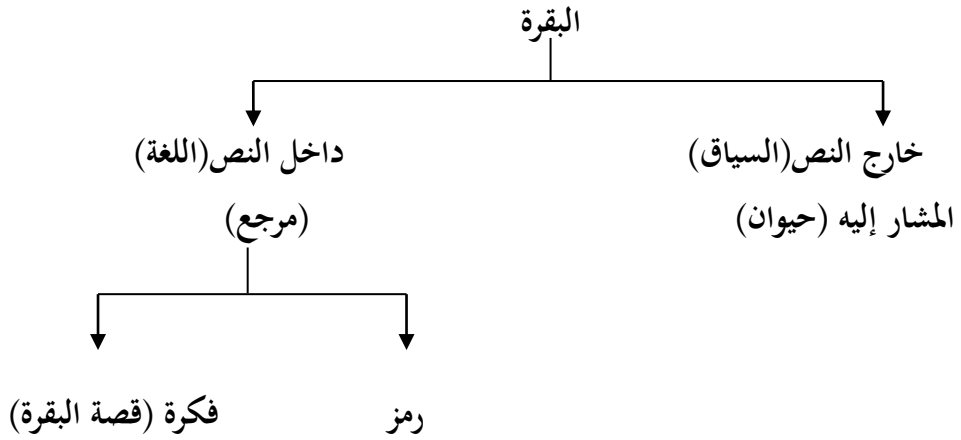

ومن هنا، يمكننا أن نقول أنّ العنصر الإشاري يعتبر مركزا لغويا ملفوظا يشار إليه بعدد من المكونات اللغوية والعناصر الإحالية، "بحيث يذكر مرّة أولى ثم يحال عليه بمضمر، أو بلفظه مرّة أو أكثر في غضون النص، فهو عامل، إذ يحكم مكوّنا أو عددا من المكوّنات لأنّه يفسّرها، والعنصر الإشاري مفرد دائما يرد رأس الوحدة

[1]– الكلمة في اللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، التفسير الفني، صفاقس، تونس، ط1، 2007م، ص: 16.

الإحالية التي يحكمها، والتي يمكن أن تتكوّن من عدد غير محدود من العناصر الإحالية"[1] وهذه أهم خاصية بارزة يتميّز بها العنصر الإشاري، وكأنّه عبارة عن نواة تحيط بها الكلمات، ويعود المتلقي إليه عند الاقتضاء لتفسير الكلام وفهمه، وأهمّ ما يمكن ملاحظته بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي هو الإتّفاق الحاصل بينهما تحت مبدأ واحد يحكمهما في معرفة المرجع المتوقف على معرفة سياق الحال أو الأحداث والموقف.

ويدخل ضمن العناصر الإشارية المرجع الإشاري وهو عنصر أو أكثر، ويعمل داخل النّص بفاعليته، تعود إليه أكثر العناصر الإحالية في النّص أو الموضوع النصي[2].و هذا ما دلّ عليه كتاب (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر، عندما قال بأنّ الإشارة هي"أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بإيماء إليها، أو لمحة تدل عليها"[3]، وهذا ما يؤكد التّقارب المفهومي بين معنى الإشارة في الإستعمال النّصّي الغربي والإستعمال النّصّي العربي، لأنّهما يحتويان على ما قاله ابن منظور في لسان العرب عن الإشارة فهي عنده: "الإيماء، وأشار إليه باليد أومأ، وأشار الرجل إشارة، إذا أومأ بيديه، وأشرت إليه: لوّحت إليه."[4]

ونذكر بعض الآيات التي تجسّد هذا النوع من الإحالة في قوله تعالى من سورة البقرة:

1- قال تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)**﴾ "وقوله أولئك إشارة إلى الذين يكتمون ما أنزل، توسّط اسم الإشارة بين اسم إن وخبرها للتنبيه على أن الحكم الوارد بعد ذلك قد صاروا أحرياء به لأجل تلك الصفات التي ذكرت قبله بحيث إن تلك الصفات جعلتهم كالمشاهدين للسامع فأشير إليهم وهو في الحقيقة إشارة إلى أوصافهم ، فمن أجل ذلك أفادت الإشارة التنبيه على أن تلك الأوصاف هي سبب الحكم وهو إيماء للعلة على حد أولئك على هدى من ربهم . واختير اسم إشارة البعيد ليكون أبعث للسامع على التأمل منهم والالتفات إليهم أو لأن اسم الإشارة بهذه الصيغة هو الأكثر استعمالا في كلامهم . وقد اجتمع في الآية إيماءات إلى وجه ترتب اللعن على الكتمان، وهما الإيماء بالموصول إلى وجه بناء الخبر أي علته وسببه، والإيماء باسم الإشارة للتنبيه على أحرويتهم بذلك، فكان تأكيد الإيماء إلى التعليل قائما مقام التنصيص على العلة"[5] . و الضمير(أنا) يشير إلى الله سبحانه وتعالى، وهذه إشارة إلى الذّات الإلاهية وهي موجودة خارج النص.

---

[1]– نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 128.

[2]–ينظر، المرجع نفسه، ص:116.

[3]– نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، دت، ص: 154–155.

4 – ينظر: لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، مج8 /160.

[5] – ينظر،تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج67/2.

2- وقوله تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)**﴾ الضمير (أنا) يشير إلى الذي حاجّ إبراهيم وهو الملك النمرود[1] وهو عنصر إشاري غير لغوي موجود خارج النص. "والذي حاج إبراهيم كافر لا محالة لقوله: فبهت الذي كفر "[2]." والضمير المضاف إليه (رب) عائد إلى إبراهيم، والإضافة لتشريف المضاف إليه، ويجوز عوده إلى (الذي) والإضافة لإظهار غلطه"[3]. وكلها إحالات خارجية إلى ذوات إنسية وهي: سيدنا إبراهيم عليه السلام والملك النمرود لعنه الله.

3- وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)** ﴾"أوثرت الجملة الإسمية في قوله (ونحن نسبح) لإفادة الدلالة على الدوام والثبات أي هو وصفهم الملازم لجبلتهم ، وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي دون حرف النفي يحتمل أن يكون للتخصيص بحاصل ما دلت عليه الجملة الإسمية من الدوام أي نحن الدائمون على التسبيح والتقديس دون هذا المخلوق، والأظهر أن التقديم لمجرد التقوى نحو : هو يعطي الجزيل" [4]. الضمير (نحن) يشير إلى الملائكة وهي مخلوقات خارج النص في العالم الغيبي.

4-وقال أيضا: ﴿**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)** ﴾ فالضمير(نحن) يشير إلى أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام، وهذا حسب ما جاء في السياق، والقرينة موجودة في النص وهي(بنيه) والآيات التي سبقت.

- وقال أيضا: ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا**

---

[1] – وقد قيل : إنه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن كوش بن حام بن نوح، فيكون أخا (رعو) جد إبراهيم ، والذي يعتمد أنه ملك جبار، كان ملكا في بابل، وأنه الذي بنى مدينة بابل ، وبنى الصرح الذي في بابل ، واسمه نمرود، بالدال المهملة في آخره، ويقال بالذال المعجمة، ولم تتعرض كتب اليهود لهذه القصة وهي في المرويات. ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج32/3.

[2] – المرجع نفسه، ج32/3.

[3] – المرجع نفسه، ج32/3.

[4] –المرجع نفسه، ج406/1.

قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) ﴾."وجيء في قوله (نعبد إلهك) معرفا بالإضافة دون الاسم العلم بأن يقول (نعبد الله) لأن إضافة إله إلى ضمير يعقوب وإلى آبائه تفيد جميع الصفات التي كان يعقوب وآباؤه يصفون الله بها فيما لقنه منذ نشأتهم، ولأنهم كانوا سكنوا أرض كنعان وفلسطين مختلطين ومصاهرين لأمم تعبد الأصنام من كنعانيين وفلسطينيين وحثيين وأراميين ثم كان موت يعقوب في أرض الفراعنة وكانوا يعبدون آلهة أخرى"[1] "وقوله (ونحن له مسلمون) جملة في موضع الحال من ضمير "نعبد" أو معطوفة على جملة " نعبد "،جيء بها اسمية لإفادة ثبات الوصف لهم ودوامه بعد أن أفيد بالجملة الفعلية المعطوفة عليها معنى التجدد والاستمرار "[2] .

5- وقال أيضا: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ[3] مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)** ﴾. فقولهم " ونحن أحق بالملك " جملة حالية، والضمير من المتكلمين ، وهم قادة بني إسرائيل وجعلوا الجملة حالا للدلالة على أنهم لما ذكروا أحقيتهم بالملك لم يحتاجوا إلى الاستدلال على ذلك ; لأن هذا الأمر عندهم مسلم معروف، إذ هم قادة وعرفاء، وشاول رجل من

---

[1] – المرجع نفسه، ج1/733.

[2] – المرجع نفسه، ج1/734.

[3] – وهذا الملك هو الذي سمي في الآية (طالوت) وهو (شاول) وطالوت لقبه ، وهو وزن اسم مصدر : من الطول ، على وزن فعلوت مثل جبروت وملكوت ورهبوت ورغبوت ورحموت ، ومنه طاغوت أصله طغيوت فوقع فيه قلب مكاني ، وطالوت وصف به للمبالغة في طول قامته، ولعله جعل لقبا له في القرآن للإشارة إلى الصفة التي عرف بها لصمويل ، في الوحي الذي أوحى الله إليه ، كما تقدم ، ولمراعاة التنظير بينه وبين جالوت غريمه في الحرب، أو كان ذلك لقبا له في قومه قبل أن يؤتى الملك ، وإنما يلقب بأمثال هذا اللقب ، من كان من العموم . ووزن فعلوت وزن نادر في العربية ولعله من بقايا العربية القديمة السامية ، وهذا هو الذي يؤذن به منعه من الصرف ، فإن منعه من الصرف لا علة له إلا العلمية والعجمة ، وجزم الراغب بأنه اسم عجمي ولم يذكر في كتب اللغة لذلك ولعله عومل معاملة الاسم العجمي لما جعل علما على هذا العجمي في العربية ، فعجمته عارضة وليس هو عجميا بالأصالة ، لأنه لم يعرف هذا الاسم في لغة العبرانيين كداود وشاول ، ويجوز أن يكون منعه من الصرف لمصيره بالإبدال إلى شبه وزن فاعول، ووزن فاعول في الأعلام عجمي ، مثل هاروت وماروت وشاول وداود ، ولذلك منعوا قابوس من الصرف ، ولم يعتدوا باشتقاقه من القبس ، وكأن عدول القرآن عن ذكره باسمه شاول لثقل هذا اللفظ وخفة طالوت.ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج1/491..492.

السوقة، فهذا تسجيل منهم بأرجحيتهم عليه ، وقوله ولم يؤت سعة من المال معطوفة على جملة الحال فهي حال ثانية . وهذا إبداء مانع فيه من ولايته الملك في نظرهم، وهو أنه فقير، وشأن الملك أن يكون ذا مال ليكفي نوائب الأمة فينفق المال في العدد، والعطاء، وإغاثة الملهوف فكيف يستطيع من ليس بذي مال أن يكون ملكا، وإنما قالوا هذا لقصورهم في معرفة سياسة الأمم ونظام الملك ; فإنهم رأوا الملوك المجاورين لهم في بذخة وسعة ، فظنوا ذلك من شروط الملك . [1]

-قال تعالى :﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)** ﴾،"وإن كان المشار إليه في وقت دعائه قرية بنى أناس حولها ونزلوا حذوها وهو الأظهر الذي يشعر به كلام الكشاف هنا وفي سورة إبراهيم كان دعاء للبلد بحصول الأمن له وأما حكاية دعوته في سورة إبراهيم بقوله اجعل هذا البلد آمنا فتلك دعوة له بعد أن صار بلدا. "[2] واسم الإشارة هنا يشير إلى البلد الذي كان فيه سيّدنا إبراهيم عليه السلام قبل البناء.

فكل هذه الإحالات هي إحالات إشارية إلى ذوات إنسانية معيّنة وأماكن محدّدة، وهذا ما يحقق إتّساق النص من الدّاخل إلى الخارج، لأنّ هذه الإحالات كانت دائما تحيل المتلقي من الآية أو الجملة غلى خارج النص ليعرف العنصر الإشاري في عالم الواقع، وهذا يساعده على فهم النصّ ومواصلة التلقي مع استمرارية البنية الخطية للنص، التي تمدّ المتلقي معلومات إضافية.

2- العنصر الإحالي (Anaphora):

يعرفه الأزهر الزنّاد بقوله: " العنصر الإحالي هو كلّ مكون يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسّره وهو يمثل أبسط عنصر في بنية النّص الإحالية" [3] ؛ وبذلك تكون العناصر الإحاليّة فارغة دلاليا، ممّا يجعل تفسيرها رهين بربطها بالعناصر الإشارية الّتي تعوّضها، ويذكر محمد خطّابي أنّ "العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل ؛ إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفّر كلّ لغة طبيعيّة على عناصر تملك خاصية الإحالة.[4] وترتكز الإحالة النّصية على العلاقات اللّغوية في النّص ذاته، وتكون بين ضمير

[1] -ينظر، نفسه،ج1/491.

[2] - المرجع نفسه، ج1/715.

[3] - نسيج النص، الأزهر زناد، ص:114.

[4] - لسانيا ت النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص:17.

وكلمة، أو بين كلمة وكلمة أو عبارة وكلمة...[1]، وهذا يعني من الأمثلة السابقة، أنّها العناصر اللغوية الإحالية التي لم تفهم إلاّ بالإحالة إلى عنصر آخر يفسّرها. ويمكن من خلال هذه العناصر الإحاليّة أن تتشكّل شبكةٌ من العلاقات الإحاليّة بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، وينتج عن هذا الإنسجام والإئتلاف بين الأجزاء المتقاربة والأجزاء المتباعدة بنية متداخلة معقّدة تشكّل الأحداث الاتّصاليّة الّتي تحدّد كمّ ورود صيغ الإحالة بوجه عام في النصوص[2]. وبهذه العناصر تتضح الرؤية الإحالية بين الأجزاء التي تشكل بنية النص، وما يشترط في العنصر الإحالي هو عودته على ما يفسّره، وإلاّ فسدت علاقة الربط بين المحال والمحال إليه.

ويطلق على هذا العنصر اللغوي أيضا مصطلح الصيغ الكنائية، أو الإحالة المتبادلة أو الإرجاعية، وهي عبارة عن "مجموع كلمات ليس لها معنى تام في ذاتها، ولتحديد معنى الإحالة المقصود يجب أن تحيل إلى كلمات أخرى.مثل(هو-نحن-هذا-هذه)"[3]. وخير مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)**﴾(البقرة: 37)، ففي هذه الآية الكريمة نجد أنّ المحال إليه كلمة (رَبِّ) وقد أحالت إليه مجموعة من الكلمات، وهي العناصر اللّغوية (فَتَابَ، إِنَّهُ، هُوَ)، ومنها ما يحيل إلى كلمة (آدم) كما هو الحال في (عليه)، وذلك لوجود قرائن لغوية قيّدت المعنى تتمثل في لفظتي (التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) بالنسبة للفظة (رَبِّ) إذ لا تكفي دلالتها وهي مستقلّة عن بقيّة العناصر الأخرى، بحيث لا يشعر المتلقي بالكفاية اللّغوية لها، كما أنّ الشّحن الدّلالي والمعنوي فيها لوحدها لا يلبي ظمأ المتلقي دلاليّا، وبذلك تكون "العناصر الإحالية فارغة دلاليا، ممّا يجعل تفسيرها رهين بربطها بالعناصر الإشارية التي تعوضها"[4]، نحو قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)**﴾ (المائدة، :09) فقد أحال الضّمير (هو) إلى الفعل (اعدلوا)، إذ أنّ الضّمير اشتمل على ما هو في الفعل من معنى. وإذا اِنعزل عن الآية أصبحت دلالته منعدمة ولذلك فإنّه يستمد بروزه وإشباعه دلاليا من خلال البنية التركيبية الموجود فيها، مع نفي لأي عملية تأويلية قد تحضر، كونه متعلّق بمعنى الفعل (اعدلوا).

وصنف اللسانيون عناصر الإحالة المتنوّعة وهي (المضمرات الظّاهرة والمستترة، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، ظرف الزمان، وظرف المكان، العنصر المعجمي الإحالي، الوصل بمختلف أنواعه، التكرار، التّضام،

---

[1]- ينظر: الإحالة النّصية وأثرها في تحقيق التّماسك النّصي القرآني، دراسة تطبيقية على بعض الشّواهد القرآنية، عبد الحميد بوترعة، مجلة الأثر، الوادي، الجزائر، ص: 92.

[2] – ينظر، ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيّن التوحيدي، سعيد حسن بحيري، مكتبة الأنجلومصرية، 1995م، ص: 255.

[3] -Text And Discourse Analysis. Raphael Salkie Routledge. London.and new York.1995.p: 64.

[4]- الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق التّرابط في النّص القرآني، نائل محمّد إسماعيل، المجلد13، العدد1(b)، ص: 1065.

الحذف، الاستبدال...) وتطلق تسمية العناصر الإحالية (ANAPHORA)، على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى ذكرت في النص.و يمكننا أن نلخص أهم المفاهيم الإحالية على النحو التالي:

أ- العنصر الإحالي:

وهو كما قلنا "كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره"[1] ويكون النظام الإحالي لهذه العناصر محكم في عمله من خلال عملية الربط بين العنصر الإحالي وما يحيل إليه، وتمثل أبسط العناصر الإحالية في البنية النصية كالضمائر وأسماء الإشارة وعلامات المطابقة والموصولات الإسمية، وتمثل أكبر نسبة من حيث الحضور في النص، وأما النظام الذي يحكمها فهو النظام اللغوي النحوي، وإذا ما تفحصنا سورة البقرة فإننا نجدها تزخر بكل أنواع هذه العناصر، وهذا تفسير لمتانة النص وشدة إتساقه فأنت لا تفرغ من قراءة العنصر الأول حتى يظهر لك عنصر إحالي آخر لصيق بالعنصر الإحالي الأول.ويمثل قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)**﴾ (سورة البقرة:16)إذ نجد في هذه الآية ثلاثة أنواع من العناصر وهي:

1 - اسم الإشارة(أولئك) ← يحيل إلى لمنافقين.

2- الإسم الموصول (الذين) ← يحيل إلى اسم الإشارة إلى المنافقين.

3 - الضمير(هم)في تجارتهم ← يحيل إلى المنافقين.

فالآية الكريمة حوت على أغلب العناصر الإحالية التي تحتاج إلى مفسَّر يفسَّرها وهو (المنافقون) فكانت هذه العناصر حاضرة كمّا ونوعا. وهذه خاصيّة تمتاز بها هذه العناصر الإحالية على عكس العناصر الإحالية المعجمية لأن هناك"ثمة فروق محددة بين العناصر المعجمية والعناصر الإحالية النصية"[2].

ب – العنصر الإحالي المعجمي:

يعود على مكوّن مفسَّر له، يدل على ذات أو مفهوم مجرد،كلفظة (وقود)التي تعني كل ما يوقد النار من حطب و قش... إلخ،لكن في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ (سورة البقرة:24).أحالت إلى نوع آخر من الوقود وهم الناس والحجارة. وهذه

[1]- ينظر،دراسات لغوية تطبيقية،بين البنية و الدلالة،د/سعيد حسن بحيري،ص:108-109.

[2]- ينظر،المرجع نفسه، ص:109.

إحالة بعدية آحالت إلى ما سيذكر بعد لفظة (وقودها) وهما لفظتي (الناس) و(الحجارة). واتسق نظم الآية في هذا المركز عن طريق الإحالة إلى الذّات الإنسانية (الناس)والجماد(الحجارة).

وما يميز هذه العناصر الإحالية المعجمية أن عددها محدود في المعجم، ثم إنّ اللغة لم تخصها بنظام تركيبي يحكم استعمالها، وإنما تجري جريان الأسماء الصريحة فيها، ولكنها تتميز من حيث الدلالة عن تلك الأسماء بفراغها، وهي في ذلك توافق المضمرات، فلا يتحدد محتواها إلا إذ ربطت بما يفسر فهي مضمرات ولكنها لا تكوّن إلا مقطعا من ملفوظ، وهي في هذا أخص منها، إذ يمكن أن يعود الضمير (أو أحد المضمرات) على مقطع من الملفوظ"[1].ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾(سورة البقرة:60) فلفظة (عينا) هي لفظة معجمية لا يمكن تحديد دلالتها منعزلة لأنها مفرغة. وتوظيفها في هذا السياق هو الذي حدد تلك الدلالة وهي العين التي يشرب منها الماء. فأحالت مرتين، إحداهما إلى الفعل (انفجرت) وهو فعل قد سبق لفظة (عين) بالذكر. والأخرى إلى لفظة (مشربهم)، وهي اسم مكان الشرب الذي سيق على وزن مفعَل (مثل مدخل،مخرج، مهبط...). وهنا نجد أن الإحالة المعجمية تتقيد داخل التركيب لأن العلاقات المتحكمة فيها تكون في أغلب الأحيان دلالية أكثر منها نحوية.

ج– العنصر الإحالي النصي:

يعود على مكوّن مفسّر له، يمثل مقطعا من نص. وعادة ما يكون إسم الإشارة (ذلك) أو الضمير في (إنه)و (هو)كما هو موضح في قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ (سورة البقرة:74) فاسم الاشارة (ذلك) يحيل إحالة نصية إلى قصة بني إسرائيل مع سيدنا موسى –عليه السلام– . عندما أمرهم بذبح البقرة، وهي إحالة إلى قصة كاملة ومجموعة من سلوكات بني إسرائيل، وهنا حدث الإتساق بين قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾ (سورة البقرة:74) وما تمّ سياقته قبل هذه الآية.

ي – التّمييز بين الإحالة (ANAPHORA) والإشارة (DEIXIS):

وللتمييز بين الإحالة العائدية والإحالة الإشارية، يقترح إ. بنفيست طرقة للتمييز بينهما" وهو مقام التلفظ الذي يتجسم فيه، وإما بصفة مستقّلة وموضوعية، وهذا التقسيم الذي شاع قبوله في اللسانيات إلى إحالة إشارية وإحالة عائدية، يمكن لمفهوم الإحالة الإشارية أن يعتبر مماثلة للعائد الذاكري الذي يقتضي أن

[1]– المرجع نفسه،ص:**109**.

تقع الإحالة بواسطة مرجع حاضر في ذهن المتكلم"[1]، وعلى هذا الأساس فإنّ كلّ لغة توظّف تقنيات معيّنة لاسترجاع المعلومات في النّص أو من خارج النّص، وبصفة خاصّة استرجاع المعنى الإحالي، الذّي يربط بين العناصر اللّغوية من جهة، وبين الأفكار في الذهن من جهة أخرى، بحيث لا يمكن أن يحصل الفهم ويتضح التّأويل، بعيدا عن السّياق الذي تستخدم فيه."فمعاني بعض الكلمات تتأسس على نوع ما، من الاعتماد على السّياق وذلك أنّ معنى الكلمات يتأسّس على اعتبار أنّ الكلمات تقع في تلفظ، وأنّ التّلفظ يقع في العالم"[2]، "لأنّ العلاقة المعنوية بين ألفاظ أو مسميات معيّنة وما تشير إليه من مسميات أو أشياء- داخل النص أو خارجه- يدلّ عليها السّياق أو المقام، عن طريق ألفاظ وأدوات محدّدة (كالضّمير واسم الإشارة والاسم الموصول...) وتشير إلى مواقف سابقة أو لاحقة في النص"[3]، فعلاقة الإحالة والرّبط بين الكلمات تكمن "وظيفتها في إنعاش الذّاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللّفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية"[4]، وحتّى يحصل ذلك "يجب أن يكون الحضور للعناصر المحيلة كيفما كان نوعها، لأنّها لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل، إذ لابدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"[5].ومن هنا كان لابدّ من تحديد بعض الفوارق حتّى وإن كانت ضئيلة للتفريق بين قطبي الإحالة.

وتعتبر قصة البقرة من الأحداث التي وقعت زمن سيدنا موسى وذكرها في القرآن، هو تذكير لليهود بها، واسترجاعها، حيث أشارت لفظة البقرة في السورة أمام المسلمين إلى تاريخهم الأسود، وذكر الأوصاف هو إحالات للبقرة التي ذكرت في السورة، وهي مرجع حاضر في الذهنية اليهودية. وهذا استرجاع للمعلومات من خارج النص، من تاريخ بني إسرائيل القاتم بالعصيان والجحود والعناد. وتشارك كل أنواع الإحالة في هذا المقطع من السورة بعناصرها المختلفة في جعل القصة واحدة وفي ترابطها وإتّساقها. حتّى لا يضن أهل الكفر أنّها قصص مختلفة من خلال اللغة المتناثرة هنا وهناك، وهذا إعجاز موجود في النص القرآني. ومع ذلك كله لا نلقى أي تناقض أو تصادم بين هذه الجوانب وتلك النواحي وما في القرآن من نهج اتبعه في التعبير عنها تناسق تام لا بقرة فيه، بحيث يدرك الأعجمي من هذا التناسق في التعبير، والدقة في الأداء القرآني الذي يتفق وما يكتشفه العلم حديثا، سرا من أسرار الإعجاز في الأسلوب البياني للقرآن المجيد.

---

1 – معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو – دومينيك منغنو ص: 475.

2– علم لغة النص، النظرية والتطبيق، عزّة شبل محمد، ص: 121.

3– الإحالة بالضّمائر ودورها في تحقيق التّرابط في النّص القرآني، دراسة وصفية تحليلية، نائل محمد إسماعيل، مجلّة جامعة الأزهر بغزّة، سلسلة العلوم الإنسانية، 2011م، المجلد13، العدد1(b)، ص: 1064.

4– البيان في روائع القرآن، تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2000م، ج1، ص: 128.

5– لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 17.

وقد قسّم كارل بالر (KARL BALLER) العبارات الإشارية (DEICTIC EXPRESSIONS)حسب العناصر التالية:الشيء-المكان-الشخص-الزمان-اليوم-الحركة-وضعية الفعل.

جدول التعابير الإشارية في الإنجليزية مترجم بالعربية: 1

القسم	التعابير الإشارية	
----------	قريب	بعيد
شيء	هذا (THIS)	ذلك (THAT)
مكان	هنا (HERE)	هناك وهنالك (THERE)
شخص	أنا (I)	أنت وأنت (YOU)
زمان	الآن (NOW)	بعدئذ (THEN)
اليوم	اليوم (TODAY)	الأمس (YESTERDAY) غدا (TOMORROW)
الحركة	تعالى (COME)	اذهب (GO)
صيغة الفعل	الحاضر (PRESENT)	الماضي (PAST) المستقبل (FUTURE)

ك- تصنيف العناصر الإشارية من حيث اللغة:

لقد حصر الأزهر الزناد العناصر الإشارية من حيث اللغة إلى نوعين رئيسين، نظرا لما يسهم به المقام الإشاري في تحديد المشار إليه، وتعيينه، وهذين النوعين هما:

[1] **-Holger Diessel Demonstratives in use and Grammar max Planek institute For – Evolutionary Anthropolgy.p: 04.**
www.unirsm.sm/dcom/2003/functional/abstract/diessel.

1- العناصر الإشارية اللغوية:

ويقصد بها تلك العناصر الإشارية "الواردة في النّص أي التي تتوفّر في عالم النّص الدّاخلي، وهي قسمان: عامل وغير عامل"[1] فهي إمّا تحيل إلى سابق أو إلى لاحق وتشير له في النّص، أمّا كون العنصر الإشاري غير عامل فهذا يعني أنّ العنصر الإشاري "يذكر مرّة واحدة في النّص، ولا يحال عليه...، إذ لا يحكم مكوّنا آخر بعده أو قبله باعتماد عامل الإحالة"[2]، وهذا يعني بأنّه قد تكون هناك مكوّنات إشارية تدل عليها العناصر الإشارية ولا تقابلها عناصر إحالية تحيل إليها، وهنا تكون هذه العناصر غير عاملة. وكمثال لذلك قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآَخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36)**﴾ (يوسف:36).فالطّير عنصر إشاري غير عامل لم يحل عليه بأيّ عنصر إحالي في النّص. فحضوره في نص الآية كان حضورا معجميا ليس إحاليا، وبالتالي إنّ مساهمته في بنية النّص كانت مساهمة بنيوية تركيبية ومعجميّة، وليست إحالية ترابطية، وهذا النوع من العناصر قليل في النصوص القرآنية. ومن هذه العناصر في سورة البقرة لفظة (قردة)، في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65)**﴾ (البقرة:65) حيث نجد أن هذا العنصر الإشاري لم يحل إليه أيّ عنصر لغوي، وهو غير عامل ورغم ذلك شارك في إتساق السياق العام اللغوي لقصص بني إسرائيل.

أمّا النّوع الثاني وهو العنصر الإشاري العامل، فإنّه "يذكر مرّة أولى ثم يحال عليه بمضمر أو بلفظة مرّة أو أكثر في غضون النّص...، إذ يحكم مكوّنا أو عددا من المكوّنات لأنّه يفسّرها"[3] وهنا تتّضح العلاقة الإحالية بين العنصر الإشاري والعناصر الإحالية الأخرى التي تحيل إليه حتّى يتمكّن المتلقي من تفسيره بفضل هذه الإحالات التي تلعب دور المساعد في فكّ جزء من الغموض، لكي يتّضح المقصود من وراء النّص، ويسهل تأويله.

ونضرب مثالا لذلك في قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآَنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3)**﴾ (يوسف: 03.) فضمير المخاطب في (عليك) يعود على العنصر الإشاري سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم- الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في الكثير من المواضع لأنّ الله سبحانه وتعالى أنزل عليه الكتاب والرسالة. وهو خارج النّص وموجود في عالم الواقع، حيث أحال إليه

[1]- نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 127-128.
[2]- المرجع نفسه، ص: 128.
[3]- المرجع نفسه، ص: 128.

العنصر الإشاري(كاف الخطاب) كونه مخاطبا معني بالرّسالة، لذلك أشير إليه، بكاف الخطاب التي عوّضت ضمير المخاطب(أنت)، وكأنّ الله سبحانه وتعالى قال(نحن نقص عليك أنت يا محمد).

ومن هذا النوع من العناصر الإشارية وما أحيل إليه بإحالات متنوّعة وكثيرة سيدنا موسى عليه السلام، حيث ورد العنصر الإشاري أوّل مرّة في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51)** ﴾ (البقرة:51). وكل ما جاء متعالقا به ويحيل إليه، فهو عنصر لغوي إحالي مثل، قوله تعالى:﴿**وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)** ﴾ (البقرة:53-55). فالعناصر التالية مثلا (موسى- الهاء في قومه-موسى- لك) كلها تحيل إلى العنصر الإشاري الذي يدلّ على ذات موسى عليه السلام. وهذا ما حقق إتساقا إحاليا نحو المشار إليه.

وقد يكون هناك "عنصر إشاري مفرد دائما، يرد في رأس الوحدة الإحالية التي يحكمها"[1]، وهو عنصر إشاري قد يرد ذكره مرّة واحدة غير أنّ العناصر الإحالية التي تحيل إليه تتواجد بكثرة عددية تجعله يحكمها بوثاق متين، وكلّ هذه العناصر الإحالية، تحيل إليه.

أ- طبيعة العنصر الإشاري:

وحسب طبيعة العنصر الإشاري، فإنّه ينقسم إلى قسمين:

- عنصر إشاري معجمي:

ويتمثّل في وحدة معجميّة مفردة يحال عليها، فيحدث الرّبط بواسطة استمرارية المعنى بما يعطي النّص صفة النّصية"[2]. لأنّ الكلمة (الوحدة المعجمية) هي" الوحدة الدّالة لمعنى الأفضل من غيرها"[3]، حيث"تعتبر الوحدة المعجمية بامتياز".[4] ومن نماذج ذلك تكرار الكلمة أو استعمال مرادفاتها، التي تؤدي نفس الوظيفة

[1]- المرجع نفسه، ص: 128.

[2]- المرجع نفسه، ص: 128.

[3] - الكلمة في اللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، التسفير الفني، صفاقس، تونس، ط1، 2007م، ص: 16.

[4] - المرجع نفسه، ص: 16.

وتقترب من المعنى المعجمي لصاحبتها. ويظهر هنا دورها الإشاري بالإحالة إلى الكلمة الأولى التي تربط بينهما علاقة تحاول معجمي. أي أنّ الإشارة إلى هذا العنصر كان على المستوى المعجمي.

فلفظة الحق التي تكررت في قوله التالي لفظة معجمية أحدثت إتّساقا إحاليا معجميا بين هذه الآيات فربطت بينها وجعلتها متماسكة، قال تعالى: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149)**﴾(البقرة:144-149)

– عنصر إشاري نصّي:

"وهو مقطع من نص يحال عليه بعنصر إحالي نصي"[1]، أي أنّ وظيفة العنصر الإحالي تشير إلى مقطوعة نصّيّة كاملة وليس إلى مفردة (كلمة) واحدة، ومنه فإنّ العلاقة الإحالية التي تساهم في إتّساق النّص تنتج بواسطة عمل إحالي لعنصر إحالي إلى نص، كأن يحيل عنصر إحالي إلى قول قد سبق ذكره. وللتّوضيح أكثر نلاحظ في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11)**﴾(النحل،10).ففي الآية الكريمة نلاحظ أنّها احتوت على مجموعة من العناصر الإشارية المعجمية التي تدل على ذاتها بنفسها دون الحاجة إلى إحالة، وهي (السّماء–شراب–شجر–الزرع–الزيتون–النخيل–الأعناب–الثمرات.). وقد قابلها عنصر إشاري نصّي واحد وهو اسم الإشارة (ذلك)، حيث أحال هذا اللّفظ إلى كلّ الملفوظات التي سبقته، وذلك "اختزلا للكلام واقتصادا للجهد واجتنابا للتّكرار حين أحال إلى ملفوظ يحتوي عناصر إشارية معجمية ومجموعة أحداث تلتقي كلّها في نتيجة ينبني عليها الحدث أو المعنى الذي يحيل عليه العنصر الإحالي الجامع لكل ما تقدم عليه".[2]

[1]–نسيج النص، بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصا، الأزهر زناد، ص: 128

[2]–الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، عبد الحميد بوترعة، ص: 94.

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)** ﴾(**البقرة49-50**) وتفسير اسم الإشارة (ذلكم) عند أهل العلم هو" وَفِي ذَلِكُمْ: إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذُكِرَ مِنَ التَّذْبِيحِ؛ وَالِاسْتِحْيَاءِ؛ أَوْ إِلَى الْإِنْجَاءِ مِنْهُ؛ وَجَمْعُ الضَّمِيرِ لِلْمُخَاطَبِينَ؛ فَعَلَى الْأَوَّلِ مَعْنَى قَوْلِهِ (تَعَالَى :(بَلاءٌ : مِحْنَةٌ؛ وَبَلِيَّةٌ؛ وَكَوْنُ اسْتِحْيَاءِ نِسَائِهِمْ؛ أَيِ اسْتِبْقَائِهِنَّ عَلَى الْحَيَاةِ؛ مِحْنَةً – مَعَ أَنَّهُ عَفْوٌ وَتَرْكٌ لِلْعَذَابِ – لِمَا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِلِاسْتِعْمَالِ فِي الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ؛ وَعَلَى الثَّانِي: نِعْمَةٌ؛ وَأَصْلُ "الْبَلَاءُ": الِاخْتِبَارُ؛ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ – سُبْحَانَهُ – مُحَالًا؛ وَكَانَ مَا يُجْرَى مُجْرَى الِاخْتِبَارِ لِعِبَادِهِ؛ تَارَةً بِالْمِحْنَةِ؛ وَأُخْرَى بِالْمِنْحَةِ؛ أُطْلِقَ عَلَيْهِمَا. وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يُشَارَ بِـ "ذَلِكُمْ" إِلَى الْجُمْلَةِ؛ وَيُرَادُ بِالْبَلَاءِ الْقَدْرُ الْمُشْتَرَكُ الشَّامِلُ لَهُمَا[1] . وهذا العنصر الإشاري (ذلكم) هو عنصر إشاري لغوي نصي مبهم أحال إحالة قبيلة إلى الآيات السابقة التي تفسره، وهي إحالة إلى نص كامل، قام باحتضان معاني الآيات فاختصر واتسق مع الآيات و حقق الدالّة.

2- العناصر الإشارية غير اللّغوية:

أقام الأزهر الزنّاد قاعدة خاصّة للعناصر الإشارية غير اللّغوية، واستنتج بأنّها: "كلّ عنصر إشاري غير لغوّي يحال إليه باسم إشارة لتعينه أو بضمير المتكلم أو المخاطب"[2] ويتحكّم في ذلك المقام الذي يرد فيه النّص، فإذا كان العنصر الإشاري هو المتكلم أو هو المخاطب فإنّ علاقة الرّبط تكون بين المضمر الوارد في النّص والمفسّر الذي يرتبط به والموجود خارج النّص، وقد تجري الإحالة على العنصر الإشاري من داخل النّص، وفي الأصل أنّ هذا العنصر الإشاري غير لغوي، ولكنه أصبح لغويّا بعد ذلك لضرورة يستدعيها المقال"[3]. والإشارة هي علاقة عنصر لغوي بآخر غير لغوي وهو المشار إليه وقد يكون هذا العنصر الغير لغوي "شيئا محسوسا قابلا للملاحظة(..)و قد يكون كيفية أو حدثا(...)، أو فكرة تجريدية"[4] وعليه عدّت الإشارة جزء من الإحالة غير أنّ هناك من وجّه نقدا للنّظرية الإشارية لأنّها تدرس الظّاهرة اللّغوية خارج إطار اللّغة"[5] وعليه فإنّنا نفهم بأنّ العناصر الإشارية غير اللّغوية هي تلك العناصر التي تكون خارج النّص، ويشار إليها حسب المقام. وتدرك هذه العناصر بالحواس.

---

[1]-تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،أبي سعود، محمد بن محمد العمادي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان، ج100/1.

[2]-نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 131.

[3]-ينظر، المرجع نفسه، ص: 130.

[4]- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص: 54.

[5]- المرجع نفسه، ص: 56.

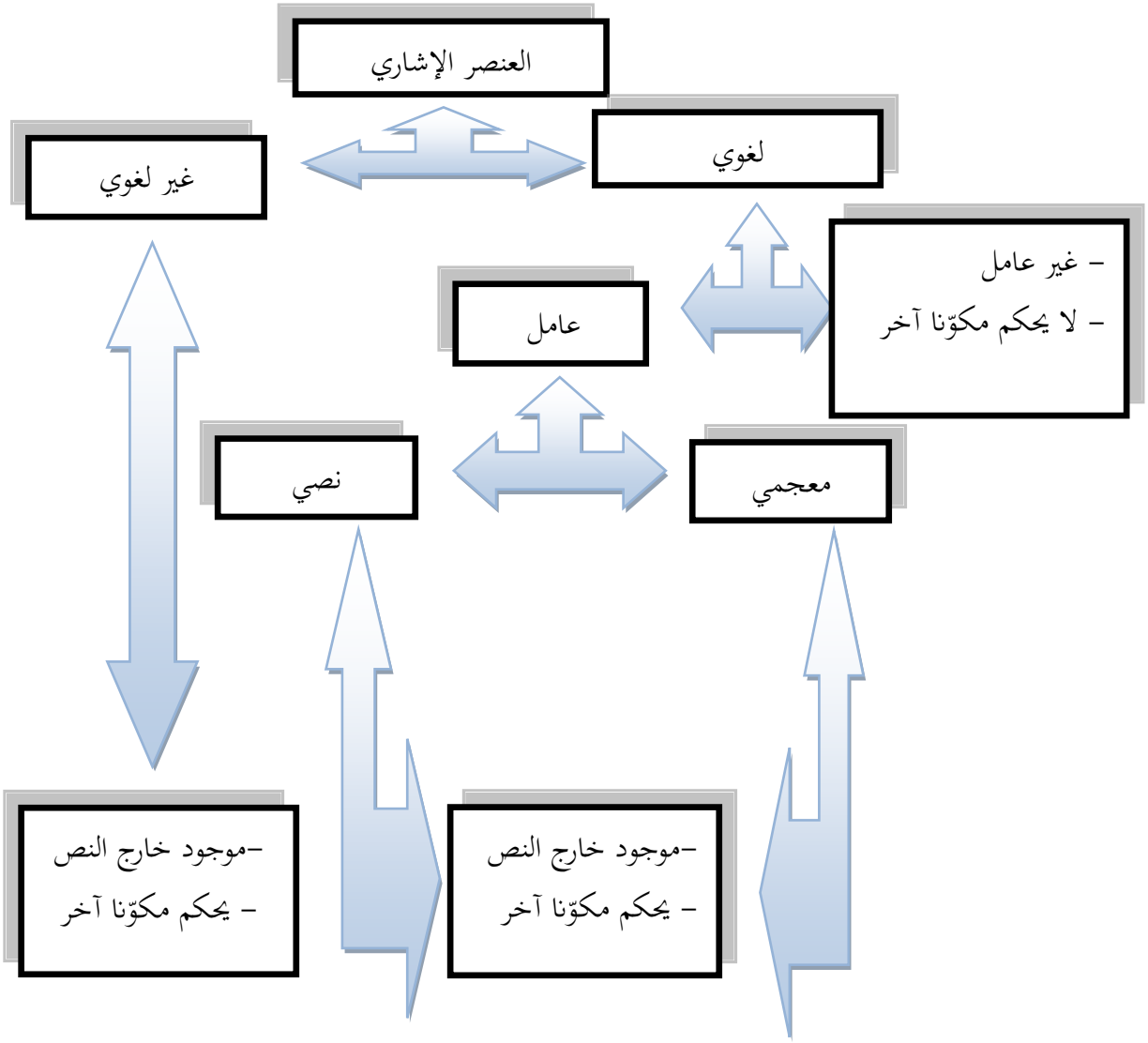

رسم توضيحي (2) يوضّح العناصر الإشارة اللغوية وغير اللغوية.

تتمّ المقابلة تقليديّا منذ أعمال بنفيست، بين استعمال العبارة عائديّا واستعمالها إشاريا، إذ يمكن أن تستعمل العبارة العائدية استعمالا إشاريّا "ويمكن أن يحدّد العائد باعتباره إقامة علاقة تأويلية في الملفوظ أو عدد من الملفوظات بين مقطعين على الأقل توجّه أوّلهما تأويل الأخرى أو الآخر، ويتواجه في شأن هذه الظّاهرة تصوّران أحدهما يرى في العائد ظاهرة نصّية، والآخر يرى فيه خاصّية إقامة علاقة محدّدة عرفانيا"[1]

[1] – معجم تحليل الخطاب،باتريك شارودو دومنيك منغنو، ص: 48.

يرى اللّسانيون أنّ العلاقة بين العنصر الإشاري والعائد هي علاقة متينة لما يظهر عليهما من مساهمة كبيرة في عملية التّفسير اللّغوي للنّص، وبهذه العلاقة فإنّنا نسجّل نقصا في الاستقلالية الإحالية وقد فرض هذا الواقع اللّساني على اللّسانيّين البحث عن نظرية مستقلّة تهتم بعلاقة الإحالة و"يعود الفضل للسّاني الفرنسي جان كلود ميلنر JEAN CLAUD MILNER 1982- في اقتراح نظرية لسانية في الإحالة. ولهذه النّظرية مزيّة من جملة مزايا أخرى، في تعيين حدود التّحليل اللّساني في إسناد المراجع وتفسيرها-في صلب النّظرية نفسها- ما تشكوه من نقص التّعابير الإحالية التي لها دور في الإحالة الإشارية والإحالة العائدية وذلك انطلاقا من خصوصيتها الدلالية.

تبدو التعابير الإحالية وبقطع النّظر عن مختلف وجوه استعمالها متّحدة في الظّاهر، إذ يتعلّق الأمر بمركبات اسمية، ضمائر، وأسماء، وأعلام وأوصاف محدّدة وغير محدّدة إلخ، فنحن نسند مرجعا إلى تعبير إحالي بناء على دلالته المعجمية، ونتحدث وفق اصطلاح (ميلنر) عن إحالة حاصلة لتعيين مرجع العبارة، وإحالة محتملة لتعيين دلالته المعجميّة، وإذا كانت لتعبير إحالي إحالة محتملة بمعزل عن استعمالها فإنّه لا يتسنّى مقابل ذلك أن تكون له إحالة حاصلة إلاّ عند استعماله، فلا يمكن أن نسند مرجعا، أي إحالة حقيقية إلى تعبير إحالي إلاّ متى ظهر هذا التّعبير في قول أنتجه متكلم"[1]

ونعني بالمرجعية "العلاقة المرجعيّة بين العناصر، ويمكن هنا أن نستعمل المصطلح النّحوي العربي- العامليّة- فوجود العنصر في اللّغة ليس اعتباطيا، بل هو محدّد من طرف العناصر التي تسبقه، أو تلك التي ستلحق به. وتعدّ العناصر الأخرى المحدّدة لوظيفة هذا العنصر بمثابة مرجع له".[2]

وينبغي ألاّ نخلط بين مصطلحي الإحالة والمرجع، "حتى وإن ثبت أحيانا استعمال كلّ منهما للدّلالة به على الآخر، يشير مصطلح المرجع إلى موضوع خارج – لساني، فاللّسانيات لا تهتم بمعالجة المرجع وفحصه- وذلك على خلاف الإحالة، التي تمثّل جانبا من اهتمامات اللّسانيات بوصفها تشتمل في علاقتها الثنائيّة، مفردات تأخذ في الأساس شكلا لسانيا"[3] وكذلك فإنّ"الإحالة هي خاصيّة العلامة اللّسانية أو عبارة متمثّلة في الإحالة على الواقع، أمّا المرجع فهو الواقع الذي أشارت إليه الإحالة، فكثيرا ما خلط بين الإحالة والمرجع حتّى

[1] – القاموس الموسوعي للتداولية، ج2/ 374.

[2] – المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، نعمان بوقرّة، ص: 135.

[3] – المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور، ترجمة: عبد القادر فهيم الشيباني، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007م، ص: 90.

صارا مترادفين"[1] ،ويذكر كليبار نوعين من التصوّر، أحدهما للعائد داخل النّص، والآخر إلى ما يشير إليه في عالم الخطاب، وهو معروف لدى أطراف الخطاب:

– **التصوّر العائدي**:"التصوّر العائدي يحدّد التّصوّر النّصي العبارة العائديّة باعتبارها عبارة تأويلها المرجعي رهين عبارة أخرى أو عبارات واردة في نص تسمى بصفة عامّة مفسّرا(كليبار 1993أ، 22)، وتكون العلاقة بين العبارتين موجّهة، فيكون العائد عليه سابقا في النّص ضرورة للعائد وهذه النظرة هي مصدر مفهمة العائد البعدي المحدّد باعتباره علاقة معكوسة موقعيا، فالعبارة المعيدة للصيّاغة سابقا في النّص للعبارة المعادة"[2].لأنّ"مسألة العائد القبلي تنتمي إلى مسألة أعمّ هي سلسلة (الإحالة والتّناسق النّصّي) والتدّرج الأغراضي، وتمثّل دراسة علاقات العائد القبلي أحد أهداف نحو النّص الرئيسية، ويطلق العائد القبلي على نمط من العلاقات متناظر مع نمط العائد البعدي"[3].

– **التّصوّر العرفاني**:"أمّا التّصور العرفاني فإنّه يعتمد على معيار البروز المسبق(كليبار 1993أ: 25): فالمرجع معروف لدى المخاطب لأنّه حاضر في الذّاكرة المباشرة (عالم الخطاب عند ليونس1980.)[4] ولذلك يقترح بعض اللّسانيين الألمان بديلا للمثلث السيميائي"شبه منحرف ويطلقون عليه شبه منحرف سيميائي، وهو يتكوّن من أربع مكوّنات، مكونان منهما ينتميان إلى اللّغة، ومكوّنان آخران ينتمي أحدهما إلى علم النّفس، وعالم المتصوّرات، وينتمي الآخر إلى الواقع تبعا للشكل التالي:

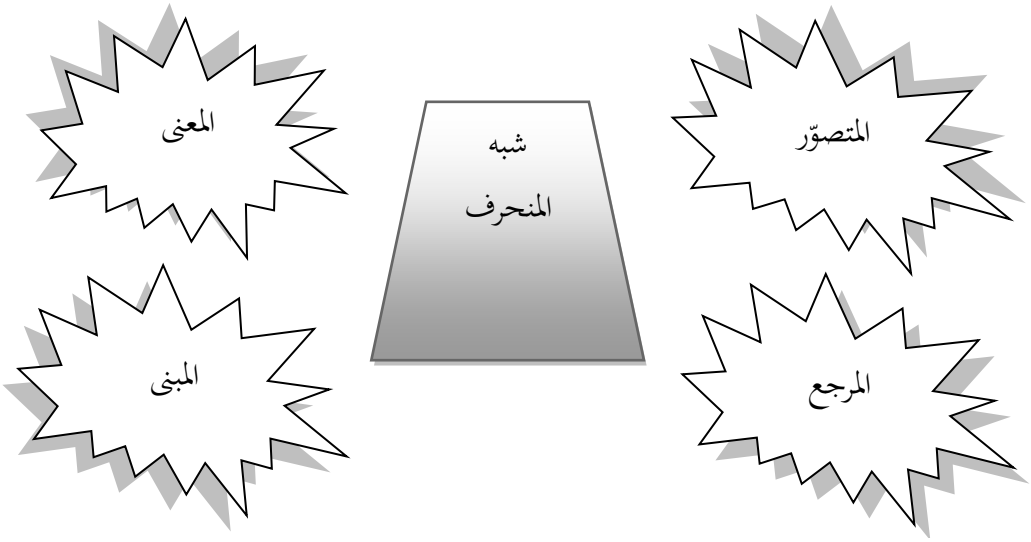

رسم توضيحي (2) يمثل شبه المنحرف السيميائي الذي اقترحه الألمان.

[1] – معجم تحليل الخطاب، ص: 474.

[2]– المرجع نفسه، ص: 48.

[3] – المرجع نفسه، ص: 47.

[4]–المرجع نفسه، ص: 49.

ويمكن اعتبار هذا المتصوّر بمثابة مرجع، غير أنّ الفرق بينهما يكمن وكون المتصوّر يدور في عالم المتصوّرات، (الخيال)، والمرجع في عالم الواقع المادي المحسوس، وفي الحالات التي لا يوجد فيها المرجع المادي ويقتصر الأمر على المتصوّر أو الخيال، فإنّ هذا الشكل يتحوّل إلى مثلث يضم الدّال والمدلول والمتصوّر"[1] "وعليه فإنّ التّعرف على العائد عليه يعتمد إمّا على المعطيات النّصية والخطابيّة، وإمّا على معلومات يوفّرها المقام غير اللّغوي أو معلومات من قبيل ما يتّصل بالمعلومات المشتركة بين المتكلمين"[2].

م- العلاقة بين عناصر الفعل الإحالي:

عندما ندرس أيّ نص مهما كان نوعه، ونحاول تحليله والكشف عن العوالم المحيطة به "فنحن ندرس الإتِّساق ونبحث في الرسائل اللغوية التي يستطيع النص بواسطتها أن يشتغل كوحدة معنوية"[3] والإحالة في علم اللغة النّصّي هي "وسيلة من وسائل الإتِّساق تترابط بها أجزاء النص وتتماسك، فهي تأخذ بعين الإعتبار العلاقات بين أجزاء النص الواحد"[4].

وحتى تتماسك هذه الأجزاء النصية، فهناك علاقة وطيدة بين العناصر اللغوية الموجودة داخل النص وحتى غير اللغوية المشار إليها خارجه، ولما كان هناك عناصر تساهم في ربط النص وإتِّساقه، وجب تحديدها والتعريف بها، فعندما تتحد هذه العناصر وتتضافر فيما بينها تتشكل الإحالة بقوّة العلاقة الموجودة بينها، وتظهر الإحالة من خلال علاقة بين عنصرين هما، العنصر الإشاري والعنصر الإحالي، وتتم بقصد من المتكلم/الكاتب، وعلى المتلقي تفسير هذه العلاقة. أي علاقة التحاول التي سنتحدّث عنها لاحقا.

1- المتكلم أو الكاتب (صانع النص) (المنتج):

يتجاذب النص شخصان هما الكاتب(المؤلف) والمتلقي(المستقبل)، وبين هذا وذاك تباعد في المعارف قبل أن تتقارب لتلتقي في النّص، وبما أنّ النص عبارة عن لغة قصدية وهادفة، يسعى صاحبه لتوظيف كلّ ما أتيح من العناصر اللغوية لتبليغ خطابه ورسالته، وتسهم الروابط الإحالية في هذا المقام في ربط النّص، ومساعدة المتلقي على الفهم من خلال تحديد التوّجه الإحالي للعنصر المحيل ناحية العنصر الإشاري الذي يفسّره مباشرة،

---

[1] - ينظر: دور الكلمة في اللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، ص: 219-220.

[2] - المرجع نفسه، ص: 49.

[3]- الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب **cohesion in english**"، هاليداي ورقية حسن، شريفة بلحوت، الجزائر، 2005-2006، ص: 112.

[4]- تحليل الخطاب، ج براون ويول، ص: 36.

و"يتم التمييز أساسا بين الأشخاص الذين يحددون في عملية التواصل من خلال أدوارهم من جهة وباقي الذوات من جهة أخرى"[1].

إنّ المنتج وهو صاحب النص، يكتب ليقرأ له جمهور معيّن، لكنّه لا يستطيع أن يقصي منه الآخرين الشغوفين بالقراءة، ولا يمكنه أنّ يتحكم في عدد القرّاء، وهذا ما قد يعرّض نصّه إلى سوء في الفهم ما لم يعي بأنّه يكتب لغيره، وهم مختلفون ومتفاوتون في الفهم. فالأدوار المتبادلة التي بين القرّاء والكتّاب يجب ألاّ تحيد عن القانون التقليدي لنظرية التواصل، إذ لابدّ من أن تتحد حول النص. حتى يؤدي وظيفته. وهذه الأدوار هي الأدوار التي تتبادل بين المتكلم والمخاطب.والمتكلم أو الكاتب بقصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أراد، فالمتكلم هو الذي يستطيع تعيين المتلقي للتواصل[2].

ويشير علماء النص إلى أن الإحالة عمل إنساني أي أنها من خواص المتكلم /الكاتب[3]. كونه يعي لمن يكتب وعمّا يكتب، واللغة جديرة بتلبية رغبته في تحقيق مقصوده، لذلك فإنّه مضطر لضبط قيود الإحالة حتى لا يحيد المتلقي عن سكة المعنى المراد. "وللمتكلم أو الكاتب الحق في الإحالة حسبما يريد هو، وعلى المحلل أن يفهم تلك الإحالة حسب ما يريد هو، على المحلل أن يفهم تلك الإحالة حسب النص والمقام"[4].

وحتى يضمن عودة الإحالة إلى العناصر المشار إليها، لا بدّ له أن يحدد النهج الذي ينتهجه بلغته إلى مقرّ المحال إليه، حيي يتمكن من توجيه المتلقي إلى العنصر الإشاري المتواجد خارج اللغة، إنّه في مهمة لتآخي المعاني بواسطة التحاول المفروض عليه من العناصر الإحالية، وإذا نجح في ذلك فإنّه نجح في تحقيق كفاءة لغوية ومعنوية توّجه المتلقي إلى اختصار سبل الفهم.

إنّ"التعبيرات المختلفة (التي يمكن دون شك أن تكون لها دلالات متباينة) على صاحب الإحالة ذاته، وأنّه على هذا النحو يتوصل حقيقة إلى علاقة التّحاول (الإحالة المشتركة)"[5]، لأنّ المتكلم يعمد إلى العناصر اللغوية للتعبير عن حاجته و"هي الملك المشاع، فيقتطع منها ما يحتاج إليه للتعبير عن حاجته، وبمجرد

---

[1]– الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب**cohesion in english**"، هاليداي ورقية حسن ص: **138**.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص: **139**.

[3]– ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص: **173**.

[4]– نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، د.أحمد عفيفي، ص: **117**.

[5]– التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة: د/سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1431هـ/2010م، ص: **51**.

حدوث التّلفظ يصبح ذلك كلاما ملكا له"[1]وعلى المتلقي أن يعي هذه الحاجة من غيره المتلقي لحدوث عملية التواصل. ما يحقق ذلك هو العناصر التي يستعملها المتكلم.

وقد بيّنت النظرية التخاطبية دور المتكلم في توجيه النص المخاطب عن طريق العناصر الإحالية الموجودة في النص "فالمرسل المتكلم الذي قد يكون كاتبا أو مؤلفا أو ساردا أو شخصية، والمرسل إليه الذي قد يكون شخصا محاطبا، كأن يكون قارئا أو متلقيا أو شخصية مقابلة للشخصية المتكلمة"[2] وتلعب العناصر الإشارية دور المعين في تحديد سياق الملفوظ اللغوي واللساني وهذه المعينات "هي الضمائر الشخوص وأسماء الإشارة وظروف المكان والزمان، وصيغ القرابة والصيغ الإنفعالية الذاتية، ومن ثم تبني القرائنية أو المقاربة التلفظية "على دراسة سياق التلفظ، وتحديد أطراف التواصل اللغوي "[3].

ومن هذا النص تظهر القيمة السياقية والتداولية، للعناصر اللغوية، التي بينها الكاتب المنتج في تحديد المشار إليه، وحتى لا يكون هناك غموض أو التباس في تحديد المفسّر الإحالي، فكلّما زادت هذه العناصر وعمّرت الفراغ الدلالي في النص ازداد تحديد العنصر المبهم، وعندما يتحدد يصبح عنصرا إشاريا بامتياز، فيمثل عندئذ معلما (INDEX) لذاته، وقد تعوّضه في البنية النّصية الوحدات المعجمية(أسماء مفردة وما يضارعها من مركبات) يمكن أن نطلق عليها مصطلح العنصر الإشاري (DEICTIC ELEMENT) وتشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع إو زمن إشارة أولية لا تتعلّق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة[4].

2- اللفظ المحيل أو العنصر الإحالي :

وينبغي في هذا العنصر الإحالي "أن يتجسد إما ظاهرا أو مقدرا كالضمير، أو الإشارة وهو الذي سيحوّلنا أو يغيّرنا من اتجاه خارج النص إلى داخله"[5] وقد عرّفه الأزهر الزناد: "بأنّه كل مكوّن يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسّره"[6] لأنّه مرتبط بغيره، وحتى يحصل الفهم تظهر العلاقة الإحالية التي تربط بين اللّفظ المحيل وما يحيل إليه متّسقة تغطيها علاقة دلالية بينهما، ويطلق لفظ العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ "لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى في الخطاب أو النص،

---

[1]- نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 116.

[2]- التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، شبكة الألوكة، www.alouka.net: ط1، 2015.ص: 13.

[3]- المرجع نفسه، ص: 16.

[4]- نسيج النص، الأزهر الزناد، ص:115 – 116.

[5]- ينظر، الإحالة بالضمائر ودوروها في تحقيق الترابط في النص القرآني، دراسة وصفية تحليلية، نائل محمد إسماعيل، مجلة جامعة الأزهر، غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، 2015، المجلد13، العدد1(b)ص: 1066.

[6]- نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 131.

والعناصر الإحالية لا بد لها من الإرتباط بعنصر إشاري يفسرها، وهذه العناصر الإحالية يكون غالبها من الضمائر إذ هي بأنواعها الثلاثة : (ضمائر الأشخاص، وضمائر الإشارة، والضمائر الموصولة) من أهم ما يغني عن إعادة ذكر العنصر الإشاري إذ يتعذر أن يعاد ذكره في كل مرة يحتاج فيها إلى ذكره، أو التذكير به، وهنا تقوم هذه الضمائر بوظيفة الربط بين وحدات النص وأجزائه "[1].

ونستدل لقوله تعالى: ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ** ﴾(يوسف:26.)حيث يحيل ضمير الرفع الظاهر لمؤنث الغائب (هي) إلى امرأة العزيز وهو لفظ كمي وجودي على حسب وصف هاليداي ورقية حسن، أي أن اللفظ المحيل يحيل إلى شخص واحد خارج النص وهو امرأة العزيز، أين تتجلى العلاقة بينه وبين الفعل (راودتني) عن طريق تاء التأنيث التي جاءت متصلة بالفعل لبيان إلتصاق الفعل بالمرأة، وهنا نجد علاقة ربط وعلاقة إحالة إلى خارج النص.

أما الضمير الثاني وهو (ياء المتكلم) التي تعود على الشخص المتكلم (صانع النص) وهو النبي يوسف-عليه السلام- فإنّه يحيلنا من النص إلى عالم الوجود والحقيقة الموجود خارج النص، بحكم أن النبي يوسف-عليه السلام- صاحب النص والمتلفظ به صنع علاقة لغوية تحيلنا بين العالمين (عالم النص/اللغة) و(عالم الوجود/الحقيقة) أين يتواجد المحيل إليه -العنصر الإشاري- وهو ما يخلق علاقة دلالية ومعنوية لتفسير الضميرين بكل بساطة. وهنا يمكننا القول بأن" العنصر الإحالي مرتبط بغيره في فهمه، وهو الذي يتحكم في حركة المتلقي فيحوّله من إتّجاه إلى إتّجاه داخل النص أو خارجه، ويرتبط العنصر المحيل بالمحال إليه بواسطة علاقة دلالية"[2].

وقد أضاف كلاوس برينكر عناصر لغوية تساهم في خلق الإحالة داخل نسيج النص، وهي "الضمائر الإسمية" ويطلق هذا المصطلح على" الأبنية التي تتكون من" جزء ضميري"، " الأداة والضمائر والأعداد" أو " الجزء الوصفي"(صفات ومشتقات، ونواة "الإسم"، "أداة+إسم"، " أداة +إسم+صفة"، و"أداة+إسم+مشتقة...إلخ")[3]، ويشترط في العناصر الإحالية أن يكون هناك تطابق إحالي (تساوي في الإشارة) ويعني بها" التّحاول وهو مصطلح يقابله في اللغة الألمانية (KOREFERENZ) وهنا يعطى أهمية كبرى لمنتج النص الذي" يريد أن يضمن أن ترجع التعبيرات المختلفة (التي يمكن دون شك أن تكون لها دلالات متباينة)" إلى صاحب الإحالة ذاته، وأنه على هذا النحو يتوصل حقيقة إلى علاقة التّحاول (الإحالة

---

[1]- ينظر، المرجع نفسه، ص: 115.

[2]- الإحالة في ضوء لسانيات النص، علم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير ، الزهرة توهامي، ص: 31.

[3]- التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ص: 37.

المشتركة)"[1]. وتتميز العناصر الإحالية أو ما يصطلح على تسميته عند علماء النص بعناصر الكنائية بخصائص فمن"حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشترك معها في الإحالة، ولهذا تختلف الألفاظ الكنائية عن هذه العبارات بطرق نظامية"[2] وتقوم العناصر الإحالية على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر، وهي لذلك تتميّز بالإحالة على المدى البعيد (GROSS-REFERENCE)، وهي مزدوجة الدور في اللغة:

1- تشير وتعيّن المشار إليه في المقام الإشاري، ولا تتصل بما يخرج عن المقام التي قيلت فيه.

2- تعوّض المشار إليه فتحيل عليه وترتبط به، وفهمها رهين استحضار ذلك المشار إليه عقلي أو حسي.[3] و من خصائص الإحالة ما يلي:

- إمكانية تطبيقها على مستوى أوسع.
- خلوّها من أي محتوى ذاتي من الناحية النسبية.
- قصرها بالمقاربة مع ما يشاركها في الإحالة.
- خضوعها لقيود على ورودها حتى لا يتحول الفهم إلى إشكال لا ضرورة له.
- حاجتها إلى شكل خارجي متميّز.

وهذه الخصائص تختلف من لغة إلى لغة أخرى.وذلك حسب المقتضى، نظرا لما يميز لغات العالم عن بعضها البعض.

3- المحال إليه أو العنصر الإشاري:

ويوصف بأنه" كل مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره "[4] أين يظهر بصورته الحقيقية والواقعية ويكون في الغالب الأعمّ خارج النص ومعلوما بإعتباره عنصرا مهما في تفسير العنصر الإحالي. لذلك يسميه البعض "بعنصر العلاقة"[5] لأنّه أحد عنصري العلاقة الإحالية وهو "موجود إمّا داخل النص أو خارجه"[6]، بحيث يعود إليه في تفسير العنصر الإحالي وإزالة إبهامه، وتظهر علاقته الجلية في تسليط الضوء على

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 51.

[2]- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص: 320.

[3] - ينظر، نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 127.

[4]- المرجع نفسه، ص: 127.

[5]- ينظر، دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص: 98.

[6]- الإحالة في ضوء النص، أحمد عفيفي، ص: 16.

النص إذ تفيد هذه العلاقة في "معرفة الإنسان بالنص وفهمه في الوصول إلى المحال إليه"[1]. وهو المفسّر أو العائد إليه فإسم الاشارة "هذا" الذي ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63)** ﴾ (الأنبياء: 63). فالعنصر الإحالي مبهم إذا نظرنا إلى التركيب الذي ورد فيه، ولذا فإنه يحيلنا إلى خارج النص أين يوجد العنصر الإشاري الذي أحيل إليه حتى يفسر تفسيرا صحيحا، وفي هذا إشارة إلى كبير الأصنام، الذي تم تعويضه وإستبداله بصفة (الكبير) والتي أضيف إليها الضمير (هم) الذي يحيل بدوره إلى مجموعة من الأصنام، ويفهم من العنصر المحيل (هذا) " تعيين مكان وهوية الأشخاص، والأشياء والعمليات والأحداث، والأنشطة..." بالنسبة إلى السياق المكاني، والزماني الذي أنشأ وأبقاه"عمل التلفظ" (يونسي 1980/201)"[2].

ويساهم العنصر الإشاري في "ردّ أشياء العالم وأحداثه إلى الموقع الذي يحتله المتكلم في المكان والزمان، وبإعتباره موفّر امارة لمرجع قد يتكون بعد"[3] ويسميها ولفنسون "بالإشاريات" وهي ألفاظ دالة على عناصر غائبة حاضرة وهي محصورة عنده في: "إشاريات شخصية، وإشاريات مكانية وإشاريات إجتماعية وإشاريات خطابية"[4]، وهذه العناصر على حسب تعبير دي سوسير، نستحضرها ذهنيا "فإن كان (السحاب) يثير فكرة (المطر) فإنّ كلمة (حصان) تثير صورة الحيوان المعروف، وهذه العلاقة كما يراها دي سوسير نفسية لأننا عندما نسمع دالا ما لا نستحضر المادة وإنّما نستحضر صورتها ذهنا، وإلاّ فإن كل مخاطب مضطر لإحضار مسميات في عالم الواقع لإفهام غيره ممن يحادثهم ويتواصل معهم[5].

وهكذا لا بدّ على المتلقي أن يبدأ النصوص من بدايتها ليتتبعّ الجديد من الإشاريات ليتمكن من تأويلها حسب ماجاءت عليه في النص، كون هذه الأخير تتعلّق أكثر بما يذكر أوّل مرّة في النصّ، لذلك يعيب على المتلقي الذي يبدأ من وسط الكلام والنصوص بالإضطراب في تحصيل الفهم كما ينبغي أن يكون، وهو مجبر للعودة إلى الوراء للإطلاع على العناصر المحيلة وما تشير إليه، فإذا عرف المحال إليه عرف الإشارة وكان سريعا في فهم تلك العناصر المحيلة مهما كان نوعها، لإنّها إشاريات كثيرا ما تتعلّق بالمقام، فألفاظ مثل:(الآن- غدا- هنا- هناك- أنا- نحن- أنت- أنتما- أنتم- أنتن- هذا- هذه -تلك- هؤلاء-....) تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الإنتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه، وهنا يصبح هذا العنصر الإشاري معلما قائم بذاته في اللغة، تلتقي عنده الإحالات الإشارية التي تعتبر ذكرا له بغير لفظه في مقام آخر، وهي تجنّبه التكرار، وتعطيه

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 16.

[2]- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو.دومينك مانغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري-حمادي صمود، ص: 156.

[3]- المرجع نفسه، ص: 157.

[4]- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، نعمان بوقرة، ص:87.

[5] - ينظر: دور الكلمة في اللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، ص: 213-214.

خاصيّة الحضور المستمر في النص، فهو يحافظ على ذلك بهذه العناصر اللغوية التي تحيل إليه كلما زدنا مضيّا نحو الأمام.[1]

رسم توضيحي (5) لعناصر الإحالة وأهم العلاقات التي تنتجها.

4- العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه (التّحاوّل):

تحدث علاقة ترابطية بين عنصري الإحالة اللفظ المحيل (اللفظ المبهم) والمحال إليه داخل النص الذي "يمتلك العناصر الإحالية بعنصرين ضروريين المحال والمحال إليه وكلاهما يمتلك نفوذا داخل النص، وتحديدهما موكول إلى ثقافة المتلقي وسياق الكلام"[2] ويطلق مصطلح التّحاول على هذه العلاقة وهي علاقة بين" العبارات

[1] – ينظر، نسيج النص، الأزهر الزناد، ص:116.

[2]– تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الإتّساق والإنسجام، فتحي رزق الله الخوالدة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص: 45.

OBJECT"و الأحداث (EVENTS) والمواقف (SITUATIONS)في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما"[1] وتظهر هذه العلاقة في عدّة صيغ وصوّر تبرزها علاقة التطابق بين العنصرين التي "تتسم بالتوافق والإنسجام من خلال إشتراك اللفظ المحيل والمحال إليه في مجموعة من العناصر"[2]، وهي التي تحدّد العنصر المشار إليه والمرجع الذي يدل عليه، بحيث يتم تحديد هذه العلاقة من خلال التطابق الموجود بين عنصري الإحالة، ويكون هذا التطابق "نحوي مثل إمكانية الإسناد إليه، وآخر صرفي مثل: التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع...إلخ والنّص كاشف لهذه العلاقات"[3].

وتجمع بين عنصري الإحالة علاقة إشتراك بين السابق والعائد، لأنّ دور الإحالة يكمن في "تحقق الإتّساق النّصي، وفي غياب هذه العلاقة لا يوجد نص"[4]، وهذا العمل الذي يبدو بين هذين العنصرين يشغل حيّزا كبيرا في النصوص، فالعناصر اللغوية المحيلة موجودة بكثرة في النّصوص، وقد لا يكتفي العنصر المحال إليه (العنصر الإشاري) بعملية تحاول أو عمليتين، لأنّ البنية النّصة تقتضي وجود شبكة من العلاقات المتنوّعة لتشكيل النص، وتشارك في هذه الشبكة من العلاقات كل العناصر اللغوية المبهمة التي ترتبط بالعنصر الإشاري المحال إليه في خضم النص، وهو يمثل المعلم الذي تعود إليه العناصر واللغوية والمفسّر الذي يفسّر هذه الإحالات، وبهذا العمل التبادلي بين العناصر اللغوية المحيلة والعنصر المحال إليه تظهر الوظيفة التحاولية لهما، فهما قطبا الإحالة الضروريان لنسج هذه العلاقة.

وإذا كانت قضايا الإحالة عديدة ومتنوعة و"منتشرة في كل النصوص المختلفة، فإنّ النص لا يمكن أن يكون محكما مترابط الأجزاء، إلاّ من خلال هذه الروابط، وإلا يعد مفككا، وبناءا عليه يفقد المعاني المختلفة التي تنتجها الجمل المكوّنة لبنيتها، والتي بدورها تكوّن معنى عاما يلمّ شتات المعاني المختلفة تحت سقف معنى واحد"[5]. فالمواضيع المتنوّعة في سورة البقرة، تربط بينها علاقة التحاول في المضامين، وهي مترابطة تحت سقف واحد، وهو عنوان السورة،(البقرة) الذي تنمّ عليه القصة التي سردت في نصها.

وتلعب ظاهرة الإحالة دورا مهما في إزالة اللبس، فهي"تحدّد العنصر المشار إليه تحديدا تامّا، سواء كان سابقا أو لاحقا، أو غير موجود في النص (خارج النص)، وهذا التّحديد يؤمن اللبس"[6]. ويكون هذا

---

[1]– النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص: 320.

[2]– ينظر، الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، ص: 14.

[3]– ينظر، المرجع نفسه، ص: 14.

[4]– الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب: cohrison in english ل م أ ك هاليداي ورقية حسن، شريفة بلحوت، ص: 31.

[5]– البنية الدلالية والإحالية للضمائر، د/أشرف عبد البديع عبد الكريم، كلية دار العلوم، جامعة آلمانيا، 2005، ص: 2.

[6]– المرجع نفسه، ص: 12.

التّحديد يربط بين العناصر داخل التركيب. ويجب أن يكون هناك تطابق بين العنصر المحيل والمحال إليه، ومعنى ذلك أن تأتي الإحالة عن طريق" ألفاظ واجبة الصّدق، بوصف المحال إليه شيئا موجودا في عالم الواقع والحقيقة"[1].

غير أنّنا قد نجد داخل بعض النّصوص ما يعيق هذه العلاقة تتمثل في صعوبة تحديد المحال إليه، إذا تعدد في الإحالة النصية، فيختلف النحاة في التفسير "التركيبي والدلالي لعنصر الإحالة، وخفاء العلاقة بين العنصر الإحالي والإشاري وغموضها، حين يتعذر التحقق المطابق في الجنس والعدد"[2].

وحتى يسهل التّحكم في الإحالة فإنه يشترط في كل مضمر أن يكون له مفسر مناسب يحكمه ويدل عليه، وقد يساعد السياق والمقام في تفسير بعض المضمرات المبهمة التي لا يظهر مفسرها من خلال علاقة التطابق. وينقسم المضمر من حيث الوجود والغياب إلى نوعين:

أ- مضمر مربوط أو مقيد (BOUND):

وهو المضمر الذي يتوفر له مفسر يحكمه في النص. ولاحاجة إلى التجوّل بين النص وخارجه لتفسيره، فهو معلوم المحطة، وطريقه مختصر ، حيث يتقيّد هذا بالعلاقة الإخالة البسيطة التي تحيل إليه مباشرة، فيسهل تفسيرها، ومن دون عناء.ويظهر ذاك في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)** ﴾(البقرة:120-121). يقول الطاهر محمج بن عاشور"فقوله:" ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ جُمْلَةِ(**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**) إِلَخْ ، وَبَيْنَ جُمْلَةِ (**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ**)إِلَخ اعْتِرَاضُ اسْتِطْرَادٍ بِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ مَطَاعِنِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْقِبْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فَإِنَّ طَعْنَهُمْ كَانَ عَنْ مُكَابَرَةٍ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ الْقِبْلَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ حَقٌّ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ (**وإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**) ، فَاسْتَطْرَدَ بِأَنَّ طَعْنَهُمْ فِي الْقِبْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَا هُوَ إِلَّا مِنْ مَجْمُوعِ طَعْنِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَفِي النَّبِيءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى الِاسْتِطْرَادِ قَوْلُهُ بَعْدَهُ (**ولِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا**) ، فَقَدْ عَادَ الْكَلَامُ إِلَى اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ . فَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ فِي(**يَعْرِفُونَهُ**) لَا يَعُودُ إِلَى تَحْوِيلِ

[1]- الإحالة بالضمائر ودوروها في تحقيق الترابط النصي، دراسة وصفية تحليلية، نائل محمد إسماعيل،(المرجع السابق)، ص: 1067.

[2]- دراسات لغوية تطبيقية، سعيد حسن بحيري، ص: 93-94.

الْقِبْلَةِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَصَارَتِ الْجُمْلَةُ تَكْرِيرًا لِمَضْمُونِ قَوْلِهِ(**وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)** ، بَلْ هُوَ عَائِدٌ إِمَّا إِلَى الرَّسُولِ وَإِنْ لَمْ يَسْبِقْ ذِكْرٌ لِمُعَادٍ مُنَاسِبٍ لِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ، لَكِنَّهُ قَدْ عُلِمَ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ وَتَكَرَّرَ خِطَابُهُ فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ (**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا)** ، وَقَوْلِهِ(**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ**)، وَقَوْلِهِ(**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً**)، وَقَوْلِهِ (**فَوَلِّ وَجْهَكَ)** فَالْإِتْيَانُ بِالضَّمِيرِ بِطَرِيقِ الْغَيْبَةِ مِنَ الِالْتِفَاتِ، وَهُوَ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ ;أَيْ يَعْرِفُونَ صِدْقَهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى الْحَقِّ فِي قَوْلِهِ السَّابِقِ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ فَيَشْمَلُ رِسَالَةَ الرَّسُولِ وَجَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ، وَإِمَّا إِلَى الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ. "[1] الإسم الموصول الذين في قوله: (الذين آتيناهم الكتاب) يحيل إلى (اليهود والنصارى) وهو مذكور في الآية السابقة.

"فَالْمَعْنَى : يَعْرِفُونَ صِفَاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَامَاتِهِ الْمَذْكُورَةَ فِي كُتُبِهِمْ ، وَيَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَالشَّيْءِ الْمُشَاهَدِ . وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ أَحْبَارُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلِذَلِكَ عُرِّفُوا بِأَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ أَيْ عَلِمُوا عِلْمَ التَّوْرَاةِ وَعِلْمَ الْإِنْجِيلِ. . "[2] وأمّا الضمائر المتّصلةّ في قوله (اتّبعت-جاءك) تحيل إلى شخص النبّي صلّى الله عليه وسلّم وهي لا تحتاج إلى ما يزيد في تفسيرها. وهكذا تعيد الإحالة الربط بالعودة إلى الوراء نص الآية (121) بنص الآية (120). لذلك يظهر الإتّساق بين الآيتين واضحا لأنّهما تتحدّثان عن موضوع واحد.

ب- مضمر حرّ (FREE):

وهو ماكان خلاف الأوّل (...) ومنه في العربية ما يحيل عليه الإسم الموصول المشترك.[3] كقولنا: "من ضاعت قبلته فليصلّ ولا يطلب شرقا ولا غربا" فالإسم الموصول (من) في هذا النص يحيل إلى عنصر إشاري غير محدد، وغير معلوم، وهو أي شخص كان لا يعرف القبلة. ومنه قوله تعالى: ﴿ **بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81)** ﴾(البقرة:81).

ومن صوّر هذه الإحالة، قوله تعالى:﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)**﴾ (البقرة:97-98). وَقَوْلُهُ " مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ " شَرْطٌ عَامٌّ مُرَادٌ بِهِ خَاصٌّ وَهُمُ الْيَهُودُ . قَصَدَ الْإِتْيَانَ بِالشُّمُولِ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْبَأُ بِهِمْ وَلَا بِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يُعَادِي جِبْرِيلَ إِنْ كَانَ لَهُ مُعَادٍ آخَرُ .وَقَدْ عُرِفَ الْيَهُودُ فِي الْمَدِينَةِ بِأَنَّهُمْ أَعْدَاءُ جِبْرِيلَ فَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

---

[1] – تفسير التحير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج2/39-40.

[2] –المرجع نفسه، ج2/40.

[3]– ينظر، نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 123.

سَلَامٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ فَأَتَى النَّبِيءَ فَقَالَ : إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ ، وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ ، وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا قَالَ : ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَإِنَّهُمْ أَبْغَضُوهُ لِأَنَّهُ يَجِيءُ بِمَا فِيهِ شِدَّةٌ وَبِالْأَمْرِ بِالْقِتَالِ الْحَدِيثَ ، وَفِي سِفْرِدَانْيَالَ مِنْ كُتُبِهِمْ فِي الْإِصْحَاحَيْنِ الثَّامِنِ وَالتَّاسِعِ ذَكَرُوا أَنَّ جِبْرِيلَ عَبَرَ لِدَانْيَالَ رُؤْيَا رَآهَا وَأَنْذَرَهُ بِخَرَابِ أُورَشْلِيمَ . وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَسْبَابًا أُخْرَى لِبُغْضِهِمْ جِبْرِيلَ . وَمِنْ عَجِيبِ تَهَافُتِ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ أَنَّهُ مَلَكٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ وَيُبْغِضُونَهُ وَهَذَا مِنْ أَحَطِّ دَرَكَاتِ الِانْحِطَاطِ فِي الْعَقْلِ وَالْعَقِيدَةِ وَلَا شَكَّ أَنَّ اضْطِرَابَ الْعَقِيدَةِ مِنْ أَكْبَرِ مَظَاهِرِ انْحِطَاطِ الْأُمَّةِ لِأَنَّهُ يُنْبِئُ عَنْ تَظَافُرِ آرَائِهِمْ عَلَى الْخَطَأِ وَالْأَوْهَامِ . وَقَوْلُهُ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ الضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ بِـ " نَزَّلَهُ " عَائِدٌ لِلْقُرْآنِ إِمَّا لِأَنَّهُ تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِمَّا لِأَنَّ الْفِعْلَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهُ هُنَا عَلَى حَدِّ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ، فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ قَائِمَةً مَقَامَ جَوَابِ الشَّرْطِ. [1] ويتضح في هذا المثال دور المضمر الإحالي الحر في الربط بين الآيات واتّساقها، حيث لعب اسم الشرط (مَنْ) .دور الرابط بين الشرط وجزائه الذي تبعه لاحقا، وأحال إلى الآيات التي سبقته التي ذكر فيها اليهود.

ويمكننا أن نتعرّف على هذه المفاهيم والمصطلحات من خلال تطبيقها على سورة البقرة، وهذا المخطط يبسّط عملية الفهم لذلك.

[1] –تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/621.

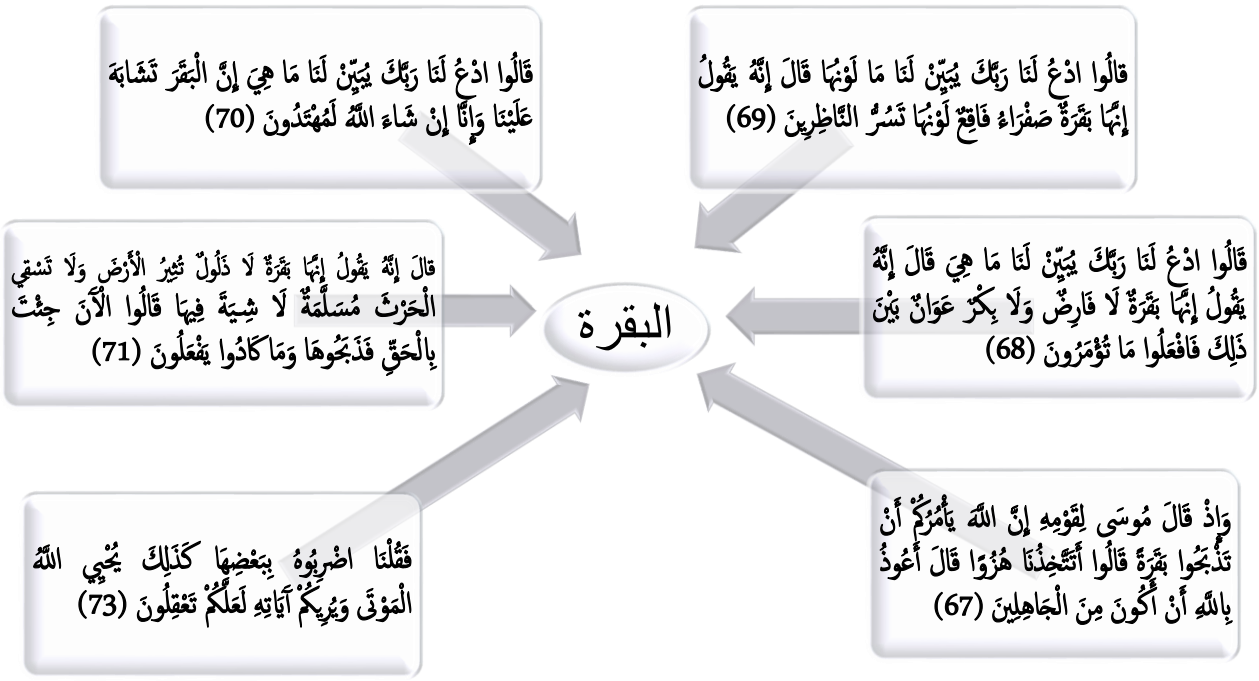

-مخطط يوضّح مركز المشار إليه في سورة البقرة.

ومن خلال هذا المخطط نلاحظ بأنّ اللفظ الإشاري هو العنصر اللغوي المعجمي (بقرة) الذي ورد ذكره في الآية (67)، أمّا تكراره في الآيات (71-70-69-68) هو إحالات إلى أوّل لفظة ذكرت السورة، والعلاقة بين هذه الألفاظ ولفظة (البقرة) هي علاقة تبعيّة، تربط الآيات اللاحقة بالآية السابقة، ويشكل هذا الربط نوع من الإتّساق المعجمي الذي تتكرر فيه نفس اللفظة، وهذا مؤشّر على أنّ البقرة المذكورة في الآية (67) هي نفس البقرة التي تحدّدت فيما بعد بمجموعة من الأوصاف، وأمّا العناصر اللغوية الإحالية الأخرى كالضمائر التي جاءت في ثنايا الآيات مثل(ما هي- إنّها-لونها- إنها- ما هي-فيها- ببعضها- والضمائر المستترة-.....) هي إحالات لغوية نصّية تحيل إلى عنصر إشاري واحد وهو (بقرة) الذي ورد ذكره في الآية (67). وتمثل لفظة (بقرة) في الآية (67) معلما إشاريا تعود إليه كلّ الإحالات التي تتعلق به، وهو يقوم بتجميع كل الإحالات في هذه النقط التي تحيل هي بدورها إلى السياق خارج النّص وهي البقرة التي تمّ ذبحها زمن النبيّ موسى عليه السلام، التي تمثل المرجع الحقيقي لهذه الآيات. وبهذا فإنّ وظيفة العنصر الإشاري تجميع الإحالات لتقوية الدلالة في هذا المركز بالذّات، فهو يرسل تلك الإحالات على شكل خيوط ليربط بين هذه العناصر الإحالة في مركز إلتقاء واحد يفسّرها، ويساعد المتلقي على استذكاره كلّما ذكر عنصر من هذه العناصر اللغوية، وهنا تكمن القوّة الأدائية للعنصر الإشاري من خلال العمل على الربط بين العناصر اللغوية واسترجاع العنصر الإشاري لتقسير هذه العناصر كلما ذكرت إنّه يعمل بطريقة دورانية من مركزه إلى نقطة إعادة ذكره، ثم يستمر إلى أن يظهر عنصر لغوي آخر مبهم كالضمائر مثلا ليعيد تحديد حضوره في النص في هذه

النقطة، ويساهم العنصر الإشاري مع العناصر الإحالية في صناعة الربط والتماسك بين أجزاء النص، وهو من خلال هذه الحركة الإلتفافية يشكل إتّساق أجزاء القطعة باستمرار من دون انقطاع إلى نهاية السورة.

رسم تخطيطي يوضح مركز البقرة بين الإحالة والإشارة

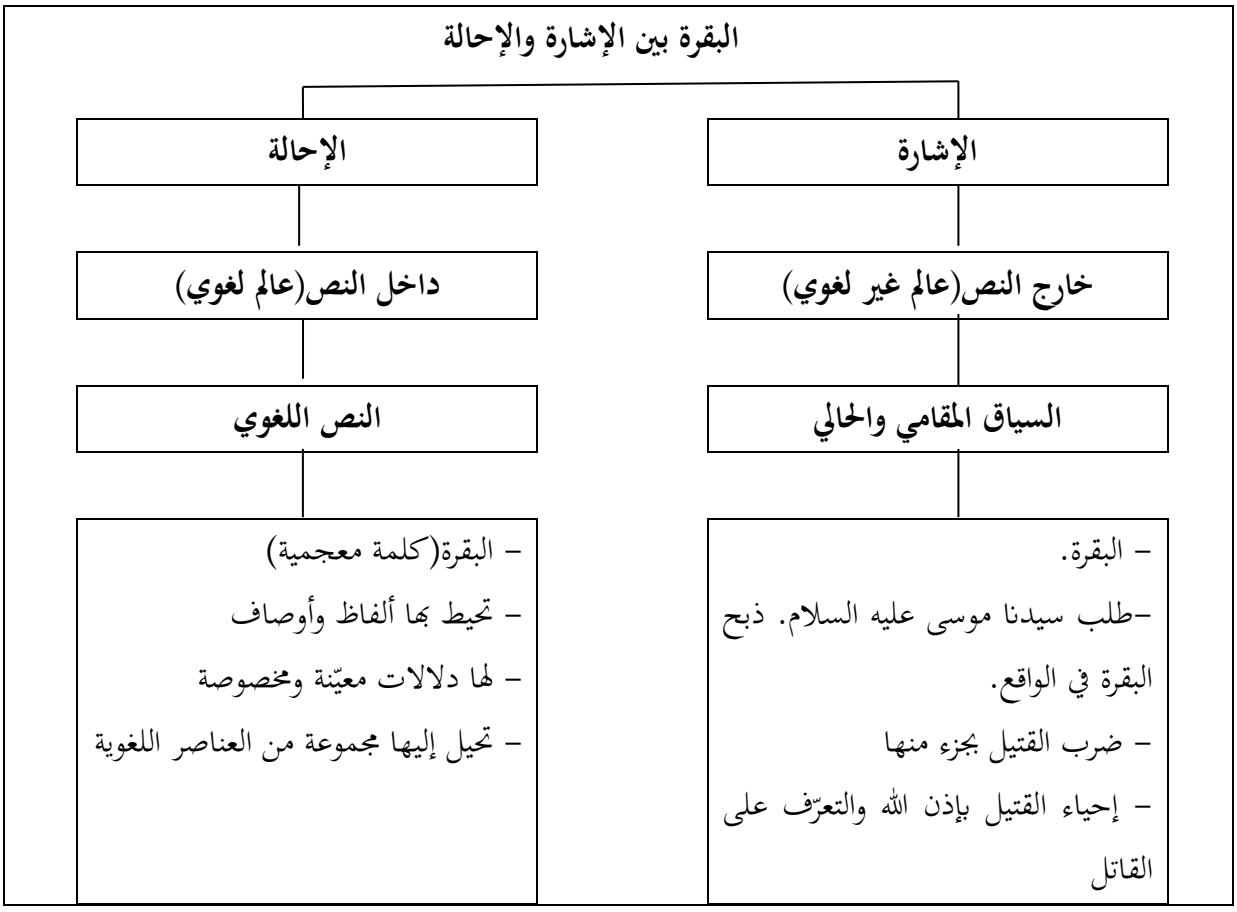

ن– أثر الإحالة على المتلقي داخل النص وخارجه:

وهنا تظهر طاقة وقدرات المتلقي في تتبع استمرارية المد الإحالي في الكشف عن عناصرها حسب السياق، تجنبا لفساد المعنى و يصبح التأويل حسب مقصدية النص.ولا يمكن في أي صورة من الصور أن تعطي بعض العناصر اللغوية دلالة واضحة وقطعية أو محتملة؛ خاصة تلك التي اتسم ذكرها في علم اللغة النصي الحديث بالإحالة.و هي كثيرة (كالضمائر، وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة...إلخ) لأنها تحتوي جانبا من الإبهام والغموض والإلتباس. ولا نستطيع الكشف عنه إلا وهي في وسط السياق.

ويستند المتلقي إلى الظروف المحيطة بالنص، كتلك التي أوجدته في الكشف عن العلاقات والروابط خاصة بين العناصر الإحالية والعناصر الإشارية التي تزيل إبهامها، فأسباب النزول مثلا في النص القرآني عامل من

العوامل التي لها نسبة كبيرة في تفسير القرآن، والكشف عن العلاقات الإحالية التي تساهم في خلق الترابط النّصي، لذلك –إننا– نربط في هذا الفصل من التّحليل اللغوي لسورة البقرة بين كل العناصر الإحالية وكيفية تفاعلها داخل نص السورة، لنكشف في الأخير عن مساهمة الإحالة في اتساق النص و تماسكه، لأنّ الدور الثاني الذي تلعبه الإحالة في السورة بعد علاقة التّحاول والربط يكمن في فاعليتها داخل النص عندما تساهم بحضورها في إنشاء تعدد المعنى الذي يوهم المتلقي في كل الحالات بتفضيل هذا عن هذا ما لم يستند إلى قيود ومعالم وإشارات توّجهه نحو المعنى المقصود، والذي يحتاج من المتلقي أن يبحث عنه بعملية (الاستنباط)، الذي يعد قوام عملية التأويل، وتلعب القرائن الموجودة في النص دور المساعد والموجّه للوصول إلى المعنى ، فالإحالة هي تنشيط لعملية ذهنية وفكرية، تقوم على أساس الكشف عن مواقع الاتّساق التي يتتبعها المتلقي للنص، حتى يقتنع بنصيّة هذا الأخير. و لا نكاد ننفى أي عمل ترابطي اتساقي تكون فيه الإحالة ضالعة فيه، فالوظائف اللغوية للعناصر اللغوية الإحالية تتنوع في النص حسب تواجدها وموقعيتها، والراصد لمواطن هذه العناصر يتحتم عليه العودة إلى مفسّراتها حتى يفهمها و يحدد مرجعياتها، و يتمكن من تأويلها حسب مقصدية النص، وهو بهذه العملية مشارك في العمل الإحالى لها.

ويمكن أن تخلق علاقة بين الإحالة و المرجعية، تستمد قوّتها من العناصر اللغوية الدّاخلية في النص، وعلاقة أخرى تكون مرجعيتها خارج النص، ويفرض هذا التنوع الإحالي على المتلقي تتبع حركة الإحالة الداخلية والخارجية حتى تظهر علاقتا الإتّساق والإنسجام اللّتان تعطيان صفة النصيّة للنص أكثر من أيّ علاقة أخرى. لأنّهما تتعلقان باللغة التي يكتب بها النص، وهذا أهم عامل في إنتاج النصوص، وبالسياق وعناصر التخاطب المشاركة في إنتاج النص ككل متكامل. ولهذا فإنّه يمكننا تحديد العلاقة بين الإحالة والمرجعية حسب العلاقات الداخلية والخارجية، وهي كما حددتها الدكتورة فوزية ميرتاج:

1-إحالة نحوية/لغوية/ داخلية/نصّية: أي المرجعية أو الرجوع داخل النص، فمرجع الكلمة يكون سابقا أو لاحقا، لكن هو موجود داخل النص من كلمات النص.

2-إحالة خارجية/سياقية/حالية/مقامية: هي التي تتم بين النّص وما يتّصل به في الخارج من السياق والمقام والحال، وغير ذلك من الأشخاص والحضور.[1]

[1] – التحليل النصّي في التفاسير القرآنية البيانية والموضوعية، دراسة تحليلية في ضوء منهج نحو النص، فوزية مير تاج، ص:18.

س- وظيفة الإحالة:

يرى هارفج (HARWEG) أنّ النّصّ: "وحدات لغويّة متتابعة مثبتة بسلاسل إضمار متصلة"[1] تتوالى في نسق معّين مستمر نحو التشكيل المتكامل للبنيّة النّصّية. ويحتمل النّص المتكامل الإطالة وتباعد الأجزاء، وحتّى يبقى النّص مترابطا متّسقا، فقد قدمت اللّغة أدوات لتماسك أجزائه لفظية وبيانية، يحكمها الجانب الدلالي، فكرة النّص، ليخرج النّص خطابا تاما.

"ولكي تكون لأي نص نصيتّه ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"[2] فالوجه الحقيقي للنص وظاهره، تؤسسه الأدوات والوسائل اللغوية التي تقوم بوظائف خدماتية جليلة للمعنى. قد لا تظهر في وظيفتها وهي في معزل عن التركيب، بل تعمق وظيفتها أكثر فأكثر عندما تكون محاطة بهالة من الألفاظ والمفردات اللغوية، وهنا يعد الربط أو الترابط بين المفردات اللغوية داخل التركيب النحويّ، وبين أجزاء النص الواحد، أهم أسس النظام التركيبي للجملة والنص معا، "بل يستحيل فهم المعاني والدلالات الواردة في الكلام دون وجود هذا الترابط بين أجزائه، سواء كان هذا الكلام جملة أو تركيبا نحويا واحدا، أو كان نصّا من النصوص، إذ لابد أن يتوافر الترابط بين أجزاء النص ومفردات التراكيب، حتى يمكن أن تؤدي أجزائه مجتمعة ومترابطة معنى كليا مرة تتمثل هذه الوسائل اللغوية في مختلف الوحدات اللغوية، والإحالة على اختلاف أنواعها واختلاف وحداتها تقوم بوظيفة الربط، وهذا ما نصت عليه قاعدة الربط في النصوص"فإذا توفر أي نص على جملتين أو أكثر اِرتبطت الواحدة منهما بالأخرى ارتباطا بأداة أو بغير أداة"[3]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)** ﴾ (سورة البقرة:129) وعن هذه الآية يقول الزركشي مبيّنا المناسبة بين فاصلة هذه الآية لما قبلها:"إنّ بعث الرسول-صلّى الله عليه وسلّم- تولية، والتولية لا تكون إلاّ من عزيز غالب على ما يريد، وتعليم الرسول الحكمة لقومه إنّما يكون مستندا إلى حكمة مرسلة؛ لأنّ الرسول واسطة بين المرسل و المرسل إليه، فلا بدّ وأن يكون حكيما، فلا جرم كان اقترانهما مناسبا"[4].ومن هنا يظهر الدور الذي تلعبه الإحالة من خلال وظيفتها في إتّساق النص وتماسكه، وبصفة خاصة "استرجاع المعنى الإحالي، فوظيفة الإحالة داخل النص أنها تشير إلى ما سبق، والتعويض عنه بالضمير يجنبا التكرار"[5].

---

[1]- مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج فهيفنجر هاينه من وديتر، ترجمة: فاتح بن شبيب العجمي،، ص: 27.

[2]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، خطابي، محمد، ص: 13.

[3]- نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الأخضر الزناد، ص: 28

[4] - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ج95/1.

[5]- علم لغة النص، النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص: 120.

وهذا ما وضحه الأزهر الزنّاد، عندما أشار إلى أنّ النّص جملة من العناصر المترابطة بمختلف الروابط، منها الروابط الإحالية، التي يمكن من خلالها إنشاء عقد قران بينها وبين العناصر الإحالية الواردة بعدها أو قبلها، "فتحلّلها دون ضير بالتواصل، وعلى هذا الأساس، تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحد عناصره متناغمة، وهذا مدخل الإقتصاد في نظام المعوضات، في اللّغة، إذ تختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتجنّب مستعملها إعادتها وتكرارها"[1]، وتكمن وظيفة الإحالة فيما يلي:

- تجنب التكرار عن طريق علاقة التعويض بين المحال والمحال إليه.
- تحقق الإقتصاد في اللغة، فالوحدات الإحالية تختصر العناصر الإشارية وتجنب مستعملها إعادتها.
- تحلل العلاقة الموجودة بين المحال والمحال إليه بنجاح ودون الإضرار بالتواصل.
- تحقق الاستمرارية اللغوية من خلال حفظ المحتوى دون الحاجة إلى التصريح به مرة أخرى.
- تكثيف اهتمام المتلقي وحث القراء على مواصلة القراءة، لفك الشفرات اللغوية في نص ما."[2]

بالإضافة إلى وظيفة أخرى هامة وهي تقديم المعلومات"حيث تربط الإحالة بتقديم سلسلة من المعلومات الجديدة في شكل جزئي، ما يسهم في تنظيم الفكرة الأساسية للنص"[3] فيتناهى الفهم في الذاكرة حسب البناء المعماري اللغوي المتنامي لنص ما.

[1]– نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ص: 121.

[2]– ينظر، المرجع السابق، ص: 120

[3]– Segmentation and Segment Cohesion: on The Sematic. Organization of The Text. Rachel Giora. Text 3 (2) 1983. Pp 115–181, p: 155.

- – رسم تخطيطي يوضح تقسيمات الإحالة المباشرة

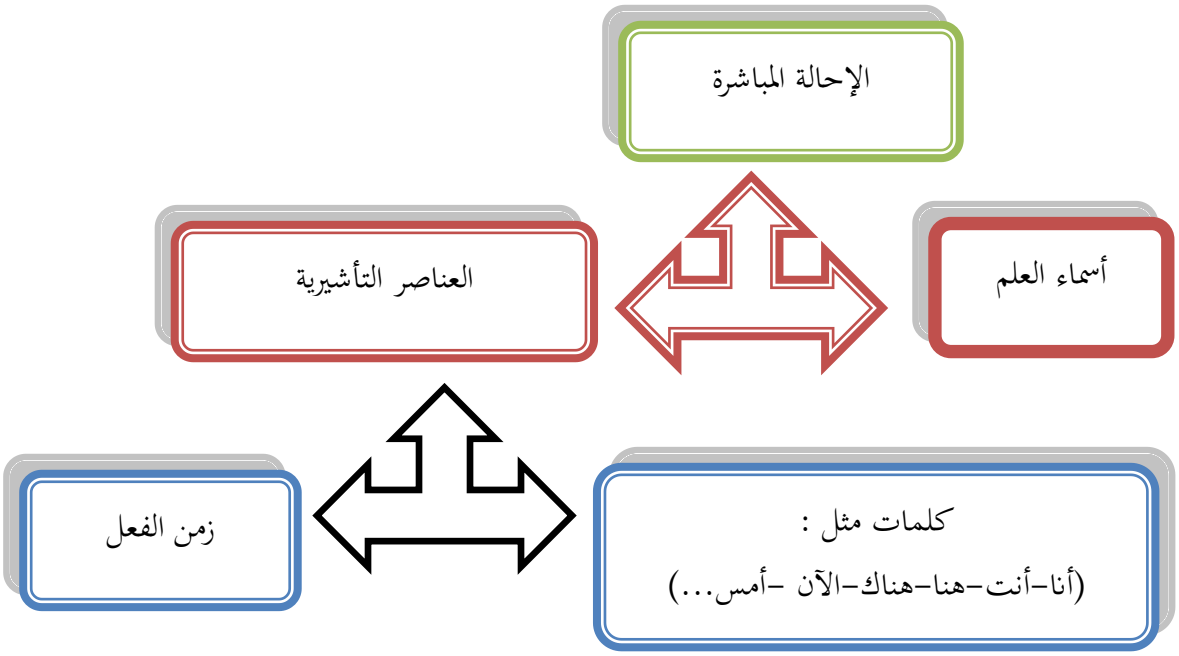

ع – الإتّساق (الربط) الزمني في سورة البقرة:

ويعتبر الزمن أحد هذه المقومات، لأنّه يهب القصة حيوية من خلال انسجام أحداثها وتتابعها لأنّ "قطع جزء من زمن القصة دون داعٍ ووضعه في مكان آخر في القصة دائما ما يؤدي إلى تفكك عناصر السرد داخل القصة؛ فلذا نجد أنّ القصة تعتمد على عنصر الترتيب الزمني في ترابطها"[1]. وإذا كان قيد الزمن يؤثر على القصّة بتتابع الأحداث، فإنّه أيضا يعدّ وسيلة من الوسائل اللغوية التي تساهم في اتّساق النص، لأنّ تتابع الأحداث وفق التتابع الزمني يعطي صورة للنص أكثر اتساقية وترابطية، وأنّ أي تقديم أو تأخير للأحداث دون سبب قد يؤثر على الحبكة الفنية للقصة، ويحدث ثغرات يسقط فيها نمو القصة واستمرارها، لذا نجد أنّ القصّة القرآنية أكثر نمواً ونضجاً من حيث الجانب الفني، ويساهم التتابع الزمني للأحداث وتسلسلها بقسط وافر في ذلك، والأمثلة القصصية القرآنية كثيرة في كتاب الله تعالى، كقصة سيدنا يوسف عليه السلام.

وقصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذج قرآني قصصي تتتابع أحداثها من أولها إلى آخرها تعتمد على التوالي الزمني للأحداث؛ حيث يسير الزمن داخل القصة من القرب إلى البعد، فتبدأ وهو طفل صغير وتنتهي وهو نبيّ صاحب حكم، ولو لا وجود الربط الزمني لتفكّك النص، فارتباط الآيات نتاج التتابع الزمني"[2].وهذا ملمح يمتد

[1] – – التماسك و التناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني،د.محمد أحمد أبو بكر أبو عامود، ص:234.

[2] – المرجع نفسه، ص:234.

إلى الكثير من النصوص القصصية القرآنية. فقصة آدم واستخلافه في الأرض خضعت لترتيب زمني متسق ومحكم، يخضع للتتابع الزمني، حيث بدأ الله سبحانه وتعالى، بخطابه للملائكة وتحاورهم معه من باب الحيرة والدهشة، وليس من باب المعارضة في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)** ﴾ (سورة البقرة:30).و يظهر التتابع الزمني في هذه الآية في أخبار الله الملائكة وهذا الفعل سابق في علم الله ومقرر قبل الحدوث، ويظهر ذلك في قوله سبحانه وتعالى(إني جاعل) وهذه الجملة الاسمية تفيد معنى الحدوث والثبات والاستمرار، فلما علم الملائكة بذلك تساءلوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء، ونحن نسبح بحمدك؟) وعن هذا يقول ابن كثير :"يخبر تعالى بإمتنانه على بني آدم بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم"[1]؛ فزمن الإخبار يسبق زمن الوجود هنا، وفي هذا التتابع الزمني نجد اتّساقا لغويا فعليا زمنيا نصيّا على مستوى الآية يزيد النص شدّا ومتانة.

ثمّ إنّ قول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله تعالى ولا على وجه الحسد لبني آدم، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك يقولون: "يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء؛ فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك..."[2]، من غير المنطقي أن يسبق الجواب السؤال. فبعد أن أخبر الملائكة بما سيفعله الله جاء سؤال الملائكة الذي يسبق جوابه سبحانه وتعالى في قوله:(**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**) و لنرى كيف كان التتابع الزمني متسقا في هذه الأحداث الثلاثة.

فهذه الأحداث الثلاثة؛ لو نظرنا إليها زمنيا فإنها جاءت متتالية حسب الزمن. فالحدث الأول يتمثل في الفعل(قال) الذي يوحي بدلالة الإخبار الموجّه للملائكة؛ ثم تلاه مضمون الخبر في قضية الاستخلاف (إنّي جاعل في الأرض خليفة)، وتبعه تساؤل الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟) الذي عقب الفعل (قالوا) المتأخّر زمنيا عن الفعل (قال) المسند إلى الله سبحانه تعالى، ثم أتى الرد من الله تعالى بقوله: (**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**).

ويقر أهل التّفسير بأنّ هناك حالة زمنية في هذه القضية قد سبقت تلك الأحداث التي وقعت في عالم الغيب، وهي علم الله السابق المتمثل في قوله تعالى:(ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك قال إنّي أعلم ما لا تعلمون)، فقوله:(إنّي أعلم ما لا تعلمون) فيه من الدلالة ما يوحي بسبق زمنيّ ،"فكان في علم الله أنّه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة"[3].

---

[1] –ينظر،تفسير ابن كثير، ج118/1.

[2] – ينظر، المرجع نفسه،ج119/1..

[3] – ينظر، تفسير ابن كثير، ج121/1.

ثم بدأت الأحداث تتالى وتتابع حسب الزمن، لتأتي بعد ذلك هذه الأحداث مرتبة على النّحو التالي:

1- تعليم آدم الأسماء (الآية: 31).

2- عرضهم على الملائكة (الآية:31).

3- طلب الله من الملائكة إنبائه بالأسماء (الآية:31).

4- رد الملائكة بعدم علمهم (الآية:32).

5- طلب الله من آدم إعلام الملائكة بأسمائهم (الآية: 33).

6- إعلام آدم الملائكة بأسمائهم (الآية:33).

7- رد الله على قول الملائكة السابق (الآية:33).

فهذه المجموعة الأولى من الأحداث التي جرت بين الله سبحانه وتعالى والملائكة وآدم ،وقد جاءت الأدوار الحوارية تحمل أحداثا غيبية مترابطة من حيث الزمن، حيث حدثت في موقف واحد وزمن متتابع متسق، وهذا من مؤشرات الإتّساق الزمني للنص الموجود في سورة البقرة.

أمّا مجموعة الأحداث التي وقعت بين الله سبحانه وتعالى وآدم و زوجه وإبليس فهي في موقف آخر عن الموقف الأول، حيث نترصد الشّخصيات الثلاثة التالية وبمجموعة من الأحداث التي ترتبت حسب الواقع الزمني لقصة العصيان التي وقعت من سيدنا آدم – عليه السلام- و هذه الأحداث جاءت مترابطة ومتسقة على النحو التالي:

1- أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم- عليه السلام-(الآية:34).

2- سجود الملائكة (الآية: 34).

3- استكبار إبليس و كفره (الآية: 34).

4- أمر الله تعالى آدم -عليه السلام- السكن في الجنة وتحذيره من الاقتراب من الشجرة (الآية :35).

5- زلّة آدم و حواء (الآية:36).

6- إخراجهما (آدم و حواء) من الجنة (الآية:36).

7- أمرهما بالهبوط إلى الأرض (الآية:36).

8- تلقِي آدم كلمات من ربّه (الآية:37).

9- توبة الله على آدم -عليه السلام- (الآية:37).

10-أمرهم بالهبوط جميعا (الآية:38).

فالأحداث العشرة السابقة، هي عبارة عن أحداث شدّ ترابطها الزمن، وخِيطَت من الحدث الأول إلى آخر حدث في قصة آدم-عليه السلام- وفي هذا الموقف الثاني، تصوير لاختبارات وامتحانات الطاعة والعصيان التي تميز بها إبليس وكيف استطاع أن ينقلها إلى آدم -عليه السلام- .

ومما سبق ملاحظته في هذه القصّة من الموقف الأوّل والموقف الثاني؛ فإنّنا نحكم على ظاهرة التتابع الزمني بأنّها ظاهرة مركّزة جدّا، ولها دورها المتميز الذي يختلف عما تؤديه بقية العناصر اللغوية الأخرى في عملية الإتّساق، فجملة ما لاحظناه عن الضمائر و أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة...إلخ، هي علاقات إحالية بين الأشياء ومسمياتها، أمّا في ظاهرة التتابع الزمني للأحداث التي تنظم وترتب النص القرآني خاصّة في جانبه القصصي؛ فإنّه يتعلّق بأحداث خلال مواقف يسيطر عليها النّمط السردي، وما يغلب على هذا النّمط هو كثرة الأحداث(الأفعال) سواء كانت ماضية أو حاضرة أو مستقبلية. وبين هذه الأزمنة الثلاث انتقال في الوضعيات وانتقال في الأحداث و انتقال في الأزمنة، غير أنه يمكننا أن نتساءل كيف ترابطت واتسقت دون أن يحدث ثغور في النص، وكسر لاستمرارية الأحداث القصصية ؟ والجواب عن هذا: هو أنّ هذه القصص يحكمها نظام منطقي تتتابع فيه الأحداث حسب الزمن، وتترتب حسب وقوعها، فالأول من حيث الوقوع هو الأوّل في البنية السياقية، ثم الثاني ثم الثالث... و هكذا حتى نصل إلى آخر حدث من حيث الوقوع في القصة، لذلك نجد الإتّساق يتوسع ويمتد عن طريق التتابع الزمني ومن موقف إلى موقف آخر؛ وما يتركه من أثر يمكننا أن نرصده في كنف الأحداث والإبقاء على مكانها شاغرا في القصّة، أو تقديم وتأخير حدث من الأحداث وعندها سوف يظهر الأثر الذي يتركه هذا الترتيب واضحاً للتتابع الزمني في اتّساق النص.

يقول الأستاذ محمود فكري، في تعليقه على البنية القصصية""إن الخطاب القرآني و إن كان يحتوي على إمتداد فضائه خطابات سردية قصصية متفرقة إلا أنها ليست كاملة مستمرة، بحيث تخضع في كل فعل سردي يتوخى التواصل الهادف لتوال زمني مألوف يرغب في حمل المتلقي على فهم رسالته، وجعله ينفعل لأثره ويستسلم له، إنّ وضعية الخطابات القصصية في القرآن الكريم جاءت على غير المألوف في جميع الثقافات، وعلى خلاف ما عرفناه في السرديات السابقة عليه، سواء ذات الأصول السماوية أو ذات الأصول الوضعية متفردا غير متأثر بغيره، ومع ذلك فإنّه يحقق كل ما يمكن أن يتوخّاه أي فعل سردي من تواصل هادف، بل استطاع بمزجه للأحداث والوقائع والشخصيات مع المواضع الأساسية التي يهدف الخطاب القرآني العظيم إلى توصيلها، أن يهيئ الأسباب النفسية والأجواء الفكرية والأسس العقلية كي ينفعل المتلقي بالأحداث ويتفاعل معها ويراها أمامه مصودة-رغم تفرقها- فيعيشها مشاهد حية ناطقة على مستوى الكتابة،و كأن له بها صلات معينة، فينصهر في بوتقتها حتى

يصبح في حالة تماه من نوع خاص"[1]، ويراعي في القصص القرآني"الزمن وحال المخاطبين بها، ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالبا فيما أتى في السور المدنية"[2].

وأمّا الأستاذ عبد المالك مرتاض فله رأي خاص حول الترتيب الزمني للأحداث في القصة القرآنية، وكيف أثر هذا الترتيب على تفسير الآيات والربط بين أحداثها ووقائعها، حيث يقول عن قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)** ﴾ (البقرة:34) فقد تحدث عن الزمن في القرآن خاصة في هذه الآية الشريفة :" فهي تزدخر بعجائب الأزمنة، ولطائق الاشارات، وكرائم الدلالات السيمياتية" [3] " فقوله تعالى:" قلنا " هنا نتيجة لذلك هي أشد إيغالا في الدلالة الزمنية الضاربة بجرانها في السرمدية، وأنّ هذا القول لم يقل إلا مرة واحدة وانتهى أمره"[4]. ويحال أنّ هذه الآية (34 من سورة البقرة)"سردية السياق، فإنّ أفعالها الخمسة الماضية وردت، جملة على نحو ما يرد عليه الفعل (الفعل البسيط) في بعض اللغات الغربية الحية كالفرنسية، و ذلك على أساس أنّ أحداث هذه الأفعال لم تحدث إلاّ مرّة واحدة حركيا ونفسيا وزمنيا."[5] وربما يقصد الأستاذ بهذا القول تزامن الأحداث والوقائع نظرا لأنّ زمن القول وزمن الفعل مقترنين أو على الأقل متقاربان من حيث وقوعهما في المكان نفسه. وهذا مايجعل هذا النص يتّسق من هذا المنظور الخاص بترتيب الأحداث. وهو لم يحرّف في تأويل النص وإنّما حاول أن يقارب الوقائع بعضها ببعض والله أعلم.

وتفسيره في ذلك وهو "أنّ دلالة الفعلين الماضيين الأولين:(قلنا–فسجدوا) هي دلالة متقارنة ومتزامنة بحيث إنّ "إذ" مخّضت دلالة القول إلى اللحظة نفسها التي كان السجود وقع فيها، وذلك بفضل حرف الفاء الاستئنافي الذي قد يؤاخي الفاء الواردة في قوله تعالى :(كن،فيكون)، فكما أن الكينونة الثانية لا ينبغي لها أن تكون إلا متزامنة إلا مع الكينونة الأولى، فكذلك (فسجدوا) لا ينبغي لها أن تكون إلا متزامنة مع (قلنا) إذ الأمر هنا أمر الله، وهو الصادر من أعلى إلى الأسفل، أي من الله للملائكة وإبليس، والإئتمار بالأمر هنا مرتبط باللحظة الصادر فيها."[6] وهذا ما يرجح وقوعهما في نفس الزمن باعتبار أمر الله نافذ.

---

[1] – جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، ،مؤسسة المختار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1435،1هـ –2014م، ص:134.

[2]– تفسير القرآن الكريم، الفاتحة، البقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي،للنشر والتوزيع،جدّة،الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، صفر 1423هـ، مج20/1.

[3]– نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان ،د.عبد المالك مرتاض، دار هومه، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص،71 .

[4]– المرجع نفسه ،ص:71.

[5]–المرجع نفسه، ص،74.

[6]–المرجع نفسه، ص:74.

فدلالة الزمن في أفعال:أبى،استكبر،كان، على الرغم من اِستغراقها، هي أيضا في أعماق الماضي المطلق إلا أنها جاءت متأخّرة عن الحركة الزمنية الأولى المتمثلة في قوله تعالى: قلنا، فسجدوا-حيث أنّ الإستثناء المنقطع الذي وقع من ابليس، وهو إباؤه السجود إنما كان بعد وقوع القول وحدوث سجود الملائكة"[1]. وترتيب هذه الأفعال التي يعلّقت بسلوك إبليس كان ترتيبا سلوكيا وحركيا حتّى تتابعها من حيث الزمن كان مرتبا ترتيبا سياقيا تركيبيا في القصة والسورة، وهذا ما يصوّر لنا البنية الزمنية لهذا المقطع من سورة البقرة، بل كل السورة لها ترتيب زمني منطقي، وإن خالف ذلك فلحكمة بلاغية.

ويواصل الأستاذ تحليله قائلا"نلاحظ أنّ أزمنة الأفعال الثلاثة المتعلقة بإبليس متعاقبة منطوقا، ومتأنّية مضمونا، إذ أن زمن (أبى) هو نفسه زمن (استكبر) الذي هو ذاته زمن كينونة الكفر (كان)"[2]. وهنا يلعب الزمن الذي حدثت فيه الأفعال الثلاثة دور المنسق الذي يربط بينها، لأنّ الفاعل والمكان والحدثين حاضرون في نفس الزمن. لذاك فإنّه يرى من المنطق أن ترتب الأفعال السابقة حسب الأزمنة، لأن "الأزمنة الخمسة، أو الأفعال الخمسة الماضية يجب أن تصنف على هذا النحو:

1- زمن القول (الله).
2- زمن السجود (الملائكة) .
3- زمن الإباء (إبليس) .
4- زمن الاستكبار (إبليس).
5- زمن الوقوع في الكفر و العصيان (إبليس) .

فكان إبليس استبد،في هذه الحال، بثلاثة أزمنة ماضية و إن كانت متآنية، من حيث لم يستأثر الله تعالى وملائكته إلاّ بواحد لكل منهما."[3] "إنّ أزمان هذه الأفعال تجسد طرفين إثنين في وحدة لسانية واحدة ينهض عليها المعنى من حيث إنّ الطرّف الأوّل الدّال على الخير لو ذكر منعزلا عن الطّرف الثاني لما أفضى إلى معنى ما، فالإختلاف أو التباين هو الذي أدّى إلى قيام الحدّ الأدنى للدلالة الكلامية القائمة على تشكل المعنى، وهو المعنى القائم على تشكل العلاقة الرابطة بين الطرفين اللذين يميز بينهما الاختلاف"[4]. وهذا ما يريد توضيحه الأستاذ عبد المالك مرتاض، حيث يرى بأنّ الترابط بين الأحداث والأزمنة المذكورة في هذه الآية هو الذي ساهم في تشكيل المعنى الذي شكلته أفعال الخلاف هذه بين الله والملائكة مع إبليس، فهي بهذا الترتيب ساهمت في إتّساق النص والمعنى على حدّ سواء.

---

[1]- المرجع نفسه، ص:74.
[2]- المرجع نفسه،ص:75.
[3] - نظام الخطاب القرآني،تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن،د.عبد المالك مرتاض،ص:75.
[4]- المرجع نفسه،ص:77.

ف- استثناء على قاعدة الترتيب الزمني في الإتّساق:

يمكننا أن نجد اختراقا لقاعدة الترتيب الزمني للأحداث في القصص القرآني دون الإخلال بالمعنى ومراعاة للسياق، وهذا لا يؤثر على السياق و إنّما يظهر تأثيره على المعنى وبلاغة هذا الترتيب المخالف للقاعدة العامة في تتابع الأحداث حسب الزمن، وإن حدث ووجد ذلك فإنّ الترتيب لا يهتز لذلك، بل نجده أظهر صيغة جديدة من الترابط الزمني" وهذا الترابط الزمني داخل القصة القرآنية يمكن رصده في أغلب القصص القرآني على نفس الحال المبيّنية في قصّة يوسف،كما هو الحال في قصة آدم -عليه السلام- و نوح و موسى و عيسى و مريم وغيرهم، فلما تخرج القصة القرآنية عن الترتيب الزمني، وإن خرجت فيكون ذلك مراعاة للسياق"[1]، فليس هناك جزم بأن القصص القرآني راعي قاعدة الترتيب الزمني التي تساهم بقسط كبير في النص القرآني؛ فقد يرد استثناء على هذه القاعدة لا يراعي الترتيب الزمني للأحداث حسب وقوعها، ومع ذلك يظهر النص القرآني بمظهر الإتّساق الشبيه بالقاعدة الأصلية لترتيب الأحداث بدون ترتيب زمني، ولا يعلل ذكر تلك الأحداث بهذه الطريقة وبدون ترتيب زمني وتفسر بأنه خلل في تركيبة النص، وخاصة أنّ النص الذي نتعامل معه هو النص القرآني الموصوف برفعة البلاغة و روعة الأسلوب.

إن تقديم الأحداث المتأخرة زمنيا في القصة القرآنية هو أسلوب نادرا ما يحدث في النص القرآني، حتى وإن حدث ذلك؛ فإنّ هذا التأخر للأحداث يكون في غالب الأحيان مراعاة للسياق. إذ نجد مثلا الآيات التي تحدثت عن هلاك المكذبين للرسل ونجاة المؤمنين تقدم ذكر نجاة المؤمنين على هلاك المشركين غالبا، مع أن الترتيب الزمني يقضي بوقوع الهلاك أولا، ثم تكون النجاة بعد ذلك منه"[2] فالحوادث التي وقعت لبني إسرائيل وكان فيها نجاة بعد هلاك كثيرة، ونذكر على سبيل المثال حادثة نجاتهم من فرعون بعدما هلك، فكان الهلاك أولاً (هلاك فرعون)، ثم النجاة ثانية (نجاة بني إسرائيل). هذا ما هو في أمر الواقع؛ لكن النص القرآني في سورة البقرة ذكر النّجاة أولا ثم ذكر بعده الهلاك، وهذا أيضا يؤثر على إتّساق النّص بالإيجاب كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)** ﴾ (البقرة:49-50). وعن ذلك يقول محمد الطّاهر بن عاشور:"فقدم الإنجاء للإهتمام بإنجاء المؤمنين وتعجيلا بمسرّة السامعين من المؤمنين بأنّ عدة الله إذا أهلك المشركين أن ينجي الرسول و المؤمنين"[3].

---

[1] – التماسك و التناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني،د.محمد أحمد أبو بكر أبو عامود،ص:236.

[2] – ينظر، المرجع نفسه،ص:237.

[3] – تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج179/9.

ومن الأمثلة التي وجدناها في سورة البقرة تجسّد هذا الاستثناء على قاعدة الترتيب الزمني، ما جاء في حديثه عن قصة بقرة بني إسرائيل في ذلك الحوار الذي دار بين سيدنا موسى –عليه السلام– و قومه حول تحديد أوصاف البقرة التي أمرهم الله بذبحها، ثم ذكر ما كان من المفروض أن يذكر في بداية القصّة، لأنّه حدث سابق لأمر الذبح و هو قتل الرجل.حيث قال الله تعالى: ﴿ **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72)** ﴾ (البقرة:67-72)، إذ أن الأصل في الترتيب الزمني لهذه القصة أن تذكر حادثة القتل وهي قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72)** ﴾ (البقرة:72). وهذا حسب زمن الوقوع والحدوث لأن هذه الحادثة (حادثة القتل) سبقت زمنيا أمر الله بذبح البقرة، فما كان ليوجّه هذا الأمر إلى بني إسرائيل لولا حادثة القتل، وجاءت هذه الحادثة مؤخّرة من حيث السرد، وتقديم أمر الله لموسى طلب قومه ذبح البقرة مع تحديد أوصافها، لبيان الصفات التي كان عليها بنو إسرائيل من عناد وكفر وجحود لنعم الله، وما القتل إلاّ صفة من صفات القبح التي يتميزون بها. فما يحدث من قوة مثلا"في أفعال الكلام و الذي تجسده بعض التراكيب الواردة في السياق القرآني في النص يحدث تلاؤما عجيبا في اتساق الخطاب و تراكيبه"[1]

وفي هذه القصّة مخالفة للترتيب الزمني الأصلي للأحداث حسب وقوعها، والأصل أن يذكر القتل ثم أمر الله بذبح البقرة، لكنها خالفت الأصل؛ فذكر أمر الله بذبح البقرة ثم حادثة القتل في النهاية "وهذا الترتيب الزمني للقصة يختلف عن ترتيب القصة في القرآن، ولعلّ القرآن جاء بها على هذه الصورة حتى تظهر القصة على هيئة قصتين كلتاهما في سياق واحد هو بيان كفر بني إسرائيل وعنادهم وسوء تصرفهم وعدم إتباعهم أوامر ربهم"[2]. وهذا دعوة للقارئ للحكم على بني إسرائيل بغلظة كفرهم وتوبيخهم مرتين متتاليتين لا مرّة واحدة، لأنّه لو ذكرت آية حادثة القتل وجيء بعدها بآية أمر الذبح لكانت القصة تبدو واحدة في سياق واحد. لكن آية حادثة القتل أخّرت– و الله أعلم– حتى تبدو القصة قصتان، قصة عناد وكفر بني إسرائيل، و قصة القتل.

وقد أشار الزمخشري إلى سبب تأخير آية حادثة القتل التي لم تذكر في النص القرآني للقصة مرتبة ترتيبا زمنيا حسب الوقائع والأحداث، إذ يقول:" فإن قلت: فما للقصة لم تقص على ترتيبها؟ وكان حقّها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها. وأن يقال: ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ**

[1] – جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، ص:116.

[2]– التماسك والتناسب،دراسة في بلاغة النص القرآني ،د.محمد أحمد أبو بكر أبو عامود،ص:239.

تَكْتُمُونَ (72) ﴾ (البقرة:72). قلت:كل ما قصّ من قصص بني إسرائيل إنّما قصّ تعديداً لما وجد منهم من جنايات وتقريعاً لهم عليهم، و لما جدد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة و بنوع من التقريع، وإن كانتا متصلتين متحدتين.. وإنما قدّمت قصّة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل، لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع"[1]، و الواضح أنّ الترابط بواسطة الإتّساق الزمني للأحداث يراعى فيه السياق الذي ترد فيه القصة وأحداثها وانسجامها مع الغرض والهدف الذي سيقت من أجله، لأنّ دور الأحداث (الأفعال) هو الإخبار بالحدث ممهورا بزمن حدوثه، وهذا الزمن الذي يجسد فيه واقعة أو حدث إمّا يكون سابقا أو متزامنا أو لاحقا متأخراً لحادثة ما في القصة، وبهذا النظام يتشكل الإتّساق الزمني للقصة ككل، وهو جزء من النظام الزمني العام للنص الذي يحكم النص ككل.

[1] – تفسير الكشاف، للزمخشري، 83.

الباب الثاني:

أثر عناصر الإحالة و وسائل الإتّساق في النص القرآني.

تمهيد:

تكثر عناصر الإحالة وتتنوع في النصوص، ويؤدي كلّ عنصر منها دوره في الربط بين العناصر اللغوية الأخرى، وتصبح العلاقة بينها متكافلة في أداء وظيفتها الإتّساقية التي تهيمن على النص من البداية إلى آخر كلمة ترد فيه، وتبدأ ملامح النّص وواجهته تبرز للمتلقي، وبهذه العناصر يحكم هذا الأخير على النّص بترابطه وإتّساقه، فإذا أدّت وظيفتها وظهر النّص متماسكا برز الإتّساق في أقوى صوّره. إذ لا يمكن أن نتكهن بوجود نص خال من عناصر الإتّساق اللغوية لأنَّها من الوسائل التي تثري النص وتعطيه سمته الترابطية التي تساق بها المعاني.

إنّ عناصر الإتّساق التي تدخل ضمن التّشكيلة اللّغوية العامّة للنّص، تتدخل بأيّ شكل من الأشكال في تهيئة المناخ لإستقطاب أنواع أخرى من الكلمات وتنتج علاقات لغويّة متنوّعة تعمل على طرح الأفكار في ثوب مضامين منسوجة بإحكام، وهنا تؤدي هذه الوظيفة حسب ما تتوفر عليه التراكيب والجمل من علاقات متتابعة تحاك لصناعة النسيج العام للنّص.

وتلعب هذه العناصر اللغوية دورا إحاليا متنوعا يسهم بطريقته الخاصة في إتّساق النصّ، ويخلق تنوّع هذه العناصر تنوّعا في إنتاج العلاقات النّصية إمّا داخل النّص أو خارج النّص، فالأدوار التي تؤديها الضمائر تختلف عن تلك التي تؤديها الأسماء الموصولة، وكذلك بالنسبة لأسماء الإشارة، فالمقام الإشاري هو من يتحكم في خلق العلاقة الإحالية بين المشار والمشار إليه بالدرجة الأولى، ويثرى هذا التنوّع في الأنواع والتنوّع في العلاقات وكلاهما يمشي مع الآخر بالتوازي إلى حدود نهاية النّص، لأنّ ذلك التنوّع في العناصر اللغوية المنتجة للعلاقة من شأنه أن يمايز بين العبارات والجمل وبالتالي تمايز المقاصد والأهداف في كلّ مرّة يرد فيها العنصر اللغوي، فتكرار أيّ عنصر من هذه العناصر ليس كما يأتي ذكره لأوّل مرّة، واقترابه من أخيه الذي يشابهه ليس كما يبتعد عن العنصر نفسه، إنّه الثراء اللغوي الذي يقابله حتما الثراء في العلاقات. وتلعب الروابط الإحالية من ضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، والعناصر المعجمية (التكرار،و التضام) دورا لا يكاد يختلف عن أداء بعضها عن البعض الآخر، والنصوص القرآنية ثرية بالمذكورات السابقة، ونكاد نجزم بأنّه لا يخلو نص من هذه العناصر حيث تشارك مجملة في بنيته التركيبية، وتعمل متآزرة في خلق ذلك النسيج المترابط من الأفكار والمفاهيم فقد"أتاح شيوع هذه الروابط وتعداد دلالتها، وبروز دورها في تحقيق الترابط بين أجزاء النص القرآني إمكان دراستها في سياقات متباينة وفي أبنية مختلفة، في إطار القرآن الكريم وحدة"[1]."والحق أن الربط بالأدوات ظاهر في

[1]– دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة،د/سعيد حسن بحيري،ص:96.

نحو الجملة ظهورا ملحوظا في أدوات الشرط والقسم والتعليل...إلخ بين الكلمات داخل الجملة أو الجملتين المتواليتين"[1]. وهو ممارسة في النحو التقليدي العربي القديم.

وإذا كانت العناصر اللغوية تؤدي ما عليها من وظيفة، فإنّ هناك جانبا آخر يسهم هو الآخر في تلاحم النّص وتماسكه، لأنّ العلاقات اللغوية لا يمكننا حصرها في وظيفة هذه العناصر، بل هناك جانب آخر من علاقة الإتّساق تؤديه وسائل أخرى نكتشفها من العلاقة النحوية والأثر البلاغي والدلالي الذي تتركه، كالتكرار والحذف والاستبدال.

[1]– نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص: 100.

الفصل الأوّل:

أثر عناصر الإحالة في النص القرآني.

أوّلا: عناصر الإحالة:

أ- تعريف الضمير pronoun:

- لغة:

بيّن ابن فارس في كتابه "معجم المقاييس في اللغة العربية" أن "الضاد والميم والراء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على دقة في الشيء والأخر يدل على غيبة وتستر... ومن هذا الباب: أضمرت في ضميري شيئا، لأنّه يغيبه في قلبه وصدره"[1].

وفي القاموس المحيط جاء في ضمر "الضمر، بالضم وبصمتين: الهزال، ولحاق البطن... والضمير: العنب الذابل، والسر، وداخل الخاطر، ج: ضمائر أضمره أخفاه، والموضع والمفعول: مضمر –والأرض الرجل غيبته، إما بسفر أو بموت "[2].

وهكذا يتضح من هذين التعريفين أن هذه المادة (ض، م، ر) تستعمل في الهزال والضعف أو في الإخفاء والتستر والغيبة، ومنه نقول أنّ الجانب اللغوي لهذه المادة تدل عليه الضمائر من التستر والغيبة، ويرشدنا هذا إلى أنّ النّحاة –كما رأى ابن هشام – قد راعوا الجانب اللغوي في إطلاق هذا اللفظ على بعض كلمات اللغة، "لأنّ بعض الضمائر قليل الحروف مثل التاء في (صاحبت) وبعضها الآخر مستتر لا يبين، كقولنا (لا تأسف فاليسر يعقب العسر) ففي الفعلين (تأسف- يعقب) ضمير مستتر" [3].

- اصطلاحا:

جاء في معجم علوم اللغة العربية أن "الضمير إسم لما وضع لمتكلم كأنا، أو مخاطب كأنت، أو لغائب كهو أو لمخاطب تارة ولغائب أخرى وهو: الألف، والواو، والنون، كقوما وقاما، قوموا وقاموا، وقمن"[4]

---

[1]- معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 1429-2008م، ص: 602-603.

[2]- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مراجعة وتحقيق: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، 1429هـ/2008م، ص: 981.

[3]- النحو المصفى، محمد عيد، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص: 135-136.

[4]- معجم علوم اللغة العربية(عن الأئمة)، د.محمد سليمان عبد الله الأشقر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ/1995م، ص: 262.

والضمير عند النّحاة، يعد من أنواع المعارف وأقواها حضورا في النّصوص، وهو "اسم المبهم يعبر به عن متكلم أو مخاطب أو غائب، يحل محل الاسم الظاهر ولا يمكن ذكر الاسم قبله "[1] وتنازعت كتب النحو حول تعاريف الضمير وأنواعه، ومن ذلك ما وجدناه قد أشير إليه في كتاب "أسرار العربية" لأبي البركات الأنباري[2].

وعلى كلّ؛ فإنّ الضّمير "يعد من المعارف، وهو ما كني به عن متكلم أو غائب أو مخاطب، نحو : نحن، وهم، وأنتم.. "[3] وهو أقوى أنواع المعارف وهو "إما مستتر كالمقدر وجوبا، في نحو : "أقوم" و"نقوم" أو جوازا في نحو: "زيد يقوم" أو بارزا وهو إمّا متصل كتاء "قمت" وكاف "أكرمك" وهاء "غلامه" أو منفصل ك "أنا" و"هو" و"إياي" ولا فصل مع إمكان الوصل إلاّ في نحو: الهاء من "سلنيه" بمرجوحية و"ظننتكه" و"كنته" برجحان"[4]

إن الكشف عن العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للضمير عند ابن هشام يوحي بدلالة واحدة وهي أنّ الضمير شيء خفي ومضمر لا يظهر إلا بذكر ما يكشف عنه، حيث قال: "و إنما سمي مضمرا من قولهم: أضمرت الشيء، إذ سترته وأخفيته، ومنه قولهم: أضمرت الشيء في نفسي" أو من الضمور، وهو الهزال، لأنه في الغالب قليل الحروف ثم تلك الحروف الموضوعة له غالبها مهموسة–و هي التاء والكاف والهاء– و الهمس: هو الصوت الخفي"[5].

والضمير اصطلاح بصري كما عرّفه الكوفيون بمصطلح الكناية أو المكنى، وقد أشار إلى ذلك الإمام السيوطي في كتابه (الهمع)، فالكوفيون لا يفرقون بين المضمر والمكنى، حيث يعتبرون المصطلحين مترادفين، أمّا البصريون فإنّهم يرون أنّ المضمر نوع من المكنى، فكلّ مضمر مكني، وليس كل مكنّي مضمر"[6].

وقد ورد ذلك عند الرضي إذ قال: "والكناية في اللّغة والإصطلاح: أن يعبر عن شيء معين لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه..أو للاختصار كالضمائر الراجعة إلى متقدم... وقولك: أنا وأنت ليس بكناية، لأنّه تصريح بالمراد والضمير الغائب كناية، إذ هو دال على المعنى بواسطة المرجوع إليه غير صريح

---

[1]– اللغة والدلالة، معجم في اللغة العربية ووظائفها وتقنياتها التعبيرية، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2007م، ص: 204.

[2]– ينظر: أسرار العربية لأبي البركات الانباري عبد الرحمان بن محمد ابن أبي سعيد الانباري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل بيروت لبنان، ط1، 1415هـ–1995م، ص: 298–303.

[3]– في علوم اللغة العربية وفنون الضاد، أنور عبد الحميد الموسى، دار النهضة العربية بيروت لبنا، 1431هـ– 2010م، ص: 199.

[4]– شرح قطر الندى وبل الصدى، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط3، 1419هـ– 1998م، ص: 115.

[5]– شرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، ص: 134.

[6]– ينظر: المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، لبنان الجزء 3، ص: 74.

بظاهره فيه"[1] فالمراد من المصطلحين واحد، وعودة الضمير إلى المتقدم، ويسمى المتقدم (المفسر) وفي تسميته بالمفسّر شعور بما يكتنف الضمير من الخفاء والإبهام وبمدى حاجته إلى ما يزيل عنه خفاءه ويكشف إبهامه،وهو بوصفه ظاهرة لغوية تختفي في بعض أجزاء الاسم وبقاء ما يشير إليه، أو يحيل عليه. لكن بتغير حالته الأولى، فهو تكرار للشيء الذي يحيل عليه، إلا أنّه تكرار إيحائي بفعل التّحول الذي يحصل للاسم، وقانون الضمير الذي ينطلق من الإقرار بأهمية هذا (المحال عليه) فيتعامل وإيّاه كحركة وتحوّل لا ينتفي بوجودها الأصل، بل تسهم في استمراره محوراً قابلاً للتجدد وإعادة صوغه تتم وفق متطلبات جديدة لم يكن عليها في المرحلة الأولى، وبذلك يستمر ذكر المحال عليه، فالانتقال من اسم صريح إلى مضمر يحتاج إلى تفسيره، من هنا كان مظهراً من مظاهر العدول بالنقصان، فهو حذف كما يدل على اسمه .

وعلاقة الضمير بالمفسّر علاقة لزومية، تستوجب ذكر المفسر ثم الضمير، إذ لا يصحّ أن يكون هناك ضمير دون مفسّر، كما قال سيبويه "إنما تضمر اسما بعدما تعلم أنّ من يحدّث قد عرف من تعني وما تعني وأنك تريد شيئا يعلمه."[2] لذلك بيّن الكثير من النّحاة بأنّ الاسم لا يضمر إلاّ بعد أن يعرف، وإذا حدث عكس ذلك فإنّه يعد ضربا من الإيهام والمغالطة. ومن باب التوجيه المعنوي فإنّه يؤتى بالضمير لتحديد إحالته على ما سبق ذكره" ويؤتى به عند فطنة المخاطب، كقوله تعالى حكاية عن أخت موسى عليه السلام:﴿**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾(القصص: 12). فإنّ الضمير في (له) يحتمل أن يكون موسى، وأن يكون لفرعون"[3]

ب- أنواع الضمائر ومعايير تصنيفها ودورها في الإحالة:

هناك عدة معايير اعتمدها النحاة في تقسيم الضمير فمنهم من اعتمد معيار البروز (الظهور) والاستتارة مثل ضمير الشأن (هو) الذي يدل على "مفرد غائب، يوضع قبل المبتدأ لتعظيم شأنه، ويستعمل للتكنية عن الأمر الذي يراد الحديث عنه"[4] أما المستتر "ما لم يكن له صورة في الكلام، بل كان مقدرا في الذهن ومنويا، وذلك كالضمير المستتر في (اكتب) فإنّ التقدير (اكتب أنت)"[5] كما يستعمل في أفعال المدح والذم والتعجب...الخ.وتخريجا للمحال إليه بالضمير المستتر في الفعل (ليحكم) في قوله تعالى ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**

---

[1]- شرح كافية بن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي، تحقيق يوسف حسن عمر، جامعة بن غازي، جامعة قار يونس، 1398هـ-1978م، ص: 30-147-148.

[2]- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت، ج2/ 6.

[3]- ينظر،الموسوعة القرآنية إبراهيم الأنباري، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ-1984م، مج3/ 60-61.

[4]- اللغة والدلالة معجم في اللغة العربية وظائفها وتقنياتها التعبيرية، يوسف مارون، ص: 205.

[5]- جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، تحقيق: أحمد جاد، مؤسسة قصر البخاري للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص: 96.

فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ...﴾ (البقرة – 213) .

قال الرازي : " فاعلم أنّ قوله (ليحكم) فعل لا بد من استناده إلى شيء تقدم ذكره ، وقد تقدّم ذكر أمور ثلاثة فأقربها إلى هذا اللفظ (الكتاب) ، ثمّ (النبيّون) ، ثمّ (الله) فلا جرم إن كان إضمار كلّ واحد منها صحيحا فيكون المعنى : ليحكم الله أو النبيّ المنزل، أو الكتاب ثم إنّ كل واحد من هذه الاحتمالات يختصّ بوجه ترجيح، أمّا الكتاب فلأنّه أقرب المذكوران، وأمّا الله فلأنّه سبحانه هو الحاكم في الحقيقة لا الكتاب، وأمّا النبيّ فهو المظهر، فلا يبعد أن يقال: حمله على الكتاب أولى، وأقصى ما في الباب أن يقال: الحاكم هو الله، فإسناد الحكم إلى الكتاب مجاز إلّا أن تقول هذا المجاز يحسن تحمّله لوجهين: أحدهما أنّه مجاز مشهور، يقال حكم الكتاب بكذا، وقضى كتاب الله بكذا، ..وإذا جاز أن يكون هدى وشفاء جاز أن يكون حاكما. قال تعالى:﴿**إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ (الإسراء –9) .والثاني أنّه يفيد تفخيم شأن القرآن وتعظيم حاله [1].

نلاحظ أنّ تعدّد الإحالة مبرّر لدى الرازي بعدّة قرائن : أولاها نحويّة وهي عود الضمير على الأقرب، والثانية بلاغية تعتمد على مسألة الحقيقة والمجاز، فإذا عاد الضمير المستتر على الله كانت الإحالة حقيقيّة لأنّ بعث النبيّين وإنزال الكتب أفعال صادرة منه، وإذا تمّت الإحالة إلى الكتاب كان الإسناد مجازيّا بحكم الاستعمال المتعارف عليه. والقرينة الثالثة مقاميّة مأخوذة من حقيقة الواقع (أن الله هو الحاكم في الحقيقة) ، والعرف اللغوي "مأخوذ من قوله" مشهور" ومأخوذ من الغرض وهو جزء من سياق الحال وذلك في قوله" يفيد تفخيم شأن القرآن وتعظيم حاله". والذي جعل إحالة الضمير المستتر متعدّدة هو ورود الفعل حرّا غير مقيّد بأيّة قرينة على عكس الأفعال الأخرى. فالفعل (بعث) أسند إلى فاعل صريح هو (الله) كما أنّ الفعل (أنزل) لا يحتمل تعدد المحال إليه ، لأنّه عقّب بجار ومجرور يتضمّن ضميرا محيلا إلى النبيّين ممّا يجعل الإحالة بضميرين إلى العنصر نفسه (الله عز وجل) مستحيلة.

ومن أهم الضمائر الأكثر حضورا في سورة البقرة الضمير المنفصل هو ما يصح الابتداء به، والمتصل هو الذي يقع آخر الكلمة ولا يبتدأ به إذ لا يمكن النطق به وحده بسبب أنّه لا يستقل بنفسه كالتاء والكاف من "أكرمْتك"[2].

– و ذو اتـــصال مـــــنه :يبـتـدا و لا يـلي إلاّ اخـتبار أبـتدا

---

[1]– تفسير الرازي ، 6/ 15.

[2]–ينظر،النحو العربي أحكام و معان،محمد فاضل السامرّائي، دار ابن كثير للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، ط1، 1435هـ–2014م،ج1،ص:88–89.

–و ذو ارتـــفاع و انـفصال:أنـــا هو وأنت، والفروع لا تشتبهُ
– و ذو انتصاب في انفصال جُعِلا إياي و التفريع ليس مشكلا[1]

ومن المحدثين الذي عُنوا بتقسيم الضمير تمام حسان، حيث اعتمد معيار الحضور والغيبة وجعل لكل منهما فروعا .وجميع"الضمائر قائمة على قواعد نظامية وإن اختلفت من حيث قيام إضمار الغائب على شرط التقدم في الذكر،بخلاف المتكلم والمخاطب"[2].وقد اعتمد علماء النص على التقسيم الحضور الوجودي للضمائر مثل:أنا،نحن،هو،هم،هنّ..إلخ والتصنيف الثاني هو تصنيف الملكية:مثل:كتابي،كتابك،كتابه..إلخ."وهذه الضمائر تحيل إلى خارج النص في حالتي المتكلم والمخاطب،وتكون إحالة إلى داخل النص في كلام المستشهد به،وأمّا ضمائر الغيبية فهي تؤدي دوراً مهما في اتساق النص وتحيل قبلياً بشكل نمطي،إذ تقوم بربط أجزاء النص،وتصل بين أقسامه "[3] .وعند الحضور قد يكون حضور تكلم كأنا ونحن وقد يكون حضور خطاب كأنت وفروعها،في حين أدرج الضمائر الشخصية في الغيبة وهي تمثل هو وفروعه[4] ، ويدرج اللسانيين وبعض النحويين أسماء الإشارة والأسماء الموصولة ضمن تصنيف الضمائر، وهي موضحة حسب مايلي:

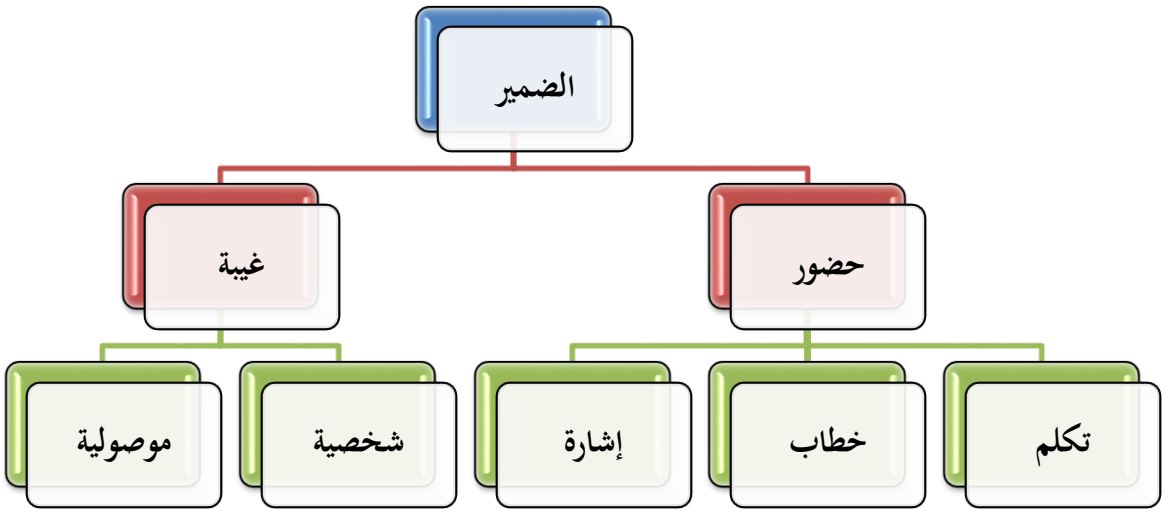

مشجّر يوّضح تقسيم تمام حسان للضمير حسب الغيبة و الحضور.

[1]–تيسير و تكميل شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك،محمد علي سلطاني،دار العصماء،دمشق،سوريا،ط1،2015م،ج1،ص:92–99.
[2]– أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس نحو النص،محمد الشاوش،المجلد الثاني،ص:1107.
[3]–ينظر: أبحاث في علم اللغة النصي و تحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،ص:17.
[4]– ينظر:اللغة العربية معناها و مبناها،تمام حسان، ص:88.

ومنهم من اعتمد معيارا آخر وهو الاتصال والانفصال كون "الضمير المتصل أخصر من الضمير المنفصل"[1] والضمائر المتصلة هي التي"تلحق الاسم أو الفعل أو الحرف، فتكون مع ما تتصل به كالكلمة الواحدة، نحو التاء والكاف والهاء في قولنا (حضرت خطابك الموجه إليه)"[2]كما يمكن فصله مثل قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾(**الفاتحة، 05.**)، وقد عدّ النحاة ضمير المتكلم أخص من ضمير المخاطب أي أعرف منه وضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب.وفي سورة البقرة أمثلة واضحة تتجسد فيها الوظائف الإحالية والإتّساقية للضمائر من هذا النوع، ونذكر دليلا عن الضمير المتّصل وكيف ساهم في تحديد المرجع وعملية الترابط التي ساهمت في إتّساق النص، وهو قوله تعالى:﴿**وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36)**﴾(سورة البقرة:35-36) فالضمير(أنت) ضمير رفع منفصل يحيل إلى (آدم)، وهي إحالة إلى لفظ سبق ذكره، حيث يعقد علاقة ترابط بين السابق(آدم) واللاحق(أنت) الذي جنب الآية تكرار معجمي قريب لا يحقق غايتها كما حققها الضمير(أنت)، ونلمس أيضا حضورا مكثفا للضمائر المتصلة التي تتالت في هاتين الآيتين لتبيان أهمية المتحدث عنهما وهما (آدم) عليه السلام و زوجه (حواء)، كما جاء في النص، فألف الإثنان التي نجدها في الكلمات التالية(كلا – شئتما- تقربا- فتكونا-فأزلهما- فأخرجهما- كانا) تحيل إليهما وترتبط بهما المعاني كلما تقدّم المتلقي في النص، فإنه يجد نفسه يستذكرهما كلما أتت ألف الإثنان على لسانه التي تعود عليهما، وهذا المضي في المعنى نحو الأمام والعود إلى الوارء يضر بالنص أكثر مما يفيد لولا وجود الضمير المتصل(ألف الإثنان) في المواضع التي أشرنا إليها. وهذه الإحالة كثيفة على مستوى آية واحدة بالنظر إلى عدد الكلمات وطول الآية، ساهمت بشكل كبير في إتّساق النص. ونفس الشيء بالنسبة لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)**﴾ (البقرة:158) فألف الإثنين المتصلة في(بهما) عوضت كلمتين(الصفا-المروة) وأحالت إليهما فربطت التركيبين والمعنى وحصّنت الإتّساق داخل الآية الواحدة، أمّا الضمير في (عليه) فأحال إلى الإسم الموصول(مَن) في قوله(مَن حجَّ أو اعتمر)، فحصل اتّساق متوازي يرافق الإحالة الأولى؛ عن طريق عملية الإحالة التي قام بها الضمير المتصل(الهاء في عليه).

ويظهر هذا أيضا في قوله تعالى:﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)**﴾ (سورة البقرة:219) حيث أحال الضمير المتصل (ألف الإثنان) في الكلمات التالية(فيهما-إثمهما-

[1] – جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلا ينيي، ص: **94**.

[2]– في علوم اللغة العربية وفنون الضاد، أنور عبد الحميد الموسى، ص: **201**.

نفعهما) إلى المذكورين السابقين وهما (الخمر و الميسر).ما شكّل اتساقا قريبا ومتكررا عن طريق الإحالة إليهما بألف الإثنين.

وهناك تنوع في استعمال الضمائر في السّورة كاملة حسب نوع المتحدث عنه وطبيعته، فقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)**﴾(البقرة:213) فيه حديث عن النساء فخصهم بضميرهم تجنبا لتكرار لفظة النساء، ما زاد المعنى قوة وانسجاما موسيقيا متناغما كلما تكررت نون النسوة(أَجَلَهُنَّ- فَأَمْسِكُوهُنَّ- سَرِّحُوهُنَّ - تُمْسِكُوهُنَّ)، كلّ هذه الضّمائر تحيل إلى كلمة (النساء) التي وردت في السياق السّابق، ما جعل الآية تتماسك وتتسق بإحكام.

كما اعتمد النحاة على معيار آخر في تصنيف الضمائر، كونه "يقوم مقام الإسم الظاهر، فهو مثله يكون مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا، كما يقتضيه مركزه في الإعراب"[1] كمثال عن الضمائر الظاهرة التي نجدها في سورة البقرة؛ قوله تعالى:﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)**﴾(سورة البقرة:160) فالضمير(أنا) يحيل إلى لفظ الجلالة، وهي إحالة إلى خارج النص، وهنا تكون وظيفته النصيّة مزدوجة، اتساق داخل النص، وانسجام خارج النص لأنّه أسند التوبة إليه شخصيا باستعمال أخصّ الضمائر، وهو ضمير المتكلم(أنا).

ج- الضمير بين الوظيفة النحوية و الأداء البلاغي:

يؤدي الضمير عدّة وظائف، نذكر منها الوظائف النّحوية، فالضّمير في "النّحو GRAMMER كلمة وظيفيFUNCTION WORD لمجموعة مغلقة CLOSED SET يستعمل عادة بديلا لاسم أو لمجموعة اسمية ويقف لوحده ككلمة رأس HEAD WORD"[2]. ويؤتى بالضمير تحاشيا عن التكرار ورغبة في الاختصار، فالضمائر تمثل"مظهرا من مظاهر الإيجاز والاقتصاد في اللغة، إذ معظمها كلمات صغيرة التكوين ضئيلة الحجم، فبناؤها اللفظي يمثل إيجازا"[3] نضرب مثالا لذلك في قوله تعالى:﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ**

---

[1]- جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلا ينيي، ص: 97.

[2] - معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة خالد الأشهب: مراجعة: خالد برنسيم، ص: 554.

[3]- أحوال الضمير مع مفسّره، زكية بنت فازع بن مبروك اللحياني، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 1423هـ-2002م، ص: 8.

كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب، 35)حيث نجد أن الضمير(هم) عوض عشرين كلمة سبقته في الذكر، لذلك جيء بالضمير (هم) لينوب عنها، ويوجز الكلام.

-يفيد التمليك: وذلك"إذا أضيف إلى ضمير مختص بالمالك: منزلي، منزلك، منزلكم، منزلهن، منزلهم"[1]

- رفع الالتباس: وحتى لا يتوهم في معنى المذكور ويزول الالتباس يؤتى بالضمير تجنبا للوقوع في الالتباس."لذلك يؤتى بالضمير لينص على أن المراد هو المذكور بعينه"[2]، و عود الضمير على المتحدث عنه أولى من عوده على الأقرب، ففي قوله تعالى في سورة طه:" ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)** ﴾(طه، 38-39.) "الظاهر أن الضمير في (اقذفيه) عائد على موسى، وكذلك الضميران بعده؛ إذ هو المحدّث عنه، لا التابوت، إنّما ذكر التابوت على سبيل الوعاء و الفضلة. و لقائل أن يقول: إنّ الضمير إذا كان صالحا أن يعود على الأقرب وعلى الأبعد، كأن عوده على الأقرب راجحا، وقد نص النحويون على هذا؛ فعوده على التابوت في قوله:"فاقذفيه في اليم فليلقه اليم" راجح.

و الجواب: أنّه إذا كان أحدهما هو المحدث عنه، و الآخر فضلة، كان عوده على المحدث عنه أرجح، ولا يلتفت إلى القرب".[3] و مثل ذلك قوله تعالى: ﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾**(27)** (العنكبوت ، 26- 27)، و قد ذكر بعض العلماء بأنّ الضمير في (ذريته) عائد على إبراهيم، و هو غير الأقرب؛ لأنّه المحدّث عنه من أوّل القصة بداية من قوله :(فآمن له لوط) لم يؤمن بإبراهيم أحد من قومه إلا لوط عليه السلام ، حين رأى النار لم تحرقه ، وكان ابن أخي سارة ، أو كانت بنت عمه . والضمير في (وقال) عائد على إبراهيم ، وهو الظاهر ، ليتناسق مع قوله (ووهبنا له إسحاق)"[4].

---

[1]- اللغة والدلالة معجم في اللغة العربية وظائفها وتقنياتها التعبيريةن يوسف مارون، ص: 204.

[2]- ينظر شرح كافية ابن الحاجب رضي الدين الاستراباذي، الجزء2، ص: 401.

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة،دار الحديث، القاهرة،(دط)،(دت)، المجلد8، القسم الثالث، الجزء الأول، ص:29.[3]

[4]-ينظر، تفسير البحر المحيط، للألوسي، ج149/7.

فمن المعلوم" أنّ الغرض من الربط بالضمير هو الاختصار وأمن اللبس بالتكرار وإعادة الذكر، فوجود الضمير يشير إلى تعلق الجملة الثانية بصاحب الضمير"[1] ولهذا نبه النّحاة إلى حتمية معرفة مرجعية الضمير لتفسير وتأويل النصوص، لتفادي اللبس.قال تعالى:﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)**﴾(البقرة، 46) فـ" الضمير في (إليه) يعود على الرب، وهو أقرب مذكور. و قيل: يعود على اللقاء الذي يتضمنه(ملاقو ربهم)، و قيل يعود على الموت."[2]، وكل هذه التأويلات تصب في خدمة الإتساق إذ كل الضمائر من خلال هذه التأويلات لديها أماكن رجوعها لتفسر، ويحصل هذا في ظل ترابط حاصل بين المحال والمحال إليه.

وفي قوله تعالى:﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)**"(البقرة، 48)، وعن الضمير في قوله(منها) يقول الزمخشري بأنّ" الضمير في (منها) يرجع إلى (نفس) الثانية العاصية، ويجوز أن يرجع إلى نفس الأولى، على معنى:أنها لو شفعت لم تقبل شفاعتها."[3]

"والالتباس ظاهرة ترتبط بإخراج الملفوظ في صورة خطاب، وتتولد هذه الظاهرة عندما تتوفر في الجملة الواحدة معان عديدة ومن ثم تكون قابلة لتؤول بطرق كثيرة"[4].ويستعمل الضمير لعدّة أغراض بلاغية تنتجها القصدية النصية التي يفصح عنها المتكلم بألفاظ وعبارات تساهم هي الأخرى في إنتاج دلالات متقاربة ومتماسكة للنص، بحيث تشارك الضمائر في بناء جزء من الدلالة العامة للنص.

ومن أهم الأغراض البلاغية التي تساهم بها الضمائر في بناء النص القرآني ما عثرنا عليه من ضمائر في سورة البقرة، ومن أغراض استعمال الضمير تفخيم شأن صاحبه؛ حيث يُجْعل لكثرة شهرته كأنّه يدل على نفسه، ويُكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته، والمثال عليه قوله تعالى:﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (3)**﴾(الدخان:3)، يعني: القرآن. ومنه أيضاً قوله عزوّجل: ﴿**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ**﴾ (البقرة:97).ومن أغراض استعماله التحقير، كقوله تعالى:﴿**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168)**﴾(البقرة:168)، يعني: الشيطان. وقوله﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** ﴾(الأعراف:27)، وهذا كثير، وهو من باب التحقير. وعلى العموم فليست هذه هي كل الدراسات التي تناولت الضمير، ولا يمكننا أن نحصرها في جانب، ونهمل الجوانب الأخرى فقضية الضمير أسالت الحبر الكثير ولا تزال إلى حدّ الساعة لما فيه من ألغاز وفوائد لغوية ونصية.

---

[1]– نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة، مصر، ط1، 1997م، ص: 153.

[2]– البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج1،ص:187.

[3]– الكشاف، للزمخشري، ج1، ص:137.

[4]– معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومنيك منغنو، ص: 36.

د – الضمير بين الإرتباط والربط:

"إن الإرتباط علاقة وثيقة بين طرفين تغني عن الربط بينهما بأداة، وإن الربط علاقة تصطنعها اللغة بطريق اللفظ، أي الأداة"[1]، فحين يستخدم الضمير للربط يصبح مثل الأداة. لذلك شبه النحاة الضمائر بالحروف، فهي تؤدي وظيفتها النحوية كما تؤديها أدوات المعاني الرابطة.

والفرق الوحيد الذي نجده وهو أن الضمير خاصة البارز"يعتمد على إعادة الذكر، في حين تعتمد أدوات الربط على معانيها الوظيفية التي تحدد نوع العلاقة المنشأة، كأدوات الشرط والعطف والجر وغيرها."[2] كقولنا"هذا رجل قلبه رحيم". فالهاء: ضمير ربط بين النعت، النعت الجملة والمنعوت، والبنية المضمرة هنا هي: هذا رجل، قلب الرجل رحيم.[3] ففي هذا المثال نجد أن الجملتين ارتبطتا بعضهما البعض عن طريق تكرار لفظة رجل. فأجيز الكلام وأختصرت الطريقة تجنبا لتكرار في لفظة (الرجل). بحيث يظهر في الربط بين التركيبين إختزال المعنى وتماسكه أكثر في جملة الضمير أكثر من الطريقة الثانية التي يظهر فيها التكرار، وطول التركيب، وحشو في للمعنى.

وتتضح قيمة الضمير وأثره في الرّبط بين أجزاء النص القرآني، ويشعر المتلقي بإمتداد النص من دون تجزئة في بالمعنى، كونه كناية عن الاسم المظهر لذلك اعتمد عليه النّحاة والمفسرون في بيان العائد وكشف العناصر التي يربطها، مثل قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)** ﴾ (البقرة:04) فقد ربط الضمير (هم) هذه الجملة بالنص السّابق الذي تحدث عن المؤمنين المتقنين: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)**﴾ (سورة البقرة:02).

وقد تناول البلاغيون الضّمير من باب الالتفات، وبيّنوا الأثر الذي يتركه الالتفات في ترابط النص، واتّساقه والمعاني التي يضيفها هذا النوع من العلاقات اللغوية، والأثر الذي يتركه في الفهم عند المتلقي (المستقبل). ومن تلك الأمثلة ما جاء في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)**﴾(البقرة:3-5). حيث التفت النظم الكريم من المتكلم في قوله:(رزقناهم) إلى الغيبة في قوله:(من ربهم).و السرّ في الالتفات هو أنّ المقام هداية، والهداية من أهم المقاصد التي يجب أن يتوصل إليها،

---

[1]– نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة، مصر، ط1، 1997م، ص: 152.

[2]– المرجع نفسه، ص: 152.

[3]– المرجع نفسه، ص: 153.

ووجود كلمة (ربّ) وإضافتها إلى ضمير الغائبين فيه من الدّقة والوضوح بحيث لا يعادلها أيّ كلمة أخرى، فهداية هؤلاء المتقين منحة من المتفرد بالربوبية جزاء لهم على تقواهم، وهو الله عزّ وجل،كما أفاد "التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير الغيبة تفخيم الموصوف، والمضاف إليه وتشريفهما، ولزيادة تحقيق مضمون الجملة، وتقرير بيان ما يوحيه ويقتضيه"[1].وهذا كلّه لا يتأتي لو لم يتغير الأسلوب إلى صيغة الغيبة وتظهر كلمة (ربّ) وقال (أولئك على هدى منا).

ومن صوّر الالتفات التي لفتت انتباهنا في سورة البقرة، و اتّسق النظم القرآني بها وظهر تماسك النص وترابطه هي في قوله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)**﴾(البقرة:213-214). حيث اِلتفت النظم الكريم من الغيبة في قوله:(كان الناس) في الآية الأولى إلى الخطاب المباشر في أوّل الآية الثانية في قوله:(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة).

وكان مقتضى السياق –أم حسبوا– باستمرار الغيبة نهجاً على سابقه، و في ذلك يقول الألوسي مبيّنا الحكمة الجليلة التي اقتضت هذا العدول:"في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب، لأنّ قوله سبحانه(كان الناس أمّة واحدة) كلام مشتمل على ذكر الأمم السابقة والقرون الخالية، وعلى ذكر من بعث إليهم من الأنبياء، وما لقوا منهم من الشدائد، وإظهار المعجزات تشجيعا للرسول –صلى الله عليه وسلم– والمؤمنين على الثبات والصبر على أذى المشركين أو المؤمنين خاصّة، فكانوا من هذا الوجه مرادين غائبين ويؤيّده قوله تعالى:(فهدى الله الذين آمنوا) فإذا قيل:بعد (أم حسبتم)كان نقلا من الغيبة إلى الخطاب"[2].ويقول الزمخشري:"ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البيّنات تشجيعاً لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– أهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الإلتفات التي هي أبلغ(أم حسبتهم)"[3].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272)**﴾(البقرة:272)حيث اِلتفت النظم الكريم في هذه الآية من الغيبة في قوله:(ليس عليك هداهم) إلى

---

[1]– تفسير أبي سعود، ج1/ 40.

[2]– تفسير روح المعاني، للألوسي، 103/1.

[3]– تفسير الكشاف، الزمخشري، ص:126.

الخطاب في قوله:(وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) ، ومقتضى الظاهر-وما ينفقوا من خير فلأنفسهم واستمرار صيغة الغيبة إلى آخر الآية تمشّياً مع سابقه، غير أن القرآن الكريم، إلتفت إلى مواجهتهم بخطاب يحقق أغراضاً بلاغية لا تتأتّى بدونه، أيسرها" الإبداع في تلوين الخطاب ومجاذبة النفس مرّة وموادعتها مرّة"[1].

يقول العلامة أبو السعود:"و الجملة المعترضة جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- مع الإلتفات إلى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الإمتثال، فإنّ الإخبار بعدم وجوب تدارك أمرهم على النبي -صلى الله عليه وسلم- مؤذّن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية"[2].ومن ذلك قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)**﴾ (البقرة:159-160).

حيث استعمل النظم الكريم ضمير الغيبة(هم) في قوله:(يلعنهم الله) ثم عاد مرّة أُخرى ليوظف ضمير المتكلم(أنا) في قوله:﴿**أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ ويكمن السّر في إسناد هذا العمل العظيم (التوبة) إليه سبحانه وتعالى مباشرة بضمير المتكلم (أنا) لما في التوبة من رحمة، ونعمة، ومنّة منه سبحانه على عباده، ولهذا أعظم شأن التوبة والتائبين، ومن ثم أسند أمرها إليه سبحانه مباشرة، وتأكيدها بقوله:(وأنا التواب الرحيم).

وأشار أبو السعود في تفسيره إلى هذه القضية وطريقة استعمال التعبير بضمائر الغائب (يلعنهم)، ثم التعبير بضمير المتكلم في سياق الآية الكريمة؛كون أنّ "الالتفات إلى التكلّم للإفتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز إلى ما مرّ من اختلاف المبدأ في فعْليْه تعالى السابق واللاحق"[3].

فرغم وجود هذا الاختلاف في استعمال الضمائر (هم،أنا) واختلاف في توظيف الفعلين (يلعن) و(أتوب) إلاّ أنّ الطريقة التي اتسقت بها جمل هذه الآية من جميلة جدّا، فيها من اللطائف البيانية ما يدعوا إلى التأمل في معانيها. فهناك لعن وتوبة، وغائب ومتكلم، والذي جعل هذه العناصر اللغوية تتسق هو السياق القرآني بنظمه ودقته اختيار ألفاظه وترتيبها. فالضمائر لها وظائف عديدة ومتنوّعة في بنية النص، فإنها تحيل إلى أماكن تتواجد فيها العناصر الإشارية، وكأنّها تنقّب عنها لاستظهارها في أماكنها الأصلية ثم تعيد طرحها من جديد في عملية استمرار الإحالة.

---

[1]- إعجاز القرآن، و البلاغة النبوّية، مصطفى صادق للرافعي،ص:221. في معرض حديثه عن كلمات القرآن و حروفه.

[2]- تفسير أبي السعود،329/1.

[3]-المرجع نفسه،127/1.

هـ- الإحالة الضميرية:

وهي أكثر أنواع الإحالة حضورا في النص، حيث يمثل شبكة من العلاقات اللامتناهية في نسيج النص، وهو من المبهمات التي لا تفهم إلاّ بذكر ما يدل عليها ويفسرها، وهذا يعني أنّه كلّما كان هناك ضمير إلاّ ويوجد ما يفسّره، وهو من البنيات التي تعمّر التراكيب اللغوية، فيزيد امتداد النص وتزيد معه الإحالة الضمير إلى حيث ينتهي،"والربط بالإضمار (في صورة الضمير العائد)ليس ربطا تركيبيا إعرابيا يدلك على ذلك تنوع المواضع والمحلات التي يحتلها في ما ربطه، فقد يكون رفعاً ونصباً وجرّاً، إنّما هو ربط معنوي فالتركيب الذي يختل فيه الربط بالضمير ليس تركيبا فاسداً إعرابيا، بل هو تركيب فاسد معنويا متى لم يصلح شأنه بواسطة الالتجاء إلى إضمار الضمير العائد"[1]. وكمثال تقريبي لهذا النوع من التصنيف موجود في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)** ﴾(سورة البقرة:160) إذ استتر الضمير في الفعل أتوب (تقديره أنا)، ثم ذكر بارزاً (أنا) وكلاهما يعبّر عن لفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى إذ نجد أن الإتّساق والربط حصل بين الاستتارة و البروز الذي أحدثهما الضمير (أنا) وهو اتساق قريب جدّا بين جملتين متقاطعتين داخل آية واحدة.والأصل في خلق العلاقة بين الضمير والمحال إليه هو بناء العلاقة مع المذكور الأقرب لا غير، نحو: جائني زيد وبكر فضربته، أي ضربت بكراً، و يجوز مع القرينة أن يعود للأبعد، نحو: جاءني عالم و جاهل فأكرمته"[2] كما هو في قوله تعالى في سورة البقرة:"﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)** ﴾(البقرة، 153)"وعَوْدُه على الصلاة في قوله تعالى (و إنّها) أولى؛ لأنّ الضمير لا يعود على غير الأقرب إلاّ بدليل [3]، وقال الزمخشري: الضمير للصلاة، أو للإستعانة، أو لجميع الأمور التي أمروا بها... [4]

وقد تتكاثف الضمائر في نص واحد، ويكون حضورها ضروريا زيادة لا تضر بالتركيب، من غير إطناب وتقوية للمعنى، ومن ذلك ما وجدناه في قوله الله تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**... ﴾ (النور: 31)، قال مكي: ليس في كتاب الله آية اشتملت على الضمائر أكثر منها، فإنّ فيها خمسة وعشرين ضميرا للمؤنثات: من مخفوض ومرفوع"[5] وفيها ثلاثة ضمائر لجمع الذكور،[6] وهو يعني قوله تعالى في سورة النور:"﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**

---

[1]- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،"تأسس نحو النص"،محمد الشاوش،مج2/1107.

- ينظر، شرح الكافية للرضي الاستراباذي، ج2/4[2]

- البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي، ج1/ 185.[3]

- الكشاف، الزمخشري، ج1، ص:134.[4]

5 - الإتقان في علوم القرآن، المرجع نفسه، ص: 180.

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة،دار الحديث، القاهرة،(دط)،(دت)، المجلد8، القسم الثالث، الجزء الأول، ص:21.[6]

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي ...﴾(نور، 31).

ونبّه النّحاة أيضا أنّ الشرط المهم لعود الضمير على أقرب مذكور هو أن لا تكون هناك قرينة تصرف الضمير لغير الأقرب، إذ عليها (القرينة) يتوقف فهم الكلام وهي المعمول عليها ولها الأفضلية ليس في موضوع الضمير فحسب و إنّما في كل الأحكام النحوية، و الذي يتصفح كتاب (النحو) للأستاذ عباس حسن يجد أمثلة توضيحية كثيرة، نذكر منها قوله: (اعتنيت بغلاف كتاب تخيرته) الضمير يعود على المضاف وهو (غلاف) ... بخلاف قولك: (تخيرت غلاف كتاب صفحاته كثيرة) فالقرينة و هي قولك: (صفحاته) تدل على أن الضمير يعود إلى الكتاب إلى المضاف إليه"[1]، قال تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5)**﴾ (يونس، 5) فالضمير في (قدّره) يعود على القمر لأنّه الأقرب.

وقد يخالف الضمير المحال ا إليه من حيث المطابق و إلاّ أنّه يدل عليه، وفي سورة البقرة مثال لذلك قال تعالى: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36)**﴾ (سورة البقرة:36)،"ووجه جمع الضمير في (اهبطوا) قيل لأن هبوط آدم وحواء اقتضى أن لا يوجد نسلهما في الجنّة،فكانا اهباطهما إهباطاً لنسلهما، وقيل الخطاب لهما ولإبليس"[2]. وسنرى بالإمكان نماذج عن الإحالات الضميرية في سورة البقرة.

و- شروط الإحالة الضميرية:

بيّن الأستاذ محمد الشّاوش بأنّ أساس الإضمار يتعلق بطرفي الكلام وهما المتكلم والمخاطب، إذ يشترط في المخاطب أن يكون على علم بكل الكلام من بدايته إلى نهايته،"لمعرفة المخاطب ما يضمر المتكلم وعلم المتكلم بتلك المعرفة شرطان ضروريان لإجراء الإضمار"[3].وهذا له تفسير بين متقابلات لا تظهر مباشرة في النص ولكنها تكتشف عند التحليل اللغوي لأي نص باعتبار أنّ الإضمار"عملية إخفاء تقابل الإظهار، إبهام يقابل البيان، وهو لا يحدث ولا يستقيم أمره إلاّ بعد أن يتوفر شرطه، وشرط رفع الإبهام لكي لا ينتقض الغرض من الكلام الذي هو الإبانة وضرورة توفر هذا الشرط صريح في كلام سيبويه، وقد عبّر عنه في هذا السياق بالبعدية "بعدما تعلم"...

---

[1]- ينظر: النحو الوافي، عباس حسن،1/256

[2]- تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج1/،434.

[3]-أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،"تأسس نحو النص"،محمد الشاوش، مج1110/2.

"والانقضاء "...أنّ من يتحدث قد علم..."[1]. وقد ذكر النحاة والمسرون شروط الإحالة الضميرية والطريقة التي يفّسر بها المحال، وهي العلاقة بين الضمير والعنصر الإشاري(المفسر) الذي يعود إليه. ونذكر هنا أهم هذه الشروط:

1- لا بدّ أن يتقدم على الضمير اسم ظاهر يدل عليه، ويعود إليه، فقوله تعالى في آية الدين:(فاكتبوه)، الضمير هنا يعود على (الدين) في بداية الآية، وهو قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** ﴾ (البقرة:282). وهكذا ساهم الضمير عن الطريق الإحالة إلى الوراء في اتّساق الآية. حين ربط الضمير السابق باللاحق.

2- أو كأن يدل عليه اللفظ بدلالة الالتزام ومنه قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾ (البقرة:178)، فـ(عفي)يستلزم (عافياً)، أعيد عليه الهاء من(إليه)، نحو قوله سبحانه﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾(القدر:1)، أي: القرآن، فإن (الإنزال) يدل عليه التزاماً.وهذا النوع من الإحالة يحل إلى خارج النص، إلى الكتاب، وهو لم يذكر في هذه السورة.

3- وقد يعود الضمير على بعض ما تقدم نحو قوله :﴿ **فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً** ﴾وهو بعض من كل، وهو يعود على قوله سبحانه :﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**﴾(النساء:11). ومثله قوله عز وجل :﴿ **وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ**﴾، فإنه عائد على قوله سبحانه :﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ**﴾ (البقرة:228)، فإنه خاص بالرجعيات، والعائد عليه عام فيهن وفي غيرهن- وهذا في قوله تعالى:﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)** ﴾.

4- ومن قواعد الضمير أيضاً عَوْده على لفظ شيء، والمراد به الجنس من ذلك الشيء؛ كقوله تعالى: ﴿**إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا** ﴾ (النساء:135)، أي: بجنسي (الفقير) و(الغني)؛ لدلالة غنياً أو فقيراً على الجنسين، ولو رجع إلى المتكلم به لأفرد الضمير. نظيره قوله عز وجل :﴿ **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ﴾ (البقرة:25)، فإن الضمير في (به) يرجع إلى (المرزوق) في الدارين جميعاً؛ لأن قوله سبحانه:﴿**هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ**﴾ **(البقرة:25)** مشتمل على ذكر ما رزقوه في الدارين.

5- ومن قواعده أيضاً أن يُذكر شيئان، ويُعاد الضمير إلى أحدهما، والغالب كونه الثاني، نحو قوله تعالى﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ** ﴾ (البقرة:45)، فأعيد الضمير لـ (الصلاة)؛ لأنها أقرب. ونحوه

[1]- المرجع نفسه،مج2/1110-1111.

قوله سبحانه:﴿ **وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾(التوبة:62)، فأفرد الضمير في(يرضوه)، ولم يقل:(يرضوهما)؛ لأنّ الرسول هو داعي العباد إلى الله، وحجته عليهم، والمخاطِب لهم بأمره ونهيه، وذكر الله تعالى في الآية تعظيماً، والمعنى تام بذكر الرسول وحده.

6-"وضمير الفصل بصيغة المرفوع مطابق لما قبله تكلما وخطاباً وغيبة وإفرادا وغيره . وإنما يقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ وقبل خبر كذلك اسما؛ نحو: ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)**﴾ (سورة البقرة:5)"[1]

7- وفي قوله تعالى : ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾ (سورة البقرة:187).

8- وفي قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ**﴾ (سورة البقرة:282) "و الأحسن (فيه) أن الضمير عائد على الشهيدين المطلقين"[2] .

9- قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223)** ﴾ (سورة البقرة:222-223) فقوله (نسائكم) متصل بقوله (فأتوهن) لأنه بيان له وما بينهما اعتراض للحث على طهارة و تجنب الأدبار[3].

10- وفي قوله تعالى:"﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾ (سورة البقرة:178) فالضمير في (له) يعود على العافي الذي يستلزمه (عفى) و هذا دالاً عليه بالتزام"[4].

11- أن يتطابق مع العنصر المفسر، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)** ﴾ (البقرة،124) "الفاعل في (فأتمّن) إبراهيم أو الله تعالى، وهذا القول قال به الزمخشري في كتابه الكشاف. والضمير في (ربّه) أحال إلى سيدنا موسى عليه السلام.

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي، ص:401.

[2]-المرجع نفسه، ج3/ص:129.

[3]- المرجع نفسه، ج3/ص:140.

[4]-ينظر ،مباحث في علوم القرآن، مناع القطان،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،ط1418،3ه/1997م،ص:198.

الْأَصْلُ تَوَافُقُ الضَّمَائِرِ فِي الْمَرْجِعِ حَذَرًا مِنَ التَّشْتِيتِ، وَلِهَذَا لَمَّا جَوَّزَ بَعْضُهُمْ فِي :﴿**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ**﴾ (طه: 39) أَنَّ الضَّمِيرَ فِي الثَّانِي: لِلتَّابُوتِ، وَفِي الْأَوَّل: لِمُوسَى عَابَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ، وَجَعَلَهُ تَنَافُرًا مُخْرِجًا لِلْقُرْآنِ عَنْ إِعْجَازِهِ، فَقَالَ: "وَالضَّمَائِرُ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى مُوسَى، وَرُجُوعُ بَعْضِهَا إِلَيْهِ وَبَعْضُهَا إِلَى التَّابُوتِ فِيهِ هُجْنَةٌ؛ لِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ تَنَافُرِ النَّظْمِ.فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت؛ حتى لا تفرق الضمائر؛ فيتنافر عليك النظم الَّذِي هُوَ أُمُّ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، والقانون الذي وقع عليه التحدي. وَمُرَاعَاتُهُ أَهَمُّ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُفَسِّرِ"[1].وَقَالَ فِي :﴿**لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾(الْفَتْح: 9) الضَّمَائِرُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْمُرَادُ بِتَعْزِيرِهِ تَعْزِيرُ دِينِهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ فَرَّقَ الضَّمَائِرَ فَقَدْ أَبْعَدَ.

وَقَدْ يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ وَهُوَ تَوَافُقُ الضَّمَائِرِ فِي الْمَرْجِعِ، كَمَا فِي قوله﴿**وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾(الْكَهْف: 22) فَإِنَّ ضَمِيرَ (فِيهِمْ) لِأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَ(مِنْهُمْ) لِلْيَهُودِ قَالَهُ ثَعْلَبٌ وَالْمُبَرِّدُ. وَمِثْلِه :﴿**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا**﴾(هُودٍ: 77) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ سَاءَ ظَنًّا بِقَوْمِهِ وَضَاقَ ذَرْعًا بِأَضْيَافِهِ.وَقوله :﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ الْآيَةَ (التَّوْبَة: 40)، فِيهَا اثْنَا عَشَرَ ضَمِيرًا كُلُّهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ضَمِيرَ (عَلَيْهِ) فَلِصَاحِبِهِ، كَمَا نَقَلَهُ السُّهَيْلِيُّ عَنِ الْأَكْثَرِينَ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَنْزِلْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَضَمِيرُ(جَعَلَ) لَهُ تَعَالَى. ويظهر ذلك في الآية التالية: ﴿ **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)** ﴾(البقرة 40). وهذه الضمائر الإثنا عشر تعود على النبي صلّى الله عليه وسلّم حيث مركز النبيّ هنا معلما إشاريا تعود إليه، وتماسك الكثافة الضميرية في توطيد الإحالة في النّص، حيث يزداد اتّساقه وتتمتّن العلاقات اللغوية في النص.

وَقَدْ يُخَالَفُ بَيْنَ الضَّمَائِرِ حَذَرًا مِنَ التَّنَافُرِ نَحْوَ: ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾(التَّوْبَة: 36) الضَّمِيرُ لِلِاثْنَيْ عَشَرَ، ثُمَّ قَالَ:﴿ **فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ**﴾(التَّوْبَة: 36) أَتَى بِصِيغَةِ الْجَمْعِ مُخَالِفًا لِعَوْدِهِ عَلَى الْأَرْبَعَةِ. و ما هذا إلاّ تنوّع إحالي، قد لا يستطيع البشر أن يأتوا به، بل لن يفعلوا ذلك ما داموا عاجزين عن الإتيان ولو بسورة من مثله.

والأصل في التّحاول أن يعود الضمير على مرجع يفسّره، وهذه البنية الإحالية(الإحالة القبلية) هي الغالبة من حيث الحضور في النصوص، عكس الإحالة البعدية التي تحيل فيها الضمائر نحو الأمام. إذ لا بدّ أن يكون هنا مرجع يفسّر الضمير بعد أن تربط بينهما علاقة إحالية، فهو كلما عاد إلى الوراء تشبع بدلالة من جديد تبقى حاضرة في ذهن المتلقي، وكأنّه كلما عاد إلى الوراء إلى حيث يوجد المحال إليه استقى لنفسه ما يدل عليه،

[1]–تفسير الكشاف، للزمخشري، ص: 655.

ليتشبع دلاليا. ويحال بالضمائر صراحة على الأشخاص والأشياء والأحداث وقد يحال بها على فحوى كلام ورد سابقاً أو لاحقاً، وقد يحال بالضمائر على مرجع مستنبط استنباطا من السياق النصي أو السياق الذهني[1].

ز- دور الضمير في الإحالة و أهمّيته في النص:

للضمائر أهمية كبيرة في التعويض والاستبدال والربط،لأنها "تنوب عن الأسماء والأفعال والجمل المتتالية،إلاّ أن هذه الأهمية تتجاوز مستوى النيابة، لكونها تقوم بالربط بين أجزاء النص من حيث الشكل والدلالة، داخل وخارج النص"[2].لذلك كانت جهود علماء اللغة تصب كلها في إبراز القوة الإتّساقية التي يحظى بها الضمير أكثر من غيره من العناصر اللغوية الأخرى التي تشابهه في الوظيفة،ولكن أكثر هذه الجهود كانت على مستوى الجملة، وفي أفضل الأحوال على مستوى جملتين أو بيتين."فقد أنتجوا مادة غزيرة تتعلق بالمرجعية القبيلة والبعدية، وبمواضع وجوب وجود الروابط وما يحتاج إلى رابط، وتحدثوا كذلك عن مواضع عودة الضمير فيها على متأخر، وهي ما يعرف بالمرجعية اللاحقة[3].

لقد كان دور هؤلاء محصوراً في الكشف عن دور الضمير و أهميته في الجملة العربية، غير أن الدور الذي يلعبه هذا العنصر اللغوي على مستوى النص يفوق درجة الاهتمام بدوره في الجملة، ويستطيع هذا العنصر اللغوي أن يقفز بدوره ويفوق حدود الجملة ، ولهذا يتحدّث الفقي عن دور الضمير فيقول: "فلا يقتصر دور الضمير في التعويض عن الاسم الظاهر، ولكن يتعداه ليكون رابطا يحقق التماسك النصي. فلقد عالجت تحليلات بعض المفسرين مرجعية الضمير في النص القرآني إلى السابق واللاحق، وإلى ما هو خارج النص وقضايا كثيرة كانت توحي بالحاسة النصية لديهم[4]. ففي الكثير من كتب التفسير وعلوم القرآن توجّه العلماء بنوع من التحليل النصي داخل السور للكشف عن اِلتحام الآيات واتّساقها كاشفين الغطاء عن دور الضمير و وظيفته في النص (السورة) وحتّى يتضح لنا دور الضمير أكثر نلاحظ المثال التالي:[5]

أ-محمد انتقل إلى منزل جديد.

ب- منزل محمد جميل.

ج-هذا المنزل الجديد لمحمد.

---

[1]- قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، د.محمد محمد يونس علي،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت،لبنان ،ط1، 2013م، ص:61.

[2]-ينظر،علم اللغة النصي،بين النظرية و التطبيق،د.إبراهيم صبحي الفقي،ج1/ 137.

[3]- ينظر،المرجع نفسه،ج1/ 142-143.

[4]-ينظر، المرجع نفسه،ج1/148-149.

[5]- ينظر، المرجع نفسه، ج1،/163.

د- هو(محمد) بناه (المنزل)منذ عام.

ولنتأمل الجمل الثلاثة (أ- ب-ج) نجدها احتوت على عنصرين لغويين متكررين في الجمل الثلاثة وهما (محمد و المنزل)، حيث نلاحظ أنّ الضمير (هو) في الجملة (د) عوض (محمد)في الجمل الثلاثة (أ-ب-ج) وأن الهاء الملتصقة بالفعل (بناه) في الجملة (د) تعود إلى كلمة (المنزل) المذكورة في الجمل (أ-ب-ج)، حيث أنّ هذا التعويض حدد المرجعية و عيّنها:

-هو(يعود على محمد) بناه(يعود على المنزل) منذ عام .

كما أسهم الضميران في الربط بين الجمل الثلاثة و وحدّ المرجعين و جنب الجملة(د) تكراراً غير مفيد.

وتلعب الإحالة ضميريّة كانت أو إشاريّة دورا في ربط أجزاء خطاب معيّن، وقد اهتمّ المفسّرون بهذا الدور. فقد تتّبعوا حركة الضمائر في الخطاب القرآني ودلالاتها وإحالة الضمير، وتعدّد المحال إليه، ومن ذلك عند الزمخشري في تفسيره للآية ﴿**واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ وإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ**﴾ (البقرة ،45) . فيشير إلى أنّ الضمير (للصلاة) أو (للاستعانة)، ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله (اذكروا نعمتي) إلى (واستعينوا)[1].وهذه ثلاث إحالات صحيحة وسليمة، والسؤال الذي نطرحه هو أيّ الإحالات يمكن ترجيحها؟ وترجيح إحدى الإحتمالات السابقة لا بدّ أن يتناسب مع سياق النص، وما تنص عليه قواعد ربط الضمير، التي يجب الإعتبار بها. فعود الضمير إلى الصلاة أقرب من الاستعانة وفي هاتين الحالتين هناك تطابق بين الضمير (ها) وبين المحال إليه إفرادا وتأنيثا، وهذه الإحالة فينفس الآية، أمّا في الإمكان الثالث فإنّ الضمير (ها) يحيل إلى خطاب سابق يستغرق خمس آيات تتضمّن الأمور التالية: ذكر النعمة، والوفاء بالعهد، ورهبة الله، والإيمان برسالة محمد، وألا يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا، وتقوى الله، وألّا يلبسوا الحقّ بالباطل، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسلوك سبيل البرّ. وهي تتراوح بين الأوامر والنواهي وقد جاء بعضها متداخلا مع بعض، ويتحصّل من تحليل الزمخشري أنّ إحالة الضمير نوعان: إحالة إلى عنصر متقدّم، وإحالة إلى خطاب سابق. وهذا النوع من الإحالات التي يكون فيها الضمير الرابط الأساسي هو الضمير يعكس بصورة فعّالة القيمة التركيبية التي يمثلها هذا العنصر المبهم، فبالإضافة إلى أنّه يربط بين الكلمات، كذلك يربط بين الخطابات والنصوص.

ح- مرجع الضمير:

لا تخلو الضمائر من الإبهام والغموض وخصوصا ضمير الغائب، فصاحبه غير معروف لأنّه غير حاضر وغير مشاهد، فلابد لهذا الضمير من شيء يفسره و يوضح المراد منه، ويسمى هذا الموضح مرجع

[1]- تفسير الكشاف ، للزمخشري،75.

الضمير لذلك شدد النحاة على ضرورة وجود مرجع للضمير يعود عليه لتفسيره، "ويكون ملفوظا سبق ذكر ويطابقه، حتى يسهل تفسيره، "نحو قوله تعالى: (ونادى نوح ابنه) (هود: 42)، و(عصى آدم ربّه) (طه: 121)، و(إذا أخرج يده لم يكد يراها) (النور: 40)، أو متضمنا له نحو (اعدلوا هو أقرب) (المائدة: 8)، فإنّه عائد على العدل المتضمن له (اعدلوا)، و(وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) (النساء: 8) أي المقسوم لدلالة القسمة عليه"[1]والعود:هو الرجوع، ويسمى :العائد والمرجع والمفسر، وهو الاسم المعوض عنه بالضمير[2]. وهنا ننبه إلى أن اختلاف المفسرين في عود الضمير ليس اختلاف تباين و تضاد، و إنّما هو اختلاف تنوع و اجتهاد و توسعة في المعنى كما هو الشأن في اختلافهم في القراءات القرآنية.

وفي هذه الآية الآتية نلاحظ دور الضمير وعلاقته بالمرجع، **قال تعالى:﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)** ﴾(سورة البقرة:23-24). "اختلف المتأوّلون على من يعود الضمير في قوله (مثله):قال جمهور العلماء: هو عائد على القرآن ثم اختلفوا فقال الأكثر من مثل نظمه و رصفه و فصاحة المعاني التي يعرفونها و لا يعجزهم إلا التأليف الذي خصّ به القرآن، وبه وقع الإعجاز على قول حذّاق أهل النظر"[3]. وهذا الخلاف يكمن في التضارب في تحديد المرجع، غير أنّهم لم يختلفوا عن المتحدّث عنه وهو القرآن أكان كله أم بعضه. والضمير في (مثله) فإنّه يحيلنا إلى الوراء إلى حيث يوجد الفعل نزّلنا. والذي يحيلنا هو الآخر إلى الكتاب الذي ذكر في بداية السورة، ويشكل هذا العمل الإحالي المتناوب بين عناصر الإحالة استمرارا لامتداد النص واكتمال المعنى، نحو الأعلى وهذه إحالة بعيدة المدى تساهم في رسم الخطوط العريضة لمقاصد السّورة.

فقد يعود الضمير على مسمى مذكور قبله فيربط بينه وبين هذا المسمى، ويحصل الترابط بين التركيبين وتشتد العلاقة الترابطية بين الجملتين حتى تختفي تلك الثغرات التي قد تحدث تفككا في النص، وحتى لا تتباعد المعاني وتتشتت الأفكار ويشرد الذهن في البحث عن علاقة الترابط بين الجمل فإنّ الضمائر هي العناصر اللغوية التي توكل إليها أوّل وظيفة للربط بين مفردات وتراكيب النص.

ومن الأمثلة التي ساهم الضمير في إزالة اللبس فيها قوله تعالى: **﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**

---

[1]– الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،ص:400.

[2]–ينظر:الضمير و بنيته و دوره في الجملة،الشاذلي الهيشري،كلية الآداب بجامعة منوبة،سلسلة اللسانيات،مجلد 17،تونس،2003م ،ص:83.

[3]– تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز،في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،قطر، دار الخير ، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ –2007م، مج147/1.

وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) ﴾ (سورة البقرة:255)، وهنا نجد عدّة ضمائر ساهمت في الإتّساق منها ضمير الشأن (هو) الذي يحيل إلى لفظتي (الحي-القيوم)، وهي إحالة قريبة من حيث المدى، تحيل إلى الأمام، أي إلى مذكور سيأتي ذكره، وساهمت هذه الإحالة في مدّ الإتّساق نحو الأمام. وأمّا الهاء في قوله (تأخذه-له-عنده-بإذنه-علمه- كرسيّه ..) كلها ضمائر تحيل إلى الله وهي إحالات متتابعة نحو الوراء، أعاد المتلقي إلى الوراء للبحث عن مرجعية هذه الضمائر، وهذا ما يخلق الإتّساق الدّاخلي للنص.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)** ﴾ (سورة البقرة:37-38) إذ اتسق النص القرآني في هاتين الآيتين بطريقة الإلتفات، حيث تكلّم بضمير الغيبة في قوله:(فتلقى آدم من ربّه) ثمّ تكلم بضمير المتكلم في قوله: (قلنا اهبطوا..) فهذا النص وارد في سياق الحديث عن قصة آدم وحواء. وتظهر شّدة تماسك هذا النص و اتساقه في التعبير بقرب هذا الآيب إلى جوار ربّه، فخاطبه سبحانه خطاباً مباشراً تأكيداً على قبول توبته، و إسباغ نعمة المغفرة والرحمة عليه وقد أفادت طريقة التعبير في هذا النص التي صيغت بضمير الغائب، ثم إلتفت إلى ضمير المتكلم"انتهاء طَوْر النعيم لآدم وحواء وإبليس، ودخولهم طَوْر فيه طريقان: هدى و إيمان، وضلال وخسران"[1].

ط- مرجعيات الضمائر الشخصية في سورة البقرة ودورها في الإحالة:

يلعب المخاطب أي المتلقي دوراً آخر مهماً في عملية انسجام الكلام بينه و بين المتكلم، وذلك عندما يقوم بفرز الإحالات الضميرية و عائداتها لخلق نوع من الإتّساق داخل النص، وهذا ما يجعل الإنسجام متحققا ومتناميا بين أدوار الكلام وتقوم علمية الإضمار-كما يسميها بعض النّحاة- في خلق علاقة ترقب وتصيّد لمواقع الربط الضميرية،"ولئن بدا الإضمار في الظاهر عملا ينجزه المتكلم بمفرده، فإنّ للمخاطب فيه دوراً محورياً يتمثل في سابق معرفته بالشيء المضمر، ولو ذهب المتكلم يضمر دون أن يتوفر هذا الشرط أو قبل توفره لجعل في كلامه ما يعطله و يبطله لأنه سيخرجه على الإلغاز وقت الإبانة"[2].وقد صنف الباحثان الضمائر بحسب دورها في عملية التخاطب إلى:

---

[1]-تفسير المنار، للسيد محمد رشيد رضا ،الهيئة المصرية العامة للكتاب(د ت)، ج237/1 بتصرف، و ينظر تفسير القطان،21/1.

[2]- أصول تحليل الخطاب في النظرية العربية،تأسس نحو النص،محمد الشاوش،ج1109/2.

1- **ضمائر لها دور في عملية التخاطب:** وهي ضمائر المتكلم و المخاطب، وهي بالأساس ذات إحالة مقامية، وبالتالي لا دور لها في تحقيق تناسق النص،وقد تكون عرضاً ذات إحالة مقالية، وبالتالي يصبح لها دور في تحقيق اتساق النص.

2- **ضمائر لا دور لها في عملية التخاطب:** وهي ضمائر الغائب وهي بالأساس عناصر ذات إحالة مقالية وبالتالي لها دور في تحقيق تناسق النص،وقد يكون عرضا ذات إحالة مقامية و بالتالي يبطل دورها في تحقيق اتساق النص"[1]. وقد واجه هذا التصنيف نقداً لأنّه لا يفصل في دور الضمائر و مساهمتها في ترابط النص[2].

ي – الإحَالةُ بالضمائر الشَخْصِيَّة (Personal Reference):

يتمُّ هذا النوع من الإحالة بالضمائر، وتقسم الضمائر على قسمين هما[3]:

- ضمائر وجوديَّة، مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هي، هم، أنتم...

-وضمائر ملكيةً، مثل: لي، لك، لهم، لنا...

هذه الضمائر إذا ما نظرنا إليها من الناحية الاتّساقيَّة، فمن الممكن أن نفرّق بين أدوار الكلام التي تضمُّ جميع ضمائر المتكلم والمخاطب، وهي بطبيعة الحال إحالة على خارج النصّ (Exophoric)، ففي الكلام المتداول بين اثنين أو جماعة تكون هذه الضمائر قد أحالت إلى شيء خارج النصّ، فالمتكلمون عادة في أحاديثهم يستعملون الضمائر في الإشارة إلى أنفسهم أو إلى الشخص المخاطب من دون ذكر أسمائهم، وبذا تكون إحالة هذه الضمائر مقاميَّة إذا ما سُجّلت هذه الحوارات. ولا يمكن أن تكون إحالة على سابق في النصّ إلا في اللغة المكتوبة مثل القصة أو الرواية لأَنَّها تحتوي في مكان ما منها على أسماء أو تعيينات تمكّن القارئ من أيجاد العلاقة بين الضمائر الموجودة في حوارات القصة. فبعض أشكال النصّ المكتوب يبقى له سياق الإحالة الخاص به، الذي قد يحيل على الكاتب مثل (أنا) أو إلى قارئه أو إلى كليهما، يحدث هذا في كتابة الرسائل، وقصص السيرة الذاتيةً، أو في الإعلانات، أو الوثائق الرسميَّة... وغيرها"[4].

ولما كانت الضمائر تمثل الشخصيات في الخطاب اللغوي، فإننا نجدها تعبر عن حضورها وغيبتها، فضمائر المتكلم والمخاطب، وكذا أسماء الإشارة تدل على حضور الشخصيات، أما ضمائر الغائب والأسماء

---

[1]-المرجع نفسه، مج126/1.

[2]-أبحاث في علم اللغة النصي و تحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،ص:17.

[3]-See: Halliday, and Hassan; Cohesion in English; p.p. 43.

[4] - Ibid; p.p 50.

الموصولة فإنها تدل على غياب الشخصيات، وقد ذكر المستشرق الألماني برجشتراسر أن "الكلام من طبيعته وجوهره أنه كلام متكلم فـ (أنا) المتكلم أصل كل الكلام، ومنبعه وأقدم منه، والمتكلم لا يكلم نفسه في الأصل بل مخاطبا فـ(أنت) المخاطب أصل ثان، ومنبع للكلام أقدم منه أيضا، فإذا سئلت (أين أنت؟)، وأجبت(أنا في البيت، لم يكن السائل بـ (أنت) عن اسمي، ولا كنيت أنا بـ (أنا) عن اسمي أيضا، فلو سأل (أين عمرو؟). ونفرض أن اسمي عمرو، لكان المخاطب ليس إياي بل غيري، وأنا الغائب، ولو أجبت (عمرو في البيت) لكنت لا أتكلم عن نفسي، بل عن غيري اسمه عمرو أيضا، فالخلاصة أن ضمائر الغائب نوع بنفسه بين الضمائر"[1]

وأما التصنيفات الضميرية في هذا الجانب فمنها ما ركزّ على مواضيع معينة ودلالات مختلفة فـ"الصنف الأساسي للضمائر هو الضمائر الشخصية (PERSONAL) بعضها يحيل على الاسمية (NOMINAL) في النص المصاحب (CO-TEXT) ولها وظيفة مترابطة (COHESIVE) مهمة مع الإحالة التكرارية (ANAPHORIC REFERENCE) وإحالة تكرارية ذاتية (CATAPHORIC REFERENCE) أي ضمائر الشخص الثالث (THIRD PERSON) (-THEY-HE-IT SHE) و(HEوSHE) يتوفران على إحالة حيّة (ANIMATE) على نحو واسع، والضمائر الأخرى تعين مشاركات في السياق الوضعي المخاطِب والمخاطَب أي ضمائر الشّخص الأول والثاني (-YOU-WE I)"[2]، وهناك أنواع أخرى مهمة من الضمائر هي العاكسات (REFLXIVES) مثلا (-MY SELF YOUR SELF) وغير المتصرفات (INDEFINITES) (SOME ONE –ANY BODY) "[3].

ومن الضمائر الشخصية التي ساهمت في إتّساق النص، الضمير (أنا) في قوله تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)**﴾ (سورة البقرة:258) الذي يحيل إلى الاسم الموصول في قوله:(الذي حاجّ إبراهيم) وهو النمرود، فربط بين القول (...قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ..) بصاحبه المذكور سابقا. وهذه الإحالة تحيلك إلى خارج النص لمعرفة المرجع الذي يعود عليه الضمير(أنا) و الاسم الموصول(الذي)، وهو مرجع مقامي لا نصّي لأنّ المتلقي إن كان ضعيف الإطلاع على آي القرآن الكريم فإنّه لن يتأتى له معرفة هذا الشخص إلاّ المقام، لذلك يلعب الضمير الشخصي دورا مهما في تحديد المحال إليه، وفي ربط الكلام المتعلّق بهذا الشخص الكافر، وهذا يظهر

---

[1]– التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية المستشرق الألماني، برجشتراسر، تحقيق: رمضان عبد التوّاب، القاهرة، مكتبة الخانجي، الرياض، دار الرفاعي، ط2، 1414هـ–1994م، ص: 76–80.

[2] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، مراجعة: قاسم البريسم، ص: 554.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 554.

النص أكثر إتّساقية وتحديدا للأشخاص في النص القرآني من خلال معرفة العلاقات الإتّساقية التي تظهر في هذه الحالة في صورة الضمائر الشخصية.

كما نجد نوعا آخر من الضمائر الشخصية التي ساهمت في إتّساق النص وترابطه، وجاء هذا النوع بصيغة الجمع الذي يدل على جماعة الأشخاص (نحن)، وذلك في قوله تعالى:﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾(سور البقرة:11) إذ أحال الضمير (نحن) إلى جماعة من الأشخاص الذين عرفوا بالنفاق في المدينة زمن النبي –صلّى الله عليه وسلّم– وهذا الحضور الضميري الشخصي لهؤلاء المنافقين ساهم في الربط بين هذه الآيات التي تتحدث عن المنافقين في هذا المقطع، ولعب الضمير (نحن) دورا بارزا في الإتّساق خاصة في هذا المقطع الذي يتحدّث عن المنافقين."أي إذا نُهي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض، وهو العمل بالكفر والمعاصي، ومنه إظهار سرائر المؤمنين لعدوهم وموالاتهم للكافرين قالوا:(إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض، وإظهارهم أنّه ليس بإفساد بل هو إصلاح، قلبا للحقائق وجمعا بين الباطل واعتقاده حقا"[1] .

وجاء هذا الضمير في قوله:﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾ (سورة البقرة:14) وقد أحال هذا الضمير(نحن) إلى المنافقين، وهي إحالة إلى نفس العنصر اللغوي داخل النص، الذي يحيل هو الآخر خارج النص إلى الأشخاص المنافقين،"هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، (وذلك) أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين، أظهروا أنّهم على طريقتهم، وأنّهم معهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم–أي رؤسائهم وكبرائهم في الشر–قالوا إنّا معكم في الحقيقة، وإنّما نحن مستهزئون بالمؤمنين بإظهارنا لهم، أنّا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحيق المكر السيئ إلاّ بأهله"[2].

وكذلك في قوله: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة البقرة:102).

---

[1]–تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمان بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط2، 1422هـ/2002م، ص:32.

[2]– –المرجع نفسه، ص:23–33.

والضمائر الشخصية هي ما دلت على ذات واعية مستقلة في إرادتها، بحيث تمتاز بصفات تميزها عن غيرها[1] ودلالتها عامة تختص في أذهان المخاطبين أثناء عملية التواصل اللغوي عندما يعيدونها إلى مراجعها التي تشير إليها[2]. ويمثل هذا النوع من الضمائر أكثر الأنواع حضوراً في النص، حيث يجمع بينها وحدة المرجع الذي تعود عليه،خاصة لفظ الجلالة (الله) وقد وجدنا مجموعة من ضمائر المتكلم المختلفة ك(أنا-إياي) وهي ضمائر منفصلة سجلنا حضورها في قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)** ﴾ (سورة البقرة:160) . فالضمير (أنا) يحيل إلى لفظ الجلالة الذكور سابقا، ويحيل أيضا إلى الذّات الإلهية، وهي إحالة شخصية ساهم فيها ضمير المتكلم(أنا)، حيث أنشأ ربطا بين النّص وخارجه.

ومن الآيات التي جاء فيها الضمير (إيّاي) نذكر قوله تعالى:

1- ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)** ﴾.

2- ﴿**وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41)** ﴾، فالضمير (إياي) في الآيتين ربط بين الله تعالى وصفاته فذكر الأوّل في الآية (40) مقرونا بالرهبة وهو الخوف الشديد، والثاني مقرونا بالتقوى وهو الخوف من الله كذلك، وكلاهما كان عند الفاصلة ما يعني بأنّ هذه الإحالة تحيل إلى شخص واحد هو الله سبحانه وتعالى، فهو المخصوص بالرهبة والتقوى. وهكذا كان الإتّساق حاصلا بين هاتين الآيتين.

ومن صور هذا النوع من الضمائر التي جاءت في سورة البقرة مؤدية دورها الإحالي ما جاء في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)** ﴾ (البقرة:32) ونلاحظ هنا أنّ الضمير (أنت) أحال إلى شخص موجود في المقام التخاطبي الذي سيق قبل هذه الآية، وهو موجود خارج النص،ويعود على الله سبحانه وتعالى، فحدثت إحالة من داخل النص إلى خارجه، إلى الذّات الإلهية الموجودة في عالم الغيب، وقد ساهمت هذه الإحالة في ربط الضمير المحيل(أنت) بالمحال إليه(الله) عزّوجل، ويساهم هذا النوع من الإحالة بهذه الضمائر في الربط بين النص ومقامه بين الضمائر وما تحيل إليه خارج النص.

ومن الضمائر الشخصية التي أُستعملت في السياق اللغوي لسورة البقرة وقامت بدور إحالي، الضمير (أنت)، وذلك في قوله: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ**

---

[1]-الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ،صفية مطهري،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2003م،ص:207.

[2]-ينظر،مراعاة المخاطب في النحو العربي ،بان الخفاجي،دارالكتب العلمية،لبنان ،ط1، 2008م،ص:124-125.

الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) ﴾(البقرة:35)، فقد أحال ضمير المخاطب(أنت) إلى سيدنا آدم عليه السلام، وهي إحالة إلى لفظ سبق ذكره، وهو شخص نبيّ الله آدم عليه السلام، فحدث إتّساق بين نداء الله تعالى لآدم وخطابه له، مع أمره بالسكن و زوجه في الجنة، ولهذا فإنّ الضمائر الشخصية التي تحيل إلى الذوات والأشخاص تساهم في عملية الإتّساق بواسطة علاقة الإحالة، التي تكون في غالب الأحيان مزدوجة، بين الإحالة اللغوية داخل النص، وذلك عن طريق الإحالة إلى العنصر اللغوي الموجود في النص، والإحالة إلى خارج النص، وذلك بإحالتها إلى الشخصيات التي تربطها بالضمائر علاقة الإحالة مع قرائن لغوية أخرى كالمطابقة وهي إحالة مقامية إلى مقام التخاطب. وهذا ما دلّ عليه الضمير الشخصي (أنت) في قوله:(... يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ...) حيث طابق الضمير صاحبه مطابقة تامة فحدد العنصر المحال إليه، و هو (آدم) عليه السلام. ما يمكن ملاحظته عن هذا الضمير في سورة البقرة، هو أنّ أغلب المواضع التي ذكر فيها هي آيات الدعاء، ويحيل فيها إلى الذّات الإلهية خارج النص، و هذه الآيات هي:

1-﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾(البقرة:127).

2-﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:128).

3-﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(البقرة:129)

4-﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾(البقرة:286).

5- ومنها ما أحال إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم: ﴿**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾(البقرة:145) وهنا أحال الضمير إلى شخص النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

فمن المعلوم في النحو العربي أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور ذكر ليفسره، وتربطه به علاقة معنوية، وقد أوضح هذا جل النحاة ومن بينهم الأستاذ عبد الخالق عضيمة في مقدّمة بحثه فقال:"يعود الضمير على

الأقرب و يجوز مع القرينة أن يعود على الأبعد"[1] وهناك بعض الضمائر لا نستطيع تفسيرها إلاّ إذا كان العائد معلوما، لأنها تعود على متأخر، كضمير الغيبة، إذ لابدّ "من عائد يعود عليه في اللفظ نحو: (الفرض قدّمته) وقد يكون اسما متقدّما عليه في الرتبة، متأخرا عنه في اللفظ، نحو: (أخذ حقّه العامل) فالضمير الهاء في (حقه) تعود إلى العامل المتأخر،عنه لفظا والمتقدّم عليه رتبة على أساس أنّه فاعل للفعل (أخذ)" [2].

ك- الدّور الإتّساقي الرابطي للإضمار بين الجمل:

يعتبر الدور الرابطي الذي يقوم به الضمير تجنيب لظهور ما ينوب عنه، وهو إخفاء له دون مع الحفاظ على المعنى، وهذا نوع من تجنب التكرار المحض الذي يثقل كاهل اللغة في غير مواضع، والأولى في حالات كهذه، خاصّة إذا عرف المتحدث عنه هو الإضمار، "وإذا كانت النصوص تتشكل بُرُزَم من الجملة في حالة ترابط وارتباط، فإنّ الجملة في الأصل كلام مستقل، والكلام المستقل ليس في حاجة إلى رابط، فإذا خرجت الجملة عن الأصل أصبحت محتاجة إلى رابط، هذا الرابط هو الضمير لأنه وضع لهذا الغرض[3]، ولأنّه يعيد المتلقي بالمعنى إلى حيث يفسّره ويفهمه،وفي الآيات التالية:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)**﴾(البقرة:21-24) فالخطاب هنا موّجه لجميع الناس وخصّهم بالإضمار بضمير المخاطب الجمعي، فربط بين الآيات كلها في سياق واحد، وساهم هذا الضمير في اتّساق الخطاب عن طريق الإحالة إلى لفظة الناس التي جاءت في رأس هذا المقطع، فالإحالات الضميرية الموجودة في كلمات من قبيل (ربكم-خلقكم- قبلكم- لعلكم- لكم -أنتم-كنتم -فأتوا- ادعوا- شهداءكم -كنتم- تفعلوا- فاتقوا...) كلها تحيل إلى لفظة (الناس)، فلو قمنا بتمثيلها بخيوط لَاتّضح نسيجها، ولاحظت طغيان هذا النوع من الربط على النص كلّه. ويحصل الإتّساق في هذه الحالة عن طريق ذلك الحضور المكثف للضمائر الإحالية التي تحيل إلى الوراء (الناس).

---

[1]- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة،دار الحديث، القاهرة،(دط)،(دت)، المجلد8، القسم الثالث، الجزء الأول، ص:21.

2 - المعجم المفصل في الإعراب، طاهر يونس الخطيب، مراجعة، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 2، 1416هـ-1996م، ص: 258.

[3]- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،"تأسيس نحو النص "، محمد الشاوش، مج2/ 1106.

وعلى الضمير تقوم استقامة تعليق أجزاء الكلام بعضها ببعض،كون هذا الربط غير قائم على الإعراب بل على المعنى وهما أمران يهيئان الضمير لأن يكون رابطا بين أجزاء الجملة متى احتاجت إلى ذلك كما يهيئانه لأن يكون بين الجمل المستقلة"[1].وناقش الزركشي مرجعية الضمير في النص القرآني إلى السابق و اللاحق، و إلى ما هو خارج النص، وغير ذلك مما يتعلق بالضمير"[2].

ل- دور المتلقي في ترصد إحالة الضمير:

حين يستعمل المتكلم الضمير في كلامه يكون على وعي بأن عودته على مسماه حاصلة مسبقا في ذهنه و هو المخاطب من خلال المقال و الملابسات التي يجري فيها[3]."وكون الضمير موضوعاً لتحقيق غرض الربط، وكون هذا الربط غير قائم على الإعراب بل على المعنى أمران يهيئان الضمير لأن يكون رابطاً بين أجزاء الجملة متى احتاجت إلى ذلك كما يهيئانه لأن يكون بين الجمل المستقلة حيث يكون تجاوز مجال العامل ولا تشترط وحدة البنية العاملية"[4].لذلك فإن الضمائر" تعد بمثابة روابط بين عناصر النص الملفوظ،الذي يقتضيه الإيجاز في العبارة و اجتناب تكرار ما سبق ذكره تخفيفا على المتلقي"[5]، قال تعالى:﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)**﴾ (سورة النور:39)،قيل:"إن الضمير في قوله تعالى(عنده) يعود إلى الكافر لا إلى عمله فكأنه (تعالى) قال :فوجد الله قريبا منه،أي:وجد عقابه مرصداً له، فأخذه من كتب، وجازاه بما اكتسب، وذلك لقول القائل:الله عند لسان كل قائل،أي:يجازيه على قول الحق بالثواب،وعلى قول الباطل بالعقاب، والقولان جميعاً يئولان إلى معنى واحد"[6]-هنا تتضح عملية الترجيح الدلالي في عملية التأويل،إذ الضمير في (عنده) هنا يعود إلى الوراء، واحتمال ربطه بين إحدى الكلمتين اللتين سبقتا في الذكر، وارد فإما يقع الربط مع (الذين كفروا) أي الكفار، وإمّا يقع الربط مع (أعمالهم) و المؤوّلون هم الذين يرجحون الدلالات حسب المعنى الذي يرونه أَفْيَدُ ، والذي يهمنا هو عملية الربط التي قام بها الضمير،فهي عملية ربط بين مذكور سابق بمذكور لاحق لآخر ذكر في سياق الكلام،وبهذا يظهر اتّساق النص من خلال هذا الدّور الهام الذي تقوم به الضمائر،بالإضافة إلى أنواع متنوعة وعديدة من العلاقات الأخرى التي تساهم في تشكيل اتساق وتماسك النص.

---

[1]- المرجع نفسه، مج2/ 1106.

[2]- أبحاث في علم اللغة النصي و تحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،ص:17-18. و ينظر:البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 4/3،151/25-41.

[3]ينظر:الضمير- بنيته و دوره في الجملة- الشادلي الهيشري،منشورات كلية الآداب،جامعة منوبة ،تونس،2003م،المجلد 17،ص:466.

[4]-أصول تحليل الخطاب في النظرية العربية،تأسس نحو النص،محمد الشاوش،المجلد الثاني،ص:1107.

[5]-ينظر:أبحاث في علم اللغة النصي و تحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،ص:18.

[6]-تلخيص البيان في مجازات القرآن،الشريف الرضي،تحقيق العلامة محمد عبد الغني حسن،ط1،مكتبة الآداب ،القاهرة،1433هـ/ 2012م ، ص:246.

ويلعب المتلقي دورا جوهريا مكملا لإتساق النص إذ يفرض عليه النص اليقظة وعدم الإنقطاع عنه لتحديد مرجع الضمير، مادام أن الإحالة "تقضي العودة إلى الوراء لتحديد مرجع الإحالة، حيث ذكر المحال إليه، وفي هذا نوع من الربط القبلي بين أجزاء النص، أما الإحالة البعدية، وهي إحالة على لاحق لم يذكر بعد، فإنما هي مثيرة لذهن المتلقي، حيث يوجد لفظ كنائي، ولم يسبق مرجعه والمفترض أن يظل المتلقي يقظا باحثا عن مرجع الضمير."[1] وقد يدل على مرجع الضمير السياق فيضمر ثقة بفهم السامع، نحو قوله تعالى:﴿كلّ من عليها فان﴾ (**الرحمان، 26.**)،﴿ما ترك على ظهرها﴾ (**فاطر،45**)، أي: الأرض والدنيا. و﴿لأبويه﴾ (**النساء، 11.**) أي الميّت ولم يتقدّم له ذكر. وقد يتأخر الضمير "لفظا لا رتبة مطابقا نحو: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ (**طه،67.**)﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾(**القصص، 78**) ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ (**الرحمان، 39.**)، أو رتبة أيضا في باب ضمير الشأن والقصة ونعم وبئس والتنازع"[2].

وتقوم "هذه الضمائر بوظيفة الربط بين وحدات النص وأجزائه"[3] فهي تغني عن إعادة ذكر العنصر الإشاري في كل مرة، لذلك يذكر الضمير في كل مرة يحتاج فيها إلى ذكر العنصر الاشاري للتذكير به"[4] حيث يحيل إلى عنصر واحد في خطاب سابق، ومرة أخرى إلى خطاب بأتمه"[5].

والأمثلة كثيرة في ذلك، فقول الله تعالى:﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ**﴾ (سورة البقرة:116) "اختلفوا في الضمير في (قالوا) على من يعود فقيل:هو عائد على الجميع من غير تخصيص. فإنّ كلاّ منهم قد جعل لله ولدا لأنهم اختلفوا في سبب نزول هذه الآية؛ إذ قالوا بأنها:"نزلت في اليهود إذ قالوا عزيرا ابن الله. أو في النصارى. إذ قالوا المسيح ابن الله،أو في المشركين إذ قالوا الملائكة بنات الله،أو في النصارى والمشركين،أقوال أربعة"[6]، حيث نجد أنّ الضّمير واحد في الفعل (قالوا) و مرجعيته مختلفة حسب المؤولين وعلماء التفسير.وللمتلقي أن يترصد مواطن عود الضمير لتفسير الإحالة، وذلك لن يتأتى له ما لم يكن عارفا بالشروط السابقة التي ذكرناها، ومن خصائص النص الاستمرارية والتواصل، وهذا ما يفرض على المتلقي أن يبقي ذهنه على مدى طول الآيات حتى ينتهي به فكره إلى معانيها. وإلاّ فإنّه لن يؤتي آلية التفسير والفهم للنص المقروء.

---

[1]– الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، العربية بين نحو الجملة ونحو النص، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1426هـ–2005م، الجزء2، ص: 543.

[2] – الإتقان في علوم القران، جلال الدين السيوطي، مكتبة الصفا، ط1، 1413هـ– 1993م، الجزء2، ص: 180.

[3]– نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ص: 117.

[4]– ينظر المرجع نفسه، ص: 117–118–119.

[5]– لسانيات الخطاب، مدخل إلى انسجام النص، محمد خطابي، ص: 175.

[6]– تفسير البحر المحيط،لمحمد بن يوسف الشهير،بأبي حيان الأندلسي، ج532/1.

وأكبر إشكالية يقع فيها المتلقي هو تفسير مرجعية الضمير، خاصة إذا تعددت المرجعيات، فإنّه لا يدري إلى أيّ محال إليه يعود الضمير إلاّ بعد تفسير وإعادة ترجيح دلالي لأحد المعاني، مثل قوله تعالى:﴿**وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)**﴾ (سورة البقرة:117)"فالهاء في له تعود على الأمر،أو على القضاء الذي دل عليه قضى،أو على المراد الذي دلّ عليه الكلام"[1].ويلعب المتلقي دور المشارك في بنا تماسك النص، حيث يترصد مواطن الإضمار ومواطن الإحالة ويربط بينها لصناعة الإتّساق الضروري لتواصل المعاني، والبنية السطحية هي التي تضيء للمتلقي اتّجاهات خيوط الإحالة، وعليه تتبع هذه الخيوط للوصول إلى مطمر الإحالة الإشارة ويفسرها أحسن تفسير حسب السياق الذي وردت فيه.

م- الضمير في سورة البقرة:

لا تخلو سورة من القرآن من البنية الضميرية نظرا لأنّ هذا العنصر اللغوي يمثل أكبر نسبة من الحضور في البنية اللغوية للنص، فالأدوار التي يقوم بها داخل النص من إحالة قريبة إلى إحالة بعيدة، والتبادل الدلالي بينه وبين العناصر المحال إليها، يكثر الروابط في النص وينوّعها، وتتبع حركة الإحالة الضميرية داخل النص من المهام الأوّلية للمتلقي حتّى يستطيع تبيّن العلاقة الإحالية بين المحال والمحال إليه (العنصر الإشاري). ففي قوله سبحانه: ﴿**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ**﴾ (النور:43) لا يستطيع تفسير الضمير ما لم يركز فهمه، كون" الضمير في:(فيها) عائد على الجبال أو فاعل بالجار والمجرور; لأنه قد اعتمد بكونه في موضع الصفة لجبال. وقيل:(من) الأولى والثانية لابتداء الغاية، والثالثة زائدة أي وينزل من السماء من جبال السماء بردا. وقال الزجاج : معناه: وينزل من السماء من جبال برد فيها، كما تقول: هذا خاتم في يدي من حديد ، أي خاتم حديد في يدي، وإنما جئت في هذا وفي الآية بمن لما فرقت; ولأنك إذا قلت: هذا خاتم حديد كان المعنى واحدا ، انتهى. فعلى هذا يكون(من برد)في موضع الصفة لجبال، كما كان (من) في(من حديد)صفة لخاتم ، فيكون في موضع جر ، ويكون مفعول (الضمير في (به) على البرد ، ويحتمل أن يكون أريد به الودق والبرد، وجرى في ذلك مجرى اسم الإشارة . وكأنه قال ينزل) هو(من جبال) وإذا كانت الجبال (من برد) لزم أن يكون المنزل بردا. والظاهر إعادة: فيصيب بذلك، والمطر هو أعم وأغلب في الإصابة، والصرف أبلغ في المنفعة والامتنان" [2].وفي"قوله تعالى:﴿**اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ (البقرة:281)فجملة (ترجعون) في موضوع نصب نعت لـ (يوما)" وهو نكرة لفظا ومعنى، والرابط بينهما الضمير المجرور بـ (في) أو نكرة معنى لا لفظ، وهو الاسم المعرف بـ (أل) الجنسية"[3].

---

[1]-المرجع نفسه،ج1/ 534.

[2]-تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، ج6/464-465.

[3]-النحو و الدلالة ،مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي،محمد حماسة عبد اللطيف،دار الشروق،القاهرة،ط1، 1420ه/2000م، ص:140.

وهكذا تظهر أوّل وظيفة للضمير وهي أمن اللبس وإزالة الإبهام، وتقييد العنصر المحال إلية وتحديده حتى لا يتشتت الفهم ويكثر التأويل. وبالتالي يصبح إتّساق السورة بعلاقة سليمة وواضحة بين العنصر يتداعى المحال إلى المحال إليه.

1- عود الضمير على المتقين ودوره في اتّساق السورة:

ويمثل هذا المقطع أولى الآيات من سورة البقرة ، أين قال تعالى:﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)**﴾(سورة البقرة:2-5)."فالضمير في (فيه) يعود على(الكتاب)والضمائر في (رزقناهم،وهم في الموضعين،وربهم) تعود على(المتقين)، حيث نلاحظ أنّ الدّور الذي لعبه الضمير(هم) في إتساق الآيات وترابطها هو دور كبير،حيث ساهم بشكل قوي في عملية الربط بين هذه الآيات كون المتحدث عنهم هم (المتقين) الذين سبق ذكرهم في قوله :(هدى للمتقين)، وكل هذه الضمائر تحيل إحالات إلى مسمى(المتقين) سبق ذكره.

ونجد عملية الاتّساق هنا تظهر بالضمير (هم) الذي ورد في صيغة الجمع الغائب تارة متصلة وتارة منفصلة وشاركه في الربط بين الآيات ضمير متصل آخر يعود كذلك على (المتقين) وهو حرف (الواو) الذي حل محل الفاعل في الأفعال التالية:(يؤمنون-يقيمون-ينفقون-يؤمنون-يوقنون)وهو إرداف للضمائر وتنويعها للمشاركة في عملية إتّساق هذه الآيات كونها مهمة جدًّا في حصر الدلالة و توجيهها، نظرا للدور الإحالي الذي تقوم به.

2- عود الضمير على الكفار ودوره في إتّساق السورة:

ويمكننا أن نحصي في بداية سورة البقرة مجموعة من الضمائر التي ربطت آيات الكفار ببعضها، وأحدثت إتّساقا آخر يتشكل بها من جديد بعدما كان الحديث عن المتقين. وهذه الضمائر يظهر أغلبها في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)**﴾(سورة البقرة:6-7). ،فالضمائر التي ساهمت بمجموعة من الإحالات إلى الذين كفروا(هم الكفار)كانت مساهمتها ترابطية بين أوصاف الكفار والكفار أنفسهم.

3- عود الضمير على المنافقين ودوره في إتّساق السورة :

وتبدأ الضمائر في هذه الفئة بحديث القرآن عنهم بالغيبة، في خلق اتساق آخر، يتماشى والتنامي الدلالي للسورة يبدأ من قوله:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ**

وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)﴾(سورة البقرة:8-20).

و يمكننا أن نرصد مرجع الضمائر التي تعود على المنافقين كالتالي :

الضمير	مرجعه	رقم الآية
هم بمؤمنين	مَنْ يقول	08
هم (أنفسهم)	هو الاسم الموصول(مَنْ)	09
قلوبهم- فزادهم-ولهم	هو الاسم الموصول (مَنْ) في الآية الثامنة	10
قيل لهم	هو الاسم الموصول (مَنْ) في الآية الثامنة	11
إنهم-هم	هو الاسم الموصول (مَنْ) في الآية الثامنة	12
إنهم- هم	هو الاسم الموصول (مَنْ) في الآية الثامنة	13
شياطينهم	هو الاسم الموصول (مَنْ) في الآية الثامنة	14
بهم- يمتدهم-طغيانهم	هو الاسم الموصول (مَنْ) في الآية الثامنة	15
تجارتهم	هو الاسم الموصول (مَنْ) في الآية الثامنة	16
مثلهم	هو الاسم الموصول (مَنْ) في الآية الثامنة	17

وكل هذه الآيات تربطها الضمائر بالاسم الموصول(من) الذي ورد ذكره في قوله تعالى:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ**﴾،وكأن هذا الاسم الموصول جذع أرسل أغصانه في الآيات حتى تبقى مرتبطة به،فيظهر في الأخير إتّساق تلك الأغصان مع الجذر وهذا التماسك الشديد بين الإسم الموصول و الضمائر خاصة الضمير(هم) في الجزء الذي يتحدث عن المنافقين يمثل بنية كلامية عن المنافقين بدأت نصيتها تتحقق وتجتمع من خلال ما حققه الضمير (هم) من ترابط امتد إلى غاية الآية السابعة عشر ثم الثامنة عشر في قوله(نورهم-تركهم)، بصيغة الجمع

عائد على معنى (من) في الآية الثامنة وهو المنافقون[1]، ونفس الشيء في قوله تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)**﴾ (البقرة:18).فمرجع الضمير(هم) هو معنى اسم الموصول(مَن) في الآية الثامنة.

إنّ العمل الذي تقوم به الضمائر في هذه الآيات التي تتحدث عن المنافقين هو عمل إحالي إتساقي، يبرز من خلال الوظيفة التي تقوم بها الضمير في إرجاع المتلقي إلى المفسِّر الذي به يتحدد المعنى، وهو عمل أساسي في توجيه الدلالة، وصناعة خيوط المعنى و التأويل .

وهناك أمثلة كثيرة عن عود الضمير إلى المنافقين، منها قوله تعالى:﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)**﴾ (سورة البقرة:10)،"الضمير في (لهم) هو عائد إلى المنافقين المشار إليهم قبل"[2]، وهذا العمل التحاولي بين المحال والمشار إليه في غاية الدّقة القرآنية حيث نلاحظ أنّه رغم كثرة الضمائر واختلافها إلاّ أنّها عند الإحالة تحيل إلى ما هي له، أي تحيل إلى الذي خصّت به من مفسّرات، وكأنّها تعرف مسارها إلى حيث تحطّ بإحالتها، لتغترف منها دلالتها من جديد كلما مضى النص بالمتلقي خطوة نحو الأمام.

وفي قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17)**﴾(البقرة:17)"ويعود الضمير من"نورهم" في هذا القول على (الذي)"[3] وقال قوم:جواب "لما" مضمر، وهو طفئت، والضمير في نورهم على هذا للمنافقين. والإخبار بهذا هو عن حال تكون في الآخرة وهو قوله تعالى:﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13)**﴾ (سورة الحديد:13)[4].

أمّا الضمائر التي وردت في قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19)** ﴾(سورة البقرة:19)، فأصل تركيب هذه الآية:أو كمثل ذوي سبت،فحذف(مثل)كسبق ذكره(مثلهم كمثل) الذي استوقد ناراً، وحذف(ذوي) لدلالة (يجعلون عليه) فيكون مرجع الضمير في (أصابعهم،وأذانهم)لأصحاب السبت المضروب بهم المثل"[5]، التي يستمر بها

---

[1]– ينظر:مرجع الضمير في القرآن الكريم،مواضعه،وأحكامه وأثره في المعنى و الأسلوب،د.محمد حسنين صبري،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص:75–77.

[2]– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط1422،1هـ/2001م،ج1/93.

[3]– المرجع نفسه،ج1/100.

[4]– المرجع نفسه،ج1/100.

[5]– ينظر:تفسير النسفي،ج1/26.

المعنى إلى أن تتضح دلالات الضمائر ويزول الإلتباس والغموض لأن هذا العمل الإحالي الذي تقوم به الضمائر هو جزء كبير من المعنى.

ونجد هذا العمل الإحالي يمتد إلى الآية اللاّحقة في قوله: ﴿ **يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)**﴾(سورة البقرة:20).فالضمائر الموجودة في (أبصارهم، لهم، عليهم، سمعهم، وأبصارهم، لأصحاب السبت والضمير في (فيه)يعود على البرق)"[1].

ن- أكثر أنواع الضمائر حضورا أكثرها أداء للإتّساق في سورة البقرة:

أما الضمائر التي تسهم في خلق اتّساق النصّ بامتياز -كما يشير إلى ذلك المؤلفان- هي ضمائر الشخص الثالث (ضمائر الغيبة)، فهي التي تمتلك الوظيفة الاتّساقيَّة للإحالة الشخصيَّة، وهي غالبا ما تحيل على السابق من الكلام[2]، كما في المثال الآتي[3]:

a- John has moved to a new house.
b- John's house is beautiful.
c- That new house is John's.
→ He had it built last year.

أ- انتقلَ جون إلى البيتِ الجديدِ.
ب- بيتُ جون جميل.
ج- ذلكَ البيتُ الجديدُ لجون
← (هو) بناهُ في السنةِ الماضيةِ.

[1]-ينظر،مرجع الضمير في القرآن الكريم، مواضعه وأحكامه، وأثره في المعنى والأسلوب،د.محمد حسنين صبرد،ص:78.

[2] -**Cohesion in English – Halliday and Hasan; p.p 51**.

[3] -**Ibid; p.p 54**.

فالضمائر في الجملة المتمّمة للنصّ أحالت على الاسمين في الجمل الأولى (جون) و (بيت). إذ إنَّ الضمير (هو He) أحال على جون، والضمير (الهاء it) أحال على البيت، وهاتان الإحالتان هما إحالتان إلى سابق في النصّ، وقد حقَّقت هذه الضمائر الاتّساق من دون تكرار الأسماء، كما أسهمت في ربط الجمل دلاليًّا، لذا فإنَّ وظيفة الإحالة لا تقتصر على الاتّساق الشكليّ بين الجمل، بل هي علاقة وظيفتها الأساسيَّة دلاليَّة، إذ إنَّ الضمائر تقوم على ربط الدلالات المتناثرة للجمل، ومن الباحثين من جعل من الإحالة رابطا دلاليًّا يربط العناصر المتباعدة للنصّ[1].

وتساهم ضمائر من هذا النوع في الربط بين أجزاء النص، فلقد أثّرت الإحالة الضميرية في البنية النصية اللغوية لسورة البقرة على اختلاف أنواعها، ومثلت أكثر العناصر اللغوية الإحالية حضورا في النص، خاصة ضمائر الغائب وبالأخص صيغة الجمع منها المتمثلة في الضمير(هم)، حيث فاق تعدادها المائتان والخمسون ضميرا، سواء كان ذكره متصلا أم منفصلا، ومرد ذلك إلى لغة الخطاب التي استعملها الشارع الحكيم، كونه عزوجل في مقام الإخبار عن الأمم السابقة والأنبياء الذين كلفوا بهداية الناس وتبليغ شريعة الله. ونذكر منها قوله تعالى:﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)**﴾ فالضمير (هم) المتكرر في هذه الآيات يحيل إلى المتقين الذين سبق ذكرهم، وهذه إحالات قبلية تحيل إلى الوراء ساهمت في إحالة المتلقي إلى العنصر الإشاري (المتقين) لفهم العناصر المبهمة، ولتوطيد العلاقة اللغوية بين أجزاء النص.

ويعتبر الضمير المتصل من أكثر أنواع الضمائر التي تقوم بالربط داخل النص، وعندما نقول النص فإننا ندرج تحته نحو الجملة بإعتبارها عنصر مهم في التشكيلة النصية. ومن هذه الضمائر؛ الضمير المتصل: وهو الضمير المتصل بالاسم، كالضمير المفرد المذكر والمؤنث، والمثنى والجمع. ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى:﴿...**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** (286)﴾ (البقرة: 286) إذ نجد أنّ الضمير (نا) الذي اتصل بالكلمات التالية (رَبَّنَا – تُؤَاخِذْنَا– نَسِينَا – أَخْطَأْنَا – رَبَّنَا – عَلَيْنَا– قَبْلِنَا– رَبَّنَا – تُحَمِّلْنَا – لَنَا– عَنَّا – لَنَا – ارْحَمْنَا– مَوْلَانَا– فَانْصُرْنَا) تكرر خمسة عشر مرّة في ألفاظ لا تبتعد عن بعضها البعض في جزء قصير من آية واحدة، وهي ألفاظ متقاربة تعبّر عنها إحالات نصّية قريبة، مما زاد النص خاصة في هذا المقطع الأخير من السورة إتّساقا أكثر وترابطا نوعيا لا يحصل إلاّ في نصّ معجز، خاصة وأنّ السورة على وشك النهاية، ويشكل تكرار الضمائر بهذه الطرقة نمطا تعبيريا خاصا بها، حيث نجدها تعوّض المتكلم بشخصه، و تزيل التكرار المحض، وتستبدل المذكور.

[1]- ينظر:علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي؛ 1/ 164.

س- الضمير بين التحديد الإحالي والإشاري:

الأصل في الضمير أنه يحيل إلى عنصر واحد في النص ويدل على ذلك مطابقة له في الجنس والعدد، فيتيسر تفسيره وفهم العلاقة بين المحال والمحال إليه، ويزول الغموض، ويتلاشى الالتباس عند التأويل، ومعنى هذا "أنّ الضّمير يصرف إلى عنصر معين لسبب يفرضه نظم الكلام، أو يكون الضّمير لا يصلح إلاّ لذلك العنصر"[1] ونضرب مثالا لذلك في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97)** ﴾(البقرة، 97)، "الضمير المنصوب (**نَزَّلَهُ**) عائد للقرآن لأنه تقدم في قوله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ** ...﴾ (البقرة،91) وإما لأن الفعل لا يصح إلا له"[2].

وتتمثل وظيفة الضمير في هذه الآية في تعيين المشار إليه وهو القرآن الكريم، وبه يتضح لأن المحال إليه هو عنصر واحد،لذلك عدّ علماء التفسير ظاهرة أحادية الإحالة التي تعود على مشار إليه واحد في النصوص مهمة في مساهمتها المباشرة في عملية التأويل عند تفكيك النّصوص ونظم الآيات. وندعم ذلك بمثال آخر في قوله تعالى: ﴿**إنّ أنزلناه في ليلة القدر**﴾ (القدر،1) إذ أن الهاء في (أنزلناه) ضمير يعود على القرآن الكريم دون غيره من الكتب. فالإحالة في هذه الآية جاء لتحيل إلى عنصر مفسر للضمير واحد وهو القرآن الكريم. والضمير في هذه الآية دالاّ عليه التزاما"أي القرآن لأنّ الإنزال يدلّ عليه التزاما"[3].

ويعد الطبري من الذين تنبهوا إلى ظاهرة تنوّع الإحالات التي أشار إليها المفسّرون الآخرون، ومن الإحالة الأحادية التي ذكرها ما جاء في تفسير الآية ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)** ﴾ (البقرة : 25). ذكر أنّ الضمير في" لهم" يعود على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأنّ الضمير في" فيها" يعود على الجنّات، وتأويل ذلك هو (وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنات فيها أزواج مطهّرة) والضمير في (هم) عائد على الذين آمنوا وعملوا الصالحات" [4] ، وهذه الإحالة تبيّن تعدد العناصر اللغوية المحيلة إلى مشار إليه واحد، حيث تتجمع الإحالات عند المشار إليه ليسهل تفسير المبهمات التي آلت إليه، وهي تساهم في تشكل السياق وائتلاف نظم الكلام.

---

[1]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 176.

[2]- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/ 621.

[3]- ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين محمد السيوطي، الجزء2، ص: 180.

[4]- تفسير الطبري ، 1/ 147.

وفي قوله تعالى:﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)**﴾ (سورة البقرة:213)، فإننا نجد في قوله:(ليحكم) ضميراً مستتراً غائبا مفردا (هو) وقد تعددت مرجعياته، لغياب الإسناد فيه فالأفعال التي سبقته قيّدت بإسناد واضح لا يتحمل تعددا؛ (فالفعل بعث اسند إلى فاعل صريح هو الله(تعالى) ،كما أن الفعل نزل لا يتحمل تعدد المحال إليه،لأنه عقب بجار ومجرور تضمّن ضميراً محيلاً إلى النبيّين مما يجعل الإحالة بضميرين إلى نفس العنصر (الله) مستحيلة"[1]. وهكذا يحدث تجميع الأحداث والأفعال ومرجعيات الجمل عند عنصر إحالي مشار إليه واحد، يقوم بلمّ هذه الإحالات وتفسيرها، و يلاحظ نموّ البنية الإحالية داخل النصوص من خلال هذا التعالق و التكافل فيما بينها لصناعة المعنى.

والذي جعل إحالة الضمير متعددة في المثال السابق هو ورود الفعل حرّاً غير مقيد بأية قرينة، يقول الرّازي:"ليحكم فعل، فلا بدّ من استناده إلى شيء تقدّم ذكر، وقد ذكر أمور ثلاثة فأقربها إلى اللفظ الكتاب، ثم النبيون، وثم الله..فيكون المعنى ليحكم الله أو النبي المنزل عليه أو الكتاب"[2].

ويمكن أن تدرج هذه المرجعيات في تسلسل تابع من مسوغات يخضع لها السياق يتصدرها عوده على الكتاب لأن الكتاب أقرب مذكور، وهذه قاعدة مرجعية الضمير وهي: أن يعود إلى أقرب مذكور يوضّحه، فيكون بهذا الإسناد مجازيا وقد سوّغه الرّازي بقوله:"هذا المجاز يحسن تحمله لوجهين:الأول؛ أنه مجاز مشهور يقال:حكم الكتاب بكذا، وقضى الكتاب بكذا، وإذا جاز أن يكون هدى وشفاء، جاز أن يكون حاكماً، قال تعالى:﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)**﴾ (سورة الإسراء:09)، والثاني: أنه يفيد تفخيم شأن القرآن وتعظيم حاله"[3] .

وإن عاد إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فإنّه هو المظهر له وصاحب الدعوة والمتفاعل مع الناس ليتبين لهم ما في الكتاب الذي يمثل النظام الذي أراده الله تعالى للبشر لينظموا حياتهم في ضوء تعاليمه، والمرجع الثالث الذي يعود على الله الضمير لفظ الجلالة (الله)، والحقيقة أن جوّ السياق العام يوحي بأنّه أقوى مرجع يعود إليه لأنّه ذكر بعث الأنبياء و إنزال الكتاب (معهم)،"إبراماً لثني الأمر المضاعف ليكون الأمر شاهدين أقوى منه

---

[1]– لسانيات النص،محمد خطابي، ص:174.

[2]– التفسير الكبير، الفخر الرّازي، 15/6.

[3]–المرجع نفسه، ،15/6.

شاهد واحد، فقد كان في الرسول كفاية وفي الكتاب وحده كفاية لكن الله تعالى ثنى الأمر وجمع الكتاب والرسول لتكون له الحجة البالغة... "[1] .

وقد تتعدد الضمائر الإحالية ويكون العنصر المفسر واحد أي وحدة المرجع ووحدة المحال إليه من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84)**﴾ (البقرة،84)، يعلق ابن عاشور على هذه الآية في تفسيره للآية قائلا : "الضميران في (أقررتم) و(أنتم تشهدون) راجعان لما رجع له الضمير (ميثاقكم) وما بعده، لتكون الضمائر على سنن واحد في النظم"[2] فهي تلعب بهذا الدور، دورا اتساقيا يربط بين عدة أفعال مع ضمير واحد، ومن هنا نستنتج أنه يتوحد المرجع وتتعدد الضمائر الإحالية.

من الأمثلة التي نشهد لها بتعدد احتمالات الإحالة ما قاله عن إحالة الضمير في قوله تعالى ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ (البقرة : 26). فيرى أنّ قوله" أنه الحق" يعود إلى مذكور سابق، وقد تقدّم ذكر الرسول، فجاز أن يكون المراد أنّ القوم يعلمون أنّ الرسول مع شرعه ونبوّته حقّ ، فيشتمل ذلك على أمر القبلة وغيرها ، ويحتمل أن يرجع إلى هذا التكليف الخاصّ بالقبلة وأنّهم يعلمون أنّه الحق ، وهذا الاحتمال الأخير أقرب لأنّه أليق بالكلام" .[3] إنّ تعدّد الاحتمالات لإحالة الضمير أمر مرتبط بما يسمح به السياق أو المقام، وترجيح أحد الاحتمالات إنّما يكون أيضا بالاستناد إلى ذلك السياق، وانظر إلى عبارته" لأنّه أليق بالكلام" وما تدلّ عليه من ضرورة الانسجام التامّ ، وما تدلّ عليه من الاستئناس بالعرف اللّغوي والمقامي وهو يكررها كثيرا في تفسير.

جدول يوضّح تعدد المحال إليه (المشار إليه) بالضمائر في بعض الآيات من سورة البقرة

تسلسل	الآيــات من سورة البقرة	رقم الآية
1	مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ	17
2	وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ	45
3	فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ	66
4	وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ	72

[1]–نظم الدرر:3/199–200.

[2] – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج2/ 39.

[3]– التفسير الكبير، الفخر الرّازي، 15/ 123.

5	وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ	96
6	قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ	97
7	وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ	102
8	وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ	102
9	وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ	198
10	وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ	213
11	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ	217
12	إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ	271
13	إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ	271

ع- أثر الإحالة الضميرية في إتّساق النص:

الضمير من الأدوات الرابطة لأجزاء النص، يقوم مقام اللفظ الظاهر، فيُغني عن تكراره، ويصل الجُمَل بعضها ببعض، ويحيل ما هو لاحق على ما هو سابق، فيربط آخر الكلام بأوّله، أو العكس؛ إذا كانت الإحالة نحو الأمام، وتلعب الضمائر دورا هاما في تحقيق اتّساق النص، وتكمن وظيفتها في صناعة الربط بين مكونات النص، فتظهر البنية الشكلية للنص متماسكة ومتلاحمة، تشدّها الإحالة الضميرية شدا، وتوثقها أحسن الوثاق. "وتكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحل ضمير محل

كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل"[1]وقد لاحظ الإمام الزمخشري ومن تناول النص القرآني بالدراسة والتحليل أن الضمير"يساهم بشكل فعال في إتساق الخطاب القرآني"[2] حيث تلعب الضمائر الدور المحوري في صنع إتساق عنكبوتي للنص خاصة منها الضمائر الغيبة. فهي "تقوم بوظيفتين: استحضار عنصر متقدم في خطاب سابق، أو استحضار مجموع خطاب سابق في خطاب لاحق"[3].

وحتى يظهر اتساق النص متجليا، تؤدي الضمائر وظيفتها النحوية داخل النص، فتتسق التراكيب داخليا بواسطة العائد، كالربط العائدي، في جملة الحال والنعت والصلة، وغالبا ما يكون هذا الربط على مستوى الجملة، ويعد هذا قيدا من قيود الإتّساق الداخلي. كما تلعب دور المنبه على امتداد النص، فهي في كلّ مرة تنبه المتلقي إلى الإرتباط الحاصل بين الضمائر وإحالاتها التي تريّث ذهن المتلقي وتمهّله لمراقبة ارتباط الضمائر بالمتحدث عنه، ويظهر أثرها واضحا في ذلك الهدوء الذي يجنيه المتلقي ويغنيه عن رحلة البحث عن المرجع الذي يفسّر الضمائر طالما عثر على المفسّر، وذلك عندما يذهب يمينا وشمالا يترصد مواقع مفسر الضمير. ويكون هذا النوع من الحركة الذهنية على مستوى البنية السطحية، أفقيا وعموديا، وهنا يظهر أثر الضّمير واضحا في بناء النّص في كل المسارات اللغوية، فحركته متشعبة وحاضرة بكثرة في النصوص، وتبرز النسبة الحضورية للضمير في جميع النصوص أهميته الإتساقية، لأنّه يعتبر أكبر حلقة صل وربط بين أجزاء النص من جهة، وبين المعاني من جهة أخرى، لذلك نجزم بعدم خلوّ أي نص من الضمائر على اختلاف أنواعها.

وأما الدّور الآخر، الذي يتجسد للضمير من إتّساق، هو "الإتّساق الخارجي، الذي يرصد حالات الربط العائدي"[4] وبالجمع بين هذين الدورين الذي يؤديهما الضمير تتحدّ العلاقات الإحالية للضمير داخل النص وخارجه وتصنع تنوعا إحاليا بين البنية والمعنى تنصهر فيها كلّ أنواع الإحالات المتنوعة للضمير لتذيب عقبات المرور وتخطي المعنى إلى معنى التراكيب الموالية، وهنا يظهر الإتّساق العام للنّص ومعناه "أنّ كل بنية متسقة داخليا وخارجيا"[5]. وبالتالي فإنّ الأثر الواضح للضمير هو الربط بين المتقاربات والمتباعدات، وبين الداخل والخارج حتى يظهر يتم النص.

في هذه المعادلة الإحالية يكون للوظائف النحوية دور كبير في تحديد المفسر باعتبار الضمير مكنى ولا يمكن تفسيره خاصة إذا سبق الضمير العنصر المفسر مثل ضمير الشأن. لأنه يعد من "التعابير الإحالية

---

[1]– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي،ج137/1.

[2]– لسانيات الخطاب، مدخل إلى انسجام النص، محمد خطابي، ص: 175.

[3]– المرجع نفسه، ص: 175.

[4]– أنظمة الربط في العربية، دراسة في التراكيب السطحية، بين النحاة النظرية التوليدية التحويلية، حسام البهنساوي،مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، جمهورية مصر العربية،ط1، 1423هـ–2003م، ص: 91.

[5]– المرجع نفسه، ص: 91.

المفتقرة للاستقلال الإحالي"[1] إذن هي فهي عاجزة عن تحديد إحالتها الحاصلة بمفردها عند الاستعمال ومن المنظور التداولي للضمير، فإنّه يمكن"اختيار أحد التأويلات، هذا إذا ما أنتج التحليل اللساني أكثر من تأويل"[2] فتسند الضمائر إلى مفردات إحالية مختلفة، مراجع- بالمعنى العام للكلمة-.أي أشياء من العالم"[3] حسب ما يقتضيه مبدأ المناسبة (المطابقة) ومبدأ السياق العام. ويضرب لنا الباحثان مثالا واضحا لدور الضمير في تحقيق الإتساق عن طريق الوظيفة الإحالية المخولة له في النص ،و هذا ما جاء في مثالهم:"اغسلي ونقي ست تفاحات للطبخ ضعيها في إناء ليحتمل حرارة النار"حيث يقولان عن هذا النص:"من الواضح أن الضمير(ها)، يحيل إلى الوراء، إلى التفاحات الستة في الجملة الأولى،هذه الوظيفة الإحالية إلى ما سبق للضمير (ها) تضفي ترابطا على الجملتين بحث تفهمهما على أنهما كل لا يتجزأ أو يكونّان معا نصا "[4].

ونذكر في هذا المقام تفسير الزمخشري للآية (27) من سورة البقرة ﴿ **الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ، ويَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، ويُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ**﴾ (البقرة،27) . قال: " والضمير، في ميثاقه للعهد، وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم، ويجوز أن يكون بمعنى توثيقه كما أنّ الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة، ويجوز أن يرجع الضّمير إلى الله تعالى أي من بعد توثقته عليهم، ومن بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله" [5]. فالإحالة هنا تتعدّد احتمالاتها، وقد بيّنا سابقا طرق تحديد العنصر المفسّر ومرجعية العناصر المبهمة في النص، وترجيح الإحالة يتمّ بالاستعانة بعناصر من داخل النصّ تساهم في البنية العامة (القرينة النحويّة ، وقرينة المعنى)، تدعمّها عناصر من خارج النصّ وهي المقام وذلك بالاستئناس بأحوالهم من حيث قبول العهد وإلزام أنفسهم به.

ويتضح دور الضمائر الكبير الذي يفرض على النص اتساقه وتماسكه وربطه بين ما سبق وما يلحق.لأن التراكيب تتوارد في خط مستمر وقد يحدث وأن ينفصل التركيب عن تركيب آخر ما يشكل خللا في بنية النص ومن هنا تتدخل الضمائر لترصيص التراكيب وتوحيد المعاني، وخلق اللحمة بينها، فتظهر العلاقات مترابطة ويتسق النص من بدايته إلى آخر لفظ يرد فيه.و قد بين ج.براون وج.يول (1983). "أن وظيفة الضمير الأساسية هي بالأحرى ضمان استمرار الإحالة"[6]، ما يدل على قيمته في بناء النص، فاستمرار الإحالة

1- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر-آن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعة التونسية، إشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010، سلسلة اللسان، ج1/ 120.

2- المرجع نفسه، ج1/ 133.

3- المرجع نفسه، ج133/1.

4 -تحليل الخطاب،ج.ب.براون،ج.يوول، ص:288.

5- الكشاف 1/ 119.

6- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو- دومنيك منغنو، ص: 49.

من استمرار التركيب واستمرار التركيب من استمرار المعنى، واستمرار المعنى دليل على تكتل الألفاظ وترابطها في جمل متماسكة، تظهر النص في اتساق منتظم غير مختل. ولهذا يعد النحويون واللسانيون الضمائر من أبرز وسائل التماسك النصي، لذلك أولوها العناية البالغة في كتبهم نظرا لقيمة هذه العناصر التي تلعبها في اتّساق النص.

2- اسم الإشارة: DEMONSTRATIVE

ويتحكم في تصنيفها عدة عوامل كالتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية، والجمع، والزمن والمكان، والقرب والبعد."وتحدد موقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي تماما مثل الضمائر لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه"[1] ؛حيث تؤدي وظيفتها لتربط الجمل بعضها ببعض. وتساهم هي الأخرى بالإضافة إلى الضمائر والموصولات في تركيب النص ببنية متسقة حيث تضفي عليه ملمحا اتساقيا وآخر إضافيا يبرز فيه النص أكثر تماسكا وحبكا. والمشار إليه مفرد أو مثنى أو جمع، وكل من هذه الثلاثة مذكرا ومؤنثا، وقد جاء في اللغة العربية ألفاظ تدل على ذلك كله.

أ- تعريف الإشارة:

- لغة:

جاء في لسان العرب"أشار إليه وشوّر: أومأ يكون ذلك بالكف والعين والحاجب، وأنشد ثعلب:

- **نُسِرُّ الهوى إلا إشارة حاجب هناك وإلا أن نشير الأصابع** [2]

"... وفي الحديث: كان يشير في الصلاة، أي يومئ باليد، والرأس، أي يأمر وينهى بالإشارة: ... ومنه إذا تحدّث اتصل بها أي وصل حديثه بإشارة تؤكده، ... وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه، ويقال شوّرت إليه بيدي وأشرت إليه أي لوّحت إليه، وألحت أيضا. وأشار إليه باليد.. أومأ وأشار عليه بالرأي، وأشار يشير إذا ما وجّه الرأي"[3].

---

[1]- ينظر، نسيج النص، بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصا، الأزهر، ص: 116.

[2]- لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ج4/ 436.

[3]- المصدر نفسه، ص: 437.

وفي معجم متن اللغة: "أشار إليه: أومأ، وأشار عليه بكذا: أراه وجه الرأي، والاسم إشارة"[1] كما جاء في القاموس المحيط: "أشار إليه: أومأ، كأشار، ويكون بالكف والعين والحاجب، وأشار عليه بكذا: أمره وهي الشورى"[2]وفي القرآن الكريم قال الله تعالى:﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾ **(مريم،29)**،أي بمعنى أومأت إليه باليد والرأس، أن تكلم.

أما في المنجد الوسيط في العربية المعاصرة: جاء معنى: أشار إلى: دل(أشار إلى الوقت) أعطى إشارة(أشار إلى الانطلاق) قصد أمرا بالإشارة من دون التصريح به والإفصاح عنه (أشار إلى فلان).... أجاب بإشارة من رأسه....دلالة على أمر أو شيء بكلام يفهم معناه أو المراد منه، بدون ذكره صراحة والإفصاح عنه: تلميح.... المشار إليه: مدلول عليه بالإشارة.... (المشار إليه): الذي ذكر سابقا"[3]

ومن التعريف الأخير يقترب المعنى اللغوي من المعنى الاصطلاحي لاسم الإشارة فمن المعاني التي تقرّب بينها. ما جاء بمعنى دلّ- وقصد أمرا دون الإفصاح عنه صراحة، والإشارة إلى مذكور سابق وهذا ما يتعلق بالدور الإحالي لاسم الإشارة، فمن وظائفه الإحالية النصية أنه يشير إلى مذكور سابق.

ومجمل القول مما سبق، فإن المعنى الذي دلت عليه كلمة (أشار) هو الإيماء إما بالرأس أو اليد أو العين، أو الحاجب، ومرد ذلك هو تبليغ المقصود وحصول التواصل، كما زيد في لسان العرب عن ذلك، بأنّ الإشارة تتصل بالحديث وبالكلام.فهي وسيلة مساعدة لحصول الفهم.

- اصطلاحا:

وردت تعريفات كثيرة ومتنوعة لاسم الإشارة منها:

اسم الإشارة هو ما دل على معين بإشارة محسوسة إليه"[4]، و"هو اسم معرفة يعيّن مسماه بواسطة إشارة حسيّة أو معنوية، وتختلف صيغته باختلاف المشار إليه من حيث النوع (مذكر ومؤنث) ومن حيث العدد

---

[1]- معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، الشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1378هـ/1959م، مج3/ 393.

[2]- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص: 899.

[3]- المنجد الوسيط في اللغة العربية المعاصرة، إشراف: صبحي حموي، مراجعة: أنطوان نعمه، عصام مدّور، لويس عجيل، متري شماس، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص: 594.

[4]- المرجع في اللغة العربية، نحوها وصرفها، علي رضا، ص: 48.

(واحد أو اثنان، أو أكثر) ومن حيث بعده أو قربه. كما تختلف صيغته أيضا باختلاف نوع المخاطب وعدده"[1]. أمّا في علم المعاني فإنّ الغرض من تعريف الشيء بالإشارة يكون حسب ما يلي:

- إمّا لتميزه أكمل تميز لصحة إحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة الحسية.
- إمّا للقصد إلى أنّ السامع غبيّ لا يتميّز الشيء عنده إلاّ بالحس.
- إما لبيان حاله في القرب، أو البعد، أو التوسط وربما جعل القرب ذريعة إلى التحقير، والبعد ذريعة إلى التعظيم.[2]

وهذا ما يؤكد أن علماء اللغة قد انكبوا على اسم الإشارة يدرسونه رفقة إخوانهم في علم التفسير حيث فصّلوا فيه كثيرا كالزمخشري والرّازي وابن عاشور واجتهدوا في تحديد المشار إليه.وحللوا العلاقة الموجودة بين اسم الإشارة والمشار إليه. وقد علقوا عن كثرة أسماء الإشارة في القرآن الكريم بقولهم: "إنه يشيع استخدام أسماء الإشارة في الأسلوب القرآني استخدام الروابط التي تؤدي وظيفة كبرى جوهرية، هي تلاحم أجزاء النص وتماسكه"[3].

ب- الإشارة والإشاريات:

ومفهوم الإشارة (DEIXIS): "هو مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه، من ذلك(الآن)، (هنا)، (هناك)، (أنا)، (أنت)، (هذا)، (هذه)، وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعين أو لتوجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه"[4]. وفي قوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ (سورة البقرة:157) وهنا يظهر الدور الإحالي لاسم الإشارة (أولائك) في الإحالة إلى الوراء لربط الصلوات والرحمة والهداية بتلك الأوصاف السابقة، يقول الطاهر بن عاشور:"والإتيان باسم الإشارة في قوله:﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ للتنبيه على أنّ المشار إليه هو ذلك الموصوف بجميع الصفات السابقة على اسم الإشارة مترتب على تلك الأوصاف مثل قوله تعالى:"إن الله و ملائكته يصلون على النبي".[5]

---

[1]- معجم علوم اللغة العربية(عن الأئمة)، محمد سليمان عبد الله الأشقر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ/1995م، بيروت، لبنان، ص: 39.

[2]- المرجع نفسه، ص: 40.

[3]- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د.ط، دت، ص: 140.

[4]- ينظر، نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 116.

[5]- تفسير التحرير و التنوير،ج57/2.

ومن هذه العناصر الإشارية نذكر قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)** ﴾ (البقرة:187)." وقوله تعالى : فالآن باشروهن الأمر للإباحة ، وليس معنى قوله : (فالآن) إشارة إلى تشريع المباشرة حينئذ بل معناه : فالآن اتضح الحكم فباشروهن ولا تختانوا أنفسكم، والابتغاء الطلب ، وما كتبه الله : ما أباحه من مباشرة النساء في غير وقت الصيام أو اطلبوا ما قدر الله لكم من الولد تحريضا للناس على مباشرة النساء عسى أن يتكون النسل من ذلك ، وذلك لتكثير الأمة وبقاء النوع في الأرض ."[1] والعنصر الإشاري (الآن) هو ما نعنيه (DEIXIS) لأن أسماء الإشارة هي أسماء خاصة لمعينات محددة DEMONSTRATIVE NOUNS أما الإشاريات فهي عامة وتدخل فيها أسماء الزمان والمكان...إلخ.

ومن هنا يتضح أن المفهوم الاصطلاحي لاسم الإشارة عند علماء النص يتّسع أكثر مما عرضه النحاة، ليشمل حتى الضمائر الإشارية من المتكلم والمخاطب، كأنا، أنت...و غيرها من الضمائر التي يستعمل فيها الإشارة والإيماء.

– والإشارة: هي ما يدل على أي شيء يتعين من جهة بموضوع ويثير من جهة أخرى فكرة معينة في الذهن، ويوجد فيها القصد في التواصل (صفارة الإنذار)، وهي حدث أو شيء يشير إلى حدث أو شيء آخر، وأنه لابد للإشارة من أن تكون مختلفة عن الإشارات الأخرى، ولابد للإشارة من مادة أو مرجع كما لابد من مؤوّل لها"[2].

– وأما الإشاريات: ألفاظ دالة على عناصر غائبة حاضرة، حصرها ولفتسون في: إشاريات شخصية وإشاريات زمنية وإشاريات مكانية، وإشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية"[3].

وحتى نميّز الإشاريات الشخصية عن غيرها ونفرق بينها وبين غيرها عند التخاطب، كونها لا تعبر عن الأشياء والأماكن، و من التعريفات التي تميزها عن غيرها ما يلي:

---

[1]– المرجع نفسه، ج183/2.

[2]– المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2009م، ص: 86.

[3]– المرجع نفسه، ص: 87.

1- إشاريات شخصية:

وهي ضمائر الحاضر الدالة على المتكلم وحده أو معه غيره مثل (أنا/نحن)[1].و أمّا المرجعيات الشخصية (Person Deixis) تداوليا هي عناصر و أدوات لغوية إحالية إلى ذات مهمتها تعيين هوية الأشخاص[2]. إذ لا يمكن تحديد الشخوص المشار إليها إلاّ في سياق الخطاب التداولي لأنها من العلامات اللغوية المبهمة التي لا يتحدد مرجعها إلاّ في غضون السياق، كضمائر المخاطب.

وأوضح العناصر اللغوية الدّالة على الشخص (Person) هي:ضمائر الحاضر: والمقصود بها الضمائر الشخصية الدّالة على المتكلمين مثل"أنا"و جماعة المتكلمين مثل"نحن"، وضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية؛ لأنّ مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه و الضمائر الدّالة على المخاطب مفرداً أو مثنى أو جمعاً مذكراً أو مؤنثاً [3]. وهي إما وجودية أو ملكية وتنقسم إلى ضمائر للمتكلم و للمخاطب وللغائب، والضمائر الدّالة على متكلم أو مخاطب من قبيل الإحالة إلى ما هو خارج النص[4]. ومن هنا نأخذ في الإعتبار أنّ الضمائر الشخصية التي سبق ذكرها متعلّقة بالخطاب، أكثر من النص، ونعني هنا المقام التخاطبي الذي تستعمل فيه الإشارة كلغة مساعدة على الفهم. وللمقام التخاطبي دور إبلاغي وتواصلي محض، وتقوم الإشاريات من هذا المنفذ بالولوج مباشرة في لغة التخاطب.ومن أجل إدراك المحتوى المرجعي للضمائر الشخصية يجب الأخذ بعين الاعتبار حالة التبليغ، خاصة الضميرين"أنا" و "نحن" الذين هما "دَكْتيكيَّان" إشاريان بأتم المعنى"[5].

2- إشاريات زمانية Temporal Deixis:

كلمات دالة على الزمان المحدد بالسياق قياسا إلى زمن التكلم"[6]. وهي ظروف الزمان بصورة عامة، فإذا لم يعرف الزمن التبس الأمر على المتلقين وقد تدل العناصر الإشارية على الزمن الكوني والنحوي.

3- إشاريات مكانية:

عناصر إشارية كالمكان تحدد مراجعها بالنظر إلى مكان المتكلم[1].لأن "أسماء الإشارة المكانية والزمانية وكذلك الظروف الدالة على الاتجاه، تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري وهي مثلها

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 87.

[2]-الإحالة في شعر أدونيس،داليا أحمد موسى،دار التكوين و التأليف و الترجمة و النشر،سورية، ط1، 2010م، ص:102.

[3]-آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،محمود أحمد نحلة،مكتبة الآداب،القاهرة،ط1، 2011م، ص:18.

[4]-الاتجاه التداولي و الوظيفي في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار، مؤسسة جورس الدولي، الاسكندرية، ط1، 2013م،ص:90-91.

[5]-اللسانيات الأسلوبية ،عبد الجليل مرتاض،دار هومه،الجزائر،2013م،ص:218.

[6]- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، نعمان بوقرة،، ص: 87.

لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه ويجري تقسيمها في العربية إلى أقسامها المعروفة باعتماد المسافة قربا وبعدا من موقع المتكلم في الزمان والمكان"[2] ويمثلها بصورة عامة ظروف المكان، ويعتمد إستعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم، وقت المتكلم أو على مكان آخر معروف للخطاب أو المخاطب والسامع ولعل أكثر الإشاريات المكانية الواضحة، هي:هذا، ذاك، وظروف المكان: هنا، هناك، تحت.

4- إشاريات الخطاب:

عناصر إشارية لا تحيل إلى ذات المرجع الذي تحيل إليه الإحالات الضميرية، فإذا روى شخص قصة تذكّره بأخرى قال: لكن تلك قصة أخرى"[3].

5- إشاريات اجتماعية Spatial Deixis formal Social Deixis intimacy :Informal

ألفاظ تشير إلى علاقات اجتماعية بين المتكلمين من حيث هي علاقة ألفة أو علاقة رسمية"[4].

ج- الإشارة عند الجاحظ:

إن أهم الجوانب الواجب مراعاتها في التحليل التداولي، وهو الجانب غير اللغوي في التخاطب، لذلك نجد الجاحظ قد نبّه إلى ظاهرة الإشارة وجعلها من بين محددات دلالة النص، و يكاد الجاحظ يحوز السبق في الإشارة إلى المشار و المشار إليه، وقد جعل الإشارة أحد وسائل تحديد الدلالة، وذكر أضرب الإشارة، حيث تكون "باليد و الرأس و الحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب، وبالسيف، وقد يتهدّد رافع السوط والسيف، فيكون ذلك زاجراً، و مانعاً و رادعاً ،و يكون وعيداً و تحذيراً،[5] وهنا نرى أنّ الجاحظ قد جعل الإشارة وسيلة من وسائل البيان التي يستعين بها المتكلم لزيادة الدلالة على معنى قد يقتصر عنه الكلام أو تغني هي عنه من تمام دلالتها أو كمالها في التعبير عما قد يعبر به عنه ،مع قصور محقق أو محتمل "و"لو لا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص و حسن الإشارة باليد و الرأس من تمام البيان باللسان"[6]. ثم أنها تتجاوز حدود البناء

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 87.

[2] - نسيج النص، بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ص: 114.

[3]- المرجع السابق، ص: 87.

[4]- المرجع نفسه، ص: 87.

[5]- البيان و التنين،الجاحظ،..مكتبة الخانجي،الأردن،1998م،ج83/1.

[6]-المرجع نفسه، ج83/1.

النظري لتستوعب أوسع الأشكال اللغوية (مفرد ، جملة ، جمل) وحدات لها إحالة ، فهو عنصر إحالي نصي يعود على مفسر له يمثل مقطعاً من النص.

وهنا نشير إلى أن "الأصوليين يختلفون في كون المبهمات (وهو مصطلح يشير إلى الضمائر وأسماء الإشارة و نحوها) موضوعة وضعاً كلياً أو جزئياً، و يدرس اللسانيون المبهمات في إطار ما يعرف بالتعيين Deixis، و يرون أن دراسة التعيين تندرج في إطار علم التخاطب Pragmatics لأنه المجال الذي يعنى بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق، تمييزاً له عن علم الدلالة الذي يدرس معاني الكلمات و الجمل بمعزل عن السياق"[1].

د- أنواع أسماء الإشارة:

كما سبق وأن أشرنا سابقا أنّ أسماء الإشارة تتنوع إلى ظرفية (هنا- هناك)، وحيادية (هذا)، وانتقائية (هذه- هاتان- هذان-هؤلاء) أو حسب البعد (ذاك- ذلك- تلك) والقرب (هذا- هذه) وتقوم بالربط القبلي والبعدي مثل الضمائر ومن ثم تسهم في اتساق النص وربط أجزائه"[2] وقد أشار الباحثان رقية حسن وهاليداي إلى أن هناك "عدة إمكانيات لتصنيفها: إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا...)، والمكان (هنا، هناك...)، أو حسب الحياد (THE) أو الانتقاء (هذا، هؤلاء)، أو حسب البعد (ذاك، تلك...) والقرب (هذه، هذا....)"[3].

وأسماء الإشارة قريبة من ضمير الغائب، فنجد عددها كثيرا، في كتب النحو والصرف، غير أن أكثرها نادر الوجود"[4]، وهنا نشير إلى أنّ أسماء الإشارة "تقوم بالربط القبلي والبعدي، وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزءا سابقا بجزء لاحق، ومن ثم تساهم في إتّساق النص، فإنّ اسم الإشارة المفرد يتميّز بما يسميه المؤلفان (الإحالة الموّسعة)، أي إمكانية إحالة على جملة بأكملها، أو متتالية من الجمل"[5] نحو قوله تعالى: ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1)** ﴾ (يوسف،01). فاسم الإشارة (تلك) يحيل على جميع آيات القرآن الكريم. فتظهر هنا الإحالة الموسعة لتشمل كل الكتاب (القرآن).

---

[1]- قضايا في اللغة و اللسانيات و تحليل الخطاب،د/محمد محمد يونس علي،ص:59.

[2]- نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، مصطفى النحاس، مكتبة ذات السلاسل، الكويت، 2010م، ص: 71.

[3]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 119.

[4]- التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية سنة 1929 المستشرق الألماني برحشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه، رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1414هـ/1994م، ص: 82.

[5]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 19.

ومثله اسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ **الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)**﴾ (البقرة،1-2). وقد أشار ابن عاشور في (التحرير والتنوير) إلى نوع آخر من الإشارة هو المسمّى لدى (هاليداي ورقية حسن) بالإحالة المقاميّة ، أي أنّ العنصر المحال إليه يكون حاضرا في الخطاب بالقوّة وليس بالفعل أي إلى خارج النص، قال تعالى:﴿ **الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)**﴾ **(البقرة،1-2)** ، وقد فسّر ابن عاشور هذه الإشارة بقوله : " وعلى الأظهر تكون الإشارة إلى القرآن المعروف لديهم يومئذ ، واسم الإشارة مبتدأ والكتاب بدل وخبره ما بعده ..."[1]. إنّ استخلاص ابن عاشور لما يشير إليه (ذلك) معتمد على قرينتين : نحويّة ، وهي اعتبار الكتاب بدلا من اسم الإشارة ، و(الكتاب اسم من أسماء القرآن). وتداوليّة تجسّدها إشارته إلى أنّ المشار إليه" معروف لديهم يومئذ" إذ المشار إليه حاضر في أذهان المخاطبين أي معرفتهم للعالم رغم غيابه في الخطاب تصريحا. وقد تكون أسماء الإشارة: للمذكر: ذا، ذان، وذين، أولاء.وللمؤنث: ذه، وته، وذي، وتي، تان، وتين، أولاء للمكان، هنا، ثم، ثمة... "وتسبق هذه الأسماء عدا ثمة "ها" التنبيه فنقول: هذا، هؤلاء، ها هنا، ..... وتلحقها كاف الخطاب، وهي حرف تتصرف تصرف كاف الضمير قي الإفراد والتثنية، والجمع والتذكير والتأنيث، ..... وتلحقها اللام للدلالة على البعد مثل: هنالك قرب تلك التلة، تلك الهدية لي"[2].

ومن بين القضايا النحوية والصرفية التي تعرّض لها الزمخشري في ذكره لإسم الإشارة هو مسألة عدم التطابق بين المشير والمشار إليه ، وفي هذا الصدد يقول : " فإن قلت : لم قيل" تلك أمانيّهم" وقولهم : " لن يدخل الجنّة ....." أمنية واحدة؟ قلت : أشير هنا إلى الأماني المذكورة ، وهو أمنيتهم ألّا ينزل على المؤمنين خيرا من ربّهم ، وأمنيتهم أن يردّوهم كفارا ، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنّة غيرهم ، أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم" [3]. إنّ الذي جعل طرح السؤال مشروعا هو التباعد بين الآيات التي وردت فيها الأماني التي ذكرها الزمخشري ، فالأمنية الأولى وردت في الآية (105) ، ووردت الثانية في الآية (109) ، بينما وردت الأمنية الأخيرة في الآية (111) ، بينما ورد اسم الإشارة في آية مستقلة بذاتها ﴿ و**قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى ، تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ** ... ﴾ بحيث إذا حصر البحث عن المشار إليه في هذه الآية وحدها حصل عدم التطابق بين الإشارة التي جاءت بصيغة الجمع المؤنّث ، وبين المشار إليه المفرد، لذا لجأ الزمخشري إلى تعداد بقيّة الأمنيات السابقة ، على أنّ الذي وجّه الزمخشري إلى هذا التخريج هو الاسم البدل (أمانيّهم) الذي حدّد اسم الإشارة وجعله جمعا.

ومما سبق فإننا نلاحظ أن أسماء الإشارة تتنوع حسب المقام والجنس والنوع، فمنها ما يستعمل للمذكر فتكون الإحالة إلى المشار إليه مذكرا، أما إذا كانت للمؤنث فتكون الإحالة إلى اسم مؤنث يمثل المشار إليه. ك (تلك). وينطبق ذلك على كل الأسماء الإشارية، دون أن نهمل العدد والقرب والبعد.

---

[1]- **التحرير والتنوير ، 1/ 219.**

[2]- **في علوم اللغة العربية وفنون الضاد، أنور عبد الحميد الموسى، دار النهضة الغربية، بيروت، لبنان، ط1431هـ/2010م، ص: 323.**

[3]- **الكشاف ، 1/ 304.**

ومن الأمثلة البارزة في القرآن الكريم، التي نجد فيها أن اسم الإشارة أحال إلى نص بكامله، أو مجموعة من الآيات والجمل المتتالية في بنية النص القرآني، قوله تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)** ﴾(المؤمنون،1-11) .أين ذكر اسم الإشارة (أولئك) مرتين حيث أحال في الأولى إلى الذين يتبعون غير ما أحله الله تعالى، أما في الثانية فقد أحال إلى الذين آمنوا وجاءت صفاتهم تؤكد هذا الإيمان"[1].

هـ- حركة اسم الإشارة الإتّساقية داخل النص وخارجه وعلاقتها بتعدد المشار إليه:

تعد (أسماء الإشارة) من الوحدات اللغوية التي تتحكم بها قواعد الاستعمال اللغوي التي تفرضها علاقة السابق باللاحق ، وتساهم بهذه العلاقة في خياطة أجزاء النص المتلاحقة، التي يساهم في ربطها إسم الإشارة بجزء كبير، حيث تظهر حركة هذا العنصر اللغوي بفاعلية نحو العناصر المشار إليها. ويعتمد هذا على طبيعة الدور الدلالي التي تقوم به هذه العناصر، وعلى الصور التي يؤديها كل صنف من الوحدات اللغوية في النص ، ونجد أن هذه المسألة تبرز عند الذين اهتموا بدراسة النص، وذلك لدور الربط الذي تحققه هذه الوحدات اللغوية، لأنّها جزء من البنية النصيّة التي تساهم بطريقتها الخاصّة في صناعة روابط نصيّة داخل النص. "فإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخص من التواصل أو غيابها عنه فإن أسماء الإشارة المكانية والزمانية وكذلك الظروف الدالة على الاتجاه، تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري وهي مثلها لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه ويجري تقسيمها في العربية إلى أقسامها المعروفة باعتماد المسافة قرباً وبعداً من موقع المتكلم في الزمان والمكان"[2].

ويكمن الفرق بين الضمير واسم الإشارة في عودتها على العناصر التي تفسّرها، فتلتقي آلية استعمال (اسم الإشارة) باستعمال الضمير من حيث حاجة الأولى إلى عائد يفسرها وعادة ما يكون هذا المفسر مجودا داخل النص إلاّ في الحالات التخاطبية التي تقتضي استعمال الإشارة كمفسر لها مثل ضمائر الخطاب والمتكلم، وأمّا الثانية فإنّها تحتاج إلى مشار إليه يرفع الإبهام عنها:

عنصر مبهم	رافع الإبهام(المفسر)

1- العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، أحمد عزت يونس، ص: 205.
- نسيج النص ، الأزهر الزناد، ص: 118. 2

الضمير ←	العائد والمرجع
اسم الإشارة ←	المشار إليه

"و إنّ هذه الوظيفة هامّة لأنها تعوض سمة لغوية كان من شأنها أن تفصل الإشارات من الأشياء"[1].ويفيد استعمال اسم الإشارة داخل النص بصفة عامة تمييز المشار إليه، الذي تربطه علاقة دلالية مع المشار إليه، حيث يوميء إليه بأي وسيلة من الوسائل التي تجعل العلاقة بينهما قائمة، فينماز من غيره بحضور شخصيته في ذهن المتلقي[2]. ولأسماء الإشارة مهام في النص لا تقل أهمية عن الضمائر التي تعتبر الأكثر حضورا، فمن وظائفها الأصلية "ألا يشار بها إلا إلى مشاهد محسوس، قريب أو بعيد، فإن أشير بها إلى محسوس غير مشاهد، نحو (تلك الجنة) فلتصييره كالمشاهد، وكذلك إن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه ومشاهدته نحو: (ذلكم الله) (مريم، 63) و: (وذلكما مما علمني ربي) (يوسف، 37)"[3]، ولما كانت الإحالة بالضمائر تقتصر على الشخوص أو المواضيع، فإنّ الإحالة بأسماء الإشارة تتسع لتحتوي فضاءً نصياً أكبر؛ لكون المشار إليه يكون أشخاصاً أو ذوات أماكن وزمان كما أنها بشتى أصنافها المتعددة عملية إحالة قبلية؛ بمعنى أنها تربط جزءاً لاحقاً بجزء سابق وهذه هي الوظيفة الأساسية لأسماء الإشارة، ومن ثم تسهم في اتّساق النص، فإنّ أسماء الإشارة المفردة تتميز بما يسمى (الإحالة الموسعة) لإمكانية الإحالة بها إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل[4].ففي قوله تعالى:﴿**وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة،111). فالقول وإن صدر من كلا الفريقين إلاّ أن الفريقين يعادي أحدهما الآخر، ويضلل بعضهم بعضاً فامتنع أن يحكم كل فريق على الآخر بدخول الجنة، إلا أنهما اتفقا في مضمون الفكرة التي جاء اسم الإشارة (تلك)، والذي يشار به إلى البعيد ليكون عاكساً لحجم هذه المقالة وأثرها، فهي لا تتجاوز ببعدها أن تكون "أماني باطلة أمانيهم .. أي ليس ذلك عن تحقيق ولا دليل من كتاب الله ولا من أخبار من الرسول –صلّى الله عليه وسلّم– وإنّما ذلك على سبيل التمني"[5] والضمير المتصل بالفعل (قالوا) يشمل أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وحكاية قولهم بمضمونه يحمل معنى القوة والجزم: (لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً أو نصارى)، أي أنّ دخول الجنة مقصور

---

[1]–الأسلوبية و تحليل الخطاب،د. منذر العياشي ،ص:132.
–ينظر، الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني: 38/1 .2
– شرح الرضي على الكافية: 472/2. 3
– لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطّابي،ص: 19. 4
– تفسير البحر المحيط،1 /350. 5

على اليهود والنصارى والذي لي على ذلك توظيف (إلاّ) التي حصرت دخول الجنة عليهم، وهذه هي أمانيهم التي أشار إليها اسم الإشارة (تلك) وهي إحالة نصيّة موّسعة، أحالت إلى أماني سبق ذكرها في السياق.

إنّ الذي يفهم من النص أن الفريقين اِتّفقا من حيث كونهم قالوا أو حَدَّدُوا من يدخل الجنة، إلا أنّ المعنى الآخر الذي اختلفوا فيه لدلالة (أو) على التقسيم هو؛ أنّ اليهود قالوا لن يدخلها إلاّ من كان يهودياً، في حين قالت النصارى لن يدخلها إلّا من كان نصرانياً "فمن الواضح أن المتعاطفين بـ (أو) في الآية لا يجوز اجتماعهما في حالة واحدة"[1].

جدول يوضح بعض مواقع اسم الإشارة ودلالته في السياق.

التسلسل	الآيــة	رقم الآية
1	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	2
2	﴿بِالَّـذِي هُـوَ خَيْـرٌ اهْبِطُـواْ مِصْـراً فَـإِنَّ لَكُـم مَّـا سَـأَلْتُمْ وَضُـرِبَتْ عَلَـيْهِمُ الذِّلَّـةُ وَالْمَسْـكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَـبٍ اللّهِ ذَلِـكَ بِأَنَّهُـمْ كَـانُواْ يَكْفُـرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُـونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾	61
3	﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	111

و- الدّور الإحالي لإسم الإشارة وأثره في الإتّساق:

تقوم هذه الأدوات باتّساق النصّ عن طريق الإحالة على السابق أو إلى اللاحق في النصّ. وتمتاز هذه الأدوات بإمكانيةً الإحالة على جملة كاملة أو فقرة كاملة، وكما هو موضح في المثال الآتي[2]:

- ذَهَبنا إلى دارِ الأوبرا الليلة الماضية. كانَ خروجُنا هذا الأوَّلَ منذُ شهر.

نلاحظ في هذا المثال أنَّ اسم الإشارة (هذا) قد أحال على جملة كاملة سابقة في النصّ هي (ذهبنا إلى دار الأوبرا)، وأسهم في خلق الخاصّيَّة الاتّساقيَّة للنصّ عن طريق ربط أجزائه. وقد تحيل هذه الأدوات أو بعضها على أكثر من جملة؟ ففي المثال التالي نجد أنَّ اسم الإشارة قد أحال على مجموعة من الجمل[1]:

1- المرجع نفسه، 351/1.

2- See: Halliday, and Hassan; Cohesion in English; p.p. 57-60.

– طلبتُ ديكا روميا، وساقَ حمل، وبعضَ اللحمِ المطبوخِ، ولسانا، وباونين من اللحمِ المثرومِ.

– هلْ أنتَ قادر على حملِ كلّ ذلكَ الطعامِ.

من الجلي هنا أَنَّ اسم الإشارة (ذلك) أحال على مجموعة جمل سابقة المتمثلة في الكلام الأول. ولا يخفى أَنَّ مثل هذه الأدوات لها هذه الخاصّيَّة وهي واحدة في معظم اللغات إن لم تكن جميعها، فخاصّيَّة الإحالة التي تملكها هذه الأدوات تربط أجزاء النصّ وتغني عن تكرار المفردات أو الجمل داخل النصّ، إذا ما علمنا أنَّ مستعملي اللغة يميلون غالبا إلى الإيجاز والابتعاد عن التكرار.

وتقوم أسماء الإشارة بوظيفتها الإحالية من خلال تحديد موضع العنصر الإشاري، وهي مثل الضمائر يمكن أن تحيل على عنصر مفرد أو عناصر متعددة، كما يمكن أن تحيل على خطاب تام، وهذا المحال إليه قد يكون داخل النص أو خارجه، ومن الذين كانوا يهتمون بتحديد المشار إليه في تفسيره للقرآن الكريم الإمام الزمخشري. فقد كان دائما مهتما بتوضيح المشار إليه وتحديده ، من مثل قوله تعالى﴿**ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة : 52) قال: "من بعد ذلك " أي من بعد ارتكابكم الأمر العظيم وهو اتخاذكم العجل" [2]وقد ربط "النحاة الإشارة بالحروف، وهم بذلك قد فطنوا إلى وظيفتها في الاستعمال، فقد تكون بديلا عن مفرد أو جملة، أو نص.و تشترك مع ضمير الغيبة غالبا، لتشكل حكما في قضية"[3] سابقة أو تنقل ما سبق، لينسحب على ما يلحق يقول الله تعالى:﴿**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك**﴾(يوسف،102). وهنا نلاحظ أن اسم الإشارة (ذلك) الذي يشير إلى كل مقاطع أحداث قصة يوسف (عليه السلام) قد ربط بين مجموعة من الأحداث التي ذكرت قبله، لذا فإن أسماء الإشارة لا تستخدم في التكثيف لأنها تشير إلى عدد كبير من الأحداث فتفيد الاختصار والبعد عن التكرار"[4]، كما "تحقق الإشارة التماسك النصي من خلال استدعاء عنصر متقدم أو خطاب بأكمله"[5] على أنّنا نجد رأيا آخر في الإشارة الواردة في هذه الآية فصاحب (التحرير والتنوير) يقول:"جيء باسم الإشارة لربط الكلام اللاحق بالسابق على طريقة العرب في أمثاله ، إذا طال الفصل بين الشيء وما ارتبط به من حكم أو علّة، أو نحوهما، ....والكلام السابق الأظهر أنّه قوله :﴿ **فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾ والمعنى أنّهم استحقّوا العذاب على كتمانهم، بسبب أنّ الله أنزل الكتاب بالحقّ فكتمانهم شيئا من الكتاب

---

[1]–See: Ibid; p.p. 60.

[2]– الكشاف ، 1/ 139.

[3]– ينظر، دراسات لغوية تطبيقية، في العلاقة بين البنية والدلالة، دسعيد حسن بحيري، ص: 127، 129.

[4]– نحو النص، أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، سورة يوسف مثالا، محمود سليمان حسين الهواوشة، دار عماد الدين، عمان، الأردن، 1430هـ/2009م، ص: 115.116.

[5]– الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير، عمّان، الأردن، ط1، 1430هـ/2009م، ص: 175.

كتمان للحق، وذلك فساد، وتغيير لمراد الله".[1] ويفهم من كلامه أنّ الإشارة تمت إلى أقرب شيء إليها وهو التعجّب الذي ختمت به الآية (175) في قوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175) ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾(البقرة 175 – 176. لكنّ الأهمّ هو إشارته الصريحة إلى وظيفة الإشارة من حيث تماسك الخطاب، حتّى إنّ القارئ يفهم من ملاحظته هذه أنّ هذا النوع الذي يفتتح به آية ما مفصولة عن آيات سابقة ترتبط بها، تنحصر مهمّته في ربط كلام بكلام لا غير، ومن ثمّ لا يهتمّ بتعدّد ما يشير إليه (ذلك).

وإذا ما حاولنا معرفة الكيفية التي يمكن أن تؤديها الإحالة الإشارية في اتّساق النص؛ فإنّنا سنذهب لمعرفة هذه الوظيفة الجوهرية الكبرى المتمثلة في العمل على تلاحم أجزاء النص وتماسكه كما في قوله تعالى:﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ (آل عمران،14) ففي قوله تعالى استعمل اسم الإشارة (ذلك) وهي إشارة إلى السابق المتمثل في صور المتاع (حب الشهوات، في النساء، البنين، والذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث.) يقول بن عاشور:" والإشارة بقوله : (ذلك متاع الحياة الدنيا) إلى جميع ما تقدم ذكره . وأفرد كاف الخطاب لأن الخطاب للنبيء – صلى الله عليه وسلم – أو لغير معين، على أن علامة المخاطب الواحد هي الغالب في الاقتران بأسماء الإشارة لإرادة البعد، والبعد هنا بعد مجازي بمعنى الرفعة والنفاسة "[2]. وهي إحالة إشارية ربطت حب الشهوات بسبعة أشياء، وهذا ما يبين دور اسم الإشارة في النص فبالإضافة إلى دوره المعنوي داخل التركيب يؤدي دوره الجوهري في اتساق النص.

لذلك يظهر اسم الإشارة داخل النص عندما يكون في الخطاب ضرورة تستدعي حضوره، ليربط الكلام اللاحق بالسابق كما في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** ﴾.(البقرة، 176) فقد جيء باسم الإشارة (ذلك) لربط الكلام اللاحق بالسابق وهذا ما يعطي اتساقا واضحا للنص مهما كان نوعه.

إنّ الإحالة بأسماء الإشارة تتسع لتحتوي فضاء نصي أكبر، على خلاف الإحالة بالضمائر التي تقتصر على الشخوص أو المواضيع، لكون المشار إليه يكون أشخاصا أو ذوات أماكن، وزمان كما أنّها بشتّى أصنافها المتعددة عملية إحالة قبلية بمعنى أنها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق، ومن ثم تسهم في اتّساق النص.

---

[1]– التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور،ج 2/ 126.

[2] – المرجع نفسه،ج183/3.

لذلك تعد أسماء الإشارة من العناصر اللغوية التي تتحكم بها قواعد الإستعمال السابق واللاحق، ويتأسس هذا المنطق من حيث اقتضاؤها لغيرها سابقا كان أو لاحقا، ويعتمد هذا على اختلاف طبيعة الدور الدلالي وعلى الصور التي يؤديها كل صنف من الوحدات اللغوية في النص.و قد اهتم بهذه المسألة أهل النص، والمفسرون وعلماء القرآن وذلك لدور الربط الذي تحققه هذه الوحدات. وفي قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ (سورة البقرة:157)يظهر الدور الإحالي لاسم الإشارة (**أُولَئِكَ**) في الإحالة إلى الوراء لربط الصلوات والرحمة والهداية بتلك الأوصاف السابقة، يقول الطاهر بن عاشور:"و الإتيان باسم الإشارة في قوله:(أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ) للتنبيه على أنّ المشار إليه هو ذلك الموصوف بجميع الصفات السابقة على اسم الإشارة مترتب على تلك الأوصاف مثل قوله تعالى:"إن الله وملائكته يصلون على النبي".[1]

ز- دور الإتّساق النحوي لأسماء الإشارة في تحديد الدلالة:

تلعب أسماء الإشارة دورا مهما في تحديد الدلالة وتوضيح المعنى، فعند قولنا"(كلّم هذا هذا. هذا يجبه) مع الإشارة إلى رجل وفرس. مع العلم أنّ اسم الإشارة يساوي في دلالته اسم مشار إليه، و المشار إليه في هذا المثال رجل وفرس، والرجل أو (هذا) المشار بها إليه، من الممكن أن يدخل في علاقة الفاعلية أو المفعولية مع الفعل(كلّم)،و أمّا (فرس)، أو (هذا) المشار بها إليه، فلا يدخل في علاقة الفاعلية أو مفعولية مع الفعل (كلّم) إلا على سبيل المجاز لا الحقيقة"[2]. و هنا يقول أن الإتساق الحاصل بين إسم الإشارة (هذا) الذي يومئ إلى علاقة الفاعلية بينه و بين الفعل(كلّم) يساهم في تحديد دلالة الجملة، وأنّ المشار إليه خارج النص (رجل) قد حدد دلالة الجملة وساهم في إزالة الإلتباس الحاصل بين إسمي الإشارة.

وللتوضيح أكثر نستعين بمثال آخر لتبيان الدور الذي تلعبه أسماء الإشارة في تحديد الدلالة، فقولنا(ولدت هذه. هذه)و الإشارة هنا مجملة إلى أم و ابنتها، وقد استخدم في المثال إسما إشارة و هما، بطبيعة الحال مبنيان فليس فيهما علامة إعرابية، و لكن الفاعل فيهما معروف من المفعول به من حيث كانت حال الأمّ المعروفة غير مذكورة و حال البنت كذلك"[3].

واسم الإشارة (هذه) المتكرر بدلالتين مختلفتين قد ارتبط بالفعل بعلاقتين مختلفتين حسب الرتبة والدلالة، إذ تثير(هذه) حسب مقام المشار إليه إلى (الأم) التي تربط بينها وبين الفعل علاقة الفاعلية، وتشير

---

[1]- التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج57/2

[2]- النحو و الدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي،د.محمد حماسة عبد اللطيف،دار الشروق،القاهرة،ط1420،1هـ/2000م ،ص:141.

[3]- المرجع نفسه،ص:141.

(هذه) الثانية إلى علاقة المفعولية فهي المولودة (أي البنت) وليست الوالدة (أي الأم)، وبهذه العلاقات يمكننا فرز دلالات أسماء الإشارة حتى يظهر اتّساق النص و انسجامه أكثر.

ومن الأمثلة التي نجد للنحو فيها دور في تحديد الدلالة، أين يساهم هذا العنصر اللغوي في اتّساق النص، حيث استخدم فيه اسم الإشارة الخاص بالمذكر مع أن المشار إليه مؤنث و المعنى (هذا الشخص) أو هذا المرئي"[1]ويظهر ذلك في سورة البقرة في قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ**﴾ (سورة البقرة:275).لم يؤنث الفعل مع أن الفاعل مؤنث لفظي لأن الوعظ و المواعظة (واحدة) في المعنى"[2].

ح- الدور الإتّساقي لأسماء الإشارة في سورة البقرة:

سورة البقرة من السور الثرية التي تحتوي على كلّ أنواع الربط، بمختلف الوسائل والعناصر اللغوية، وتلعب أسماء الإشارة دورا واضحا في الربط بين الآيات و المقاطع والأجزاء، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)** ﴾ (سورة البقرة:121). ففي هذه الآية الكريمة نجد اسم الإشارة (أولئك) قد تكرر مرتين وحقق اتساقين على التوالي بربطه بين تلاوة الكتاب و الإيمان في الجملة الأولى من جهة، ومن جهة أخرى بين الكفر بالكتاب والخسارة، وبالرغم من أن المعنيين مختلفين، إلا أنهما ورد في سياق واحد وأدّى اسم الإشارة (**أُولَئِكَ**) ربطا معنويا يشعر به المتلقي وأمثلة ذلك كثيرة في النص القرآني، إذ يعتبر سم الإشارة من بين أكثر الأسماء حضورا في عملية إتساق النص. فقد أحال اسم الإشارة (**أُولَئِكَ**) إلى الوراء للربط بين الجمل به يحصل الربط بين الآيات.

كما تبرز الوظيفة الأساسية لأسماء الإشارة في توضيح مدى قرب أو بعد المشار إليه من موقع المتكلم، وفي العربية ثمة مستويان يمكن التميز بينهما بوضوح في استخدام أسماء الإشارة، هما:قريب: ويعبر عنه بـ "هذا"، وفروعه، وبعيد: ويعبر عنه بـ"ذلك"و فروعه و علاوة على ذلك يرى البلاغيون أن هناك مستوى ثالث هو المتوسط الذي يعير عنه بحذف اللام من (ذلك)، فتصبح "ذاك"[3].

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118)** ﴾ (سورة البقرة:118) إذ نجد اسم الإشارة (ذلك) أحال إلى النص الذي قالته اليهود وإلى النص الذي قالته النصارى،ويقول الطاهر بن عاشور"﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ**

---

[1]- المرجع نفسه،ص:155.

[2]-ينظر،الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام و المنثور،عز الدين ابن الأثير،تحقيق:د/عبد الحميد الهنداوي،ص:239.

[3]- قضايا في اللغة و اللسانيات و تحليل الخطاب،د/محمد محمد يونس علي،ص:73.

بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118) ﴾ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) الْمَعْطُوفِ عَلَى قَوْلِهِ(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى) لِمُنَاسَبَةِ اشْتِرَاكِ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي الْأَقْوَالِ وَالْعَقَائِدِ الضَّالَّةِ إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ قَوْلَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْآيَةِ الْمَاضِيَةِ وَهِيَ (وَقَالَتِ الْيَهُودُ) لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ ابْتَدَءُوا بِذَلِكَ أَيَّامَ مُجَادَلَتِهِمْ فِي تَفَاضُلِ أَدْيَانِهِمْ وَيَوْمَئِذٍ لَمْ يَكُنْ لِلْمُشْرِكِينَ مَا يُوجِبُ الِاشْتِغَالَ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ الْإِسْلَامُ فَقَالُوا مِثْلَ قَوْلِ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَجَمَعَ الْكُلَّ فِي وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فَرِيقٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ فِيهِ مُقْتَبَسًا مِنَ الْآخَرِ بَلْ جَمِيعُهُ نَاشِئٌ مِنَ الْغُلُوِّ فِي تَقْدِيسِ الْمَوْجُودَاتِ الْفَاضِلَةِ وَمَنْشَؤُهُ سُوءُ الْفَهْمِ فِي الْعَقِيدَةِ سَوَاءٌ كَانَتْ مَأْخُوذَةً مِنْ كِتَابٍ كَمَا تَقَدَّمَ فِي مَنْشَأِ قَوْلِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا أَمْ مَأْخُوذَةً مِنْ أَقْوَالِ قَادَتِهِمْ كَمَا قَالَتِ الْعَرَبُ : الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ . وَقَدَّمَ قَوْلَ الْمُشْرِكِينَ هُنَا لِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ أَعْلَقُ بِالْمُشْرِكِينَ إِذْ هُوَ جَدِيدٌ فِيهِمْ وَفَاشٍ بَيْنَهُمْ . فَلَمَّا كَانُوا مُخْتَرِعِي هَذَا الْقَوْلِ نُسِبَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ نُظِرَ بِهِمُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى . إِذْ قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ لِرُسُلِهِمْ"[1].

وقد يعود اسم الإشارة إلى أكثر من فكرة سابقة ،كما ترجع إلى جمل أو فقرات. وهذا كثير في النص القرآني كما اتضح في قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11)** ﴾ (سورة النحل:10-11)، إذ أننا نلاحظ أن اسم الإشارة (ذلك) أشار إلى جملة النعم التي ذكرت قبله وقد أحال إليها بمفرده دالاً عليها دون نقصان في المعنى ، ومن خلال وجود اسم الإشارة (ذلك) الذي لا يمكن فهمه وتحديد دلالته إلاّ برجوع إلى ما سبق ذكره وهي (النعم-ماء-شراب-شجر-الزرع-الزيتون-النخيل - الأعناب-كل الثمرات)، حيث حصل الإتّساق بين هذه الكلمات (النعم) باسم الإشارة (ذلك)الذي تجمعت فيه دلالتها وتوحّدت ليظهر الاتّساق مختصراً في لفظة واحدة، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإنّ اسم الإشارة (ذلك) أحال ذهن المتلقي إلى ألفاظ وكلمات سبق ذكرها ليربط بينه وبينها، أو بين المحال والمحال إليه، حتى يتضح الاتساق ويبرز التماسك النصّي بين هذه العناصر.

1- إحالة اسم الإشارة في سورة البقرة للمتقين:

في بداية سورة البقرة وفي حديثها عن المتقين استعمل المولى عزوجل إسم الإشارة (أولئك) في الآية الخامسة: ﴿ **الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(5)** ﴾ (البقرة:1-5).إذ يحيل إسم الإشارة (أولئك) الذي ورد بصيغة الجمع مكررا إلى لفظ (المتقين) وهي إحالة إلى سابق تم ذكره لربط ذهن المتكلم بالمعنى الذي تلتقي فيه

[1] – التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج1/688-689.

أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضمائر، وهو ما نعتبره يشكل موردا لإنطلاق عملية الإحالة بواسطة هذه العناصر اللغوية من بداية النص (السورة)، ما يعني أن هذا الكلام الموجود في هذا النص القرآني (سورة البقرة) هو كلام متسق بشتى أنواع عمليات الترابط، أمّا عن علاقة إسم الإشارة (أولئك) ما سبقه في قوله: ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة البقرة:05) وهو إشارة أحالت إلى المتقين المذكورين في قوله: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (البقرة:02)، وبعد أن ذكرت صفاتهم متتابعة جاء اسم الإشارة (أولئك) فدل على هدايتهم وفلاحهم وهذا هو جزاؤهم، ليعلن عن نهاية الحديث عنهم وبداية الحديث عن الكفار والمنافقين وتكرار اسم الإشارة في هذه الآية هو تكرار وتنوع في الجزء الذي خص به المتقون (الهداية-الفلاح). يقول أبو مسعود وعن أناس من أصحاب الرسول -صلى الله عليه و سلم-: أما (الذين يؤمنون بالغيب) فهم المؤمنون من العرب، (والذين يؤمنون بما أنزل من قبلك) هم المؤمنون من أهل الكتاب، ثم جمع الفريقين فقال:﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾،و قد تقدم من الترجيح أن ذلك صفة للمؤمنين عامّة و الإشارة عائدة عليهم"[1] و الله أعلم.

ونلاحظ طريقة الربط التي نجدها منذ البداية بهذا العنصر اللغوي، في قوله تعالى مع مطلع السورة: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ فقد أعقب الآية الثانية من سورة البقرة التي ذكر فيها اسم الإشارة (ذلك)باسم إشارة آخر وهو (**أُولَئِكَ**) المذكور في الآية الخامسة من سورة البقرة حيث "أشار إليهم باسم الإشارة الموضوع للبعيد إشعاراً بارتفاع منزلتهم فوق الناس. وفي اسم الإشارة الذي هو (**أُولَئِكَ**) إيذان بأن ما يرد عقبيه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم"[2].فقد ذكر سبحانه أوصاف المؤمنين من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق، والإيمان بما أنزل، والإيمان بالآخرة، ثم أُشير إليهم (**أُولَئِكَ**) "للتنبيه على أن المشار إليهم"[3] أحقاء من أجل تلك الأوصاف بما يذكر بعد اسم الإشارة من الهدى و الفلاح.

وبهذا تظهر وظيفة إسم الإشارة(أولئك) المتكرر في بداية سورة البقرة، وهي وظيفة إحالية إلى عناصر لغوية سبق ذكرها وكأنّ السياق اللغوي يسوق المتلقي دائما إلى العودة إلى الوراء تذكيرا له في كل جديد يتقدم لقراءته، وهنا يظهر الربط بين آيات السورة في المقطع الواحد لتشكيل جزء من البناء الكلي لسورة البقرة، وهذا يظهر الأثر الإحالي لأسماء الإشارة في تشكيلة النص الكلية.

---

[1]– تفسير ابن كثير،دار الإمام مالك،ج84/1.

[2]–البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري،محمد محمد أبو موسى. ص:312.

[3]–الإيضاح في علوم البلاغة ،جلال الدين أبو عبد الله القزويني، مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح و أولاده،تحقيق محمد عبد القادر، 1402هـ/1982م، 70/1.

وهذا الثراء الترابطي الموجود في هذا الجزء من السورة نعتبره ثراءا وتنوّعا إحاليا محبوكا حبكا جميلا، يعطي قوّة للإتّساق ويعزز التماسك النصي، ولذا فإنّ أسماء الإشارة تقف في آخر هذا الجزء و كأنها تذكر بأنّ هذا القول قيل في المتقين، وهي في نفس الوقت تحضّر للإنتقال إلى خطاب الكفار الذي ورد بعد هذه الآية،وهو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)**﴾ (سورة البقرة:06).يقول الشيخ العثيمين،"قوله تعالى:(أولئك) المشار إليه ما تقدم ممن اِتصفوا بالصفات الخمس، وأشار إليهم بصيغة البعد لعلّو مرتبتهم؛ وقوله تعالى: (وأولئك هم المفلحون) الجملة مبتدأ وخبر، بينهما ضمير الفصل الدال على التوكيد والحصر، وأعيد اسم الإشارة تأكيدا لما يفيده اسم الإشارة الأول من علوّ المرتبة، والعناية التامة بهم كأنهم حضروا بين يدي المتكلم؛ وفيه الفصل بين الغاية، والوسيلة:الفلاح؛ ووسيلته:ما سبق؛ و(الفلاح) هو الفوز بالمطلوب. والنجاة من المرهوب؛ فهي كلمة جامعة لإنتقاء جميع الشرور، وحصول جميع الخير".[1]

وهنا يحصل الإتساق مرة ثانية عن طريق عملية التكرار التي عرفها اسم الإشارة أين أحال اسم الإشارة الثاني إلى اسم الإشارة الأول فحصل الإتساق الثاني، ولما كان اسم الإشارة الأول في قوله: (أولئك على هدى من ربهم) أحال إلى المتقين الذين سبق ذكرهم في قوله: (فيه هدى للمتقين) كان الإتساق الأول، فجُرَ اسم الإشارة المتأخر في قوله: (و أولئك هم المفلحون) إلى حيث استقر اسم الإشارة الأوّل في قوله: (أولئك على هدى من ربهم،وهو لفظة (المتقين). وقد أشار بأولائك"للتنبيه بعد ذكر المشار إليه بأوصاف قبله على أنه جديد بما يرد بعده من أجلها"[2]، ومن هنا فإنّ الإتساق الحاصل في هذه الآية كان على مرتين، حتى استقرّ كلاهما عند (المتقين). وهذا نوع من الربط يسهم بشكل كبير إلى جانب الضمائر والأسماء الموصولة في إتساق النص القرآني.وعلى هذا يكون الإتصال بإسم الإشارة بما سبقه قد وصف المتقين بصفات المدح. فصلت جهات التقوى، ثم أشار إليهم وأعلم بأن من حاز هذه الأوصاف الشريفة هو على هدى، وهو المفلح...فجعلهم في الدنيا على هدى، وفي الآخرة هم المفلحون"[3].

2- إحالة إسم الإشارة في سورة البقرة للمنافقين:

ومن الألفاظ الإشارية التي تحيل إلى المنافقين، اسم الإشارة(أولئك)، ويظهر في قوله تعالى:﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ (البقرة:16) فقوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ

---

[1]- تفسير القرآن الكريم،الفاتحة،البقرة،محمد بن صالح العثيمين،دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع،الرياض،المملكة العربية السعودية،ط1، صفر1423هـ، مج32/1.

[2]-الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج188/2.

[3]- تفسير البحر المحيط،لأبي حيان الأندلسي الغرناطي،ج67/1.

اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾؛ (أولاء) اسم إشارة؛ و المشار إليهم المنافقون؛وجاءت الإشارة بصيغة البعد لبعد منزلة المنافق سفولا"[1].

"ومن ألطف مواقع اسم الإشارة في آيات الذكر الحكيم أن يذكر بعد عدّة صفات للمشار إليه فيدل على المشار إليه قد إستحق الجزاء المذكور بعد، من أجل تلك الصفات المتقدمة"[2]؛ وذلك ما يظهر في قوله: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ (سورة البقرة:16)،فقد جاء اسم الإشارة (أولئك) محيلا إلى ما سبق ذكره وهي صفات المنافقين، فربط أعمالهم وصفاتهم بنتيجة سلوكاتهم وتصرفاتهم تلك (شراء الضلالة، وترك الهدى، وخسارتهم في هذه التجارة)؛ فأشار بـ(أولئك) وهو اسم إشارة يستعمل للإشارة إلى الأشخاص ومكانهم من حيث القرب والبعد، فناسب ذلك من حيث أنهم مجموعة من منافقي المدينة وليس منافقا واحدا، وبعدهم عن الهداية (وما كانوا مهتدين). ويظهر الإتساق بإسم الإشارة (أولئك) بعد أن ذكرت أوصافهم وتعددت في الآيات (15-14-13-12-11-10-09-08).

وتجمعها في المنافقين لتشكل أخلاق و سلوكات كل منافق من المنافقين، إذ أصبح النمط الذي يميز كل شخص من هذه الفئة ينطبق على الشخص الآخر، فتوحدت هذه الصفات وأصبحت هي طابعهم العام، وسلوكهم المنحرف الذي يتميز عن سلوك المؤمنين، وسلوك الكفار. فلا هم كانوا مع المؤمنين، ولا هم كانوا مع الكافرين،ونظرا لبعدهم عن هؤلاء وهؤلاء أشير إليهم بـ(أولئك)، فكان نتيجة ذلك كلّه هو خسارتهم في تجارتهم تلك. وهذا هو جزاء المستحق، وهذا هو وجه الإتساق بين الجزاء وتلك الصفات.

وقد ربط اسم الإشارة (أولئك) في المثالين السابقين بين عدّة آيات على مرحلتين متتابعتين، مثلت المرحلة الأولى الحديث عن المتقين ،﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة البقرة:05)، "ولما أخبر عنهم بخبرين مختلفين كرر أولئك ليقع كل خبر منهما في جملة مستقلة وهو أكد في المدح...وهذان الخبران هما نتيجتا الأوصاف السابقة إذ كانت الأوصاف منها ما هو متعلقه أمر الدنيا، ومنها ما متعلقه أمر الآخرة، فأخبر عنهم بالتمكن من الهدى في الدنيا وبالفوز في الآخرة"[3]، ثم المرحلة الثانية وهي الحديث عن المنافقين،﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ (سورة البقرة:16) حيث لا يشعر القارئ بهذا التنوع في المواضيع و اختلاف في النسيج اللغوي للنص، إذ أنّه يكتشف هذه العلاقات بعد تلقي النص والمضي بالقراءة نحو الأمام، لأن هناك وحدة لغوية نصية وموضوعية إندمجت فيها هذه

---

[1]– تفسير القرآن الكريم،الفاتحة،البقرة،محمد بن صالح العثيمين،ص:60.

[2]– من بلاغة النظم القرآني،د.بيسوني عبد القتاح فيود،ص:38–39.

[3]– تفسير البحر المحيط،أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي،حقق أصوله و علق عليه وخرج أحاديثه،د/عبد الرزاق المهيري،دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان، (د ط)،(د ت)،ج67/1.

المواضيع ويحكمها نسيج لغوي واحد، ساهمت في علاقة إتساقه و وحدته أسماء الإشارة هذه، وهنا تظهر الوظيفة الواسعة لأسماء الإشارة وأثرها الوظيفي في أداء المعاني. وقد استقرى الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور بجهده الخاص عادات كثيرة في اصطلاح القرآن،منها "أن كلمة هؤلاء إذا لم يرِدْ بعدها عطف بيان يبيّن المشار إليهم فإنها يُراد بها المشركون من أهل مكة كقوله تعالى: ﴿**بل متعت هؤلاء و آباءهم**﴾. وقوله: ﴿**فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين**﴾"[1]. ويعتمد اسم الإشارة في ربط المشار إليه بعنصر آخر من عناصر الجملة، أو الجمل السابقة في النص نفسه مثل قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)** ﴾ (سورة البقرة:27).

ط- دور التنوع الإحالي بأسماء الإشارة في سورة البقرة:

تلعب ضمائر الإشارة في النص القرآني دورا لا يقل أهمية عن غيرها من العناصر الإحالية إذ تحل في الرتبة الثانية بعد ضمائر الفصل والإتصال من حيث مساهمتها في إتساق النص،حيث تعمل على مدّ جسور الإتصال بين الأجزاء المتباعدة في فضاء النص القرآني.وهي تكثر في النص القرآني كلما دعت الضرورة إلى تحديد حضور المشار إليه لخلق الربط داخل النص، إذ تظهر في العبارات والآيات محيلة إلى المشار إليه لصناعة الربط هذه الإحالات التي سيقت بضمائر الإشارة .ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾ (البقرة:02)"قيل ذلك الكتاب،أي هذا الكتاب، وقيل إشارة إلى ما تقدم إنزاله من الخطاب، وقيل ذلك الكتاب الذي وعدتك إنزاله عليك يوم الميثاق"[2].وذلك بمعنى"هذا وإنما عدل عن لفظ هذا إلى ذلك لما تفيده الإشارة بلام البعد من علوّ المنزلة والارتفاع القدر والشأن"[3]. وجاء اسم الإشارة(ذلك) في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)**﴾ (سورة البقرة:2-5)."التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد(ذلك) مؤذنا ببعد درجته"[4]، ومدلول الإشارة إلى جميع القرآن ما نزل منه، وما سينزل"لأن نزوله مرتقب فهو حاضر في العيان، فالتعريف فيه للعهد التقديري، والإشارة إليه للحضور التقديري فيكون قوله (الكتاب)حينئذ بدلاً وبياناً من ذلك "[5]، لذلك استخدم القرآن اسم الإشارة

---

[1]- تفسير و التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج125/1..

[2]-لطائف الإشارات،تفسير صوفي كامل للقرآن،للإمام القشيري،تحقيق و تعليق:د.إبراهيم بسيوني،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط3 2000م، مج55/1.

[3]-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،أبي بكر جابر الجزائري،راسم للدعاية و الإعلان،المملكة العربية السعودية،ط3، 1410هـ/1990م،مج1/ 19.

[4]- تفسير أبي سعود،23/1.

[5]-تفسير ، التحرير و التنوير،219/1.

للبعيد كناية عن الإجلال والرفعة ولم يقل سبحانه هذا الكتاب: وتعريف الكتاب بالألف واللاّم تفخيم له، ولعلو شأنه"[1]. وفي تفسير أبي السعود"(ذلك) ذا اسم إشارة والكلام كناية عما جيء به للدلالة على بعد المشار إليه، والكاف للخطاب،والمشار إليه هو المسمى، فإنه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري،وما فيه من معنى البعد،مع قرب العهد بالمشار إليه، للإيذان يعلو شأنه"[2]. "فالمشار إليه هو المسمى بالإسم المذكور من حيث هو مسمى به، لا من حيث هو مسمى بالسورة"[3]."وقد أفاد اسم الإشارة تميز القرآن و فرقه و إفراده عن غيره من الكتب التي ينتفي أن يدخلها الريب والإفتراء، وفي هذا توكيد لصدق ما جاء به الرسول"[4]. فإذا"سلمنا أن المشار إليه حاضر، لكن لا نسلم أن لفظة "ذلك" لا يشار بها إلا إلى البعيد، بيانه أن ذلك، وهذا حرفا إشارة، وأصلهما"ذا"، لأنه حرف للإشارة، قال تعالى:(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا)و معنى (ها)تنبيه، فإذا قرب الشيء أشير إليه فقيل:هذا،أي تنبيه أيها المخاطب لما استوت إليه فإنه حاضر لك بحيث تراه، وقد تدخل الكاف على "ذا" للمخاطبة و اللام لتأكيد معنى الإشارة فقيل "ذلك" فكأن المتكلم بالغ في التنبيه لتأخر المشار إليه عنه، فهذا يدل على أن لفظة ذلك لا تفيد البعد في أصل الوضع، بل اختفى في العرف بالإشارة إلى البعيد للقرينة التي ذكرناها"[5].وفي تفسير ابن كثير: ذلك الكتاب بأن قال:"قال ابن جريح:قال ابن عباس(ذلك الكتاب) أي :هذا الكتاب....أنّ ذلك بمعنى هذا و العرب تقارض بين اسمي الإشارة فيستعملون كلاً منهما مكان الآخر "[6].

ومن الإحالات بإسم الإشارة (ذلك) ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ...**اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)** ﴾ (البقرة 61). فقد أحال اسم الإشارة (ذلك) إلى النص الذي سبقه وهي إحالة قبلية ساهمت في ربط السابق اللاّحق. وقوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)** ﴾ (البقرة25)."وقولهم (هذا) إشارة إلى الجنس

---

[1]– آيات الهدى في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية، فوزية يحي سعيد النجيمي عسيري، جامعة الملك خالد،1432هـ/2011م، ص:180.

[2]– تفسير أبي السعود ، ج1/40–39.

[3]– المرجع نفسه،ج1/40.

[4]– أسماء الإشارة في القرآن الكريم،دراسة تأويلية ،(أطروحة دكتوراه عمر محمد عوني النعيمي،إشراف:أ/د.عبد الوهاب محمد علي العدواني،جامعة الموصل،العراق،1424هـ/2003م،ص:54.و ينظر،تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج1/82.

[5]– تفسير الفخر الرازي،المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب،للإمام محمد الرازي،فخر الدين، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 1401هـ/1981م، ج2/15.

[6]–تفسير ابن كثير،دار الإمام مالك،ج1/75.

أي:هذا من الجنس الذي رزقنا منه من قبل، والكلام يحتمل أن يكون تعجبا وهو قول ابن عباس، ويحتمل أن يكون خبرا من بعضهم لبعض، قاله جماعة من المفسرين"[1].

وقد كشفت الدراسات القرآنية التي يتبع أصحابها المنهج الإحصائي؛ أن (ذلك) من أكثر أنواع أسماء الإشارة ورودا في القرآن الكريم، و لعّل سبب كثرة هذا الاسم (ذلك) يعود إلى "كون القرآن الكريم قد يعني خطاب جماعة بكاف خطاب المفرد، وهذه ظاهرة كثيراً ما ترد في جميع أنواع خطاباته، ومنها الخطاب باسم الإشارة (ذلك)؛ لأنّه (تعالى) عندما يصف ظاهرة أو يعطي حكما يجعله شاملاً لجميع البشر من جهة وروده لكاف الخطاب، للإشارة إلى المفرد والمثنى والجميع والزمان، والمكان وهذا من خصائص هذا الاسم دون غيره من أسماء الإشارة الأخرى "[2].

وتلعب الدلالة دورا كبيرا في توظيف أسماء الإشارة وتخيّرها، حيث تساهم بذلك في تحديد المعاني المراد بلوغها في النص القرآني، وفي اختيار الألفاظ المناسبة لتأديتها، وعلى سبيل المثال فقد جاء اسم الإشارة (هذا) في قوله يحيل إلى خارج النص كون السياق مقامي.قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا** ﴾ (البقرة:126).وما هو معلوم عند النحاة أن كلمة " بَلَدًا "جاءت مفعولا به لفعل(اجْعَلْ) وهي المشار إليه، وقد فسّر أغلب المفسرين كلمة (بَلَدًا)، بأن المراد منها "مكة المكرمة".لكن، وحسب المقام والموقف هو قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– وابتلاءه في مكة المكرمة، فالمقام هو أحوال إبراهيم –عليه السلام– التي حكاها الله سبحانه وتعالى، وفي الآية الكريمة دعا سيدنا إبراهيم –عليه السلام– للمؤمنين من سكان مكة بالأمن و التوسعة لأنها كانت في ذلك الوقت بلدا غير ذي زرع و لا غرس.فاسم الإشارة المراد منه الموضع القائم به سيدنا إبراهيم – عليه السلام– حين دعائه. وهو المكان الذي كان فيه امرأته و ابنه، وعزم على بناء الكعبة و الذي بني فيه الكعبة إذ كان الدعاء بعد البناء"[3]. وهذا النوع من الإحالة هو إحالة مقامية خارج النص، ساهمت في ربط النص بسياقه.قال ابن عاشور:"وتلك عادة القرآن في الإعراض عما لا تعلق به. المقصود ألا ترى أنه لما جعل البلد مفعولا ثانيا استغنى عن بيان اسم الإشارة. وفي سورة إبراهيم قوله عز وّ جل: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35)** ﴾(إبراهيم،35) لما جعل(آمنا) مفعولا ثانيا بيّن اسم الإشارة بالبلد. نحصل من الآيتين أنّ إبراهيم –عليه السلام– دعا لبلد أن يكون أمنا"[4].

---

[1]– المحرر الوجيز،لإبن عطية الأندلسي،ج**109/1**.

[2]– أسماء الإشارة في القرآن الكريم،دراسة تأويلية ،(أطروحة دكتوراه) عمر محمد عوني النعيمي،ص:**73**.

– نظم الدرر،**155/2**،التحرير و التنوير،**714/1**.[3]

– ينظر،التحرير و التنوير،**714/1**.[4]

ومن النماذج الدالة-أيضا- على علاقة الإحالة بضمير الإشارة قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا** ﴾ (سورة البقرة:187). فقوله تعالى:(تلك) ضمير إشارة جاء محيلا إلى ما أحله الله تعالى، وهي إحالة إلى نص برمّته، ساهمت في إتّساق النص وربطه.

ومن المعاني التي استعمل فيها اسم الإشارة (ذلك) التشريف و كمال التمييز، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)** ﴾ (سورة البقرة:143).حيث جاء المسند إليه معرفًا باسم الإشارة في قوله:(و كذلك جعلناكم)"للتشريف، والإيذان بعلو درجة المشار إليه و بعد منزلته و كمال تمييزه"[1].

ك- المرجعية و المعنى و الإشارة:

لقد نبّه (ريكور) إلى الخلط الذي يقع بين المعنى والمرجعية وبين المرجعية والإشارة، حيث قال:"يميل المعنى المثالي، لما نقول في الكلام الحي، نحو المرجع الواقعي أي إلى ما نتكلم عنه، وإن هذه المرجعية الواقعية تميل إلى الإختلاط مع الإشارة الظاهرة، حيث يتّصل الكلام بإشارة الإظهار ويقوم بفعل المشاهدة فالمعنى يتحرك في المرجع والمرجع يتحرك في الإشارة"[2]. و"يحدد (ريكور) الوظيفية المرجعية بقوله:"عندما يتجه المتكلم بخطابه إلى متكلم آخر، فإنّه يقول شيئاً حول شيء ما" وإنّ الشيء الذي يتكلم عنه إنّما هو الخطاب، وكما تعلم فإنّ الجملة تحتمل هذه الوظيفة لأنها الوحدة الأولى في الخطاب، والأكثر بساطة"وإنّ أكثر ما تكون هذه الوظيفة وضوحاً داخل الخطاب التقريري، ذلك لأنّ "من أهداف الجملة أن تقول شيئا حقيقياً، أو شيئاً واقعياً"[3]."ويعيد الأسلوبيون أصل المرجعية إلى عالم الأشياء في العالم الواقعي. وما اللغة إلاّ رمز من الرموز المستعملة للدلالة على تلك الأشياء في عالم الواقع، وعندما يكون هناك خطاب فهذا يعني أن هناك علاقة بين العناصر التقليدية لعملية الاتصال أو التواصل وهي:المرسل، المرسل إليه، والرسالة بالإضافة إلى موقف ومقام. هنا تعود بنا المرجعية إلى عالم الواقع الذي يحيط بالمتخاطبين وحول لحظة المتخاطبين. والمتأمل في اللغات "يجد أنها تملك أدوات تربط بها بين

---

[1]-تفسير أبي سعود،278/1.

[2]- الأسلوبية و تحليل الخطاب،د/منذر العياشي،مركز الأنماء الحضاري،ص:133.

[3]-المرجع نفسه، ص:132.

الخطاب ظرفاً زمنياً ومكانياً، ولا أدّل على هذا من وجود "أسماء الإشارة وظروف الزمان والمكان والضمائر الشخصية، وأزمنة الأفعال" وهذه كلها،كما يقول (ريكور) تقوم "بإرساء الخطاب في الواقع الظرفي الذي يحيط بحالية الخطاب"[1].

ل- أثر أسماء الإشارة في إتّساق النص:

ويسهم القارئ بمشاركة أسماء الإشارة في الكشف عن مواطن الترابط التي يظهر فيها اسم الإشارة، كوسيلة تربط بين تشكيلات النص. خاصة إذا ما تعلق الأمر بتحديد مرجعية هذه الأسماء، التي تساهم بحضورها في تكثيف عناصر الربط والاتساق داخل النص، وتدعم تنوع التبادل الإحالي بين الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة. وهذا يزيد من اتساق النص وصلابة تراكيبه، وتغطية إحالية إضافية تهيمن على النص كبنية كبرى.

ومن بين الآثار التي نضيفها إلى ما سبق ذكره، أنّ اسم الإشارة يعد اختصارا للكلام واختزالا له، إذ يتجلى أثره في استرجاع هذا المختزل (المسكوت عنه) في النص وإعادة إدماجه ذهنيا في موضعه داخل النص، ومواصلة المضي في القراءة، لتقفي مواضع أخرى كان لاسم الإشارة حضورا فيها. وهنا يظهر دور هذه العملية الذهنية، وأثرها في بناء نص متسق بنيويا ومنسجم معنويا، وكأنها عملية ثانية موازية تتكرر فيها المعاني بحضورها الذكري والكلي دون غياب لأيٍّ منها.

وبحق؛ فإنّ القارئ والمتلقي للنص أو الخطاب، هو الذي يكشف عن مواضع حضور وغياب العناصر اللغوية، سيما أسماء الإشارة التي تفرض منطقها عليه، وتوكل للقارئ عملية البحث عن مرجعيتها التي تفسرها وتحدد معناها، ويمكننا أن نسمي هذا تآزر بين القارئ واللغة في تكوين الإتِّساق العام للنص. فحيثما تنوعت وسائل الإحالة، تنوع الإتَّساق واشتدّ وثاق النص، وأخذت المعاني بأعناق بعضها البعض، عندئذ تظهر أحزمة النص متشعبة بين صدارة النص (مقدمته) ومتنه فمؤخرته، متضامنة فيما بينها، بحيث تتفاعل كل أنواع الإحالة، وعناصرها على اختلاف أنواعها بما فيها أسماء الإشارة، التي تلعب دورين بارزين وهما: تكثيف البنية النصية وامتلاؤها بالمعاني، مع اختصاره عن طريق الإقتصاد في توظيف اللغة والابتعاد عن التكرار والحشو الذي لا فائدة منه.

---

[1]-ينظر:المرجع نفسه، ص:133.

م- تضافر (collaboration) العناصر الإشارية و العناصر الإحالية في تماسك النص:

كان اهتمام العرب ينكب على معرفة الروابط بين أجزاء الجملة، وطريقة الربط بين مجموعة من الجمل ثم استمرت الدراسات اللغوية في التطور إلى أن وصل البحث اللغوي إلى معرفة دلالة الكلمات وتعانق معانيها في التراكيب والجمل، ومعرفة سياق ومعاني الجملة وعلاقاتها بالجمل الأخرى إلى أن يتم الكشف عن تلك العلاقات الإتساقية الجامعة بين الجمل على مستوى النص.

وحظي الإهتمام بالعلاقات اللغوية في النص عند العلماء العرب عناية كبيرة، وكانت دراساتهم تتنوع بين الربط بين أجزاء الجملة من جهة، والربط بين عدّة جمل من جهة أخرى، واختلفت دراساتهم في هذا الجانب بين عدة تخصصات[1]. وكان من بين ما تطرقوا إليه هو توظيف عناصر الربط والإحالة، وتناولوها من جانب الفصل والوصل، لاسيما الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، بالإضافة إلى عناصر ربط معجمية لغوية ودلالية تساهم هي الأخرى بوجه مخالف في عملية الإتّساق، إذ تقوم أسماء الإشارة بوظيفة الربط، بطرق شديدة الإختلاف والتباين، فاستعمال this (هذا) و that (ذلك) يساعد القارئ كثيرا في إدراك الصلة بين المشار إليه بالجملة، وما كان قد سلف الحديث عنه في جمل سوابق"[2] وهي لا تقل أثرا عن بقية العناصر الإحالية الأخرى.

وبظهور نحو النص سعى علماء اللغة وعلماء النص إلى تطبيق هذا المنهج على النصوص للكشف عن النتائج اللغوية والنصية المحققة لمظهر النص العام،"كون النص يتألف من عدد من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الإنسجام والتماسك بين تلك العناصر، ويضاف إلى تلك العلاقات الداخلية علاقات أخرى بين النص ومحيطه المباشر وغير المباشر، ويؤدي الفصل بين هذه العناصر الداخلية، أو إسقاط أي منها، أو إغفال أيّة علاقة سواء أكانت داخلية أو خارجية إلى العجز عن إثبات الوحدة الكلية أو التماسك والإنسجام الدلاليين للنص"[3].ولأنّه "لا يمكن اعتبار المعلومات الخاصة بالزمان والمكان مؤشرات بسيطة غير ذات بيّنة للفهم في السياق،كما لا يمكن اعتبار المعلومات الأخرى المرتبطة بالسياق الإشاري وهي المتكلم والسامع والشيء المشار إليه، مؤشرات بسيطة غير ذات بيّنة تتطلب تحديدا حسب نظام متعارف عليه "[4]. فكل هذه العناصر السياقية المقامية واللغوية تتضافر في صناعة البنية اللغوية في النص. وللسياق الذي

---

[1]- ينظر،دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة،د.سعيد حسن بحيري،ص:93.

[2]- Cohesion in Spoken and written English Ruqaia hassan.Gramatical.london.1st ed.1968.p52.

[3]- ينظر،علم لغة النص،سعيد حسن بحيري،ص:99-116.

[4]- تحليل الخطاب، ج،بروان، ج.يوول،ص:65.

توظف فيه العناصر الإشارية نصيب في تحديد المعنى لأن"أدوات الإشارة قد تحتفظ بمركز إشاري متعارف عليه، ولكنها يجب أن تفهم على ضوء مضمون القول الذي استعملت فيه"[1].

وإذا ما اعتبرنا أن النص هو عبارة عن أنظمة لغوية بنيوية، تتكافل كلها في خلق هذا المنتج المركب والمعقد، فإن هذه الأبنية المنظمة تتضافر كلها بطرق مختلفة في الربط بين أجزائه وأفكاره،"فالبنية النصية نظام من البنى، كل بنية لها قواعدها الخاصة بها، تقيم بها وجها من وجوه النص، هو تركيبي وهو زماني، وهو إحالي، وتتوفر في مستويين: أحدهما داخل الجملة وآخر داخل النص، وهي تجتمع في المبدأ الذي تقوم عليه كل واحدة منها، وهو (العمل) أو(التحكم)"[2].

ونحن نقصد بالتضافر ذلك التعانق المتقاطع للدلالات والمتبادل للعلاقات الترابطية بين الكلمات والجمل، ويسهم في هذا التضافر كل العناصر الإحالية والتركيبة والزمانية والإشارية والمعجمية، إذ تخلق نوعا من التعايش بين مكونات النص الإحالية لتشكيل البنية العامة أو الكلية له"وهكذا يتضح دور كل عنصر منها، وتظل الفكرة الأساسية التي يدور عليها عمل هذه الظاهرة جوهر التعامل مع نظام محكم منضبط، أعني نظام الإحالة في اللغة، ولا يخرج العنصر الإحالي عن أنه مكوّن عوض مكون آخر، ذكر في موضع آخر سابق أو لاحق، و بدلا من أن يتحتم ورود العنصر الإشاري في موضع آخر، بعد أن ورد أول مرة، يرد عنصر آخر ينوب عنه، ويؤدي معناه ذلك العنصر الإحالي، ويتيسر هذا التعويض بعمل الذاكرة في محتواها المشترك بين طرفي التواصل"[3].

إنّ البنية الإحالية النصية لا تكتفي بنوع واحد أو نوعين أو ثلاثة أنواع من العناصر الإحالية فهي دائما بحاجة إلى التنوع والكثافة لصناعة النسيج النصي، ويظهر الإمتداد الإحالي إلى مواقع الإحالة في صورة شبكة من العلاقات اللغوية المتنوعة التي تقيمها هذه العناصر، لأن نصية أي نص تنبع من هذا التنوع في توظيف الوسائل والأدوات اللغوية فلا يختص أي نص بتوظيف العناصر الإحالية الضميرية لوحدها دون أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة والعناصر المعجمية، بل كلها تمثل جزءا من تلك العلاقات الإحالية العامة التي تشكل إتساقية النص التركيبية. وكمثال على ذلك قوله تعالى:﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا** ﴾ (سورة البقرة:79).ففي هذه الآية نجد أغلب العناصر الإحالية من ضمائر (الواو،هم،الهاء) ومن أسماء الإشارة (هذا) ومن الأسماء الموصولة (الذين) ومن الكلمات المعجمية التي تحيل إلى جزء واحد وهو الفعل(كتب) وهذه الكلمات هي(يكتبون- الكتاب-كتبت) وتكرار لفظة (أيديهم) بالإضافة إلى علاقات أخرى أقامتها أدوات الربط مثل (ثم)، وأخرى قد تخفى علينا ويكون لها دور كبير في اتساق هذه الآية.

---

[1]- المرجع نفسه،ص:64.

[2]- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة،د/سعيد حسن بحيري،ص:96-97.

[3]- المرجع نفسه ،ص:109.

ويستلزم هذا تعفي تلك العلاقات بين المفردات والتراكيب ثم الجمل، التي تسير أفقيا وتضبطها الروابط النحوية، ويصاحب هذا الترابط النحوي ترابط معنوي ومفهمي للأفكار التي تنمو بشكل هرمي في النص إذ أنّ النص تشكله مجموعة من العناصر اللغوية التي تكون بينها علاقات معنوية ودلالية ومفاهمية منسجمة، تحقق على وجه الإستمرارية والنمو. والنص الذي يفتقدها وتغيب عنه نص لا يرتقي إلى مستوى النصية بحيث لا يمكن إدراكه ولا فهمه إلا وهو منظم أو مرتب(Structure) وأهم ترتيب يفرض نفسه على النص هو الترتيب المفرداتي والتركيبي والجملي الذي يخضع لقواعد النظام النحوي. ويحاكي النص المنتوج العالم الخارجي الذي يمثل له مرجعيات تساعد على الفهم والتأويل وتحصل هذه العلاقة عادة بواسطة العناصر الإشارية والعناصر الإحالية و"يرتكز انسجام النص و وحدته على مجموعة من العناصر،التي تشكل الروابط المختلفة جزءا أساسيا منها،إذ أنها وسائل لغوية تعمل على تنظيم عناصر عالم الخطاب،كما أنّ إنتظام الجمل في النص دليل على انتظام العناصر المكونة لعالم ذلك النص"[1].

وللكشق عن هذه العلاقات الإحالية المتضافرة في بناء الإتساق النصي فإننا نلاحظ أن لفظة(الكتاب) قد أحالت إليها مجموعة من هذه العناصر المختلفة (يكتبون-هذا-الهاء في (به)-كتبت) وتشكل هذه العناصر عن طريق علاقاتها الإحالية بنية نص الآية ككل ؛ ولا يمكننا أن نجد في العنصر الإحالي الواحد هذه الضّالة، مهما كانت قوّته الدلالية، إذ يمكن أن تزيد هذه العناصر أو تنقص، لكن ذلك لا يؤثر على الإتساق النصي، قال تعالى:﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآَخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ (البقرة:86). فالعناصر الإحالية الحاضرة في هذه الآية هي (أولئك-الذين-الواو-هم) تضافرت كلها لتحيل إلى المتحدث عنهم في السياق السابق وهم (بنو إسرائيل).

وتسهم الإحالة باسم الإشارة في تمتين العلاقة بين اسم الإشارة والمشار إليه، فالعناصر الإشارية اللغوية داخل النص تكون حاضرة بمعجميتها في بنية النص، وإذا كان العنصر المفسر يقربها أو يبعدها في النص فإن العلاقة الإحالية تتشكل في الربط بين المشار والمشار إليه وعندئذ يظهر الاتساق في تماسك هذين العنصرين لإنشاء المعنى وهذا ما يسمى بالإحالة الداخلية في النص كما قد يحدث أن نتصادف مع عناصر إشارية لغوية تحيل إلى خارج النص أي سياق المقام ويكون عندئذ العنصر المشار إليه مقاميا خارج النص وهذا ما ينقل ذهن المتلقي من عالم النص إلى عالم الواقع والمتصورات لهذا فإن رافع الإبهام عن اسم الإشارة يكون إما مقاليا أو مقاميا.

فمهمة اسم الإشارة تنشيط ذهن المتلقي وإبقائه في حالة بحث دائمة عن المرجع الذي يعود إليه لتفسيره، ومن هنا فهو يبقيه على استمراريته في صناعة الخيوط التي تنسج شبكة النص الإشارية، فبمجرد

[1]- المرجع نفسه ،ص:96.

البحث عن مرجعيته يجد المتلقي نفسه يربط بين أجزاء النص، منتقلا بين مفرداته وجمله وفقراته، يمنا وشمالا، نحو الأعلى، ونحو الأسفل، وفي غالب الأحيان تسوقه الإحالة بأسماء الإشارة إلى خارج النص لإيجاد مرجعية تفسّر هذا الاسم. ويعد هذا إسهاما في عملية الربط بين أجزاء النص، مما يحقق اتساقا واضحا يختص به هذا النوع من عناصره. وتشكل الأبنية التركيبية الموجودة في النص بتضافرها نظاما معينا خاصا بكل نص، وذلك لوجود تمايز في هذه البنى التركيبية بين النصوص، لأن أسلوب أي نص يختلف عن النصوص الأخرى بخصائص أبنيته، التي تنطلق من رأس النص(العنوان) أو الجملة الأولى عادة مرورا بما أوتي النص من طاقة تركيبية بنيوية إلى آخر جملة منه،"ففي البنية التركيبة تحكم الجملة الأولى سائر الجمل اللاحقة لها، إن وجدت بحكم ورودها في البداية في نقطة الإنطلاق، وهي المعلم الأول المؤسسي لكل المعالم في النص. وفي البنية الزمانية يحكم الفعل الرئيسي، أو كل مكوّن دال على زمن إشاري في كل جملة كل الأزمنة المتوفرة في الأفعال أو غيرها في جملته تلك، وهذه العناصر فرعية ثانوية في التركيب وفي الإحالة يحكم العنصر الإحالي الإشاري كل العناصر الإحالية المتعلقة به من حيث يعطيها قيمتها الدلالية، وهذا التحكم لا يراعي الحدود التركيبية، ولا تفرض عليه الخطية في الكلام اتجاها واحدا (الإحالة على اللاحق دليل على ذلك)"[1].

ومن هنا يمكننا القول أنّه لا يمكننا أن نفاضل بين العناصر اللغوية في عملية الإتّساق اللغوي النصي، لأنّ الدور الذي تقوم به هذه الأخيرة مشترك فيما بينها، فلغة النص هي مزيج بين الكلمات المعجمية والعلاقات اللغوية المختلفة، التي تتفاعل كلها لبناء النص، وبها يظهر النص نصّا، وهذا ما أشارت إليه نظرية علم اللغة النصي، فالتنوع في العناصر اللغوية في أيّ نص كان هو تنوع في العلاقات، وثراء يتميّز به النص عن النص آخر.

ويشكل هذا التنوّع في العناصر اللغوية، تنوع في آليات الترابط و الإتّساق، مما يضفي على النص تماسكا تزداد خيوطه كلما زاد عدد العناصر اللغوية، و كلما تنّوعت طرق الربط بها، لذلك فهي تتضافر في خليط لغوي، تمزجه العلاقات المتنوّعة في النص، حيث تتفاعل بينها مشكّلة الإتّساق العام للنّص. وقد ذكر صاحب تفسير البحر المحيط هذا التنوّع والثراء اللغوي والعلائقي الموجود في سورة البقرة الذي حقق إتّساقية متضافرة شكّلت البنية العامة للنص، بداية من مطلع السورة، فقال"وذكروا في هذه الآية من ضروب الفصاحة أنواعا: الأوّل:حسن الإفتتاح، وأنّه تعالى افتتح بما فيه غموض ودقة لتنبيه السامع على النظر والفكر والإستنباط. الثاني:الإشارة في قوله ذلك أدخل اللاّم إشارة إلى بعد المنازل. الثالث: معدول الخطاب في قوله تعالى:(لا ريب فيه) صيغته خبر ومعناه أمر..الرابع: الإختصاص هو في قوله هدى للمتقين.الخامس:التكرار في قوله تعالى: (يؤمنون بالغيب)، (يؤمنون بما أنزل إليك)، وفي قوله:(الذين)، (والذين) إن كان الموصوف واحدا فهو تكرار اللفظ والمعنى، وإن كان مختلفا كان من تكرار اللفظ دون المعنى، ومن التكرار(أولئك)،و(أولئك). السادس: تأكيد المظهر

[1]–المرجع نفسه ،ص:97.

بالمضمر في قوله:(وأولئك هم المفلحون)، وفي قوله:(هم يوقنون). السابع: الحذف، وهو في مواضع أحدها: هذه الم عند من يقدر ذلك، وهو هدى، وينفقون في الطاعة، وما أنزل إليك من القرآن ومن قبلك، أي قبل إرسالك، أو قبل الإنزال، وبالآخرة، أي بجزاء الآخرة، ويوقنون بالمصير إليها، وعلى هدى، أي أسباب هدى، أو على نور هدى، والمفلحون، أي الباقون في نعيم الآخرة"[1].

3 – الاسم الموصول (RELATIVE):

أ– تعريف الموصول:

– لغة:

ورد في لسان العرب في مادة (وصل): "وَصَلْت الشيء وَصْلاً وَصِلةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران. ابن سيده: الوَصْل خلاف الفَصْل. وَصَل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلاً وَصِلةً وصُلَةً؛ الأَخيرة عن ابن جني، قال: لا أَدري أَمُطَّرِدٌ هو أَم غير مطَّرد، قال: وأَظنه مُطَّرِداً كأَنهم يجعلون الضمة مُشْعِرة بأَن المحذوف إِنما هي الفاء التي هي الواو، وقال أَبو علي: الضمَّة في الصُّلَة ضمة الواو المحذوفة من الوُصْلة، والحذف والنقل في الضمة شاذ كشذوذ حذف الواو في يَجُدُ، ووَصَّلَهُ كلاهما: لأَمَهُ. وفي التنزيل العزيز:﴿**ولقد وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ**﴾، أَي وَصَّلْنا ذِكْرَ الأَنْبياء وأَقاصِيصَ من مَضَى بعضها ببعض، لعلهم يَعْتَبرون."[2] **ثم قال ابن منظور:**"ووَصَلَ الشيءُ إِلى الشيء وُصُولاً وتَوَصَّل إِليه: انتهى إِليه وبَلَغه؛ قال أَبو ذؤيب: تَوَصَلُ بالرُّكْبان حيناً، وتُؤْلِفُ الجِوارَ، ويُغْشِيها الأَمانَ رِبابُها ووَصَّله إِليه وأَوْصَله: أَنهاهُ إِليه وأَبْلَغَهُ إِياه."[3] وجاء في الصحاح: "والوصْل: ضدّ الهجران. والوصْل: وصْل الثوب والخفّ. ويقال: هذا وصْل هذا، أي مثله. وبينهما وصْلة، أي اتّصال وذريعة. وكل شيء اتّصل بشيء فما بينهما وصْلة، والجمع وصل.... واتصل الشيء بالشيء: لم ينقطع، وقوله أنشده ابن جني:

– قام لها ينشد كل منشد واتصلت بمثل ضوء الفرقد"[4]

وقد أشارت أغلب المعاجم العربية للمعنى العام لمادة (وصل)، إذن هي ضد الهجران والتنافر والابتعاد حيث دلت الآية الكريمة التي استشهد بها ابن منظور على الرغم من تباعد الحقب الزمنية التي عاش فيها الأنبياء

1– تفسير البحر المحيط،لأبي حيّان الأندلسي،ج69/1.

2– لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990/1410، المجلد11، ص: 726.(مادة وصل).

3– المرجع نفسه، مج726/11.(مادة وصل).

4 – الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، مراجعة: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2009/1430، ص: 1250.(مادة وصل).

إلا أن وصول أخبار بعضهم لبعض لم ينقطع، وكان متواصلا ومستمرا. كوصل الشيء بالشيء وهذا المعنى يقربّنا لمعنى الاسم الموصول عند النحاة والبلاغيين.

ويقودنا المعنى الذي جاء به معجم الصحاح إلى مقاربة أخرى تحمل معنى الإتّساق والتجانس بين الثوب والخف، حتى يماثله وينسجم معه وهذا ما يبيّن دور الاسم الموصول في اتّساق النّص وانسجامه. وهو لا يشارك فقط في عملية الإتّساق النحوي، لأنّه يعد أيضا من وسائل تجلي الإنسجام.

– اصطلاحا:

هو "لفظ لا يتعين معناه إلا بواسطة جملة تذكر بعده تسمى صلة الموصول، نحو: "جاء الذي احترمه، فإن (الذي) وهو الاسم الموصول لفظ مبهم، وإنما تعين معناه بواسطة جملة (أحترمه) والضمير الهاء الذي يعود على الاسم الموصول يسمى عائدا"[1].

فإذا ذكر الاسم الموصول من غير صلة لم يفهم معناه وصار مبهما حتى يضم إلى شيء بعده يفسره ويزيل إبهامه، لذلك فهو يوضع "لمعين بواسطة جملة تتصل به تسمى صلة الموصول"[2].

وصلة الموصول هي "الجملة التي يتم بها معنى الاسم الموصول، وتكون جملة خبرية، ليست أمرا، ولا نهيا، أو تمنيا، أو ترجيا، أو استفهاما، اسمية أو فعلية، نحو (أكرمت الذي علمني) ونحو (جاء الذي أبوه شجاع)"[3] وتأتي صلة الموصول بعد الإسم الموصول لتعرّفه وتتم معناه وتبيّن المقصود منه. **ومن** أنواع جملة صلة الموصول في سورة البقرة ما يلي:

– الجملة فعلية ، مثل :﴿ **اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ** ﴾(البقرة 21).

–جملة اسمية ، مثل : ﴿ **أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾(البقرة 61).

–جار ومجرور ، مثل : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ (البقرة 228).

وسميت الأسماء الموصولة بهذا الاسم "لأنها توصل بكلام يأتي بعدها يسمى جملة الصلة، هو من تمام معناها، لذا فالأسماء الموصولة أسماء ناقصة الدلالة، إذ لا يتضح معناها إلا إذا وصلت بالصلة"[4] "لأنّ الغرض بالصلة تحصيل الوضوح للموصول"[1].

1– المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها، علي رضا، تحقيق: عادل أنور خضر، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت، ص: 53.

2– في علوم اللغة العربية وفنون الضاد، د.أنور عبد المجيد الموسى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،ط1431هـ/2010م، ص: 32 – 48.

3– المرجع السابق، المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها، علي رضا، ص: 57.

4– معاني النحو، فاضل السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، دط، 1987م، الجزء1، ص: 128.

ومن هذا الجانب كان لجملة الصلة خاصية دلالية وهي تعين الموصول وتقييده وتخصيصه لأنها أزالت الإبهام عن الاسم الموصول فتحول المعنى من حالة الجهل بالموصول وغموضه إلى حالة المعرفة الحقيقية حسب ما توضحه جملة الصلة. وقد عدّ روبرت دي بوجراند تركيب الصلة على أنه من التراكيب التابعة الغير مستقلة التي تتصل بما يلحق، وهذا ما يلمّح إلى أنّ الاسم الموصول لا يعد شيئا من المعنى إذ استقل بنفسه، كما أنه يعوض معوّضا لابدّ من ذكر ما يعينه بعده ويشترط في جملة الصلة أن تحتوي على عائد يعود إلى الموصول فيربط بينه وبين الصلة" والعائد ضمير بارز أو مستتر ينبغي أن تحتويه جملة الصلة يعود على الموصول... وذلك لأن العائد يعلقها بالموصول، ويتممه بها"[2]،ما يعني أنّ الوظيفة الإتساقية للإسم الموصول لا يمكن له تأديتها لوحده، بل يشاركه فيها الضمير، لذلك نؤكد على أنّ الضمير هو أقوى العناصر اللغوية المبهمة التي تحتاج إلى مفسّر من حيث أدائه لوظيفة الإتّساق، ويقوم الاسم الموصول بوظيفة الربط الدّاخلي لتتسق الجملة من حيث التركيب الداخلي، وقد لا يكتفي الاسم الموصول بالإحالة إلى الجملة التي تأتي بعده، فقد يحيل إلى مسبوق سبقه في الذكر، ويشترط في العائد أن يطابق الاسم الموصول في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع وقد يستثنى من ذلك الموصول المشترك (من- ما) وفروعهما. كقول القائل: أشكر مَنْ علمّك (للجميع). وقد يجوز حذف إذا دلّت عليه قرينة في الجملة من دون التباس في المعنى.[3]

ويشير تمام حسان إلى أنّ الموصول ضمير يدل على عموم أو مطلق الغياب. مخالفا بذلك الضمائر التي تدل على عموم الحضور(التكلم.الخطاب.الإشارة)[4]، وهذا الفرق يلعب دورا مهما في تمام المعنى في النص، لأنّ الضمائر تتضح دلالتها بعودتها إلى ما تشير إليه، وفي أكثر الأحيان يكون هذا المشار إليه هو العنصر المفسّر الذي يرجع إليه لمعرفة دلالة الضمائر، أمّا الأسماء الموصولة فإنّها تحتاج في أحسن الأحوال وأقلها إلى شبه جملة، وتكون في أغلب التراكيب التي ترتبط بها جملة فعلية أو إسمية، ما يجعل الفرق شاسعا في عملية الربط الإتّساقي بين الضمائر والإسم الموصول، لأنّ الأولى تحتاج إلى كلمات مفردة، أمّا الثاني فإنّه يحتاج إلى تراكيب وجمل لتتضح دلالته.ولهذا سميت الأسماء الموصولة بهذا الاسم "لأنها توصل بكلام يأتي بعدها يسمى جملة الصلة، هو من تمام معناها، لذا فالأسماء الموصولة أسماء ناقصة الدلالة، إذ لا يتضح معناها إلا إذا وصلت بالصلة"[5] "لأن الغرض بالصلة تحصيل الوضوح للموصول"[1].

1- شرح التسهيل لإبن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الحياني الأندلسي، تحقيق: د/عبد الرحمن السيد، د/محمد بنيوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ط1، 1410هـ/1990م، الجزء 1، ص: 187.

2- المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها، علي رضا، ص: 58.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص: 58.

4- ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ص:109-110.

5- معاني النحو، فاضل السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، دظ، 1987م، الجزء1، ص: 128.

ب- أقسام الموصولات:

تنقسم الموصولات وهي من الأسماء المبهمة التي يصعب معرفة الموصول بها إلّا بذكره، إلى نوعين:

1- الموصول الحرفي:

وهو: "كل حرف أُوِّل مع صلة بمصدر، ولم يحتج إلى عائد، وهذه الحروف ستة: "أن، أن، كي، ما، لو، وهمزة التسوية"[2]كون امتزاج الحرف"بصلته أشد من امتزاج الاسم بصلته لأن اسميته منفية بدونها"[3]. وحد الموصول الحرفي: "ما أُوِّل مع ما يليه من الجمل بمصدر، كما يجئ في حروف المصدر، ولا يحتاج إلى عائد، ولا أن تكون صلته خبرية على قول الأكثر، نحو: أمرتك أن قم، وبعضهم يقدر القول فيه حتى تصير خبرية، أي أمرتك بأن قلت: لك قم"[4] غير أن ابن عقيل ذكر خمسة حروف موصولة لإمكانية تأويلها بمصدر وهي"(أن، أنّ، كي، ما، لو) وعلامته: صحة وقوع المصدر موقعه، نحو وددت لو تقوم، أي قيامك، وعجبت ممّا تصنع، وجئت لكي أقرأ، ويعجبني أنك قائم، وأريد أن تقوم"[5] ولم يذكر بذلك همزة التسوية. ويتضح في الأمثلة التي ذكرها ابن عقيل دور الأسماء الموصولة في خلق ترابط داخلي بين الأفعال التي تسبقها والأفعال التي تلحقها، وهذا ما يبرز أهميتها في التوسط بين التراكيب وخلق نوع من الإتّساق داخل النص. فمن هذا الدور الذي تلعبه هذه الحروف يتجلى لنا الإحالة القريبة واللصيقة بين الفعل السابق والفعل اللاحق، ويبدو هذا الدور بسيطا مألوفا عند أغلبية القراء، إلاّ أنه لا يقل أهمية عن باقي الأدوات اللغوية والوسائل الإحالية الأخرى التي تؤدي وظائف اتساقية متينة فالموصول الحرفي حتى ولو كان بسيطا يعد جزءاّ مهما في المعادلة النصية الإحالية.

ومن أمثلة الموصول الحرفي في سورة البقرة، قوله تعالى:﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)**﴾(البقرة:184)، ويعني بقوله بهذا المصدر "وأن تصوموا ترغيب في الصوم وتأنيس به ، وإن كان نازلا في إباحته لصاحب المشقة كالهرم، فكذلك، ويحتمل أن يرجع إلى قوله : ومن كان مريضا وما بعده ، فيكون تفضيلا للصوم على الفطر إلا أن هذا في السفر مختلف فيه بين الأئمة"[6] وعودة هذا المصدر على قوله:﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**

---

[1]- شرح التسهيل لإبن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الحياني الأندلسي، تحقيق: د/عبد الرحمن السيد، د/محمد بنيوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ط1، 1410هـ/1990م، الجزء 1، ص: 187.

[2]- المرجع في العربية، نحوها وصرفها، علي رضا، دار الشرق العربي، ج1-3، ص: 53.

[3]- شرح التسهيل لأبن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الحياني الأندلسي، تحقيق: د/عبد الرحمن السيد، د/محمد بدوي المختون، ج1، ص: 237.

[4]- شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، شرح الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ص: 6.

[5]- شرح بن عقيل المؤلف: بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري الهمذاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1985م، ج1، ص: 141.

[6]- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج168/2.

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ ربط بين أجزاء الآية حيث أحالنا هذا المصدر إلى الوراء، ليربط بين القولين. وكذلك قوله تعالى:﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)**﴾(البقرة:96). فجملة (لو يعمّر) تأويلها (تعمير)، وهذا مصدر مؤوّل.

2- الموصول الاسمي:

وهو نوعان:

فمن المنظور الوظيفي يعدّ الإسم الموصول عنصر ربط قوي وفاعلا حيويا بين جملتين؛ الصلة وما قبلها. إنّه من الأدوات التي تدخل على الجملة. فتربط كل ما يقع في حيّزها من عناصر. وتحمل عبء الأسلوب النحوي للجملة وهذا ما ذهب إليه-جازما-(WILFRIED ROTGÈ) بجعل الضمائر والموصولات"من الأدوات النسقية النحوية العاملة التي تجيز ربط قطعة بقطعة أخرى"[1].

أ- الموصول الاسمي الخاص أو المختص:

ويدل على مفرد أو مثنى أو جمع، تذكيرا وتأنيثا"[2] ويكون ذلك حسب مقتضى الكلام نحو قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)** ﴾(الزمر، 74) فالذي اسم موصول خاص يحيل إلى لفظ الجلالة(الله)، وقد تطابق معه في التذكير والإفراد، أمّا عن التثنية والجمع ففي قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (29)** ﴾(فصلت، 2) نجد أن الاسم الموصول (**الَّذِينَ**) يدل على جمع المذكر أما الاسم الموصول (**الَّذِينَ**) فإنه يدل على التثنية، و(**الَّذَيْنِ**) يدل على الجمع ويتميز في كتابته عن (**الَّذَيْنِ**) الدالة على المثنى بأن الاسم الدّال على الجمع يكتب بلام واحدة تميزا له عن **الَّذَيْنِ**"[3]، ويذكر الاسم الموصول ويؤنث، ويثنى ويجمع، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ**﴾ (الطلاق، 04) فاللائي اسم موصول خاص بجمع المؤنث، مثله مثل اللاتي في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ**﴾(النساء، 15) والأسماء الموصولة الخاصة، منها ما يستعمل للمذكر (المفرد) الذي، اللذان واللذين

---

[1]- lepoint sur la cohesion en englais, wilfried rotgé, sigma anglopinia, press universiares du mirail,n2, 1998, p 183

[2]- التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1408هـ/1988م، ص: 51.

[3]- الأسماء الموصولة العامة في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، مطبع سليمان محمد القريناوي، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1435هـ/2014م، ص: 13.

(المثنى) الذين (الجمع)، والألى (لجمع الذكور العقلاء) ومنها ما يستعمل للمؤنث: التي (للمفرد)، اللتان واللتين (للمثنى)، اللاتي، اللواتي، واللائي (لجمع المؤنث العاقلات) والنماذج كثيرة في القرآن الكريم عن الدور الإحالي الذي يلعبه الاسم الموصول في الربط بين آيات القرآن الكريم واستمرارية الاتساق في النص، ولنلاحظ الاسم الموصول (الذي) في هذه الآيات ودوره في تحقيق الإحالات بينها حتى تتجلى صورة النص متسقة متماسكة.

ومن هذا النوع من الأسماء الموصولة ما جاء في قوله تعالى:﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)**﴾(البقرة،185)."وظاهر قوله : الذي أنزل فيه القرآن أن المخاطبين يعلمون أن نزول القرآن وقع في شهر رمضان، لأن الغالب في صلة الموصول أن يكون السامع عالما باختصاصها بمن أجري عليه الموصول، ولأن مثل هذا الحدث الديني من شأنه ألا يخفى عليهم ، فيكون الكلام تذكيرا بهذا الفضل العظيم، ويجوز أيضا أن يكون إعلاما بهذا الفضل، وأجري الكلام على طريقة الوصف بالموصول للتنبيه على أن الموصوف مختص بمضمون هذه الصلة بحيث تجعل طريقا لمعرفته".[1]

قال الله تعالى:﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (11) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13)**﴾(سورة الزخرف، الآيات: 9-13). ونرى بوضوح "دور الاسم الموصول (الذي) في الربط بين أجزاء الآيات الكريمة، إذ يحيل إلى العزيز العليم أي الله تعالى، وهو يقوم بخلق الاستمرارية بين الآيات وتحقيق الاتّساق بينها"[2] لذلك فإن دوره مهم في النص، لا يقل أهمية عن باقي الأدوات والوسائل التي تشكل بنية النص، كالضمائر.

ولنلاحظ كيف ساهم الإسم الموصول (الذين) في الربط بين هذه الآية التي جاءت في وسط السورة وبين مقدمة السورة، قال تعالى:﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)**﴾ (البقرة،121). حيث جاء في تفسير البغوي "معالم التنزيل :"﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ** ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نَزَلَتْ فِي أهل السفينة قَدِمُوا مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلًا اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَثَمَانِيَةٌ مِنْ رُهْبَانِ الشَّامِ مِنْهُمْ بَحِيرَا، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هُمْ مِمّن آمَنَ

[1]– تفسير التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج172/2.

[2]– مظاهر الاتساق في النص القرآني، دراسة وصفية لغوية، لبنى عبد الرحمن، أكمل خزيزي عبد الرحمن– شمس الجميل يوب، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، عدد خاص، فبراير2012، ص: 20.

مِنَ الْيَهُودِ عَبْدُ اللَّهِ بن سلام وشعبة بْنُ عَمْرٍو وَتَمَّامُ بْنُ يَهُودَا وَأَسَدٌ وَأُسَيْدٌ ابْنَا كَعْبٍ وَابْنُ يَامِينَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا، وَقَالَ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقِيلَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ عَامَّةً، ﴿ **يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ** ﴾، قَالَ الْكَلْبِيُّ: يَصِفُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ حَقَّ صِفَتِهِ لِمَنْ سَأَلَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَالْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: هِيَ عَائِدَةٌ إِلَى الْكِتَابِ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه: يقرؤونه كَمَا أُنْزِلَ وَلَا يُحَرِّفُونَهُ، وَيُحِلُّونَ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، وَقَالَ الْحَسَنُ: يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ وَيَكِلُونَ علم ما أشكل عليه إِلَى عَالِمِهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ، قَوْلُهُ :﴿ **أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ** ﴾[1].قال ابن عطية:"والمراد بالذين في هذا الموضع من أسلم من أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم،و(الكتاب) على هذا التأويل القرآن، وقال ابن يزيد: المراد من آمن بمحمد صلّى الله عليه وسلّم من بني إسرائيل، و(الكتاب) على هذا التأويل التوراة،...ويحتمل أن يراد بـ (الذين) العموم في مؤمني بني إسرائيل والمؤمنين من العرب"[2]. وهذه إحالة بعيدة تعيدنا إلى الوراء إلى مقدمة السورة، حيث ساهم هذا الاسم في الربط بين المتن والتمهيد، وعلى هذا تكون الأسماء الموصولة مع صلتها تؤدي دورا مهما في الربط والإتّساق، يصل إلى المدى الإحالي البعيد.

ثم تأتي إحالة أخرى شبيهة بهذه الإحالة، وكأنّها متكررة في قوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)**﴾ (البقرة،145). وذكر صاحب البحر المحيط في تفسير قوله تعالى"(الذين آتيناهم الكتاب) : هم علماء اليهود والنصارى ، أو من آمن برسول الله – صلى الله عليه وسلم – من اليهود ، كابن سلام وغيره ، أو من آمن به مطلقا ، أقوال . والكتاب : التوراة ، أو الإنجيل ، أو مجموعهما ، أو القرآن . أقوال تنبني على من المراد بالذين آتيناهم ، ولفظ آتيناهم أبلغ من أوتوا ، لإسناد الإيتاء إلى الله تعالى ، معبرا عنه بنون العظمة"[3]، وهكذا يظهر العمل الإحالي للإسم الموصول مع صلته في الربط بين مقاطع السورة، وهذا النوع من الإحالة بعيدة المدى تربط النص وتجعله متماسكا مثلما تقوم به الضمائر، لأنّ الاسم الموصول وصلته كالإسم الواحد، ويقومان متضامنان بهذه الوظيفة.

والأمثلة كثيرة من هذا النوع من الإحالة التي تقوم به بوظيفة الربط البعيد، حتى يظهر إتّساق النص بالإسم الموصول وصلته، تاما متموما، و كأنّ هذا النوع من المبهمات يرسل حبالا ويقيم لها أوتادا في أجزاء السورة لتوطيد العلاقات بين المتقدم في السورة والمتأخر، ومنها قوله تعالى:﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262)**﴾

---

[1]–تفسير البغوي ،معالم التنزيل،ج1/164–165.

[2]– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاصي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ –2001م،،ج1/204.

3– تفسير البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي، ج1/435.

(البقرة،262). وقوله تعالى:﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)﴾ (البقرة،274).حيث نلاحظ هنا أنّ الأسماء الموصولة فعلت فعلتها في الربط بين الآية (262) و الآية (274)، أي بعد 12 آية، ما يبّين الخاصيّة التي تتميّز بها الأسماء الموصولة من خلال الوظيفة الإتّساقية التي تقوم بها.قال ابن عاشور "وأعاد قوله: (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) إظهارا للاهتمام بهذه الصلة "[1]. حيث نجد مقطعا كاملا يتحدث عن الإنفاق وما يربط بين آياته هو الاسم الموصول، وذلك في الآيات التالية:﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (267) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269) وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (270) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)﴾(البقرة،261-274).وفي هذا التشبيه"عود إلى التحريض على الإنفاق في سبيل الله ، فهذا المثل راجع إلى قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم وهو استئناف بياني لأن قوله من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه الآية . يثير في نفوس السامعين الاستشراف لما يلقاه المنفق في سبيل الله يومئذ بعد أن أعقب

1- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج3/42-43.

بدلائل ومواعظ وعبر، وقد تهيأت نفوس السامعين إلى التمحض لهذا فأطيل الكلام فيه إطالة تناسب أهميته[1]." ونوّضح الدور الذي يلعبه الإسم الموصول في هذا المقطع أكثر بهذا المخطط:

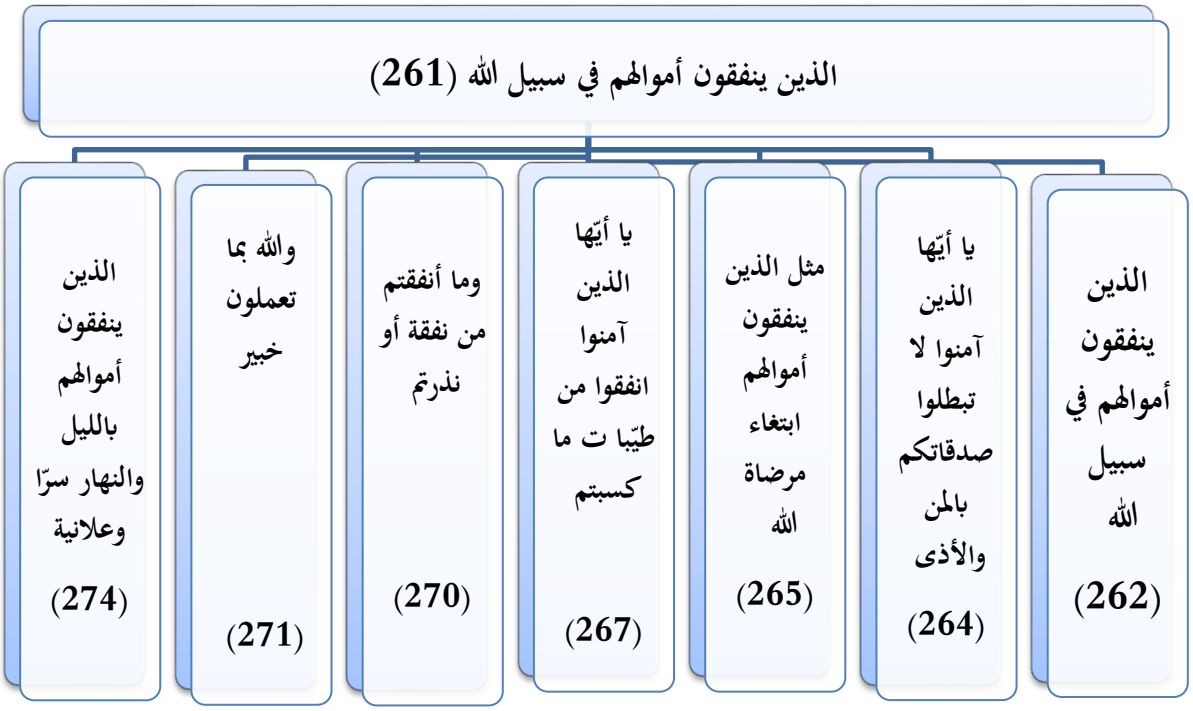

ففي هذا المقطع نلاحظ بأنّ عملية الربط بين الآيات تمت عن طريق الإسم الذي يظهر أكثر أداء للوظيفة الإتّساقية أكثر من غيره من العناصر اللغوية المبهمة، حيث نلاحظ تكرره فيه حتّى يتبيّن بأنّ الموضوع الذي يتضمنه هذا المقطع هو موضوع واحد. لأنّ هذا المقطع خص هؤلاء الذين ينفقون في سبيل الله."قال الواحدي في أسباب النزول وغيره : إن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، ذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك حث الناس على الإنفاق في سبيل الله ، وكان الجيش يومئذ بحاجة إلى الجهاز ، وهو جيش العسرة ، فجاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف وقال عثمان بن عفان : علي جهاز من لا جهاز له . فجهز الجيش بألف بعير بأقتابها وأحلاسها . وقيل :جاء بألف دينار ذهبا فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2] .

وكذلك في حديثه عن الربا،حيث "نظم القرآن أهم أصول حفظ مال الأمة في سلك هاته الآيات ، فبعد أن ابتدأ بأعظم تلك الأصول وهو تأسيس مال للأمة به قوام أمرها ، يؤخذ من أهل الأموال أخذا عدلا مما

---

[1]–تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج41/3.

2 – المرجع نفسه، ج41/1–42.

كان فضلا عن الغنى ففرضه على الناس ، يؤخذ من أغنيائهم فيرد على فقرائهم ، سواء في ذلك ما كان مفروضا وهو الزكاة ، أو تطوعا وهو الصدقة ، فأطنب في الحث عليه ، والترغيب في ثوابه ، والتحذير في إمساكه ، ما كان فيه موعظة لمن اتعظ ، عطف الكلام إلى إبطال وسيلة كانت من أسباب ابتزاز الأغنياء أموال المحتاجين إليهم وهي المعاملة بالربا الذي لقبه النبيّ – صلى الله عليه وسلم – ربا الجاهلية، وهو أن يعطي المدين مالا لدائنه زائدا على قدر الدين لأجل الانتظار ، فإذا حل الأجل ولم يدفع زاد في الدين ، يقولون : إما أن تقضي وإما أن تربي ، وقد كان ذلك شائعا في الجاهلية ، كذا قال الفقهاء ، والظاهر أنهم كانوا يأخذون الربا على المدين من وقت إسلامه ، وكلما طلب النظرة أعطى ربا آخر ، وربما تسامح بعضهم في ذلك ، وكان العباس بن عبد المطلب مشتهرا بالمراباة في الجاهلية ، وجاء في خطبة الوداع : ألا وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي عباس بن عبد المطلب. "[1] ونلاحظ هنا ما قام به الاسم الموصول، فقد ربط بين أجزاء هذا المقطع في حديثه عن هؤلاء الذين يأكلون الربا، وفرّق بينها وبين الكسب الحلال كالبيع، قال تعالى:﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (280) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)**﴾(البقرة،275-281).

ب- الموصول الاسمي العام المشترك:

إذ لا يمكن "أن ينطبق عليه فكرة التماثل والتطابق، فهو من حيث الإبهام مبهم، لكنه لا يطابق لأنه يأتي بلفظ واحد لكل الموجودات بأنواعها مثل : من وما...إلخ"[2] فهي "تكون بلفظ واحد للجميع فيشترك فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث"[3] وسميت بالموصولات العامة أو المشتركة لأنها لا تقتصر دلالتها على بعض هذه الأنواع دون الأخرى وإنما تصلح لجميع الأنواع"[4] والموصولات المشتركة هي (من للعاقل- ما لغير العاقل)،

---

[1]- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج3/78-79.

[2]- الإحالة في نحو النص، د.أحمد عفيفي، ص: 27.

[3]- جامع الدروس العربية، موسوعة في ثلاثة أجزاء، الشيخ مصطفى غلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط28، 1414هـ/1993م، الجزء الأول، ص: 131.

[4]- ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د ت)، ص: 342.

أي: ذا، ذو (للعاقل وغير العاقل)[1]. ونوضح بعض الآيات من سورة البقرة لهذا النوع من الأسماء الموصولة في هذا الجدول:

الرقم	الآية	رقم الآية في سورة البقرة
01	وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ	04
02	وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ	10
03	وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ	23
04	قالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ	32
05	وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ	33
06	فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ	61
07	اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ	61
08	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ	91
09	قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا	91
10	وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	91
11	وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	126
12	وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ	158
13	وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً	201
14	يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ	247

والأمثلة في سورة البقرة كثيرة من هذا النوع، كغيرها من أنواع عناصر الإتّساق، وهي تساهم إلى جانب نظيراتها في عملية التشكل الإتّساقي لسورة البقرة، و إن كان الاسم الموصول الخاص محدد الدلالة والمرجع، فإنّ هذا النوع من الأسماء يستعمل لربط العام، أي العناصر التي لم تختص بذكر خاص، حيث تعود عملية الربط على عنصر لغوي له معنى عام وموّسع تعود عليه هذه العناصر اللغوية، وتأثيره الدلالي واضح من خلال السياق الذي يوجد فيه، ومن الأمثلة قوله تعالى:﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)**﴾(البقرة:136).

[1]– في علوم اللغة العربية، وفنون الضاد، أنور عبد الحميد الموسى، ص: 324.

وفي قوله تعالى:﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273)**﴾(البقرة:273). حيث نلاحظ أنّ الجملة الموصولة(وما تنفقوا من خير) تكررت ثلاث مرّات في الآيتين، وهي جملة تشكلت من الإسم الموصول العام (ما) الموصول بصلته (تنفقوا من خير)، إذ يمثّل هذا العنصر اللغوي وهو جملة الصلة عنصرا مهما في الربط بين الآيتين، ما يعني بأنهما تشتملان على موضوع واحد متسق. وقد ساهم هذا العنصر في صناعة الإتّساق في هاتين الآيتين عن طريق تكرارهما معجميا.

ج- الوظيفة الإحالية للاسم الموصول:

يعد الاسم الموصول أداة بارزة في عملية الإحالة، لأنّه يربط بين عنصري الجملة وبحذفه يختل التركيب ويهتز المعنى بحيث لا يصبح متماسكا كما في حضوره، وخير دليل على ذلك المثال التالي:

- أشجار غرست هي أشجار مثمرة.
- الأشجار التي غرست هي أشجار مثمرة.

ففي المثال الأول يكاد المعنى يكون سليما، إلا أنّ التمعن فيه يجعل المتلقي يحس بخلل في تركيبه لأنّه خال من الاسم الموصول (التي) بينما يظهر في المثال الثاني حسنا مستقيما صنعه الاسم الموصول فاتسقت الجملتان أكثر من المثال الأوّل. ومن هنا، فإنّ الأسماء الموصولة لا تختلف عن غيرها من أدوات الإتّساق الإحالية، كونها "تقوم بعملية التعويض، وهي لا تحمل أي دلالة خاصة، ومفهومها لا يتضح إلا من خلال ما تحيل إليه، وهي تقوم بعملية الربط الاتساقي من خلال ذاتها ومرتبطة بما يلحقها وهي صلة الموصول، التي تصنع ربطا مفهوميا يجمع بين ما يسبق الاسم الموصول وما يأتي بعده، ويشير النّحويون إلى أنّ صلة الموصول ينبغي أن تكون معلومة للمتلقي قبل أن يذكر الاسم الموصول"[1] ولذلك لا يمكننا أن نتخيّل نصا خالي من الأسماء الموصولة لقوّة الدور الإحالي والإتّساقي الذي تؤديه في التركيب، وداخل النص، وقد عدها علماء النص من أكثر الأدوات النصية وأوضحها في عملية الإحالة.كما أن الاسم الموصول "يعمل على تماسك النص وترابطه، وذلك لكونه يحدد دور المشاركين في الزمان والمكان داخل مقام إشاري، وتحقق إشاريته إذا ما دل مع صلته على ذات أو مفهوم جرت الإحالة عليها بعد ذكره في النص، وينطبق هذا على الموصولات المشتركة عادة، بينما

[1]- ينظر: الإحالة في النص، دراسة في الدلالة الوظيفية، أحمد عفيفي، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2005م، ص: 535.

يكون الاسم الموصول المختص إحاليا إذا ما عاد على محال إليه سابق له عادة"[1] وقد أكدّ المبرد أن الموصول هو الذي يقع عليه المعنى وما يليه يوضحه"[2] لأنّه يعد مركزا للمعنى في الجملة الموصولة. لأن الإحالة تحدث بينه وبين صلة الموصول.لضرورة معنوية متجاذبة بينهما. ويساهم في ذلك العائد الذي يعلقها (صلة الموصول) بالموصول، ويتممه بها[3]. و الموصول"اسم يصل بين جملتين لا يتم معنى أولاهما بدون الثانية"[4]؛ لأنّه اسم يدل على معيّن بواسطة جملة تذكر بعده. وهنا يكمن الدور الإحالي للإسم الموصول. ولذلك يقول ابن الحاجب:"الموصول ما لا يتم جزء إلاّ بصلة وعائد".[5]

واللافت للنظر في الجملة الموصولة أنها تحتوي على أداتين إحاليتين وهما: الاسم الموصول، والعائد (الضمير)، أين تظهر إحالة مزدوجة في الجملة الموصولة تقوم بوظيفتها الاتساقية داخل الجملة ذاتها، وقد تتعدها إلى أبعد من ذلك.ففي قوله تعالى: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)** ﴾(البقرة، 59). نجد أنّ الضمير في قوله (**قِيلَ لَهُمْ**) يحيل إلى الاسم الموصول (الذين) ظلموا.وأن الاسم الموصول قد أعيد ذكره، "وكان مقتضى الظاهر أن يقال: فأنزلنا عليهم لتقدم ذكر(الذين ظلموا) في أول الآية الكريمة"[6] حيث تم وضع الاسم المظهر (**الَّذِينَ ظَلَمُوا**) موضع الضمير (عليهم) وهذا ما يسميه أهل البلاغة بوضع المظهر موضع المضمر. وبالتالي فإن الإحالة تكون مزدوجة بالاسم الموصول وبالعائد في صلة الموصول. لأنّ قرينة الاسم الموصول هي "جملة الصلة التي تشرح المقصود به وتربط به بواسطة ضمير فيها يعود عليه"[7]

تتم الإحالة بالإسم الموصول بوسيلة الرابط في الصلة؛ و لهذا تكون الأسماء الموصولة أدوات الإحالة عن طريق الضمائر أي تكون الصلة مشتملة على الضمير يطابق الإسم الموصول، فلابد في الصلة أن تكون مشتملة على ما يرجع إلى الإسم الموصول و لذلك لا يجوز تقديم الصلة على موصولها وتتم الإحالة بين الصلة و الإسم الموصول بحيث لابد للإسم الموصول من أن يرجع إليه من صلته و يسمى الضمير العائد إلى الموصول

---

[1]– علم لغة النص والأسلوب، بين النظرية والتطبيق، نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، (د ط) 2013م، ص: 39.

[2]– المقتضب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، (210هـ/285م)–(1399هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، الجزء1، ص: 157.

[3]– أسرار العربية، الإمام أبي البركات الأنبا ري، تحقيق: فخر صالح قداره، دار الجيل، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، ص: 328/327.

[4]–شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف ،القاهرة ، 1982م، ص :127.

[5]–الكافية في النحو،شرح رضي الدين الاستراباذي، جمال الدين بن أبي عمرو عثمان بن الحاجب، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ج1/34.

[6]– من بلاغة النظم القرآني، دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1431هـ/2010م، ص: 139.

[7]– اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1994، ص: 111.

ب"العائد"[1]وقد بين الكثير من المفسرين بأن ظاهرة حذف العائد على الإسم الموصول كثيرة في النصوص القرآنية، و هذا ما نجده في نص قوله تعالى:﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾(البقرة،الآية:171).وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة و أضرابهم و أخبار اليهود،أو للجنس و قد خص منه غير المصرين بما أسند إليه من قوله تعالى:(سواء عليهم ...)إلخ"[2].و"(ما) في الآية الكريمة اسم موصول والعائد عليه محذوف لفهم المعنى،تقديره:بما لا يسمع منه"[3].

د- أثر الأسماء الموصولة في الإتّساق:

يعمل الاسم الموصول على إثارة ذهن المتلقي للبحث عن مرجعيته. فيتيح له مساحة للتفكير في عناصر النص والعمل على ترتيبها، وحتى تغدو أكثر إتّساقا وانسجاما، وهذا يزيد من تماسك النص وترابطه. وهنا يتجلى الدور الحقيقي لحضور الاسم الموصول، وما يؤديه من استحضار لذهن المتلقي في خلق الترابط النصّي، فالمتلقي بهذه الخاصية لا يستطيع فهم الإحالة الموصولية إذا لم يتتبع العائد فيها، كون هذا الأخير يؤدي دورا تضامنيا مع الاسم الموصول لصناعة ما نسميه بجسور الربط بين أجزاء النص. فالموصول يدل على مطلق الغياب. وفي ذلك شبه مع ضمائر الغائب. ولا يكون له معنى إلاّ بذكر موصوفه أو تقديره في ضوء المقام وبهذا الذكر أو التقدير يربط بين موصوفه وجملة الصّلة. وذلك بأصل الوظيفة. وفي كل ذلك ينبغي على الصلة أن تكون معلومة للسامع في اعتقاد المتكلّم قبل ذكر الموصول". وهذا ما يفسّر التلازم بينهما.[4]

إنّ المتلقي مضطرّ لتتبع أثر ومركز الاسم الموصول، لأن الأسماء الموصولة لا يكمن دورها في الربط بين أجزاء الجملة الموصولة فقط، فهي إلى جانب ذلك تساهم في خلق ترابط متباعد بين أجزاء النص، ولا نستطيع أن نتخيّل نصا خاليّا منها، ولا يمكن لأيّ لغويّ فصيح أن ينتج نصّا مُفرغا منها، وإلاّ عدّ ذلك النص، شتاتا من الأفكار هنا وهناك، فتجليات الأثر الترابطي للأسماء الموصولة بارز وواضح، ولا نستطيع إدارة ظهورنا إذا ما تعلّق الحديث عن ذلك دور الإتّساقي لها في داخل النّصوص والخطابات.

---

[1]-ينظر،شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد جمال الدين،ابن هشام (ت:761هـ)، المحقق: عبد الغني الدقر، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا،2005م، ص:184.

[1]- تفسير أبي السعود،ج61/1.

[2]- تفسير أبي سعود، ج64/1.

[3]- اللباب في علل البناء و الإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت616)، تحقيق:د/عبد الإله، دمشق، ط1، 1416هـ/1995م، ص:163/3.

[4]- ينظر: الأسماء الموصولة بين المفهوم والوظيفة في ضوء اللسانيات المعاصرة، د. نعيمة سعدية،حوليات المخبر، مخبر اللسانيات واللغة العربية، العدد الثاني، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ديسمبر2014م، ص:53.

إنّ التكرار الحاصل في الأسماء الموصولة على مستوى البنية العامّة لأيّ نصّ، هو مرادف لتجنب تكرار قد يمل منه المتلقي لأنّه ليس من الفصاحة، فالأسماء الموصولة تتجلى وظيفتها الأقرب في احتضان تركيب لتركيب آخر، ولا تتم عملية الاحتضان هذه إلاّ بالجمع بين تركيبين وأكثر، وهو ما يسميه النّحويون بصلة الموصول، التي لا تنفك عن التركيب الحاضن لها، فتنشأ علاقة جزئية وقوية مستمرة تساهم في تشكيل المعنى وبنائه، ولا يكتمل المعنى إلا بواسطة هذا الذكر والاحتضان، ويكون هذا الربط داخلي في الجملة الموصولة، الذي يسهم بجزء ولو بسيط في التأسيس للمعنى العام للبنية الكبرى للنص. ولذا عدّ الموصول من الأدوات والمضمرات التي تلعب دورا هاما في إحداث الربط؛ فعودها إلى المرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه. وهذا ما يؤدي إلى تماسك أطراف الجملة[1].

وإذا كان الاسم الموصول عنصرا من العناصر اللغوية التي يمكن استعمالها على مستوى المحورين العمودي والأفقي فإنّ طريقة توزيعه في النص لها دور مهم في إتّساق النّص، باعتبار التوزيعية (التفريعية) ترى أنّ أجزاء الكلام لا تنتظم في اللغة بالصدفة ولا بالاعتباط. وإنّما بالإتّساق مع الأجزاء الأخرى التي تندرج فيها وفي أوضاع بعينها. دون أوضاع أخرى[2]. وهكذا فإنّ الاسم الموصول يشارك مشاركة خاصة تختلف عن الضمير واسم الإشارة في خلق ترابط خاص بين جملتن متقاربتين تتفرع الثانية منهما عن الأولى، والإسم الموصول عنصر من عناصر الجملة يتوزع أفقيا وعموديا على مستوى نسيجها؛ باعتبار أن للتحليل النحوي طريقتين، إحداهما تهدف إلى إدراك علاقة الكلمة بغيرها من الكلمات التي تجاورها أو تبتعد عنها، وأثر ذلك في تغيير الدلالة، والأخرى ترمي إلى معرفة علاقة الكلمة المذكورة في الجملة أو النص بالبدائل التي يمكن أن تحل محلها، لكنّها لم تذكر[3]. و يمتاز الاسم الموصول بإمكانية إحلاله مكان اسم صريح فيجنب التركيب تكرارا، ويعطيه مسحة ترابطية تضاف إلى الإتساق الحاصل في النّص.

يترك الاسم الموصول أثرا تواصليا ينبع من الجملة الموصولة ذاتها فيخرج منها منطلقا نحو العنصر المفسر، الذي يحدد عمله الإحالي ويقيّده ولا يتركه حرا يبحث عن مناسب له، لأنّ الإبهام الذي يظهر به الاسم الموصول سرعان ما يزول بمعرفة المبهم، ويتقيّد ليشكّل ربطا موّجها نحو مكان في النص يصبح معلوما فيما بعد، وهكذا فكلما ظهر الاسم الموصول في النّص من جديد تقيّد بتحديد مكانه في النّص، وتبدأ الأسماء الموصولة تتزايد وتكاثر في النّص من الأعلى إلى الأسفل وتتمايز معها مفسّراتها، وعادة ما تكون هذه المفسرات عناصر معجمية جديدة تتوّلد عنها علاقة ترابطية جديدة تسهم في الاتّساق العام للنّص رفقة الضمائر، أين

1- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها،د. تمام حسان، ص:111-113.

2- المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة ،الجزائر،2001م، ص:74.

3-- ينظر: الأسماء الموصولة بين المفهوم والوظيفة في ضوء اللسانيات المعاصرة، د. نعيمة سعدية،حوليات المخبر، مخبر اللسانيات واللغة العربية، العدد الثاني، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ديسمبر2014م، ص:55.

تتقاطع الإحالات المتنوّعة وتتبادل الإتّجاهات وتقوى الأوصال في النص ويزداد إتّساق الجمل والفقرات والنص ككل.

إنّ أثر الأسماء الموصولة واضح في النّص، فهي إلى جانب عملها الإتساقي، تعتبر جزءا مهما في تركيبة النّص لا يمكن الإستغناء عنها، غير أنّ تواجدها في النّص لا يماثل نسبة حضور الضمائر، فهي تحل في المنزلة الثانية بعدها، ولا يكاد أي نصّ يخلو منها، فكل اسم موصول تلازمه علاقة إحالية تشارك مع العلاقات الأخرى الموجودة في النّص في الإتّساق العام له. ويعبّر عن الإسم الموصول وما ماثله في الدور والماهية. بالعائد الإشاري. ويعني بهذا المصطلح إشارة نحوية تعود إلى شيء سبق ذكره. وبمعنى آخر هناك خاصيات لا يمكن تفسيرها دلاليا بدون الإشارة إلى خاصية أخرى في النص.مثل قوله تعالى:﴿**قَالَتْ فَذَالِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْته عَنْ نَفْسه فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ (سورة يوسف:32)ف(الذي) هنا يملك ميزات دلالية لا تستوضح إلاّ بالعودة إلى النص كلّه، ليفهم منه عائد الإسم المصول (الذي)-يوسف- في البنية العميقة"[1]. ويسم أصحاب النحو التوليدي هذا "بالعائد الإشاري الذي يحيل رجعيا إلى بنية عميقة سابقة بإعتبار الميل الشديد لإضمار الشيء بعد ذكره. ويعود هذا العائد بالإشارة إلى نوعين من العلاقات: الأولى التي ترجع إلى الوراء؛ والثانية التي تتقدم إلى الأمام"[2] فإنّ هذا التنوّع هو تنوع سيراميكيّ لأنواع الربط والإتّساق، حيث يكسب النّص حلة إتّساقية متنوّعة ومتشابكة الخيوط والعلاقات الترابطية، فإذا حذف الإسم الموصول من مكانه ظهرت الثغرة فيه وعابه التشتت وعدم الإتّساق.

وتنظر اللسانيات الحديثة إلى الإسم الموصول على أنّه وسيلة لغوية تسهم في ربط النص عن طريق "الإحالة والإستبدال ذلك لأنّ الإسم الموصول كغيره من الروابط يقوم بثلاث وظائف؛ الأولى: الإشارة إلى ما سبق أو إلى ما سيلحق. والثانية: التعويض عنه بالضمير أو ما يدل عنه.والثالثة: تحقيق الربط والتماسك في الجملة والنص؛ باعتبار أنّ الإسم الموصول يتجاوز وظيفة الإحلال والتعويض عن الإسم الظاهر إلى كونه رابطا يحقق التماسك والربط بين مكوّنات الجملة أو الجمل"[3].

وما يمكن أن نقوله ؛ هو أنّ الإسم الموصول بعلاقته التي يبرزها المعنى في الجملة و النص، يشير من خلالها إلى تعلق الأولى بالثانية، و لولاه لنشأ لبس في فهم ذلك الإنفصال الذي قد يحدث في في بنية الجملتين،

---

[1]– ينظر: الأسماء الموصولة بين المفهوم والوظيفة في ضوء اللسانيات المعاصرة، دنعيمة سعدية،المرجع نفسه، ص:54.

[2]– معجم اللسانيات الحديثة، سامي عيّاد حنا وآخرون، لبنان ناشرون، بيروت، 1997م، ص:6.

[3]– صبحي إبراهيم الفقي, علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج148/1.

فالموصول لا يخلو من غموض ولبس لا يزيله إلاّ مرجعه المتفق معه، ذلك لأن القيد الدلالي للإحالة، التي تكون بالأسماء الموصولة، هو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل و العنصر المحال إليه"[1].

[1]– ينظر: الأسماء الموصولة بين المفهوم والوظيفة في ضوء اللسانيات المعاصرة، د. نعيمة سعدية،المرجع السابق، ص:59.

الفصل الثاني:

أثر وسائل الإتّساق في النص القرآني.

أوّلاً: الحذف (ELLIPSIS):

أ – تعريف الحذف:

– لغة:

يدور الحذف في اللغة العربية على ثلاثة معاني، وهي القطع والإسقاط والقطف، فقد جاء في لسان العرب: " حذف: حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً: قَطَعَه من طَرَفه، والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر،..."[1] وقال الجوهري: حذف الشيء إسقاطه، ومنه حذفت من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذت"[2] وفي الحديث: حذف السلام في الصلاة سنّة، هو تخفيفه وترك الإطالة فيه"[3]. وفي معجم متن اللغة: "حذفه حذفا: أسقطه: قطعه من طرفه، وحذفه بالعصا: ضربه: رماه بها، والحذف بالعصا كالقذف بالحجر والحذف بالحصى.و حذفه من شعره: أخذه....و حذفه السلام: حذفه: خففه ولم يطل القول به"[4] وقد دل على هذه المعاني (أسقط، أخذ، رمى، حرّك، خفف، ولم يطل) القاموس المحيط"[5].

أمّا في معجم اللغة العربية المعاصرة، فقد كان فيه المعنى اللغوي أقرب بكثير إلى المعنى الاصطلاحي حيث جاء في معنى: حذف: "حذف، يحذف، حذفا، فهو حاذف والمفعول محذوف، حذف الشيء، قطعه، أو أسقطه، حذف المراجع عبارة من الخطاب.....حذف (مفرد)...إسقاط بعض أجراء الكلمة أو الجملة لسبب ما كحذف نون المثنى أو جمع المذكر السالم عند إضافتهما.و علامة الحذف: مجموعة من ثلاث نقاط(...)"[6] وفي الموسوعة القرآنية جاء الحذف بمعنى" إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل، وهو خلاف الأصل، لذا فإنه إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى، لأنّ الأصل عدم التغيير، وإذا دار الأمر بين قلّة المحذوف وكثرته كان الحمل على قلته أولى. ولابد للحذف من دليل، والدليل تارة يدل على

---

[1]– لسان العرب، ابن منظور، المجلد9، ص: 39.

[2]– معجم الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل، بن حماد الجوهري، مراجعة: د/محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ/2009م، ، ص: 233.

[3]– المصدر السابق، لسان العرب، مج9/ 40.

[4]– معجم متن اللغة العربية، موسوعة لغوية حديثة، الشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1377هـ/1958م، م2، ص: 49/48.

[5]– ينظر، القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مراجعة: أنس الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص: 340.

[6]– معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، م1، ص: 462.

محذوف مطلق، وتارة على محذوف معيّن"[1] وتحصيل المعنى من هذه التعريفات اللغوية أن الحذف يكون بأخذ شيء من شيء بأحد الطرق الثلاثة وهي:

- الحذف
- القطع
- الإسقاط

والحذف في العربية يعني التخلص من الحشو والزوائد التي تجعل الكلام ثقيلا على اللسان ومن مميزات اللسان العربي أنهم يلجئون إلى الاختصار في الكلام لتبليغ المعنى، ومن صوره الحذف ويعده البلاغيون وعلماء النص من طرق الاقتصاد في الكلام.

وهذا ما صرح به ابن مالك في منظومته حيث قال:

- وَحَذْفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ كَمَا... .....تَقُولُ زَيْدٌ بَعْدَ مَنْ عِنْدَكُما
- وَفِي جَوَابِ كَيْفَ زَيْدٌ قُلْ دَنِفْ..... فَزَيْدٌ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ إِذْ عُرِفْ "[2].

- إصطلاحا:

ويقصد به: اختزال بعض عناصر الجملة اللازمة في السياق العادي، وهو مجاز يعود إلى نزعة الاقتصاد في الكلام ما دام المقصود مفهوما من السياق، وقد يكون هذا الحذف في جملة تالية اعتمادا على وجود العنصر المحذوف في جملة سابقة"[3] كما استعمل النحاة الإسقاط بمعنى الحذف، ومنهم سيبويه والسيرافي والزجاج، والزجاجي، والرماني، والأعلم الشنتمري والقزّاز، والقيرواني، والصميري، وغيرهم[4].

---

[1] – الموسوعة القرآنية إبراهيم الانباري، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ–1984م، المجلد3، ص: 81.

[2]– متن ألفية بن مالك في النحو والصرف، العلامة: محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، إعداد وإخراج: دار بن خزيمة للنشر والتوزيع، ط1، 1414هـ، ص: 02.

[3]– ينظر، بلاغة الخطاب القرآني وعلم النص، د.صلاح فضل، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، ط1، 1996م، ص: 275.

[4]– الحذف والتعويض في اللهجات العربية، من خلا معجم الصحاح للجوهري، سلمان سالم رجاء السيحيمي، مكتبة القرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط1، 1415هـ، ص: 109.

"والحذف لابد أن يخضع للقبول اللغوي، وترضاه الكفاية اللغوية للمتحدثين، وتقوم عليه الأدلة والقرائن الحالية أو المقالية التي تمكن من إدراك المحذوف بوساطة السامع"[1] وإذا لم يكن كذلك كان ضربا من العبث فلا أحكام تقيده ولا معايير تضبطه.

وأجمل تعريف اصطلاحي نجده عند البلاغين وهو ما قاله عبد القاهر الجرجاني: عن الحذف، بقوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[2] وهذا يعني أن الحذف خاصية من خصائص العربية، وهو ضرب من جمال الصنعة البلاغية، فإذا حذف ما يدل على المذكور كان ذلك من الفصاحة والبيان، لأنه قد تذكر كلمات في التركيب وهي مستقبحة الحضور، فيصبح حذفها أفصح وأبين من ذكرها.

ويوضح الجرجاني بعض المحذوفات، فيقول: "فما من فعل أو اسم أو فعل نجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به"[3].

بينما عدّ ابن جنّي (ت 392هـ) الحذف في كتابة الخصائص في باب "شجاعة العربية" اعلم أن معظم ذلك، إنما هو الحذف، والزيادة والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف"[4]. فالعرب –كما ذكر ابن جنيّ– حذفت الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة. ولا يحذف شيء من هذه الأشياء إلا عن دليل يدلّ عليه[5]. فالدليل؛ إمّا أن يكون المحذوف قد ورد ذكره في مكان سابق من النصّ، أو لعلم المخاطب به. يشير ابن جنيّ إلى أَنَّ الحذف يأتي في الكلام اللاحق، وهو الأعمّ الأغلب، لأَنَّ صدر الكلام يتضمّن عادة ما يدلّ على المحذوف، وهو ما يعين المتلقّي على معرفة المحذوف، ليتمّ له بعد ذلك معرفة المعنى المراد من الكلام.

وأحيانا يعتمد في الحذف على سياق المقام؛ ومثال الاعتماد على المقام في الحذف ما جاء في كتاب سيبويه، قوله: "إنّك إذا رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربّي، كأنّك

---

[1]– أثر الكفاية اللغوية في إدراك العناصر المحذوفة في فصحى التراث، تأليف:د.بكري محمد الحاج، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية،ع3، 1419هـ/1998م، ص: 140.

[2]– دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه علق عليه، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، دت، ص: 146.

[3]– المرجع نفسه، ص: 152، 153.

[4]– الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986م، ج2/ 360.

[5]– المرجع نفسه، 360/2.

قلت ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله، أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت، فصار آية لك على معرفته فقلت: زيد وربّي، أو مسست جسدا أو شممت ريحا، فقلت زيد، أو المسك، أو ذقت طعاما فقلت العسل"[1].

ويحدد الباحثان، هاليداي، ورقية حسن الحذف بأنه: "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية"[2] وهذا ما أشار إليه د. نعمان بوقرة في كتابه "المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب".

ومن المصطلحات التي تقابله في اللغات الأجنبية "ELLIPSIS"[3] والتي تعني الحذف و"DÉLÉTION"[4] التي تعني الإضمار[5] قد وضح الزركشي أنّ الإضمار عندهم يطلق على ما يبقى له أثر في اللفظ، والحذف يطلق على ما لا يبقى له أثر في اللفظ. كما تستعمل كلمة (GAP) التي تعني (الثغرة) كمرادف لهذا المصطلح. والحذف هو خلاف الأصل البنيوي للجملة، لأنّ الأصل هو الذكر، وهذا ما بيّنه النحويون في كتبهم، لأن الأصل أن يذكر الكلام تامّا مستوفيا جميع أجزائه من غير حذف، لأنّ الحذف قد يطرأ على الكلام وذلك لأسباب بلاغية.

ويعد الإضمار والحذف الأكثر تواردا والأكثر ترابطا، "فالحذف يعني إسقاط عنصر ما، والإضمار يفيد إخفاء عنصر ما في الذهن مما يفيد أنهما ليسا مترادفين بداهة"[6] ولقد ميز الزركشي، بين الحذف والإضمار، حين يقول: "والفرق بينه (الحذف) وبين الإضمار أنّ شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ.... وهذا لا يشترط في الحذف"[7].

ب- شروط الحذف:

يشترط النحاة و العلماء شروطاً لوقوع الحذف أهمها:

---

[1]- الكتاب، سيبويه؛ 130/1.

[2]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 21.

[3] -A dictionary of stylistics and rhetori english- arabic/arabic-englisch by dr hassan sais ghazala. Elga publications. Valleta. Malta.2000. p 28.

[4] -le dictionnaire francais-arabe. F.s alwan. G. l. simon et m.said dar al kotob al ilmiyah. Beirut. Lebanon 2em edition. 2004. P 306. -

[5]- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينك منغو، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 1428هـ/2008م، ص: 19.

[6]- ظاهرة الحذف في النحو العربي محاولة للفهم، أبو شعيب برامو، مجلة عالم الفكر، العدد3، المجلد31، يناير، مارس، 2006، ص: 45.

[7]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين، خرج حديثه، وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م، ج3، ص: 115.

1- **وجود دليل مقالي:** وهو كلام يدل على المحذوف،كما في قوله تعالى:(**مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا**) (سورة النحل:30)، أي:أنزل خيراً فحذف الفعل للدليل المقالي.

2- **وجود دليل حالي:** يفهم من سياق الكلام وحال المتكلمين نحو قوله:(**قَالُوا سَلَامًا (63)**) (سورة الفرقان:63).

3- وضوح المعنى و أمن اللبس: أهم الشروط التي يجب مراعاتها مع كل ما يتصل بالنشاط اللغوي. وتأتي أهمية القول بالحذف في أنّه أحد المطالب الاستعمالية، فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المكوّنة لهذا البناء أو الجملة المكتوبة، وذلك لا يتم إلاّ إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد حذفها معنيا في الدلالة كافياً في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر، لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تشير إليه"[1]. ولقد أشارت العرب إلى هذه الأهمية من خلال وصفهم لبناء الجمل، وكيف يمكن للحذف أن يساهم في عملية اتساق الجملة، غير أنّ هذه الأهمية لا تقف عند حدود الجملة فقط، فقد تتعداه إلى الجمل المجاورة و إلى النص أو الخطاب برمته، وذلك إذا لم يضر بالسياق اللغوي والمعنى، ولذلك يقول ابن جني:"إن العرب إذا حذفت من الكلمة حرفا، أو كلمة أو جملة..راعت حال ما بقي منه، فإنّ كان مما تقبله أمثلتهم أقروه على صورته"[2] .ويلجأ النحاة إلى التقدير، لمعرفة المحذوف "وكذلك حذف الجملة بأسرها، أي العامل و المعمول معاً أو هو افتراض صياغة المفردات أو الجمل أو سبكها بهدف تصحيح الحركة الإعرابية"[3].إذ يجد المتلقي أو المؤول نفسه مضطراً إلى إعمال الذهن في ترجيح الأفكار والمعاني المؤولة، وإعادة تسييق نص افتراضي آخر،ي حدد البنية العميقة للنص الفعلي الذي يتلقاه المستقبلون والمخاطبون،لأنّه مما هو مشهور أنّ "التقدير من الأمور التي تحتاج في عملها إلى إعمال الفكر والعقل، خاصة أن مجال عملها هو الجانب الخفي غير الظاهر من الأشياء"[4].وهنا يقول دي بوجراند:"الحذف ellipsis وهو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعمل بواسطة العبارات الناقصة"[5].

فكل اللغات الإنسانية تتميّز باختزال الطريق لتبليغ المقصود الكلامي لذلك فهي تميل إلى ظاهرة الحذف ميلا طبيعيا لأن المواقف الاتصالية تتطلب حدوث ذلك، إذ يستدعي الموقف الاتصالي الاختزال والاختصار حتى تصل الرسالة بوضوح من جهة، وحتى لا يشعر المتلقي بالسأم والملل من جهة أخرى"[6].ونضرب

---

[1]–في بناء الجملة العربية،د/ محمد حماسة عبد اللطيف،دار غريب،القاهرة،ط1، 2003م، ص:346.

[2]–الخصائص،أبو الفتح عثمان بن حي،تحقيق:محمد علي نجار،مصر،دار الكتب المصرية،1957م،ج3/ص:115.

[3]–الحذف و التقدير في النحو العربي،علي أبو المكارم،دار غريب،القاهرة،ط2007،ص:205.

[4]–الحذف و التقدير في بنية الكلمة،كمال سعد،دكتوراه علوم،دار العلوم،القاهرة،1993م،ص:11.

[5]–النص و الخطاب و الإجراء،روبرت دي بوجراند،ص:301.

[6]–ينظر:الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب،خليل بن ياسر البطاشي،ص:192.

مثالا لذلك في حذف المفعول به بعد نفي العلم، حيث نجد كثيرا من الآيات تنتهي بالجملة الفعلية (يعلمون) أو (لا تعلمون) دون أن يذكر للفعل واحد من مفعوليه أو كليهما نحو قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)** ﴾ (سورة البقرة:216) فمفعولا "يعلم" و"تعلمون"محذوفات، دلّ عليهما ما قبله أي :والله يعلم الخير والشرّ وأنتم لا تعلمونهما لأنّ الله يعلم الأشياء على ما هي عليه و الناس يشتبه عليهم العلم فيظنون الملائم نافعاً والمتنافر ضاراً"[1].ويعد الحذف أحد العوامل التي تحقق التماسك النصي، ويتم هذا الأمر من جانبين:

– **الأوّل**: أنّ الحذف يترك فجوة في الخطاب تحث المتلقي على البحث عمّا يشغلها ويسدّها، ويستعين في بحثه هذا بمكونات الخطاب الذي بين يديه.

– **الثاني**: هو ما يشترطه علماء اللغة القدماء والمحدثون في المحذوف، وهو أن يكون من جنس المذكور أو أن يكون في المذكور ما يدل عليه، إذ بهذا لا يتعدى الحذف عملية تكرار حذف المكرر فيها مؤقتا، فمثلا الشاهد الذي جاء به المبرد على الحذف وهو قول الشاعر:

– نحن بما عندنا، و أنت بما عندك راضٍ، و الرأي مختلف.

والتقدير (راضون)، وهكذا بعد التقدير للمحذوف يحدث الترابط بين الشطرين وذلك لتكرار اللفظ"[2].

ج– الحذف في بنية النص:

يقول د/أحمد عفيفي:"لاشك أن الحذف في اللغة سواء كان قياسيا أو سماعيا، هو نوع من التخفيف من الثقل النطقي للفظ، أو التخفيف من بعض عناصر الجملة في حال طولها، سواء كان لحرف أو لكلمة، أو لجملة"[3] وإذا كان حذف الحرف للتخفيف، فحذف الكلمة أو الجملة من باب أولى بدلالة السياق. وعندما نعود إلى الخصائص نجد أَنَّ الجملة تحذف في مواضع منها؛ القسم: كقولنا: والله لا فعلت، والأصل أقسم بالله، وتحذف أيضا في الأمر والنهي والتحضيض، "فتقول: زيدا إذا أردت: اضرب زيدا أو نحوه، ومنه إياك إذا حذّرته، أي احفظ نفسك ولا تضعها، الطريق الطريق، وهلاّ خيرا من ذلك...، وكذلك في الشرط في نحو قوله: الناس مجزيّون بأفعالهم إن خيرا فخيرا، وإن شرّا فشرّا؛ أي إن فعل المرء خيرا جزي خيرا، وإن فعل شرّا جزي شرّا"[4]. أما حذف المفرد فيكون في الاسم والفعل والحرف، وحذف الاسم يكون في مواضع كثيرة منها؛ حذف المبتدأ، نحو

---

[1]–تفسير التحرير و التنوير ،محمد الطاهر بن عاشور،308/2.

[2]–ينظر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب،خليل بن ياسر البطاشي،ص:192.

[3]– ظاهرة التخفيف في النحو العربي، أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1417هـ/1996م، ص: 217.

[4]– الخصائص، ابن جنّي؛ 360/2.

قوله تعالى: ﴿ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (الأحقاف: 35.) ، والتقدير ذلك، أو هذا بلاغ[1].

وإذا ما نظرنا إلى الحذف من الجانب النصي، سوف نجده عنصرا من عناصر الإتساق، لأنه يقوم بالربط بين أجزاء التراكيب حتى في غياب اللفظة، لهذا "استخدم البنيويون هذا المصطلح ليدلوا به على حذف بعض المعلومات في السياق السردي، فهناك فجوات يتعذر تحديد مكانها، ويطلق عليها اسم الفجوة الافتراضية والتي تعرف بوجودها من خلال الاسترجاع"[2] فالحذف أو الفراغ الذي يتركه المؤلف "يؤدي بالمتلقي إلى الرجوع إلى الخطاب السابق للوصول إلى ما يسد به هذا الفراغ، مما يوجد علاقة بين السياق الحالي وما سبق، فيحس المتلقي بلذة هذا الجهد الذي بذله في قراءة النص وتفسيره، إضافة إلى ضمان وضوح الرسالة التي يتلقاها لأنه شارك في إنتاجها ولم يستأثر المرسل بذلك"[3] وهنا يظهر القارئ بمظهر البنّاء الذي يبحث عن الفراغ. فيهتدي إلى"ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق"[4]

والحذف لا يتم "إلاّ إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، كافيا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره"[5]، لذلك كان الحذف بمثابة التسوية والإصلاح والابتعاد عن الثقل والتكلف. مثله مثل الطريق التي تكثر فيها التعرجات، فإذا حذفت هذه التعرجات استوت وصارت صالحة للسير، مختصرة، للزمن والمسافة، وتكاد تكون هذه الخصائص هي نفس خصائص الحذف وقد شرح محمد شاوش ظاهرة الحذف ومجالها أين يكون الحذف على مستوى"الصيغ المستعملة المنجزة، فهي التي تغيب منها بعض العناصر تارة وتحضر أخرى"[6].

ومما سبق ذكره، فإن الحذف يقتضي"حين يقع في جمل النص عملا تأويليا ينجزه المتقبل حين يملأ الفجوات ويتمم ما يراه ناقصا بما يجده مناسبا لمقتضى التركيب، وهكذا يتبين أن مفهوم الحذف قائم في جوهره على مفهوم "التكليف" فالمتقبل مكلف بتعمير الفراغات.و يقتضي منه ذلك الفعل جهدا تأويليا محوره استنباط

---

(1) يُنظر:المرجع نفسه، 362/2.

2– المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، الجيزة، ط3، 2003م، ص: 252–253.

3– الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1430هـ/2009م، ص: 71.

4– لسانيات الخطاب، محمد حطابي، ص: 21.

5– بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2003م، ص: 259.

6– أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس"نحو النص"، محمد الشاوش، ج1210/2.

الشق المفقود باستقراء القسم الموجود من الجملة"[1]. وهو من الوسائل التي يتمّ بها الاتساق. والحذف أنواعه في العربيّة كثيرة. إذ يلجأ إليه مستعملو اللغة للخفّة ولعلم المخاطب به، وغالبا ما يكون المحذوف قد ورد ذكره في الكلام، فتستثقل إعادته، ذلك أنَّ المخاطب قد علم موقعه من الكلام، فيستغنى عن إعادته وتكراره.

أشار سيبويه في كتابه إلى هذا الكلام في أكثر من موضع، منها تعليقه على الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء**﴾ (البقرة،171)، يقول سيبويه: "فلم يشبهوا بما ينعق، وإنّما شبهّوا بالمنعوق به، وإنّما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع. لكنّه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى"[2].

فالحذف هنا جاء لغاية هي الإيجاز، واعتمد فيه على علم المخاطب بمعناه. وقد أكّد سيبويه قوله هذا في موضع آخر، في حديثه عن (ليس غير، وليس إلاّ)؛ بقوله: "كأنّه قال ليس إلاّ ذاك، وليس غير ذاك، ولكنهّم حذفوا ذلك تخفيفا، واكتفاء بعلم المخاطب ما يعني"[3].فهذا النوع من الحذف يعتمد فيه المتلقّي على حواسه في معرفة المحذوف ولا يكون هذا إلاّ في الخطاب الشفويّ عندما يكون المتلقّي حاضرا يرى ويسمع ويتحسس، والاعتماد فيه كليا على سياق المقام، ولا يعتمد هذا النوع من الحذف في الخطاب المكتوب أو في الإخبار عن الغائب، إذ يتوجب حضور المحذوف في ذهن المتلقّي، ليعلم ما حذف من الكلام، كي يستطيع ربط أجزائه باستحضار ما حذف منه. وقد استبعد النصّيون هذا النوع من الحذف لعدم وجود المادّة اللغويّة المفترضة التي يستدعيها المتلقّي من مكان آخر من النصّ ليملأ بها الفراغ الذي يتركه الحذف.

والكلام في الحذف واسع كثير، لا يتسع له المجال في فصلنا، إنّما أردنا من حديثنا عن الحذف أن نبيّن أهميته في الكلام العربيّ، ودوره في انسياب الكلام وخفته، ودوره أيضا في اتّساق الكلام، بالاعتماد على علم المخاطب بالمحذوف لوجود ما يدلّ عليه في الكلام السابق، إذ لا يحسن الحذف مع جهل المخاطب بالمحذوف ومكانه من الكلام، وما يتبعه من لبس في معنى الكلام، وغياب دلالته على المتلقّي.

د- الحذف بين علم النص وعلوم اللغة:

ويقع الحذف داخل النص، بحيث يوجد العنصر المفترض ذكره في نص سابق، و هذا يعني أنّ علاقة الحذف هي عادة علاقة قبلية، حيث نجد في الجملة الثانية فراغاً بنيوياً يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد

---

[1]- مقالات في تحليل الخطاب، تقديم حمادي صمود، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة وحدة البحث في تحليل الخطاب، 2008، ص: 167.

[2]- الكتاب، سيبويه؛ 212/1.

3- ينظر،الكتاب، سيبويه؛ 344/2-345.

في الجملة السابقة التي لها علاقة بالعنصر المحذوف أو في النص السابق، ومثال ذلك:(يقرأ عمر قصيدة، وهند قصة) إذ نجد أن العنصر المحذوف في الجملة الثانية يهدينا لمعرفته العلاقة بين الجملتين وهو وجود الفعل (يقرأ) مذكوراً في الجملة الأولى أمّا في الثانية فقد حذف لعلم المتلقي بذلك مسبقاً. ويكون الحذف على نية تكرار اللفظ المحذوف، وهناك علاقة كذلك بين الحذف و المرجعية ،إذ الحذف يمثل علاقة مرجعية لما سبق، وقد تكون مرجعية الحذف خارجية (غير نصية) يعتمد على سياق الحال الذي يمدّنا بالمعلومات التي تسهم في تقدير المحذوف، و يرى جلّ الباحثين في علم اللغة النصيّ أن الحذف ذا المرجعية الخارجية لا يحقق التماسك"[1].

كما يعد البعض الآخر أنّ الحذف القريب الذي يكون على مستوى الجملة لا يشكل أهمية في اتساق النص ،وأنه علاقة تساهم في الإرتباط القريب بين الجمل، و أنّ العلاقات النصية تمتد إلى أبعد نقطة في النص. يكون للحذف دوراً في تحقيق الإتّساق على مستوى النص لذلك يهتم علماء لغة النص بالحذف الذي يربط بين العناصر المتباعدة في الفقرات وبين الفقرات داخل النصوص، فهذا ما يسمى بالإتساق النصي عندهم بعلاقة الحذف.

هـ- صلة الحذف بالروابط النصية في بعض الدراسات:

"يبدو تناول هاليداي و رقية حسن لقضية الحذف نتيجة حتمية لاهتمامهما بالنص و لتجاوزهما نطاق الأنحاء التي اهتمت بالجملة الواحدة ولإدخالهما السياق بنوعيه المقامي و المقالي في الجهاز الوصفي المعتمد ،وليس الحذف من المفاهيم الغائبة عن النحو العربي ولا من تلك القضايا التي ذكرت عرضا، بل إن كثرة ما حدّث به النحاة عن هذه الظاهرة وعودتها في مختلف الأبواب و المباحث قد جعلت بعضهم يضيق بها ويرى أنّه يمكن التخفيف منها بل و الاستغناء عنها دون أن يلحق النحو ضيم "[2]. كما أن هناك بعض الظواهر المتاخمة للحذف في العربية ذكرها محمد الشاوش في كتابه (أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية) وهي:(الاقتضاب والاختصار و الاقتصار و الإيجاز)[3]. وهذا ما قاله أبو البقاء بن موسى (1094هـ/1683م)في كتابه (الكليات) "هو تقليل المباني مع إبقاء المعاني أو حذف عرض الكلام، وهو حلّ مقصود العرب، وعليه مبنى أكثر كلامهم، ومن ثمة وضعوا الضمائر،لأنها أخصر في الظواهر خصوصاً ضمير الغيبة، فإنه في قوله تعالى:(**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً**) (سورة الأحزاب:35) قام مقام عشرين ظاهراً كما قال بعض المحققين"[4].

و- أثر الحذف في اتساق النص:

---

[1]-الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب،خليل بن ياسر البطاشي،ص:193.

[2]- أصول تحليل الخطاب في النظرية العربية،تأسس نحو النص،محمد الشاوش،المجلد الثاني،ص:1132.

[3]-- المرجع نفسه، المجلد الثاني،ص:1135.

[4]-موسوعة علوم اللغة العربية،ايميل بديع يعقوب،ج1،ص:289.

استمدت فكرة الأثر من عند التحوليين في نظريتهم النموذجية الموسعة "التي تشتمل على مفهوم جديد هو مفهوم الأثر (Trace) الذي يمكن القول بمقتضاه وفقا لتشومسكي،بأنه علم الدلالة بمجمله يتعيّن بالبنية السطحية للجمل،و يعرف تشومسكي الأثر، بأنه عنصر معدوم من الوجهة الصوتية غير أنه يشير إلى الموقع الأصلي الذي كان يحتله في البنية العميقة عنصر معين؛ كان قد تم حذفه أو إزاحته بواسطة تحويل معين"[1].و قد عبّر سيبويه عن ذلك بالترك و ترك الذكر كما نجد لها تسمية أخرى و هي (الإضمار دون علامة)[2].

الحذف ظاهرة عامة تتميز بها كل اللغات، إذا دّل على العنصر المحذوف شيء من ذلك "حذف بعض العناصر المكررة أو حذف ما يمكن أن يفهمه السامع اعتمادا على القرائن المصاحبة للكلام"[3] وقد اعتبر الباحثان هاليداي ورقية حسن أن الحذف إحدى آليات الاتساق النصي، "حيث يسهم في بناء النص، خاصة وإن دليله (أي الدليل المقالي) موجود داخل النص"[4] وقد سمى علماء النص الحذف "بالمعنى العدمي" اعتدادا "على ما يسمونه ب (ZERO MORPHEME) فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبا بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي"[5] لأنّه لو اعتمدت النصوص والأقوال من غير حذف لوقع التكرار وطال الكلام، وكثر اللفظ، وانحط المعنى، " إذ أنه من غير المعقول بالنسبة للناس أن يحوّلوا كل شيء يقولونه أو يفهمونه إلى جمل كاملة، فلو فعلوا لكان أولى بهم أن يفضلوا أن يتكلموا بجمل تامة أكثر كثيرا مما يفعلون"[6]. وقد دعا الباحثين الغربيين إلى ربط الحذف بما يسمى لديهم بالإبدال، ويختلف الإبدال لديهم عمّا هو عند العرب فالعرب يعدّونه من التوابع، أمّا عند هؤلاء فهو حلول عنصر خطابي محل عنصر آخر في الضمائر والإشارة، ويرون أن الحذف كذلك يعد من الإبدال، لكن يبقى البديل غائبا، لذلك يطلقون عليه (الإبدال الصفري)[7].

وقد وضحت هاليداي وحسن، المسار الخطي لظاهرة الحذف إذ أن "الحذف يكون من اليمين... ويتحرك دائما ليكون في الكلمة الأخيرة..."[8]، وهذا ما يفرض على المتلقي الرجوع دائما إلى العنصر السابق ليحدد مواضع الحذف ويسهل عليه تأويلها وبهذا فإنه يسهم في خلق الإتّساق بين عناصر النص وأجزائه. لأن

---

[1]–النحو و الدلالة،مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي،د/محمد حماسة عبد اللطيف،ص:145.

[2]– ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، محمد الشاوش/ المجلد الثاني، ص:1133.

[3]– ينظر،الإعجاز بإيجاز الحذف في القرآن الكريم، سنتا محمد علي، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات، العدد الثاني، فبراير2011م، ص: 5.

[4]–ينظر، من مظاهر التماسك النصي في القصص القرآني، الحذف في سورة يوسف نموذجا، زيد شهاب العامري، د/هشام سليمان يوسف اليوسفي، مجلة الآداب، مج26، العدد3، جامعة الملك سعود، الرياض، 2014م/1435هـ، ص: 166.

[5]–ينظر، النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، مقدمة الكتاب، د.تمام حسان، ص: 34.

[6]–ينظر، المرجع نفسه، ص: 34.

[7]–ينظر:الترابط النصي،في ضوء التحليل اللساني للخطاب،خليل بن ياسر البطاشي،ص:192–193.

[8] – cohesion in englisch.m. Halliday and r.hassan p 173.

الحذف أجبره على تحديد مواضع المحذوف وتقديره، ومن هنا فإن الحذف "يقوم بدور معين في اتساق النص، وإن كان هذا الدور مختلفا من حيث الكيف عن الاتساق بالإستبدال أو الإحالة"[1] "والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الإستبدال إلا بكون الأول "استبدالا بالصفر" أي أن علاقة الاستبدال تترك أثرا، وأثرها هو وجود أحد عناصر الإستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثرا "[2].و الحذف وسيلة أخرى من وسائل الاتّساق، وهو -كما أشرنا في حديثنا عن الإبدال -علاقة نحويةً/معجميَّة تتمُّ داخل النصّ ويشبه الإبدال من حيث آليَّة الاستعمال. إذ إنَّ الحذف -كما يصفه المؤلفان- إبدال بدرجة الصفر؛ أي أنَّ المبدل به لا يذكر وإنَّما يترك فراغا يملأه القارئ باعتماده على النصّ السابق، فالمادَّة المحذوفة "إذا جاز التعبير تترك فراغا في التركيب يُملأ من مكان آخر، وهو يشبه افتراض الإبدال، إلا أنَّ الإبدال واضح المقابل، وهو مستعمل"[3].

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن"الحذف ليست أنماطه كلها تسهم مباشرة في تحقيق تماسك النص، إذ منها ما يكون بعيدا عن هذه الوظيفة"[4] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ (**الأنعام 22.**) فالتقدير(يتقون الله) لدلالة السياق إلا أنه ليس-هنا- ما يحال إليه المحذوف، ومن ثم يصب القول بإمكانية تحقق التماسك"[5] "ولا يقل الحذف أهمية عن غيره من الوسائل في تحقيق تماسك النص لأن المحذوف يعامل من ناحية الدلالة معاملة المذكور"[6].

وهكذا يكمن أثر الحذف في توسيع (مدّ) السيطرة الدلالية أو النصية لجملة ما إلى جملة ثانية"[7] وعليه فإن "دور الحذف في اتساق النص ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل، وليس داخل الجملة الواحدة. لأن العلاقة داخل الجملة الواحدة علاقة بنيوية لا يؤدي فيها الحذف صورة من صور التماسك كما يقول هاليداي، فالقارئ حين يجد فراغا بنيويا في الجملة الثانية فإنّه يبحث عنه اعتمادا على ما ورد في النص السابق"[8]. يقوم الحذف بدور معين في اتساق النص،و إن كان هذا الدور مختلفا من حيث الكيف عن الإتّساق بالاستبدال والإحالة ، والمظهر البارز الذي يجعل الحذف مختلفا عنهما هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من

---

[1]- لسانيات النص، محمد حطابي، ص: 22.

[2]- المرجع نفسه، ص: 21.

[3]-Cohesion in English – Halliday and Hasan; p.p. 143.

[4]- العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، أحمد عزت يونس، 226.

[5]- المرجع نفسه، ص: 226.

[6]- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ج246/2.

[7] -Stephen p.witte e lester faigley. coherence. Cohesion and writing quality. College composition and communication. October. 1981.pp 189-203- P 191.

[8]- مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، صبري إبراهيم السيد،ص: 305.

النص"[1].لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى ،فإذا فهم المعنى بدون اللفظ جاز ألا تأتي به، و يكون مراداً حكماً و تقديراً"[2].

إن الحذف جزء لا يتجزأ من عملية فهم النص وتفسيره"من خلال تفاعل النص مع طرفي الإنتاج والتلقي (المنتج) (المتلقي)، فالحذف عملية اختيار يلجأ الكاتب إليها لتحقيق مقاصد معينة، ويسعى المتلقي إلى استنباط تلك المقاصد عبر قراءته للنص في محاولة للكشف عن دور الحذف في صنع تماسك النص"[3].

كما يحقق الحذف الترابط من خلال البحث عما يملأ الفراغ فيما سبق من خطاب وبذلك "يقوم المتلقي للنص بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي وما سبق من خطاب"[4] وهناك أمثلة كثيرة ترشدنا للبحث عن العنصر المحذوف بدقة، ويكون لعقل المتلقي دورا بالغ الأهمية في تحديد المحذوف، وبهذه العملية يتحقق الاتساق بين العنصر المحذوف والعنصر المذكور، كما في قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22)** ﴾ (الأنعام، 22) وإذا حذف مفعولي (زعم) والأصل تزعمونهم شركاء[5] لأن دلالة السياق كشفت عن العنصر المحذوف من الآية، وبإمعان في تراكيب الآية نجد أطراف الآية (يوم نحشرهم جميعا)، (وكنتم تزعمون) يتجاذبان الاتساق بينهما، حتى يستقيم المعنى ويحصل التأويل بعيدا عن اللبس وفي تحديد العنصر المحذوف.

ولتحديد مرجعية الحذف، يجب فهم السياق جيدا، وتقفي مواضع الحذف والربط بين الكلام السابق واللاحق، حتى يتضح الاتساق بين الكلام ويظهر النص متماسكا مترابطا، في تلاحم شديد، يرتبط السابق باللاحق، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (152)** ﴾ (**الأعراف، 152.**) وفي تقدير المحذوف أي: اتخذوا العجل إلها، فمرجعية الحذف–هنا– مرجعية داخلية سابقة، بدليل قوله تعالى من نفس السورة: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138)** ﴾ (الأعراف، 138.) وعن ذلك يقول بن عاشور"وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ هُمُ الَّذِينَ عَبَدُوهُ فَالْمَفْعُولُ الثَّانِي لِ اتَّخَذُوا مَحْذُوفٌ اخْتِصَارًا ، أَيِ اتَّخَذُوهُ إِلَهًا**."** [6].

---

[1]– أبحاث في علم اللغة النصي و تحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،ص:20.

[2]– شرح المفصل ،لابن يعش،ج94/1،

[3]– علم لغة النص، النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص: 174.

[4]– الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، إعداد: خليل بن ياسر البطاشي، ص: 71.

[5]– ينظر، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، علق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ/2009م، ص: 322.

[6]– تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج119/10.

والحذف بوصفه أسلوبا تحويليا، يسهم في الكشف عن كثير من المعاني العميقة والأسرار الجمالية الجمّة، من خلال ما يتضمّنه من إيجاز و مزية، و أسرار جمالية يحسها المتلقي، و يعيش من إيحاءاتها التي تبدو تصويرية في كثير من الأوقات، على أن لا يساهم هذا الحذف في إضعاف المعنى، و تفتيته بل يعند إلى تكثيفه وشد أزره، فيجمع بين القوّة في التركيب والدّقة في البيان"[1] وإذا كانت ظاهرة الحذف في المسند والمسند إليه تحقق معاني بلاغية، فإنّها كذلك في حذف بعض قيود الجملة و متعلقاتها، كحذف الصوت أو اللفظ، أو الأداة أو الجملة، مما يشكل فسحة كبيرة للتعبير البلاغي، لا سيما تلك التي يكون فيها الحذف عدولا عن المألوف، و انزياحا عن القاعدة المعيارية المعروفة؛ التي ذكرها الجرجاني، وهي(ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد في الإفادة). وهنا لا بدّ أن نشير إلى أنّ الحذف لا يساهم فقط في إتّساق النص و تقويته وترابطه، بل له قيمة بلاغية إضافية ومعنوية للسياق، لأنّ المعنى"يفهم من السياق أكثر مما يفهم من الوحدات الصريحة التي تؤلفه؛ أي أنّ السياق قد يعطي المدلولات التي لا يمكن أن تعزى بشكل بسيط إلى وحدة معيّنة، أو وحدات مضمونة بطريقة آلية"[2]" وللبنية دور كبير في تحديد العنصر المحذوف، ويكون ذلك متى تمّ الإعتماد على البنية السابقة لإرجاع العنصر المحذوف"[3]. "ويظهر دور الحذف في تحقيق الإيجاز للخطاب، وبالتالي تكثيفه وشد بعضه إلى بعض ، لأن كثرة التفاصيل والتكرار في الكلام يؤدي إلى الترهل الخطاب، و انفلاته عن مجراه، وتشتته ، ومن ثم يفقد قوته في الترابط، وبالتالي يعجز عن توصيل الرسالة المطلوبة إلى المتلقي، ويؤدي الإسهاب و التكرار و الإطناب في غير موضعه إلى توسيع المسافة بين البؤرة الدلالية المركزية وأجزاء الخطاب"[4] ولهذا فإنه لا يمكن "أن نغفل دلالة المفردات المستخدمة في الجملة و دورها في الحكم على ما يوجد من الحذف في بناء الجملة ،من حيث أنّ هذه المفردات بالعلاقات النحوية التي تقع بنيها تعد قرينة لفظية أو حالية تساعد على الحكم بالحذف"[5] .

ز- علاقة الحذف بالإحالة:

يأتي الحذف في النص القرآني على مستويات مختلفة بدءا من حذف الحرف و الكلمة ثم حذف الجملة،و انتهاء بحذف الجمل (النص)، وتعمل هذه المستويات المختلفة على ربط النص على مسافات متفاوتة فأحيانا تكون المسافة معدومة بين القرينة وموضع الحذف وأحيانا أخرى تكون بعيدة"[6]. ويعتبر الحذف ذو طبيعة مرجعية سابقة، وحتى يعرف المحذوف يجب أن يحضر في النص، ما يشير إليه، كتوفر القرائن التي تدل على أن

---

[1]- ينظر: خصائص التركيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1980م، ص:213.

[2]- نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف،دار الأندلس، القاهرة ط2، 1981م، ص:161.-162.

[3]- ينظر:أصول تحليل الخطاب في نظرية النحوية العربية،"تأسيس نحو النص"،محمد الشاوش، المجلد الأوّل،ص:134.

[4]-الترابط النصي اللساني للخطاب،خليل بن ياسر البطاشي،ص:196.

[5]-النحو و الدلالة،مدخل لدراسة المعنى النحوي،الدلالي،د/حماسة عبد اللطيف،ص:134.

[6]- ينظر، التماسك و التناسب،دراسة في بلاغة النص القرآني،د.محمد أحمد أبو بكر أبو عامود،ص:181.

عنصرا لغويا، من المفروض أن يتواجد في مكان ما، لكنه حذف لوظيفة بلاغية، فشرط الحذف "هو العلم بالمحذوف وهذه الكلمة هي الأساس الذي تدور عليه ظاهرة الحذف، لأن الحذف دون توفر القرينة والدليل من باب تكليف الغيب والرجم به"[1] ويعد علماء النص هذه القرينة بمثابة المرجع والإحالة داخل النص.

أما إذا كان المحذوف يشير إلى مرجعية خارج النص، تساعد على التفسير وإزالة الغموض، بناءا على المقام الذي قيل فيه أو السياق. حيث لا نجد للعنصر المحذوف مكانا في اتساق النص، لأنه لا يساهم في الربط بين أجزاء النص، لأن "الحذف المرجعي للخارج –خارج النص– ليس له مكان في التماسك"[2] لأنه لا يربط بين وحدات النص المختلفة فأماكن تواجد هذا النوع على مستوى الجملة الواحدة لا على مستوى الجمل المترابطة."وإنّ هذه الوظيفة هامة لأنّها تعوّض سمة لغوية كان من شأنها أن تفصل الإشارات عن الأشياء"[3].

وخير مثال على ذلك موجود في أسلوب الاستفهام، وحتى ترتبط جملة الاستفهام بجملة الجواب، يجب أن تكون هناك مرجعية معلومة تنسق بين جملة الاستفهام وجملة الجواب، لأنه في جملة الجملة "يوفي الغالب، حذف الكثير من العناصر في جملة الجواب، يدل عليه ما ذكر في جملة الاستفهام"[4].

ح – الحذف ومرجعيته و دوره في تحقيق الإتّساق في النصّ:

يعد الحذف من أهم القضايا التركيبية التي يهتم بها البلاغيون و النحويون وهو يساهم في اتساق النص بطريقته الخاصة،حيث يظهر على مستوى البنية السطحية العنصر المذكور الذي تربطه علاقة معنوية بعنصر آخر محذوف على مستوى البنية العميقة، فالعنصر المحذوف يمكن اكتشافه بمبدأ التأويل، وعنه يقول محمود سليمان ياقوت "وهي ظاهرة ترتبط كثيراً بالمستويات اللغوية كالمستوى التركيبي و المستوى الدلالي، و لا يمكن إقامة هذين المستويين في الجملة دون تقدير ما هو محذوف ورده إلى دليل على ضوء ما تم وضعه من قواعد و قوانين"[5]. فلا يمكن إقامة علاقة، وبين العنصر المحذوف ما لم يكن هناك دليل دلّ على هذه العلاقة و يكون هذا الدليل مذكوراً في البنية السطحية و منه تنطلق العلاقة بحيث تصبح مثل مورد العين لتصب في المصب الذي يتواجد فيه العنصر المحذوف، وأمّا العلاقة التي تربط بينهما فهي بمثابة مجرى الماء الذي يربط بين المورد والمصب أي بين العنصر المذكور والعنصر المحذوف، فإذا ظهر الإنسجام بينهما حدث إتّساق على مستوى البنية السطحية و المعاني هي التي تحدد ذلك. "ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن العلماء و المفسرين ناقشوا قضية تقدير المحذوفات وخاصة في

---

[1]– أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية، تأسيس "نحو النص"، محمد الشاوش، ج2/ 1148.

[2]– علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د/صبحي إبراهيم الفقي،ج2/ 201.

[3]–الأسلوبية وتحليل الخطاب،د.منذر العيّاشي، مركز الإنماء الحضاري، ص:132.

[4]– cohesion in englisch.m. Halliday and r.hassan P 144.

[5]–قضايا التقدير النحوي بين القدماء و المحدثين، محمود سليمان الياقوت،دار المعارف،مصر،(د.ط)، 1985م ص:209.

عملية الترجمة،حيث نجد أن المترجم يؤدي دوراً مهماً في ترجمة الفراغ الذي أحدثه الحذف عن طريق الدليل الموجود في النص،أو بالرجوع إلى كتب التفاسير حتى لا تقع الترجمة في الخطأ أو القصور"[1].

وإذا نظرنا إلى أنماط الحذف عند ابن هشام مثلا،نجد ما تشمل حذف الحركة ،مثل:التنوين، وحذف الحرف،مثل:قد ،و ما، و فاء الجواب و غيرها، وحذف الاسم ، وحذف الفعل،و حذف العبارة، وحذف الجملة و الكلام بجملته، و حذف أكثر من الجملة و يرى بعض الباحثين المعاصرين أنه بالإمكان أن يدخل في ضمن الحذف القولي:حذف العبارة أو الجملة أو الكلام أو أكثر من الجملة،وينطلقوا من ذلك إلى الاتصال و الإتّساق بين الآيات القرآنية غبر الحذف و المحذوف، و لا يقتصر دور الحذف على تحقيق الإتّساق بين عناصر الآية الواحدة بل يحدث الإتّساق بين أكثر من آية"[2].

وهنا يمكن التميز بين ضربين من مرجعية الحذف:

– على مستوى الجمل: وتكون المرجعية إما سابقة أو لاحقة أو متبادلة وتساهم في تحقيق اتساق النص.

– على مستوى الجملة الواحدة (المنفردة): وتكون المرجعية فيه خارج النص، وليس لها دور في تحقيق الاتساق.لأن الاتساق يكون على مستوى الجمل أي داخل النص، وليس في العلاقة بين الجملة وسياقها الخارجي.

أما إذا كان المحذوف يشير إلى مرجعية خارج النص، تساعد على التفسير وإزالة الغموض، بناءا على المقام الذي قيل فيه أو السياق.حيث لا نجد للعنصر المحذوف مكانا في اتساق النص، لأنه لا يساهم في الرّبط بين أجزاء النص، لأن "الحذف المرجعي للخارج – خارج النص- ليس له مكان في التماسك"[3] لأنه لا يربط بين وحدات النص المختلفة فأماكن تواجد هذا النوع على مستوى الجملة الواحدة لا على مستوى الجمل المترابطة. وخير مثال على ذلك موجود في أسلوب الاستفهام، وحتى ترتبط جملة الاستفهام بجملة الجواب، يجب أن تكون هناك مرجعية معلومة تنسق بين جملة الاستفهام وجملة الجواب، لأنه في جملة الجملة "يوفي الغالب، حذف الكثير من العناصر في جملة الجواب، يدل عليه ما ذكر في جملة الاستفهام"[4].

---

[1]–أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،ص:19.

[2]– المرجع نفسه،ص:19–20.وينظر:مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/ابن هشام الأنصاري، مج2/392–439.

[3]– علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د/صبحي ابراهيم الفقي،ج2/ 201.

[4]– cohesion in englisch.m. Halliday and r.hassan P 144.

"ومن ذلك الدليل والتقدير يظهر دور هذا الفن في التماسك النصي، فالمقدر في البنية العميقة يحيل إلى الدليل في البنية السطحية، و قد يكون هذا الدليل مذكوراً قبل المحذوف فتكون المرجعية قبلية وهذا النوع هو الغالب. وقد يكون الدليل مذكورا بعد المحذوف فتكون المرجعية بعدية و تكون المرجعية في الحالتين السابقتين داخلية...و في أحيان قليلة يعتمد الدليل على معرفة السياق حيث يظهر المحذوف وتقديره من خلال فهم السياق وهنا تكون المرجعية خارجية"[1].والمخطط التالي يبين علاقة المذكور و نوع المرجعية:

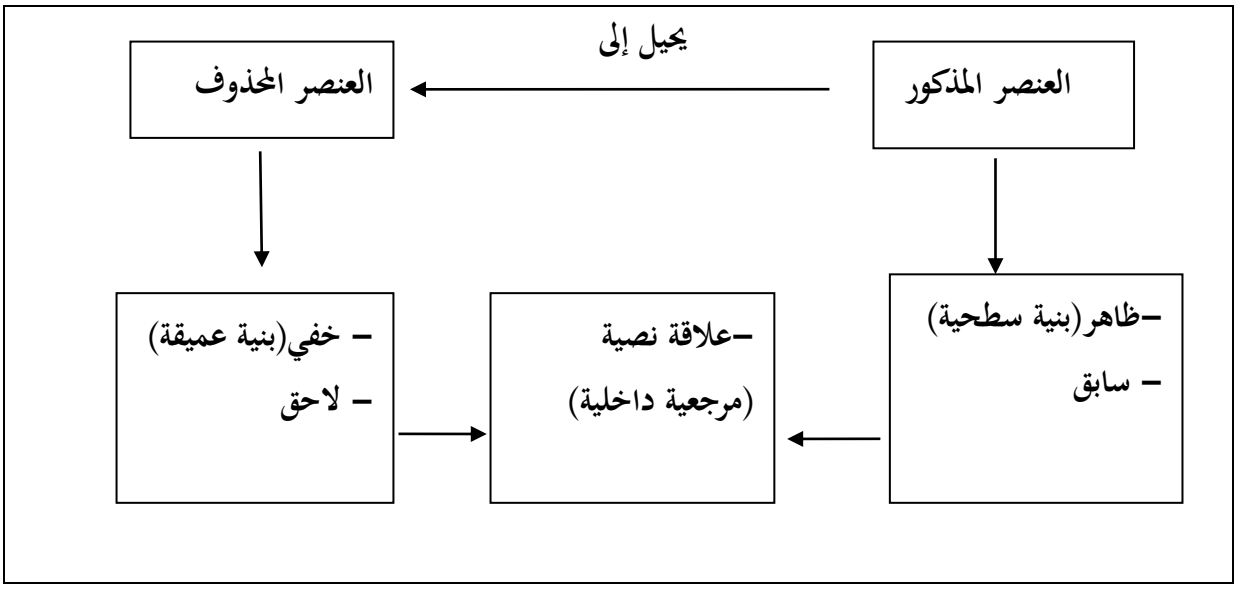

ط– صور الحذف:

"الأصل في الكلمة أن تذكر في الكلام، ولكن قد تعتريها أحوال من الحذف لأسباب وضعية ترتبط عادة بالتخفيف، أو لأسباب استعمالية تحكمها أغراض بلاغية، ولا يختص الحذف بنوع من أنواع الكلمة بل يشمل جميع أقسامها، فمن أمثلة حذف الفعل "الصدق الصدق"(أي إلزم الصدق)، ومن شواهد حذف الاسم قوله تعالى(**و كلا وعد الله الحسن**)} (أي وعده)، ومن شواهد حذف الحرف قوله تعالى:(**واختاروا موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا**) (أي من قومه)"[2]. أمّا في معجم اللغة العربية، فهو مرادف للإختصار و إيجار الكلام بحذف شيء منه، فإن لم يكن حذف، فهو اختصار، وهو مرادف للإيجار، وقيل:هو أخص منه، لأنه خاصٌ بحذف الجمل، بخلاف الإيجاز والقول الأخير محجوج بتقسيم البيانيين للإيجار، إلى قسمين: إيجاز قصر وهو ما لا حذف فيه، و إيجاز حذف وهو ما حذف فيه جملة ،أو جزء من جملة أو أكثر من جملة[3]."و نقف على الوحدة الاسنادية

---

[1]–التماسك و التناسب ،دراسة في بلاغة النص القرآني،د/محمد محمد أبو بكر أبو عامود،ص:180.

[2]–– قضايا في اللغة و اللسانيات و تحليل الخطاب،د/محمد محمد يونس علي،ص:116.

[3]–موسوعة علوم اللغة،ايميل بديع يعقوب،ط1، ج1،ص:289.

الفعلية المحوّلة بالحذف في قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (25)** ﴾ (سورة لقمان:25) فالوحدة الاسنادية الماضوية البسيطة (الله) محوّلة لورود الفعل الماضي و المفعول به فيها محذوفين، و بنيتها العميقة (خلقهن الله) "[1].وهنا يظهر الإتساق بين جملتين (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض) والجملة الثانية (ليقولن الله)، لوجود علاقة معنوية بينها تظهر في صورة الفعل المحذوف "والقرينة على المسند المحذوف ممثلة في وقوعه في جواب السؤال المذكور"[2].وسيتضح هذا في ما بعد.

1- الحذف حرفي:

وهذا النوع من الحذف متنوع في القرآن الكريم، وكذلك هو في سورة البقرة، إذ نجده منسجما مع السياق والمقام الذي قيل فيه،فحذف ياء المتكلم في سورة البقرة في قوله تعالى:﴿ **وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)**﴾ (سورة البقرة:40) وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41)** ﴾ (سورة البقرة:41) دليل على تميز الفاصلتين القرآنيتين بنفس الظاهرة في الآيتين المتلاحقتين(41-40)و هذا خير دليل على تعلقهما ببعضهما، و اتّساقهما من باب الحذف الحرفي، فالسياق هنا خطاب لبني إسرائيل يتضمن ذكر النعم، دون التفضيل فيها، فقد عمد إلى حذف الياء، لدلالة المقام عليه.

ومنها حذف حرف من حروف المباني، "كإسقاط حرف أو أكثر من بنية الكلمة، سواء أكانت فعلا أم اسما أم حرفا"[3] ومن هذا "الحذف الحذف القياسي لالتقاء الساكنين، فإن كان أولهما معتلا حذف، نحو: لم يقم، ونحو: صم، أصلهما: لم يقوم، صُوم"[4] كقوله تعالى:﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ** ..﴾ (البقرة،14) والشاهد فيه "وإذا لقو أصله لقيوا حذفت الضمة للإشتغال ثم الياء لإلتقائها ساكنة مع الواو"[5]. ومن هذه النوع أيضا، الحذف الإملائي، كحذف همزة (ابن) إذا وقعت بين علمين"عبد الله بن عمر"[6] وإسقاط بعض الحروف للضرورة الشعرية إلخ ...وليس لهذا النوع من الحذف تأثير كبير على اتّساق النص، لأنّه يقع على مستوى بنيوي قريب تركيبيا من بعضه البعض، وقد سبق وأن أشرنا إلى أنّ الحذف الذي

---

[1]-التحويل في النحو العربي،مفهومه،أنواعه،صوره،رابح بومعزة،ص:70.

[2]- المرجع نفسه، ص:71.

[3]- الحذف والتقدير في صحيح البخاري، دراسة نحوية دلالية، سهام رمضان محمد الزعبوط، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010م/1431هـ، ص: 31.

[4]- معجم علوم اللغة العربية(عن الأئمة)، د/محمد سليمان عبد الله الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ- 1995م، ص: 185.

[5]- ينظر،ظاهرة الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم،دراسة سورة البقرة المفصلة في علوم البلاغة، دكتوراه، الحافظ عبد الستار علم الدين،جامعة بنجاب بلاهور، باكستان،ص:101،100،99.

[6]- ينظر، المعجم المعلم(قاموس قواعد الإملاء)، مسعد الهراوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط2، 1997م، ص: 42.

يساهم في الإتّساق يكون فيه المخاطب على علم بالمحذوف، وهذا الحذف يتم على مسافة معيّنة من حيث البناء في النص.

وفي سورة البقرة فإنّ هذا النوع من الحذف موجود، وهو يساهم ولو بقدر ضئيل في بنية الإتّساق العام للسورة، لأنّه يعتبر جزءا من تشكيل المعنى"مثل حذف(عن) في التنزيل قوله تعالى: ﴿**ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ظل سواء السبيل**﴾ (البقرة108)، والتقدير:فقد ظل عن سواء السبيل"[1].و قوله تعالى: ﴿**فلا جناح عليه أن يطوف بهما**﴾ (البقرة158) أي:في أن يطوف، وكذلك في قوله:﴿**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم**﴾ (البقرة198) أي :في أن تبتغوا"[2].ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**و من يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من سفه نفسه**﴾ (البقرة130)، فحذف (في)"[3]ومنه قوله تعالى:﴿**أن تسترضعوا أولادكم**﴾ (البقرة235).أي: لأولادكم."[4] ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**فمن تطوّع خيرا**﴾(البقرة184).أي بخير فحذف الباء"[5]. ونلاحظ هنا أنّ هذه الحروف المحذوفة شاركت بغيابها في تركيبة المعنى العام للنص، وهذا ما يؤكد أنّ الحذف هو نوع من الإحالة الصفرية، التي يتضح بها مكان العنصر المحذوف الذي يشارك بصفته هذه عنصرا مهما في بناء المعنى، وفي تركيبة النص. وهذا ما ينبيء عنه قول الجرجاني في تبيان الأثر الذي يتركه العنصر المحذوف في المعنى، فتركه أولى من ذكره.

ويساهم الحذف الحرفي في القرآن بصفة عامة وفي سورة البقرة بصفة خاصة، في بناء المعنى أكثر من بناء التراكيب في النص،-"وحذف الحرف ليس يقاس، وذلك لأنّ الحرف نائب عن الفعل بفاعله"[6]، لأنّنا عندما نستظهر البنية العميقة في النص تتضح المعاني أكثر فأكثر، ولهذا كان القدماء يذكرون الحذف الحرفي عند تفسيراتهم لإستظهار المعاني ومعرفة المقاصد، ومما ذكروه من صور الحذف الحرفي في كتبهم من سورة البقرة ما يلي:

1- "ومن ذلك ماجاء على (مفعل) من الأسماء من غير تاء التأنيث، ومنه قراءة الحسن وأبي رجاء ومجاهد: ﴿ **فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ** ﴾(البقرة:280).ذكر النحويون أنه ليس في الأسماء شيء على (مفعل) بغير تاء،نحو:المقدرة والمعبرة، والمشرفة، وما جاء على خلاف ذلك يؤول، ومن هذه التأويلات أن ميسره أصله: ميسرته،

---

[1]- إعراب القرآن،المنسوب إلى الزجاج،القسم الأول،109.

[2]- المرجع نفسه، القسم الأوّل، ص:109.

[3]-المرجع نفسه، القسم الأول، ص:109.

[4]- المرجع نفسه، القسم الأوّل، ص:110.

[5]-المرجع نفسه،القسم الأوّل، ص:129.

[6]- الموسوعة القرآنية إبراهيم الأنباري،مؤسسة سجل العرب،1405هـ-1984م، مج3/ 89.

فحذف التاء، وكاد الضمير المضاف إليه يكون عوضا منها، وهو مذهب الكوفيين في إنابة المضاف إليه عن التاء كقوله تعالى: ﴿ **وَإِقَامَ الصَّلَاةِ** ﴾ الأنبياء73/النور37."[1]

2- "حذف ألف ما الإستفهامية مع حرف الجر، للتفريق بين الاستفهامية والخبرية، كقوله تعالى: ﴿**فلم تقتلون أنبياء الله** ﴾(البقرة: 91)".[2]

3- قال تعالى:﴿**فمن جاءه موعظة من ربه**﴾(البقرة:275).حذفت تاء التأنيث،لأنه المذكور (موعظة) مؤنث مجازا و الحذف فيه مع الفصل أحسن"[3].

4- فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**أن تضل إحدهما فتذكر إحدهما الأخرى** ﴾(البقرة282) وإنما أراد(لئلا تضل)"[4].

ومما ذكره السيوطي في باب الإيجاز بالحذف ما ذهب إليه الأخفش عندما اعتبر أنّ الحذف يكون بالتدريج حيث أمكن، ولهذا قال في قوله تعالى:﴿**واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا**﴾(البقرة48).أن الأصل لا تجزي فيه فحذف حرف الجر فصار تجزيه؛ ثم حذف الضمير فصار تجزي وهذه ملاطفة في الصناعة ومذهب سبويه أنهما حذف معا"[5].وقد جاء في كتاب "إعراب القرآن"المنسوب للزجاج في (باب ما جاء في التنزيل وقد حذف منه حرف الجر) الكثير من الأمثلة التي تبين أنّ العرب قد كان لهم السبق في توظيف ظاهرة الحذف في تحليل النصوص .ومما ذكره الزجّاج عن الحذف الحرفي في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن...**﴾(البقرة25) أي:بأن لهم. فحذف الباء و انتصب "أن" على مذهب سبويه وبقي الجر عند الخليل والكسائي وحجاجهم مذكور في الخلاف"[6].

5- ومن صور الحذف الحرفي أيضا قوله تعالى: ﴿**وعهدنا إلى إبراهيم و اسماعيل أن طهر بيتي**﴾ (البقرة125).أي:بأن طهرا بيتي".[7] فحذف الضمير (ألف الإثنين).

---

[1]–تفسير التحرير و التنوير، ج36/1.

[2]–الموسوعة القرآنية إبراهيم الأنباري،المرجع السابق، مج3/ 89.

[3]–ينظر، الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي، ج185/2.

[4]– ينظر،تفسير الشريف المرتضي المسمى ب:نفائس التأويل،إشراف السيد :مجتبي أحمد الموسوي،شركة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،لبنان، ج421/2.

[5]–الإتقان في علوم القرآن.جلال الدين السيوطي، ج109/3.

[6]– إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، القسم الأول،/106.

[7]– المرجع نفسه، القسم الأوّل، ص:109.

6- وفي قوله تعالى: ﴿ **ولا تعزموا عقدة النكاح** ﴾(البقرة235).أي على عقدة النكاح"[1].

7- ومنه قوله تعالى: ﴿ **ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ (البقرة267).،أي:إلاّ على إغماض فيه، و(على) مع المجرور في موضع الحال.أي إلا مغمضين فيه"[2].

8- ومنه كذلك"حذف فاء الجواب وخرج عليه الأخفش:﴿**إن ترك خيرا الوصية للوالدين**﴾ (البقرة180)."[3]

9- وحذف (لا) النافية. ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية**﴾ (البقرة180)، أي:لا يطيقونه"[4].

10- "حذف الفاء، كقوله تعالى: ﴿ **إن ترك خيرا الوصيّة** ﴾ (البقرة: 180)، أي فالوصية"[5].

11- "حذف حرف الشرط وفعله يطرد بعد الطلب...﴿ **فلن يخلف الله وعده** ﴾ (البقرة80) أي:إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله وجعل منه أبو حيان:﴿**فلم تقتلون أنبياء الله من قبل**﴾ (البقرة:91). أي:إن كنتم آمنتم بما أنزل إليكم فلم تقتلون"[6].

12- ومنه كذلك قوله تعالى:﴿**إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** ﴾ (البقرة26)، أي:لا يستحي من ضرب المثل، فحذف (من). ويكثر حذف المثل لجر من أن ويقل مع المصدر، يحسن (أن يضرب) والتقدير:من أن يضرب، ولا يحسن حذف: من يضرب. وأما قوله"بعوضة" فقيل: التقدير: أن يضرب مثلا ببعوضة، و"ما" صلة زائدة، فحذف الباء"[7].

13-"ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾(البقرة61) أي: بأن تذبحوا، لأن "أمر"فعل يتعدى إلى مفعولين، الثاني منهما بالباء، ودليله ﴿ **أتامرون الناس بالبر** ﴾ (البقرة:44).

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،ج116/3.

[2] -المرجع السابق، القسم الأوّل/،112.

[3]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،ج116/3

- المرجع نفسه،ج116/3.[4]

[5]-الموسوعة القرآنية ،إبراهيم الأنباري، مج3/ 89.

[6]-المرجع السابق،ج117/3.

[7]-إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، القسم الأول،106-107.

15- "ومثله: ﴿ **أعوذ بالله أن أكون** ﴾ (البقرة67) أي :من أن أكون"[1].

16- "ومثله: ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم** ﴾ (البقرة:75)،أي:في أن يؤمنوا لكم"[2].

17- "ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله**﴾ (البقرة90) أي :بغيا لأن ينزل الله، فإن (ينزل الله) متعلق ب"بغيا" بواسطة حرف الجر. و"بغيا"مفعول له، و"أن يكفروا"رفع مخصوص بالذم"[3].

وحتى يطهر لنا الفرق بين ذكر الحرف في السياق اللغوي للآية من حذفه، نستشهد بهذا النص من سورة البقرة: و من وجوه حذف الكلمة في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**﴾ (سورة البقرة:51) وقوله: ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ**﴾ (سورة الأعراف:142)فذكر (إذ) في البقرة وحذفها في الأعراف، ذلك أن سياق البقرة كان لتعداد النعم في بني إسرائيل، وهي سورة مدنية جاءت لتذكير اليهود المعاصرين لنبي-صلى الله عليه و سلم- بالنعم التي أنعمها الله على أسلافهم،و هذا ما تتضمنه الكلمة(و إذا) أي:واذكر إذا، أما في الأعراف، فقد جاءت أحداث هذه السورة بهدف تأريخ لبني إسرائيل، وسرد ملامحهم، تعنيفهم، ليكون في ذلك عبرة للجماعة المسلمة، فلما كان السياق سياق تأريخ و تفصيل،و لم يكن سياق تذكير،فقد عمد إلى الحذف.

وعلى العموم فإنّ هذه الصور من حذف الحروف التي سبق ذكرها تؤكد بأنّ العرب كانوا قد فهموا ظاهرة الحذف وفهموا دورها وأثرها في تحقيق المعاني، لأن مؤلفاتهم النحوية ذكرت هذه الظاهرة على اختلاف أنواعها وصورها، وبيّنوا بأنّها ظاهرة مهمة في تحليل النصوص وبناء المعاني.

2 – حذف الكلمة:(**Nominal Ellipsis**)/ (**Verbal ellipisis**):

ومنها الحذف الإسمي (Nominal Ellipsis) ويقصد به حذف اسم داخل المركب الإسمي.ويمكننا أن نمثل لصورة الحذف الإسمي في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51)** ﴾ (سورة البقرة:51)،ففي هذه الآية حذف المفعول الثاني للفعل اتخذتم وهو حذف اسمي (Nominal Ellipsis) ساهم في تقريب المعنى و ضمّه مما يجعل الآية الكريمة تبدو في غاية الإتساق و هذا ما وضّحه محمد الطاهر بن عاشور في قوله: "وحذف المفعول الثاني (لأتخذتم) لظهوره وعلمهم به ولشناعة

---

[1]-المرجع نفسه،ص:**108**.

[2]- المرجع نفسه،ص:**108**.

[3]-إعراب القرآن المنسوب للزجاج،القسم الأول،ص:**108**.

ذكره وتقديره:معبودا أو إلها"[1]حيث اتخذ بنو إسرائيل العجل إلها تشبها بالكنعانين وهم الفينقيون سكان سواحل بلاد الشام، وكانوا عبدة أوثان، وكان العجل مقدسا عندهم،و هم أمّة سامية"[2]. وهنا نلاحظ أن حذف المفعول به كان أكثر وقعا و دلالة في التركيب من ذكره،كون المحذوف تقديره(معبودا أو إلها) لو ذكر لكان مضرا بالتركيب و بالدلالة،و المعنى العام للآية،حيث حذف مراعاة للإتساق الذي ينظم هذه الآية وبهذا يكون حذف الإسم في سورة البقرة من هذا النوع قد ساهم في ربط النص و اتساقه.

ومنها حذف الإسم ويتم على مستوى الجملة فيحذف جزء منها، "ويجوز على سبيل الإجمال- حذف المبتدأ والخبر والحال والتميز والمضاف و المضاف إليه والفعل والفاعل والمفعول وغير ذلك من أجزاء الجملة"[3] مواضع حذف الاسم كثيرة لا يتسع لها المقام سنذكرها من دون تفصيل، وهي؛ حذف المضاف إليه، وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، وحذف الصفة إذا دلّت الحال عليها، وحذف المفعول به ، وحذف المعطوف تارة، والمعطوف عليه تارة أخرى، وحذف المستثنى، وحذف خبر (إنَّ) مع النكرة، وكذلك حذف خبر (كان)، وحذف المنادى، وحذف المميّز إذا علم من الحال حكم ما كان يعلم منها به، وكذلك جواز حذف الحال إذا دلّت عليه قرينة، ومثل لها بقوله تعالى: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ (البقرة: 185)، فالتقدير – بحسب ابن جنيّ- فمن شهد صحيحا بالغا، والقرينة هنا دلالة الإجماع والسنة عليه فجاز حذفه تخفيفا[4].وفي قوله تعالى:﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ**﴾ (سورة البقرة:251)، فالتركيب الإسنادي (دفع الله) مسبوق بلو لا، و الخبر محذوف وجوبا عند النحاة بنيته العميقة (موجود)أو (كائن) أو (حاصل) ويجيزون التصريح به، ويسمون هذه الحالة كونا عاما، أي مفهوما من الكلام والسياق يدل عليه"[5]"ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى** ﴾ (سورة البقرة:189) والبنية العميقة للجملة الإسمية المحوّلة هي(و لكن البر بر من اتقى)"[6].

كحذف المضاف في قوله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُون** ﴾ (يوسف، 82) أي أهل القرية. وسؤال القرية بمعنى الدور ودروبها أمر غير ممكن إذ كيف يسأل الجماد، وهذا قرينة تدل على أن لفظ القرية مراد به غير معناه الحقيقي، وهو أهلها المقيمون فيها.

---

[1]- تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج1،ك:1،ق:2،ص:50 يعاد النظر في هذا التهميش

[2]- ينظر،التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ص:500.

[3]- معجم علوم اللغة العربية(عن الأئمة)، د.محمد سليمان عبد الله الأشقر، ص: 185.

[4]- يُنظر:الخصائص، ابن جنيّ؛ 2/366-379.

[5]- التحويل في النحو العربي،مفهومه،أنواعه،صوره،رابح بومعزة،ص:128-129.

[6]- المرجع نفسه، ص:128.

و" إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفا ولكنك لا تعثر على حذف لخلوّ الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق، زيادة على جمعه المعاني الكثيرة في الكلام القليل"[1]، ومن صور حذف الكلمات قوله تعالى:﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ حال من ضمير ما يخدعون، أي يقتصرون على خدع أنفسهم والحال أنهم ما يشعرون أي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية، وحذف المفعول إمّا لظهوره أو لعمومه، أي ما يشعرون بشيء أصلا"[2].

ومن صور حذف الكلمات التي جاءت في سورة البقرة حذف المبتدأ، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ **ذلِكَ الْكِتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾.(البقرة2)."حيث حذف المبتدأ وتقديره:(هو هدى)، والحذف هنا أليق بالسياق،"لأنه لو ذكر المبتدأ لأثار قلقا أسلوبيا لذكر قرب الكتاب العائد عليه الضمير قبل ذلك مما يبعث في النفس السأم لوضوحه"[3]. وفي نفس الآية نجد حذفا آخر للكلمة وهو حذف الموصوف في قوله تعالى:﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)**﴾ (البقرة:2).حيث حذف الموصوف في قوله:(للمتقين) وتقديره"للقوم المتقين""[4]."والسر في حذف الموصوف تعظيم هؤلاء القوم المؤمنين المتقين، وإجلال لهم، وبيان لفضلهم،لأنهم هم الذين اهتدوا وانتفعوا بالقرآن الكريم فسارع بذكرهم لأن النظر مسلط على صفتهم. وهي التقوى"[5].

ومن صور الحذف أيضا حذف المضاف قوله تعالى:﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)**﴾(البقرة:7).أي: على مواضع سمعهم، فحذف، لأنه استغنى عن جمعه، لإضافته إلى الجمع"[6]."ومنه قوله تعالى عن حذف المضاف ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)**﴾ (البقرة15)،أي عقوبة طغيانهم"[7].وكذلك في قوله تعالى:﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19)**﴾ (البقرة19).أي أصحاب صيب من السماء"[8].

وفي قوله تعالى:﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا**

---

[1]–تفسير التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، ج122/1.

[2]– تفسير أبي السعود، ج1،/73.

[3] –المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لا شين. ،بتصرف. ص: .161

[4]–البرهان في علوم القرآن،ص:719.

[5]– آيات الهدى في القرآن الكريم،لدراسة بلاغية تحليلية،فوزية يحي سعيد النجيمي عسري،1432/2011م،ص:165.

[6]– إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، القسم الأول، 42.

[7]– المرجع نفسه،ص:42.

[8]–المرجع نفسه،ص:42.

خَالِدُونَ (25) ﴾ (البقرة 25).أي:من تحت أشجارها ، وقدّره أبو عليّ من تحت مجالسها"[1].و"خذ قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)**﴾ (البقرة171)، فقد حذف المضاف وتقديره: مثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع، والغرض من هذا الحذف صيانة الداعي وحفظه من أن يقرن في اللفظ بذاك الناعق الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء و نداء"[2].

"وقد يحذف المفعول به لغرض الدلالة على إثبات المعنى في نفسه للفاعل دون نظر إلى مفعول معين وهذا كثير في النظم القرآني كما في الآيتين الكريمتين، قال الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾ (البقرة:258) وفي قوله:﴿ **ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17)**﴾ (البقرة 17). حذف المفعول في هاتين الآيتين الكريمتين للدلالة على أن المراد إثبات معنى الفعل للفاعل دون اِلتفات إلى مفعول معين يقع عليه الفعل، إذ المراد هو الذي يكون منه الإحياء والإماتة دون النظر إلى من أحيا و إلى من أمات،... وتركهم في ظلمات لا يتأتى فيها الإبصار".[3] "فالمعنى-كما ترى- على نية طرح المفعول وعدم الاعتداد به، إذا لم يتعلق به غرض الكلام، وإنما تعلق الغرض من الكلام بإثبات الفعل في نفسه للفاعل"[4].

ومن أمثلة الكلمة ،حذف الاسم كما هو في حذف المضاف و هو كثير في القرآن الكريم جدا.حتى قال ابن جني:"في القرآن منه زهاء ألف موضع وقد سردها الشيخ عز الدين في كتابه"المجاز"على ترتيب السور والآيات. كما نجد حذفا لأفعال في سورة البقرة، ونشير هنا إلى أن حذف الفعل فهو على نوعين؛ الأوّل قد يحذف الفعل والفاعل، وهو من حذف الجملة، مثال ذلك قولهم "المرء مقتول بما قتل به، إن سيفا فسيف، وإن خنجرا فخنجر، أي إن كان الذي قتل به سيفا فالذي يقتل فيه سيف، فكان واسمها وإن لم تكن مستقلة فإنَّها تعتدّ اعتداد الجملة"[5].

والحذف الآخر هو الحذف الفعلي (**Verbal ellipisis**) أن يحذف الفعل وحده، إذا كان فاعله مفصولا عنه ومرفوعا به، "وذلك نحو قولك: أ زيد قام. فزيد مرفوع بفعل مضمر محذوف خال من الفاعل، لأنّك تريد: أ قام زيد، فلمّا أضمرته فسّرته بقولك: قام"[6]. أي أن المحذوف يكون عنصرا فعليا مثل:

---

[1]– المرجع نفسه،ص:43.

[2]–من بلاغة النظم القرآني،د/سيوني عبد الفتاح فيود،ص:98.

[3] – ينظر،من بلاغة النظم القرآني،د/بسوني عبد الفتاح فيود،ص:110–111 .

[4]– المرجع نفسه،ص:111

[5]– يُنظر:الخصائص، ابن جنيّ؛ 379/2.

[6]– المصدر نفسه؛ 380/2.

-ماذا كنت تنوي؟ - السفر.أي:أنوي السفر.[1]

وتقدير الكلام كنت أنوي السفر،حيث نجد حذف كل الصيغ الفعلية من التركيب و ذلك لعلم المخاطب بنص السؤال،وفي جوابه حذف لم يخل بالمعنى. فاكتفى بذكر الاسم مجردا (السفر) لكفايته الدلالية ولتحقيقه لعملية التواصل و الإبلاغ. وذلك من مثل قوله تعالى: "حذف الفعل، وهو: خاص، نحو (أعني) مضمرا، وينتصب المفعول به في المدح، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ** ﴾ (البقرة: 177)، أي أمدح."[2].

3- حذف الجملة (Clausal Ellipsis):

وهو نوع من الحذف تحذف فيه بينة موّسعة تركيبيا،"وهو ما كان أثره الدلالي أو الارتباط المرجعي له في حدود الجملة ومن حذف الجملة؛ الجمل التي تغادر نصها من دون استخدام نصي آخر"[3]، نحو قوله تعالى: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ (**يوسف، 18**) على تقدير المحذوف (صبري) أي صبري، صبر جميل، فالأثر الدلالي للمحذوف في حدود الجملة، ومنه أيضا قوله تعالى:﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ (الشعراء،63) تقديره: فضرب فانفلق"[4] وقد نجد في النصوص، جملا فعلية وأخرى اسمية محذوفة كحذف جملة القسم أو جملة جواب القسم، أو جملة الشرط أو جملة جواب الشرط...إلخ. ومن صور حذف الجمل ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)** ﴾ (سورة البقرة:89)،قال الزمخشري:"و جواب (لما) محذوف وهو نحو:كذبوا به و استهانوا بمجيئه و ما أشبه ذلك"[5] ففي الآية الكريمة حذف جملة (Clausal Ellipsis) ومن الذين كان لهم رأي حول هذه الجملة مصطفى عبد السلام أبو شادي حيث قال:"فجواب (لما) محذوف؛ و التقدير:كذبوا واستهانوا بمجيئه و حجدوه، و صدّوا عنه و حاربوه بكل ما استطاعوا من أساليب الغدر و الخيانة،كل هذه المعاني أفادها حذف الجواب،ولو ذكر لاقتصر عليه "[6]

---

[1]- ينظر،نحو النص،أحمد عفيفي،ص:127.

[2]- الموسوعة القرآنية إبراهيم الأنباري،مؤسسة سجل العرب،1405هـ-1984م، المجلد3،ص: 88.

[3]- نحو النص، أثر عناصر الإتّساق في تماسك النص، سورة يوسف مثالا، محمود سليمان الهواوشة، ص: 132.

[4]- معجم علوم اللغة العربية(عن الأئمة)، د/محمد سليمان عبد الله الأشقر، ص: 187.

[5]-تفسير الكشاف،جار الله الزمخشري،ج1،ص:296.

[6]-الحذف البلاغي في القرآن الكريم،مصطفى عبد السلام أبو شادي،مكتبة القرآن (د ط)،مصر (د ت)،ص:115.

ويعتبر الحذف الجملي والحذف القولي نوعا من أنواع الايجاز وهو كثير في القرآن الكريم.وقد ذكر أبو حيان الاندلسي أن الحذف في قوله تعالى" ضرب من ضروب الفصاحة." وهو في مواضع منها، (إن الذين كفروا): أي إن القوم الذين كفروا بالله وبك وبما جئت به، ومنها لا يؤمنون بالله وبما أخبرهم به عنه ، ومنها ختم الله على فلا تعي وعلى أسمائهم فلا تصغي، ومنها أبصارهم غشاوة على من نصب أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يبصرون سبيل الهداية، ومنها لهم عذاب أي ولهم يوم القيامة عذاب عظيم دائم ، ويجوز أن يكون التقدير ولهم عذاب في الدنيا بالقتل والسبي أو الإذلال و وضع الجزية و في الآخرة بالخلود في نار جهنم"[1].

وأكثر أنواع الحذف الجملي أو القولي هو "حذف القول نحو ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)** ﴾(البقرة :127)، أي يقولان ربنا "[2]، وفي قوله تعالى:﴿**اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾(البقرة:35.)،أي وليسكن زوجك"[3]. ولا يمكن استظهار ذلك إلاّ بالعودة إلى البنية التحتية(العميقة) للنص، لأنّه لا يظهر في البنية السطحية، وهو من هذا المركز البنيوي التحتي يساهم في بناء النص ولاحم أجزائه، كما يساهم بدلالته في تمتين العلاقات المعنوية. وفي قوله تعالى: "حيث أن الوحدة الإسنادية الطلبية التي مسندها فعل أمر (ربنا تقبل منا) المؤدية وظيفة مقول القول معمولها محذوف،بنيته العميقة(يقولان) وهي وحدة إسنادية مضارعية مركبة وظيفتها حال . صاحب الحال فيها هو الفاعل المتمثل في ألف الإثنين، وبنيتها العميقة (قائلين)"[4].

"ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ** ﴾(البقرة :30).، أي : وأذكروا إذ قال ربك، وإن شئت قدرت :ابتداء خلقكم إذ قال ربك"[5]." وكذلك قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ** ﴾ (البقرة :34.) أي : وأذكروا إذ قلنا للملائكة وجميع :"إذ" في التنزيل أكثرها على هذا."[6]، وهذه الأفعال المحذوفة ربطت قول الله تعالى للملائكة في نفس القصة، ما جعلها تخلق اتّساقا على مستوى البنية العميقة ساهم في توحيد المضمون.

"ومثله:﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ** ﴾ (البقرة:184).أي فيفطرون ففدية"[7] كأنّه قال (وعلى الذين لا يطيقونه فيفطرون) إذ ربط الحذف بين أجزاء المعنى التي لا تظهر إلاّ في البنية العميقة،" ومثله:﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ** ﴾

---

[1]–تفسير البحر المحيط،لأبي حيان الأندلسي ،ج179/1.

[2]– الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ،ج115/3.

[3]–المرجع نفسه، ج115/3.

[4]–التحويل في النحو العربي،مفهومه،أنواعه،صوره،رابح بومعزة،ص:130.

[5]–اعراب الجمل المنسوب إلى الزجاج ، القسم الأول ،12.

[6]–المرجع نفسه، القسم الأول13.

[7]–المرجع نفسه، القسم الأول ،13.

(البقرة:138).أي الزموا صبغة الله."[1] والجملة من فعل الأمر والفاعل المحذوفة هي التي ساهمت في الربط فقوله تعالى : (صبغة الله) قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن : دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، وقيل: لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه، كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد : فطرة الله، وهو قريب من الأول، وقيل : سنة الله ، وقيل : أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، قال ابن عباس هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعمودي وصبغوه به ليطهروه بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا : الآن صار نصرانيا حقا فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى ، وهو نصب على الإغراء يعني ألزموا دين الله، قال الأخفش هي بدل من قوله ملة إبراهيم (ومن أحسن من الله صبغة) دينا وقيل : تطهيرا(ونحن له عابدون) مطيعون"[2]

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** ﴾ (البقرة:222) ، فالمعنى : حتى يطهرن و يتطهرن، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن، فحذف من كل نظيره حتى لا يطول الكلام بما يمكن الاستغناء عنه و يعول على فطنة السامع في إدراك المحذوف، و إحكام العبارة بتقدير في موطنه."[3]

ومن صور الحذف ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا** ﴾ (البقرة :60) أي : فضرب فانفجرت، وشعر هذا الحذف بامتثال موسى – عليه السلام– ومبادرته إلى التنفيذ أمر الله تعالى وتحقيقه، كما ينبيء بسرعة إجابة الله تعالى له، وانفجار العيون بأمره تعالى إثر الضرب، حتى كأن لإنفجار مسبب عن الأمر بالضرب"[4].

" ومنه إضمار الجملة قوله تعالى ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى** ﴾ (البقرة :73) أي : فضربوه ببعضها كذلك فحي، وأخبرهم بقاتليه ثم خر ميتا"[5].وما يدل على صحة الاضمار قوله :﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ** ﴾ (البقرة :74)، فـ" قست" : معطوف على "خر".[6] وهذا يعني أنّ الحذف له عدّة صور في هذا النوع، وهو يساهم بصور شتى في الربط بين أجزاء السورة.

---

[1]–المرجع نفسه، القسم الأول ،14.

[2] – تفسير البغوي، معالم التنزيل، ج157/1.

[3]–من بلاغة النظم القرآني د/ سيوني عبد الفتاح فيود ، ص:107.

[4]–المرجع نفسه، ص:112.

[5]–اعراب الجمل المنسوب إلى الزجاج ، القسم الأول ،ص:20.

[6]–المرجع نفسه، القسم الأول ،20.

وهناك من الحذف ما يدل على معاني كبيرة بألفاظ قليلة، وهذه الطريقة التي يتم توظيف المحذوف فيها في القرآن الكريم كثيرة حتى لا يتمّ إعادة النص كله وإنّما يشار إليه بالحذف تجنبا للتكرار" كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ (البقرة:179.) فإن معناه كثير ولفظه قليل لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا إلى أن لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض و كان ارتفاع القتل حياة لهم"[1]." ومثله: ﴿ **بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ (البقرة:135)، أي : تتبع ملة إبراهيم حنيفا: واللساني يقول: نكون أهل ملة إبراهيم حنيفا."[2]" ومثله:﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا** ﴾ (البقرة :127)، أي يقولان: ربنا)"[3].

وهذا النوع من الحذف ذكره السيوطي وسماه بالاحتباك وهو من ألطف الأنواع وأبدعها وقلّ من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى لرفيقه الأندلسي و ذكره الزركشي في " البرهان" ولم يسمه هذا الإسم بل سماه الحذف المقابلي وأفرده في التصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي"[4]. وشرح ذلك الزركشي فقال عنه:"وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه"[5]." ومن إضمار الجملة قوله تعالى: ﴿ **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** ﴾ (البقرة :173.) أي :فأكل غير باغ فلا إثم عليه."[6] وهنا نلاحظ أنّ الجملة(فأكل) المحذوفة دلّ عليه قرينة لفظية وهي عبارة (غير باغ). وهنا نذكر بعض صوّر الحذف الجملي في سورة البقرة التي أشار إليها العلماء:

-"إضمار جواب " لو" في التنزيل، كلها جمل حذفت ، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ (البقرة :165"أي: لعلموا أن القوة"[7]

- "و من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ** ﴾ (البقرة :54).ثم قال تعالى:﴿**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**﴾، وأضمر " فتبتم"، أي: تبتم فتاب عليكم"[8]."و منه قوله تعالى،في حذف الجملة:﴿ **وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ (البقرة132،)،أي يعقوب قال"[9]."و من ذلك أيضا قوله

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ،ج100/3.

[2]-المرجع السابق، القسم الأول ،ص:14 .

[3]-المرجع نفسه، القسم الأول ،ص:14.

[4]-الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ،ج112/3.

[5]-المرجع نفسه،ج100/3

[6]-إعراب الجمل المنسوب إلى الزجاج ، القسم الأول ،20.

[7]-المرجع نفسه ، القسم الأول، ص:21.

[8]-المرجع نفسه ، القسم الأول ،ص: 22.

[9]-المرجع نفسه ، القسم الأول ،ص: 22

تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)** ﴾(البقرة 184/183)تقديره:صوموا أياما معدودات،فحذف(صومو)لأن قوله تعالى:(كتب عليكم الصيام)يدل عليه"[1]،"و قوله تعالى: ﴿ **وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)**﴾(البقرة،150).تقديره:و أشكروا لأتم"[2].

ومن صور الحذف"حذف الجملة الإسمية المنسوخة المؤكدة محذوفة لدلالة سياق الآية عليها،و نقف عليها في قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)**﴾ (سورة البقرة:259) حيث أن الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفة الفاعل للفعل اللازم (تبيّن) محذوفة بنيتها العميقة (أن الله على كل شيء قدير)و ما أشكل عليه يعني إحياء الموتى"[3]. "أما المبتدأ(كل)الوارد في الآية الكريمة:﴿**كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ** ﴾ (سورة البقرة:116) فهو معرّف بالإضافة،و بنيته العميقة (كل ما في السموات و الأرض)"[4].

وقريب من الحذف الجملي نجد داخل الجملة ما يشبه الجملة (**clausal ellipsis**)، مثل:-كم ثمن هذا القميص؟ - خمسة جنيهات"[5].ومن أنواعه أيضا في لغة الخطاب في سورة البقرة،حذف شبه الجملة في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)**﴾ (سورة البقرة:55) إذا ما قارّنا هذه الآية بما يشابهها في السورة النساء في قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ**﴾ (سورة النساء:153) فسوف نجد أن ذكر شبه الجملة (بظلمهم) في سورة النساء وحذفها في سورة البقرة، جاء منسجما مع السياق،لأن السياق في سورة النساء يتضمن تعداد أسباب العقوبات التي حلت ببني إسرائيل عبر العصور، ولما كان ذلك هو محور السياق في صورة النساء ،عمدت لغة الخطاب إلى ذكر الظلم كظاهرة أصيلة في بني إسرائيل و كسبب رئيسي في ما حل بهم من العقوبات و الويلات، أما في سورة البقرة،و هي لتعداد النعم..،فكان من الأولى الحذف.

وهو تركيبي يتكون من مضاف و مضاف إليه، أو من جار و مجرور أو من ظروف زمانية ومكانية، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)** ﴾ (سورة البقرة:60) ففي الآية حذف لشبه جملة على تقدير ابن كثير حيث قال"كلوا (من المن و السلوى) واشربوا (من

---

[1]-المرجع نفسه ،القسم الأول ،ص: 23

[2]-المرجع نفسه ، القسم الأول ،ص:23

[3]- التحويل في النحو العربي،مفهومه،أنواعه،صوره،رابح بومعزة،ص:134.

[4]- المرجع نفسه،ص:123.

[5]- ينظر:نحو النص،أحمد عفيفي ،ص:127.

الماء)"[1].ففي هذا الخطاب حذف لشبه الجملة المتكونة من حرف الجّر (من) و الاسميين المجرورين (المن و السلوى) و(الماء)،إذ دلّ عليهما الفعلين (كلوّا) و (اشربوا) وهما قرينتان لغويتان تساعدان على كشف العنصر المحذوف، وتعلق المحذوفين (شبه الجملة الأولى و الثانية)، بالفعلين (كلوا و اشربوا)نوع من الإتّساق الذي لم يفصح عليه في التركيب لوجود ما يدل عليه في السياق السابق،حيث أحال الفعلين (كلوا و اشربوا) إلى عناصر لغوية محذوفة بعدهما،مما يدفع بالمتلقي إلى البحث عن هذا المحذوف المتأخر ضمن عملية الإحالة الأمامية.

ويظهر لنا مما سبق أن الذكر يمثل جانباً موضوعياً في الصياغة اللغوية، وهو كذلك لا يخلو من معان إضافية يستدعيها السياق أو الحال، وبذلك يكون للذكر أثر في توجيه الدلالة في بعض السياقات،كما يكون للحذف أهمية في توجيه الدلالة في سياقات أخرى.

4- حذف نصي:

"وهو ما كان أثره الدلالي أو الارتباط المرجعي له يتعدى الجملة، وهذا النوع يعمل على ربط أجزاء النص، وللمتلقي فيه فسحة للحراك أو التأويل"[2] كأن يشير المحذوف إلى فقرة سابقة أو نص آخر، أو قصة سابقة، وحدث ما في نص ما، ويشرح ذلك الأستاذ محمود سليمان الهواوشة بتطبيق على النص القرآني، في الآية التالية: ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ(54)** ﴾(**يوسف،54**) حيث عطفت الفاء المتصلة ب (لما) على جملة حدث سبق وصول يوسف-عليه السلام- إلى الملك، وهي من مجريات القصة يقدرها المتلقي، وحذفت لأنها تفهم من السياق. ويكون هذا النوع من الحذف دفعا للإطالة "فأفعال القول (قلت) و(قالوا) و(قيل) ونحوها"[3] تشير إلى أن قولا قد قيل وحذف تجنبا للإطالة ورغبة في الإيجاز، "لأن المقول في العادة جملة طويلة أو عدة جمل وذكره يغني عن ذكر لفظ فعل القول"[4]. وهذا الحذف يتعدى حدود الجملة بحيث يمكن تقدير المحذوف بنص كامل أو بمجموعة من الجمل، ويكون لهذا النوع من الإتّساق سعة دلالية و معنوية في البنية السطحية في موضوع العنصر المحذوف ويقوم المؤوّلون ببناء نصوص أخرى تتناسب وسياق الآية، إذ يساهم المؤوّل في خلق اتساق خفي و غير مرئي يفصح عنه بإنشاء علاقة ترابطية بين العنصر الظاهر و العنصر الآخر المحذوف. ومن أمثلة حذف الجمل أو النصوص في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)**﴾ (سورة البقرة:73) وفي هذا الكلام تعدد الجمل المحذوفة فلا تقتصر على جملة واحدة فيكون التقدير:فقلنا اضربوه ببعضها

---

[1]- تفسير القرآن العظيم،أبو الفداء إسماعيل ،ابن كثير،ج1/ص:177.

[2]- نحو النص، أثر عناصر الإتِّساق في تماسك النص، سورة يوسف مثالا، محمود سليمان الهواوشة، المرجع السابق، ص: 133.

[3]- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 1998م، ص: 48.

[4]- المرجع نفسه، ص: 39-42.

فضربتموه فأحياه الله تعالى، و نطق باسم قاتله، كذلك يحي الله الموتى و في اختزال الكلام عن طريق حذف هذه الجمل تعميق لدلالة الارتباط بين الجمل البنية السطحية"[1]. وأشار إبراهيم الفقي إلى أنماط أخرى من حذف النصوص، كإشارة المحذوف إلى قصة إذ قال: "من أنماط الحذف المهمة في التحليل النصي حذف بعض الأحداث دون البعض في التسلسل الزمني للقصة"[2] وبالتالي فحذف مجموعة من الأحداث يعني حذف جزء من النص، وحذف قصة بكاملها يعني حذف نص بكامله.

غير أنّ هاليداي ورقية حسن أشارا إلى ثلاثة أنواع من الحذف، وهي: الحذف الاسمي، والحذف الفعلي والحذف الجملي، وركزوا في ذلك على الحذف خارج الجمل الذي يهتم بالعلاقات بين الجمل، "حيث أن الحذف داخل الجملة خارج الاهتمام، لأنه يدخل في بنية الجملة، أما الحذف باعتباره شكلا من أشكال العلاقة بين الجمل فهو سمة أساسية من سمات النصية TEXTURE"[3].ولا تكاد تخرج هذه الأنواع عن صور الحذف التي أشرنا إليها في حذف الكلمة، الحذف الاسمي والحذف الفعلي. وحذف الجملة (الحذف الجملي) وإذا تتابعت عدة جمل محذوفة أصبح ذلك حذفا جمليا موسعا أو بالأحرى حذفا نصيا، فكل هذه الأنواع والصور للمحذوفات تساهم بشكل عام في تماسك النص وترابطه، ولا يظهر الإتساق بالحذف إلا إذا كان يشير إلى العنصر المحذوف حتى يسهل تفسيره وتأويله. فالعلاقة بين الحذف والاتساق علاقة (تبعيضية)، أي أنّ الحذف يشكل بعضا من جملة إتساق النص.

وصور الحذف كثيرة في الآيات القرآنية. و حتى يتبيّن لنا أثرها في النص نعود إلى ما وجدناه في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)** ﴾ (سورة البقرة:60) ويعلّق ابن كثير على هذه الآية قائلا:"يقول الله تعالى:و اذكروا نعمتي عليكم في إجابتي نبيّكم موسى- عليه السلام- حين استسقاني لكم و تيسري لكم الماء، و إخراجه لكم، من حجر معكم و تفجيري الماء منه في اثنتي عشرة عينا لكل سبط من أسباطكم. عين قد عرفوها فكلوا من المن و السلوى و اشربوا من الماء الذي اتبعته لكم من غير سعي منكم و اعبدوا الذي سخّر لكم ذلك"[4]وفي تقدير الفعل المحذوف من هذه الآية يقول صاحب البحر المحيط أبو حيان "فضرب فانفجرت"[5] والفعل المحذوف هو (ضرب) بعدما علم سابقا في قوله (اضرب)و

---

[1]-التماسك و التناسب ،دراسة في بلاغة النص القرآني،د/محمد أحمد أبو بكر أبو عامود،سلسلة رسائل جامعية للنشر،دار النابغة للنشر و التوزيع،ط1435،1ه/2014م،ص:197-198.

[2]- علم اللغة النصّي، بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ج2/ 195.

[3]- ينظر: علم لغة النص، النظرية والتطبيق عزّة شبل محمد، ص: 118.

[4]-تفسير القرآن العظيم،أبو الفداء إسماعيل ابن كثير،ج1،ص:177.

[5]-البحر المحيط،أبو حيان ،محمد بن يونس،ج390/1.

حتى لا يعيده و يكون تكرار في التركيب فيه خلل، حذفه لذكره آنفا، و لعلم المتلقي به فحدث ربط بين ما هو حاضر في التركيب (اضرب) وما هو غائب وخفي (ضرب)، ليظهر الإتّساق في صورة أخرى وهو إتّساق عن طريق الحذف الفعلي (verbel ellipsis) وهنا يظهر أثر الحذف بالكلمة سواء كانت إسما أو فعلا، فهو يقوم بدور الربط بين أجزاء الآية (جمل) الواحدة، ويجبر المتلقي على ترصد موطن الحذف والقيام بعملية ذهنية يقوم من خلالها بتقدير العنصر المحذوف، و بهذه الوظائف يتضح الأثر على المتلقي بصورة مباشرة ،إذ لا يمكنه أن يؤول النصوص ما لم يفصح عن البنية العميقة للنصوص والآيات و تقدير العناصر المحذوفة ،إذ بها يسهل الفهم و تساعده على إقامة رابط بين المعاني السابقة و المعاني اللاحقة ،إذ يحيل العنصر المحذوف المقدر إلى شيء سبق ذكره و أصبح معلوما إلى غاية إعادة ذكره أو حذفه كما يظهر أثر ذلك في إقامة جسر لغوي بين العنصر المذكور و الآخر المحذوف الذي يقيمه التقدير و بهذا يساهم الحذف من هذا النوع في اتساق النص و تماسكه على المستويين: المستوى التركيبي و المستوى الدلالي. كما يساهم الحذف في خلق تكرار وهمي معجمي من خلال تقدير العنصر المحذوف الذي قد سبق ذكره في التركيب على مستوى الآية أو الجمل، وهنا يمكننا أن نقول بأن الحذف تكرار معجمي بعلاقة الصفر،أي أن العنصر المحذوف وهو العنصر المكرر لا يظهر و يمكن تقديره لإقامة علاقة اتساق و ربط بين النصوص والتراكيب.

ثانيا: الإستبدال (Substition):

أ- تعريف **الإستبدال:**

– لغة:

جاء في لسان العرب: "تبدل الشيء وتبدل به واستبدله واستبدل به، كله، اتخذ منه بدلا، وأبدل الشيء من الشيء وبدله: تخذه منه بدلا.و أبدلت الشيء بغيره وبدله الله من الخوف أمنا.و تبديل الشيء تغيره، وإن لم تأت ببدل، واستبدل الشيء بغيره وتبدله به إذ أخذ مكانه.... والأصل في التبديل تغيّر الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله"[1]. وفي القرآن: ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات**﴾ (إبراهيم،48) وحقيقة التبديل حسب ما جاء في المعاجم العربية هو تغيّر الصورة إلى صورة أخرى ومنه قوله تعالى:﴿**أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾ (الفرقان، 70)، ألا ترى أنه قد أزال السيئات وجعل مكانها حسنات"[2].

[1]– لسان العرب، ابن منظور، المجلد 11، ص: 48.

[2]– المرجع نفسه، المجلد11، ص: 48.

"واستبدال يستبدل، استبدالا، فهو مستبدل، والمفعول مستبدل....." وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج"جعله عوضا عنه....استبدل الشيء بالشيء، بدله به وأخذه عوضا عنه (بإدخال الباء على المتروك) استبدل العفو بالعقاب، ﴿ **أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير** ﴾"[1]. وبالنظر إلى التعريفين السابقين للإستبدال فإنه يمكن تحديد المعاني التي دلت عليها المعاجم القديمة والحديثة، ومنها تبديل الشيء بالشيء وجعله مكانه، أو تغيير عن حاله وأصله وصورته، أي تعويضه كلية، وفي هذه المعاني تقارب، بين المعنى اللغوي والمعنى الإصطلاحي الذي استعمله علماء اللغة، وبخاصة علماء النص.

– اصطلاحا:

يدور الاستبدال في التراث العربي القديم، حول علاقة الكلمات في الجملة على المستوى النحوي المعجمي، حيث يتشابه بمفهوم المترادف. وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد"[2] ويسمي البلاغيون ذلك"بتعدد اللفظ للمعنى الواحد مما يحدده السياق أو المقام ويكون الترادف جزئيا، بحيث نجد من السياق ما يدل على هذا المعنى"[3].

والإستبدال مترجم عن كلمة SUBSTITION التي تعني"تبدل أو استبدال، وهي استخدام كلمة مكان أخرى"[4] مثال: هل لدينا كلبسات ورق، لا، هل تريد واحدة منها؟ فكلمة (واحدة) ترجع السامع إلى عنصر سابق في النص من أجل التفسير وهو (كلبسات ورق)"[5].

الاستبدال "صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية (ANAPHORA) أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم"[6].

---

[1]– ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عمر، ط1، 2008م، عالم الكتب القاهرة، ص: 172–173.

[2]– ينظر: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس اللغوي، أحمد عفيفي، 116.

[3]– مظاهر الإتّساق والإنسجام في تحليل الخطاب، الخطاب النبوي في رقائق صحيح البخاري نموذجا، عاصم شحادة علي، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 36. العدد2، 2009م، ص: 362.

[4]– adictionary of stylisticsc and rhetoric by d/ hasan said ghazala p 104.

[5]– JONATHAN FINE. HOW LANGUAGE WORKS COHION IN NORML AND NON STANDARD COMMUNUCATION ABLEX PUBLISHING CORPORTION P12.

[6]– دراسة لغوية لصور التماسك النصي، في لغتي الجاحظ والزيات، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم، تحت رقم: 1077، 1417هـ–1996م، مصطفى صلاح قطب، ص: 173. ونحو النص، اتجاه جديد، أحمد العفيفي، ص: 122.

"والاستبدال عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[1] ويطلق على هذين العنصرين تسمية المستبدل منه والمستبدل به" ويسمى التعبير الأول من التعبيرين (المنقول) المستبدل منه والآخر الذي حل محله المستبدل به. وإذا وقع المستبدل منه والمستبدل به في مواقع نصية متتالية فإنهما يقعان حسب هارفج في علاقة استبدال نحوية بعضها ببعض ويوجد في حالة الاستبدال النحوي بين المستبدل والمستبدل منه مطابقة إحالية"[2] "إذا وقع المستبدل منه والمستبدل به في مواقع نصيّة متتالية فإنهما يقعان حسب هارفج في علاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض ويوجد في حالة الإستبدال النحوي بين المستبدل به والمستبدل منه مطابقة إحالية "[3].

وبهذا فإن "كلمات محددة مثل(واحد- يفعل- ذلك) أو (ONE-DO-SO) (في الإنجليزية) يحل محل كلمات أخرى مستخدمة في النص، مما يؤدي إلى ترابط أجزاء النص"[4]. وهو استبدال كلمة بأخرى أو بمركب مع محافظة الجملة أو الملفوظ على قيمته النحوية أو التركيبية، وذلك من قبيل الإستبدال الحاصل في الجملة الفرنسية التالية LE CONCIERGE MONTE LES LETTRES [5] (البواب يحمل الرسائل) إذا يمكن استبدال LE ب: CE أو MON أو TON كما يمكن استبدال LES LETTRES (الرسائل) بLES JOURNAUX (الصحف) أو LES CLEFS (المفاتيح).

وتكون العلاقة "قبلية بين عنصر سابق في النص وبين عنصر لاحق فيه"[6] ويظهر النوع من العمليات النصّية علاقة استمرارية تمتد من جملة إلى جملة لاحقة.و يؤكد ذلك صعوبة فهم بعض العناصر النصية (ONE-DO-SO) التي تعتبر"عناصر مستبدلة إلا بالعودة إلى ما هي متعلقة به قبليا"[7].

وقد اعتمد النحاة في تحديد ما يرد في الموقع النحوي إلى حدّ ما، على الإستبدال الذي يعدّ طريقة ضرورية لضبط ما يرد في الموقع النحوي من وحدات مختلفة، فتحديدهم لما يشغل المواقع النحوية من أقسام الكلام يعد تطبيقا دقيقا لفكرة الإستبدال"[8].

---

[1]– لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 19.

[2]– علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، المجلد9، العدد2، 2006م، ص: 19.

[3] – المرجع نفسه، المجلد 9، العدد2، 2006م، ص: 19.

[4] –RAPHAEL SALKIE TEXT AND DISCOURSE ANALYSIS ROUTLEDGE LONDON AND NEW YORK 1995 P35

[6]– لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 20.

[7]– المرجع نفسه، ص: 20.

[8] – المفاهيم النحوية بين الدرسين العربي التراثي والغربي المعاصر، محمد عبد العزيز عبد الدّايم، دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ط، 1998م، ص: 39.

يقول عبد القاهر الجرجاني "لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق وزيد ينطلق، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، المنطلق زيد، وزيد هو المنطلق، وزيد هو منطلق. وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج"[1].وقد ذكر الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور، مثالا لذلك مذكورا في قوله تعالى"﴿ **قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾(**الطلاق،11**).فإبدال رسول من ذكر يفيد أنّ هذا الذكر ذكر هذا الرسول. وإن مجيء الرسول هو ذكر لهم، وأنّ وصفه بقولهم يتلو عليكم آيات الله يفيد أنّ الآيات ذكر. "وَالذِّكْرُ : الْقُرْآنُ . وَقَدْ سُمِّيَ بِالذِّكْرِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ تَذْكِيرَ النَّاسِ بِمَا هُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ مِنْ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا مِنْ حُسْنِ السُّلُوكِ ، ثُمَّ تَذْكِيرَهُمْ بِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ التَّكَالِيفِ وَبَيَّنَاهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) فِي سُورَةِ الْحِجْرِ . وَإِنْزَالُ الْقُرْآنِ تَبْلِيغُهُ إِلَى الرَّسُولِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ وَاسْتُعِيرَ لَهُ الْإِنْزَالُ لِأَنَّ الذِّكْرَ مُشَبَّهٌ بِالشَّيْءِ الْمَرْفُوعِ فِي السَّمَاوَاتِ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْحِجْرِ وَفِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ[2] .

"وَقَوْلُهُ (رَسُولًا) بَدَلٌ مِنْ (ذِكْرًا) بَدَلُ اشْتِمَالٍ لِأَنَّ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُلَازَمَةً وَمُلَابَسَةً فَإِنَّ الرِّسَالَةَ تَحَقَّقَتْ لَهُ عِنْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ ، فَقَدْ أُعْمِلَ فِعْلُ (أَنْزَلَ) فِي (رَسُولًا) تَبَعًا لِإِعْمَالِهِ فِي الْمُبْدَلِ مِنْهُ بِاعْتِبَارِ هَذِهِ الْمُقَارَنَةِ وَاشْتِمَالِ مَفْهُومِ أَحَدِ الِاسْمَيْنِ عَلَى مَفْهُومِ الْآخَرِ . وَهَذَا كَمَا أُبْدِلَ(رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ) مِنْ قَوْلِهِ (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) فِي سُورَةِ الْبَيِّنَةِ. "[3] وَالرَّسُولُ : هُوَ مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ب– علاقة الإستبدال بالإبدال:

من وسائل الإتساق عند النصين الإبدال، هو شبيه بالبدل من حيث الوظيفة، ذلك أنّ البدل يحيل على ما قبله (المبدل منه)، ويسهم في تماسك النص بهذه الإحالة ويزيد من تقرير المعنى المراد من النّص في نفس المتلقي. والبدل هو أحد التوابع عند النحاة، فهو"التابع المقصود بالحكم بلا واسطة، وهو المسمى باصطلاح البصريين (بدلا) وأمّا الكوفيون فقال الأخفش يسمونه بالترجمة والتبيين، وقال ابن كيسان يسمونه بالتكرير"[4].

---

[1] – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1989م، ص: 81–82.

[2] –تفسير التحرير والتنوير، ج337/29.

[3] –المرجع نفسه،ج337/29.

[4]– شرح الأشموني، نور الدين علي بن محمد الأشموني(ت 929هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1955م، الجزء3، ص: 123.

ويبدو أن المبرد كان في شرحه للبدل أقرب من المفهوم النصّي للبدل (الإستبدال) إذ يقول : "وذلك قولك: مررت برجل زيد، وبأخيك أبي عبد الله، فكأنك قلت: مررت بزيد، ومررت بأبي عبد الله"[1] فكلمتي زيد و(أبي عبد الله) يمكن أن تعوض كلمتي (رجل) و(أخيك) وهما في هذان السياقان يعنيان نفس الشخصان، وبالتالي فالغرض من البدل في هذا النوع من الجمل هو البيان والتوضيح ورفع الإلتباس وإزالة للتوسع والمجاز"[2].

ج- علاقة الإستبدال بالحذف:

يفرّق المؤلفان بين الإبدال والإحالة؛ إذ إنَّ الإبدال هو علاقة بين المواد اللغويَّة (الكلمات والعبارات)، بينما الإحالة هي علاقة بين المعاني، فمن ناحية النظام اللغويّ تكون الإحالة علاقة على المستوى الدلاليّ(السيمانطيقيّ)، في حين أَنَّ الإبدال هو علاقة على المستوى النحويّ/ المعجميّ- أي مستوى القواعد والمفردات-[3].ويجدر بنا أن نشير إلى العلاقة بين الاستبدال والحذف، على أنها "علاقة التضمين، فالاستبدال يتضمن الحذف، بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلا من أشكال الإستبدال حيث يكون الإستبدال بالصفر"[4] أين تكشف لنا البنيتين السطحية والعميقة من خلال النظرية التحويلية التوليدية التي جاء بها تشومسكي، عن العلاقة بين المستبدل والمستبدل منه، خاصة في علاقة الحذف، و تظهر البنية العميقة في النص أصل المحذوفات و أصل بنيتها التركيبية، وهنا تظهر لنا علاقتين:

1- علاقة بين المعنى السطحي(البنية السطحية)، والعميق للنص، (البنية العميقة)، وذلك عندما نكشف عنها في الحذف عن أصل البنية التركيبية، وعلاقتها بالإستبدال من خلال البنية العميقة.

2- علاقة بين الحذف والإستبدال، في صورة متكاملة، إذ يمثّل الحذف نوع من أنواع الإستبدال، فهو يتضمنه، وبه يبني قواعده التحويلية التي جاء بها التحويليون، لتتضح في الأخير العلاقة بين الإستبدال والحذف.

ومن هنا يمكننا القول بأنّ علاقة الإستبدال قد تكون ظاهرة بوضوح على المستوى السطحي، في ظاهر النص، كما يمكننا أن نلمسها في باطن النص، و في بنيته العميقة، إذ يؤدي الإستبدال نفس الدور الذي يؤديه على المستوى السطحي، ويظهر أثره في عملية الربط بين العناصر اللغوية على المستويين.

---

[1]- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت، الجزء4، ص: 211.

[2]- ينظر: أسرار العربية أبي البركات الأنباري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجبل، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م، ص: 266.

[3]- HALLIDAY RUQAIYA HASAN COHESION IN ENGLISH; p.p. 88-89.

[4]- Ibid; P88.

فمن حيث تلاحق العناصر اللغوية فإنهما يتحققان بوجود عنصرين سابق ولاحق، غير أن هناك فرق بينهما واضح وهو أن الاستبدال يتشكل بوجود عنصريه المبدل والمبدل منه، وبالتالي تكون العلاقة بين هذين العنصرين هي علاقة حضور.

أما الحذف فإنّه يتشكل بعلاقة أخرى وهي علاقة غياب للعنصر المحذوف. وعلاقة حضور للعنصر المذكور، وبالتالي فإن هذه العلاقة تسمى بالإكتفاء بالمبنى العدمي "SUBSTUTION BY ZERO"[1].

د- علاقة الإستبدال بالإحالة:

الإستبدال "صورة من صور التماسك النصّي التي تتم في المستوى النحوي المعجمي، بين كلمات وعبارات، على أن معظم حالات الإستبدال النّصي قبلية ANAPHORA أي علاقة بين عنصر متأخّر وعنصر متقدم"[2] وقد عدّ نعمان بوقرّة أنّ الإبدال في الدرس اللساني النّصي "صورة من صوّر التماسك النصّي التي تتمّ في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات، وهي عملية تتم داخل النّص، إنّه تعويض عنصر في النّص، بعنصر آخر"[3]، ومن هنا نستنتج أنّ الابدال والاستبدال في اللغة بمعنى واحد وهذا ما ذهب إليه محمد عنّاني في تناوله للمصطلح الانجليزي SUBSTITUTION حيث ترجمه بالإبدال والاستبدال، والمعنى المستقى من هذين المصطلحين هو جعل شيء مكان شيء آخر"[4]

وقد فرّق إبراهيم خليل بين الإستبدال والإحالة: "والفرق بين الإستبدال والإحالة، أنّ الثاني يحيل على شيء غير لغوي في أويقات معيّنة، في حين أنّ الإستبدال يكون بوضع لفظ مكان لفظ آخر، لزيادة الصلّة بين هذا اللفظ وذلك الذي يجاوره، وذلك اللفظ الذي يدلّ على الشيء الذي تقدّم ذكره"[5].

كما اعتبر محمد الشاوش أن ظاهرة الإضمار هي الأقرب إلى الاستبدال منه إلى الحذف، إذ يعمد فيه المتكلم إلى تعويض عنصر لغوي بآخر، وبالتالي يحسن نقل الإضمار من القسم الذي جعله المؤلفان للإحالة إلى القسم الذي جعلاه للاستبدال"[6]."ونقتصر على الإشارة إلى أن ما جمل على الاستبدال إنّما هو من قبيل الحذف

---

[1]- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند،ص: 340.

[2] - دراسة لغوية لصوّر التماسك النّصي، في لغتي الجاحظ والزيّات، دكتوراه بكلية دار العلوم، تحت رقم 1077- عام 1417هـ-1996م، مصطفى صلاح قطب، ص: 173. - ونحو النّص اتّجاه جديد، أحمد عفيفي، ص: 122.

[3]- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، نعمان بوقرّة، ص: 83.

[4] - المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عنّاني، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة، ط3، 2003م، ص: 350.

[5] - الأسلوبية ونظرية النص، خليل إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1997م، ص: 138.

[6]-ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس "نحو النص"،محمد الشاوش،المجلد الأوّل،ص:133.

بدليل إمكان الجمع بين ما حذف وما اعتبر بدلاً"[1] "والاستبدال هو تعويض عنصر بآخر، أمّا الحذف فهو "نسيان" عنصر وتغييبه، ويمكن إرجاع هاتين الظاهرتين إلى ظاهرة واحدة وذلك متى اعتبرت الحذف ضرباً من الاستبدال يكون فيه التعويض بانعدام العنصر أو بالعنصر الصفر،لكن العملية التي تقوم عليها كل ظاهرة تختلف عن الأخرى"[2].

واعتبر هاليداي وحسن"أن الفرق بين الإحالة والاستبدال فرق يرجع إلى المستوى الذي تتم فيه كل ظاهرة:فالاستبدال علاقة مجالها الصيغ اللغوية من قبيل المفردات والمركبات، وهو يتم في المستوى المعجمي النحوي، أمّا الإحالة فهي علاقة معنوية وهي تتم المستوى الدلالي"[3]والفرق الذي يميز الاستبدال عن الإحالة حسب ما جاء به الباحثان رقية حسن وهاليداي، يكمن في أن "الإستبدال علاقة بين العناصر اللغوية أو الشكل اللغوي، أي بين الكلمات والعبارات، بينما الإحالة علاقة بين المعاني، فالإحالة علاقة على المستوى الدلالي، في حين أن الإستبدال علاقة على المستوى المعجمي النحوي"[4] وهنا يظهر دور الكلمة في التركيب، ففي علاقة الإستبدال بين الكلمات تؤدي الكلمة البديلة نفس وظيفة الكلمة المبدلة. وينتج عن العلاقة الإستبدالية "التقابل والإختلاف الذي ينتج عنه الإستيعاد دون أن يلغي ذلك وظيفة الإتساق التي تقوم لها العناصر ONE-DO-SO بل من تلك العلاقة تستمد قيمتها الإتساقية"[5].

هـ- الإستبدال هو تعوض:

يستعمل في النحو "للإحالة على أدوات التماسك (COHESION) في النّصوص، وليس من السّهل تمييزه عن الإحالة المشتركة، (CO-REFERENCE) مادام الإثنان معا أداتين لتجنّب التكرار (REPETITION) ويعملان على نحو تكراري، ANAPHORICALLY ويقتضيان استعمال أشكال داعمة PRO-FORMS (مثلا الضمائر) لكّن في معناها الأصلي تعدّ الشركة الإحالية علاقة على المستوى الدلالي التي تتوقف على الهوية الدلالية بين المركبات الإسمية، وإنّ الإستبدال SUBSTITUTION الذي هي علاقة على المستوى البنيوي يتوقف على الهوية البنيوية"[6] ويعتبر الاستبدال من جهة أخرى وسيلة أساسية

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، المجلد الأوّل، ص:133.

[2]-المرجع نفسه، المجلد الأول،ص:132.

[3]-المرجع نفسه، المجلد الأوّل،ص:133

[4]-HALLIDAY RUQAIYA HASAN COHESION IN ENGLISH P88.

[5]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 21.

[6] - معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، مراجعة: قاسم البرسيم، المنظمة العربية للترجمة، بناية بيت النهضة، شارع البصرة الحمراء، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص: 646.

تعتمد في إتّساق النص، سيتخلّص من كونه" عملية داخل النّص، إنّه نصّي"[1]. والتعويض لا يكون في مكان واحد وفي نفس الموقع، فلا بدّ أن يمضي المتلقي نحو الأمام لاكتشاف هذه المستبدلات التي عوّضت اللفظ السابق ونوعت ذكره، لتدل على العلاقة الموجودة بين العنصرين اللغويين أو المعجميين. وهذا ما يحقق التماسك داخل النص.

وإذا ما تتبعنا حركة اللفظ المعوّض، فإننا سنجد محور هذه العملية اللغوية النصية يدور حول لفظ بارز في النص، وقد يشكل هذا اللفظ محورا تدور حوله حركة الإحالة وتنقل المتلقي بين أطراف عناصر الإستبدال. وبهذا فإنّ الإستبدال أو التعويض اللغوي الذي يكون في النص يساهم بشكل متنوع ومعجمي في عملية إتّساق النص.ويشمل الاستبدال "كل الوحدات الإسنادية الوظيفية المؤدية وظائف المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل والمفعول به والنعت والحال والمضاف إليه والمستثنى، فهي كلها استبدلت بمفرد يرتد إلى مصدر أو مشتق"[2].وفي قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ** ﴾ (سورة البقرة:130). يلاحظ أن الوحدة الاسنادية الماضوية (مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) مؤدية وظيفة الفاعل ،حيث نجد أنّ هذه الوحدة الاسنادية الماضوية المؤكدة بالحصر المحوّلة بالاستبدال قوامها الموصول الاسمي العام وَصِلَتُهُ، وبعملية التحويل بالاستبدال يغدوا التركيب الاسنادي (يرغب عن ملّة إبراهيم السافه نفسه)، وتفيد هذه الوحدة الاسنادية أنّ الرغبة عن ملّة إبراهيم مقصورة على السافه نفسه دون سواه من الناس"[3].

و- أنواع الاستبدال:

تقوم العلاقة بين عنصري الإستبدال وهما (المبدل) و(المبدل منه) أو كما يسميها الباحثان هاليداي ورقية حسن المستبدل والمستبدل"[4] حيث تربط علاقة نحوية بين الكلمات أكثر من كونها بين المعاني. و"هو تحريك يستهدف تعويض وحدة ما بوحدة أخرى داخل سياق معين.تهدف هذه العملية في الأصل ضمن تطور اللسانيات البنيوية إلى تحديد وحدات اللسان"[5] أي أنه كان يطبق على المستوى الصوتي فقط، "وقد أخذ هذا المصطلح فيما بعد دلالة أوسع، فأضحى مكافئا بصورة تقريبية لمصطلح الإبدال"[6]. ومن أنواع الاستبدال "أن يستبدل لفظ بلفظ ينوب عنه في اللفظ والمعنى، ويقع في الأسماء والأفعال والتراكيب.ويدل على غزارة اللفظ ويغني عن تكرار معنى بلفظه، ويغني عن الإشارة إليه أو تكراره، ومن ذلك قول كعب: "هذاك الذي أعطاك

---

[1] – لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 19.

[2] –التحويل في النحو العربي،مفهومه،أنواعه– صوره،رابح بوعزة،ص:60.

[3] –ينظر: المرجع نفسه، ص:95–96.

[4] –ينظر، المرجع السابق، ص: 20.

[5] – المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال، ط1، 2007م، ص: 27.

[6] – المرجع نفسه، ص: 29.

نافلة القرآن، استبدل لفظ الجلالة بإسم موصول الذي وصله وهو فاعل"[1]، وعلى هذا فإنّ الأسماء الموصولة هي الأخرى تشارك في عملية الاستبدال وتصبح لديها خاصيتي الاستبدال والإحالة، وتجنب التكرار المحض. كما تقوم بخلق الاتساق في النص من خلال هذه الخصائص.وعلى هذا الأساس قسمت علاقة الاستبدال إلى ثلاثة أنواع وهي:

1- الإستبدال الاسمي (NOMINAL SUBSTUTION):

وهو أن "يحل الاسم محل آخر مؤديا وظيفته التركيبية"[2] وتعبر عنه الكلمات (واحد- نفس- ذات) وفي الإنجليزية (ONE-ONES-SAME) فتحل محل الإسم أو العبارة الإسمية NOUM PHRASE"[3] ويقصد بالإستبدال الإسمي: "استعمال ألفاظ معينة مكان أسماء وردت في موضع سابق من النص ومن ألفاظه واحد، واحدة، آخر، أخرى...."[4].ويكون في إبدال اسم بآخر؛ مثال ذلك[5]:

-My axe is too blant. I must get a sharper one

- فأسي غير حادة، يجب أنْ أَحصل على أُخرى حادة.

الإبدال في المثال حدث ضمن المجموعة الاسميَّة، إذ إنَّ الاسم فأس (*axe*) أبدل باسم آخر هو (واحدة) (*one*)؛ إلا أنَّ الملاحظ هنا إنَّ واحدة لا تعني بالضرورة الفأس نفسها وإنَّما فأس أخرى، وهنا يظهر الاختلاف بين الإبدال والإحالة. ففي الإحالة المحيل عادة ما يشير إلى المحال عليه نفسه، بخلاف الإبدال الذي يتمُّ بإبدال شيء آخر غير المبدل منه. ولنلاحظ المثال الآتي[6]:

- Would you like me to change the pictures in your room?

- No, I think we'd like to keep the same ones.

- هلْ ترَغَبُ في أنْ أُغيّرَ لكَ الصورَ التي في غُرفتِكَ؟

---

[1]- تحليل النص، دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، محمود عكاشة، مكتبة الرشد، ناشرون، ط1، 1435هـ/2014م، ص: 339.

[2]- نحو النص، أثر عناصر الإتساق في تماسك النص، سورة يوسف مثالا، محمود سليمان حسين الهواوشة، ص: 134.

[3]- علم لغة النص، النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص: 144.

[4]- الترابط النصي بين الشعر والنثر، زاهر بن مرهون بن خصيف الدّاودي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2010م، ص: 50..

[5] -Cohesion in English – Halliday and Hasan; p.p. 89

[6]-Ibid; p.p. 94

– لا، أعتقدُ أنَّنا نرغَبُ في الاحتِفاظِ بأخريات مِثلهنَّ.

فالكلمات (أخريات) و (مثلهنَّ) تشير إلى الصور المذكورة سابقا، لكن من الواضح أنَّ الأخريات ما هنَّ بالصور نفسها المذكورة في الكلام الأول. وقد ربط هذا الاستبدال بين كل جملتين وجعلهما في سياق واحد، فلو فصلنا كل من جملة (لا أحب أن أحتفظ بها نفسها) عن الجملة الأولى التي تربط بينهما علاقة استبدال (هل تحب أن أغير لك الصورة في حجرتك)، لما فهمنا عن أي شيء تعود كلمة (نفسها)، لأنها عوضت كلمة سبق ذكرها في الجملة الأولى (الصورة)، هكذا هو الأمر في المثال الثاني،مع كلمتي (فأسي) و (واحدة).

ومن هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (3)** ﴾(**النساء،3**). حيث استبدلت كلمة (النساء) بكلمة(مثنى–ثلاث–رباع) ولفظة (واحدة) ليحدث اتساق بين الجزء السابق من الآية بالجزء اللاحق، وهذه ميزة من مميزات العلاقة الاستبدالية التي ظهرت بين اسمين.حيث لا نستطيع فهم العناصر المستبدلة (مثنى–ثلاث–رباع) و لفظة (واحدة) إلا بالعودة إلى ما هو متعلق قبليا.حتى يتمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي المتواجد في مكان آخر في النص"[1] وهناك مثال آخر في قوله تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ(68)** ﴾ (**الزمر،68**).ففي هذه الآية استبدلت كلمة (النفخة) بكلمة (أخرى)، وهذا ما يؤدي إلى ظهور الإتّساق على مستوى التراكيب والجمل والنص.

ومن صور الحذف الإسمي التي ساهمت في الربط بين داخل السورة عن طريق الإحالة إلى مكان المستبدل، قوله تعالى:﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)** ﴾ (البقرة،134) "(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) : تقدم الكلام على شرح هذه الجمل ، وتضمنت معنى التخويف والتهديد ، وليس ذلك بتكرار ; لأن ذلك ورد إثر شيء مخالف لما وردت الجمل الأولى بإثره . وإذا كان كذلك ، فقد اختلف السياق ، فلا تكرار . بيان ذلك أن الأولى وردت إثر ذكر الأنبياء ، فتلك إشارة إليهم ، وهذه وردت عقب أسلاف اليهود والنصارى ، فالمشار إليه هم . فقد اختلف المخبر عنه والسياق ، والمعنى : أنه إذا كان الأنبياء على فضلهم وتقدمهم ، يجازون بما كسبوا، فأنتم أحق بذلك. وقيل: الإشارة بتلك إلى إبراهيم ومن ذكر معه، واستبعد أن يراد بذلك أسلاف اليهود والنصارى ؛ لأنه لم يجر لهم ذكر مصرح بهم ، وإذا كانت الإشارة بتلك إلى إبراهيم ومن معه ، فالتكرار حسن لاختلاف الأقوال والسياق،"[2]، وهذا الإستبدال الذي يظهر على مستوى لفظة (أمّة) في الآية

---

[1]– ينظر، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 20–21.

[2] –تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي،ج1/416.

(134) والآية (141) ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)** ﴾(البقرة،141) هو استبدال اسمي بين أمة سيدنا إبراهيم وأسلاف اليهود المذكورين في الآيات السابقة، وبين أنبياء الله المذكورين في قوله تعالى: ﴿ **أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140)** ﴾.

والآيات التالية توضح العلاقات بين لفظة الأمة التي عوّضت الأمم السابقة والأنبياء على مرتين متكررتين، قال تعالى:

﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مِنَ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ 135) (قُولُوا آمَنَّا .بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ 137) (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهُ**

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141) ﴾(البقرة،124-141).

"ففِي الْقِطَاعَاتِ الَّتِي مَضَتْ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ كَانَ الْجَدَلُ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ ، دَائِرًا كُلُّهُ حَوْلَ سِيرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَمَوَاقِفِهِمْ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ وَشَرَائِعِهِمْ، وَمِنْ مَوَاثِيقِهِمْ وَعُهُودِهِمُ، ابْتِدَاءً مِنْ عَهْدِ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – إِلَى عَهْدِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَكْثَرُهُ عَنِ الْيَهُودِ ، وَأَقَلُّهُ عَنِ النَّصَارَى ، مَعَ إِشَارَاتٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، عِنْدَ السِّمَاتِ الَّتِي يَلْتَقُونَ فِيهَا مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَوْ يَلْتَقِي مَعَهُمْ فِيهَا أَهْلُ الْكِتَابِ . فَالْآنَ يَرْجِعُ السِّيَاقُ إِلَى مَرْحَلَةٍ تَارِيخِيَّةٍ أَسْبَقَ مِنْ عَهْدِ مُوسَى .. يَرْجِعُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ .. وَقِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ – عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تُسَاقُ بِهِ فِي مَوْضِعِهَا هَذَا – تُؤَدِّي دَوْرَهَا فِي السِّيَاقِ، كَمَا أَنَّهَا تُؤَدِّي دَوْرًا هَامًّا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ نِزَاعٍ حَادٍّ مُتَشَعِّبِ الْأَطْرَافِ[1] . وهكذا نجد أنّ الإستبدال الإسمي يمكنه أن يؤدي وظيفة إتّساقية على مستوى النص وفي نقطة أبعد من بنية السورة، وهو يجنب السورة تكرارا قد يكون مملا وفي غير موضعه.

ونذكر هنا أنواع من الاستبدالات التي وقعت على مستوى الكلمة في سورة البقرة:

-كإقامة المصدر مقام المفعول:من ذلك قوله تعالى:﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ** ﴾ (سورة البقرة:255) أي من معلومه.

- إقامة المصدر مقام الفعل:منها قوله تعالى:﴿**وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)**﴾ (سورة البقرة:07)،ف(غشاوة) مصدر قام مقام فعله، فكأنه قيل : وغشى الله على أبصارهم، ويكون ذلك بقصد الدعاء عليهم.

- إقامة الفعل مقام المصدر:من ذلك قوله: ﴿ **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)**﴾ (سورة البقرة:26) والتقدير:ضلالا وهداية، قال الألوسي، وضع الفعلان :(يضل) و (ويهدي) موضع المصدر،للإشعار بالاستمرار التجديدي، و المضارع يستعمل له كثيراً.

-إقامة المصدر مقام مَفْعِل،من ذلك قوله سبحانه:﴿ **وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)** ﴾ (سورة البقرة:104)، أي: مُؤْلِم .

[1] – في ظلال القرآن، سيد قطب، ج**110/1**.

-إقامة المؤنث مقام المذكر ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ** ﴾ (سورة البقرة:275)، أي :وعظ"[1].

وليس يخفى على أحد أن إقامة الكلمات بعضها مقام بعض و استبدالها إنما هو لتحصيل المعنى المراد، أو تأكيد مرمى مقصود، أو حث على فعل مطلوب، و المفسرون يعللون ذلك بنحو قولهم:"لأنّ دلالة الفعل على مصدره أقوى من دلالته على الزمان، وعلى الهيئة وعلى المفعول وعلى الفاعل" وأحياناً يكون الغرض من إقامة كلمة مكان كلمة أخرى هو الإغراء على القيام بالفعل، وقد يعللون هذا المسلك لغير ما ذكرنا من المعاني والمرامي، التي تعرف بالتتبع والتأمل.

ومن الاستبدالات المهمة والبارزة الواقعة في سورة البقرة استبدال لفظة الرّب بلفظة الله،كما يظهر ذلك في قوله تعالى:﴿ **مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)**﴾ (سورة البقرة:105)،فإن إنزال الخير مناسب للربوبية وأعاده بلفظ الله، لأن تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للإلهية، لأنّ دائرة الربوبية أوسع"[2].وقد نبّه السيوطي إلى هذه الظاهرة التي يوجد فيها "إعادة الظاهر بمعناه أحسن من إعادته بلفظه"[3].

كما نجد نوعا آخر من صور الاستبدال الكلماتي. وهو استبدال كلمتين بكلمة واحدة ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿ **ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** ﴾(سورة البقرة:196). أعيد ذكر العشرة لرفع توهم أن الواو في (سبعة) بمعنى أو فتكون الثلاثة داخلة فيها"[4].

وهكذا فإنّ الاستبدال يساهم في الإتّساق العام للنص بطرق شتى، وما نثيره هنا وهو أنّ عدّ الضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة عملية من عمليات التعويض التي تقوم بها، وهي ضرب من ضروب الاستبدال عند النحاة العرب، وهذا التداخل في تقمص الوظائف النصية تختص به العناصر الإشارية واللغوية أكثر من غيرها من وسائل الإتّساق الأخرى. فهناك بعض المعارف كالضمائر و أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة،تنشئ علاقات لغوية داخل النص وخارجه لإكتسابها دلالات تتساوى مع المستبدل منه"فكل ضمير يساوي في دلالته اسما ظاهرا هو المتكلم أو المخاطب إذا كان الضمير لذي حضور...و ذو حضور هو المتكلم أو المخاطب، أو هو الغائب إذا كان الضمير لذي غيبة"[5].

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي، ج64/3.

[2]- المرجع نفسه،ج138/3.

[3]- المرجع نفسه،ج138/3.

[4]- المرجع نفسه،ج134/3.

[5]- النحو و الدلالة،مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي،حماسة عبد اللطيف،ص:146.

2- الاستبدال الفعلي (VERBAL SUBSTUTION):

ويعبر عنه بالفعل البديل الكنائي (PRO-VERB) ويقابل في الإنجليزية الفعل (DO)[1] ويعني هذا"حلول الفعل مكان الآخر مع تأدية وظيفة تركيبية"[2] ويمثل ذلك استعمال العنصر "(DO) (الفعل)[3] نحو قوله تعالى في مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ(27)** ﴾(إبراهيم،27).ففي قوله (يفعل الله ما يشاء) نجد أن الفعل (يفعل) يعود إلى الصنفين (الذين أمنوا) و(الظالمين) بمعنى "يفعل الله حسب حكمته وإرادته المطلقة بإثبات الإيمان في قلوب المؤمنين والضلال للمشركين بشركهم وظلمهم"[4]، فالإستبدال في هذه الآية كان فعليا، عن طريق استبدال الفعل (يثبت) و(يضل) بـ(يفعل) وعليه ارتبط المفردات مع بعضها واتسقت الآية أحسن إتساق رغم وجود صنفين من البشر مختلفين في الوصف والملاحظ أن الفعل البديل (يفعل) يأتي إضمارا لفعل أو حدث معين أو عبارة فعلية، ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل أي العبارة الفعلية الأكثر تحديدا"[5].

وذكر الباحثان أن هذا النوع من الاستبدال يتم باستبدال فعل في النصّ بفعل آخر: مثال ذلك[6]:

- Has the doctor been called by anyone ?

- I don't knew. I haven't done. May be someone else has

- هلْ استدعَى أحَدَكُم الطبيبَ؟ - لا أعرِفُ . أنا لم أَفعلْ، ربمَّا شخص ما غيري فَعَلَ.

ومن الواضح هنا أَنَّ (أفعل) و (فعل) أبدلا عن الفعل (استدعى) وكلاهما يقع ضمن المجموعة الفعليَّة وأَنَّ الفعل المبدل به يعدُّ فعلا عاما، أي أنَّه فعل عامّ تقع تحته مجموعة الأفعال في اللغة -أي أَنَّه يقع على رأس من الحقل الذي يضم جميع الأفعال، ويمكن الإحالة به على جميع الأفعال-. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ هذين النوعين من الإبدال تكون للمفردة البديلة الوظيفة البنيويةَّ ذاتها للمفردة المبدل منها،إذ إنَّ كلا المفردتين -البديلة

---

[1] -HALLIDAY RUQAIYA HASAN COHESION IN ENGLISH P: 112.

[2]- نحو النص، أثر عناصر الإتساق في تماسك النص، سورة يوسف مثالا، محمود حسين الهوواشة، ص: 135.

[3]- ينظر، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 20.

[4]- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن حرير بن يزيد بن خالد الطبري، (ت310هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الجرستاني، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1423هـ/2002م، ج7، ص: 446.

[5]- ينظر، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص: 114.

[6] -HALLIDAY RUQAIYA HASAN COHESION IN ENGLISH; p.p. 121.

والمبدل منها- تقعان ضمن المجموعة البنيويَّة؛ ففي الإبدال الاسميّ تقع المفردتان ضمن المجموعة الاسميَّة، وفي الإبدال الفعليّ تقع المفردتان ضمن المجموعة الفعليَّة.

وأمّا التحويليون فإنّهم ينظرون إلى عملية الإستبدال، بأنّها بنية تظهر في البنية العميقة، ومن صور الإستبدال التي استعمل فيها الفعل على مستوى البنية السطحية، وأصل التركيب اللغوي فيها استعمال الإسم، ويظهر ذلك تأويل المتأوّلين، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)**) ﴾ (**البقرة:06**)" فالبنية الأصلية لهذه الجملة هي:(إنذارك وعدم إنذارك سواء عليهم) فاستُبدل المبتدأ المفرد(إنذارك) بوحدة إسنادية ماضوية مسبوقة بهمزة التسوية، ومكوّنة من الفعل الماضي (أنذر) وفاعله المتّصل(التاء) ومفعوله المتصل(الهاء)، وهي:(أنذرتهم)"[1]. يقول الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف:"وإذا نظرنا إلى الصيغة الصوتية المنطوقة في الجملة، وهي مكوّن من مكونات التفسير الدلالي من حيث الإختيار الذي شرحته على أنها تمثل ما يعرف عند التحويليين بالقواعد التحويلية Transformational Rules و وظيفة كل منهما (تحويل التركيب الباطني المجرد. يحتوي على معنى الجملة إلى التركيب الظاهري المحسوس الذي يجسد مبنى الجملة و شكلها و فيه تتم عمليات التحويل النحوية المتمثلة في أمور كثيرة منها الحذف Deletion والإستبدال Replacement والإحالة Expansion والتقديم fronting على إختلاف التحويليين في حصر وظائف التحليل"[2]. والاستبدال عند النحاة العرب هو "إمكانية إقامة وحدة لغوية أو وحدة إسنادية مقام وحدة لغوية أو وحدة إسنادية أخرى لأن الشيء المقام مقام الشيء بما أنّه وحدة دالة فهما من قبيل واحدٍ تماماً"[3].

ويكاد يكون الاستبدال في اللغة العربية نفسه في اللغة الإنجليزية، بل ويتوسع إلى ضم المرادفات كعناصر استبدالية إضافة إلى الفعل (يفعل) (DO) وهذا ما وقفنا عنده في كتاب (الأصول في النحو) لابن سراج. حينما ذكر إبدال الفعل بالفعل. ولا يحصل ذلك إلا "إذا كان ضربا منه...نحو قولك: إن تأتيني تمشي.أمشي معك، لأن المشي ضرب من الإتيان، ولا يجوز أن تقول: إن تأتني تأكل آكل معك، لأن الأكل ليس من الإتيان في شيء"[4]، فالعلاقة الاستبدالية كما أشار إليها ابن سراج كانت بين الفعلين (تأتي) في جملة الشرط و(أمشي) في جملة الجواب. وهذا ما دعت إليه مدرسة علم النص، فشرط "الإستبدال في النص، أن يتم استبدال وحدة لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة، حيث ينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين على

---

[1]- ينظر: معاني القرآن، الفرّاء، ج2/195. و ينظر: المغني اللبيب، لابن هشام،ج2/477.

[2]- النحو و الدلالة،مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي،حماسة عبد اللطيف،ص:107.

[3]- التحويل في النحو العربي،مفهومه،أنواعه- صوره،رابح بوعزة،ص:60

[4]- أصول في النحو، ابن سراج (أبو بكر محمد بن سهل، ت316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ/1987م، الجزء الثاني، ص: 49.

الشيء غير اللغوي نفسه"[1] كما لاحظنا في المثال السابق بين الفعلين (تأتي) و(أمشي). "والاستبدال باب من أبواب التكافؤ من حيث جمعه كل العناصر التي يمكن أن يستبدل بعضها ببعض في سياق معين"[2].

ومن سور الإستبدال الفعلي التي نادى بها هاليداى ورقية حسن في سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)** ﴾ (البقرة71). أين عُوِّض الفعل (ذبحوها) بـ(يفعلون).على رأي الباحثان.

ونجد كذلك مثالا آخر من النوع الإستبدالي ساهم في الربط بين أجزاء النص، وذلك في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)** ﴾ (البقرة85). حيث يمثل الفعل (يفعل) في قوله (من يفعل ذلك) استبدالا لما سبق ذكره، وقد أحال مقرونا بـ (ذلك) إحالة إلى الوراء، وهي إحالة نصية إلى نص بكامله. تتمثل في الأفعال التي سبقت الفعل (يفعل).وهكذا ساهمت هذه الأفعال في الربط عن طريق الإستبدال في اتّساق النص.

ومنها كذالك قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)** ﴾(البقرة،231) قال البغوي"(أو سرحوهن بمعروف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن أملك بأنفسهن (ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا) أي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أي أضر بنفسه بمخالفة أمر الله تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) قال الكلبي : يعني قوله تعالى "فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان " وكل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقال أبو الدرداء هو أن الرجل كان يطلق امرأته ثم يقول:كنت لاعبا ويعتق ويقول مثل ذلك (وينكح ويقول مثل ذلك)[3] . فالفعل (يفعل) أحال إلى كلام سبق ذكره، حيث تمت عملية الإستبدال بينه وبين الأفعال السابقة حيى لا تتكرر للدلالة عليها، وبهذا يكون الإستبدال قد ساهم في الربط بين أجزاء الآية، ومنه في اتّساق النص.

---

[1]– مدارس نحوية ولغوية، عربية وغربية، صبري إبراهيم السيّد، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1432هـ/2011م، ص: 304.

[2]–التحويل في النحو العربي،مفهومه،أنواعه– صوره،رابح بوعزة،ص:60.

[3] – تفسير البغوي، معالم التنزيل، ج275/1.

والمثال الآخير الذي يوجد فيه الفعل (يفعل) وندلي به في هذا النوع من الإستبدال جاء في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253)**﴾ (البقرة،253).حيث نجد استبدالا وقع على مستوى الآية وهو قوله تعالى(الله يفعل).و قوله تعالى (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أي من بعد الرسل (من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) ثبت على إيمانه بفضل الله (ومنهم من كفر) بخذلانه (ولو شاء الله ما اقتتلوا) أعاده تأكيدا (ولكن الله يفعل ما يريد) يوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا . فربط الفعل (الله يفعل) بالأفعال والمعجزات التي تميز بها أنبياء الله، نوع من أنواع الإستبدال لكنه كان استبدالا نصيا عاما، ساهم في اتّساق النص عن طريق العودة إلى تلك الأوصاف التي ذكرت عن الأنبياء والرسل من قبل.

ونجد كذلك أنواعا أخرى للإستبدال الفعلي ساهم في الربط وتحقيق دلالة معيّنة استدعاها السياق القرآني، كإقامة الماضي مقام الحاضر: ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا**﴾ (سورة البقرة:143)، أي:أنت عليها

3- الإستبدال الجملي (CLAUSAL SUBSTUTION):

ويسميه البعض الآخر بالإستبدال القولي"[1]، وهو "استبدال قول مكان آخر مع تأدية وظيفته"[2] وهذا النوع من الإستبدال"ليس استبدلا لكلمة داخل الجملة، ولكن الجملة بكاملها. وفي هذه الحال تقع أولا جملة الإستبدال، ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة، مثل الكلمات (هذا- ذلك) يقابلها في الإنجليزية الكلمات (SO-SUCH) والتعبيرات مثل (DO SO-DO THE SAME)"[3] ومن أمثلة الإستبدال القولي، قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42)**﴾ (الشعراء،41-42).

فالحرف نعم المخصص للجواب، استبدل قول السحرة (**أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**) وهذا النوع من الإستبدال الجملي، وهو استبدال جملة بجملة أخري حيث تؤدي الجملة البديلة نفس وظيفة الجملة المبدلة، ومثال ذلك في قوله تعالى:﴿**وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ (133)**﴾

---

[1]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 20.

[2]- نحو النص، أثر عناصر الإتّساق في تماسك النّص، سورة يوسف مثالا، محمود سليمان حسين الهواوشة، ص: 135.

[3]- علم لغو النص، النظرية والتّطبيق، عزّة شبل محمد، ص: 115.

(الشعراء 132-133).حيث تم استبدال الآية الأولى (أمدكم بما تعلمون) بالآية التي وردت بعدها مباشرة (أمدكم بأنعام وبنين).

ويقع هذا النوع من الإبدال حينما تستبدل عبارة في النصّ بكلمة واحدة، تشير إلى العبارة المستبدلة، وتسهم في خلق الاتّساق داخل النصّ؛ مثال وذلك[1]:

- Is he going to pass the exam? I hope so.

- هلْ سَيجتازُ الامتحانَ؟ - أأملُ ذلكَ.

نجد أَنَّ الكلمة (ذلك) (*So*) أُبدِلَت من العبارة (سيجتاز الامتحان)، ونلاحظ هنا أنَّ في حالة استبدال العبارة قد تحيل المفردة المبدل بها إلى الاسم والفعل في آن معا، إذ إنَّ الوظيفة النحويةَّ للمفردة المبدل بها قد تكون مختلفة عن الوظيفة النحويَّة للمفردة المبدلة، وكما هو واضح في المثال وإذ نجد أنَّ كلمة (ذلك)وهي اسم قد أبدلت من كلمة (نجح) وهي فعل، ولكلّ منهما وظيفته النحويَّة، فضلا عن كونها أُبدِلَت من اسمين هما (الضمير والامتحان). الإبدال لا يمكن إلا أن يكون علاقة داخل النصّ، إذ يتوجب حضور المفردة المبدلة، أما المفردة المبدل بها فهي النوع المقابل الذي يستعمل بدلا من تكرار المفردة المبدلة. كما أَنَّ أغلب إحالات الإبدال هي إحالات إلى السابق (Anaphoric)، أي أنَّ المفردة المبدل بها تأتي عادة بدلا عن مفردة أو عبارة ذكرت سابقا في النصّ، وهي كما أسلفنا إحالة نصّيَّة (داخليَّة)، ومن النادر القليل أن نجد إبدالا يحيل على السياق (أو المقام)، خلافا للإحالة التي يكون للسياق دور فيها.

ويمكن لكلمة مثل (كل) إن تعوّض كلمة أو جملة، مثل قوله تعالى:﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116)** ﴾(سورة البقرة:116) إذ نجد في هذه السورة أن عملية الاستبدال تمت بلفظة (كلٌّ) التي استبدلت الألفاظ التالية تجنباً للإطناب والإطالة وهي (ولداً،ما في السموات، والأرض) فإذا أعدنا هذا الترتيب إلى البنية العميقة فإننا نتحصل على الترتيب الثاني: (وقالوا اتخذّ الله ولداً سبحان الله بل لله ما في السموات وما في الأرض، وولداً و ما في السموات و الأرض لله قانتون)، فاستبدلت هذه الألفاظ التي تظهر في البنية العميقة لهذه الآية بلفظة (كلّ) تجنباً للتكرار الممل والإطناب وهنا حصل الاتساق بين أجزاء هذه الآية بلفظة (كلّ) بطريقة عجيبة.

وقد تستبدل الجملة بمفردة، شريطة أن تسبقها ذكرا.ثم تليها المفردة متأخرة عنها لتحيل إليها كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ**

[1] --**HALLIDAY RUQAIYA HASAN COHESION IN ENGLISH; p.p. 138**.

سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) ﴾ (الكهف،63-64) فكلمة (ذلك) جاءت بديلة للآية التي سبقتها. حيث استبدلت الآية بمفردة فكان "هذا الإستبدال عاملا على التماسك النصي بين الآيات الكريمة"[1]، وما يمكن ملاحظته في هذا النوع من الإستبدال، هو أنّ أسماء الإشارة مثل (ذلك –تلك– ذلكم...) يمكنها أن تحل محل جملة كاملة أو قول سبق قوله في النص، وبالتالي يمكنها تعويضها وأداء نفس الوظيفة، وهذا توسيع لبعض وظائف أسماء الإشارة في علم النص.

ومن ذلك أيضا قول الشاعر:

– إلى الله أشكوا بالمدينة حاجة وبالشام أخرى، كيف يلتقيان؟

فأبدل (كيف يلتقيان) من (حاجة) و(أخرى)"[2]

لذلك يعتمد في تفسير الجملة الثانية على الجملة الأولى، في مثل هذه الحالات .

أمّا في التنزيل فقد يمتد الإستبدال، خارج السورة الواحدة ويكون في سورتين مختلفتين، وهذه النماذج كثيرة ومثل قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** ﴾(فاطر،25).وفي قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿**فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾ (آل عمران : 184).حيث نجد الإستبدال وقع في صيغتي الفعل (يكذبونك) المضارع بـ (كذبوك) الماضي، (كذب، مبني للمعلوم) (كذّب مبني للمجهول) وفي بنية التراكيب (تقديم وتأخير) (رسلهم) بـ(رسل)، (قبلهم) بـ(قبلك)، (جاءتهم) بـ(جاءوا). (بالزبر)بـ(الزبر)، (بالكتاب المنير) بـ(والكتاب المنير). وبالمقارنة بين الآيتين، فإننا نلحظ أنّ علاقة الإستبدال وقعت على المستوى الصرفي، وعلى مستوى بنية الكلمة، وعلى مستوى التراكيب تقديما وتأخيرا، وهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ علاقة الإستبدال واسعة جدا. وقد تتعدى حدود النص أو السورة، إلى عدّة نصوص أو سور، وهذه خاصية قلما نجدها عند مؤلف واحد (منتج) إلا أنها تتواجد بكثرة في كتاب الله تعالى، ولا غرابة في ذلك فالطبيعة الإتساقية للقرآن.و تلاحمه من أول سورة إلى آخر سورة. تعطي له صيغة نموذج نصي واحد متسق.

ومن صور الاستبدال التي استعمل فيها المصدر المؤّول بالفعل المضارع مصحوبا بـ(أن) المصدرية على المستوى السطحي، والذي أدى فيها هذا التركيب اللغوي دور المبتدأ، وتم تأويله،ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْ**

---

[1]– نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م، 124.

[2]– ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد المتعالي بن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدّين الأنصاري الصعيدي، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م، ص: 206.

تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)﴾ (البقرة:184)"فالبنية الأصلية في هذه الجملة (صومكم أو صيامكم خير لكم)، فأستبدل المبتدأ المفرد (صومكم أو صيامكم) بوحدة إسنادية مضارعية مصدّرة بحرف مصدري(أن) ومكوّنة من الفعل المضارع(تصوم) وفاعله المتّصل (الواو)، وهي:(أن تصوموا)".[1]

ومن أنماط هذا الإستبدال الذي يظهر العلاقة الإستبدالية الحاصلة بين المستويين، حيث يظهر الإتساق بهذه القاعدة التحويلية محققا للترابط النصي على مستوى الجملة، ما جاء في الجدول التالي:

الرقم التسلسلي	البنية المحوّلة	قاعدة التحويل	البنية الأصلية	رقم الآية
01	وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ	الاستبدال	(صومكم) خير لكم	184
02	وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى	الاستبدال	(عفوكم) أقرب للتقوى	237
03	وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ	الاستبدال	(تصدقكم) خير لكم	280

وقد كشفت لنا النظرية التحولية عن مواضع كثيرة عدّ فيها الاستبدال ظاهرة نصيّة تقوم بإحياء المعنى العميق الذي يظهر مترابطا بفضل قاعدة الإستبدال عندهم.

ومواضع الإستبدال التي هي من هذا القبيل، ساهمت في اتّساق النّص بطريقة خاصة، تكشفها لنا البنية العميقة والبنية السطحية، وهي كثيرة، سيّما تلك التي أدّت وظيفة المبتدأ، أين يظهر الإتساق بين المبتدأ وخبره، ويتبع منهما السّابق اللاّحق، كما قد يخالف التركيب قاعدة التقديم والتأخير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ(90))** ﴾ (البقرة: (90)). و البنية الأصلية لهذه الية تكشف لنا الأتساق الحاصل على مستوى البينة العميقة بطرقة الاستبدال التي تظهر في البنية السطحية، وهذا ما تدل عليه البنية الأصلية لهذه الجملة من الآية السابقة و هي:(كفرهم بآيات الله بئسما اشتروا به أنفسهم)، فأستبدل المبتدأ المفرد(كفرهم) بوحدة إسناديّة مضارعيّة مصدّرة بالحرف المصدري (أن)، ومكوّنة من الفعل المضارع (يكفر) وفاعله المتّصل(الواو)، وهي:(أن يكفروا)"[2]

وقوله أيضا : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ... (177)**﴾(البقرة:177)،فالبنية الأصلية لهذه الجملة في قراءة من قرأ بنصب كلمة(البرّ) هي،(ليس تولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب البرَّ)، فاستبدل(اسم ليس)

[1]– ينظر: من الأنماط التّحويليّة في النّحو العربي، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة،(د.ط)،2006م، ص:55.

[2]– ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر، عمان،(د.ط)،(د.ت)، ج1،ص:112.

المفرد(تولية وجوهكم) بوحدة إسنادية مضارعية مصدّرة بحرف مصدري(أنْ) و مكوّن من الفعل المضارع(تولّ) وفاعله المتّصل(الواو)، ومفعوله(وجوهكم)، وهي:(أن تولوا وجوهكم)[1].

ومن صور استبدال خبر المبتدأ في سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (108)** ﴾ (سورة البقرة:108)، فالبنية الأصلية لهذه الجملة هي:(ومن يتبدّل الكفر بالإيمان ضالّ سواء السّبيل، فاستبدل خبر المبتدأ المفرد(ضالّ) بوحدة إسنادية ماضوية مؤكّدة، ومكوّنة من الفعل الماضي المثبت(ضلّ) وفاعله المستتر(هو)، ومفعوله(سواء السبيل)، وهي: (ضلّ سواء السبيل)[2].

الرقم التسلسلي	البنية المحولة	قاعدة التحويل	البنية الأصلية	رقم الآية
01	فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ	الاستبدال	أولئك(حابطة) أعمالهم	217
02	كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ	الاستبدال	كم من فئة قليلة (غالبة) فئة كثيرة	249
03	تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ	الاستبدال	تلك الرسل (مفضلون) بعضهم عن بعض	253
04	كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ	الاستبدال	كلٌّ مؤمن بالله	285

ومن العلماء من عدّ النسخ صورة من صوّر الاستبدال، قد فسر أغلب العلماء كلمة النسخ في قوله تعالى: ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آَيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ (سورة البقرة:106) بأنه إلغاء آية أراد الله سبحانه أن يستبدل بها آية أخرى خيرا منها أو مثلها في النص القرآني"[3]. فقد ذهب د/عبد الصبور شاهين إلى إعطاء مفهوم النسخ بعدا نصيا وأكثر، فهو يقول في هذا الشأن "أن هذا المفهوم للآية السابقة ليس وحده واردا شأنها، فمن العلماء من فسر الآية بالمعجزة، أو بالدين، وقد شاءت إرادة الله- فعلا- نسخ الأديان السابقة بالإسلام، ونسخ المعجزات السابقة بمعجزة القرآن، ومعنى ذلك أن النسخ بمعنى استبدال آية بآية ليس لازما، ولا نهائيا "لذلك فالقول بنسخ الآية للآية هو إيقاف لنصوص ذات أثر عميق في سر العقيدة، وتدرجها التربوي"[4]. والمتتبع للفصول التي تعرضت للناسخ والمنسوخ سوف يكتشف بأن عملية استبدال الآيات مكان آيات أخرى

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ج1،ص:224.

[2]- ينظر: المرجع نفسه،ج1،ص:137.

[3]- تاريخ القرآن،د/عبد الصبور شاهين،ص:32.

[4]- المرجع نفسه،ص:33.

كانت سابقة في النزول، تكاد لا تفارق المعنى العام الذي نزلت من أجله الآية المنسوخة، وعملية الإستبدال كانت على مستوى الحكم التشريعي الإلهي، لأنه هذا الدين دين يسر وليس دين عسر، وهنا يظهر الإتساق الظاهر بين عملية الإستبدال بداية من القرآن كله حيث استبدلت كل الكتب السماوية به ثم نزولا عند الآيات المنسوخة التي استبدلت بآيات أخرى نسختها أو نسخت جزءا منها.

ومن أنواع الإستبدال الجملي،أن تجد استبدال جملة بكلمة واحدة كما في قوله تعالى:﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا**﴾ (سورة البقرة:24)،أي فإن لم تأتوا بسورة من مثله..."[1]. حيث أحال الفعل (تفعلوا) المتكرر إلى آية التحدي بالإتيان بسورة من القرآن. المنفية ماضيا ومستقبلا.

ز- أثر الإستبدال في اتساق النص:

يمكننا أيضا أن نطرح التساؤل التالي:"كيف يساهم الاستبدال في إتّساق النص؟ ويكمن الجواب في العلاقة بين العنصرين المستبدِل و المستبدَل، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص و عنصر لاحق فيه"[2].لأن المعيار"الذي به تحدد الجملة من حيث بدؤها ونهايتها إنّما هو تمام المعنى، ذلك أنّ المعنى إذا لم يتم فلا تسمى البنية التركيبية الإسنادية جملة، فإنّ هذا المعنى يبقى أسير السياق والظروف المحيطة باستقبال هذه الجملة من قبل المتلقي"[3].

ويسهم الإستبدال بمختلف أنواعه في بناء الشّكل الإتّساقي للنّص. فهو يعطي النّص ترابطا إضافيا إلى جانب الإحالة والحذف، والإستبدال "على نحو أساسي علاقة نصية سابقة ANAPHORIC" حيث يتم الربط من خلال وقوع العنصر المستبدل أولا، ثم استخدام العنصر البديل بعد ذلك"[4] بحيث يستحيل فهم العناصر البديلة (المستبدلة). إلا بالعودة إلا ما هي متعلقة به قبليا، وتضمن عملية الإستبدال "الإستمرارية للعنصر المستبدل فلا يفهم المبدل من دون العودة إلى ما هو متعلق به قبلا في النص، ومن هنا فالإستبدال يعمل على ترابط النص نتيجة لإحتياج اللاحق للسابق"[5] ويعد الإستبدال عاملا من عوامل إتّساق النص، من خلال استبدال اللفظة باللفظة الأخرى وتركيب بتركيب آخر، حيث يظهر الربط النحوي والربط المعجمي داخل النصوص.كما في قوله تعالى:﴿ **وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ (سورة البقرة:237)، لأن هذه الآية تشتمل على جملة إسمية مركبة، جاء المسند إليه فيها (المبتدأ) وحدة اسنادية فعلية بسيطة محّولة بالاستبدال هي (أن تعفوا)

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي ج3،ص:83

[2]-أبحاث في علم لغة النص و تحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،ص:19.

[3]- ينظر: التحويل في النحو العربي،مفهومه،أنواعه- صوره،رابح بوعزة،ص:100.

[4]-. Discourse Analysis Barbara Johnstone Oxford Blackwell. 2001 p 141.

[5]- نحو النص، أثر عناصر الإتّساق في تماسك النص، سورة يوسف مثالا، محمود سليمان حسين الهواوشة، ص: 135.

المؤلفة من فعل المضارع المنصوب بالحرف المصدري و فاعل متمثل في واو الجماعة، و تمثل هذه الصورة التركيبية البنية السطحية لهذا التركيب الإسنادي، أمّا البنية العميقة أو الأصل، فيتمثل في تقدير لهذه البنية السطحية الظاهرة هي (عفوكم) لأنّ (أن) و الفعل بمنزلة مصدر فعله الذي تنصبه، ذلك أن "أن يفعل" تصنف اسما من جهة أنّه يمكن أن يستبدل بها اسم مفرد"[1]."وهذا يؤكد أنّ البنية السطحية تشترك مع البنية العميقة في إمداد الوحدة الاسنادية بدلالتها ليكون التحويل في العربية ليس وسيلة تفسيرية لبنية الجملة فحسب، ولكنه مكوّن مهم من مكونات دلالة الجملة الوحدات الإسنادية الوظيفية"[2].

ومن مزايا هذه الظاهرة اللغوية أنها"تمكن كاتب النص من عرض أفكاره دون تكرار كلمات بعينها، ودون الإستعمال المفرط للضمائر"[3] فالعلاقة الاستبدالية بين عنصري الإستبدال تكون في جملتين، وتكون الثانية على نية الإيضاح والتبيان أو التفسير للأولى، وهذا ما يسهم في خلق وحدة دلالية، تحكم بنية النص عن طريق العلاقة الإتساقية التي يساهم فيها الاستبدال بإحالة العنصر البديل إلى العنصر المبدل منه، حتى يصبح التماسك النصي مؤشرا على وحدة النص، ومن خلال هذه العلاقة ينشأ ارتباطا شديد بين المستبدل والمستبدل منه، وبهذا فإن "الإستبدال بهذا المعنى شكل بديل في النص، وهو وسيلة هامة لإنشاء الرابطة بين الجمل"[4].

ويظهر أثر الإستبدال في مدى فاعلية العنصر المستبدل (البديل)، للتّأثير في تحديد الدلالة وتيسير عملية التّأويل للكشف عن الإتّساق الذي يتميّز به النّص.

كما أنّ الحديث عن "الإستبدال يدعونا للحديث عما يسمّى بالمحورين الأفقي والرأسي، أو ما اصطلحوا على تسميته علاقات الارتباط الاستبدالية أو (الرأسية) والتلاؤمية، ذلك أنّ بنية اللغة قائمة في الأساس على فكرة الارتباط بين المعاني بعلاقات مختلفة وأنّ أصل تلك العلاقات جميعا يرجع إلى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني، وهي العلاقات القائمة على عملية تداعي المعاني"[5] وقد جاء هارفريج بفكرة مفادها أن الإستبدال"تتحرك فيه عناصر الإستبدال على المستوى الأفقي وغلب عليه إدراك النص إدراكا وظيفيا ثم أدخل فيما بعد جوانب نصيّة كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية التداولية"[6].

---

[1]–ينظر: التحويل في النحو العربي،مفهومه،أنواعه– صوره، البنية العميقة للصيغ و التراكيب المحوّلة، رابح بوعزة ،ص:92–93.

[2]– ينظر: المرجع نفسه،، ص:93.

[3]– مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقاته، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، د.ت، د.ط، ص: 92.

[4]– نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ص: 124.

[5]– الترابط النّصي بين الشعر والنثر، زاهر بن مرهون بن خصيف الدّاودي، دار جرير للنشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2010م، ص: 50.

[6]– علم لغة النص،سعيد حسن بحيري،ص:94.

ويلتقي الإستبدال عند النّصانيين بالبدل عند النحويين العرب. في أن "وظيفة كل منهما تحقق "التماسك داخل النص، بمعنى الربط بين المستبدل والمستبدل منه دلاليا في ضوء التماسك النصي، ويتحقق التماسك النّصّي في الإستبدال من خلال العلاقة بين المستبدل والمستبدل منه"[1] التي تظهر الاستمرارية في تتابع بنية النص نحويا ودلاليا.

ومن أمثلة الإستبدال المعجمي في العبارة التالية (سيّارتي قديمة يجب أن أشتري أخرى جديدة) فكلمة أخرى عوّضت كلمة سيارة، وقامت مقامها مما زاد في تعلّق الجملة الثانية بالأولى"[2].

ويكون غالبا بإستعمال "الفعل (فعل، عمل) مكان فعل خاص أو مجموعة معلومات مبنية على أحداث"[3]، وجاءت هذه الأفعال في سورة البقرة في أكثر سياقاتها بصيغة الجمع عند الفاصلة مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)** ﴾ (البقرة،96).يقول الطاهر بن عاشور"(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ " وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا " لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ عَدَمَ تَمَنِّيهِمُ الْمَوْتَ لَيْسَ عَلَى الْوَجْهِ الْمُعْتَادِ عِنْدَ الْبَشَرِ مِنْ كَرَاهَةِ الْمَوْتِ مَا دَامَ الْمَرْءُ بِعَافِيَةٍ ؛ بَلْ هُمْ تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَى كَوْنِهِمْ أَحْرَصَ مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ عَلَى الْحَيَاةِ ، حَتَّى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ بَعْثًا وَلَا نُشُورًا وَلَا نَعِيمًا فَنَعِيمُهُمْ عِنْدَهُمْ هُوَ نَعِيمُ الدُّنْيَا وَإِلَى أَنْ تَمَنَّوْا أَنْ يُعَمَّرُوا أَقْصَى أَمَدِ التَّعْمِيرِ مَعَ مَا يَعْتَرِي صَاحِبَ هَذَا الْعُمُرِ مِنْ سُوءِ الْحَالَةِ وَرَذَالَةِ الْعَيْشِ"[4] . لذلك استبدلت هذه الأفعال حتى لا يعاد تكرارها عند علم الله بما يفعلون. وهذا يعني أنّ الفعل (يعملون) أحال إلى أعمالهم التي سبق ذكرها في الآية، وهذا النوع من الاستبدال وقع باستبدال نص بفعل (يعملون). "والإستبدال بهذا المعنى لفظ بديل في النص وهو وسيلة مهمة للربط بين الجمل وشرطه أن يتم استبدال وحدة لغوية بشكل يشترك معها في الدلالة، حيث ينبغي أن يدل كلاّ الشكلين اللغويين على الشيء غير اللغوي في نفسه"[5].

ويتم ذلك من دون أن يطرأ على الجملة أي تغير تركيبي، وهذا الإستبدال هو الذي يحدد أقسام الكلمات أو الصياغة فيأخذ شكلا جدوليا في مقابل التأليف الذي يأخذ شكلا مركبيا SYNTAGMATIQUE ويرى بلومفيلد أن الإستبدال هو استبدال أي شكل من الأشكال داخل القسم

---

[1]– التماسك النّصّي في المثل القرآني، شهلة عبد الرزاق نادر، جامعة صلاح الدّين، أربيل، العراق، 2006م، ص: 112.

[2]– ينظر: مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقاته، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، ص: 88.

3– الترابط النصي بين الشعر والنثر، زاهر بن مرهون بن خصيف الدّاودي، ص: 50.

4 – تفسير التحرير والتنوير، ج1/617.

[5]– الترابط النصي في رواية النداء الخالد، نجيب الكيلاني، عبدة مسبل العمري، جامعة الملك سعود، 1430هـ، ص: 53.

الواحد.فمبدأ الإتنقاء الذي يملي علينا الكلمات من قبيل LE PAUVRE JOHN (جان الفقير) LE POLICIER (الشرطي) وLHOMME QUE JAI VU HIER(الرجل الذي رأيته أمس) وهو شكل دارج يشكل قسما للعبارات الاسمية المفردة المذكرة. ونفس الشيء بالنسبة للضمير JE، إذ يعوّض كل عبارة إسمية في حالة الإفراد لشخص المتكلم. ويعتبر بعض اللسانين أن هذه الضمائر كلمات وإن كانت قليلة الحركة، ويبدو أن السبب في ذلك يعود حسب روينز إلى أصولها التاريخية القديمة، حيث كانت تقوم بدور كلمة حرة، والإستبدال في الألسن متواليات متتابعة من الكلمات كما يبدو في الظاهر وإنما هي وحدات عناصرها.

ح- بين الإستبدال والمجاورة:

لم يكتف ياكبسون بما أنجزه في اللسانيات الحديثة، ولكنه طور ما لاحظه سوسير من حيث أن التعبير يقوم على محورين، هما: محور المجاورة SYNTAGMATIC ومحور الإستبدال أو التداعي ASSCIATIVE فالعناصر المستخدمة في التعبير تتخذ في البداية، ترتيبها الأفقي، ثم يكتسب كل عنصر منها معناه بالنظر إلى ما تستدعيه من عناصر أخرى لدى أولئك الذين أردوا إغناء الفكرة وتوضيحها، فإذا أخذنا الجملة الإنجليزية (HE IS MAD) رأينا الترتيب الذي تتبوأ بمقتضاه كل كلمة موقعها في الجملة: ويستطيع المتكلم، أو الكاتب، أن يضع مكان الضمير HE ضميرا آخر مثل: SHE أوWE أوI أو THEY ويستدعي ذلك أن يستبدل الفعل المساعد بآخر فمع WE يضع ARE ومع I يضع AM وهكذا فالنسق الأول هو الذي يسمى إستبدالا، وهذان المحوران هما اللذان يتحكمان في تنظيم الكلام، ويتيحان للغة أن تؤدي وظيفتها في التعبير"[1]، ولذا فإنّ عملية الاستبدال يجب أن يراعى فيها ما يجاور الكلمات من ألفاظ عاملة وغير عاملة، وينظر إليها من الجانب النحوي والتصريفي والدلالي، حتى يستقسم المعنى، ولا أثر للاستبدال ما تراعى فيه هذه المعايير، لأنها إذا غابت فإنّها ستفسد المعنى.

وفرّق عبد القاهر بصورة مقتضية بين دلالة اللفظ الناتجة عن الوضع اللغوي و دلالته الناتجة عن السياق حين قال بأن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، و إنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، وذلك يعني أن الكلمة لا تّعد فصيحة في حدّ ذاتها ،إذ لابدّ من ملاحظة صفات أخرى لها،لابد من ملاحظة أبدالها، أو نظائرها أو ما يمكن أن يقع موقعها وقد أطلق على تلك الصفات الإبدال بمعنى عملية الاستبدال أو الإحلال أو الاختبار[2].

[1] – الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، ص: 116.

[2] –ينظر، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية و الدلالة،د/سعيد حسين بحيري،ص:196

– ثالثا: الإتّساق المعجمي (Lexical Cohesion):

ويمثل الإتّساق المعجمي وجها آخر من الوجوه التي تحقق إتساق النص، وهذا النوع من الإتّساق يختلف اختلافاً عن الوظائف والأدوار التي تقوم بها العناصر اللغوية السابقة ،حيث يظهر مما سبق ذكره أن العناصر اللغوية السابقة حتى تؤدي دورها الإتّساقي لابدّ أن تخضع للنظام النّحوي الذي يحدد العلاقات بين الكلمات. أما الاتساق المعجمي فعماده المعجم اللغوي، وما تقوم به وحداته من العلاقات[1]، فهناك ضرب من الأسماء يساهم في اتساق النص عن طريق الإنتقال من وحدة معجمية إلى وحدة معجمية أخرى لها علاقة بها، ويسمى هذا الضرب من الأسماء بـ"الاسم العام"(General Noun). ويختلف الربط في النص بين العلاقات الأولى التي تؤطرها القواعد النحوية والربط عن طريق المعجم الذي يُؤطره المعنى و الدلالة[2]. وهذا يعني أن العلاقات الأولى التي تؤطرها القواعد النحوية أصبحت في عرف النحاة طرقاً من طرق الربط داخل الجملة وخارجها،وهي تختلف عن النوع الثاني من العلاقات الرابطية الذي تؤطره مختلف العلاقات المعجمية. والاتساق المعجمي مظهر من مظاهر اتساق النص يربط بين جمله بدون وصل أو إحالة، وإنما عبر العلاقات المعجمية القائمة بين مفردات النص ووحدات من جمله ،ويحققها التكرار والتضام . ينقسم الاتساق المعجمي في نظر الباحثين إلى نوعين:

1- التكرار.

2- التضام.

والتكرار هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما. أمّا التضام : وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك.

فالتكرار شكل من أشكال الاتّساق المعجميّ يتطلَّب إعادة المفردة المعجميَّة نفسها، أو باستعمال مفردة الترادف، أو شبه الترادف، أو التضمّن (superordinate)، أو باستعمال الكلمة العامة عن طريق إحالتها إلى المفردة المعجميَّة السابقة، وعادة ما تكون المفردة المكرَّرة مصحوبة بـ(أل) التي تعدُّ أداة إحالة نموذجيَّة.نسوق هنا المثال الآتي الذي قدَّمه المؤلفان لتوضيح جميع مظاهر التكرار[3].

---

[1]– ينظر:أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس نحو النص،محمد الشاوش،المجلد الأول،ص:138.

[2]– ينظر:المرجع نفسه، ،المجلد الأول،ص:138 و ما بعدها.

[3]–. **Cohesion in English – Halliday and Hasan; p.p. 279**

- I turned to the as cent of the peak	- *The ascent* - *The climb* - *The task* - *The thing* - *It*	+ is perfectly easy.

- توجهتُ لصعودِ القمةِ .	- الصعود - التسلق - المهمّة - الشيء - هو	- سهل جدا.

نلاحظ في الاختيار الأوَّل تكررت المفردة بإعادتها بلفظها، وفي الثاني كانت هناك مفردة مرادفة (التسلق). في الاختيار الثالث جيء بكلمة تتضمَّن معنى المفردة، وفي الاختيار الرابع كان هناك اسم عام (الشيء)، أما الاختيار الخامس فكان الضمير (هو) الذي يمثل مادَّةَ الإحالة الشخصيَّة. فالصعود والتسلق مفردتان معجميَّتان يظهر تأويلهما بإحالة (أل) على السابق لتجعلهما متطابقتين مع المفردة السابقة، إما بإعادة اللفظ، أو بالترادف، والشيء نفسه ينطبق على (مهمَّة)، عدا أنَّ (مهمَّة) هي مفردة أكثر عموميَّة، وهي أعلى في التصنيف المعجميّ. لذا فإنَّ البيئة الاتّساقيَّة لكلمة (مهمَّة) تضيف لها تحديدا، عندما نفسّرها بإحالتها على جملة (الصعود إلى القمة)، وبذا نبيّن نوع المهمّة المشار إليها. كما أنَّ مفردة (شيء) أكثر عموميَّة من كلمة مهمَّة، وأنَّ كلمة (مهمَّة) أكثر تحديدا منها لأنَّها تستثني عادة (الناس، والحيوان، وأشياء أخرى كالحقائق والبيانات). أما الأكثر عموميَّة منهما؛ فهي مفردة الإحالة (هو it)، وإن كانت تحمل بعض التحديد[1]. والمخطط التالي يوضح أقسام الإتساق المعجمي وأهم خصائصه:

[1]- **See**: **Ibid; p.p 279**.

*** يقصد بالتحديد في الضَّمير (it) ذلك التمييز بين ضمائر العاقل وغير العاقل في اللغة الإنكليزية، فالضَّمير في المثال (it) استعمل لتحديد عمليَّة الصعود وهو استعمال لغير العاقل، وهنا استبعد العاقل (الإنسان) عن دائرة إحالته.**

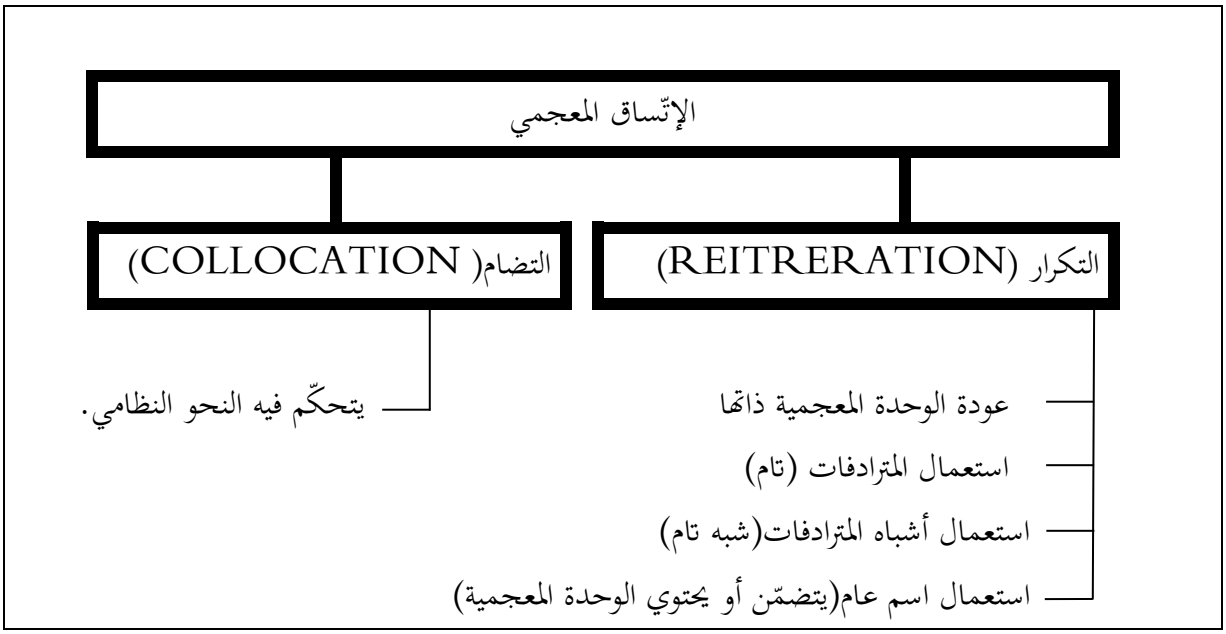

فعادة ما تحيل الوحدة المعجمية إلى الأمام وتكون الإحالة قبلية لأن الوحدات المعجمية تتوالي بتواتر في النظام النصّي، فتأتي إمّا مكررة أو بذكر مرادف لها أو شبه مرادف أو باستعمال اسم عام أو شامل يحتوي الوحدة المعجمية التي سبق ذكرها وهذا ما يجعل الدلالة تتجدد في كل مرّة و تحدث إتساقاً نصياً من زوايا متعدّدة.

مخطط يوضح علاقة الوحدات المعجمية داخل النص وخارجه

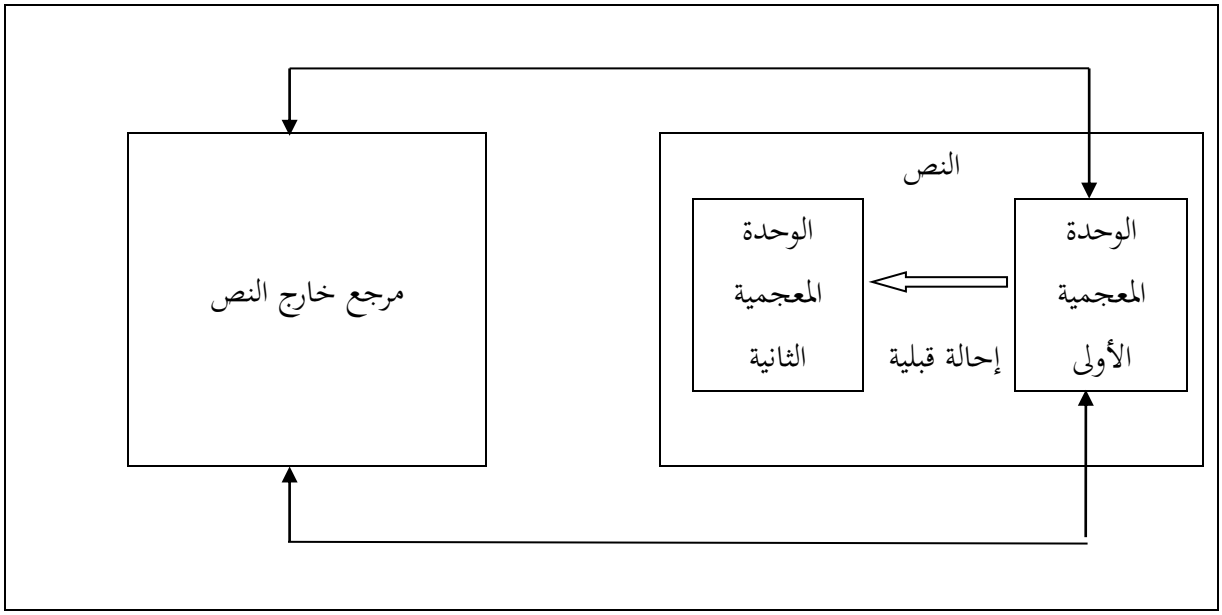

مخطط توضيحي لأثر التقارب الموقعي(المحلي) بين الوحدات المعجمية في تحقيق الإتساقية النصية

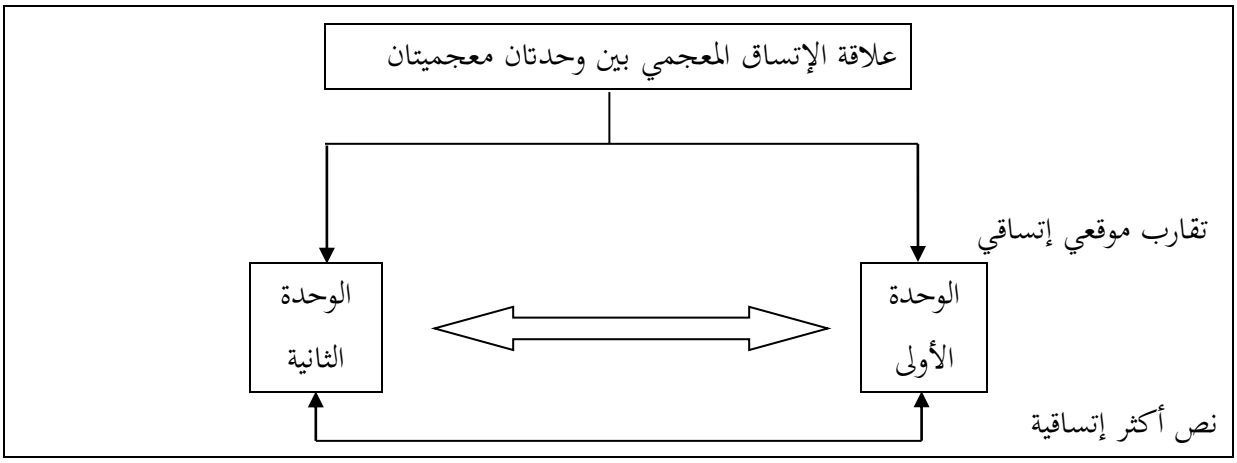

فكلما كانت الوحدة المعجمية قريبة من حيث إعادة الذكر نشأ خيط رابطي جديد يمتّن العلاقة بين الجمل داخل النص، وكلما اتسع الهوّة بين هذه الوحدات النصيّة في النص ازداد التباس المتلقي حتى تظهر الكلمات المعجمية من جديد ويظهر معها الإتساق في النص، لأنّ البعد الموقعي للوحدات المعجمية قد يغيّب تلك الخيوط الافتراضية التي ينسجها المتلقي في ذهنه حول الوحدة الموضوعية في النص. والذي يعيد بث هذه الحركية المعنوية من جديد هو الألفاظ تلك الوحدات المعجمية التي تعيد فرض العلاقة الإتّساقية على المتلقي من جديد. وعندما نتحدث عن الوحدات المعجمية فإننا لا نتحدث عن العلاقات النحوية، كالفاعلية والمفعولية أو الإسناد وإنما نتحدث عن إعادة ظهور لألفاظ معجمية يشكل المحور الموضوعي المتحدث عنه في النص. وكمقارنة بين الوحدات المعجمية والوحدات النحوية قمنا برصد بعض الفوارق من حيث الوظيفة لكل منهما في هذا الجدول.

الجدول يوضح دور الوحدات المعجمية و النحوية في اتساق النص

الوحدات المعجمية	الوحدات النحوية
-كل وحدة تدخل في علاقة اتساقية. -لا تحمل في ذاتها ما يدّل على قيامها بالدور الإتساقي أولاً. -أمر لاحق لنشأة النص و ناتج عنه (بعد إنتاج النص).	- الطرق النحوية محققة للإتساق. -أكثر نظاماً و أكثر وضوحاً. -التكهن المسبق بدورها الرابطي. - جذور علاقة الاتساق نحوية نظامية. -ظواهر سابقة للنص. -بها يتحقق الإتساق و الترابط.

1- التكرار REITERATION:

وهو نوع من أنواع الاتساق المعجمي ويتم بتكرار عنصر معجمي بعينه ،أو بمرادفه ، أو عنصر مطلق أو عام شامل له. ونبدأ بأوّل ملاحظة نكتشفها في أي نص، عن ظاهرة التكرار، وهي تكرار العنوان في السورة،فـ"إذا كان تكرار لفظ بين جملتين يحقق التماسك فيما بينهما، فإن تكرار اسم السورة، في السورة نفسها، يؤدي إلى التماسك بين السورة و اسمها، وقد يكون ذكر اسمها في أولها وفي طياتها،أو في آخرها، المهم أن هذا الذكر لإسم السورة في ضوء علم اللغة النصي يمثل مرجعية سابقة والمرجعية من الوسائل المحققة للتماسك النصي"[1] ،"مع ملاحظة أن هذا الحدث الذي يذكر العنوان فيه يعد نمطا من أنماط التكرار،والتكرار من الوسائل المحققة للتماسك النصي ومن الأمور التي تسهم في تحليل النص شكلا ودلالة"[2].وهذا ما هو ملاحظ في سورة البقرة، وسنوضح ذلك إنشاء الله في الإنسجام.

أ- تعريف التكرار:

- لغة:

مما جاء من تعاريف لغوية للتكرار، ما ورد في لسان العرب،"كرر:الكَرُّ: الرجوع. يقال:كَرَّه وكَرَّ بنفسه، يتعدّى ولا يتعدّى....وكَرَّرَ الشيء وكَرْكَره: أَعاده مرة بعد أُخرى....و كرر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى... ويقال: كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إذا ردّدته عليه....و منه التكرار"[3]. و"كررت الشيئ تكريرا وتكرارا قال: أبو سعيد الضرير: قلت لأبي عمرو: ما الفرق بين تِفعال وتَفعال، فقال: تِفعال بالكسر إسم، وتَفعال بالفتح مصدر"[4]و "وكرّ عليه كرا وكرورا وتكرار: عطف، وكر عنه، رجع، فهو كرّار ومكر، بكسر الميم، وكرره تكريرا وتكرار وتكرة، كتحلّه، وكركره، أعاده مرة بعد أخرى..."[5]. وقد وردت بعض تصريفات "الكرّ" في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ** ﴾ (الإسراء،6)، ﴿**فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين**﴾ (الشعراء،120)، ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا**﴾ (البقرة،167)، ﴿**قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ** ﴾ (النازعات،12)، ﴿ **ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ** ﴾ (الملك،4).

---

[1]- علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق،إبراهيم صبحي الفقي،ج2/ص:107

[2]- المرجع نفسه،ج2،ص:110.

[3]- ينظر، لسان العرب، لابن منظور، المجلد 5، ص: 135.

[4]- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، ص: 994.

[5]- القاموس المحيط، مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ص: 1406.

وفي المعاجم الحديثة ما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة"تكرر عليه الشيء: أعيد عليه مرة بعد أخرى...والتّكرار: الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، وهو أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجده في الموسيقى كما نجده أساسا لنظرية القافية في الشعر. انتشرت ظاهرة التكرار بصورة واضحة في أعماله الروائية"[1]، وفي المنجد الوسيط في العربية المعاصرة فقد اقترب المعنى اللغوي للمعنى الإصطلاحي حيث ورد فيه"تكرارا إعادة الشيء مرة بعد مرة أو معاودته مرارا (تكرار كلمة في النص- إعادة القول مرة بعد مرة: تكرار ممل لا فائدة منه-ابتداء عدة عبارات متتابعة بلفظة واحدة، زيادة في الشرح وتحقيقا للتناسب)"[2].

ومن هذه التعاريف فإننا نستنتج أن مادة (كرّر) تعني التعدي، والإعادة، والترديد، وهذا يتناسب مع المعنى الإصطلاحي للفعل، الذي أشارت إليه بعض المعاجم الحديثة، كما هو موجود في المقطوعات الموسيقية، عندما تتكرر المقطوعة وتعاد مرة بعد مرة وتنتشر ظاهرة التكرار في جميع الأعمال الفنية، مثل الرواية، حيث نجد الكاتب يكرر كلمة في النص، تارة ويعيد قولا مرة بعد مرة إذا اقتضت الضرورة ذلك. تحقيقا للتناسب والشرح.غير أنه لا يمكن اعتبار كل مكرر مليح، فهناك المكرر القبيح الذي لا فائدة منه، ولا نجني منه سوى الإطناب والطول والكثرة المملة.

- إصطلاحا:

التكرار تشاكل لغوي يلفت الإنتباه. ومظهر من مظاهر التماسك المعجمي حيث يقوم ببناء شبكة من العلاقات داخل المنجز النصي، مما يحقق ترابط النص، وتماسكه، إذ أنّ العناصر المكررة، تحافظ على بنية النّص، وتغذي الجانب الدلالي والتداولي فيه، وذلك من خلال تكاثر المفردات وكثافتها، مما يحقق سبك النص وتماسكه وإعادة تأكيد كينونته، واستمراريته واطراده"[3] وقد ترجمه الدكتور تمام حسان عن كتاب النص والخطاب والإجراء لصحابه روبرت دي بوجراند ب"إعادة اللفظ RECURENCE وهي التكرار الفعلي للعبارات ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي بنفسها أو مختلفة الإحالة أو متراكبة الإحالة"[4] وقد اشتقت هذه

---

[1]- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، المجلّد3، ص: 1919.

[2]- المنجد الوسيط في العربية المعاصر، تحرير أنطوان نعمة- عصام مدوّر- لويس عجيل- متري شمّاس- مراجعة: مأمون الجموي، أنطوان غزال، ريمون حرفوش، دار المشرق، بيروت لبنان، ط1، 2003م، ص: 894.

[3]- أثر التكرار في التماسك النّصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات، خالد المنيف، منوال بنت إبراهيم الحلوة، مجلّة جامعة أمّ القرى، لعلوم اللغة وآدابها، العدد8، رجب 1433هـ، مايو 2012م، ص: 20.

[4]- النّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص: 303.

الكلمة من لفظة RECURSION التي جاء من معانيها "ورود متكرر، تكرار، بنية نحوية متكررة، كلمة أو أداة قابلة للتكرار اللامتناهي"[1].

"والتكرار عنصر من عناصر الإتساق المعجمي، و يعده "شارول" من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية فقاعدة التكرار الخطابية تتطلب الإستمرارية في الكلام، بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأول أو بتغير ذلك الوصف، ويتقدم التكرار لتوكيد الحجة والإيضاح"[2] وقد وضح علماء العربية من نحاة وبلاغيين ومفسرين ونقاد دور التكرار في صناعة النص والحفاظ على إتساقه، حيث تناولوا النصوص الشعرية والقرآنية ودرسوا الشواهد وكشفوا عن ظاهرة التكرار وقد حدده السجلماسي (ت704هـ) فجعل منه قسمين اثنين: قسم لفظي وآخر معنوي، وهو عنده "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع (أو للمعنى الواحد بالعدد أو بالنوع) في القول مرتين فصاعدا"[3] ويتمثل التكرار اللفظي في قوله تعالى: ﴿**هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ(36)** ﴾(المؤمنون،36) أما التكرار المعنوي فيتجلى في قوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)** ﴾ (الفاتحة،**6-7**)"حيث ينشأ التماسك بين (أنعمت عليهم) مع (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) عبر الترادف المعنوي وتكراره لأنّها جمل تتلاقى في معنى واحد تسهر على استمراريته الوظيفة الإحالية التي يضطلع بها التكرار المعنوي"[4].

وكأمثلة توضيحية قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)** ﴾ (سورة البقرة:159-160)،فكلمة (يلعنهم) تكررت من باب إفادة تقريع وتوبيخ الذين يكتمون ما أنزل الله، ليقابلها تكرار آخر بلفظتين مختلفتين ومن نفس الجذر اللغوي وهما (أتوب-توّاب) لأنّ الله "يعطيهم الأمل في العودة و الرجوع فهذا الخطاب يعطي الأمل لهذه الفئة من الناس للتوبة الصادقة بقوله تعالى: ﴿ **فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)** ﴾(سورة البقرة: 160). وهذا

---

[1] – Adictionary of stylistics and rhetoric–English–arabic/arabic–english.by. dr hassan said ghazala. P 88.

[2] – المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية نعمان بوقرّة، ص: 100.

[3] – المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو القاسم محمد القاسم السلجماسي، تحقيق: علال غازي، مكتبة المعارف، الرّباط، ط1، 1980م، ص: 476.

[4] – الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النّصي بين القدامى والمحدثين، ميلود نزار، مجلّة علوم إنسانية، السنة السابعة، العدد44، شتاء2010م،ص: 03.

ولا شك من لطائف رحمة الله بعباده، فما زال الخيار رهن إرادتهم ليرتدوا عمّا هم عليه"[1].وكملاحظة بسيطة بين هاتين الآيتين نجد تكرار متنوعاً يتمثل في مايلي:

الآية 159-160	الآية 160
1- البينات – بيناه –بيّنوا – 2- يلعنهم –يلعنهم – اللاعنون	1- تابوا – أتوب –التوّاب

إذ نجد أن التكرار في هاتين الآيتين قد حقق نوعين من الاتساق:

1- اتساق داخلي في الآية الواحدة.

2- اتساق بين الآيتين أدّته الكلمات التالية (البيّنات – بيّناه –بيّنوا) وعلّة هذا يمكننا القول أن ظاهرة التكرار متواجدة في النص القرآني بكثافة وبصورة متنوعة، إذ تقوم بتحقيق نوعين من الإتساق المعجمي وهما اتساق داخلي (داخل الآية) واتّساق خارجي (بين الآيات) مما يحافظ على متانة النص، إذ تكمن وظيفة التكرار الدّاخلي في وظيفة ثانية وهي وظيفة مهمة تتمثل في تشبيك المفردات والتراكيب والجمل والآيات، أمّا التكرار الخارجي التي يتعدّى حدود الآيات فإنه يعمل على اتساق النص على المدى البعيد.

ومن اللسانيين من يسمي التكرار بـ "إعادة اللفظ" وهو "شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي[2] أو وجود مرادف له أو شبه مرادف، ويطلق البعض على هذه الوسيلة الإحالة التكرارية، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد[3].وهذا التكرار في ظاهر النص يصنع ترابطا بين أجزاء النص بشكل واضح[4]، وقد يكون هذا الأسلوب منكراً في الشعر،خاصة إذا تجاوز المعقول، لكنه في القرآن الكريم ذو قيمة إيقاعية دلالية، تشير إلى ما سمى بالكلمة المفتاح التي "لها ثقل تكراري و توزيعي في النص بشكل يفتح مغاليقه و يبدد غموضه"[5]. وكمثال لنموذج من التكرار،حيث تكررت الكلمة و كان المرجع واحداً و هذا ما اصطلح على تسمية بالتكرار مع وحدة المرجع،قال تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)**﴾(سورة البقرة:79)،" فقد تكرر الويل وقصد به دلالة واحدة

---

[2]–**HALLIDAY AND RUQUAIA HASSAN COHESION IN ENGLISH P 278.**

[3]–**نسيج النص ،البحث في ما يكون الملفوظ نصا،الأزهر الزناد،ص:119.**

[4]–**نحو النص،اتجاه جديد لنظرية علم النص،د/أحمد عفيفي،ص:106.**

[5]–**الأسلوبية علم و تاريخ،سليمان العطار،مجلة فصول،مجلد الأول،العدد الثاني،يناير 1981م،ص:140.**

(وحدة المرجع) بالإضافة إلى التكرار الموجود في (يكتبون الكتاب بأيديهم)، و(كتبت أيديهم) وما يفيده من ربط"[1].

ب- ظاهرة التكرار عند العرب:

ومن العلماء الذين ألّفوا في التكرار، نذكر الإمام الكرمانى وهو عالم من علماء القرن السادس الهجري، وكان ممن تفطنوا إلى ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، حيث يقول في كتابه (أسرار تكرار القرآن) موضحا الفرق بين تعبيرات المتشابهة في القرآن الكريم، فيما يظن البعض أنه تكرار محض، مبرزا من خلال كلامه علو مرتبة القرآن في البلاغة ومراعاة مقتضى الحال، وأن كل لفظة جاءت في موضعها فهي جديرة به إذ لا يصلح غيرها في تلك الرتبة إلاّ هي،ولا يمكن الاستغناء عنها باستعمال غيرها. ومن الأمثلة التي لفتت إنتباهه، ما جاء في سورة البقرة، وسورة الأعراف من تشابه في الألفاظ، لكن مقتضى الحال يبرز غير ذلك، فيقول مقارنا بين آيتين إحداهما في سورة البقرة :﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (البقرة،58) والثانية في سورة الأعراف:﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (الأعراف،161).يقول الكرمانى : " قوله (**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا**) بـ(الفاء)، وفي الأعراف بالواو لأن الدخول سريع الانقضاء فيتبعه الأكل، وفي الأعراف: (**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا**)، المعنى : أقيموا فيها وذلك ممتد فذكر بـ(الواو) أي اجمعوا بين الأكل والسكون، وزاد في البقرة (**رَغَدًا**) لأنه سبحانه أسنده إلى ذاته بلفظ التعظيم وهو قوله (**وَإِذْ قُلْنَا**) خلاف ما في الأعراف. فإن فيه(**وَإِذْ قِيلَ**) وقدم (**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا**) على قوله (**وَقُولُوا حِطَّةٌ**) في هذه السورة وأخّرها في الأعراف لأن السابق في هذه السورة (**ادْخُلُوا**) فبين كيفية الدخول، وفي هذه السورة (**خَطَايَاكُمْ**) ، وفي الأعراف (**خَطِيئَاتِكُمْ**) لأن خطايا صيغة الجمع الكثير ومغفرتها أليق في الآية بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه"[2]. وهكذا أبرز الكرمانى بعض الأسرار الكامنة وراء تعبيرات القرآن الكريم، مقارنا بين آيتين من كتاب الله، والحق يقال: لقد أجاد الشيخ في توضيح ما رمى إليه وهذا ما يوضح الطريقة التي استعملها العرب القدامى في دراستهم لظاهرة التكرار، ومحاولة الكشف عن بعض العلاقات البلاغية والنصية التي تتعلق بها في خلق الترابط الموجود في القرآن الكريم ككتاب، وفي السورة نفسها مع بيان الفوارق البلاغية والأسلوبية.

أما ابن الأثير، فإنه لم يبتعد عن غيره في شرح التكرار حيث مثّل للتكرار بقوله: "أسرع، أسرع" وهو تكرار باللفظ والمعنى، أما النوع الثاني فهو تكرار المعنى دون اللفظ، مثل: "أطعني ولا تعصيني؛ فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية"[3].وهذا حسب رأي ابن الأثير نوع من التكرار المعنوي، الذي أريد به المعنى

---

[1]- نحو النص،اتجاه جديد لنظرية علم النص،د/أحمد عفيفي،ص:107.

[2] - أسرار التكرار في القرآن، المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، مراجعة: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، (د،ت) (د،ط)، ص:72 وما بعدها.

[3]- ينظر: جواهر الكنز، نجم الدين بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق: محمود زغلول سلام، الإسكندرية، مصر، د.ت، ص: 257.

الأوّل.وقد عدّ بدر الدين الزركشي(ت794هـ)، التكرار من أساليب الفصاحة"[1] أما السيوطي(ت911هـ)، فقد وجد فيه بلاغة أكثر من التأكيد[2].وأبدع الإمام الزمخشرى فى هذا المجال متأثرا بالقاضي عبد الجبار، وشيخه أبى على الجبائى،حيث يقول في قوله تعالى من سورة الشعراء" ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ (الشعراء،140) "حيث تكررت هذه الفاصلة ثمان مرات:" فإن قلت: كيف كرّر في هذه السورة في أوّل كل قصة وآخرها ما كرّر؟ قلت :كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها ، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به" [3] يقول ابن عاشور"واعلم أن هذا الاستدلال لما كان عقليا اقتصر عليه ولم يكرر بغيره من نوع الأدلة العقلية كما كررت الدلائل الحاصلة من العبرة بأحوال الأمم من قوله:﴿ **وإذ نادى ربك موسى** ﴾ إلى آخر قصة أصحاب أيكة"[4]. وهكذا يتبيّن من أبحاث القدامى وأعمالهم أنهم تطرقوا إلى ظاهرة التكرار بلا شك.

ويدل هذا على القيمة العلمية لظاهرة التكرار التي حظيت هي الأخرى بنصيب وافر من البحث زاحمت به الظواهر اللغوية الأخرى التي شغلت بال علماء العربية. ولم تبق الدراسات والبحوث متوقفة عند حدود هؤلاء. فقد "نال مصطلح التكرار عناية علماء النص، بسبب كونه مظهرا من مظاهر التماسك المعجمي الذي يؤدي إلى سبك النص"[5] وقد أوضح خطابي أنّ دراسة المفسرين للتكرير كما سمّاه، لم تكن لتتبعه كوسيلة "بها ترتبط أجزاء الخطاب بعضها ببعض بل اعتنوا إضافة إلى ذلك بدلالته"[6] فبالإضافة إلى مساهمة هذا التكرير في تماسك الخطاب والجمع بين الكلامين (الربط)، فإن له وظيفة ثانية تداولية المعبر عنها بالخطاب "أي لفت أسماع المتلقين إلى أن لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها"[7] في النص.

وقد تنبّه النقاّد المحدثون إلى أهمية التكرار كما أنهم اعترفوا بدلالته في النص سواء أكان هذا النص شعريا، أم نثريا يقول لوتمان في هذا المعنى:"أنّه لا نقاش كذلك في أنّ تصاعد التكرار يقود إلى تصاعد التنوّع الدلالي لا إلى تماثل النص، وكلما تكاثر التشابه تكاثر الإختلاف"[8].وبيّن إبراهيم الفقي، طريقة التكرار وأهم غرض تقوم هذه العلاقة فقال بأنه: "إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو

---

[1]– ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، الجزء3، ص: 09.

[2]– ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيّوطي، الجزء3، ص: 199.

[3] – تفسير الكشاف، للزمخشرى، 3/ 142.

4– تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج102/20.

5 – أثر التكرار في التماسك النّصّي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات، خالد المنيف، نوال بنت إبراهيم، ص: 22.

[6]– لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 179.

[7]– المرجع نفسه، ص: 179.

[8]– نقلا عن الدكتور السيد خضر، التكرار الأسلوبي في اللغة العربية،كلية التربية، جامعة المنصورة، ط1، 2003م،ص:56.

بالترادف، لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصيّ بين عناصر النص المتباعدة"[1]، لكنّ ابراهيم الفقي ربطها بالترادف، وهنا قد نقع في إشكال نحن في غنى عنه في هذه الدراسة بين القائلين بالترادف والمنكرين له، وهذا لا يسعنا في هذه الدراسة. وبهذا فهو لم يبتعد عن تعريف الإمام الزركشى حيث قال: "وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى"[2].

أمّا الأزهر الزناد فإنه يرى أن التكرار هو نوع من أنواع الإحالة القبلية وسمّاه بـ(الإحالة التكريرية) وهي"تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد"[3]، وهذا يعني أنّ الأزهر الزناد يعتبر التكرار نوعا من أنواع الإحالة التي تكون في النص، وبالتالي فهي تندرج عنده ضمن نصية النص.كتكرار النداء لبني إسرائيل:(**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**)**3 مرات وذلك في قوله تعالى:﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ... وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (الآية 40)** ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ... وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الآية 47)** ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ... وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(الآية 122).**

وعلى العموم، فإنه من الجلي أن يلعب التكرار دورا مهما في اتساق النص، حيث يذكر المتلقي بما سبق ويجعله يسترجع الأفكار والكلام كلما كان التكرار حاضرا في النص، بذهنه، ويسوقه نحو المعنى المقصود، حتى لا ينزاح المتلقي بفكره إلى تأويل غير المعنى الذي يقوده إليه التكرار وللدلالة دور كبير في تحديد المعنى من وراء التكرار. فتكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرة في سياق واحد قد يرد لنكتة ما كالتوكيد أو الانتباه أو التهويل أو التعظيم، وقد أشار المفسرون إلى معاني عظيمة نجليها من ظاهرة التكرار في الخطاب القرآني.

ومن هنا نشير إلى فارق بسيط بين الإعادة والتكرار، فتكون الإعادة مرّة واحدة أمّا التكرار فإنّه يكون على عدّة مرات. ومن خلال ما سبق نلاحظ أن التكرار كما يكون في كلمة واحدة تعاد أكثر من مرة، قد يكون أيضا في جملة وهي التي تشمل أكثر من كلمة، لكنه أيضا اشترط أن تكون هذه الإعادة في سياق واحد، وعليه فلو اختلف السياق، وتغير الموضوع ولو أعيد فيه بعض الألفاظ فلا تكرار عندئذ. إذ لا يكمن نأتي بكلمة أو عبارة أو جملة من نص ألفه البشر، ونقابلها بنص من الخطاب القرآني، ونحطم عليها بالتكرار. فشتّانا بين هذا وذاك.

---

[1]– علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السّور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، الجزء2، ص: 208.

[2] – البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 10/3

[3]– نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، الأزهر الزناد، ص: 119.

ج- التكرار أو التكرير (Recurence /Reiteration):[1]

والتكرار عنصر من عناصر الإتساق المعجمي، وهو يعد حسب شارول CHAROELLES من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية، فقاعدة التكرار الخطابية تتطلب الإستمرارية في الكلام بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأول أو بتغيير ذلك الوصف ويتقدم التكرار لتوكيد الحجة والإيضاح[2]، وقد نوّه بعض اللسانيين إلى ظاهرة التكرار في الخطاب، ودورها في الربط بين أجزاء النص، إذ أنّ القصد" بالتكرار التخاطبي" استرجاع المعنى الدلالي نفسه أثناء الخطاب، وتسلّم هذه القاعدة بأنّه" حتّى يكون النّص منسجما يجب أن يحمل في تطوّره الخطّي عناصر لها تكرار ملزم (CHAROELLES)"[3].

وحتى نفرق بينه وبين بعض الألفاظ ذات الصلة التي ذكرت في كتب الكثير من اللسانيين، كالتكرير والإعادة والتوكيد والمتشابه...،فإننا سوف نركز على أكثرها ذكرا في هذه الكتب وهي: التكرير والإعادة.: يقول ابن منظور:"كَرَّرْتُ الشيء تَكْرِيراً وتَكْراراً؛ قال أَبو سعيد الضرير: قلت لأبي عمرو: ما بين تِفْعالٍ وتَفْعال. فقال: تِفْعالٌ اسم، وتَفْعالٌ، بالفتح، مصدر.وتَكَرْكَرَ الرجلُ في أَمره أَي تردّد. والمكَرر من الحروف: الراء،وذلك لأَنك إِذا وقفت عليه رأَيت طرف اللسان يتغير بما فيه من التكرير،ولذلك احْتُسِبَ في الإِمالة بحرفي"[4]ن.والألف في "تكرار" عوضا عن الياء في "تكرير" ، ويجعلون ألف التكرار والترداد بمنزلة ياء تكرير وترديد. غير أنّ استعمالهما اللساني واحد وله دلالة واحدة، وهناك ألفاظ قريبة من التكرار مثل "الإعادة، التوكيد "فقد يظن المتلقي لهذا العلم اللساني أنه لا فرق بينها وبين التكرار، إلا أنّ علماء اللغة أوضحوا الفروق الموجودة بينهما وإن كانت دقيقة، وهى تكشف عن بعض مزايا اللغة العربية . ففي بيان الفرق بين التكرار والإعادة يقول أبو هلال العسكري في الفروق اللغويه "الفرق بين التكرار والإعادة أن التكرار يقع على إعادة الشيء مرة وعلى إعادته مرات، والعادة للمرة الواحدة ألا ترى أنّ قول القائل أعاد فلان كذا لا يفيد إلّا إعادته مرة واحدة. وإذا قال كرر كذا كان كلامه مبهما لم يدر أعاده مرتين أو مرات، وأيضا فإنه يقال أعاده مرات ولا يقال كرره مرات إلا أن يقول ذلك عامي لا يعرف الكلام، ولهذا قالا الفقهاء الأمر لا يقتضي التكرار والنهي يقتضي التكرار ولم يقولوا الإعادة، وإستدلوا على ذلك بأن النهي الكف عن المنهي ولا ضيق في الكف عنه ولا حرج فاقتضى الدوام والتكرار ولو إقتضى الأمر التكرار للحق المأمور به الضيق والتشاغل به عن أموره فاقتضى فعله مرة ولو كان ظاهرا لأمر يقتضي التكرار وما قال سراقة للنبي صلى الله عليه وسلم (وآله) ألعامنا هذا أم للأبد فقال النبي صلى الله عليه وسلم (وآله) للأبد. قالوا لو

---

[1]- مظاهر الإتّساق والإنسجام في تحليل الخطاب، الخطاب البنيوي في رقائق صحيح البخاري نموذجا، عاصم شحاذة، على، مجلّة دراسات العلوم الإجتماعية، المجلّد 36، العدد 2، 2009م، جامعة ماليزيا العالمية، ص: 362.

[2]- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، نعمان بوقرّة، ص: 100.

[3]- الإقتضاء وانسجام الخطاب، ريم الهمّامي، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص: 140.

[4] - ينظر، لسان العرب، لابن منظور، المجلد 5، ص: 135.

.قلت نعم لوجبت، فأخبر أن الظاهر لا يوجبه وإنه يصير واجبا بقوله. والمنهي عن الشيء إذا عاد إلى فعله لم يقل إنه قد إنتهى عنه وإذا أمر بالشيء ففعله مرة واحدة لم يقل إنه لم يفعله"[1].

د- أنواع التكرار:

"التكرير شكل من أشكال الإتّساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما"[2]، وقد بيّن كلاوس برينكر صور الإعادة (التكرار)، وحصرها في نوعين وهما:

1- التكرار الصريح :

أو كما يسميها البعض بالإعادة الصريحة حيث "يكرر تعبير معيّن (كلمة أو ضميمة مثلا) من خلال تعبير أو عدّة تعبيرات في الجمل المتتابعة للنّص في صورة مطابقة إحالية"[3] ويقصد بالمطابقة الإحالية إما أشخاصا أو أشياء أو أحوالا، وقد تكون وقائع وعلى شكل الأفعال والتّصورات."فتمثل هذه الإعادة في تكرار معجمي صريح لبعض الألفاظ.كالأسماء والأفعال والتراكيب...إلخ"[4]. ومن المنظور اللساني للتكرار "قد جعل علماء علم لغة النص هذا التكرار. تبعا لهاليداي ورقية حسن على عدّة درجات"[5] منها:

أ- تكرار نفس الكلمة أو العبارة (The same word or phrace):

مثل التكرار المباشر للعنصر المعجمي: THE DIRECT REPETITION وهو ما يسميه (MICHALL HONY) بالتكرار المعجمي البسيط SIMPLE LEXICAL REPETITION ويحدث عندما يتكرر العنصر المعجمي دون تغيّر"[6]. وأطلقت عدّة مصطلحات على هذا النوع من التكرار، "التكرار التام أو المحض (FULLRECURRENCE) ويتمثل في تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد. ويحقق هذا التكرار أهدافا تركيبية ومعنوية كثيرة، فهو في القرآن الكريم إنما يأتي لغرض بلاغي، وبذلك أسهب القدماء في

---

[1]- الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر،ص:39.

[2]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 24.

[3]- التحليل اللغوي للنّص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ص: 47.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 47-58.

[5]- الترابط النّصي بين الشعر والنثر، زاهر بن مرهون بن خصيف الدّاودي، دار جرير للنشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2010م، ص: 54.

[6] – Michael hoey.Patterns of lexis in text. Oxford university press. 1991. P. 52.

الحديث عنه حتى لا يقع في النفس أنه مجرد حشو لا طائل منه كما يحدث في كلام الناس"[1].ومنه ما قاله الإمام البغوي في تفسير قوله تعالى ﴿ **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ (الرحمان،13):" وكرر هذه الآية في هذه السورة تقريرًا للنعمة وتأكيدًا في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع، يعدد على الخلق آلاءه، ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها، كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها : ألم تكن فقيرًا فأغنيتك أفتنكر هذا ؟ ألم تكن عريانًا فكسوتك أفتنكر هذا ؟ ألم تك خاملا ؟ فعززتك أفتنكر هذا؟ ومثل هذا التكرار شائع في كلام العرب وقد حسن تقريرًا.[2] يعلّق الشريف المرتضى عن هذه الآية مبينا الدور الذي لعبه التكرار في الترابط الموجود بين الآيات،قائلا:"إنّما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المتجددة، فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرّر عليها، ووبّخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره:ألم أحسن إليك بأن خوّلتك الأموال؟ ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا؟ فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم"[3].

ومن صور هذا النوع من التكرار في سورة البقرة، تكرار الجمل الذي ساهمت بطريقة تركيبها في بناء نسيج السورة، وهذه النماذج كثير في السورة، ونذكر منها تكرار جملة (**اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) حيث تكررت 6 مرات 3مرات " إِنَّ اللَّهَ " –مرتان " أَنَّ اللَّهَ " – مرة " وَاللَّهُ " .

1- ﴿ **يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)**﴾

2- ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)** ﴾

3- ﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)** ﴾.

4- ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106)**﴾.

5- ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ**

[1]– ينظر الترابط النّصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، ص: 66.

[2] – معالم التنزيل ، للبغوى ط دار طيبة للنشر ط رابعة 1997م . 442/7

[3]– غرر الفوائد ودرر القلائد، (الأمالي)، الشريف المرتضى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1967م، ج123/1.

وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) ﴾.

6- ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284)﴾.

ويجيء التكرار أيضا لتعظيم شأن المكرر، و "ذلك بترديد ذكره في مواقع متقاربة سواء كان ذلك في آية واحدة، أو في آيات متتالية"[1]. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)**﴾(سورة البقرة:05) ويعلق الزمخشري على تكرار إسم الإشارة هنا بقوله:"تكرير(أولئك) تنبيه على أنّهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح، فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت ميزة على حيالها"[2].**ومن نماذج هذا التكرار قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾**(الأنعام، 01.)حيث تكررت لفظتي (السموات والأرض) في عدّة آيات منها قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ(3)** ﴾ (الأنعام، 03).وأيضا في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ** ﴾ (الأنعام،14) وقد نبه دي بوجراند إلى أن إعادة اللفظ تتطلب "وحدة الإحالة بحسب مبدأي الثبات والإقتصاد ولكنها قد تؤدي إلى تضارب في النص حين يتكرر المشترك اللفظي مع إختلاف المدلولات"[3] ويشمل هذا النوع من التكرار نوعان:

- التكرار مع وحدة المرجع (أي يكون المسمى واحد).
- التكرار مع إختلاف المرجع (أي المسمى متعدد)4

نموذج للتكرار مع وحدة المرجع قوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)**﴾ (البقرة،79). حيث تكررت لفظة الويل التي تدل على وحدة المرجع. كما نجد النوع الثاني من التكرار في (يكتبون الكتاب بأيديهم) و(كتبت أيديهم) وما يفيده من ربط.

-نموذج لتكرار مع إختلاف المرجع:

---

[1]- الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم، د.نصر الدين بن زروق، دار هومه، الجزائر،2013م، ص:68-69.

[2]- تفسير الكشاف، للزمخشري، ج1/145.

[3]- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص: 303.

[4]- نحو النّص، اتّجاه جديد في الدّرس النحوي، أحمد عفيفي، ص: 107.

قال أبو نواس مخاطبا الفضل بن الربيع:

- **و أي فتى في الناس أرجو مقامــه إذ أنت لم تفعل وأنت أخو الـفضـل**
- **فقل لأبي العباس إن كنت مذنبــا فأنت أحق الناس بالأخذ بـالفـضـل**
- **و لا تجحدوا بي ود عشرين حجة ولا تفسدوا ما كان منكم من الفضل**[1]

"فقد تكررت كلمة (الفضل) مع اختلاف في المرجع، فدلالتها في البيت الأول (الفضل بن الربيع أخو جعفر الممدوح) وفي الثاني مقصود به السماحة، وفي الثالث ضد النقص، فقد تعدد المسمى مع التكرار الذي صنع ربطا بين الآبيات وآثار انتباه المتلقي"[2].

ب- التكرار الجزئي للكلمة: PARTIAL REPETITION/ PARTIAL RECURRENCE:

وهو تكرار جزء من صيغة ما، وذلك بالمحافظة على المرجعية ويتعلق الأمر هنا بأكثر من عنصر لغوي بالضرورة إذ يتكرر على الأقل عنصر معجمي يكون قادرا على المحافظة على المرجعية في حين يغيب عنصر أو عناصر أخرى"[3] ويعني كذلك"استخدام المكونات الأساسية للكلمة (الجذر الصرفي) مع نقلها إلى فئة أخرى، مثل (ينفصل-إنفصال)، (يحكم- حكم- حكام- حكومة)"[4] كأن"يستخدم الجذر اللغوي استخدامات مختلفة"[5] ووضح عفيفي التكرار الجزئي أكثر فقال عنه بأنه: "تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة"[6] وخير مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23)**﴾ (الأنعام،22-23). في هذه الآية نجد أنّ مشتقات مادة(شرك) جاءت لتربط بين أجزاء الآية، فظهرت الآية متماسكة من خلال التكرار الجزئي لمشتقات الفعل (شرك) وهي على التوالي (أشركوا – شركاؤكم – مشركين). ويسمي (HONY) هذا النوع من التكرار ب"التكرار المعجمي المركب COMPLEX LEXICAL

---

[1] – ديوان أبي نوّاس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 200.

[2]– نحو النّص، آتجاه جديد في الدّرس النحوي، أحمد عفيفي، ص: 109.

[3]– تحليل الخطاب، جزن براون وجون يول، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود، دار النشر العلمي والمطابع، ب.ط، الريآض، ص: 231.

[4]–. Introduction To Text Linguistics Raubert de Baugrande e Dressler. London.wolfgang. longman.1981. p. 56.

[5]– علم النّص، جميل عبد المجيد، مقال في مجلّة عالم الفكر، المجلد32، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2003م، ص: 146.

[6]– نحو النّص، آتجاه جديد في الدّرس النحوي، أحمد عفيفي، ص: 107.

REPETITION، حيث يشترك عنصران معجميان في مورفيم معجمي واحد. وقد أطلقت (SANDRA STOTSKY) 1983 على زوج العناصر المترابطة على هذا النحو مصطلح الألفاظ المشتقة DERIVATIVES"[1] وفي هذا النوع من التكرار لا يصبح التطابق الكلي في التركيب شرطا أساسيا لتحقيق استمرارية اتساق النص، إذ يكفي فقط أن يدل مؤشر على تكرار المعنى وتقاربه من خلال الجذر مع المشتقات، حيث يصبح هذا النوع من التكرار أحد الروابط الداخلية للنص التي يتحقق من خلالها الإتساق. وهذا ما يتفق عليه النصانيون، "على أن كثرة التوليد من الجذر داخل النص، يسهم في اتساق النص وترابطه.... ويتشكل هذا النوع بإعادة الكلمة بإشتقاقاتها المختلفة داخل النص"[2] وهذا العمل يبين قدرة الكاتب على الإنتاج وعلى التلاعب بجذور اللغة وتنويع اشتقاقاتها التي ترسي النص، وتبسطه أحسن البسط، مترابطا متكاملا متسقا بشدة محكمة.و"يميّز علماء اللسانيات النصّية بين التكرار التّام والجزئي الذي يقوم على استعمال المختلف للجذر اللساني للمادة المعجمية... بالإضافة إلى تكرار الترادف في مستوى اللفظة أو العبارة"[3].

ويسمي HOEY هذا النوع من التكرار ب: "التكرار المعجمي المركب COMPLEX LEXICAL REPETITION حيث يشترك عنصران معجميان في مورفيم معجمي واحد، وقد أطلقت SANDRA STATOTSKY 1983 على زوج العناصر المترابطة على هذا النحو الألفاظ المشتقة DERIVATIVES"[4]. وهذا النوع من التكرار ولا يصبح التطابق الكلي في التركيب شرطا أساسيا لتحقيق استمرارية اتساق النص، إذ يكفي فقط أن يدل مؤشر على تكرار المعنى وتقاربه من خلال تكرار الجذر مع المشتقات، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12)**﴾ (البقرة،11-12) فلفظتي (**تُفْسِدُوا-الْمُفْسِدُونَ**) مشتقتان من نفس الجذر اللغوي (فسد) ومن نفس الدلالة، وهذا وصف للمنافقين بفعلهم، فالآيتان(11) و(12) احتوتا على مشتقين من نفس الجذر اللغوي وهذا ما يثبت اتساقهما في موضوع واحد. ومن هذا النوع من التكرار في سورة البقرة وقد ساهم في عملية إتّساق الخطاب الموّجه للمنافقين والنص، ما وجدناه في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14)** ﴾(البقرة،13-14). فنجد مشتقات الجذر (أمن) في الصور التالية مذكورا في

---

[1]-.Patterns of lexis in text Michael hoey. Oxford university press. 1991. P. 55-56.

[2]- أثر التكرار في التماسك النّصّي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات، خالد المنيف، نوال بنت إبراهيم، ص: 42.

3- لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، نعمان بوقرة، ص: 194.

[4] - PETTERNS OF LEXIS IN TEXT ،MICHAEL HOEY P :55- 56.

الآيتين على التتابع(**آمِنُوا– آمَنَ– أَنُؤْمِنُ– آمَنَ– آمَنُوا– آمَنَّا**) ففي هاتين الآيتين تم توظيف 6 مشتقات للجذر(أمن)، وهذا يدل على التنوع والثراء في التعبير القرآني حسب السياق، فهو لم يكن تكرارا محضا بنفس الصورة التكرارية وإنّما كان تكرار جزئيا عن طريق تكرار الجذر، وهذا النوع من التكرار يساهم بطريقة معجمية في الإحالة إلى نفس العنصر المخاطب وهم المنافقون.

ج– من صور التكرار الصريح (المحض) في سورة البقرة:

1– التكرار الحرفي في سورة البقرة:

تكرار الحروف، وهو نوع من التكرار الذي يتميّز بالحضور المكثّف في القرآن الكريم، وهو نوع لم يدرجه العلماء ضمن موضوع القرآن، وإنّما تناولوه بالدراسة أثناء تعرضهم لما يسمّى عندهم بالمعاضلة اللفظية، وهي مأخوذة من قولهم: تعاضلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما على الأخرى، فسمي الكلام المتراكب في ألفاظه، أو في معانيه بالمعاضلة مأخوذة من ذلك، وهو اسم لائق بمسمّاه[1]. ومن هذا النوع قوله تعالى:﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)** ﴾(سورة البقرة:07)"وتكرير حرف الجر يدل على أن الختم ثلاثة أختمة، أو على التوكيد، وإن كان الختم واحد فيكون أدل على شدة الختم"[2] وقد نبّه القدماء إلى أهمية التكرار في قوله السابق"ففي هذا القول الكريم جاء تكرار الحرف(على)، وفي هذا التكرار دليل على شدة الختم والمعنى: أغلق الله قلوبهم وختم عليها فلا ينفذ إليها نصح أو يتسرب إليها إيمان، وأصل (الختم) هو على الأبواب لمنع الدخول إليها"[3].

ومن صور التكرار الحرفي تكرار حرف (الباء)في قوله: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)**﴾(سورة البقرة:08)،"ففي تكرير الباء دليل على مقصود كل ما دخلت عليه الباء بالإيمان واليوم الآخر يحتمل أن يراد به، الأبد الدائم الذي لا ينقطع...وإنما زيدت الباء في الخبر للتأكيد ولأجل التأكيد في مبالغة نفي إيمانهم"[4].

– تكرار حرف التوكيد (إنّ):

---

[1]– المثل السائر، ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1999م، ج1/285. وينظر:الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم، د.نصر الدّين بن زروق: دار هومه، الجزائر،2013م، ص:126–127

[2]– ينظر، تفسير البحر المحيط،لأبي حيان الأندلسي الغرناطي،ج1،ص:73.

[3]– بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا و تفسيرا بإيجاز، إعداد بهجت عبد الواحد الشيخلي، الفاتحة البقرة، مكتبة داناديس، عمّان الأردن، ط1، 1422هـ–2001م، المجلد الأوّل،ص:23.

[4]–تفسير البحر المحيط،لأبي حيان الأندلسي الغرناطي،ج1،ص:82.

يقول عمر السلامي في معرض حديثه عن الإيقاع الناتج عن تكرار هذا الحرف(إنّ) الإيقاع الذي تحدثه(أن) داخل العبارة "يستمد تغلغله داخل النفس من قوّة تأكيدها للمعنى، ونوع الموضوع أيضا بحيث تشعرنا بضغط قوّي من الفك الأعلى لشدقي الفم، مشوب بنغمة إيقاعية تحمل أنينا، ينطوي على توبيخ خفي، موجه إلى بني آدم حيث ضعف النفوس، وسرعة التقلّب، وعدم التصديق والتسليم"[1].

وقد أحصى العادّون ثلاثة وثلاثين حرفا جاءت في سورة البقرة، في الآيات التالية:(25-26-46-46-47-61-77-103-106-107-122-144-165-165-167-167-187-194-196-203-209-223-231-233-235-235-235-244-249-259-260-267-275)حيث جاءت مجردة مستقلة من الأحرف في مواضع، كما جاءت متصلة ببعض ضمائر النصب في مواضع أخرى.

وهناك تكرار أسلوبي يتمثل في تكرار حرف النداء(يا) في سورة البقرة، حيث تكرر حرف النداء بهذا الحرف(24) مرّة في الآيات التالية:(21-33-35-40-47-54-55-61-104-122-132-153-168-172-178-179-183-197-208-254-264-267-278-282)، ويمثل نداء بني إسرائيل أكبر نسبة لهذا التكرار في الغالب، نظرا لجرائمهم التي تتابعت بكثرة، وهذا ما يبيّن شدة الإرتباط بين جمل وآيات هذا الأسلوب، ما زاد لمضمون سورة البقرة اتّساقا أسلوبيا يتمثل في تكرار حرف النداء(يا). ومنها ما هو متقارب في الموقع في السورة، ومنها ما هو متباعد عن النداء الثاني، وهذا لم يؤثر على تماسك نص سورة البقرة سلبا، بل كان تأثيرا إيجابيا قارب بين المعاني المتباعدة كلما تجدد النداء بالحرف (يا)، إلاّ وتجدد معه تجديد الإنتباه لأنّ" النداء في القرآن الكريم مرتبط في معظمه بمعناه الأصلي"[2].

أمّا تكرار بعض حروف المعاني الأخرى فأنه يمثل نسبة قليلة من الحضور في سورة البقرة، كتكرار حرف الإضراب (بل) الذي يقوم بالربط بين جزئين من الكلام بغرض"إبطال ما سبق عن طريق الغلط من المتكلم، أو أنّ الثاني أولى وإمّا أن يقع في كلام الله تعالى"[3]، ويظهر تكرار هذا الحرف بداية من الثلث الثاني لسورة البقرة، بداية من قوله تعالى"﴿ **وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88)** ﴾(سورة البقرة:88)، وقوله﴿**بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ** ﴾، تسجيل عليهم ونصح لهم بأنّهم صمموا على الكفر والتمسك بدينهم من غير التفات لحجة النبيء صلى الله عليه وسلّم، فلما صمموا على ذلك عاقبهم الله على كفرهم باللعن و الإبعاد عن الرحمة والخير فحرمهم التوفيق والتبّصر في دلائل صدق الرسول، فاللعنة حصلت لهم عقابا على التصميم على

---

[1]– الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي،نشر و توزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس،(د.ت)، ص:232.

[2]– الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم،د نصر الدين بن زروق، ص:155.

[3]– ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي،ج24/3.

الكفر وعلى الإعراض عن الحق وفي ذلك رد لما أوهموه من أنّ قلوبهم خلفت بعيدة عن الفهم لأنّ الله خلقهم كسائر العقلاء مستطعين لإدراك الحق لو توجهوا إليه بالنظر وترك المكابرة"[1]، ومن المواضع التي تكرر فيها الحرف الآيات:(259-170-154-135-117-100-88) وهو تكرار للحرف(بل) سبع مرّات، فرغم طول سورة البقرة وقلّة ذكر هذا الحرف في السورة، إلاّ انّه حقق إتّساقا قوّيا بين الجمل المتضاربة.

2- التكرار الإسمي والفعلي في سورة البقرة:

قال الزركشي مقولته المشهورة :"أنّ الكلام إذا تكرر تقرر"[2] وهذا ما يراه عبد الكريم الخطيب، لأنّ التكرار الوارد في جميع سور القرآن الكريم هو"إيقاظ المشاعر ولفت العقول، وذلك لما يقتضيه الموقف من يقظة ووعي، وحذّر من أن يفلت من بين يدي الإنسان ما ينبغي أن يلقى به هذا الموقف من استعداد نفسي وعقلي حيث ينتفع بما فيه من عبرة وعظة"[3] و بهذا يتضّح الدور الذي يلعبه التكرار في الرسالة التي يبثها للمتلقي، فكلما كان المضي إلى الأمام استحضرت ذهنه كلمة أو جملة أو إشارة إلى نص قد سبقه في الآيات السابقة، تريد منه ألاّ ينسى ما تمّ ذكره سواء أكان وعظا أم تهديدا، أو أي غرض من الأغراض التي ذكرناها سابقا، وهكذا يصبح مندمجا إندماجا روحيا ونفسيا مع النص حتى ينسجم معه تماما، وبهذا يكون للتكرار علاقة داخل السياق اللغوي النصي، وخارجه تؤثر في المتلقي كلما كان هناك تكرار. ومن الملاحظات التي لفتت انتباهنا عن هذه الظاهرة في السور القرآنية أنّ التكرار يستعمل "إذ كان هناك متّسع كبير بين بداية الكلام ونهايته، فيحسن في هذه الحالة التكرار تفاديا لنسيان الأوّل"[4]و هنا يوضح الزركشي الدواعي الضرورية التي توجب التكرار حتى لا يتناسى الكلام، فيقول:"إذا طال الكلام وخشي تناسي الأوّل أعيد ثانية تطرية له، وتجديدا لعهده"[5]. ولعلّ فكرة الاستحضار لم تكن غائبة عن المفسّرين خاصّة منهم الزمخشري الذي نصّ على ذلك ، وإن في سياق آخر بقوله : " وقوله ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ والْأَرْضِ** ﴾ استحضار لقوله لهم ﴿ **إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ** ﴾ إلا أنه جاء على وجه أبسط من ذلك وأشرح" [6].

ولهذا سوف نذكر بعض النماذج من صور التكرار الصريح.

- تكرار لفظ الجلالة (الله) وما يحيل إليه:

---

[1]- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج1/ 600.

[2]- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، ج10/3.

[3]- الإعجاز في دراسات السابقين،عبد الكريم الخطيب،دار المعرفة، بيروت، لبنان،ط3، 1975م، ص:234.

[4]- الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم،د، نصر الدين بن زروق، دار هومه للطباعة والنشر و التوزيع، 2013م، ص:72.

[5]- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ج14/1.

[6]- الكشّاف ، 1/ 290.

استعمل القرآن بعض الألفاظ التي حملت دلالة جديدة مع بداية نزوله، ومن هذه الألفاظ لفظ الجلالة (الله)، خاصة في بداية العهد المدني الذي تمثّله سورة البقرة، فرغم حداثة هذا الدين الجديد(الإسلام) الذي جاء به القرآن داعيا إلى توحيد الله تعالى، فإنّ هذا اللفظ تكرر بما يحمله من دلالة جديدة، وثقل بتكليف جديد ومسؤولية جديدة رسمت المنهج الجديد لدين الله الواحد الأحد، وهذا تكرار يصل بين الآيات التي دلت على عقيدة التوحيد كلما ذكر لفظ الجلالة (الله)، و من هذه الآيات قوله تعالى:

1- ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7) ﴾.

2- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) ﴾.

3-﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) ﴾.

4- ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) ﴾.

5- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) ﴾.

6-﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ﴾.

7- ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60) ﴾.

8-﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70)﴾.

9- ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) ﴾.

10-﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) ﴾.

11-﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) ﴾.

12- ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138) ﴾.

13- ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139)﴾.

فهذه الآيات من مواضع مختلقة في سورة البقرة، وظفت لفظ الجلالة الله وألفاظ أخرى تحيل إليه كلفظة (رب) والضمائر، ساهمت على طولها في خلق الربط الطولي والعمودي للسورة من مطلعها إلى خاتمتها، عن طريق التكرار المتنوّع للفظ الجلالة وما يدل عليه.وقد ذكر لفظ الجلالة 140 مرّة في سورة البقرة، حيث شكلت هذه اللفظة ربطا معجميا. وعن طريق تكرارها يظهر ربطا عقديا دينيا يزيد السورة تماسكا واتساقا. ولا تهتز فيه البنى التركيبية التي تشكّل جملة السورة. ويظهر هذا التكرار على امتداد لسورة أي ما يقارب نصف تعداد مجمل الآيات التي تشكل سورة البقرة(286 آية في سورة البقرة) ما يعني أنّ الإتّساق حاضر بهذا اللفظ من بداية السورة إلى آخرها، ناهيك عن الألفاظ التي تحمل دلالتها كلفظتي (الإله و الرب) اللتين تواتر ذكرهما مرارا في مواضع مختلفة من السورة، وهذا ما أضاف إتّساقا دلاليا يندرج تحت نفس الدلالة؛ لأنّ الدلالة واحدة والمذكور مسميات لشخص واحد هو الله سبحانه وتعالى، ومن تلك الآيات التي ذكر فيها لفظة (رب) نذكر آيات الدعاء مثلا، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾(سورة البقرة:126)، ثمّ جاء بعد هذه الآية بهذا اللفظ المتكرر في بداية كلّ آية مقرونا بضمير المتكلم الجمعي(نا) في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)** ﴾(سورة البقرة:127-129) ففي هذه الآيات ذكر لفظ (الرب) متكررا في كل آية من الآيات السابقة مبديا ارتباطا آخر يساند الإتّساق الأوّل الذي يجسده لفظ الجلالة (الله)، وهذا النوع من الربط المتكرر بألفاظ متنوعة لمرجع واحد وهو لفظ الجلالة (الله) يمكننا أن نعتبره تنوعا معجميا أو نوعا من أنواع الإستبدال، التي تستعمل في النصوص لإثراء طرق التعبير و تنويعها دون أن ينقص من القيمة الدلالية شيء للمذكور. ويظهر أثر ذلك في المساهمة التي تحددها العناصر اللغوية الرديفة للإسم (الله) في تجسيد الدلالة العامة للنص. وأيضا قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾(سورة البقرة:163).

سبق وأشرنا إلى الدور الذي تلعبه الضمائر في صناعة النسيج النصي بحضورها المكثف، حيث يشكل حضورها داخل النص نوعا من أنواع التكرار غير الصريح، وهذا نوع من أنواع الإستبدالات التي تتم على مستوى البنية المعجمية حيث يعوّض الضمير مذكورا سبق ذكره تجنبا لتكرار نفس الكلمة التي يسميّها بعض اللسانيون بالتكرار المحض، وربما قد يبدي هذا مللا لدى المتلقي وعزوفا عن تلقي النص القرآني. فيساهم التكرار باستعمال

الضمير في الربط بين أجزاء الآيات، وفي نفس الوقت فإنّه يحيل إلي مرجعيته إحالة مباشرة من خلال ذكره، وكمثال لذلك قوله تعالى:﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)**﴾(سورة البقرة:119-121) فضمير المتكلم (نا) المتكرر في الكلمات التالية(إِنَّا – أَرْسَلْنَاكَ–آتَيْنَاهُمُ) هو تكرار للفظ الجلالة من دون التصريح به مباشر، وهو تكرار غير محض وغير صريح ساهم في ربط بعض الأفعال (أَرْسَلْنَاكَ–آتَيْنَاهُمُ) بالذات الإلهية التي سبق ذكرها. وهي تحيل مباشر إلى لفظ الجلالة المذكور سابقا، وهذا ما ساهم في إتّساق النص بهذا النوع من التكرار.

ومن صور التكرار الصريح، تكرار لفظة اسم النبي(موسى) عليه السلام، ما يدل على تعلق الآيات بعضها ببعض، وأن هذا المقطع من سورة البقرة موضوعه واحد، وهذا ما يجسد **الإتساق عن طرق التكرار الاسمي في سورة البقرة:** ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)**﴾(البقرة،51-55).

- تكرار لفظة البقرة:

ومن صور هذا النوع من التكرار؛ تكرار لفظة (البقرة) في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ**

قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) ﴾(البقرة،67-73).

-تكرار لفظتي الشياطين وسليمان:

في قوله تعالى:﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)**﴾(البقرة،102).

– تكرار لفظة (غضب):

في قوله تعالى:﴿ **بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)**﴾(البقرة،90).

- تكرار لفظة ميثاق:

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84)**﴾،(البقرة،83-84).

ويعد التكرار بهذه الطريقة نوع من أنواع الربط في النص، لأن ظهور نفس الوحدات المعجمية في نفس النص هو مواصلة واستمرارية للحديث عن موضوع واحد، وهو نوع من أنواع تعلّق المقاطع ببعضها في السورة القرآنية، ونوع من أنواع تعلّق الفقرات والأبيات بعضها ببعض في النصوص النثرية والشعرية التي ينتجها البشر.

ويعطي التكرار المعجمي بهذه الصورة نوع من التجديد الحضورى للمعاني في نفس النص عن طريق ظهور الكلمات المعجمية من جديد، غير أنّه لا يجب أن يكون بطريقة مكلّفة قد لا تستدعي إعادة ظهور تلك الألفاظ مرّة على مرّة ما دامت المعاني تبدو متعلّقة ببعضها البعض ومستمرّة دون تقطع، وإنّما ما ينبغي الإشارة إليه كما هو في النصوص التي سبق ذكرها، وهو تكرار الكلمة المعجمية لضرورة معنوية تتطلب ظهورها من جديد حتى يظهر في النص بأنّ المتحدّث عنه هو نفسه؛ أي هذا الذي تكرر من جديد حتى لا يقع التباس في فهم المعاني،

وهذا ما يساعد المتلقي على إعادة استحضار المعلومات السابقة عن المتحدث عنه من جديد وربط المقاطع مع بعضها لخلق نوع من الإتّساق المعجمي الذي يوازيه إتّساق آخر نحوي وآخر معنوي، وبالتالي يحدث هنا إتّساق معجمي عن طريق تكرار العنصر المعجمي، وإتّساق نحوي عن طريق علاقة نحوية تربط بين العنصر المعجمي بما سبقه وبما لحقه، من خلال العلاقات النحوية المنشئة لعملية الربط بين الموقعين: الموقع السابق الذي ذكر فيه العنصر المعجمي والموقع اللاحق الجديد الذي أعاد ظهوره فيه، وبهذه العلاقات يظهر إتّساق آخر وهو الإتّساق المعنوي الذي يتحدّث عن موضوع واحد. فألفاظ من مثل التكرار المعجمي للفظ الجلالة ولأسماء الأنبياء وللنداء المتكرر لبني إسرائيل في سورة البقرة، تؤكد كلّها بنسقية المقاطع التي تذكر فيها ألفاظ من هذا القبيل لأنّ امتدادها الدلالي هو الذي جعلها تظهر من جديد كلما تجدد الحديث عنها إمّا من باب التأكيد أو الوعظ أو التحذير أو التهديد وأغراض بلاغية أخرى قد يضيق المقام بذكرها. وإمّا من باب تقديم معلومة جديدة عن المتحدث عنه تتناسب والمقام الجديد، وهذا يظهر أثر التكرار للعنصر المعجمي في هذه المواضع داخل السورة في عملية الإتساق النصي للسورة.

وأمّا النوع الآخر من صور تكرار الفعل التي ساهمت في الربط داخل الآية الواحدة، ما يلي:

– تكرار الفعل (ظلموا)، قال تعالى:﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)** ﴾(البقرة،59).

-تكرار الفعل(آتَيْنَا): قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88)**﴾ (البقرة،88).

- تكرار الفعل (جاءهم): قال تعالى:﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)**﴾(البقرة،89).هذه الأفعال التي تكررت ساهمت بهذا التكرار في عملية ربط معجمي داخل الآية وبين الآيات. لذلك تزداد هده المقاطع اتّساقا وتزيد بنية السورة توطيدا لعلاقات الترابط المتنوعة، وبهذه الطريقة تشارك الأفعال عملية الإتّساق العام في السورة.

ومن صور التكرار الصريح الذي تكررت فيه الكلمة لفظا ومعنى ما تكرر في قوله تعالى:(**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**)(سورة

البقرة:59).قال الزمخشري مبيّنا المعنى الذي أفاده تكرار عبارة(الذين ظلموا)، وهو زيادة في تقبيح أمرهم، وإيذان بأنّ إنزال الرجز عليهم لظلمهم"[1].

وفي سورة البقرة مثال واضح للإعادة الصريحة أو التكرار وجدناه في قوله تعالى: ﴿ **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)**﴾ (سورة البقرة:38). وفي قوله تعالى: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36)** ﴾(سورة البقرة:36)،حيث تكرر جملة(قلنا اهبطوا) في الآيتين(38-36)، وفصلت بينهما آيتان، ليحدث الترابط بالتكرار الصريح للجملة (قلنا اهبطوا)."فاحتمل تكريرها أن يكون لأجل ربط النظم في الآية القرآنية من غير أن تكون دالّة على تكرير معناها في الكلام الذي خوطب به آدم، فيكون هذا التكرير لمجرد اتصال ما تعلق بمدلول و(**قلنا اهبطوا**) وذلك قوله (**بعضكم لبعض عدو**) وقوله (**فإمّا يأتيينكم الهدى**) إذ قد فصل بين هذين المتعلقين ما اعترض بينهما من قوله (**فتلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التوّاب الرحيم**) فإنه لو عقب ذلك بقوله (**فإما يأتينكم مني هدى**) لم يرتبط كمال الارتباط، ولتوهم السامع أنه خطاب للمؤمنين على عادة القرآن في التفنن فلدفع ذلك أعيد قوله (**قلنا اهبطوا**) فهو قول واحد مكرر مرتين لربط الكلام و لذلك لم يعطف"[2].

ويؤدي التكرار أو إعادة اللفظ معنى يذهب إذا عدل منه إلى الحذف كما في قوله تعالى: ﴿ **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105)**﴾ (سورة الإسراء:105)، وعلة الحسن والبهجة في إعادة اللفظ لأنه يؤكد نسبة المنزّل (القرآن) إلى معنى الفعل سواء أثبته لفاعله أو أثبت إلتباسه بمفعوله، ويذهب معنى التقرير والتوكيد إذا أظهر الضمير أو لو ترك فيه الإظهار إلى الإضمار، فقيل، وبالحق أنزلناه وبه نزل، أو كما قال الجرجاني"لعدمت الذي أنت واجداه الآن"[3]يعني صفات الحسن والبهجة والفخامة والنبل"[4].

3- الإتّساق بتكرار الضمير في سورة البقرة:

ويشهد هذا النمط من التراكيب تقريبا كلّ أنواع الإتّساق، وهو ذكر الضمير، واستبدال الكلمة به، ويتحقق هذا على المستوى علاقة الإستبدال، حيث تستبدل الكلمة بالضمير الذي يعوّض حضورها، وتكرار العنصر المتحدث عنه بالضمير، و"إذا كان التكرار هو أحد عناصر التماسك النصي، فإنّ تكرار الضمير، أو كما

---

[1]- تفسير الكشاف، للزمخشري،ج283/1.

[2]-تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور، ج440/1.

[3]-دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني،ص:170.

[4]-دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة ،د/ سعيد حسن بحيري،ص:262-263.

يسميه النصيون بالإحالة أو المرجعيّة، هو أحد أقوى العناصر التي تؤدي إلى تلاحم أجزاء النص وعناصره"[1]لذلك يقول الدكتور إبراهيم الفقي:"أنّ الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى نوع من التكرار، ذلك لأنّ الضمائر تحل محلّ الأسماء الظاهرة، فالضمائر في (إيّاك- اهدنا- أنعمت) تعدّ نوعا من التكرار للفظ الجلالة المذكور في آية البسملة"[2].لذا اعتبر كثير من الباحثين أن تكرار الضمير في القرآن الكريم هو أحد صور التماسك النصي فيه، ونظرا لكثرة الضمائر في القرآن الكريم و بصفة خاصة سورة البقرة، فإننا سوف نذكر أنواع الضمائر التي تعود على أهم عنصر دلّ عليه القرآن وذكره، وهو الذّات الإلهية (الله) جلّ وعلا، وهذا الجدول يوضّح ذلك في سورة البقرة:

الضمير	رقم الآية التي ورد فيها	بعض الشوهد القرآنية (آيات)	عدده
أنا	160	-(...وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)	01
أنت	-128-127-32 .286-129	-(...إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) -(... إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) -(... إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) -(... أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) -(...أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)	05
هو	-54-37-29-29 -163-148-139 .255-255	-(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...) -(... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) -(... إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) -(... وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) -(قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ) -(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...) -(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) -(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ...) -(... وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)	09

[1]- الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم، د.نصر الدين بن زروق،دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص:181.

[2]- ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ج2/24-25.

وما هو ملاحظ أن الضمير(أنا) ورد مرة واحدة في سورة البقرة أحال إلى الذّات الإلهية حيث ارتبط بذكر صفتين من صفات الله[1]، أمّا الضمير (أنت) المذكور في الآيات السابقة فإنّه جاء في أواخر الآيات في الفاصلة القرآنية، مقرونا بصفات الله كما ارتبط بالمواقع التي ورد فيها بالأدعية[2]، أمّا الضمير هو فقد ارتبط هو الآخر في معظم المواقع بأفعال الله الدالة على عظمته، كما ارتبط أيضا بذكر بعض الصفات[3] .

4- الإتّساق بتكرار العبارة أو الجملة في سورة البقرة:

قد توظف العبارة بقصد توثيق العلاقة الكلام و آخره، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253)**﴾ (سورة البقرة:253)[4]. وجاء كذلك في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272)** ﴾(سورة البقرة:272)[5].وفي قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59) ﴾ (سورة البقرة:59)

ولنلاحظ كيف ساهم التكرار الجملي وهو نوع من التكرار الذي ساهم بصيغة معيّنة في اتّساق السورة وترابط هذا المقطع الخاص بالتشريع في سورة البقرة، حيث تكررت جملة (**يَسْأَلُونَكَ**) 7 مرات عبر مقطع كامل خاص بباب تشريع الأحكام،حيث وردت جملة(يَسْأَلُونَكَ) دائما في بداية الآيات- وجملة (وَيَسْأَلُونَكَ) مقرونة بعرف العطف (الواو) مرتين في وسط الآية ومرة في بداية آية . وذلك في قوله:

1 -﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ ... وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(الآية 189)

2-﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ ... وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ (الآية 215)

3-﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قُلْ ... وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾(الآية 217)

4-﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ ... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الآية 219)

---

[1]- ينظر: الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم،د نصر الدين بن زروق، ص:**193**.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص:**193**.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص:**193**.

[4]- ينظر الخلاصة النحوية،د/تمام حسان،ص:**98**.

[5]- ينظر، تفسير التحرير و التنوير، ج**70/3**.

5-﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الآية 219)

6-﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ ... إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(الآية 220)

7-﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(الآية 222)

وهذا النوع من التكرار هو تكرار للحدث لكن بدلالات مختلفة، لأنّ المواقف تختلف والأشخاص الذين قاموا بالمساءلة يختلفون حسب السياقات، وأسباب النزول هي التي تساعد على التفرقة بين هذه الأنواع من المساءلة، وهذا ما يدل على أنّ الربط في سورة وقع بتكرار الحدث دون دلالته وموقفه، ويؤكد المفسرون على ذلك بذكرهم لأسباب النزول عند تفسيرهم للآيات المتشابهة من القرآن.

ونذكر أيضا الجمل التي جاءت على ألسنة بني إسرائيل في دعوتهم لنبيّهم موسى عليه السلام، في تحديد أوصاف البقرة، وذلك من خلال تكرار قوله (قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما...).

قال تعالى:﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70)** ﴾(البقرة،68- 70) مما يدل على أن تلك الأوصاف التي ذكرت البقرة لم تكن من قبيل التشديد في الأمر أنها جاءت في جوّ يسوده البيان و التبيين. فقد حكيت هذه الحكاية في خمس آيات وورد ذكر طلبهم البيان في هذه الآيات الخمس ثلاث مرات"[1].

– تكرار عبارة (ألم تعلم) :

قال تعالى: ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107)**﴾ (البقرة، 106-107).

فالواو تكون عاطفة، لكن نجد الآيات (يسألونك) في قوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (218) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ**

[1]– ينظر،البرهان في نظام القرآن،د/ محمد عناية الله أسد سبحاني،ص:45.

الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)) فالكلام هنا إنتهى عند (غفور رحيم) وحين يبدأ بموضوع جديد لا يبدأ بالواو وإنما يبدأ بـ (يسألونك) لأنه لا يريد أن يستكمل كلاماً سابقاً، فهو يريد تشريعا جديدا لذلك يستأنف الكلام لتبيان أنّ هذا الموضوع يصب في باب التشريع لكنه مستقل عن الموضوع الذي سبقه حتى لا يأخذ حكمه فقال (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ)، وهذه الآية نفسها فيها (يسألونك) و(ويسألونك)، فلما بدأ بها بعد كلمة (والله غفور رحيم) بدأ بها غير معطوفة على ما قبلها فقال (يسألونك)، ثم في الآية نفسها قال (ويسألونك) معطوفة على يسألونك الأولى التي هي غير معطوفة على شيء.

– تكرار عبارة (على شيء) :

قال تعالى:﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)** ﴾(البقرة،113).

- تكرار لفظتي السموات و الأرض:

قال تعالى:﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)**﴾(البقرة،116-117).

2– الإعادة الضمنية أو التكرار غير صريح:

وتتميز على النقيض من الإعادة الصريحة، بعدم المطابقة الإحالية بين التعبيرين. "فكلا التعبيرين يستند إلى أصحاب إحالة مختلفين، أي أنه يتحدث عن أشياء مختلفة وأشياء من هذا القبيل، ولكن بين هذه الأشياء توجد علاقات محددة، من أهمها علاقة الجزء، أو علاقة الإشتمال"[1] وقد لا تظهر العناصر اللغوية والإحالية بشكل صريح. وإنما من خلال الإمتداد الدلالي، وكأن الإعادة لنص ما، لا تكون بالعناصر المستخدمة في الصورة التي يظهر فيها النص، وإنما من خلال عناصر أخرى ودلالات أخرى تحمل المضمون، فتبدو الإعادة للنص الأول أو التركيب الأول وكأنها متضمنة المعنى المتقدم. "فالقاعدة العامة التي تتضمنها كل أنوع روابط التكرار عامة هي أنها تسمح للمتكلم أو الكاتب أن يذكر شيئا ما مرة أخرى بالتتابع، وعندئذ يمكن أن يضاف شيئا جديدا عن هذا الشيء المتكرر"[2] .

[1]– المرجع نفسه، ص: 57.

[2]–.Patterns of lexis in text Michael hoey. Oxford university press. 1991. P. 52.

ومن هؤلاء الذين أشاروا إلى مثل هذا النوع من التكرار الإمام القرطبي في تفسيره حيث قال رحمه الله عند تفسير لقول الله تعالى :" ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴿1﴾لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴿2﴾وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴿3﴾وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُّمْ﴿4﴾وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴿5﴾لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴿6﴾**﴾(سورة الكافرون1-6)" : " وأما وجه التكرار فقد قيل إنه للتأكيد في قطع أطماعهم، قال أكثر أهل المعاني: نزل القرآن بلسان العرب، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز، لأن خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد، كل هذا على سبيل التأكيد"[1].و" قَوْلُهُ تَعَالَى : لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . قِيلَ : تَكْرَارٌ فِي الْعِبَارَاتِ لِلتَّوْكِيدِ ، كَتَكْرَارِ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15 \ 77)، وَتَكْرَارِ :فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13 \ 55) ."[2].وهذا ما جعل أحدهم عبد الشافي أحمد على الشيخ يقول في كتاب (ظاهرة التكرار في القرآن الكريم) : "ومن الأساليب اللغوية والأدبية : أسلوب التكرار ، وهو مع هذا لا يسبب الملل ولا السآمة عند الإنسان الذي سرعان ما يمل، والقرآن الكريم يحكى لنا كيف أن اليهود ملت تكرار الطعام مع كونه شهيا :﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْنَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ** ..... ﴾ (البقرة،61).

أ- التكرار الغير صريح (الغير محض/ الإعادة الضمنية) في سورة البقرة.

يظهر ذلك في استعمال بعض الأفعال مثل (يظلمون،تتقون،تنظرون،يفسقون يومنون، تهتدون تعلمون) ومشتقاتها، مثل (الظالمين، المتقين، الناظرين، الفاسقون، مومنين، المهتدين، عليم....)، لأن تكرار مثل هذه الألفاظ خاصة عند الفواصل القرآنية وبصيغ إشتقاقية مختلفة تأكيد لدلالة تأكيد السمة، و تثبيت المضمون، فالمشتقات من قبيل (الظالمين،المتقين،الناظرين،الفاسقون،مومنين،المهتدين، عليم...) صيغ غالباً ما تكون جملاً إسمية، تدل على الثبوت والدوام والإستمرارية، وقد يحصل هذا النوع من الترابط والاتساق المعجمي بين ألفاظ متقاربة في النص، وهذا لا يكلف المتلقي جهدا في البحث عن العلاقة الاتساقية لأنه لا يمضي عليها زمن طويل في ذهنه حتى يعود لينظر مرّة أخرى لقرب استحضارها السريع، فيبقى الترابط حاضرا كلما تم تجديد ذكر هذه المشتقات، وهذا نوع من أنواع التعابير المعجمية التي تساهم عن قرب دائم ومستمر في استظهار الإتّساق أمّا إذا كانت هذه المشتقات متباعدة عن بعضها البعض، وعن تلك الأفعال التي لها صلة بها، فإنّ ذلك يكلّف المتلقي جهدا لأنه مضطرا للعودة إلى الوراء والبحث عن تلك الإحالة المعجمية التي تكون قد تجاوزها في مكان ما في

---

[1] – تفسير القرطبي ، 10 / 387 .

[2] – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، 1415 هـ / 1995م ،ج9/132-133.

النص. وبهذا فإنه يبحث عن اتساق معجمي أبعد و أوسع في النص، ويعتبر هذا بمثابة الخيوط الكبرى والبعيدة التي تشكل نسيج النص الكبير وتقيم بنيته الكلية، فالاتساق المعجمي هنا حاصل بواسطة هذه المشتقات المتكررة في النص.

وفي هذا النوع من التكرار لا يصبح التطابق الكلي في التركيب شرطا أساسيا لتحقيق استمرارية اتساق النص، إذ يكفي فقط أن يدل مؤشر على تكرار المعنى وتقاربه من خلال تكرار الجذر مع المشتقات، حيث يصبح هذا النوع من التكرار أحد الروابط الداخلية للنص التي يتحقق من خلالها الاتساق، و هذا ما يتفق عليه النصانيون "على أن كثرة التوليد من الجدر داخل النص، يسهم في اتساق النص وترابطه، ويتشكل هذا النوع بإعادة الكلمة باشتقاقاتها المختلفة داخل النص"[1] وهذا العمل يبين قدرة الكاتب على الإنتاج وعلى تلاعب بجذور اللغة وتنويع اشتقاقاتها التي ترسي النص، وتبسطه أحسن بسط، مترابط متكاملا مشتقا شدة محكمة.ويشير درسيلر 1979 إلى أن هذا النوع من إعادة اللفظ يعطي منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة، لأن أحج العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر"[2].

وجاء في البحر المحيط أن التكرار ضرب من ضروب الفصاحة، و"التكرار في قوله تعالى: ﴿ **يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾،﴿ **يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ** ﴾، وفي قوله(**الَّذِينَ**) (و**الَّذِينَ**) إن كان الموصوف واحدا فهو تكرار اللفظ والمعنى، وإن كان مختلفا كان من تكرار اللفظ دون المعنى، ومن التكرار(**أُولَئِكَ**)و (**أُولَئِكَ**)[3]". ويريد صاحب البحر المحيط أن يبيّن العلاقات الإتّساقية الموجودة في النص القرآني.

ب- الإتّساق عن طريق تكرار البنية التركيبية في سورة البقرة:

ومما لاحظنا في نص سورة البقرة،هو تكرار لنفس التركيب اللغوي في بنية النص،أين تكرر مرتين متتابعتين ليدل على علاقة ترابطية تحكم الآيتين رقم(12)و هي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾(سورة البقرة:12) والآية رقم (13) وهي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13)**﴾(سورة البقرة:13)فقوله تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ** ﴾(ألا):أداة تفيد التنبيه والتأكيد، و(إنهم) توكيد أيضا، و(هم) ضمير فصل يفيد التوكيد أيضا، فالجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات

---

[1]- أثر التكرار في تماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات، خالد المينف، نوال بنت إبراهيم الحلوة جامعة الأميرة بنت عبد الرحمان، الرياض، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات والآداب العدد8، رجب 1433هـ، مايو2012مص: 42

[2]- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بو جراند، ترجمة د/ تمام حسان، ص: 306.

[3]- تفسير البحر المحيط،لأبي حيان الأندلسي الغرناطي،ج68/1..

(ألا)و(إنّ)و(هم)، وهذا من أبلغ صيغ التوكيد وأتى بـ(أل) الدالة على حقيقة الإفساد، وأنّهم هم المفسدون حقا ووجه حصر الإفساد فيهم أنّ(هم)ضمير فصل يفيد الحصر-أي هم لا غير هم المفسدون"[1] فأكد إفسادهم بثلاثة مؤكدات وهي(ألا) و(إن) و(هم) بل حصر الإفساد فيهم عن طريق ضمير الفصل"[2]. فهذه البنية التركيبية نجدها قد تكررت وأحالت إلى بنية أخرى جاءت بعدها، لتدل على أنّ الإتساق النصي متسع ومتشعّب ولا يمكن حصره في بعض المصطلحات التي ألفنها في كتب اللسانين، فقوله تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ وهذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات (ألا) و(إن) وضمير الفصل(هم)، وهو أيضا مفيد للحصر، وهذه الجملة كالتي قبلها في قوله تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ** ﴾"[3]. وفي هذه إشارة على أن عملية التكرار تتعدى حدود ما ألفناه في كتب النحو من تكرار للجمل، ففي الآية السابقة نجد تكرار للتركيب يأتلف مع التركيب السابق الذي أشرنا إليه. ويتواصل تكرار التركيب إلى آخر الآية فنجد قوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ (سورة البقرة:12) وفي الآية (13): ﴿ **وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾،حيث تم الإستدراك في الآيتين بـ(لكن) ثم أتي بفعلين مضارعين منفيين بـ(لا)، فقوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾أي لا يعلمون سفههم، والفرق بين قوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، و قوله تعالى فيما سبق: ﴿ **وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾،هو أن الإفساد في الأرض أمر حسي يدركه الإنسان بإحساسه وشعوره، وأمّا السفه فأمر معنوي يدرك بآثاره، ولا يحس به نفسه.[4]و" أن هؤلاء المنافقون من أجهل الناس لأنهم لم يعلموا حقيقة أنفسهم، وأنهم هم السفهاء، وهذا ما ربط الفعلين في اتحادهما بأخس الصفات في المنافقين".[5]

إن هذا النوع من التكرار يقارب في تركيبته تكرار الجملة الذي عرفه أهل البلاغة، وتكرار الآية الذي عرفه علماء القرآن وأهل التفسير، وهو يساهم بشكل آخر و بوجه غير الوجه المألوف من صور التكرار في عملية الإتساق المعجمي للنص، فهذا النوع من التكرار هو إتّساق تركيبي بنيوي لا يمتّ بأيّ صلة بالإتساق عن طريق التكرار المعجمي، ومن فوائده الإبقاء على إتصال المتلقي ببنية النص التركيبية، وكأنه يتبع طريقة النظم أكثر من أي وسيلة من وسائل الإتّساق الأخرى. و"لكل سورة من سور القرآن الكريم وحدة موضوعية ، وعندما يتكرر شيء في أي سورة من السور سواء أداة أو كلمة أو فاصلة أو قصة فإنه- ولا شك – يخدم هذا المضمون، والتكرار فيها يكون بالقدر الذي يفي بالغرض"[6].

---

[1]– تفسير القرآن الكريم،الفاتحة–البقرة،محمد بن صالح العثيمين،دار ابن جوزي،الرياض ،المملكة العربية السعودية،المجلد الأول،ص:47.

[2]– المرجع نفسه،المجلد الأول،ص:48.

[3]– المرجع نفسه،المجلد الأول،ص:49.

[4]– المرجع نفسه،،المجلد الأول،ص:49.

[5]–المرجع نفسه،المجلد الأول،ص:52.

[6]– ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، أ د. عبد الشافي أحمد على الشيخ، جامعة الأزهر،كلية الدراسات الإسلامية والعربية – القاهرة،جامعة الملك فيصل، كلية الآداب،ص:18. Shafy_81@yahoo.com

2 –التّضام (Collocation):

وهو نوع من أنواع الاتساق المعجمي ويتم عبر توارد زوج من الكلمات ترتبط بعلاقة معجمية غير التكرار كالطباق، والجزئية، والكلية، والعموم، والخصوص، والترتيب، والمجاورة، وغيرها من العلاقات الممكنة بين مفردات النص ووحداته. ومنهم من أطلق عليه اسم المصاحبة اللغوية (المعنى المتضام) COLLOCATION COLLOCATIVE MEANING، وهو مصطلح يستعمل كثيرا في المعجميات (LEIXICOLOGY)، مشتق من عمل، ج.ر.فيرث (J.R.FIRTH). (1957م). وتم تطويره خصوصا من قبل مخائيل هاليداي منذ الستينيات وبعدها. وقد أصبح مؤخرا محط اهتمام بفضل التطورات في اللسانيات الحاسوبية ولسانيات المتن CORPUS". يحيل المصطلح على التوارد الاعتيادي والمتوقع للكلمات. سمة مميزة للسلوك المعجمي في اللغة. شاهدا على توقيعه.كما على مصطلحاتيته (IDIOMATICITY). بالنسبة لمخائيل هوي MICHAEL HOEY يتطلب تردد المصاحبة اللغوية تفسيرا نفسيا.في كل مرة نصادف كلمة نبني بطريقة لا شعورية تسجيلا للمصاحبة: إننا مهيؤون لكل مصادفة تقام الترابطات عادة بالتجاور (مثلا الصفة+ الاسم، (OLD MAN)) و(SAUCY POSTCARD)أو تقريبا في مركبات (HERD OF CORWS).(COD AS CUCUMBER AS)، لكنها ترد أيضا حتى على امتداد واسع، مثل، الجميلات والجمل، وأبعد من ذلك حتى في الدراسة المتعلقة بالمتن يكون القياس العادي للقرب هو تدخل أربع كلمات أو خمس"[1].

وينضوي هذا النوع تحت الترابط المعجمي بين الكلمات في النصوص. وبه تشكل علاقة الربط المعجمي نوعا آخر من أنواع الإتساق النصي التي تمتد عبر الظهور المشترك والمتكرر في السياقات المتشابهة حيث يعتمد على المعرفة المسبقة للقارئ بكلمات في سياق النص المترابط. وقد وضحه محمد خطابي بأنه: "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظرا لإرتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك. مثل: ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت في حين البنات لا تتلوى!. (فالولد والبنات) ليسا مترادفين، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، ومع ذلك فإن ورودهما في الخطاب ما يساهم في النصية"[2]. لأن هناك علاقة قد تربط بينهما وهي انتماؤهما إلى الجنس البشري. وهناك من يسمي التضام بالمصاحبة المعجمية "التي تحدد معالم النظام المعجمي في النص من خلال عدّة صوّر منها: علاقة– الألفاظ– بالأشياء في الواقع، والروابط الموجودة بين هذه الألفاظ في النص، وعلاقة الألفاظ بالمنظومة اللغوية الشاملة للنص"[3].

---

[1]– معجم الأسلوبيات، كاتبي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، ص: 134.

[2]– لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام النص، محمد خطابي، ص: 25.

[3]– الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، د/خليل بن ياسر البطاشي، ص: 68.

ومن مظاهر التضام ما ذكر تمام حسان "أنّ الإسم الواقع بعد الأدوات التي لا تدخل إلاّ على الأفعال في الإشتغال لا يكون إلا منصوبا على مفعولية لفعل محذوف مقدر يفسر المذكور، لأنّه لو ارتفع لكان مبتدأ ولعدّت هذه الأدوات داخلة على الأسماء عكس حظها من التّضام"[1] ويكون التضام بالتوارد، وهو أحد الطرق الممكنة في رصف جملة ما، وإمّا أن يستلزم أحد العنصرين التّحليليين النّحويين عنصرا آخر، فيسمّى التلازم، أو يتنافى معه، فلا يلتقي به ويسمّى هنا بالتنافي"[2].

أ- تعريف التضام:

- لغة:

"هو مصدر من الفعل "ضَمَمَ"يقال: ضمَّ الشيء لشيء أي جمعه، وقيل: ونضمَّ وتضامَّ، ومنه: ضممت هذا إلى هذا فهو ضام ومضموم، وضامَّ الشيء:انضمَّ معه وتضامَّ القوم إذا انضمَّ بعضهم إلى بعض"[3]. وجاء في كتاب العين ":الضم ضَمُّك الشيء إلى الشيء وضامت فلانا أي قمت معه في أمر واحد"[4]، لذلك نجد من معاني الضم الإشتمال والإجتماع.

- اصطلاحا:

"فهو استلزام عنصرين لغويين أو أكثر استلزاماً ضرورياً، أو هو الترابط الأفقي الطبيعي ما بين الكلمات أو رفقة الكلمة أو جيرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي نحو:"أهلاً و سهلاً" "لم ينبس ببنت شفة"، وقد تطور هذا المفهوم فأصبح يعني دخول الكلمة في سياق مقبول مع الكلمات الأخرى، نحو: الفعل"أطلق" فقد يقال:"أطلق لحيته""أطلق ساقيه للريح"،"أطلق له الحبل على الغارب"...إلخ"[5]. ويدور التضام حول أهم علاقة من العلاقات التركيبية التي تعد المحور الأساسي الذي يدور في فلكه جلّ الظواهر النحوية، والمقصود بالعلاقات

---

[1]- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 224.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 216-217.

[3]-ينظر:لسان الغرب ،ابن المنظور،دار المعارف،(د ت)،مادة ض م م،2609/4.

[4] - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175 هـ)، تحقيق :مهدي المخزومي وإبراهيم السامرا ئي، دط-د ت، ج07 /16-17.

[5]-ينظر:الاتجاه الوظيفي و دوره في تحليل اللغة،علم الفكر،يحي أحمد،المجلد العشرون،العدد الثالث،1989م،ص:87-88.نقلا عن كتاب أبحاث نحوية ولغوية،ناجية رمضان حمود،ص:15.

التركيبية هنا حسب ما جاء في أبحاث الدكتورة نادية رمضان النجار"تواؤم المفردات بعضها مع بعض، أو بمعنى آخر مناسبة الكلمة لما يجاورها".[1] كالإضافة فإضافة الشيء إلى نفسه مما لا يصح، وذلك من قبل أن الغرض من الإضافة التعريف والتخصيص. ومن هذا المفهوم" تبرز أهمية التضام باعتباره ظاهرة شكلية كبرى تصوّر أسلوب تآلف، الكلمات في اللغة تم استخدام صورة التآلف في إعطاء المعنى العام للتركيب الكلامي"[2].

وكان اهتمام العرب ينصب حول الكلمة المعجمية المفردة منعزلة عن السياق، فتدارسوها وذكروا معانيها التي تتلون بتنوّع التراكيب،كما اهتموا بالعلاقات التي تنشؤها وسط تركيب معيّن وفي سياق محدد، وكان هذا الاهتمام يشبه ما يعرف بكشف علاقة التضام في الدراسات الحديثة، وقد "اهتم القدماء بعلاقة (التضام)، وإن كانوا لم يصلحوا على تسميتها، فعرفت بمصطلحات عدّةٍ،منها (الضمّ، والنظم والوصف، والمعاظلة...إلخ)"[3].وكلّ هذه المصطلحات تمثل جانباً من جوانب البنية النصية، وقد ترادف الاتساق النصيّ في جانبه التركيبي، لأنّها عرفت عند بعض اللغويين بـ(التلازم، والتركيب، و التضامّ COLLOCATION) أمثال الدكتور تمام حسان[4].

ويمكننا أن نستعرض الشبكة الإنتقالية القواعدية للنص،في سورة (القدر)،"فعند قراءتنا (إنّا)،يتحتم على القارئ البحث عن القائل في الضمير (نا) و الأرجح أن يعود إلى الله، يتوقع القارئ بعدها فعلا وبطبيعة الحال يجد الجملة الفعلية (أنزلناه) ويتكرر في الجملة ضمير الفاعل (نا) لكنه يجد المفعول به الضمير (هاء) ،حيث يتم خفض المنزلة الإعلامية في البحث عن الضمير (نا) المفعول به (هاء)"[5] وقد حصلت عملية التضام بين العناصر اللغوية التالية:

1- إنّ (حرف النصب و التوكيد)+ (نا) نون المدغمة هي لجماعة المتكلم، وهي عائدة على لفظ الجلالة (الله) الذي لم يذكره وذلك لتعظيمه.

2-أنزل (فعل ماضي)+(نا) نون جماعة المتكلم تعود على لفظ الجلالة الله + (الهاء) التي تعود على شيء أنزل وهو القرآن الكريم بدليل قرينة ليلة القدر، ثم جاء بعد ذلك شبه الجملة (في ليلة القدر) لتحديد الظرف الزمني الذي نزلت فيه السورة.

---

[1]–أبحاث نحوية و لغوية،نادية رمضان النجار،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الإسكندرية،مصر،ط1 ،2006م،ص:05.

[2] –ينظر، اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 196 وما بعدها.

[3]– ينظر:أبحاث نحوية و لغوية،نادية رمضان النجار،ص:10.

[4]– ينظر:المرجع نفسه،ص:10.

[5]–ينظر:تطبيقات نظرية علم لغة النص،ص:116.

3- في (حرف جرّ)+ليلة (اسم نكره مجرور)+ القدر (اسم معرف مضاف إلى ليلة) التي تكمل دلالة الجملة الأولى و إخباريتها (الإعلامية). فكيف حصل التضامّ في هذه الآية؟.حصلت عملية التضام في هذه العناصر اللغوية، عن طريق تداعي المعاني وحاجة العنصر اللغوي إلى الآخر، فـ(إنّ) تحتاج إلى اسم وخبر، فأدغمت نون جماعة المتكلم فيها (نا)، وأخبر عن المعنى بالجملة التي جاءت بعدها (أنزلناه في ليلة القدر)، فضمّ الخبر إلى بقية العناصر، وحصل التضام.وداخل هذا الخبر نجد نوعين آخرين من التضامّ، فالأول حصل في الفعل المتعدي (أنزل) الذي احتاج إلى فاعل (نا) و (يعود على الله) ومفعول به (الهاء)، فضم المفعول به إلى الفعل والفاعل مباشرة، وهذا أيضا تضام حصل على مستوى هذه الجملة.

وأما الآخر، فنجده في حرف الجرّ (في) الذي يحتاج إلى اسم حتى يكون عاملا فيه، فجاء الاسم وهو لفظة (القدر) التي ضمت إليها فاتضح المعنى كلما مضينا نحو الأمام، و بالتالي فإن التضام قد حصل بين هذه العناصر الثلاثة، وفي بضع سنتيمترات من اللغة يحصل التضام الأكبر بين الجملة الأولى وعناصر شبه الجملة، وحصل ربط آخر بين نوني المتكلم (نا) في (إنّا) و (أنزلناه) وهذه الأنواع من التضام تعمل على الربط بين أجزاء النص وإحكام عناصرها، فنجد المعاني تشد بعضها البعض وتتسق حتى يُبلغ الهدف. والتضام في نظر تمام حسان ليس اتصال اللواصق بالكلمة "فاتصال اللواصق ضم جزء كلمة إلى البقية هذه الكلمة، بل هو تطلب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على الصورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى فياء النداء كلمة مستقلة وليست جزء كلمة والعلاقة بينهما وبين المنادى علاقة التضام، لا علاقة الإلصاق. والمضاف إليه كلمة غير المضاف ولكن العلاقة بين الكلمتين أن إحداهما تستدعي الأخرى ولا تقف بدونها[1].

ب – عوارض التضام:

وهو نوعان فصل بلاغي وآخر نحوي [2] ويقصد بالبلاغي بحذف حرف الربط الذي يربط جملة بأخرى، والفصل ينم دائما عن موقف إنفعالي قد يكون خوفا أو غضبا أو استعجالا أو تعجبا، وهو من المواقف الجدية[3] ، أما الفصل النحوي ويقصد الفصل بين أجزاء الجملة المتلازمة أو المرتبطة بربط السياق بعنصر من عناصر الجملة غير أجنبي عنها فإذا كان بكلمة مفردة فهو فصل، وإذا كان بجملة فهو اعتراض.

فقد يعترض التضام عارض فيفصل بين العناصر اللغوية ويُراد بالفصل أن يأتي عنصر دون الجملة – أي غير مستقلٍ بالإفادة – لا ينتمي إلى السياق الأصليّ للتركيب ، فيقع فيه بين عنصرين متلازمين – بجامع الصلة،

[1] – اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 94.

[2] – البيان وروائع القرآن، تمام حسان، ص:175 .

[3] – المرجع نفسه، ص180 .

أو الإسناد ، أو المجازاة ، أو نحو ذلك – مخالفًا بذلك مطلب التضامّ كالجملة الإعتراضية التي تعترض بين الفعل والفاعل والمفعول به.

وعنها يقول الجرجاني في كتابه التعريفات"الجملة المعترضة هي التي تتوسط بين أجزاء الجملة المستقلة لتقرير معنى يتعلق بها،أو بأحد أجزائها"[1]. فالاعتراض هنا يقع على مستوى التراكيب لكنه يبقي أجزاء الجمل متعلقا ببعضها البعض وهذا يعني أن عملية الاتساق تبقي بين محاور الجمل فالأجزاء التي من المفروض أن تتضام فيما بينها لا يكسر ترابطها واتساقها هذا الاعتراض الحاصل على مستوى البنية السطحية، لأن ثمة خيط يمتد بين تلك الأجزاء فيصلها ببعضها البعض، وهذا موجود في كلام العرب وسننها، يقول ابن فارس:"إنّ من سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتمامه كلام لا يكون إلاّ مفيدا"[2]، وهذا تابع من طبيعة اللغة العربية، لأنها لغة معاني قبل أن تكون لغة مباني أما الفائدة التي نجنيها من الإعتراض، فهي تكمن في قيمته البيانية والمعنوية، وقد تحدث عن ذلك ابن جني بقوله: "والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن، ودال على فصاحة المتكلم وقوة نَفْسِه وامتداد نَفَسِهِ"[3]، وهذا يؤكد أنّ العرب كانت تعني الربط جيّدا وتفهم الإتّساق الحاصل بين أجزاء الجملة، وهم بذلك كانوا يمددون نفسهم إلى الجزء الثاني من الجملة حتى يطلوا إلى غرضهم في الكلام، وهذا ما يوضح بأنّ الإتّساق الجملي والنصي كان يحصل أيضا عن طريق الجمل الإعتراضية لأنها زيادة تركيب إلى تركيب، وزيادة معنى إلى معنى، فقد قالت العرب قديما: (زيادة المباني هي من زيادة المعاني).

ولقد أكد ابن جني أن هذا النوع من التركيبات اللغوية الجملية والنصية كثير في كلام العرب، وإنما يحي لمجاراة الكلام وتأكيده، لأنه يدخل بين متضامين فيفصل بينهما تركيبيا لكن يبقيهما متصلين معنويا، وهذا فإنّ التضام حاصل على أوسع من تركيب واحدٍ وبهذا الاعتراض فإنّ المعاني التي قد تبدوا متباعدة بحكم وجود الجملة الاعتراضية بين أجزاء الجملة الواحدة، يظهر فيها التضام وهو ممتد من الجزء الأول إلى الجزء الثاني من نفس الجملة، وأن هذه الجملة جاءت لزيادة تأكيد في الجملة الرئيسية وبهذا يقول ابن جني:"اعلم أنّ هذا القبيل من هذا العلم كثير، قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد"[4].

ج– أقسام التضام:

يمكن أن يقسم التضام إلى نوعين :تضام معجمي وتضام نحوي:

---

[1]–التعريفات،علي بن محمد الشريف،معجم الجرجاني،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1983م،ص:78.

[2]–ينظر، الصاحبي في فقه اللغة،أحمد بن فارس،تحقيق:أحمد صقر مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركائه،القاهرة، دت،ص:63.

[3]–ينظر، الخصائص، لابن جني، 341/1.

[4]–الخصائص، لابن جني،335/1.

1- التضام المعجمي:

إن مفردات المعجم تنتظم في طوائف معينة، تقع كل واحدة مع ما يناسبها، إما عن طريق توارد بعضها مع بعض، وإما عن طريق تنافر بعضها مع بعضها الآخر، فلكل طائفة منها طابعها الخاص" :الذي يطبع أسماءها وأفعالها بسمة خاصة تجمعها تحت ظل معنوي واحد :"فالأفعال مثلا طوائف تتوارد كل طائفة منها مع طائفة خاصة من الأسماء وتتنافر مع طائفة الأسماء الأخرى إذ من غير المقبول أن يقال" :انكسر الخيط"[1]، لأن في الخيط من المرونة ما يحول بينه وبين الوصف بالكسر، وهذا النوع من الجمل التي تكون سليمة من جهة البنية النحوية وفاسدة من جهة المعنى، وبالتالي قد اصطلح عليه تمام حسان" :بالإحالة المعجمية " [2]، ويقصد بها أن يكون بناء الجملة صحيحا بخلاف معناها الفاسد. كالإضافة و التوكيد واستعمال المصادر والأفعال التي تفيد المشاركة ....

2- التضام النحوي:

ويقصد به علاقة تنشأ بين عنصرين تحليليين داخل منظمة نحوية إما عن طريق الاستلزام، فيسمى التضام في هذه الحالة" التلازم"، وإلا فيتنافى فلا يلتقي فيسمى به عندئذ هذا التضام" التنافي "فإذا استلزم أحد العنصرين النحو بين الآخر فإن هذا الأخير يستدل عليه إحدى طريقتين [3]. ومنها الذكر و الحذف، الاستتار...إلخ من العلاقات النحوية. ومنها الإختصاص كاختصاص بعض الحروف بالدخول على الأسماء وأخرى بالدخول على الأفعال. ولقد وجد تمام حسان أن نظام النحو ينمي في داخله التقليبية ويثريها[4]، وكل هذه الاستعمالات (المعاقبة والتضاد والتكامل) فروع على العلاقة التقليبية، وجميع ذلك يقف بإزاء التتابع الذي هو مظهر العلاقة التركيبية، والتتابع إنما" يفهم في العلاقات التي تقوم على السطر بين عناصر أنماط الجمل والمركبات وبين التابع والمتبوع .... والفصل الوصل، كل موقع من هذه المواقع إنما يقوم بين عنصرين من عناصر النص أفقيا على السطر لا رأسيا في الجدول [5] "فعلاقتا التقليب والتركيب ذواتا صلة وثيقة بقرينة التضام التي من خلالها نعرف إمكان التوارد والمعاقبة والتنافي أو التضاد والتكامل على أن التتابع هو المسرح الأصيل لقرينة التضام في السياق[6] .

---

[1] –ينظر، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى،1413هـ/1993 م ، ص: 155 – 156 .

[2] – مجلة فصول– مجلة النقد العربي، اللغة والنقد الأدبي، تمام حسان :مجلد4 ، العدد 01 سنة(1983) ، أكتوبر، نوفمبر،ديسمبر، ص: 126.

[3] – أبحاث لغوية ونحوية، نادية رمضان النجار، ص:18.

[4] – البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص:151 .

[5] –المرجع نفسه، ص:153.

[6] – المرجع نفسه، ص:154.

د– أوجه التضام:

يجعل تمّام حسان، فهم التضام ممكنا من وجهين، ويلخصهما على النحو:

– الوجه الأول: إن التضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف كل طريقة عن الأخرى، تقديما وتأخيرا، وقد أطلق عليه في الاصطلاح" التوارد "فقال" :يمكن أن نطلق على هذا النوع من التضام اصطلاح التوارد [1] "فنجد أن هذا الوجه يهتم بدراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظية .

–أما الوجه الآخر: فيقصد بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين النحويين عنصر آخر فيسمى في هذه الحالة" التلازم "أو يتنافى معه فلا يلتقي فيسمى" التنافي "وبالتالي فالتضام في نظره ليس اتصال اللواصق بالكلمة، بل هو تطلب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى. ومن هنا ترى أن التضام هو إيراد كلمتين أو أكثر، لخلق معنى أعم من أي معنى آخر.

و يمكننا تفسير ذلك على النحو التالي:

أ– متلازمة لفظية:

ومنه "تلازم عباري /COLLOCATION/ COOCCURENCE التوارد المشترك/"[2] و"يعرف ن، ج، هوسمان 1979، العبارات المتلازمة على أنها ترابطات مركبة غير معجمية، ويميزها عما يسميه"إبداعات مشتركة " أي توليفات حرة، لما بين الوحدات البانية لهذه المركبات من توافق باعتبار أنها كثيرا ما تكون إحصائيا متعاقبة وأنه في الغالب لا يكتمل معناها إلا بالعدوى"[3]."فعندما نذكر مثلا "حائطا متصدعا" (عبارة متلازمة فإن المعنى فعلا حائط به شقوق أو صدوع بينما عندما تشارك في مائدة مستديرة (وحدة معجمية مركبة) فإمكان أن تكون الطاولة التي تحمل على الجلوس مستديرة حقا"[4]. ويتحكم فيها سياق معين، وذلك عندما تصب العناصر المعجمية في وعاء النص حيث يتم الربط بينهما، لظهورها في سياقات متشابهة[5] فتظهر علاقة الترابط ببين العناصر المعجمية حسب طبيعة الموضوع، ويتحكم في ذلك الحقل المعجمي للموضوع نفسه مثل (ماركس التغيير الاجتماعي، صراع الطبقة الاقتصادية، وقد سماها محمد خطابي بعلاقة

---

[1] –ينظر، اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ص:216.

[2]– معجم تحليل الخطاب، ص: 103.

[3]– المرجع نفسه ص: 141–142.

[4] – المرجع نفسه، ص: 142.

[5]– ينظر علم اللغة النص، النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد ص: 109

التلازم الذكري مثل : "المحاولة– النجاح، المرض– الطبيب، النكتة–الضحك)"[1] فالكثير من الكلمات يلازم ذكرها سياق معين ثم تتكرر في سياقات متشابهة حسب طبيعة الموضوع.

وهناك في النظام التركيبي للغة العربية مفردات لا يفهم معناها بمفردها بل هي بحاجة إلى غيرها من المفردات، كما أشار إلى ذلك سيبويه (ت180هـ). إلى هذا المعنى في باب المسند والمسند إليه فيرى أن طرفي الإسناد وهما متضامان أي ما لا يستغني أحدهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك: عبد الله أخوك، ومثل ذلك: يذهب عبد الله. فلابد للفعل من الإسم كما لم يكن للإسم الأول من بد آخر في الابتداء، فاللفظة الإستنادية تحتاج إلى لفظة مقحمة له في سياق معين، وهو عادة الفاعل في الجملة الفعلية والمبتدأ في الجملة الاسمية أي المسند إليه"[2] ويقترب معنى التضام من فكرة النظم التي أشار إليها عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في نظرية النظم وفسّر معنى التضام بقوله: "إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضح لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فتعرف فيما بينهما من فوائد"[3].

ومما سبق يظهر لنا أن علماء العربية أدركوا جيدا فكرة التضام وقارب شرحهم شرح التضام عند علماء النص في علم اللغة الحديث.وفي سورة البقرة نكاد نجزم بأنها لا تخلوا من هذا النوع من البنية النصيّة التي تعد أساسية في تصميم النص، فالعلاقات الإسنادية في النص إحدى الصور التي يظهر فيها التضام بأنواعه المختلفة. والنص السياقي هنا التركيب التام المعنى سواء كان جملة أم نصا أم بيت شعر، إذ أن هناك سياقات ونصوصا تسمح باستخدام مفردتين أو أكثر بدون أي تغير ملحوظ في المعنى . غير أن أكثر العلاقات الدلالية داخل النص تحصل من خلال التلازم في المعنى . إذ أن كلمات مثل (خلف الناقة) (وضرع البقرة) و (ثدي المرأة) يمكن أن تعد مترادفة داخل النص ؛ لأنها تدل على جزء معين من جسم الأنثى ، ولكن بينها فرقا تلازميا حيث يشير كل منها إلى هذا الجزء في أنثى نوع معين [4] والتلازم علاقة شكلية تفرضها علاقة تجاور أو عطف أو تقابل ... الخ وهي كلها علاقات تؤدي وظيفة الاتساق داخل النصوص على المستوى المعجمي .

ب– مصاحبة لفظية: ويقصد بها لفظتان أو أكثر متلازمتان أو متصاحبتان دائما"[5].

مشجر يوضح تفريعات التضام وأهم عناصره المحققة للإتّساق.

---

[1]– ينظر لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي ص: 25

[2] – الكتاب، سبويه، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1427هـ/2006م، ص: 23.

[3]– دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن الجرجاني (ت471هـ)، تح: د/ ياسين الأيوبي، دط، صيدا، بيروت، 1428هـ/2007م، 539.

[4]– التلازم ودراسة المعنى د . شاهر الحسن ، الجملة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 1982 م ، 74 مجلد2 ، ص: 147.

[5]–Adictionary of stylisticsc and rhetoric by d/ hasan said ghazala p :16.

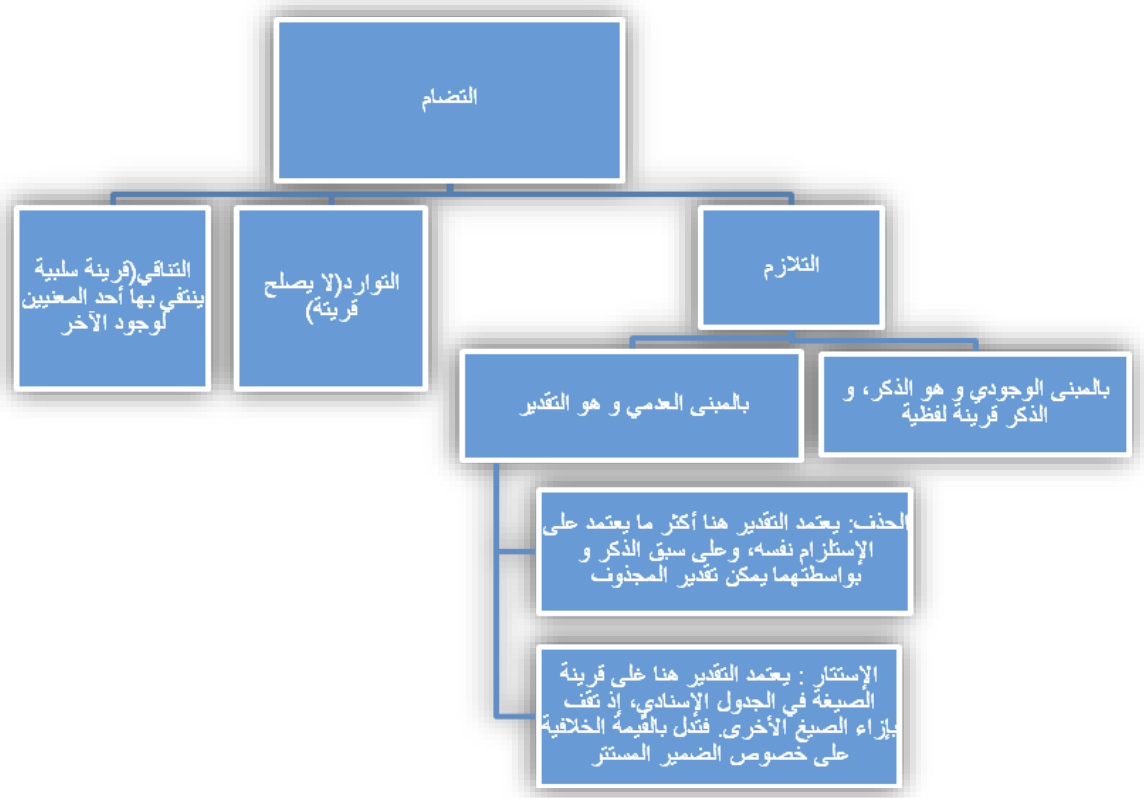

– رابعا: إتساق النص القرآني بعلاقات المتنوعة:

تحدث الكثير من الباحثين قديما وحديثا عن القرآن الكريم بأنه كتاب معجز لما له من الأسلوب البديع والنظم العجيب، واحتجوا بأن القرآن الكريم امتاز على غيره من الكتب المنزلة وعلى سائر الكلام لما فيه من تسلسل الآيات، واختيار العبارات و التعابير المناسبة، علما أنّه أنزل منجّما على مدى ثلاث وعشرين سنة من دو أن يؤثر ذلك في ترابطه وتماسكه وانسجامه، حيث جاءتْ آيات وسوره مرتبطة بعضها ببعض، من أوّله إلى آخره، حتى اعتبر بعضهم، أمثال القرطبي، أن القرآن كله كالسورة الواحدة، وهو متصل بعضو ببعض، ذلك يشير إلى وجود العلاقات النصية في القرآن الكريم مما يجعل النص القرآني وِحدة واحدة وكلاّ متماسكا، ويرى بعض الباحثين أن العلاقات النصية من خصائص القرآن الكريم.[1]

علق علماء النص على وظيفة أدوات الربط في النص، ودورها الضروري جدا في الربط مما يكون نصا، فالجمل بدون روابط بينها "ليست نصا حتى ولو كانت مأخوذة من كتاب يعلم قواعد اللغة فهي جمل صحيحة نحويا، ولكنها لا تتعلق بعضها ببعض"[2]إن النص الذي يأتي مفكك الأوصال يصحبه حتما تفكك دلالي،

[1] –ينظر،مظاهر الإتساق في النص القرآني، دراسة وصفية لغوية، لبنى عبد الرحمان،أكمل خزيري عبد الرحمان، شمس الجميل يوب، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، عدد خاص فبراير 2012م،ص:14.

[2] – ينظر الأسلوبية ونظرية النص، خليل إبراهيم المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1997م ص: 135.

ويتعذر فهمه، لأن فهم جملة ما في النص مرهون بمعرفة نوع علاقتها بالجمل الأخرى، فإذا غمضت هذه العلاقة بسبب غياب أدوات الربط، أو يسبب سوء استخدامها، تعذر معرفة إن كانت جملة ما نتيجة لسابقتها أم سببا لها تؤكدها أم تنقضها"[1]."فمستهلك النص المنطوق أو المكتوب، يعتمد في تفاعله مع الكلام إدراك الروابط، وعلاقات التضام بين أجزائه، وهذا التفاعل يقود إلى ملء الفجوات التي تتخلل أجزاءه وتهيء له حضوره الكلي"[2] "والأدوات النحوية التي تستخدم في كتابة هذه البنية كثيرة، وبها يستطيع الكاتب الانتقال من بنية كبرى إلى بنية كبرى ثانية، وترابط" مثل هاتيك الأبنية الكبيرة بإستخدام تعبيرات، ولكن... ومن أجل ذلك وبناءا على ذلك... الخ يجعل المقال أو النص كله، شديد الاتساق، أو الانسجام، والترابط يضاف إلى ذلك عنصر الإحالة REFERENCE بواسطة استعمال الضمائر[3]. ولهذا كان للترابط ووسائله حيز كبير في حقل الدرس اللغوي المعاصر... فقد تجسدت أمام علماء النص فائدة الترابط والتلاحم بدءا بربط بين المستويات اللغوية المختلفة في النص الواحد.[4]

و"الترابط النصي هو الذي يخلق بنية النّص، هذه البنية لا يمكن أن تكون مجرد تتابع للعلامات ولكنها تملك تنظيما خاصا من داخلها ورؤية دلالية من ذاتها تخصها يستطيع نحو النص أن يكشف عن نظام هذا الترابط"[5] "كل هذا يؤدي إلى الإتساق الذي يتضح في تلك النظرة الكلية إلى النص دون الفصل بين أجزائه"[6].ونظرا لكون النص شبكة متنوعة من العلاقات المختلفة، وهي كثيرة ومتنوعة في سورة البقرة سوف نشير إلى بعض منها لأننا لا نستطيع ذكرها كلية فهي كثيرة ومتنوعة، ومنها:

1- الإتّساق بعلاقتي الفصل والوصل في سورة البقرة:

يبدو أن علماء النص قد صبوا اهتمامهم الأكبر على بنية النص الكبرى ووثاقه الذي يمتد إلى حدود البنى المتجاورة فيه، إذ كانت دراساتهم كلّها تصبّ في البنيات التركيبية للنصوص، وهذا لم يمنع بعضهم تسليط أقلامهم لدراسة الروابط النحوية، قديما وحديثا، لوعيهم بقوة الدور الرابطي الذي تؤديه الأدوات النحوية، فمنذ القرون الأولى تنبه النحاة العرب لهذا الدور الذي تتميز به هذه الأدوات. وأفردوا لها أبوابا خاصة في كتبهم اللغوية والبلاغية، ذلك لأنهم تأكدوا من دورها الفعال في بناء جسور تربط القريب بالقريب، والبعيد بالبعيد في تشكيلة النص. "ولا تكمن أهمية الربط بوسائل الربط في أنها تكفل للنص ترابطه فحسب، بل تيسّر أيضا

---

[1]– مدخل غلى علم النص ومجالات تطبيقاته، محمد الأخضر الصبيحي ، ص: 88

[2]– الأسلوبية والنظرية النص، خليل إبراهيم، ص: 136

[3]– text and con text van dijk longman london 1st 1977 p 151

[4]– نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص: 95

[5]– المرجع نفسه، ص: 97.

[6]– المرجع نفسه، ص: 95.

للسامع أو القارئ متابعة الخطاب وفهمه."[1].وقد كان لعلماء عربية السّبق في معرفة حروف العطف وتحديد وضيفتها، نظرا لكثرة تواجدها في النّصوص وهذه الحروف هي "الواو، الفاء، ثم، حتى، أو أم، بل، لا، لكن، إما"[2] ولكل حرف من حروف العطف هذه معاني يدل عليها الترتيب والسياق إضافة إلى وظيفتها النحوية. وحروف العطف تسعة: ستة منها تفيد المشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والإعراب معاً وهي (الواو) و(الفاء) و(ثم) و(حتى) و(أو) و(أم). والثلاثة الباقية تعطي المعطوف حركة المعطوف عليه دون المشاركة في الحكم، وهي (بل) و(لا) و(لكن) والعطف لغة الميل، وعطف فلان على فلان أي أشفق عليه ومال نحوه، أما في الاصطلاح اللغوي والنحوي فهو ربط لفظ بلفظ سواء كان فعلا أم اسما أم جملة بشرط أن يُعطف على مثل ما عطف به.وبيّن الجرجاني طريقة انتقاء أدوات الربط، ووظيفتها في الجمل، التي تسرد، وعلى منتج النص أن "يعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقّه الوصل مع موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء) من موضع (ثم)، وموضع (أو) من موضع (أم) وموضع (لكن) من موضع (بل)"[3]. ولذا سوف نعتمد على رأي الجمهور في الكشف عن أهم العلاقات التي تؤديها هذه الأدوات في الربط بين العناصر اللغوية وأجزاء النصوص، لخلق الإتّساق النّصي. ففي معالجة النّصوص من باب الإتّساق بعناصر الربط النّحوي ننظر إلى أهم العلاقات النحوية والترابطية من خلال الوظائف النحوية التي تؤديها هذه الأدوات، والدلالات التي تعطي للتراكيب إنسجاما معنويا، ولِمَ هذه الأداة دون الأخرى، وهذا الموضع دون ذاك...إلخ، لذلك لا بدّ من التّنويه إلى هذه الحروف من خلال معانيها ووظائفها، ويمكننا أن نلخّصها في نقطتين:

– **الأولى**: ما يقتضي التشريك في اللفظ والمعنى؛ والمراد باللفظ: الحكم الإعرابي، والمراد بالمعنى: أن يثبت للمعطوف ما ثبت للمعطوف عليه، وهذا في عطف المفرد على مثله، أمّا في عطف الجمل فقد لا يفيد التّشريك"[4]

–**والثانية**: "ما يقتضي التّشريك في اللّفظ لا في المعنى، فلا يثبت للمعطوف حكم المعطوف عليه"[5] وهذا يعني ان الحروف تشرك بين المعطوف والمعطوف عليه في اللفظ دون المعنى؛ أي في الإعراب دون الحكم. ولتوضيح ذلك نستعمل المخطط التالي:

---

[1]– مدخل علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر صبيحي، ص: 87.

[2]– ينظر، المرجع في اللغو العربية نحوها وصرفها، رضا على ، ص: 559

[3] – دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، ص: 82.

[4]– دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، لعبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم، ط1، 1999م، ج211/2.

[5]– المرجع نفسه، ج211/2.

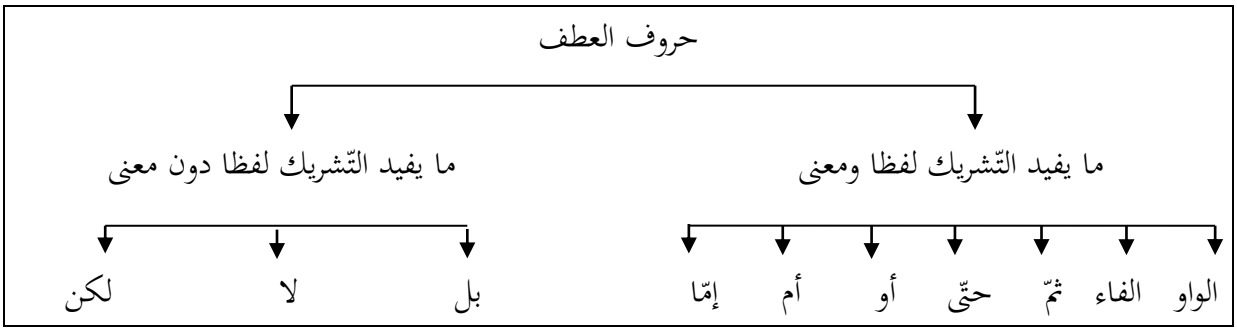

مخطط يوضح حروف العطف وما تفيده من معنى

إنّ المقصود بالعطف – هنا – النسق بفتح السين، وهو مشتق من نسقت الشيء نسْقا إذا أتيت به متتابعا، وكثيرا ما يسميه سيبويه باب الشركة، وعند النحويين هو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف[1]، وأيضا يأتي عطف النسق بالواو كما يأتي بغيرها." والعطف إذا موضوع على أنّك تعطف تارة جملة على جملة، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل، فتعطف بعضا على بعض ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك"[2] ويتحقق الإتّساق الأداتي بأربعة خيوط كما يرى د. يسري نوفل بما يلي[3]:

- وجود حرف العطف.
- العلامة الإعرابية.
- معنى حرف العطف.
- إثبات الحكم أو نفيه عن أحد المتعاطفين.

فقد تأتي الجمل المعطوفة على ما قبلها ويشكل وجه الارتباط، فتحتاج إلى شرح نذكر من ذلك صوّراً يلتحق بها ما هو في معناها:فمنها قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا (189)** ﴾ (سورة البقرة:189) الآية فقد يقال:أيُّ رابط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت وفي هذا الجواب عدّة أوجه نذكر أحدها:"كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلة ونقصانها معلوم أن كل ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البرّ في شيء وأنتم تحسبونها برّا"[4]." وقد تكون الآية معطوفة، ولابدّ أن تكون بينهما

---

[1] – شرح التصريح بمضمون التوضيح لشيخ خالد الأزهري،ط عيسى بابي الحلبي، 134/2.

[2]– دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص:245.

[3]– المعايير النصّية في السور القرآنية، د.يسري نوفل، ص:84.

[4]–البرهان في علوم القرآن بدر الدين الزركشي،ط2006،ص:40

جهة جامعة على ما سبق كقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (سورة البقرة:245)، وفائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشريكين"[1].

وما نجد في قوله تعالى في الآية 245 من سورة البقرة التي سيقت للحث على الإنفاق في سبيل الله عندما قال: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)** ﴾ (سورة البقرة:245). حيث جاء الواو بين الجمل التالية: (يقبض..،يبسط..،إليه ترجعون) لأن الغرض في هذه الآية هو الإخبار بها عن الله تعالى، والدلالة على اختصاصه بها ولا يتأتى ترك الواو بين هذه الجمل لأنه لا سبيل للوصل بينها إلاّ بها"[2].

وتقوم العلاقات بين الجمل والترابط بين المفردات تقيمها مجموعة من الأسس والضوابط اللغوية، فعندما يجنح صاحب النص إلى التأليف فإنه يراعي الترابط القائم بين جمل النص وأجزائه وفقراته، بل وإلى فصول الكتاب، ويمكننا معرفة ذلك عندما نكتشف أن المنتج أدرك وظائف أدوات الربط وفرق بينها، فهناك ربط تقوم به أدوات وحروف تقيم علاقة أولية بين المفردات ثم علاقة ثانوية بين المفردات وعلاقات أوسع شاملة بين الجمل والفقرات، مثل حروف العطف، وهذا نوع نستطيع أن نكتشفه من خلال العناصر والأدوات اللغوية المستعملة، وهناك نوع آخر من الربط نجده قوي الإتصال وشديد التلاحم والتماسك بين المفردات والجمل دون أن نجد لتلك الأدوات والوسائل اللغوية وجود؛ فقوة الإتصال الداخلي تغنى عن تلك الوسائل والحروف. فعند ما "نمعن النظر في مفردات الجملة في القرآن الكريم و نتأمل كيف يتم الربط بينها ،وننظر بوعي في العلاقة بين الجمل، ونتأمل كيف تتلاقى، يتجلى لنا العديد من الأسرار و المزايا واللطائف التي تكمن وراء نظم المفردات والجمل في آيات الذكر الحكيم"[3].وقد ركز الباحثان هاليداي و رقية حسن"على الدور الذي يقوم به حرف "الواو" في الربط بين المركبات، أي التي تربط بين مكوّني مركب (العطف) و اعتبرا أنها تعلق العنصر اللاّحق بالسابق أي المعطوف على المعطوف عليه تعلقا بنيوياً (Coordinale and)، و الواو الرابطة (Conjonctive and) وهي التي تحقق الربط بين الجمل"[4].و"هناك بعض اللسانين ممن يستخدم مفهوم الاتصال/ الارتباط (CONNEXITE) بدلا مما سمي أعلاه بالإتساق، بيدا أن لسانين آخرين يتحدثون عن الاتساق عندما يتعلق الأمر فقط بالعلاقات (التي يقيمها الربط/الوصل بين الجمل)"[5] "ويمكن أن تكون الوصلية (CONNECTIVITY) ضمنية

---

[1]– ينظر، المرجع نفسه،ص:39.

[2]– من بلاغة النظم القرآني،(دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني و البيان و البديع في آيات الذكر الحكيم) د/بسيوني عبد الفتاح فيود، ص:208.

[3]– ينظر:في بلاغة النظم القرآني،د/بسيوني عبد الفتاح فيود،ص:205.

[4]–ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس "نحو النص"،محمد الشاوش،المجلد الأول،ص:136–137.

[5]– المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك منغنو، تر: محمد يحياتن، ص: 18.

وصريحة معا"[1] "يتم التعبير عن نمط معروف من العلاقات الترابطية المعلنة بأدوات نحوية تربط ما يقال الآن بما يقال آنفا، مثل (الواو) و(لكن) و(بالتالي) و(ثم)"[2]

2- أنماط علاقات العطف:

وكمثال لتجسيد هذه الأنماط، كما بيّنها الباحثان، نضرب المثال الذي استشهدا به:

- for the whole day he climbed up the steep mountainside, almost without stopping.

- على مدَى يوم كامل تَسَلَقَ سَفحَ الجبلِ الحادّ، من دونِ توقف تقريبا.

-العطف:ويكون بـ الواو، أو، بالإضافة إلى كذلك، إضافة .... ويسميه البعض بالترابط الإضافيّ (الجمعيّ)، ويتمُّ بوساطة أحرف العطف، فضلا عن مجموعة أخرى من الأدوات تقع ضمن هذا النوع من الترابط، التي لها خاصّيَّة التماثل الدلاليّ الناتج عن ربط الجمل، مثل: (مثلما Such as)، أو خاصّيَّة التمثيل وتتمُّ بأدوات، مثل: (نحو Such like)، أو خاصّيَّة الشرح وتتمُّ بعبارات، مثل: (أعني I ,mean) أو (بتعبير آخر Inother words).مثال:

- And in all this time he met no one. (additive)

- وطوال هذا الوقت لم يقابل أحدا. (ربط إضافيّ).

- المقابلة: وتستعمل فيه أدوات مثل: لكن، إلا، أنّ، من جهة أخرى، ومع ذلك.... ومنهم من يسميه بالترابط العكسيّ فيتمّ بمجموعة من الأدواتِ التي تجعل من العبارة اللاحقة في النصّ على عكس ما كان يتوقعه المتلقّي، وكما هو واضح في المثال:

-Yet he was hardly a wave of being tired. (adversative)

- على الرَغمِ من المشقة لم يكنْ مُتعَبا. (ربط عكسيّ).

---

[1]- معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، ص: 152.

[2]- تحليل الخطاب، ج، براون، ج، بول، تر: محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1997م، ص: 228.

إذ إنَّ المتلقّي يتوقع بعد مثال تسلُّق يوم كامل (تسلق الجبل ...) أنْ يكون ذلك المتسلّق قد شعر بالتعب، إلا أنَّ العبارة تأتي لتقول أَنَّه لم يشعر بالتعب. وأهم هذه الأدوات الأداتين (لكن but)،(مع ذلك yet)، ويرى المؤلفان أن الأداة التي تعبرّ عن الترابط العكسيّ أكثر من غيرها هي الأداة (مع ذلك yet)[1].

– للسببية: هكذا، وكنتيجة لذلك، لهذا السبب، ويترتب على هذا.مثال:

- So by night time the valley was for below him. (Causal)

- هكذا في المِسَاءِ كَانَ الوادِي يَبدُو بعِيدا أَسفَلهُ. (ربط سببيّ).

والترابط السببيّ ،هو الذي يسهم في إيضاح العلاقة المنطقيةً بين الجمل، ويتمُّ هذا النوع من الترابط بمجموعة من الأدوات منها (هكذا So)، و (إذن thus)، و (لذلك therefore) وغيرها.

– الزمني: ثم، بعد ذلك، بعد ساعة، أخيرا، في آخر المطاف"[2]، مثل:

- Then, as dusk fell, he sat down to rest. (temporal)

مِنْ ثمَّ، مَعَ هُبوطِ الظَلامِ، جَلَسَ لِيسْتَرِيحَ. (ربط زمنيّ).

الترابط الزمنيّ الذي يقوم على التسلسل الزمنيّ الذي يكوّن علاقة الترابط بين جملتين فأكثر، فجمل النصّ يمكن أنْ تتبع الواحدة الأخرى ضمن تسلسل زمنيّ يضمن لها اتّساقا عن طريق تتابع الأفعال الزمنيّ، وكما هو واضح في المثال السابق من تتابع زمنيّ بين الفعلين (جلس) و (يستريح).أما أهم أدوات هذا النوع من الترابط فهي (من ثم then).

ويعني العطف والوصل:"هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم ومعنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً، ولكن تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص، وتتفرع وسائل الوصل إلى الوصل الإضافي و العكسي و السببي و الزمني"[3]."وإذا كانت وظيفة هذه الأنواع المختلفة من الوصل متماثلة فإن معانيها داخل النص مختلفة، فقد يعني الوصل تارة معلومات مضافة على معلومات سابقة أو معلومات مغايرة للسابقة أو معلومات (نتيجة) مترتبة عن السابقة (السبب) إلى غير ذلك من المعاني، وأن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة، فإنّه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص"[4]."تم استعمال الوصلية (CONNECTIVITY) في تحليل

---

[1]-**See**: **Cohesion in English Halliday and Hasan ; p.p. 350**.

[2]– تحليل الخطاب، ج.براون، ص: **229**.

[3]–أبحاث في علم اللغة النصي و تحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،ص:**20**.

[4]– المرجع نفسه، ص:**21**.

الخطاب والنص كمظهر للتماسك، وربط الكلام أو الجمل، هناك مصطلحات أخرى هي الوصل (CONNECITON)، الموصولية (CONNECTEDNESS)، ووصلية (CONNEXITY)"[1].

ويتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين (أو، و) وتندرج ضمن المقولة العامّة للوصل الإضافي علاقات أخرى:مثل:التماثل الدلالي المتحقق. الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع:بمثل ..وعلاقة الشرح،ويتم بتعابير نحو:أعني،التعبير آخر... وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير نحو:مثلا ،نحو،إلخ[2] أما الوصل العكسي:الذي يعني (على عكس ما هو متوقع) فإنه يتم بواسطة أدوات مثل:(لكن،بعد yet و غيرها)، وبتعابير مثل :(على أية حال، ومع ذلك..)إلا أن الأداة التي تعبر عن الوصل العكسي، في نظر الباحثين هي:(بعد yet)"[3].أما الوصل السببي:فيمكّننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، و يعبر عنه بعناصر مثل (لذلك،ذلك،لأجل ذلك..) وتندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط..وهي كما ترى علاقات منطقية ذات علاقة وثيقة بعلاقة عامة هي السبب والنتيجة. ويجسد الوصل الزمني كآخر نوع من أنواع الوصل ،علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنياً ، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو (ثم).

ولنرى ذلك في الآيتين الكريمتين، قال تعالى: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)**﴾ (التوبة 112). حيث نجد أن الصفات في هذه الآية قد توالت بدون عطف ماعدا الصفات الثلاثة الأخيرة التي جاءت معطوفة، وذلك لغرض بلاغي وهو "أن مجيء الواو بين الصفات يدل على كمال أولئك الموصوفين في كل صفة على حدة، وتركها يدل على أنها مجتمعة فيهم، وكأنها صفة واحدة، فمجيء الواو دل على كمال الموصوفين في كل صفة من الصفات المذكورة وتركها دل على كمال إجتماع هذه الصفات في الموصوفين"[4].

ولنرى أيضا قوله تعالى: ﴿ **الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17)**﴾ (سورة آل عمران:17)، وبالمقارنة بين آية التوبة، وآية آل عمران وكيف تم الربط بين هذه الكلمات، تارة بدون واو وتارة بالواو، نجد أن آية التوبة جاءت بالصفات (التائبون،العابدون،الحامدون،السائحون، الراكعون، الساجدون) بلا عطف، فدل ذلك على إجتماع تلك الصفات في المؤمنين، وأن إجتماع تلك الصفات في المؤمنين، قد بلغ الغاية و الكمال،حتى كأنها صفة واحدة،وجاءت الصفات:(الآمر بالمعروف والناهون عن المنكر

---

[1] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، ص: 152.

[2] –ينظر:الارتباط و الربط في اللغة العربية، مصطفى حميدة، ص:143.

[3] –ينظر:بناء الجملة العربية،حماسة عبد اللطيف،ص:158–159.

[4] – ينظر،الكشاف،الزمخشري،ج1/417.

والحافظون لحدود الله) معطوفة بالواو فدل ذلك على أنهم قد بلغوا الغاية والكمال في كل صفة منها على حدة"[1]ونستطيع تمثيل ذلك بالمخطط التالي:

مخطط يوضح علاقة العطف بالواو وبدون واو.

وكذا مجيء الواو في آية آل عمران: ﴿ **الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17)**﴾ (سورة آل عمران:17)فقد دل مجيء هذه الواو على أن الذين إتقوا قد بلغوا الغاية وحدّ الكمال في كل صفة من الصفات المذكورة"[2] ومن الوظائف النحوية لحرف (الواو) أنه يدل على شدة إلتصاق الصفة بالموصوف حتى تكاد تثبت فيه و تلازمه و كأنها خلقت معه و هي مستقرة فيه،و لنلاحظ قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (4)**﴾(الحجر:04) و قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (208)**﴾(سورة الشعراء:208)،"نجد أن الواو قد جاءت بين الصفة و موصوفها في آية الحجر، ولم تأت في آية الشعراء، ويرجع ذلك إلى أن الكتاب المعلوم مما يأتي فيه الإنكار والإخفاء فإقتضى ذلك مجيء الواو تأكيدا

[1]– من بلاغة النظم القرآني،دراسة بلاغية،د/بيسوني عبد الفتاح فيود،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع،ص:206.

[2]– المرجع نفسه، ص:206.

لصوق الصفة بموصوفها، ودفعا لما قد يقع من إنكار، أمّا المنذرون فلا يتأتى انكارهم ولذا خلت هذه الآية من الواو لأن المعنى لا يحتاج إلى توكيد"[1].

ومما وجدناه من هذه الظاهرة في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)**﴾ (سورة البقرة:15) فالجمل المذكورة في الآيتين متسقة فيما بينها وبدون حرف العطف حيث تلاقت هذه الجمل (إنا معكم....إنما نحن مستهزؤن...الله يستهزئ بهم..و يمدهم في طغيانهم ...) فجاءت الثلاثة الأولى بلا عطف، ثم عطفت الرابعة على الثالثة بالواو..ما سبب ذلك؟ فنقول:"إن الجملة الثانية (إنما نحن مستهزؤن)جاءت مؤكدة لقول المنافقين (إنا معكم) لشدة الإتصال بها وبدون واو، وهذا يعني أن الجملتين متسقتين أشد الإتساق ومتلاحمتين أشد التلاحم وهو نوع من الترابط والتماسك الدّاخلي الذي يقع على مستوى البنية العميقة أكثر مما يقع على مستوى البنية السطحية، ما يمنع ظهور الواو على مستوى البنية السطحية. أما في الجملة الثالثة: (الله يستهزئ بهم) فلا يتأتى عطفها على الجملتين السابقتين لأنها ليست من مقول المنافقين، ولا يتأتى عطفها على قولهم؛ أي:على جملة (قالوا) لأن استهزاء الله بهم ليس مقيّدا بوقت خلوهم إلى شياطينهم، وكذلك يمتنع عطفها على الجملة الشرطية (إذا خلوا...) لأنه وإن صحّ عطفها عليها إلا أن هذا العطف يوهم أنها معطوفة على قول المنافقين أو على مقولهم، ولذا وجب الفصل. أمّا مجيء الواو بين جملتي:(الله يستهزئ بهم و يمدهم في طغيانهم) فلأن الغرض هو الإخبار عن الله تعالى بهذين الخبرين، والدلالة على أنّه تعالى يفعل بهم أمرين: الإستهزاء والمدّ في الطغيان، ولو تركت الواو فقيل:(يستهزئ بهم يمدهم في طغيانهم) لتغير المعنى إذ يصبح المفهوم أن الله تعالى يجازيهم بجزاء واحد هو الإستهزاء الذي فسّر بالمد في الطغيان وهذا غير المراد"[2]. فالدور الذي يلعبه الفصل والوصل ليس مرادا إتساقياً ترابطياً فقط، بل يضاف إلى هذه الوظيفة وظيفة أخرى بلاغية وهي مقصدية النص. فالغاية واضحة من توظيف هذه الأدوات والحروف في النص القرآني، فالزيادة في المباني هي زيادة في المعاني، والنص القرآني هو نصّ مقاصدي وهادف، لذلك فإن توظيف حروف العطف لها وظيفتان وظيفة:

1- ترابطية تركيبية تسهم في اتساق النص.

2- وظيفة معنوية دلالية تقوم بتحقيق المعنى المراد.

فذكر حروف العطف في الآيات القرآنية هو تصريحٌ بغاية النص وهدفه، وحذفها منه هو أيضا غاية أخرى تقوم بتبليغ المعنى بطريقة مخالفة للأولى عن طريق حذف هذا العنصر.

---

[1]- ينظر، المرجع نفسه، ص:207.

[2]- ينظر،المرجع نفسه، ص:207.

وما هو ملاحظ أيضاَ أن حرف الواو لا يحذف إلاّ إذا كان الإتّساق النصي قائما، وفي حذفها شدّة وقوّة في التماسك أكثر من ذكرها، وهذا ما يجعل النص القرآني يرتقي فوق كلّ النصوص التي ينتجها البشر.ومن الأمثلة التي يظهر فيها الربط بدون واو وهو وصل قوي جاء في قوله تعالى في بداية سورة البقرة: ﴿ **الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)** ﴾(سورة البقرة:1-2)،"حيث نجد أن جملة (ذلك الكتاب) قد دلت على قصر الكتاب على القرآن، فهو الكتاب الكامل، وجملة (لا ريب فيه) تفيد نفي الريب عنه، فهي تؤكد كماله، وجملة (هدى للمتقين) أفادت المبالغة في هدايته، حيث نكر (هدى) وأخبر به عن الكتاب، وفرق بين:هو هدى وهو هاد، إنّه جنس الهدى، وهذا ما يدل على كمال هدايته، لقد إلتقت هذه الجمل التي تدل على المبالغة في: كمال القرآن، و نفي الريب عنه، وكمال هدايته، فهي جملة متصلة ملتحمة يؤكد بعضها بعضاً. بينها وصل قوى يمنع العطف بالواو"[1]، لذلك حذف الواو و إخفاؤها لغاية بلاغية وهي شدّة التصاق تلك الصفات المبالغ فيها بالكتاب،فتجنب ذكر الواو لأن في ذكرها كمال في الصفات ذاتها، وليس كمال لتوصيف الكتاب بتلك الصفات، وهذا من أجمل أنواع الإتّساق بالفصل والوصل. ومن أهم التعليقات على قوله السابق قول الزمخشري حين قال:"فإن قوله "(ألم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و(ذلك الكتاب) جملة ثانية، و(لا ريب فيه) ثالثة، و(هدى للمتقين) رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض؛ فالثانية متحدّة بالأولى معتنقة لها و هلم جرا، إلى الثالثة و الرابعة "[2].

فهذه الآية توضح و تشرح المقصود باسم الإشارة لقوله تعالى:﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)**﴾ (سورة البقرة:02) ومعناها؛ "أن الله تعالى بعد أن أومأ بتعبير مجمل إلى التقرب من هذا القرآن، لكونه المنجي الوحيد، والهادي الأكيد مع الإشارة الخاطفة البعيدة، بثّ في آيات القرآن اللاحقة إيضاحاً وتفصيلاً لدلالة القرب باسم الإشارة المفيد الحث على التقرب والعكوف على الصراط المستقيم، ومن هذه الآيات الآية التي نحن بصدد تحليلها، فقد قال (تعالى) بعد ذكر اسم الإشارة:(فاتبعوه) ونحن نلمح لدى العودة إلى قوله(تعالى): ﴿**إنّ هذا صراطي مستقيما** ﴾، أنّ دلالة القرب الدالة على لزوم العمل بالقرآن الكريم، والتقرب منه والعكوف عليه، بدليل قوله تعالى(فاتبعوه)"[3]. ومن هنا نخلص إلى أنّ "العلاقات بين الجمل، والترابط بين المفردات، تقوم على أسس وضوابط وتلك الأسس والضوابط تحتاج إلى وعي من الدّراس، لكي يقف عليها ويحيط بها، فهناك حروف تستخدم في الربط بين الجمل، وفي ربط المفردات، وهي حروف العطف، وهناك جمل يقوي الاتصال بينها

---

[1]-ينظر:المرجع نفسه، ص:211-212.

[2]-تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل،في وجوه التأويل،لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، ط3، 1430هـ/2009م،ص:37.

[3]- أسماء الإشارة في القرآن الكريم، دراسة تأويلية، (أطروحة دكتوراه) عمر محمد كوفي النعيمي، إشراف الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني، جامعة الموصل، العراق، 1424هـ/2003م، ص:50.

ويشتد، فلا تحتاج إلى هذه الحروف، حيث تغنى عنها قوّة الاتصال الدّاخلي بين تلك الجمل ، وهناك جمل تتباعد فلا يتأتى فيها الوصل بحروف العطف"[1]."وقد شغل البلاغيون بذلك، ودرسوا هذه العلاقات في باب (الفصل والوصل) ويعد هذا الباب من أهم أبواب البلاغة لخفائه، ودقة مسالكه وصعوبة مسائله، وبهذا جعلوه البلاغة، فقد قيل في إجابة السائل عنها: البلاغة معرفة الفصل من الوصل"[2].ولقد توفرت التوابع في النص القرآني بشكل كبير،نجد منها على وجه الخصوص العطف، إذ لا نكاد نجد آية من آيات القرآن الكريم تخلو منه، فهو من الوسائل المنتشرة بكثرة والتي تنشئ العلاقات بين جمل النص، فنحن عندما نقرأ نصّاً من النصوص نلاحظ أنّ جلّ الجمل والفقرات تلتحم بسابقتها بحرف من حروف العطف"[3]، ويربط القدماء ظاهرة العطف بقضية (الفصل والوصل) وهي عندهم على ثلاثة أوجه:

1-كمال الاتصال:لا يجوز العطف فيه،لأننا لا يمكن أن نعطف الشيء على نفسه.

2-كمال الإنقطاع: وهو ما لا يجوز العطف كذلك لعدم وجود علاقة تبيح الربط.

3- التوسط بينهما: وهو وجه يجوز فيه العطف لوجود نوع ارتباط وهو المشاكلة التي تبيح الربط بين المتعاطفين وذلك مثل التضاد"[4].

وإذا ما كانت علاقة -الإحالة والحذف - تتجه إلى البحث عن المفترض فيما تقدم أو فيما سيلحق في النص، فان علاقة الوصل تختلف في أنها تتجه إلى " تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم " [1]﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ** ﴾ (سورة البقرة:266) الآية فإنّه تعالى لو اقتصر على قوله:(جنة) لكان كافياً فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها: (من نخيل وأعناب)، فإنّ مصاب صاحبها بها أعظم. ثم زاد (تجري من تحتها الأنهار) متمماً لوصف بذلك، ثم كمل وصفها بعد التتميمين فقال:(له فيها من كل الثمرات) فأتى بكل ما يكون في الجنان ليشتد الأسف على إفسادها"[5]. ثم قال في وصف صاحبها :(وأصابه الكبر)، ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر: (وله ذرّية)، ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية ب(ضعفاء). ثم ذكر إستئصال الجنّة التي ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك في أسرع وقت، حيث قال (فأصابها إعصار) ولم يقتصر على ذكره للعلم بأنه لا يحصل به سرعة الهلاك فقال:(فيه نارٌ)، ثم لم يقف عند ذلك

---

[1]-المرجع نفسه، ص:204.

[2]- المرجع نفسه، ص:205.

[3]-مقدمة في اللغويات المعاصرة،د/شحدة فارغ،د/جهاد حمدان،د/موسى عمايرة،د/محمد العناني،دار وائل للنشر ،عمان ،الأردن،ط3، 2006م، ص:202.

[4]-ينظر:علم اللغة النصيّ بين النظرية و التطبيق،د/صبحي إبراهيم الفقي،ج1،ص:247-248.

[5]- الإتقان في علوم القرآن،السيوطي، ج140/3.

حتى أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النّار ضعيفة لا تقي باحتراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله:(فاحترقت)(سورة البقرة:266) فهذا أحسن استقصاء وقع في كلام وأتمه وأكمله"[1] .

3- الإتّساق بأدوات الرّبط و حروف العطف:

إذا كان للإحالة والحذف دور مهم في سبك النص، وترابط أجزائه فإنّ لحروف العطف أو الربط دورا لا يقّل أهميّة عن سابقيه. لأنّها تشكّل آلية من آليات سبك النص، حيث تقوم هذه الحروف بربط الألفاظ الأفراد بعضها ببعض، كما تربط الجمل، والتراكيب، والفقرات، والنصوص بعضها ببعض"[2]. وحتى يتبيّن لنا فائدة الربط بهذه العناصر، وأثرها على بنية النص القرآني، سوف ندرسها من خلال بعض المواضع في سورة البقرة، إذ يقول الله تعالى :"قوله: اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا، بالواو، وفي الأعراف:فكلا، بالفاء، اسكن في الآيتين ليس بأمر بالسكون الذي هو ضد الحركة، وإنما الذي في البقرة من السكون الذي معناه الإقامة، وذلك يستدعي زمنا ممتدا، فلم يصح إلا بالواو، لأن المعنى: اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها، ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة، لأن الفاء للتعقيب والترتيب. والذي في الأعراف من السكنى الذي معناه اتخاذ الموضع مسكنا لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة بقوله: اخرج منها مذءوما، وخاطب آدم فقال: ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، أي: اتخذا لأنفسكما مسكنا، فكلا من حيث شئتما، فكانت الفاء أولى، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانا ممتدا، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه، بل يقع الأكل عقيبه"[3]، وهذا يعني أن الآيات المتشابهة خضعت لعوامل سياقاتها المتعددة فتم التغيير فيها في كل سياق كررت فيه بحسبه .

وقد بيّن النحاة الدور الذي تقوم به حروف المعاني في الكلام، ويمكننا أن نقول بأنّ لديها وظيفتين أساسيتين:

- **الأولى**: وظيفة نحوية؛ وهي تحقيق الترابط بين مكوّنات الجملة أو الكلام، سواء أكانت عاملة أو غير عاملة.

---

[1]- المرجع نفسه ،ج3/.140

[2]- المعايير النّصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، د.يسري نوفل،ص:83.

[3]- أسرار التكرار في القرآن، تأليف: محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطاء ، طبعة دار الفضيلة، القاهرة مصر.ص: 70-71.

– **والثانية:** وظيفة دلالية معنوية، وهي المساهمة في تحديد دلالة السياق.وفي المحصّلة، فإنّ وظائفها متكاملة ومتداخلة، تنصهر فيها العناصر النّحويّة بالمكوّنات الدلالية.[1]

ومن أهم الخصائص التي تتميّز بها هذه الحروف"أنّها لا تدلّ على معان معجمية، ولكنّها تدّل على معنى وظيفي عامّ هو التعليق، ثم تختصّ كلّ طائفة منها تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصّة كالنفي، و التأكيد، وهلمّ جرا، حيث تكون الأداة هي العنصر الرّابط بين أجزاء الجملة كلّها"[2] وتعتبر الأدوات جميعا ذات افتقار متأصّل إلى الضّمائم، إذ لا يكتمل معناها إلاّ بها، فلا يفيد حرف الجرّ إلاّ مع المجرور، ولا العطف إلاّ مع المعطوف[3]...وهكذا مع كلّ الأدوات، لأنّ التضام عند الحروف ضروري لتحديد هويتها في النص، ووظائفها .

قال الإمام ابن يعيش الموصلي–رحمه الله–:"هذا الضرب هو الخامس من التوابع، ويسمّى عطفا بحرف، ويسمّى نسقا؛ فالعطف من عبارات البصريين، والنسق من عبارات الكوفيّين. ومعنى العطف الاشتراك في تأثير العامل، وأصله الميلُ، كأنّه أُمِيل به إلى حيّز الأوّل، وقيل له نسق لمساواته الأوّل في الإعراب"[4].وقد أُختلف في عددها، غير أن أكثر النّحاة يعدون عشرة منها، وأنشد الإمام الحريري–رحمه الله– في مُلحَتِه:

–وأحرف العطف جميعا عشره .....محصـــــــورة مأثـــــورة مشتهره

– الواو والـــــفاء و(ثمّ) للمَهَل ..... و(لا) و(حتّى) ثمّ(أو) و(أم) و(بل)

– وبعدها (لكن) و(إمّا) إن كُسِر ..... وجـــــاء للتّخيير، فاحفظ ما ذُكِر[5]

وقد أشار ابن يعيش– رحمه الله– إلى هذا الإختلاف في عدّها فقال:"فأمّا حصرها عشرة، فعليه أكثر الجماعة، وقد ذهب قوم إلى أنّها تسعة، وأسقطوا منها(إمّا)، وهو رأي (أبي علي)، قال:لأنّها لا تخلو إمّا أن تكون العاطفة الأولى أو الثانية، ولا يجوز أن تكون الأولى، لأنّ العطف إمّا أن يكون مفردا على مفرد، وإما جملة على جملة، وليس الأمر فيها كذلك. ولا تكون الثّانية لأنّ الواو قد صحبتها، ولا يجتمع حرفان بمعنى واحد. وذهب آخرون إلى أنّها ثمانية، وأسقطوا منها (حتّى)، وقالوا:لأنّها غاية. وذهب (ابن دُرُسْتَوَيْه) إلى أنّ حروف العطف ثلاثة

---

[1]– ينظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف، مج1، ص:(ش).

[2]– اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة ، الدّار البيضاء، المغرب، ط1994م، ص:125.

[3]– ينظر المرجع نفسه، ص:125–127.

[4]– ينظر:شرح المفصّل للزمخشري، لموفق الدّين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت 643ه)، تحقيق إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422ه–2001م، ج2/276.

[5]– شرح ملحة الإعراب،الإمام أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري، تحقيق فائز فارس، دار الأمل، إربد، الأردن، ط1، 1412ه–1991م، ص:189.

لا غير: الواو و الفاء وثمّ. قال لأنّها تشترك بين ما بعدها وما قبلها في معنى الحديث والإعراب. وليس كذلك البواقي لأنّهنّ يُخْرِجْنَ مل بعدهنّ من قصّة ما قبلهنّ"[1]، وقال الجرجاني في الربط:" أن الواو يفيد الإشتراك بين الإثنين في الحكم فالواو في قولنا(زيد قائم وعمرو قاعد) يفيد الإشراك حتى يكونا كالنظيرين والشريكين بحيث إذا عرف السامع حال الأوّل عناه أن يعرف حال الثاني...ويتّصل حديثه بحديثه فلو قلت:"خرجت اليوم من داري" ثم قلت: وأحسن الذي يقول بيت كذا": قلت ما يضحكك منه... وذلك لأنّه لا مناسبة...ولا تعلق لأحدهما بالآخر وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك"[2].

والإتّساق النصي لا يمكن حصره في علاقة حروف العطف فقط، أو في علاقة المعطوف بالمعطوف عليه، حيث "يقوم حرف العطف مع التطابق في العلاقة الإعرابية بالدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه، وقد تتوافر عناصر أخرى من خارجها كأن يكون المعطوف عليه و المعطوف مطلوبين لما يدل على المشاركة ... ويقوم معنى حرف العطف نفسه بدور في مشاركة المعطوف والمعطوف عليه، فقد تكون على سبيل الموافقة في الحكم إثباتا أو نفيا أو مخالفة فيه"[3].

-الإتّساق بحرف (الواو) في سورة البقرة:

وفي دراسة إحصائية حسب العادّون، بلغ العدد الإجمالي لحرف الواو في سورة البقرة 835 مرة، اختلفت وظائفها بين العطف، والإستئناف، والحال، والعتراض، والمعية، والقسم، ومعاني أخرى تظهر من خلال السياق، وأكثر الوظائف حضورا في هذه السورة لحرف (الواو) هي وظيفة العطف الذي بلغ عدد مرات تكرارها 692 مرّة من مطلع السورة إلى نهايتها، ثم جاءت بعدها واو الإستئناف بـ 252 مرّة، وهذا ما يعكس لأقوى صور الترابط من خلال هذا الكم العددي الحضوري لحرف (الواو) . فهذه الكثرة العددية لهذا الحرف في سورة البقرة انعكست على الترابط الموضعي في المواقع التي ذكرت فيها الواو ما زاد سورة البقرة اتساقا أكثر، ومتانة محكمة بين الجمل والآيات، وحتى الكلمات.وذلك لكونها"أمّ حروف العطف لكثرة استعمالها ودورها فيه"[4].والواو هي أصل العطف على رأي المبرد أو أحق بالعطف على رأي ابن يعيش[5]،وأنها أكثر الحروف استعمالا جعلت أم الباب، إذ أكثر كتب النحو على ذكرها أولا؛لأنها تنفرد بعدة أحكام كلها توضح أهمية هذه الأداة واستحقاقها عن جدارة أن تكون أكثر الحروف دورانا في الربط شعرا ونثرا.

---

[1]- شرح المفصّل للزمخشري، المرجع نفسه،ج5/5.

[2]- دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني، ص:225.

[3]- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، 2003م، ص:193.

[4]- رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد بن عبد النور المالقي،تحقيق: أحمد محمد الخراط، مجمّع اللغة العربية، دمشق، ص:410.

[5] - شرح المفصل 90/8، وانظر المقتضب للمبرد، 46/2.

وقد اختلف في المعاني التي تفيدها الواو، من غير العطف، والتشريك والجمع، وزادوها الترتيب[1] مع أنّ بعض النحاة قد رفضوا ذلك، ومن الشواهد التي استدلوا بها على هذا المعنى، قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ..** ﴾(سورة البقرة:157)، فقال: صلّى الله عليه ويلّم:(أبدأ بما بدأ الله به) فبدأ بالصفا[2]، فدلّ ذلك على الترتيب. ورُوِيَ أنّ رجلا خطب عند النبّي صلّى الله عليه وسلّم، فقال:(من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى) فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:(بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله)[3]، وقالوا فلو كانت الواو للجمع المطلق لما افترق الحال بين ما علّمه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم و بين ما قال[4].ولنا أن نتعرّف على بعض المواقع الترابطية لحرف الواو في سورة البقرة، و منها ما هو في مطلع السورة، في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)** (سورة البقرة: 2-5) حيث ذكرت الواو مؤدية دورها العاطف في:

-إقام الصلاة.

- الإنفاق مما رزقهم الله.

-الإيمان بما أنزل إليه صلّى الله عليه وسلّم.

-الإيمان بما أنزل من قبل.

- الإيقان بالآخرة.

فكل هذه المعاني عطفت على الإيمان بالغيب، ثم وصلت بالإسم الموصول (الذين) على المتقين. وهذا ما يوّضح الحضور العددي للواو، والدور الذي تلعبه في اتساق المعاني وترابطها. لتشكيل نصّية النص.

ومن الأمثلة علّق عليها المفسرون في قوله تعالى عن وظيفة الواو﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ (البقرة : 49). فقد تنبّه الرازي إلى أنّ الله تعالى قد ذكر لفظة يذبّحون بلا واو، وفي سورة إبراهيم ذكره مع الواو، ويقول في

---

[1]- ينظر: الجني الدّاني في حروف المعاني، للماردي، ص:158-159.

[2]- ينظر: صحيح مسلم، دار السلام، للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، محرّم 1421هـ- أبريل 2000م، كتاب الحج،ص:514.

[3]- المرجع نفسه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ص:349.

[4]- ينظر: شرح المفصّل، لإبن يعيش الموصلي، ج10/5.

جواب ذلك:" والوجه فيه أنّه إذا جعل قوله (**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ**) مفسّرا بقوله (**يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ**) لم يحتج إلى الواو، وأمّا إذا جعل قوله" يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ" مفسّرا بسائر التكاليف الشاقّة سوى الذبح، وجعل الذبح شيئا آخر سوى سوء العذاب احتيج فيه إلى الواو، وفي الموضعين يحتمل الوجهين، إلّا أنّ الفائدة التي يجوز أن تكون هي المقصودة من ذكر حرف العطف في سورة إبراهيم، أن يقال إنّه تعالى قال قبل تلك الآية : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ، وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾ والتذكير بأيّام الله لا يحصل إلّا بتعديد نعم الله تعالى، فوجب أن يكون نوعا من العذاب، و المراد من قوله ﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ**﴾ نوعا من العذاب، و المراد من قوله ﴿ **يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ** ﴾ نوعا آخر؛ ليكون التّخلص منهما نوعين من النعمة فلهذا وجب ذكر العطف هناك، و أمّا في هذه الآية لم يرد الأمر إلّا بتذكير جنس النعمة، وهي قوله:"﴿ **اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم** ﴾، فسواء كان المراد من سوء العذاب هو الذبح أو غيره كان تذكير جنس النعمة حاصلا فظهر الفرق" [1].فعندما "تتلاقى الجمل يدق المسلك، ويكون لواو العطف عندئذ شأن، ويحتاج الدّارس إلى مزيد من إمعان النظر في تلك الجمل المتلاقية ليدرك ما بينها من صلاة و روابط، و ليعرف متى يؤتى بالواو بين هذه الجمل و متى يمتنع الإتيان بها "[2].

وقدّم الرازي مثالا يفسر فيه قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ (البقرة:125).حيث يشير إلى أنّ ما عطف عليه " واتّخذوا " فيه ثلاثة أقوال **الأوّل** : أنّه عطف على قوله:﴿**اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ**﴾. و**الثاني** : أنّه عطف على قوله:﴿**إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً** ﴾وقال (اتخذوا)، ويجوز أن يكون أمر به ولده إلا أنه تعالى أضمر قوله" وقال"...**والثالث** : أنّ هذا أمر من الله تعالى لأمّة محمّد- صلى الله عليه وآله و سلّم- أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى، وهو كلام اعتراض في خلال ذكر قصّة إبراهيم عليه السلام، و كأنّ وجهه" وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا (واتّخذوا) أنتم من مقام إبراهيم مصلّى، والتقدير أنّا لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للنّاس وأمنا، فاتخذوه أنتم قبلة لأنفسكم"[3].

ويمكن أن تعطف الواو قصّة على قصّة كما يتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿**وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ**﴾(البقرة،25). يقول ابن عاشور في تفسيره " **التحرير و التنوير**"" وجعل جملة (**وبشّر**) معطوفة على مجموع الجمل المسوقة لبيان وصف عقاب الكافرين، يعني جميع الذي فصّل في قوله تعالى : (**وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا**)

---

[1] – تفسير الرازي، 1/ 68.

[2]– من بلاغة النظم القرآني،(دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني و البيان و البديع في آيات الذكر الحكيم) د/بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع،القاهرة،ط1431،1هـ/2010م، ص:207.

[3] – تفسير الرازي، 4/ 52.

إلى قوله : (**أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ**) فعطفت مجموع أخبار عن ثواب المؤمنين على مجموع أخبار عن عقاب الكافرين، والمناسبة واضحة مسوّغة لعطف المجموع على المجموع، و ليس هو عطفا لجملة معيّنة على جملة معيّنة الذي يطلب معه التناسب بين الجملتين في الخبريّة و الإنشائية (...) وجعل الجرجاني لهذا النوع من العطف، لقب (عطف القصّة على القصّة) لأنّ المعطوف ليس جملة على جملة، بل طائفة من الجمل على طائفة أخرى" [1].

– الإتّساق بـ (ثم) في سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)**﴾(سورة البقرة:72-73-74).وبتتبع الأحداث البارزة في هذا المقطع، التي جيئت في سياق هذه الآيات، جعلت بني إسرائيل يقفون على تلك المعجزة، وأمام أعينهم وقعت تلك القصة الخارقة؛ قصة القتيل الذي قتل، وأمرهم الله أن يذبحوا بقرة وأن يضربوه ببعضها، ففعلوا بعد أن طال سؤالهم في شأن البقرة ما هي؟ وما لونها؟ فأحيا الله القتيل فأخبرهم بقاتله، وتلك آية كان ينبغي بعدها أن تلين قلوبهم ، ولكنها قست، وقسوة مستبعدة بعد حدوث تلك الآية الخارقة، ولذا عطفت عليها بالحرف(ثم) الدّال على استبعاد وقوع القسوة بعد رؤية الآية، تنزيلاً للإستبعاد المعنوي منزلة البعد الزمني"[2] فربطت الأفعال بمرعاة مددها الزمنية من خلال توظيف حرف العطف (ثم) الذي يدل على بعد القسوة التي كانت مستبعدة بعد حادثة الإحياء، لكن ما حدث هو العكس (ثم قست قلوبكم)، وهذه صفة تتميز بها قلوب اليهود، إنّها ميتة، فهي كالحجارة أو أشد قسوة[3]. وهذه المواضع التي ذكر فيها هذا الحرف في سورة البقرة موّضحة في الجدول التالي:

الرقم	نص الآية التي ورد فيها الحرف(ثم)	رقم الآية في سورة البقرة	تعليقات بعض المفسرين عن هذه الآيات
01	ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ	52	"وَعُطِفَتْ جُمْلَةُ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ بِحَرْفِ ثُمَّ الَّذِي هُوَ فِي عَطْفِ الْجُمَلِ لِلتَّرَاخِي التَّرْتِيبِيّ لِلْإِشَارَةِ إِلَى تَرْتِيبٍ فِي دَرَجَاتِ عِظَمِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَعَطَفَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ

[1] – ابن عاشور، التحرير و التنوير، 1/ 357.

[2]–من بلاغة النظم القرآني،د/بسيوني عبد الفتاح فيود،ص:232.

[3]– المرجع نفسه، ص:232.

			مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَيْضًا لِتَرَاخِي مَرْتَبَةِ الْعَفْوِ الْعَظِيمِ عَنْ عِظَمِ جُرْمِهِمْ فَرُوعِيَ فِي هَذَا التَّرَاخِي أَنَّ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْجُمَلُ عَظَائِمُ أُمُورٍ فِي الْخَيْرِ وَضِدِّهِ تَنْبِيهًا عَلَى عِظَمِ سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِهِمْ قَبْلَ الْمَعْصِيَةِ وَبَعْدَهَا" (تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج500/1)
02	ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	56	أَمَّا قَوْلُهُ تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ) لِأَنَّ الْبَعْثَ قَدْ [لَا] يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، (التفسير الكبير الإمام فخر الدين الرازي)
03	ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ	64	(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) أَعْرَضْتُمْ (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) مِنْ بَعْدِ مَا قَبِلْتُمُ التَّوْرَاةَ (فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) يَعْنِي بِالْإِمْهَالِ وَالْإِدْرَاجِ وَتَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ (لَكُنْتُمْ) لَصِرْتُمْ (مِنَ الْخَاسِرِينَ) مِنَ الْمَغْبُونِينَ بِالْعُقُوبَةِ وَذَهَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقِيلَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ فِي الْحَالِ لِأَنَّهُ رَحِمَهُمْ بِالْإِمْهَالِ.(تفسير البغوي ج104/1)
04	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ	74	وَصَفَهُمُ اللَّهُ – تَعَالَى – بِأَنَّهُ قَدْ طَرَأَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ رُؤْيَةِ تِلْكَ الْآيَاتِ مَا أَزَالَ أَثَرَهَا مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَذَهَبَ بِعِبْرَتِهَا مِنْ عُقُولِهِمْ ، فَقَالَ) : ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً (فَالْعَطْفُ بِـ (ثُمَّ) يُفِيدُ أَنَّ الْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ قَدْ خَشَعَتْ قُلُوبُهُمْ لِمَا رَأَوْا فِي زَمَنِ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – مَا رَأَوْا ، ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ كَانَ أَمْرُ قَسْوَتِهَا مَا وَصَفَهُ – عَزَّ وَجَلَّ . وَالْقَسْوَةُ الصَّلَابَةُ وَهِيَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ (تفسير المنار،محمد رشيد رضا، ج292/1)
05	ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ	85	وَالْعَطْفُ بِثُمَّ فِي قَوْلِهِ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ لِلتَّرْتِيبِ الرُّتَبِيِّ ؛ أَيْ وَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ . وَالْخِطَابُ لِلْيَهُودِ الْحَاضِرِينَ فِي وَقْتِ نُزُولِ الْقُرْآنِ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ هَؤُلَاءِ لِأَنَّ الْإِشَارَةَ لَا تَكُونُ إِلَى

			غَائِبٍ وَذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِهِمْ " هَا أَنَا ذَا وَهَا أَنْتُمْ أُولَاءِ " ؛ فَلَيْسَتْ زِيَادَةُ اسْمِ الْإِشَارَةِ إِلَّا لِتَعْيِينِ مَفَادِ الضَّمِيرِ وَهَذَا اسْتِعْمَالٌ عَرَبِيٌّ يَخْتَصُّ غَالِبًا بِمَقَامِ التَّعَجُّبِ مِنْ حَالِ الْمُخَاطَبِ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَصْلَ الْإِخْبَارِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْمُخْبِرِ وَالْمُخْبَرِ عَنْهُ تَخَالُفٌ فِي الْمَفْهُومِ وَاتِّحَادٌ فِي الصِّدْقِ فِي الْخَارِجِ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْمَنَاطِقَةِ بِحَمْلِ الِاشْتِقَاقِ نَحْوَ أَنْتَ صَادِقٌ . (تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج585/1.)
06	ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ	199	وَقِيلَ ثُمَّ بِمَعْنَى الْوَاوِ أَيْ وَأَفِيضُوا كَقَوْلِهِ تَعَالَى " : ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا (البلد 17) "- وَأَمَّا النَّاسُ فَهُمُ الْعَرَبُ كُلُّهُمْ (تفسير البغوي، ج231/1)

-الإتّساق بـ(الفاء) في سورة البقرة:

والفاء من حروف العطف ، وتدل على الترتيب والتعقيب دون الإشراك نحو (ضربه فبكى)،و(ضربه فأوجعه)،إذا كان الضرب علة البكاء والوجع، وتكون للابتداء وذلك في جواب الشرط ،كقولك :(إن تزرني فأنت محسن)،ويكون ما بعد الفاء كلاما مستأنفا يعمل بعضه في بعض؛لأن قولك أنت ابتداء ومحسن خبره، وقد صارت الجملة جوابا بالفاء، والفاء على ثلاثة أنماط هي:الفاء العاطفة ، والفاء الرابطة ، والفاء الزائد. والترتيب نوعان:

1- **الترتيب المعنوي** : وهو أن يكون زمن تحقيق المعنى في المعطوف متأخرا عن زمن تحقيق المعنى في المعطوف عليه، وذلك نحو قولنا (قام زيد فعمر) فزمن قيام عمرو متأخر عن زمن قيام زيد،أو نحو قولنا: (نفعنا بذر القمح للزراعة فإنباته، فنضجه فحصاده).أي : زمن البذر سابق على الإنبات، والنضج ما بعده. ومنه قول ابن مالك: والفاء للترتيب باتصال وثم للترتيب بانفصال[1].والمراد بالترتيب المعنوي أن يكون المعطوف بها لاحقا متصلا بلا مهلة.

2- الترتيب الذكري: وهو أن يقع المعطوف به بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنهما في كلام سابق وترتيبها فيه، لا بحسب وقوع المعنى على أحدهما،كأن يقال لمؤرخ :حدثنا عن بعض الأنبياء كآدم، ومحمد، ونوح ـ عليهم السلام ـ فيقول: نكتفي اليوم بالحديث عن محمد فعيسى، فوقوع عيسى بعد الفاء لم يقصد به هنا الترتيب الزمني التاريخي؛ لأن زمن عيسى أسبق في التاريخ الحقيقي من زمن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،وإنما

[1] -شرح ألفية بن مالك ،ابن الناظم ،تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت،ص523

قصد مراعاة الترتيب الذكري أي:(اللفظي)، الذي ورد أولا في كلام السائل ، وتضمن ذكر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل عيسى (عليه السلام). كما يدخل في الترتيب الذكري عطف المفصّل على المجمل [1]، نحو قوله تعالى:﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ (البقرة :36) فالفاء في (فأزلهما) عاطفة على قوله (ولا تقربا)، والفاء في (فأزلهما) للتفريع مجردة عن التعقيب، فيكون التفريع عرفيا؛ لأن وقوع الإزلال كان بعد مضي مدة، هي بالنسبة للمدة المرادة من سكنى الجنة، وأما في قوله (فأخرجهما) فالفاء للتفريع عن أي، تفريع المفصّل عن المجمل لأن الإزلال عن الجنة فصّل بأنه الإخراج[2].

وكذلك قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (البقرة :54) فالفاء في قوله :(فاقتلوا أنفسكم) ترتيب ذكري وهو عطف مجمل، بمنزلة من الجملة الأولى، والفاء الثانية مؤكدة للأولى، وهو ما ذهب إليه ابن عاشور، أي: عطف مفصل على مجمل[3] . وهي عند الزمخشري للتعقيب، لأن المعنى: فاعتزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قبل أن يجعل الله توبتكم قتل أنفسكم ، ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى : فتوبوا فاتبعوا التوبة تمام توبتهم فيكون المعنى : فاتبعوا التوبة القتل تتمّة لتوبتكم. أما الفاء في قوله تعالى:(فتوبوا)، لتفريع الأمر على الخبر، وليست عاطفة يقول: (الفاء للتسبب لا غير، لأن الظلم سبب التوبة)[4].

يظهر الدور الترابطي الاتساقي للفاء من خلال وظيفتها البلاغية في السورة، ومن تلك المواقع التي نجد للفاء فيها نصيب في ربط النص، ما قاله الطاهر بن عاشور في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ (سورة البقرة:152) فقال:" الفاء للتفريع عاطفة جملة الأمر بذكر الله وشكره على جمل النعم المتقدمة، أي إذ قد أنعمت عليكم بهاته النعم فأنا آمركم بذكري"[5].

ونشير هنا إلى اهتمام الزمخشري بالعطف الداخلي بين الجمل ومعاني حروف العطف في سياقاتها المختلفة، فحين يفسّر الزمخشري الآيات (53، 54) " ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**

---

[1] –مغني اللبيب ،ابن هشام ،تحقيق محيي الدين عبد الحميد ،دار الشام للتراث بيروت ،لبنان ،**161/1**.

[2] –التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، **433/1، 434**.

[3] –المرجع نفسه، **504/1**.

[4] –الكشاف ، الزمخشري،**281/1**.

[5] – تفسير التحرير و التنوير،ج**51/2**.

وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)﴾ يتساءل الزمخشري عن الفرق في معاني الفاءات الواردة في قوله تعالى : (**فَتُوبُوا**) و(**فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**) و(**فَتابَ عَلَيْكُمْ**) قال: " فإن قلت: ما الفرق بين الفاءات؟ قلت : الأولى للتسبيب لا غير، لأنّ الظلم سبب التوبة. والثانية للتعقيب، لأنّ المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قبل أنّ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم، ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم، فيكون المعنى:فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم، والثالثة متعلّقة بمحذوف، ولا يخلوا إمّا أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلّق بشرط محذوف كأنّه قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم، و إمّا أن يكون خطابا من الله تعالى على طريقة الالتفات، فيكون التقدير :ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم"[1].وهذا دليل على اهتمام العرب بالأدوار التي تقوم بها أدوات الربط في مشاركة عناصر الإحالة في اتّساق النّص، و ليس الزمخشري سوى عيّنة من أنظاره الذين خاضوا البحث في تفسير القرآن و الكشف عن اتساقه وترابطه من خلال جميع العناصر اللغوية التي وُجِدت في النص القرآني سينا سورة البقرة. وتعليقه عن هذه الآية خير دليل على السبق الذي حضيت به هذه العناصر اللغوية من اهتمام في الفكر اللغوي العربي القديم.

ومن الفاءات الفاء العاطفة، وأصل (الفاء) العاطفة أن تفيد ترتيب حصول معطوفها بعد حصول المعطوف عليه. وقد تسمى فاء التعقيب. وهي كما تقدم تعطف المفرد والجملة. ومثالها في عطف المفرد، قول الباري سبحانه :﴿**فالموريات قدحا (2) فالمغيرات صبحا (3) فأثرن به نقعا(4)** ﴾(العاديات:2-4)، عُطفت هذه الأوصاف الثلاثة الأولى بـ (الفاء)، لأن أسلوب العرب في عطف الصفات أن يكون بـ (الفاء) وهي للتعقيب، والأكثر أن تكون لتعقيب الحصول. وقوله سبحانه: ﴿**فلما أضاءت ما حوله** ﴾(البقرة:17)، فـ (الفاء) في (فلما) للتعقيب، وهي عاطفة جملة الشرط على جملة الصلة. ونظيرها قوله عز وجل﴿ **وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض**﴾ (البقرة:164)، عَطْفٌ على صلة (ما)، الذي هو (أنزل) بـ (الفاء) المقتضية للتعقيب، وسرعة النبات.

وهناك الفاء الفصيحة، وهي:فاء دّالة على كلام محذوف تتعلّق به، و تدل على السرعة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)** ﴾(سورة البقرة:60) فالفاء في قوله:(فانفجرت) تعلقت بمحذوف إذ التقدير:فضرب فانفجرت،فهي فصيحة[2].و قد سمّى الزمخشري هذه الفاء

---

[1]– تفسير الكشاف، للزمخشري، ص:77.

[2]–فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ،وهو حاشية الطيبي على الكشاف،للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي،المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب ،د/محمد عبد الرحيم سلطان،ص:344–345.العلماء،جائزة دبي للقرآن الكريم،المكتبة الوطنية،الأردن،ط1، 1434هـ.

بالفصيحة في سورة الحجرات، وإن كانت جزائية لدلالتها على السرعة، وذلك عندما فسَّر قوله تعالى: ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12)** ﴾ :فيه معنى الشرط؛ أي:إن صح هذا فكرهتموه، وهي على الفاء الفصيحة.[1]

ومن الأمثلة على الاختلاف في تعيين معنى (الفاء)، قول الآلوسي عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **فتوبوا إلى بارئكم** ﴾ (البقرة:54)، قال: الفاء للسببية؛ لأن الظلم سبب للتوبة، وقد عطفت ما بعدها على ﴿ **إنكم ظلمتم أنفسكم**﴾، وتشعر عبارات بعض الناس أنها للسببية دون العطف، والتحقيق أنها لهما معاً. ونظير ما تقدم، قوله عز وجل: ﴿**أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم** ﴾ (البقرة:87)، (الفاء) هنا للسببية. ومثل ذلك كذلك، قوله تعالى:﴿ **ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** ﴾ (البقرة:87)، ف (الفاء) للسببية؛ فإنهم لما استكبروا، بلغ بهم العصيان إلى حد أن كذبوا فريقاً، أي: صرحوا بتكذيبهم، أو عاملوهم معاملة الكاذب، وقتلوا فريقاً.

ومنها الفاء الزائدة، وهي التي لا يختل النَّظْمُ بسقوطها، وعادة تذكر للتوكيد. مثالها قوله سبحانه: ﴿**فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ (البقرة:185)، (الفاء) في (فمن) زائدة، قال بعض النحاة: (الفاء) قد تدخل للعطف، أو للجزاء، أو تكون زائدة، وليس للعطف والجزاء ههنا وجه. ومثال هذه (الفاء) أيضاً، قوله تعالى:﴿**فليعبدوا رب هذا البيت** ﴾(قريش:3)، قال القرطبي :عمل ما بعد الفاء فيما قبلها؛ لأنها زائدة غير عاطفة. ومن أمثلتها كذلك، قوله عز وجل﴿ **فلا تخشوهم واخشوني** ﴾(البقرة:150)، (الفاء) زائدة للتأكيد.

إذا حذف الشرط كانت (الفاء) بمعنى الفصيحة ، ومعناها : أن الفاء العاطفة إذا لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفا على ما قبلها ، فيستحسن تقدير معطوف آخر بينهما ، أو هي التي تدل على محذوف قبلها ، فإن كان المحذوف شرطا فالفاء فاء الجواب، وإن كان مفردا فالفاء عاطفة، ويشملها اسم الفاء الفصيحة ، وسميت بالفصيحة لأنها أفصحت عن محذوف وهو الشرط، نحو قوله تعالى: ﴿ **وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** ﴾(البقرة :60).فالفاء في قوله (فانفجرت) هي الفاء الفصيحة[2]،أي : أن الانفجار مترتب على قوله تعالى: ﴿**اضرب بعصاك الحجر** ﴾. والتقدير :فإن ضربت فقد انفجرت[3].وهي عند الزمخشري الفاء الفصيحة ،متعلقة بمحذوف ، أي : فضرب فانفجرت، فالفاء الفصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ[4].

---

[1]–الكشاف،الزمخشري، ج1،ص:244–345.

[2] –مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص :219.

[3] – التحرير والتنوير ، ابن عاشور ،519/1.

[4] – الكشاف ، الزمخشري ، 284/1..

ومنه قوله تعالى : ﴿ **قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ** ﴾ (البقرة : 68)فالفاء في قوله" (فافعلوا) هي الفاء الفصيحة وموقعها هنا موقع قطع القدر مع الحثّ على الامتثال ، والمعنى : فبادروا إلى ما أمرتم به وهو ذبح البقرة"[1] أما قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾ (البقرة :71)فعطفت الفاء الفصيحة جملة (فذبحوها) على مقدر معلوم وهو (فوجدوها) أو (فظفروا بها)[2] ولا تعد الفاء فصيحة إلا إذا لم يستقم عطف ما بعدها على ما قبلها ، فإذا استقام فهي الفاء العاطفة.

– الإتّساق بـ (أو) في سورة البقرة:

ومن المعاني التي تفيدها "التخيير بين المعطوفين بأن يمتنع الجمع بينهما والإباحة بأن لا يمتنع الجمع "مثل الأول بقوله تعالى: ﴿ **فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ**﴾ (سورة البقرة:196). وكذلك"من معانيها التفصيل بعد الإجمال نحو: ﴿ **وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا**﴾(سورة البقرة:135).[3] ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ (سورة البقرة:106) وقالوا لا يكون مثل القرآن وخيراً منه إلاّ قرآن"[4].و قوله تعالى: ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ** ﴾ (سورة البقرة:235).

قال تعالى: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19)** ﴾(البقرة:17-19) قال الزجاج:"فأما ذكر (أو) في قوله(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي)إلى (أَوْ كَصَيِّبٍ) فـ(أو) دخلت ها هنا لغير شك، وهذه يسميها الحذاق باللغة(واو الإباحة) فتقول جالس القراء أو الفقهاء، وأصحاب الحديث، أو أصحاب النحو، فالمعنى أنّ مباح لكم في المنافقين إن مثلتموهم بالذي استوقد ناراً فذاك مثلهم و إن مثلتموهم بأصحاب الصيب فهذا مثلهم، أو مثلتموهم بهما جميعاً فهما مثلا هم"[5].

ومن وجوه العطف النصّية التي عطفت قصة على قصة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**

---

[1] – التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، 1/ 551.

[2] –المرجع نفسه،565/1.

[3]– ينظر، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،ط1،ج112/2.

[4]– ينظر، المرجع نفسه،،ج21/2–22.

[5]–معاني القرآن و إعرابه،لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج،دار الحديث القاهرة،1426هـ/2005م،ج1،ص:92.

(258) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) ﴾ (سورة البقرة :258-259) عطف قصة على قصة مع أن شرط العطف المشاكل فلا يحسن في نظير الآية (ألم تَر إلى الذي حاجَّ) (أو كالذي)[1].وبهذا يظهر دور هذا الحرف في الربط النصي.

4- بلاغة الإتساق بـ (الواو – الفاء–ثم) في النظم القرآني:

هذه الحروف الثلاثة من حروف العطف ولكنها تختلف في دلالتها واستعمالاتها في سياق النظم القرآني، فالواو مثلا يرى كثير من البلاغيين أنّها لا تفيد إلا مطلق الجمع فقط وتشريك ما بعدها للحكم بما قبلها، ولذلك يقف عندها البلاغيون لإدراك الأسرار الخفية في مجيئها أو عدم مجيئها في الكلام، ومن أجل ذلك خصّت الواو دون بقية حروف العطف الأخرى لقيام باب الفصل والوصل عليها وهو من أدق أبواب البلاغة العربية ومن أجل ذلك قصر بعض البلاغيين تعريف البلاغة على أنّها معرفة الفصل من الوصل، و لأنّ هذا الباب أكثر أبواب البلاغة ورودا في القرآن.[2]

ونجد في السياق القرآني مجيء الحروف الثلاثة(الواو–الفاء–ثم) مجموعة في سياق واحدن فيضفي كلّ حرف منها دلالة موحية ومؤثرة في سياق الكلام ومقامه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ**﴾ (الشعراء:81) فقد جمعت الآيات بين حروف (الفاء و الواو و الفاء و ثم)و كلها تفيد العطف و لكن لكل منها إيحاء ودلالة مغايرة في التعبير القرآني ففي الآية الأولى: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) جاء العطف بالفاء التي تدل على الترتيب و التعقيب لتوخي بسرعة احتياج الإنسان إلى الهداية دون أي تأخير زمني،الخلق أولا فالهداية مباشرة.ثم في الآية الثانية:(وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ)جاء العطف بالواو لتوحي بالتساوي بين الطعام والشراب دون ترتيب بينهما فليس أحدهما أولى وأهم بالنسبة للإنسان.وفي الآية الثالثة:(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)جاء العطف بالفاء مرة أخرى التي تفيد الترتيب مع التعقيب لتوحي بسرعة احتياج المريض إلى الشفاء دون انتظار أو تأخير فما أحوج المريض إلى سرعة الشفاء.وفي الآية الرابعة:(وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ)جاء العطف ب(ثم) التي تفيد التراخي؛ لتوحي بأنّ هناك مدّة زمنية بين الإماتة و الإحياء لأنّه بالفعل؛ الإحياء يأتي بعد فترة من الزمن بعد الموت فلا تصلح الواو و لا الفاء هنا و إنما ناسب التعبير بـ(ثم)التي تفيد التراخي."إن

---

[1]– البرهان في علوم القرآن،بدر الدين الزركشي،ص:44.

[2]– من بلاغة حروف المعاني في النظم القرآني، د.بدر عبد العال حسين محمد، مجّلة جامعة طيبة، للآداب والعلوم الإنسانية، المدينة المنوّرة، السنة الثانية، العدد3، 1435هـ، ص:486.

أمر العطف إذن موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة ، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل منعطف بعضا على بعض ثم نعطف مجموعة هذي على مجموع تلك ".[3]

وكذلك نلمح جمال التعبير بالواو في مجيئها مرة وعدم مجيئها مرة أخرى في المواضع المتشابهة في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)**﴾ (سورة البقرة:47) و قوله تعالى:﴿**وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ (سورة الأعراف:141).حيث جاءت الآية الأولى من غير واو(يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) وهو موضع من مواضع الفصل بين الجمل في القرآن الكريم. والسر البلاغي للفصل هو كمال الإتصال[1]حيث جاءت الجملة الثانية(يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) مفسرة وموضحة ومبينة لمضمون الجملة الأولى:(وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ)حيث فسرت و وضحت و بيّنت نوعية هذا العذاب بأنّه أقسى وأصعب أنواع العذاب وهو تذبيح الأبناء و استحياء النساء[2]. أما الآية الثانية(وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) بالواو فموضع من مواضع الوصل بين الجمل للتوسط بين الكمالين مع وجود الجامع، و الواو تقتضي المغايرة بمعنى أن يكون ما بعدها مغايرا لما قبلها، فمجيء الواو يدل على أنّ تذبيح الأبناء واستحياء النساء نوعان آخران من العذاب مختلفان ومتغايران عن العذاب الأوّل، بمعنى أنّ فرعون وجنوده عذّبوا قوم موسى بكلّ أنواع العذاب، غير أنّ هناك نوعين من العذاب مغايران تماما للعذاب السابق وهما تذبيح الأبناء واستحياء النساء فهما أصعب وأقسى أنواع العذاب، فرأينا كيف اختلف المعنى بين الآيتين عندما جاءت الواو عنه في الموضع الذي لم تأت في الواو وهذا يبيّن مدى قيمة وبلاغة الحرف في النظم القرآني.[3] "وعند ما ننظر في النظم القرآني، ونتأمل الجمل التي تلتقي بلا عطف، نجد أن هذه الجمل إما أن يكون بينهما ترابط قوي، واتصال تام يمنع العطف بالواو، وهو ما عرف عند البلاغيين بكمال الإتصال وشبه كمال الإتصال، وإما أن تكون فاقدة للمناسبة الخاصة التي تسوغ الوصل،و يجوز العطف بالواو، وهذا ما يعرف بكمال الإنقطاع وشبه كمال الإنقطاع"[4]. (فزادهم الله مرضا)..جملة معطوفة على ما قبلها و الفاء للدلالة ترتيب مضمونها عليه"[5] ففي قوله تعالى: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ﴾ (سورة البقرة:36)، وهي تفيد الترتيب ذكريا وهو عطف مفصل على مجمل"[6].ومن معانيها السببية، قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** ﴾ (سورة البقرة:37)[7]. وقد تكون رابطة للجواب حيث لا يصلح

---

[1]– ينظر، النرجع نفسه، ص:491.

[2]– ينظر، تفسير أبي سعود، 238/1 وما بعدها.

[3]– من بلاغة حروف المعاني في النظم القرآني، د.بدر عبد العال حسين محمد، المرجع نفسه، العدد3، 1435هـ، ص:492.

[4]– من بلاغة النظم القرآني،بسوني عبد الفتاح فيود،ص:211.

[5]– ينظر،تفسير أبي السعود، ج73/1.

[6]– ينظر، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،ط1،ج133/2.

[7]– ينظر، المرجع نفسه، ج134/2.

لأن يكون شرطاً بأن كان جملة فعليه فعلها جامد نحو:﴿ **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ** ﴾ (سورة البقرة:271)[1] وهي هنا لمجرد الترتيب إذ لا يمكن تقديم الجواب على شرطه.وقد تكون زائدة كما في قوله: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا** ﴾ (سورة البقرة:89)[2].

ومن الأمثلة التي يمكننا أن نفرّق بين هذه الحروف في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)** ﴾ (سورة البقرة:28).وهنا وردت أحرف العطف الزمني في هذه الآية تحدث عنها المفسرون،حيث قالوا بأن الربط بين الجملتين "كنتم أمواتا"و"أحياكم"بالفاء، ثم ذكرت جملة أخرى "يميتكم" مرتبطة بـ"ثم" فنجد هنا إبدالاً بين الحرفين شرح المفسرون السبب في ذلك أن الإحياء الأول بعد الموت كان بدون تراخ فذكرت "الفاء" لأنها تؤدي الترتيب بدون تراخ ثم رتبت و ربطت الجمل ب"ثم" لأن الموت قد تراخي عن الإحياء، الإحياء الثاني مثله متراخ عن الموت الثاني ،ذكرت في الآية حوادث متنوعة و مترتبة على الترتيب الزمني"[3].

– كل ذلك يسبب الوصل الزمني، و لكل أداة فائدة و مناسبة أدركها المفسرون ، فالمعنى للآية "كنتم أمواتاً" أي أجساماً لا حياة لها فأحياكم بخلق الأرواح و نفخها فيكم ثم يميتكم بعد حياة الدنيا تقضى آجالكم بالنشور يوم ينفخ في الصور أو للسؤال في القبور ثم إليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم"[4] .

– الإتّساق بـ"حتى" في سورة البقرة:

و اعتبرها علماء اللغة بأنها حرف من حروف التماسك الزمني بين أجزاء النص، ومما ذكره اللغويون عن المعاني التي تفيدها ثلاثة أقسام وهي:

1- حتى الجارة و معناها انتهاء الغاية.

2- حتى العاطفة التي تشرك في الإعراب و الحكم.

3- حتى الابتدائية التي تقتضي جملة بعدها.

---

[1]– ينظر، المرجع نفسه، ج134/2

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ج135/2.

[3]– التحليل النصي في التفاسير القرآنية البيانية و الموضوعية،(دراسة تحليلية في ضوء منهج نحو النص)د/فوزية ميرتاج، ص:216.

[4]–الكشاف،122/1،و تفسير الرازي،375/2، و تفسير أبي سعود،77/1.

و"من معانيها مرادفة (كي) التعليلية نحو: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ**﴾ (سورة البقرة:217)"[1] ."ومرادفة (إلاّ) في استثناء و جعل منه ابن مالك و غيره: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا**﴾ (سورة البقرة:102)"[2].

- ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ** ﴾ (سورة البقرة:222).

- ﴿ **وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ** ﴾ (سورة البقرة:196).

- ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ** ﴾ (سورة البقرة:221).

- ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ** ﴾ (سورة البقرة:187).

- ﴿ **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** ﴾ (سورة البقرة:109).

"قال مكي:ذكر جماعة أن حتى ورود من الخطاب مشعر بالتوقيت و الغاية"[3].

قال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ (سورة البقرة:222) .

أي اعتزال المؤمن من زوجته وعدم التقرب وقت المحيض منها حتى إلى وقت الطهارة، فذكرت كلمة (حتى) التي تصل بين الجمل السابقة وبين الجمل القادمة فنوع الوصل بين الجمل مرتبط بالزمن، أي وقت الطهارة يجيز المؤمن (زوجها) أن يقرب إليها ، فالمعنى للآية الكريمة :"لا تقربهن"حتى يزول عنهن الدّم، أي زمن زوال الدّم عنهن"[4]. وتفيد"حتى"في الآية الكريمة للغاية وهي التي أدت فائدة الوصل الزمني"[5]. وكذلك في قوله تعالى:﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)**﴾(سورة البقرة:214) .فكلمة حتى تقوم بدور الوصل الزمني بمعنى "إلى أن" أي:إلى وقت، وهي تصل الجملتين (**زلزلوا**) (**ويقول الرسول**) بالوصل الزمني وهذا يقتضيه السياق لأن زلزالهم أي: ابتلائهم (أهل الإيمان والتقوى) استمر إلى وقت قولهم /دعائهم لنصرة

---

[1]– ينظر، الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج122/2..

[2]– ينظر،المرجع نفسه،ج123/2.

[3]– ينظر، المرجع نفسه،،ج22/3.

[4]– التحليل النصي في التفاسير القرآنية البيانية و الموضوعية،(دراسة تحليلية في ضوء منهج نحو النص)د/فوزية ميرتاج،ص:218.

[5]– تفسير الرّازي،419/6،و تفسير أبي السعود222/1.

الله عزّوجل كما قال الزمخشري :"بلغ بهم الضجر، ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب الصبر واستطالة زمان الشهادة" وقال بعض المسفرين معناه التعليل بمعنى "كي""[1].

-الإتّساق بـ"لكن" في سورة البقرة:

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا** ﴾ (سورة البقرة:102) وهي مفسّرة هنا "بأن تنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها و بذلك لابد أن يتقدمها كلام مخالف لما بعدها أو مناقض"[2]. وهكذا فإنّ هذه الأداة الإستدراكية تؤدي وظيفة إتّساقية بفضل ما لها من خصائص وظيفية ترابطية.

5- الإتّساق عن طريق الإحالة بـ "أل"التعريف:

وهو نوع من أنواع الربط التي تتم على مستوى الجملة و النص معاً، وإذ تقوم هذه الأداة بوظيفة الإسم الموصول تقريباً كما في المثال التالي:"قبضت الشرطة على القاتِل بعد أن قفز من إحدى نوافذ شقة المقتول.ف (أل) في كل من (القاتل) و (المقتول) تؤدي وظيفة الاسم الموصول، ولذا يمكن تأويل كلمة (القاتل) بـ (مَنْ قَتَل) بالبناء للمعلوم، و(المقتول)بـ (مَنْ قُتِل)بالبناء للمجهول"[3]. ومن أمثلة ذلك في سورة البقرة، كلمة(الشهر) في قوله: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)**﴾(البقرة،185)." (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (مِنْ) شَرْطِيَّةٌ أَوْ مَوْصُولَةٌ، (وَالْفَاءُ) إِمَّا جَوَابُ الشَّرْطِ، أَوْ زَائِدَةٌ فِي الْخَبَرِ، وَ (مِنْكُمْ) فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمُسْتَكِنِّ فِي شَهِدَ وَالتَّقْيِيدُ بِهِ لِإِخْرَاجِ الصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ، وَ شَهِدَ مِنَ الشُّهُودِ وَالتَّرْكِيبِ يَدُلُّ عَلَى الْحُضُورِ، إِمَّا ذَاتًا أَوْ عِلْمًا، وَقَدْ قِيلَ: بِكُلٍّ مِنْهُمَا هُنَا، وَ الشَّهْر عَلَى الْأَوَّلِ مَفْعُولٌ فِيهِ وَالْمَفْعُولُ بِهِ مَتْرُوكٌ لِعَدَمِ تَعَلُّقِ الْغَرَضِ بِهِ، فَتَقْدِيرُ الْبَلَدِ أَوِ الْمِصرِ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَعَلَى الثَّانِي مَفْعُولٌ بِهِ بِحَذْفِ الْمُضَافِ؛ أَيْ هِلَالُ الشَّهْرِ، (وَأَلْ) فِيهِ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ لِلْعَهْدِ وَوُضِعَ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ لِلتَّعْظِيمِ، وَنُصِبَ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ فِي (يَصُمْهُ) عَلَى الِاتِّسَاعِ؛ لِأَنَّ صَامَ لَازِمٌ، وَالْمَعْنَى: فَمَنْ حَضَرَ فِي الشَّهْرِ وَلَمْ يَكُنْ مُسَافِرًا فَلْيَصُمْ فِيهِ"[4]،فإحالة كلمة (الشهر) هي إحالة إلى شهر رمضان للعلم به في بداية هذه الآية. وهذا ما حقق ربطا بـ(أل) داخل الآية.

---

[1]- تفسير الكشاف 256/1،تفسير الرّازي،379/6.

[2]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،ط1،ج148/2.

[3]- قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب،د/محمد محمد يونس علي،دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1،حزيران يونيو2013م، بيروت،لبنان، ص:78.

[4] - ينظر، تفسير الألوسي،62/2.

فعمل هذه الأداة هو عمل إحالي اتساقي لذلك صنفها علماء النص من بين الأدوات و الوسائل اللغوية التي تضيف نوعاً من التماسك النصي.

6- الدور الإتّساقي للأسماء العامّة:

أشار الباحثان هاليداي و رقية حسن إلى أن الأسماء العامّة"لا تكاد تقوم بالدور الرابطي إلاّ متى عضدها في ذلك الإقتران بالعنصر الإحالي The في الإنجلزية (أو قل بالألف و اللام في العربية)، وهو عنصر قائم على الإحالة القبلية، فتكون النتيجة أن يعمل المركب من The و الاسم المتعلق بها عمل العنصر الإحالي إحالة قبلية،كما يمكن أن يقترن بلفظ الإشارة This بدل إقرانه بـThe"[1] وهذا ما سبق الإشارة إليه في حديثنا عن أسماء الإشارة.

كما اعتبر البيانيون إطلاق الكلّ على الجزء و عكسه و غيرهما مما يمكن أن يعدّ من مظاهر الاتساق المعجمي من المجاز"[2]وهي طريقة من طرق التي تؤدي إلى معرفة الشيء الواحد بالطرق المختلفة،أي يمكننا أن نعتبر الاسم العام بؤرة إلتقاء الإحالات المعجمية، التي يفسِّرها هذا الاسم، حيث يقع تبادل إحالي معجمي متنوّع بين هذه الأسماء والكلمات التي ترتبط بالاسم العام، فكلما تقدم المتكلم في الخطاب فإنه يقوم بتحديد طاقته اللغوية وإعطائها دفعاً لغويا أقوى مما انطلقت به، وتجده أحرص الحارصين على تجديد لغة خطابه و معارفه التي تعطي للمتلقي في كل مرّة عنصرا لغوياً أو معجمياً يساهم في ترابط النص واتساقه مرّة أخرى ولعلّ هذه الصورة من أخصب الحقول لتفتّق هذه الظواهر وفشوّها.ومما يميز هذه الأسماء وهو أنّها "لم توضع بدءاً لتحقيق مثل هذا الترابط المعجمي، بل وضعت للغرض الذي وضعت له سائر الأسماء الذي من وجوهه استدعاء الشيء أو قل الإحالة على خارج الأشياء بإجراء التسمية، يشترك في ذلك أشّد الأسماء تخصيصاً كالاسم العلم وأشد الأسماء إطلاقاً وعموماً..."[3].

7- الكلمة العامة:

واعتبر الباحثان هذا النوع من العلاقة ضرباً انتقاليا واقعا على تخوم الوحدات المعجمية الخالصة والوحدات النحوية"[4]. كما تتميز هذه المجموعة من الأسماء العامّة بأنّ لها إحالة عامّة ومثل الباحثان لهذه الأسماء،

---

[1]- ينظر:أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس نحو النص،محمد الشاوش،المجلد الأول،ص:139.

[2]- ينظر:المرجع نفسه،المجلد الأول،ص:149.

[3]- ينظر:المرجع نفسه، المجلد الأول،ص:141.

[4]-أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس نحو النص،محمد الشاوش،المجلد الأول،ص:138.

ما يطلق على البشر الأماكن و الأحداث و ما شابهها"[1]. ومن المواضع التي ذكرت فيها هذه الكلمة في سورة البقرة نذكر: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (الآية 21)، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ... وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ (الآية 168). ففي استعماله لهذه اللفظة كما في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ**... ﴾ كلمة عامة وهي الناس حسب الباحثان هاليداي و رقية حسن ساهمت في اتساق الآيات التي قبلها و التي تتحدث عن الفئات الثلاثة، و"هذا تفصيل معنوي لأنه تقدم ذكر المؤمنين،ثم ذكر الكافرين، ثم أعقب بذكر المنافقين، فصار نظير التفصيل اللفظي في قوله: ﴿**ومن الناس من يعجبك** ﴾،﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ**﴾ (سورة البقرة:207)، فهو في قوة تفصيل الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق،كما فصلوا إلى من يعجبك قوله، ومن يشري نفسه"[2] فاللفظة التي ربطت بين هذه الفئات الثلاثة وضعت الإتّساق فيها بينها هي الكلمة العامة (الناس).

8- الإتّساق بالتضاد OPPOSITION / التقابل CONTRAST في سورة البقرة:

"ومن مظاهر الربط بين الجمل ما يعرف بالمقابلة، والمقابلة هي الربط بين أمرين لا يتوقف وقوع أحدهما على الآخر، وبذلك يكون التغاير هو الطابع الذي يتجلى في القول المؤلف من جمل تنظمها أدوات مثل: BUT/ ALTHOUGH /YET/NEVER/ THESS وغيرها... وهي تشبه في العربية تعبيرات مثل: على الرغم من..، ومع ذلك...، ورغم ذلك... على أن استعمال هذه الروابط لا يعني حتما وجود مغايرة ما بين الجملتين، فقد تكون إحداهما قريبة منطقيا من الأخرى، كالقول: ذهبت إلى الصيد، ومع ذلك لم أصطد شيئا. أم النوع الثاني فقد تخالف فيه الجملة الثانية توقع القارئ كالقول: جئنا في وقت متأخر، مع ذلك لم يفتنا القطار. فالخبر الذي عبّرت عنه الجملة الثانية يختلف عما هو متوقع من الجملة الأولى"[3]. فكل عبارة تحمل في دلالتها معنى التقابل تعتبر وجها من أوجه الإتّساق النصي، الذي يربط بطريقة التقابل أو التضاد المفردات والجمل. وهذا النوع يساهم بطريقة استحضار كلمات متضادة ومتقابلة من المعاني لفهم النصوص، على أن تربط المتقابلات بعضها ببعض بعلاقة التضاد.

حيث تترابط الكلمات مع بعضها البعض من خلال أشكال التقابل بأنواعها المختلفة وتقيم المقابلة "تضادا بين لفظين متناقضين على نفس المحور الدلالي وموضوعين في تراكيب متوازية ومثاله: يولد الإنسان حرا ولكنه في كل مكان يعيش مصفّدا بالأغلال "[4].

---

[1]–المرجع نفسه، المجلد الأولّ،ص:139.

[2]–تفسير البحر المحيط،لأبي حيان الأندلسي الغرناطي،ج80/1.

[3]– text and context van dijk p 81.

[4]– معجم تحليل الخطاب، باتريك شارول، دومنيك مانغنو، تر: عبد القادر مهيري، حمادي صمود، ص: 52.

ويتم الربط بين الكلمات في النص بهذه العلاقة بعدّة وسائل متنوعة: بين المكملات COMPLEMENTARE مثل(ولد- بنت)- (يقف- يجلس) والمتعارضات ANTONYMS مثل (يحب- يكره)، (يبرد- يسخن)، والمقلوبات CONVERSES مثل (يأمر- يطيع)"[1].

وتعدّ المقابلة أهمّ وسيلة من وسائل الربط بالتقابل والتضاد لأنها قد تكون موجودة"في موضع محدود جدّا أو تهيكل النص بتمامه"[2]، كما يمكن الربط بوسائل أخرى وهي" المتناقضة(نقود نظيفة/ نقود وسخة)، أو بين إثبات ونفي (يريد معرفة الحقيقة/ لا يريد الفوضى، أو بين ملفوظات بواسطة رابط استدراكي (إنه يعمل لكنّه يلهو)"[3] فعملية الربط بهذه الوسائل تظهر تماسكا في النص، من خلال سلسلة الكلمات المتواجدة في حدود الجملة أو خارج حدود الجملة.

وقد تناول أهل البلاغة ذلك، من باب أن المقابلة عنصر من العناصر البلاغية تساهم في تقوية المعنى ولم يتتبعوها كآلية معجمية مساهمة في اتساق الخطاب/القصيدة[4] ثم إن مهمة النظر إلى المطابقة من زاوية التماسك تقع على عاتق مبحث النقد الأدبي[5] وقد استشهد السجلماسي بما قاله الثعالبي: "عن دور المطابقة في الربط بين المتقبلات وصناعة نسيج النص، على امتداد دلالي معين حيث علق على بعض الأبيات قائلا: "لبعض أهل العصر بيت يجمع خمس متطابقات لكنه لا يستقل إلا بإنشاد بيتين قبله""[6] وهذه الأبيات هي:

- **عذيري من الأيام مـــــدت صروفها إلى وجه من أهوى يد النسخ والمحو**
- **وأبدت بوجه طلـــــعات أرى بـــــها ســـــهام أبـــي يحي مسددة نحوي**
- **فذاك السواد الحظ ينهى عن الهوى وهــذا البياض الوخط يأمر بالصحو[7]**

لذا فإن التقابل المعجمي يقوم على "علاقة التقابل بين أداتين معجميتين، أي شرط مساهمته في إحداث التماسك النصي، وهو وجود طرفين متضادين متقابلين يجمعهما نوع من العلاقة أو التناسب الدلالي وقد تكون علاقة التضاد بين المفردات[8] كما في قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ**

---

[1] **-TYPES OF LEXICAL COHESION IN EXPOSITORY WRITING SANDRA STOTSKY P 441.**

[2] **– معجم تحليل الخطاب، باتريك شارول، دومنيك مانغنو، تر: عبد القادر مهيري، حمادي صمود، ص: 52.**

[3] **– المرجع نفسه، ص: 52.**

[4] **– لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 132.**

[5] **– المرجع نفسه، ص: 132.**

[6] **– المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي،ص: 380.**

[7] **– نقلا عن لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، محمج خطابي، ص: 132.**

[8] **– التماسك النصي في المثل القرآني، شهلة عبد الرزاق نادر، جامعة صلاح الدين، أربيل، العراق، 2006م، ص: 26.**

وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ **(هود، 24)** "وقد حصل التضاد بين الأعمى- البصير، الأصم- السميع أين شكل علاقة ربط داخل الآية أعطتها تماسكا دلاليا واتساقا نصيا في الصورة وتكون للكاتب دور بارزا في مساعدة القراء على الإبحار داخل النّص من خلال سلاسل الكلمات المترابطة التي تخلق تماسكا في النص[1].

ويتناسب هذا التحليل مع ما عرفه الزركشي في تعامله مع القرآن حيث قال تحت قسم الحذف للمقابلة:"أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه"[2]، ففي قوله تعالى نموذجا من هذا النوع من التقابل قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)**﴾ (سورة البقرة:257)"ففي الآية الكريمة عرض لصورتين متقابلتين؛ الأولى ولاية لأوليائه المؤمنين والثانية ولاية الشيطان الكافرين، وبنيت ولاية الأولى حال أولياء الله ثم انتقل إلى الصورة الثانية،فبينت ولاية الشيطان للكافرين وحالهم حيث الخروج من النور إلى الظلمات ثم عقبت هاتين الصورتين، إذ إن هذا يدل على أن في الصورة الأولى محذوفا، وتقديره (أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون) و الدليل عليه هو ذكر المصير لأصحاب الصورة الثانية، وهي مقابلة للصورة الأولى، فكان ذلك من قبيل الإحتباك الضدي، فالدليل يحيل إلى المقدر (المحذوف)كما أنّ عناصر الصورة الثانية تحيل إلى عناصر الصورة الأولى،وعندئذ يظهر دور الإحتباك في تماسك النص مع التقابل"[3].

من أكثر أنواع التقابلات حضوراً في النص القرآني هي تقابلات من قبيل (الكفار-المؤمنين)،(الجنة-النار)،(العقاب-الجزاء)،(الخير -الشر)،و في سورة البقرة نماذج من هذا القبيل،وكمثال توضيحي نستشهد به للإتساق النصيّ بطريقة التضاد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)**﴾ (سورة البقرة:3-6)."حيث فصل بين قوله:(الذين يؤمنون) وقوله:(إنّ الذين كفروا..)لعدم وجود المناسبة الخاصة التي تسوغ وصلهما، أمّا المناسبة العامّة التي تصحح جمعهما في سياق واحد، فهي محققة، إنّها التضاد بين القصتين، قصة المؤمنين وقصة الكفرة، فهذا التضاد يؤلف بين أجزاء الكلام، ويبعث على التشويق والتطلع،

---

[1] – TEXET AND DISCOURSE ANALYSIS. RAPHAEL SALKIE ROUTLEDGE.LONDON AND NEWYORK 1995..P23.

[2]–البرهان في علوم القرآن،الزركشي،ج3/ص:129.

[3]–التماسك و التناسب،دراسة بلاغة النص القرآني،د/محمد أحمد أبو بكر أبو عامود،سلسلة رسائل جامعية،دار النابغة للنشر و التوزيع، الإسكندرية، ط1، 1435هـ/2014م، ص:184.

فالمخاطب عندما يقف على قصّة المؤمنين يتطلع إلى الوقوف على ما يقابلها ، وهو قصة الكفرة"[1] ومن الملاحظ من هذا النص،فإن ظاهرة الربط بالتضاد تعتبر من بين الظواهر الإتساقية المشكلة لبنية النص، وهي ظاهرة تُسهم في تنويع النص بالظواهر الاتساقية، وفي إثراء العلاقات الترابطية بطرق مختلفة من أجل إحكام البنية العامّة للنص، ونقصد بالنص هنا سورة القرآنية، فالخطابات الواردة للكفار كانت تقابلها دائما خطابات أخرى للمؤمنين تارة مقدمة و تارة مؤخرة، ويمكن لأي متلقي للنص القرآني أن يكتشف ذلك في أي بسورة ما شاء، سيجد أنّ ظاهرة التضاد هي طريقة من طرق الربط التي يتوازى فيها ذكر الكفار بذكر المؤمنين و ذكر الجنة بذكر النار و هكذا. فالكثير من صور التضاد وطرقه أسهمت في الاتساق النصي، و أعطت له صورة أخرى إضافية من صور الترابط والتماسك، فكأن هذين المتضادين أو المتقابلين نقيضين تَأَسَّس النص على شاكلتهما، فظهر متسقاً أكثر بهما.

وفي قوله تعالى في آية المدانة، نجد أنّ الله سبحانه وتعالى استعمل المتقابلات المتنوّعة كوسيلة من وسائل الإيضاح المعنوي، وقد ربطت بين أجزاء الآية الكريمة، و أشار إلى ذلك الدكتور سعيد جمعة، في بحث له، بيّن فيه طريقة الربط بالتقابل، وكيف أسهمت هذه المتقابلات في اتّساق هذه الآية، وهي عيّنة من عينات هذا النمط الترابطي، الذي يساهم بشكل آخر يختلف عن دور الضمائر و الأسماء الموصولة و أسماء الإشارة...إلخ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)**﴾(سورة البقرة:282)."ففي الألفاظ يُلحظ الطباق بين (رجل وامرأتان)، (وإحداهما والأخرى)،(وصغيراً أو كبيراً)، وكذا بين (أن تضل – وتُذكر)، وفي المقابلة تلحظ أيضاً هذه النماذج:

مثل المقابلة بين جملتي: (لا يستطيع أن يُمل) و(فليملل الذي عليه الحق)، وبين جملتي (أن تضل إحداهما) و(فتذكر إحداهما الأخرى)، وبين جملتي (يأبى الشهداء) و (إذا ما دعوا) وبين جملتي: (ولا يضار كاتب ولا شهيد) و(إن تفعلوا). حيث يفهم منها المضارة. وهذه التقابلات بين الجمل والمفردات تعمق المعاني المسكوت عنها في الآية؛ فالآية تضع ضوابط لمنع الخلاف بين المسلمين، وهذا يعني أن النفوس على شفا هذه الهاوية؛ فهي إذاً في وضع متقابل، أو تكاد، ومن ثم جيء بالمعاني لتصور هذا الوضع القائم بين الأطراف، ولترسم طبيعته

[1]– من بلاغة النظم القرآني،د/بسيوني عبد الفتاح فيود،ص:217.

المضادة في شأن الأموال، والتي من أجلها جاءت الآية لتطمئن، ولتضع الروابط بين هذه المتنافرات؛ حتى لا يؤدي التعامل بالديون إلى المحذور، وهو الخلاف والشقاق.[1]

9- علاقة التفصيل بعد الإجمال في سورة البقرة:

وقد علّق بعض المفسرين على قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)** ﴾ (سورة البقرة:21-25) بأن الوجه الأوّل الأقضى لحقّ البلاغة و أدعى لتلاؤم النظم في قوله تعالى،لأنّ قوله: ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** ﴾ خطاب عام يشمل الفريقين:الموافق و المعاند كما سبق، وأن قوله (وإن كنتم) إلى آخر قوله:(وهم فيها خالدون) تفصيله، فقوله:(وإن كنتم في ريب) إلى قوله:(أُعدّت للكافرين)مختص بالفريق المخالف ومضمونه الإنذار، وإنّ قوله:(وبشّر الذين أمنوا و عملوا الصالحات) مختص بالفريق الموافق، ومضمونه البشارة،كأنه تعالى أوحى إلى حبيبه صلوات الله عليه أن يدعو الناس قاطبة إلى عباد الله و يرشدهم إلى معرفته ثم أمره أن ينذر من أبى وعاند، ويبشر من آمن وعبدَ، وهذا هو المعتمد"[2]ومن هنا نلاحظ كيف لعلاقة التفصيل بعد الإجمال دور هام في توزيع العلاقات اللغوية على التفاصيل، إذ نلاحظ أن هذه العلاقات التي تبدو تتفرع من الأعلى نحو الأسفل و تتوزع معانيها في تفاصيل تشكل مُجْمَلَة المعنى العام السابق في قوله:(يا أيها الناس).إنها تلتقي بتفاصيلها عند اللفظ الجامع لها، وتشكل بهذا الإلتقاء اتساق بين العلاقات المتفرعة إلى تفاصيل، وتلعب الكلمة المستقطبة هذه التفاصيل دور آلة لتجميع المعاني، لأن التماسك ينطلق من هذه البؤرة (الكلمة) مُتَفَرِعاً نحو الأمام وعند قلب تلك العلاقة فإنه يعود متجمعاً مبنياً عن اتساق تلك التفاصيل.

---

[1]– – ينظر: البلاغة العالية في آية المداينة دكتور . سعيد جمعة، الأستاذ المساعد في جامعة الأزهر، فرع المنوفية ،ص: 107 و ما بعدها ،نقلا موقع صيد الفوائد www.saaid.net موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net

[2]–فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيب على الكشاف،الإمام شرف الدين الحسن بن عبد الله الطيّ،المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب،د/محمد عبد الرحيم،ط1،ج1،ص:346.

10- علاقة الربط بين المقدمة بالنتيجة أو العلّة بالمعلل:

وهي نوع من أنواع العلاقات الرابطية الإتّساقية، ويتحقق الاتساق بهذه العلاقة عن طريق عملية الربط العلّة (السبب) بالمعلل(المسبب) ويعد هذا النوع "من أساليب الترابط داخل النص القرآني، ويعتمد أيضا على نفس فكرة التعليل مع تبادل الأماكن وبعد تقديم العلّة على المعلل شكلا من أشكال الإقناع عن طريق الإستبدال"[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)** ﴾(سورة البقرة:05)"فهذه الآية جاءت موقع النتيجة المترتبة على ما تقدم من اتخاذ القرآن هدى وإقام الصلاة والإنفاق والإيمان بالكتب والرسل والغيب، فكانت نتيجة ذلك الهدى في الدنيا والفلاح في الآخرة"[2]. وبهذا تكون هذه العلاقة إحدى العلاقات التي ساهمت في اتساق النص، من خلال عملية الربط المنطقي التي يستحضرها العقل كلما مضى نحو الأمام في قراءة النص القرآني،حيث يكتشف العلاقة الترابطية الكامنة في البنية العميقة والتي تتماشى بالتوازي مع نظيرتها في البنية السطحية.

وما يهمّنا في هنا هو إثبات الإتّساق عن طريق علاقة التعليل، وتعتمد هذه العلاقة على الإدراك التام للمعاني لفهم العلائق بينها، ويمكن أن نسميه التعليل الخفي، وذلك لعدم ظهوره في البنية السطحية للنص واعتماده على قدرة المتلقي على ربط الجمل المختلفة"[3]. إذ تسند هذه المهمة للمتلقي من خلال تتبع النظام اللغوي التي بنيت عليه اللغة والطريقة التي اتسق بها النص، إلى أن يكشف عن الترابط المعنوي الذي يختفي وراء هذا النظام، ويتمكن من إنشاء علاقة معنوية تربط بين أجزاء المعنى المنتشر في الآية، وفي بعض الأحيان في مجموعة من الآيات، وأوّل ما يصادفنا في سورة البقرة هو قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)**﴾ (سورة البقرة:02)"فإنّ هذه الجمل تترابط فيما بينها بعلاقة التعليل فجملة (الم) تفيد التحدي وذلك التحدي علته كون القرآن كتاباً كاملاً لا يشابهه أي كتاب ولا ينازعه فهو مفهوم من خلال القصر في جملة (ذلك الكتاب)بتعريف طرفي الجملة، فدليل التحدي و علته كونه كتاباً كاملاً، ثم جاءت الجملة الثالثة علّة لكونه الكتاب الكامل، فعّلة هذا الكمال أنّ الشك و الريب لا يصل إليه، ثم جاءت الجملة الأخيرة لتبني على ما تقدم، فهي بمنزلة النتيجة التي قررها ما قبلها، فكونه متحدى به ولكونه كتاباً كاملاً لانتقاء الريب عنه تلزم ذلك أن يكون مصدراً للهدى"[4].

---

[1]-التماسك و التناسب ،دراسة في بلاغة النص القرآني،محمد أحمد أبو بكر أبو عامود، ص:399-400.

[2]- ينظر، المرجع نفسه،ص: 400.

[3]- المرجع نفسه، ص:394.

[4]- المرجع نفسه، ص:394.

وهذا ما بيّنه الزمخشري في الكشاف حيث قال:" وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها ببعض، فالثانية متحدّة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة، بيان ذلك أنه نبّه أولاً على أنه الكلام المتحدى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، فكان تقريراً لجهة التحدي وشداً من أعضاده، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب،فكان شهادة وتسجيلاً لكماله لأنه لا كمال أكمل للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة...ثم أخبر عنه بأنه (هدى للمتقين) فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله، وحقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة"[1]. وقد ارتبطت هذه الآيات فيما بينها بدون حروف العطف،و اتسقت بتراكيبها لانسجام معانيها و تداعيها لبعضها البعض،فنتج عنه اتّساق بين التحدي المرموز له بالحروف (الم) و بين وصف الكتاب نفي الشك عنه، وأنه مصدر الهداية للمتقين، ثم تلا ذلك قوله تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)**﴾ (سورة البقرة:07)،وهذه آية تعليل للآية التي قبلها،لأن علّة استواء الإنذار من عدمه مختومة على قلوب المنافقين، فلا يعرفون الحق، و كون الغشاوة على أبصارهم فلا يبصرون الحق وعلى سمعهم فلا يسمعون الهدى، قال السيوطي في كتابه قطف الأزهار:"ختم الله على قلوبهم" بيان تركهم الإيمان"[2] .

ومن الأمثلة التي تعزز مساهمة هذه العلاقة في اتساق النص،قوله تعالى: ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9)**﴾(سورة البقرة:09) وهي آية تتعلق بالمنافقين وذكر أوصافهم بما يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر وهو نوع من الخداع تستعمله هذه الفئة من الناس، وهذه الآية تعليل للآية السابقة وبيان لها ، وهي ترتبط بالآية السابقة أشد الارتباط لأن قوله: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)**﴾ (سورة البقرة:08) ارتبطت بالآية التي سيقت بعدها ارتباطا مباشراً تعليليا خالي من أدوات وحروف العطف، فاتصلت البنيتين التركيبين للآيتين من خلال البنية العميقة لهما، لأنّ الفعل (يخادعون) يدل على وجهين من المعاملة مختلفين وهذا ما أشارت إليه الآية في قوله (آمنا) بإثبات الإيمان لهم وإقرارهم، وهذا ظاهر إدعاءهم، أمّا في باطنهم وهو حقيقتهم فإنه نفي للإيمان (وما هم بمؤمنين) وهذا ما أشار إليه سعيد النورسي حين قال "واعلم أنّ وجه النظم إشارات جلّها إلى التوبيخ على النفاق ثم تشنيعه ثم تقبيحهم ثم تهديدهم عليهم ثم

---

[1]–تفسير الكشاف،الزمخشري، ص:37

[2]–قطف الأزهار في كشف الأسرار،السيوطي،جلال الدين، تحقيق، د.أحمد بن محمد الحمادي، قطر، وزارة الأوقاف القطرية، ط1، 1414هـ/1994م، ج1،ص:182.

ترهيبهم ثم التعجب منهم ثم بيان مقصدهم من قولهم المذكور ثم بيان علّة قولهم"[1] لأنّ علّة قوله (آمنّا) مع إبطانهم الكفر هو ظنهم أنهم يخادعون الله والذين آمنوا، لكنهم يجهلون أنه سبحانه وتعالى يعلم ما في صدورهم.

ومن أمثلة هذه العلاقة كثير في سورة البقرة وللمتلقي أن يكشف بنفسه ذلك الإتّساق المتوّزع على آيات السورة كلها فإذا ما لاحظ اختفاء الروابط اللفظية والنحوية في النص، عليه أن يمعن نظره في البنية العميقة للآيات، وتتبع المعاني حتى يظهر بجلال ذلك الإتّساق التركيبي الذي يفضي إلى انسجام معنوي بين السبب والنتيجة، ونذكر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70)** ﴾ (سورة البقرة:70) وقوله تعالى أيضا: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)** ﴾(سورة البقرة:190)فالربط واضح هنا بواسطة (إنّ)،التي كثيراً ما تربط بين السبب والمسبب، وهذه علاقة يطلب فيها المسبب سبب الربط.

ومن الآيات التي تدّل على علاقات الربط السببي في سورة البقرة ما يلي:

-20-70-109-110-148-115-143-153-173-181-182-190-195-
199-222-237.[2] و الأمثلة كثير في هذه السورة عن تحقيق الترابط بهذه العلاقة في سورة البقرة.

ويظهر هذا الربط (الوصل) في صور مختلفة منها "إن"الشرطية و "لا التعليل"،و "كي" التعليلية و "الفاء السببية".و"يكون معنى الشرط والجزاء ويكون الربط والوصل بينهما، ويكوّن علاقة السبب (الشرط) والنتيجة (جواب الشرط)"[3]. "الوصل (الربط) السببي وهو الذي يظهر في صورة الربط بين السبب و النتيجة بين أجزاء النص، سواء أكان مفردين أو جملتين أو مجموعة من الجمل وبعبارة أخرى هو الوصل المنطقي أي العلاقة المنطقية بين أجزاء النص وتندرج تحته علاقات السبب والنتيجة التي التي تظهر غالباً الأحيان في أسلوب الشرط وفي الجمل التي تستخدم فيها أدوات التعليل مثل"كي و "الفاء" و "لِ"و غيرها"[4]. ومن وروده في قوله عزّ و جل: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)** ﴾(سورة البقرة:23-24) ."إن" في بداية الآية يدل على تحقيق المخاطب علم المتكلم بتحقق الشرط توبيخا على تحقق

---

[1]–إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز،سعيد النورسي،تحقيق إحسان قاسم ،سوزلر للنشر، ط4، 2004م، ص:92.

[2]–ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة،ج570/1.

[3]– الجنى الدّاني في حروف المعاني ،لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري المالكي(ت 749ه)تحقيق :د/فخر الدين قباوة،الأستاذ محمد نديم فاضل ،دار الكتب العلمية،بيروت ، ولبنان،ط1413،1ه/1992م،ج191/1.

[4]– التحليل النصي في التفاسير القرآنية البيانية و الموضوعية،(دراسة تحليلية في ضوء منهج نحو النص)د/فوزية ميرتاج،الجامعة الإسلامية العالمية،إسلام آباد،باكستان،جمادى الأولى 1434ه/2013م،ص:218.

ذلك الشرط"[1]، "فعبر ب"إن" للربط و التعلق، والشرط كونهم في ريب في القرآن الكريم و جواب الشرط الذي: "فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ " قوله:" وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ "،أيضا معطوف على جواب الشرط، إذن حرف"إن" ربطت جملةَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ " بالجملتين:" فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ "و " وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ " من حيث أن الجملة الأولى تكون سببا و الجملتان تصبحان نتيجة في صورة الشرط و الجزاء"ثم ذكرت"إن"مرة ثانية "إن كنتم صادقين"بدأت علاقة جديدة للوصل في صورة الشرط فالجملة "كنتم صادقين" شرط جوابه يقدر"إن كنتم صادقين في أن محمدا – صلى الله عليه و سلم– قال من عند نفسه:"فافعلوا هذا الذي طلب منكم"[2]، "فالوصل جاء بين الشرط الذي هو مذكور و بين النتيجة التي هي مقدرة"[3]. "ثم ذكرت "إن "مرة ثالثة و جاءت بشرط في قوله"لم تفعلوا"والذي جوابه:"فإتقوا النار"أي في صورة عدم الفعل للمضارعة وعدم القدرة على ذلك سيصلون إلى النار التي أعدت لهم،فقيل لهم:إتقوا النار إن لم تفعلوا المعارضة"[4].

11– الإتّساق بعلاقة ذكر الخاص بعد العام في سورة البقرة:

"فالعام لفظ يستغرق الصالح له من غير حرص، وصيغته (كل) مبتدأ نحو"﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26)**﴾ (سورة الرحمن:26)نحو:﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30)** ﴾ (سورة الحجر:30) و(الذي) و(التي) وتثنيتهما...و (أي) و(ما) و(من)شرطاً واستفهاماً موصولاً... والجمع المضاف... والمعرف بـ(أل)... واسم الجنس المضاف.. و النكرة في سياق الشرط و في سياق الامتناع"[5].ومن أمثلة الربط بهذه العلاقة قوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238)**﴾، (سورة البقرة:238)، تجد أن الصلاة الوسطى قد خصّت بالذكر بعد أن ذكرت مدرجة في الصلوات، فهذا من قبيل ذكر الخاص بعد العام تنبيها إلى مزية الخاص وزيادة فضله"[6]، والربط بهذه العلاقة من فائدته التوّجه بالمتلقي من ذكر العموم ثم الاهتداء إلى الخاص للحصر والتخصيص، وهو يساهم في اتساق النص كما تساهم في ذلك علاقة التفريع، وإننا لنجد مثلا آخر في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)**﴾ (سورة البقرة:98) ،فذكر (جبريل وميكائيل) وهما ملكين مدرجين من الملائكة، ثم أعيد تمييعهما عنهم بذكرهم صراحة في تركيب الآية، وفي هذا يقول محمد الطاهر بن عاشور:"وخص جبريل بالذكر هنا لزيادة الاهتمام بعقاب معاديه، وليذكر معه ميكائيل، ولعلهم عادوّهما معا، أو لأنهم زعموا أنّ جبريل رسول الخسف والعذاب،

---

[1]– تفسير التحرير و التنوير،1/337.

[2]– التحليل النصي في التفاسير القرآنية البيانية و الموضوعية،دكتوراه فوزية ميرتاج،ص:222.

[3]– التحرير و التنوير1/337–338

[4]– إعراب القرآن و بيانه،لمحي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت:1403)،دار الإرشاد،سورية،ط4، 1410هـ،1/58.

[5]– الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي،ج3/09.

[6]–من بلاغة النظم القرآني،بسيوني عبد الفتاح فيود،ص:225.

وأنّ ميكائيل رسول الخصب والسلام، وقالوا نحن نحب ميكائيل فلما أريد إنذارهم بأنّ عداوتهم الملائكة تجر عليهم عداوة الله، أعيد ذكر جبريل للتنويه به وعطف عليه ميكائيل لئلا يتوهموا أنّ محبتهم ميكائيل تكسب المؤمنين عداوته"[1]. وهذا ما قاله تقريبا ابن كثير، حين قال:"وهذا من باب عطف الخاص على العام فإنّهما دخلا في الملائكة في عموم الرسل، ثمّ خصّصنا بالذكر لأنّ السياق في الانتصار لجبرائيل، وهو السفير بين الله وأنبيائه، وقرن معه ميكائيل في اللّفظ لأنّ اليهود زعموا أنّ جبرائيل عدوّهم وميكائيل وليّهم" [2].وبذا فيكون المفسّرون قد تمثّلوا أهميّة العطف في ترابط النصّ واتّساقه، كما تمثّلوا آلية هذا العطف في توضيح دلالات السياق و انسجامه مع النصّ، وتبيّنوا الأشكال المتعدّدة التي يأتي عليها العطف في السياقات المختلفة. كما نجد أنّ السياق الخارجي والأحداث الخارجيّة تركت لها أثرا خطيّا داخل النّص تمثّل في اقتران بعض الألفاظ معا. ومن أنواع العلاقات التي تنبّه لها المفسّرون بين العاطف والعطوف عليه علاقة العموم و الخصوص.

12 - علاقة الجزء بالكل: PARTE TO WHOLE

وتنشأ هذه العلاقة بذكر جزء من الشيء الذي سبق ذكره في النص: "(صندوق-غطاء الصندوق) و(الحجرة- المنزل)"[3] أين يرتبط الجزء المذكور في النص، بالشيء ذاته الذي سبقه في الذكر، وعندما يذكر الكاتب شيئا كالصندوق في بداية نص ما فإنه لا محالة أن توجد علاقة بين عبارة (غطاء الصندوق) التي تأتي بعد المذكور السابق وللقارئ (المتلقي) دور كبير في الكشف عن هذه العلاقة لأنه مطالب بأن يبق يقظا على امتداد النص، للكشف عن هذه العلاقة التي تربط بين الصندوق وغطائه وهذا من تجليات التماسك النصي واتساقه. وهذا ما جاء على سبيل المثال في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ**

---

[1]-تفسير التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج1/623.

[2] – تفسير ابن كثير، 1/ 115.

[3]– ينظر: علم لغة النص، النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، ص: 109.

عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)﴾[1](البقرة، 67-74). فمطالبة بني إسرائيل نبيّهم بتحديدها بدقة جعلت الله سبحانه وتعالى يضيّق عليهم في أوصافها، وهذه الأوصاف كانت ترد حسب ما يسألون ويطلبون. حيث تبدأ بتساؤلهم ثم يأتيهم الجواب بتحديد تلك الأوصاف التي تعبّر عن أجزاء من البقرة، وليس كل البقرة، وهي كما يلي:

- ما هي : كان سؤالهم عن سن البقرة ، وهذا مما يظهر من الجواب وكل الأوصاف التي ذكرت في هذا المقطع تعبّر عن جزء مكمّل للبقرة التي يريد الله سبحانه وتعالى ذبحها. (**بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ- لَوْنُهَا- بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ- بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا**)، وهذه الأوصاف هي لبقرة بني إسرائيل جاءت بد أن ذكرت البقرة، ثم بدأت التحديدات لها من خلال ذكر بعض صفاتها وهي أوصاف خاصة بهذه البقرة لا غيرها من البقر، بعد أن ذكرت في البداية على أنّها بقرة من عموم البقر والأحاديث والروايات كثيرة عن ذلك منها حديث الْمُثَنَّى قَالَ ، حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ ، حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ غَنِيًّا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ، وَكَانَ لَهُ قَرِيبٌ وَارِثُهُ ، فَقَتَلَهُ لِيَرِثَهُ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ عَلَى مَجْمَعِ الطَّرِيقِ، وَأَتَى مُوسَى فَقَالَ لَهُ: إِنَّ قَرِيبِي قُتِلَ وَأُتِيَ إِلَيَّ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا يُبَيِّنُ لِي مَنْ قَتَلَهُ غَيْرَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ . قَالَ : فَنَادَى مُوسَى فِي النَّاسِ : أُنْشِدُ اللَّهَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ هَذَا عِلْمٌ إِلَّا بَيَّنَهُ لَنَا . فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ عِلْمُهُ . فَأَقْبَلَ الْقَاتِلُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ ، فَاسْأَلْ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يُبَيِّنَ لَنَا . فَسَأَلَ رَبَّهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ :(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) . فَعَجِبُوا وَقَالُوا : (أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ)- يَعْنِي :(لَا هَرِمَةٌ)- (وَلَا بِكْرٌ) - يَعْنِي :(وَلَا صَغِيرَةٌ) - (عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ) أَيْ : نِصْفٌ ، (بَيْنَ الْبِكْرِ وَالْهَرِمَةِ) - (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا) - (أَيْ : صَافٍ لَوْنُهَا) - تَسُرُّ النَّاظِرِينَ - (أَيْ تُعْجِبُ النَّاظِرِينَ)-(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ) (أَيْ : لَمْ يُذَلِّلْهَا الْعَمَلُ) -(تُثِيرُ الْأَرْضَ) - (يَعْنِي لَيْسَتْ بِذَلُولٍ فَتُثِيرُ الْأَرْضَ) - وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ - (يَقُولُ : وَلَا تَعْمَلُ فِي الْحَرْثِ - مُسَلَّمَةٌ) ، (يَعْنِي : مُسَلَّمَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ)لَا شِيَةَ فِيهَا - (يَقُولُ : لَا بَيَاضَ فِيهَا) - قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ . (قَالَ : وَلَوْ أَنَّ الْقَوْمَ حِينَ أُمِرُوا أَنْ يَذْبَحُوا بَقَرَةً ، اسْتَعْرَضُوا بَقَرَةً مِنَ الْبَقَرِ فَذَبَحُوهَا ، لَكَانَتْ إِيَّاهَا ، وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ . وَلَوْلَا أَنَّ الْقَوْمَ اسْتَثْنَوْا فَقَالُوا : (وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ)، لَمَا هُدُوا إِلَيْهَا أَبَدًا . فَبَلَغَنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا الْبَقَرَةَ الَّتِي نُعِتَتْ لَهُمْ ، إِلَّا عِنْدَ عَجُوزٍ عِنْدَهَا يَتَامَى ، وَهِيَ الْقَيِّمَةُ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُمْ لَا يَزْكُو لَهُمْ غَيْرُهَا ، أَضْعَفَتْ عَلَيْهِمُ الثَّمَنَ . فَأَتَوْامُوسَى فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا هَذَا النَّعْتَ إِلَّا

[1] – الفارض : الكبيرة الهرمة. – البكر : الصغيرة. –عوان : ما بين الكبيرة والصغيرة. – فاقع : أي شديدة الصفرة. – تسر الناظرين : أي تعجب الناظرين. – تشابه علينا : أي اشتبهت علينا أوصاف البقرة. – لا ذلول : أي لم يذلّلها العمل بإثارة الأرض بأظلافها. – مسلمة : أي بريئة من العيوب. – لا شية فيها : أي لا وَضَحَ فيها يخالف لون جلدها ، و الوَضَح هو البياض.

عِنْدَ فُلَانَةَ ، وَأَنَّهَا سَأَلَتْهُمْ أَضْعَافَ ثَمَنِهَا . فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى : إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَانَ خَفَّفَ عَلَيْكُمْ، فَشَدَّدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَأَعْطُوهَا رِضَاهَا وَحُكْمَهَا . فَفَعَلُوا ، وَاشْتَرَوْهَا فَذَبَحُوهَا . فَأَمَرَهُمْ مُوسَى أَنْ يَأْخُذُوا عَظْمًا مِنْهَا فَيَضْرِبُوا بِهِ الْقَتِيلَ . فَفَعَلُوا ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ رُوحُهُ ، فَسَمَّى لَهُمْ قَاتِلَهُ ، ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا كَمَا كَانَ . فَأَخَذُوا قَاتِلَهُ – وَهُوَ الَّذِي كَانَ أَتَى مُوسَى فَشَكَى إِلَيْهِ ، – فَقَتَلَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْوَأِ عَمَلِهِ[1].

13– الارتباط بموضوع معين: association with particular topic

ويتحكم فيها سياق معين، وذلك عندما تصب العناصر المعجمية في وعاء النص حيث يتم الربط بينهما، لظهورها في سياقات متشابهة [2] فتظهر علاقة الترابط ببين العناصر المعجمية حسب طبيعة الموضوع، ويتحكم في ذلك الحقل المعجمي للموضوع نفسه مثل (ماركس التغيير الاجتماعي، صراع الطبقة الاقتصادية، وقد سماها محمد خطابي بعلاقة التلازم الذكري مثل : "المحاولة– النجاح، المرض– الطبيب، النكتة– الضحك)"[3] فالكثير من الكلمات يلازم ذكرها سياق معين ثم تتكرر في سياقات متشابهة حسب طبيعة الموضوع و كما أشرنا بأنّ التّضام أيضا هو الترابط الأفقي الطبيعي بين الكلمات أو رفقة الكلمات وجيرتها كلمات أخرى في السياق نحو: "أهلا وسهلا " وقد تطور هذا المفهوم [4]وكذلك نجد أن "المصاحبة بين الفعل والفاعل والمضاف والمضاف إليه، والصفة والموصوف، والمبتدأ والخبر، والمعطوف عليه والمعطوف، تسهم في الترابط المعجمي داخل نصوص، وتحقق التماسك النصي؛ لأن الظهور المشترك للكلمات وارتباطها بموضوع معين يسهم في صنع وحدة النص، ويسهم في تنوع الموضوعات التي يبنى عليها"[5].وهنا تبرز أهمية التضام باعتباره ظاهرة شكلية كبرى تصور أسلوب تآلف الكلمات في اللغة ثم استخدام الصورة التآلف في إعطاء المعنى العام للتركيب الكلامي "[6].

ومن أمثلة ذلك آية المداينة في سورة البقرة، وهذا نصها: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ**

---

[1] –تفسير الطبري، ج1/184–185.

[2]– ينظر علم اللغة النص، النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد ص: 109

[3]– ينظر لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي ص: 25

[4]– أبحاث النحوية واللغوية، نادية رمضان النجار القسم الأول الإسكندرية، دار الوفاء للنشر ط1، 2006م ص: 15.

[5]–علم لغة النص،سعيد حسن بحيري،ص:175.

[6]– أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة فاضل مصطفى الساقي، تقديم: تمام حسان، القاهرة مكتبة الخانجي، د، ط1397هـ 1977م، ص: 195.

تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:282)، حيث نجد كلمات مثل (تداينتم-دين-كاتب- يكتب- شاهد- الشهداء- امرأتان- رجل-تبايعتم-تجارة....)ألفاظ كلها تفرغ شحنتها الدلالية في موضوع المداينة، لأن الموضوع المتحدث عنه هو موضوع واحد وفي آية واحدة. فكان هذا الحشد من الألفاظ في هذه الآية هو إتّساق متوسع لعدة جذور من الألفاظ، كالمداينة والكتابة والشهادة. حيث صيغت منها عدة كلمات و بصيغ مختلفة، وأدى التفافها حول الموضوع تماسكا شديدا لهذه الآية، وبهذا التماسك يظهر اتساقها.

14- دور الإتّساق الكلي(العام) وأثره في فهم النصوص:

عندما يتشكل النص بضوابط نحوية نظامية متكررة ومتنوّعة؛ فإنّ مثل هذا يقودنا إلى غربلة النصوص التي تكون اللغة السليمة سمة من سماتها، ومظهرا من مظاهرها، وبها نستطيع الحكم على مدى اتساقية هذا النص من عدمها وحتّى قلّتها لأنّ"دور الإتّساق في نشأة النص إنّما هو توفير عناصر الإلتحام والترابط بين عناصره، وما ينشئ النص هو النصيّة TEXTUEL أو قواعد صياغة النص بإعتبارها جانبا من نظام اللغة أو بإعتبار الإنسجام جزءا منه"[1].

"ويعبّر الإتساق عن الترابط بين جزء وآخر من أجزاء النص، ومن الهام أن نؤكد على أنّ النصيّة لا تنحصر في هذا الترابط، فليس البناء الدّاخلي للجمل وسائر وحدات النص أقل قيمة من هذا الترابط. وتستمر نقاط الترابط أثناء حدوث الخطاب. أي من نقطة إلى أخرى في النّص على الصعيد الدلالي. وهذا الترابط الحاصل عن الإتّساق هو الذي يجعل السامع أو القارئ قادرا على إرجاع العناصر المنسية المسكوت عنها (أو المضمرة بعبارة النحاة العرب)"[2]. لأنّ هناك عناصر أخرى لم يتم تناولها في هذه المباحث تساهم مساهمة حقيقية في صناعة إتساق النص، وقد تزيد أو تنقص حسب الضرورة التي تحتاج إليها البنية النصية، ويكون ذلك حسب خصائص كل نص أو سورة، فظاهرة التكرار ميزة واضحة ومهيمنة على سورة الرحمان مثلا، كما للسور ذات النظام القصصي طابعا سرديا، وما هو معروف عن السور القرآنية أنه لكل سورة خصائص تنفرد بها عن باقي السور، وتكون لغتها متميّزة عن لغة السور الأخرى دون أن تخرج عن السياق اللغوي العام للقرآن الكريم. وفي

---

[1]- ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس"نحو النص" محمد الشاوش"، المجلّد الأوّل، ص:150.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، المجلّد الأوّل، ص:150.

رأي هاليداي ورقية حسن: "تظهر الروابط عن طريق الأدوات بين الجمل أكثر وضوحا لأنها المصدر الوحيد لخاصية النص"[1].

إنّ مساهمة العناصر اللغوية في بنية النص، وبالآليات التي سبق ذكرها يعد إعجازا لغويا في النص القرآني، لأنّ تشكل الإتساق النصي لا يكون في النصوص دونها، وغيابها يعني غياب نصية السورة القرآنية، ويكمن أثر هذه العناصر والآليات من خلال تشابكها حسب النظام اللغوي لكل سورة، حيث يساهم كل بحضورها وغيابها (الحذف) في صناعة نسيج النص اللغوي للسورة، التي تحقق الإنسجام مع ما هم خارجي عن النص القرآني، كالسياق وأسباب النزول.

[1] – المرجع نفسه، ص: 99.

الباب الثالث:

أثر الإنسجام في النص القرآني.

- تمهيد:

يقوم اللسانيون بتحليل النصوص تحليلا لغويا نصيا، فيكتشفون من خلال هذه الممارسة مدى تماسك المنظومة اللغوية التي يتشكل منها أي نص، لذا وجب فهم المصطلحات اللسانية النصية فهما سليما يتطابق مع كيفية إخضاعها للتحليل من خلال الآليات الفعلية والإجرائية التي تعرف بها النصية أي نص. وهذا إذا علمنا أن الكثير ممن يخلطون بين المصطلحين النصيين الإتّساق (COHESION) والإنسجام (COHERENCE) يجدون صعوبة كبيرة في الفصل بين القواعد النصية والإجراءات المتبعة في تحليل النّصوص، و لأجل ذلك فإنّهم يرون أنّ "التماسك مرهون في مفهومه وأهميته في الدراسات النصّية والنقدية بالتحديد الدقيق، للمراد به اصطلاحا، وبآليات ذلك الاصطلاح الشكلية أو الدلالية وبطريقة انتقال النص، وبجنس النص، أو بنوعه"[1] فقد قدّم بعض الباحثين مصطلحان في علم اللغة النصّيّ، وهو مصطلح (COHERENCE) الذي اخترنا له تسمية (الإنسجام) من بين المسمّيات الكثيرة والمختلفة التي أطلقها عليه المترجمون، وكذا هو الحال مع المصطلح السّابق (COHESION). وقد جاء هذا المصطلح (الإنسجام) (COHERENCE) عند بعض الباحثين ردّا على مصطلح الاتّساق (COHESION) الذي قدّمه هاليداي وحسن اللذان يصفان به وحدة النصّ التي تتحقّق بوجود علاقات الترابط بواسطة الأدوات النحوية الموجودة داخل النصّ، وإن كانا قد أشارا في بحثهما إلى أَنَّ هذا المفهوم إنما هو مفهوم دلاليّ—كما ذكرنا آنفا- يعنى بالعلاقات المعنويةّ داخل النصّ، إلاّ أَنَّهما كانا على مستوى التطبيقات، لا يقصرانه على المستوى الدلاليّ، بل ينشغلان برصد مظاهره في مستويات أخرى كالنحو والمعجم.

ويرتكز انسجام النص ووحدته" على مجموعة من العناصر التي تشكل الروابط المختلفة جزءا أساسيا منها، إذ أنها وسائل لغوية تعمل على تنظيم عناصر الخطاب، كما أن انتظام الجمل فيه دليل على انتظام العناصر المكونة لعلامة ذلك النص"[2] إن خضوع النص لنظام لغوي متماسك ومستمر حسب السياق الداخلي هو الذي يعطي للنص مظهر الانسجام فتجاذب الوحدات اللغوية، والبنى التركيبة المتنوعة فيما بينها لحاجة الواحدة منها إلى أخرى، ذلك ما يتحقق به الانسجام اللغوي داخل حدود النص، ولذا فإن أي باحث لغوي يؤمن إيمانا راسخا بأن الكلمة في نص ما. أنها اكتسبت دلالتها الأسلوبية من تحاورها مع الكلمات الأخرى التي تقع معها في خط أفقي، حيث تتشابك الدلالات الحقيقية بظلال المعاني لتلك الكلمات، فتكتسب إيماءات وتأثيرات خاصة، لهذا فإن رصد قوائم غير سياقية ليس له أية قيمة أسلوبية. [3]

---

[1]– مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية، جمعان عبد الكريم، علامات النادي الأدبي الثقافي، جدّة، المملكة العربية السعودية، جمادى الأولى1428هـ/مايو2007م، ص: 216.

[2] – دراسة لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص: 96.

[3] – المرجع نفسه، ص: 80، 81.

ولهذا سوف نحاول قدر المستطاع إيجاد آلية نصية فعلية وإجرائية تفرق بين الإتّساق والإنسجام عند تحليل النصوص والكشف عن مدى التماسك الذي ينظم كل التراكيب المنضوية تحت نص ما، حسب جنسه أو نوعه، فمن غير المعقول أن نردف بينهما ونجعل الإتّساق هو الإنسجام، ويظهر هذا في التّعاريف اللغوية والاصطلاحية التي جمعت في هذا البحث فالعمل "الأهم للسانيات النص فهو بالأحرى دراسة مفهوم النصية (TEXTULITY) من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص"[1]. لذلك يقترح دي بوجراند بعض المبادئ العامة التي تصلح أساسا للنّصانية/ النصّية، واعتبرها مؤشرات هامة في إنشاء النصوص وهو في هذا الجانب قد بين بعض الفروق والمؤشرات التي تفصل بين المصطلحين، وقد نركزّ على أهم المعالم الفاصلة بين المصطلحين وجعلها حدودا قائمة خاصة في الدراسات الوصفية.

[1]– النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص: 95.

الفصل الأوّل:

أثر الإنسجام ومبدأ السياق في النّص القرآني.

أوّلاً- الإنسجام (COHERENCE):

1- تعريف الإنسجام:

- لغة:

ورد في لسان العرب ثلاث معاني لمادة (سجم) في قول ابن منظور: "سجم : سَجَمَتِ الْعَيْنُ الدَّمْعَ وَالسَّحَابَةُ الْمَاءَ تَسْجِمُهُ وَتَسْجُمُهُ سَجْمًا وَسُجُومًا وَسَجَمَانًا : وَهُوَ قَطَرَانُ الدَّمْعِ وَسَيَلَانُهُ ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا ، وَذَلِكَ السَّاجِمُ مِنَ الْمَطَرِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : دَمْعٌ سَاجِمٌ . وَدَمْعٌ مَسْجُومٌ : سَجَمَتْهُ الْعَيْنُ سَجْمًا ، وَقَدْ أَسْجَمَهُ سَجَّمَهُ وَالسَّجَمُ الدَّمْعُ وَأَعْيُنٌ سُجُومٌ : سَوَاجِمُ ; قَالَ الْقُطَامِيُّ يَصِفُ الْإِبِلَ بِكَثْرَةِ أَلْبَانِهَا:

- ذَوَارِفُ عَيْنَيْهَا مِنَ الْحَفْلِ بِالضُّحَى سَجُومٌ كَتَنْضَاحِ الشِّنَانِ الْمُشَرَّبِ "[1].

وقال أيضا:"... وَانْسَجَمَ الْمَاءُ وَالدَّمْعُ ؛ فَهُوَ مُنْسَجِمٌ إِذَا انْسَجَمَ أَيِ انْصَبَّ"[2] فقد ضم هذا التعريف معنى السيلان والانصباب وهذا ينتسب مع سلاسة المعاني وترابطها في سياق معنى.

وفي (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس. أن" سَجَمَ السِّينُ وَالْجِيمُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ صَبُّ الشَّيْءِ مِنَ الْمَاءِ وَالدَّمْعِ . يُقَالُ سَجَمَتِ الْعَيْنُ دَمْعَهَا . وَعَيْنٌ سَجُومٌ ، وَدَمْعٌ مَسْجُومٌ . وَيُقَالُ أَرْضٌ مَسْجُومَةٌ : مَمْطُورَةٌ "[3]، ومن خلال هذا التّقصي للمعاني المتعلقة بالمادة (س.ج.م) نجد أنها تدور حول: (القطران والصّب والسّيلان)، وهذه المفردات توحي بالتتالي والتتابع والإنتظام وعدم الانقطاع عند الإنحدار، وإذا ما ربطنا هذه المعاني بالكلام المنطوق نجد أنّ الانسجام متحدر كتحدر الماء المنسجم[4] . وهذا ما يدل على سلاسة التتابع دون تصنّع في الكلام، حيث يشبه هذا التدفق سيلان الكلام من اللسان. وقد توسع المفهوم في بعض المعاجم اللغوية العربية الحديثة وزيدت فيه إضافة إلى المعاني القديمة مفاهيم جديدة، كتلك التي جاءت في معجم (اللغة العربية المعاصر) لكلمة (انسجمت) ومن بين المعاني التي دلت عليها هذه الكلمة في المعجم ما يلي: "انسجم الكلام: انتظم ألفاظا وعبارة من غير تعقيد كان سلسا أنيقا، متوافقا في الأفكار والشعور والميول"[5] والإنسجام كلمة مفردة تدل على مصدر الفعل (انسجم)[1].

---

[1] – لسان العرب، ابن منظور، ج12/ 280.

[2] – المصدر نفسه، ص: 281.

[3] – مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس محمد بن زكريا، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط2، 1399هـ/1979، ج3، / 136.137.

[4] – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وإعجاز القرآن، ابن الأصلع المصري، تح: حنفي الحسن، دار المعارف، القاهرة، ص: 429.

[5] – معجم اللغة العربية المعاصر، عمر، أحمد المختار، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1428هـ/2008م، مج 2، ص: 1037.

أمّا في معاجم الترجمة فقد كان هناك خلط بينه وبين الإتّساق، لذلك سيء استخدامهما وتطبيقهما عند وصف النصوص في الدراسات اللغوية لاكتشاف مدى نصيّة أي نصّ، فـــ "الفعل (COHERE) ترجم في اللغة الانجليزية بـ: يترابط، يتماسك، ينسجم، يلتصق بعضه ببعض، يتساوق (منطقيا).

وترجم المصطلح COHERENCE – COHERENCY بـ: 1- التحام، تماسك. 2-ترابط (منطقي). والصفة فيه هي : COHERENT 1- ملتحم، متماسك.2- مترابط (منطقيا). أمّا المصطلح COHESION فقد ترجم بـ" تماسك، ترابط، التحام، التصاق، جاذبية التماسك (فيزياء). COHESIVE ADJ مترابط، متماسك، تماسكيّ" [2] لذلك فإنّ عدم الدقّة في الترجمة أدى إلى سوء استخدام هذا المصطلح. وهذا ظاهر من خلال عملية الترجمة التي ساوت بين الإتّساق والإنسجام.وسنوضح رأينا في ذلك فيما بعد.

- اصطلاحا:

يوصف النص أنّه بنية لغوية، تحكمه مجموعة من العلاقات اللغوية المتنوعة، حيث تتوالى التراكيب وتنظم فيه المعاني بنظام محكم، وتخضع له العناصر اللغوية حسب قواعد اللغة "فوجود علاقات متنوعة ومتداخلة بين عناصر النص ومقاطعه، يعبر عنها بالإنسجام والتماسك"[3]. ويعد مصطلح الانسجام جانبا من جوانب المهمة في دراسة النص أو تحليل النص والخطاب، وذلك "بعده الوحدة الكبرى، فهو ذو طبيعة دلالية متعلقة ومشروطة بمدى التماسك الكلي للنص، لذلك فإن الذي يحدد إطارها هو المتلقي"[4].

وأشهر تعريف اصطلاحي للإنسجام هو التعريف الذي جاء على لسان ليفاندو فيسكي الذي عرفه قائلا: "ليس الإنسجام المحض خاص من خواص النص، ولكنه أيضا حصيلة اعتبارات معرفية بنائية عند المستمعين أو القرّاء (الإنسجام حصيلة تفعيل دلالي) (...) ينهض على ترابط معنوي بين التّصورات والمعارف من حيث هي مركب من المفاهيم وما بينها من علاقات، على معنى أنها شبكة دلالية مختزنة، لا يتناولها النّص غالبا على مستوى الشّكل فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمم (الإنسجام) الضروري أو ينشئه"[5].كون

---

[1] – معدم اللغة العربية المعاصر، ص: 1037.

[2]– قاموس المصطلحات العلمية والتقنية، إنجليزي– عربي، أحمد عودي، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، بيروت، لبنان، 2008م، ص: 113.

[3] – مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصّبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، 2008م، ص: 86.

[4]– ينظر: علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ج94/1.

[5] – ينظر: محمد العبد، حبك النص، منظورات من التراث العربي، مجلة الفصول، العدد59، ربيع2002م، ص: 55.

الخطاب يحمل دلالات مختلفة يسودها الغموض، والمتلقي وحده هو القادر على فك ذاك الغموض من خلال ربط معاني الجمل. وقد جعل دي بوجراند وزميله دريسلر الإتِّساق المبدأ الأوّل للتّماسك النّصّي حين اتخذا الإنسجام المبدأ الثاني من مظاهر النصية ويعبّر به عن : "التّرابط المنطقي للبنية العميقة للنص"[1] .ونجد في تعريف دي بوجراند ودريسلر أنّهما يقصدان "العلاقات المنطقية التصويرية التي تجعل النّص مترابطا. وإن خلا من بعض الروابط الواردة في المعيار السابق"[2] وهو الإتساق، لأنه"يعتمد على المتلقي في هذا الصدد، وعلى علاقات داخلية وعناصر مقامية متعالقة يتم بواسطتها فهم النص"[3].ويشير الباحثان في الكثير من النصوص إلى أنّ اللغة وسيلة من وسائل صناعة اتساق النص وبنائه أمّا الإنسجام فهو يتعدّى حدود اللغة إلى ما هو خارج النص .

وعرّف كريستال الإنسجام بأنّه: "خاصيّة تناغم المفاهيم والعلاقات في النّص بحيث تستطيع تصوّر الاستدلالات المقبولة فيما يتعلق بالمعنى للنّص"[4]، وهنا ننبه إلى استعمال كريستال للفظة (المقبولة) التي تشير "إلى أهمية أن يوصل الإنسجام الفهم المراد للمتلقي بوسائل مقنعة يتقبلها المتلقي وهذا أوج الإنسجام وقوّته"[5]. وهذا ما يعني أنّ هناك وسائل أخرى تتدخل في توصيف النص بهذه الخاصية خارجة عن اللغة. كالمخاطب/ المتلقي، الظروف....إلخ. ويرى فان دايك أن الإنسجام هو "خاصية دلالية للخطاب تقوم على تأويل الجملة الواحدة بعد الأخرى لأن الخطاب يحمل دلالات مختلفة يسودها الغموض والمتلقي هو الذي يزيح عنها ذاك الغموض من خلال ربطه معاني الجمل بعضها ببعض" ونفس المفهوم نجده عند هاليداي ورقية حسن في تعريفهما للإنسجام على أنّه "مفهوم دلالي يحيل إلى علاقات المدلول التي توجد داخل النص والتي تعرفه كنص، إن الانسجام يظهر عندما نؤوّل عنصر في الخطاب بربطه بعنصر آخر؛ الواحد يفترض الآخر"[6]. وأوضح (دي بوجراند و درسلر) إلى أَنَّ المعنى الكلّي للنصّ أكبر من مجموع المعاني الجزئيّة للمتواليات الجمليّة التي تكوّنه، ولا تنجم الدلالة الكليّة عنه إلا بوصفه بنية كبرى، فالنصّ ينتج معناه عن تفاعل مستمر بين أجزائه، ومن ثمّ ينظر إلى ذلك الانسجام الداخلي بين الدلالات الجزئيةّ، وليس إلى ذلك الانتقال المعهود والمنظّم من الجزء إلى الكلّ[7].

وهكذا يكون الإنسجام مطلب دلالي تشارك فيه أطرف الخطاب والتحاور وهي التي تستطيع تحقيق التقارب المفهومي بينها، حتى يتمكن الخطاب/النص من تحقيق الإستمرارية التي تكمّل بنيته لتحقيق التواصل بين

---

[1] – لسانيات النص، النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني، نموذجا، ليندة قياس، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م، ص: 25.

[2]– مدخل إلى علم لغة النّص، تطبيقات لنظرية روبرددي بوجراند وولف جانح درسيلر، إلهام أبو غزالة حمد، ص: 11.

[3]– أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، جاسم علي جاسم، ص: 14.

[4] – أصول تحليل الخطاب، محمد شاوش، 108/1نقلا عن ADICTIENSIENARY OF LING UISTICS DICTIONRY OF APPLIED DAVIDE KRYCTAL.P55.

[5] – التّرابط النصي في الخطاب السياسي، سالم بن محمد بن سالم المنظري، ص: 52.

[6] – ينظر: سميائية النص الأدبي، أنور المرتجي، إفريقيا الشرق، تونس، 1987م.ص: 87.

[7] – ينظر: سعيد حسن بحيري ؛ص: 141.

المتلقي والمخاطب. وللخطاب دور مهم لا يقل أهمية عن عنصري الخطاب إذ لا بد له أن يرد منسجما تمام الإنسجام في طرح القضايا والمعلومات التي يشترط فيها التتابع الدلالي والتسلسل المنطقي عند ورودها، لأنّها وسيلة لتحقيق المقاصد والغايات بواسطة لغة معيّنة في النص والخطاب.

أمّا في بعده التّداولي، فإنّ الانسجام يوافق "العلاقة التّداولية الحاصلة"بين قولين. ويمكن أن تتخذ أشكالا مختلفة وتوافق قرائن متعدّدة، مثل: العائد ووجود الرّوابط والتّضمينات إلخ... ويمكن أن نقدّم لذلك القولين التالين:

-زيد: كم السّاعة؟

-عمرو: لقد مر ساعي البريد منذ حين."[1]

فالقولان السابقان لا يظهر بينهما الإرتباط إلاّ إذا ما أخذنا في ذلك ظروف إنتاجهما وهي ظروف سياقية خارجة عن اللغة. والأوّل يتساءل عن الساعة،بعبارة (كم هي؟) والثاني يتحدث عن توقيت مرور ساعي البريد. وهذان القولان لا يبدوان منسجمين إلا إذا تدخلت ظروف الإنتاج وسيّقتها ضمن موضوع معيّن. وهنا نذكر تعريف "سوفنكسي SOUVNSKI" الذي يشير للإنسجام بطريقة مبسطة ويربط فيها النّص بالموقف الاتصالي، بحيث يشترط في الانسجام العملية التّواصلية، ويرى أنّه: "يقتضي للجمل والمنطوقات بأنّها محبوكة (أي منسجمة) إذ اتّصلت بعض المعلومات فيها ببعض في إطار نصّي أو موقف اتّصالي، اتّصالا لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات"[2]. وهذا ما وقف عليه دي بوجراند انطلاقا من مقابلته للإتِّساق عندما رأى أنّ نّصيّة النص القائمة على شكل؛ يقابلها الإنسجام باعتباره نصيَّة قائمة على الإعلام... فالإتِّساق في نظره مظهر للنّحويّة في حين أنّ الإنسجام مظهر للمقبولية.

2- الإنسجام في المفهوم العربي:

ذكرت لفظة الإنسجام في العديد من الكتب، ومما وجدناه في بعض ما جاء في كتاب (ألف ليلة وليلة) في حكاية العاشق والمعشوق ما نصه:"فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينيه بالإنسجام وقال: هيهات يا ملك الزمان!"[3]. وأورد الجاحظ في بعض أخبار (البيان والتبيين) ما يشير إلى معيار

---

[1]- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر/آن ريبول، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عز الدين المجدوب، سلسلة اللسان، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2001م، ج2، ص: 565.

[2]- النص والخطاب والاتصال، محمد العيد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 1423هـ/2005م، ص: 91.

[3]- ألف ليلة وليلة. الليلة السابعة بعد المئة، حكاية العاشق والمعشوق، ج1، الليلة1- الليلة 131، كتاب ناشرون، بيروت لبنان، ص:461.

"الإنسجام" في علم النص، وهو ترابط الكلمات دلاليا، فقد"قال بعض الشّعراء لصاحبه: أنا أشعر منك، قال: ولم؟ قال لأنّي أقول البيت وأخاه، وتقول البيت وابن عمه، وقال عبيد الله ابن سالم لرؤبة. مت يا أبا الجحاف إذ شئت. قال: وكيف ذلك؟ قال: رأيت اليوم عقبة ابن رؤبة ينشد شعرا له أعجبني. فقال: رؤبة، نعم، إنّه ليقول ولكن ليس لشعره قِرَان"[1] وهنا قد توحي لفظة (قِرَان) اِقْتِران المعاني وتناسبها، حتى تظهر منسجمة في النّص الواحد فالشاعر في نظر رؤبة هو الذي يخلق الإنسجام بين الأبيات حتى تصير نصا، وليس في قول أشعار لا يربط بينها أي رابط فأن تقول بيتا من الشّعر سهلا عنده. ولكنه ليس من السّهل أن تقول قصيدة منسجمة حتى تلقى القبول عند السامع. ويسوقنا هذا النّص إلى فائدة وهي أنّ الانسجام ليس الإتِّساق بل يحتويه وأكثر...

وذكر السيوطي المصطلح في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) فقال: "الإنسجام: أن يكون لخلوه من الانعقاد منحدرا كتحدر الماء المنسجم ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة، والقرآن الكريم كله كذلك...، وقد جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوّة انسجامه "[2]. إنّه هنا يربط علاقة اللفظ وانسجامه مع التركيب، وهي إشارة إلى أن النصوص تستمد انسجامها انطلاقا من انسجام التراكيب عن طريق تخير الألفاظ في أماكنها.

وكان للرافعي ذكر للفظة الانسجام عندما شغف بجمالية الخطاب القرآني في إعجازه وقوّة نظمه وانسجامه، فيميّز عن ذلك بكلمات صادقة يقول فيها:"فإنّه متلقي القرآن إنما يسمع ضربا خالصا من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطرّاد نسقه واتّزانه على أجزاء النفس مقطعا مقطعا ونبرة نبرة كأنها توقعه توقيعا ولا تتبلور بلورة"[3].وممن استعملوا هذا المصطلح السيد الطباطبائي في كتابه (الميزان) حيث استعمله عدة مرات، كما في قوله: "وأما وقوع الآية بين ما تقدمها وما تأخر عنها من الآيات فهي كالمتخللة المعترضة إلا أن ها هنا احتمالا ربما صحح هذا النحو من التخلل والاعتراض –وهو غير عزيز في القرآن– وهو جواز أن تتنزل عدّة من الآيات ذات سياق واحد متصل منسجم تدريجيا في خلال أيام ثم تمس الحاجة إلى نزول آية أو آيات ولما تمت الآيات النازلة، على سياق واحد تقع الآية بين الآيات المعترضة المتخللة وليست بأجنبية بحسب الحقيقة وإنما هي كالكلام بين الكلام لرفع توهم لازم الدفع"[4]، ويقول المفسّر في مكان آخر ذاكرا هذا المصطلح وبمفهومه

---

[1]– البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن حجر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1405هـ/1985م، ج205/1.

[2]– الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،ج1/ 169.

3– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، ، بيروت، لبنان ،ط9، 1393هـ– 1973م، ص: 212– 213.

[4]–تفسير الميزان، ج368/5.

اللساني الحديث، "...يؤيده أن آية ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (الأحزاب: 33) على انسجامها واتصالها لو قدر ارتفاع آية التطهير من آية من بين جملها فموقع آية التطهير من آية (وقرن في بيوتكن) كموقع آية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ**﴾ (المائدة: 3)"[1]، وهكذا نجد أن هذا المصطلح موجود في الدراسات اللسانية العربية القديمة، خاصة كتب التفاسير، وبنفس المفهوم الذي أشارت إليه اللسانيات النصية الحديثة.

وقد ذكر المصطلح بمرادفات أخرى لمصطلح الإنسجام في الكتب القديمة، فهناك من أطلق عليه مصطلح السبك ورادفه له كالبقاعي والطاهر بن عاشور، وقد أشار كل واحد منهما إلى هذا المصطلح، حيث قال الأوّل:"اشتملت هذه الآية على الذروة من حسن المعاني... مع ما لها من جلالة السبك وبراعة النظم"[2]، وقال بن عاشور:"وجاء نظم الكلام على هذا السبك البديع"[3].

أمّا عند أهل البديع فإنهم يولون الكلمة موضعا مهما في عملية الإنسجام حتى تصبح منسجمة مع السياق الذي سيقت فيه، وهذا مفهوم يقرّبنا بكثير إلى مفهوم الإنسجام في لسانيات النص الحديثة، ومن النصوص التي وجدنا لها ذكرا في كتبهم، أنهم قالوا: "وإذا قوي الإنسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوّة انسجامه ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونا فمنه من بحر الطويل،﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾(الكهف: 29) وذكروا من الكامل:﴿**وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾(البقرة: 213)"[4]. و أودره ابن أبي الأصبع في كتابه تحرير التحبير، و المراد منه:"أن يأتي الكلام منحدرا كتحدر الماء المنسجم سهولة سبك وعذوبة ألفاظ حتى يكون للجملة من المنشورات والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره مع خلوّه من البديع وبعده عن التصنيع"[5].

وهذا ما يؤكد أسبقية العرب في استخدامهم لمصطلح الإنسجام الذي قارب مفهوم الإنسجام في لسانيات النص الحديثة. والأدلة كثيرة في كتب التراث، التي توحي باستخدام العرب لمصطلح الإنسجام في دراستهم النصية خاصة في معالجتهم لنصوص من القرآن، لأن تحليل النص القرآني وصف بأنه متسق ومنسجم

---

[1]– المرجع نفسه، ج: 16/ 318.

[2]– نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، لإبراهيم بن عمر بن حسن بن على بن أبي بكر البقاعي، 350/12.

[3] - التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور،204/10.

[4]– الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج1/ 169.

[5]– ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تحقيق: الدكتور خفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، الطبعة الثانية (دت)،ص:431–433.

قبل التطبيق. وهذا ما دفعهم لإيجاد طرق وآليات لإثبات ذلك، فقوّة اللغة التي بني عليها القرآن والأساليب التي ارتقى بها سبقت دراساتهم، ثم إنّ تلك الدراسات جاءت للكشف عن اتساقية السّور وانسجامها.

ومن المعاصرين الذين وظّفوا هذا المصطلح، محمد العبد الذي يرى أن مفهوم الإنسجام (COHERENCE) يرجع إلى الأصل اللاتيني (COHARERENTIA) وهو مستعار من علم الكيمياء[1] كما نجد الكثير من علماء النّص في العربية، استعملوا مصطلحات مختلفة وكثيرة، ولكنّها لم تبتعد عن نفس الدّلالة. فترجم محمد خطابي المصطلح الأجنبي (COHERENCE) "بالإنسجام" وتمّام حسان "بالالتحام" ومحمد مفتاح "بالتّشاكل" واستعمل كلّ من الباحثين سعد مصلوح ومحمد العبد.مصطلح الحبك. ليعرّفه "سعد مصلوح" بأنّه "الاستمرارية الدّلالية التي تتدلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"[2] وهو يقصد بالحبك هنا الإنسجام.

3- أهمّ خصائص الإنسجام:

يعتبر مفهوم "الانسجام لصيقا (INHÉRENT) بمفهوم النص ومكوّنا له بل إنّ الإنسجام يعادل مفهوم النص ومفهوم النصية"[3].و"الإنسجام من المفاهيم التي وظفها علم لسانيات النص الحديث في الكشف عن التلاحم القائم بين الجمل والفقرات والنص بكامله، بمعنى أنه يشكل وضعية الخطاب في الأعمال الأدبية، تقوم على التناسق الفني الذي يقيها التشتت والالتباس في ذهن المتلقي مما يضعف جاذبية النص، ويفقده حيويته"[4].ويعمل الإنسجام على بناء النص أكثر ترابطا وأكثر تماسكا مما يحقق التواصل بين المتلقي والمنتج والنص، وبه يصل إلى غاية إبداعه. فلا يعدّ انسجام الخطاب شيئا معفى. بل موجودا في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه وإنما هو شيء يبنى، أي: ليس هناك نص منسجم بذاته ونص غير منسجم بذاته باستقلال عن المتلقي، بل إنّ المتلقي (السامع أو القارئ) هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى الآخر بأنه غير منسجم، إذ يقوم بإدماج النص أو المقطع اللغوي ضمن عمليات عقلية معقدة تشبه عمليات الحاسوب تقوده في نهاية المطاف إلى الحكم على انسجام النص من عدمه أي: "أنّ الخطاب يستمد انسجامه من فهم المتلقي

---

[1] – ينظر: محمد العبد، حبك النّص، منظورات من التراث العربي، مجلة فصول، العدد 59، ربيع 2002م، ص: 55.

[2] – نحو آجرومية النّص الشعري، سعد مصلوح، مجلة فصول ع2، 1991م، مج: 10، ص: 54.

[3] –Lund quist (L) : la cohérence textuelle : syntaxe sémantique, pragmatique, NYT Noddiskforlag. Kobenhavn, 1980, P :17,

[4]– جمالية الخطاب في النص القرآني، لطفي محمد، ص: 217.

وتأويله"[1]. وبالإضافة إلى ما سبق فإنّه يمكننا حصر خصائص الإنسجام من مجموعة من الألفاظ، استنتجنها من آراء رواد هذا العلم وهي:

إنّ الإنسجام أو التماسك النصي الذي نقصده هنا هو أحد الآليات التي يستقبل من خلالها القارئ النص فهو"لا يتعلق بمستوى التحقق في اللسانيات ولكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية..."[2]. بمعنى أن الإنسجام يضمن التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام. ويرى "براول ويول" أنّ الإنسجام خاصيّة غير معطاة في النّص، بل يكتشفها القارئ من خلال استحضاره تجاربه السّابقة، وهذا يعني أنّ هناك عناصر أخرى تساهم في خلقه منها المتلقي فهو عنصر متفاعل مع الخطاب، وله أن يحكم على النّص بالإنسجام أو من عدمه، فالمتلقي جزء من المعنى يساهم في تأويل النص، وكلما تحقق ذلك التفاعل تحقّقت خاصية الإنسجام.

والإنسجام معيار من معايير النّصية يمتاز بالشّمولية والوضوح، ليصحّ التّأويل ويتحقق التّواصل. ويرتبط هذا المعيار "بمجموعة من العلوم الأخرى مثل الأنتروبولوجيا، التّاريخ، علم النّفس الإدراكي.... وغيرها من العلوم"[3] وللإنسجام علامات خاصّة متميّزة تحدّد أبعاد النّص الجزئية والكليّة على حدّ سواء، تبرزه مختلف أدواته وآلياته الإجرائية [4]، لأنّ الدور الذي "يؤديه الإنسجام من تناسق فني في العمل الأدبي يعد ضرورة من ضروريات تكوين النص، ووضعية كبرى لا سبيل لقبوله وتذوق جماليته والتواصل مع طروحاته بدونها "فهو الذي يشكل الوحدة الدّاخلية لوحة واحدة لا مكان فيها للتجزئة إلى عناصر...كأنها الوحدة العضوية التي تجمع أجزاء الكائن الحي..."[5].ويظهر الإنسجام بقوّة في العلاقة بين عالم النّص الداخلي وعالم الوقائع الخارجي، خاصّة بعناصر الإحالة، وكان لمحمد مفتاح نظرة واسعة حول الإنسجام، حين ربط العلاقات بين عالم النّص وعالم الواقع. و"لكي يكون النّص منسجما، يجب ربطه بقصد شامل، أي إلى (غاية إنشائية) محايثة لنوع خطابها، وهذا ما يسمح للمتلفظ المشارك بتبني سلوك مطابق اتجاهها: لأنّ انسجام النّص يتم من خلال سبل مختلفة وهذا وفق طبيعة الملفوظ: إشهار، وصفة أكلة، قصيدة سوريالية"[6].وبهذا نستطيع تلخيص هذه الخصائص على النحو التالي:

---

[1]– ينظر: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، مفتاح بن عروس، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2008م، ص: 122.

[2]– القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسانيات، أوزوالديكرو، جان ماري سشفايقر، ترجمة: د. منذر العياشي، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2007م، ص: 541.

[3]– ينظر مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر الجزائر، ، ص: 171.

[4] – ينظر المرجع نفسه، ص: 168، 171.

[5]– في الأدب والبيان، محمد بركات أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1984م، ص: 117.

[6]– المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، باتريك شارود، ودومينيك منغنو، ص: 20.

أ- يتحقق الإنسجام بعملية التلقي عند (المخاطب/المتلقي) للنص الذي يشارك بالفهم في صناعته.

ب- للإنسجام علاقة بين عالم اللغة وعالم المتصورات في العالم الواقعي الحقيقي، وهذا ما يعني أنّ النص وليد تجربة عاشها المنتج.

ج- ينتج الإنسجام بفعل التتابع التدريجي للمفاهيم والمواضيع التي يغلب عليها الطابع البنيوي في النص الواحد ويعالج موضوعا واحدا ومفاهيم موّحدة. وبين عدّة نصوص تصب دلالتها في موضوع معّين تنسجم فيه بتكامل ملحوظ.

د- ينطلق الانسجام من النص(اللغة) لبناء علاقة بالمتلقي خارج النص.

هـ- يشارك المتلقي بتجاربه السابقة (بخلفيته المعرفية/ ومرجعيته الثقافية...) في تحصيل نتيجة الفهم من النص معتمدا على هده التجارب.

و- عند تأويل النصوص على المتلقي(المؤوّل) أن يقرن بين العالم اللغوي والعالم الخارجي عن النص بطريقة يتقبلها المنطق والعقل.

ز- يمتاز الإنسجام بشمولية كبيرة عند التعاطي مع النصوص. وله أن يستعين بمختلف العلوم التي يراها اللساني ضرورية عند التأويل والفهم.

ح- يساهم الإنسجام في تحديد ملامح النص، انطلاقا من مكوّناته الجزئية، كون النص / الخطاب بنية كلية تساهم فيه أجزاءه في عملية البناء العام (الكلي).

ط- يستطيع المتلقي توصيف النص بإنسجام المعاني من خلال الوحدة الموضوعية للقضايا المعالجة فيه.

ي- للإحالة دور مهم في عملية تبلور الإنسحام، وذلك بفعل العمل الإحالي للعناصر اللغوية في النص مع العناصر المحال إليها في عالم الواقع، ولا يمكن التقوّل بالإنسجام ما لم تكن هناك علاقة منسجمة بين اللغة والمتصورات.

ك- لا بدّ من تقصيد النص وتغريضه نحو غاية معيّنة تتماشي وهدف المخاطب باستعمال لغة معيّنة وخاصة بالمواقف التواصلية التي تهيمن عليها الظروف في كلّ الأحوال، حتى يستقبل المتلقي رسالته بيسر عندما يكون على دراية بالمقصود.

ل- يمثل سلوك المتلقي المتطابق مع الرسالة ومقصود المرسل الصورة النهائية لفعل الإستجابة، فإن ظهر الإنسجام بين قول المرسل والمتلقي وتطابق مع مضمون الرسالة وقصدها، ولوحظت استجابة سريعة مهما كان نوعها من طرف المتلقي عندئذ يمكننا أن نحكم على هذه العملية بالإنسجام، أما إذا كانت هناك مخالفة بين هذه العناصر (المرسل/الرسالة/المرسل إليه) فإنّ بوادر أزمة فهم مقصود الكاتب من النص تكون قائمة دون تجسيد للرسالة.

4- علاقة الإنسجام في البنى النصّية الكبرى:

وهي تلك العلاقات المتكاملة فيما بينها التي يتأسس بها النص،"وتتطلب دراسة النص عند روبرت دي بوجراند ثالوث من الاتجاهات وهي:

أ- النحو: الترابط الرصفي.

ب- الدلالة: الترابط المفهومي.

ج- التداولية: أعمال- خطط- أغراض (علاقة المتلقي بالنص)".[1]

وربما يمكننا إدراج مبدأ السياق في العمل التداولي الفعلي للخطاب، وقد أبان الكثير من اللسانيين عن الدور الذي يلعبه السياق باعتباره العنصر المهيمن على معيار الإنسجام. يقول ستيفان أولمان: "إنّ نظرية السياق تمثل حجر الأساس في علم المعنى"[2] حيث تدرس العلاقات التي تنشأ بين اللغة والسياق والمتكلم والسامع، والظروف الزمنية والمكانية، وتراعي بذلك مقاصد المتكلم وظروفه، وكيفية وصول الكلام إلى السامعين وظروفهم المحيطة بهم. وهنا نشير إلى أن الإنسجام غير موجود في النص وغير بارز مثلما تبرز أدوات الإتّساق وعناصره اللغوية، بل إنّ المتلفظ هو الذي يترصده ويتوان بناءه على أساس تشاركي في عملية تحقيق النصية، فهذه الطريقة هي التي نميز بها النص عن اللانص لأنّ "الحاجة للإنسجام هي نوع من الشكلي القبلي A PRIORI للتلقي الخطابي والحال، وإن الحكم الذي يقتضي بأنّ النص منسجم أو غير منسجم قد يتغير وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسياق والحجة التي يخوّلونها للمتلفظ"[3]، وإذا تعلق الأمر بتحليل نص ووصفه من ناحية الإنسجام، فإننا نجد أنفسنا تحت جبرية التلقي، وفي هذه العملية تتداخل ثلاث بنيات حسب

---

[1]- ينظر: النص والخطاب والإجراء روبرت دي جراند، ص: 86 وما بعدها، وينظر: نحو النص اتجاه جديد، النظرية علم النص، د. أحمد عيفي، ص: 103.

[2]- دور الكلمة، ستيفن أولمن، تحقيق كمال بشر، دار غريب للنشر والطباعة، مصر، 1997، ص: 66.

[3] – **Lund quist** (**L**) : **la cohérence textuelle** : **syntaxe sémantique**, **pragmatique** ,**P** : **52**.

لاندكيست (LUNDQUIST) وهي البنية الموضوعية (STRUCTURE THEMATIQUE)، ومعها البنية دلالية (STRUCTURE SÉMANTIQUE)، ثم البنية التداولية (STRUCTURE PRAGMATIQUE)، وتعتبر هذه البنى هي الأسس التي يقوم عليها النص، غير أنه لا ينسجم إلاّ إذا كان هناك متلقي يفهم ويؤوّل"فالنص يملك أو يحتوي على بنى تتدرج ضمنها العناصر الاتساقية"[1]. ويضع لاندكيست (LUNDQUIST) العناصر الاتساقية (اللغوية) خادمة للإنسجام الذي يتعدى حدود النص المعطى والمنتج ويساهم فيه المتلقي بدرجة تفوق تلك التي يحوزها المتكلم (المخاطب).

مخطط توضيحي للبنى وعلاقتها بالنص عند لاندكيست(LUNDQUIST)

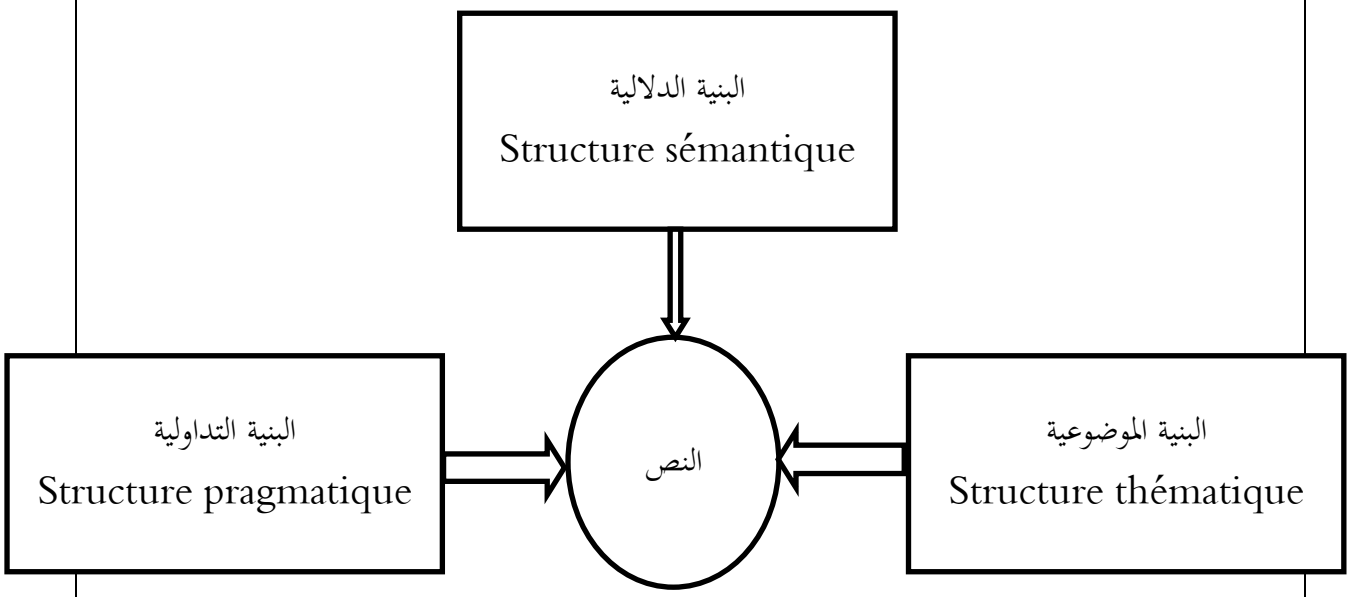

كما يعتبر الإنسجام من أهم العناصر التكوينية للقيمة الجمالية للخطاب في الأعمال الأدبية الكبرى، من حيث الغنى والطابع المفهومي للتعبير الأدبي، فهو يجسد خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكوّنة للنص في علاقاتها بما يفهم من الجمل الأخرى...فهو ليس خاصية تجريدية كالأقوال ولكنه ظاهرة تأويلية ديناميكية من الفهم المعرفي، تتدخل فيها أنواع عديدة من المعارف الذاتية[2]، وانطلاقا من هذا التحديد فإن

[1] **–Ibid**, **P** : **54**.

[2] **– ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، ص: 239– 240.**

الإنسجام يتصل بعوالم الدلالة والسياق والتداولية[1]، فالقارئ في هذه الحالة يجسد المرتكز الأساس الذي يعتمد عليه في تحقيق الانسجام النصي من خلال فعل القراءة المراعى للآليات المكوّنة لهذه البنية داخل النص[2].

وقد وضع أحمد عفيفي مخططا عاما يشرح فيه أهم القواعد التي تساهم في تشكيل الخطاب (النص) بداية من الأصوات والتراكيب وصولا إلى المعنى والسياق التداولي، ليظهر الانسجام بين البنيات الكلية للنص.

المخطط يوضح أهم القواعد المساهمة في انسجام الخطاب عند أحمد عفيفي

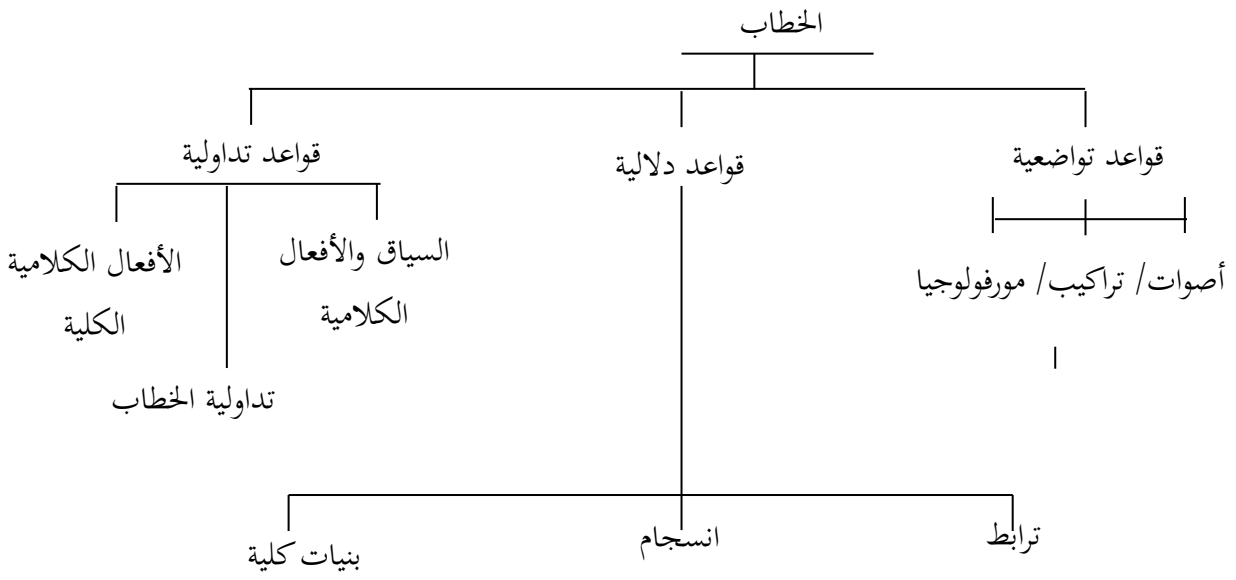

ويكون هذا"من خلال تأملات المتلقي في النص المنجز أمامه، الأمر الذي يقتضي أن يقال بأنه لابدّ من وجود قضية مركزية (محورية) يتقابل أمامها المبدع والمتلقي متواجهين أو غير متواجهين والأمر"[3] "ليس بهذا الشكل دائما فقد نجد نصا يضم قضايا متعددة، وقد نجد نصا عبارة عن أصوات معتبرة تمتنع عن أن يكون قضية، ومع ذلك فإنه على المحلل أن يستكشف المنطق الرابط ولتكن وظيفيا أو تجريديا، وأن يؤلف موضوعه. وقد وصف المتلقي بالمبدع عندما يساهم بعملية التأويل في بناء المعنى، وذلك حينما ينسجم مع النص" وكأننا بذلك أمام متلق يمارس نوعا من الإبداع في اكتشاف تلك الروابط الخبيثة وأن يربط بين مجموع القضايا ليصبح أمامنا قضية مركزية، أليس المتلقي أو المحلل القادر على فعل ذلك مبدعا أيضا؟.[4] كما يقول محمد مفتاح.

---

[1]– ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومنيك منغنو، ترجمة محمد يحياتن، ص: 100 و102.

[2]– جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد،ص: 216.

[3]– ينظر: نحو النص،اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي. ص: 98.

[4]– دينامية النص، (تنظير وانجاز)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط الثالثة، يوليو، 1992م، ص: 99.

5- بين الإتّساق والإنسجام:

كثيرا ما تعلّقت لفظة الإنسجام بالفنون كالرسم والموسيقى، والأدب، إذ تحمل في دلالتها معنى الجمال والإبداع، ولهذا فإنّه من الطبيعي أن يكون الجمال متمظهرا "أحيانا في الأشياء وأحيانا في مدى موافقته لنا، أو.....في الخير النافع، وأحيانا...في أرواحنا...و الجمال في بعض المرّات يتمثّل في الوزن والتناسب والإنسجام والنظام الذي يجمع بين الأشتات...وقد يكتفي البعض بأن يجعلوه علاقة بين أجزاء الشيء المفهوم"[1] ليأخذ الإنسجام بذلك خاصيتين مهمتين وهما:

1- وجود علاقة بين شيئين أو مجموعة من الأشياء والمفاهيم.

2- وجمال تلك العلاقة عن طريق التناسب و النظام.

وربما يقودنا هذا إلى أنّ حصول الإنسجام إنّما ينبع من تلك العلاقة النصيّة المنتظمة في تناسب وإتّساق تهيمن في الأخير على عموم النص. وبنيته الكلية وهو هنا مظهر من مظاهر النصّية. **ولم** يكن الفصل بين الإتّساق والإنسجام واردا مع البدايات الأولى لعلم النّص، لعدم ثبات المصطلحات، وهذا ما يؤكده كلام (شارولس) CHAROLLES من عدم أهمية التّمييز بين الإتّساق والإنسجام الذي يقترحه البعض؛ بحكم أنّه ليس ممكنا في الوضع الحالي للبحث أن يحدث تقسيما صارما بين القواعد ذات البعد النّصي والقواعد ذات البعد الخطابي، ثم يتراجع عن رأيه بعد أربع عشرة سنة ويكتب مقالا يشير فيه إلى أنّ الفصل بين الإتّساق والإنسجام عنده تحصيل حاصل"[2]. وإذا كان الانسجام في اصطلاح بعض العلماء هو "الرابط الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، ويتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص تقدم إيضاحا لطرائق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير منسقة، أو مفككة على السطح، فهو ذو طبيعة دلالية تجريدية تظهر من خلال علاقات تعكسها العناصر اللغوية في النص وهذا النوع من الربط هو ما يصح إطلاق مصطلح الانسجام عامة"[3].

وهناك من أخلطوا بين المصطلحات و لم يفرّقوا بينها وجعلوها مترادفات لمفهوم واحد كما حدث ذلك مع د.أحمد عفيفي عندما جعل الحبك أو(التماسك) أو (الإنسجام) أو (الإتّساق.... إلخ COHERENCE) . حيث يتّصل هذا المعيار برصد وسائل الإستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل

---

[1] **-ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي-عرض وتفسير ومقارنة-د.عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412هـ -1992م، ص:53. وينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، د.لطفي فكري محمد الجودي، ص:61.**

[2] **- الإتّساق والانسجام في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجا، مفتاح بن عروس، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008/1007م، ص: 48**

[3] **- ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، 136- 175.**

على إيجاد الترابط المفهومي[1] وهو يعني بهذا ما نعني به نحن الإنسجام. كما جعل مفهوم الإتّساق الذي تقيّدنا به -نحن- مفسرا لمصطلح السبك أو (الربط) أو(التضام) COHESION. وهو معيار يهتم بظاهر النص، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الإستمرار اللفظي[2]والمقصود بظاهر النص تلك الأحداث اللغوية التي ننطق بها، أو نسمعها في تعاقبها الزمني. والتي نخطّها أو ونراها. وهذه الأحداث أو المكوّنات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، ولكنّها لا تشكّل نصّا إلاّ إذا توفر لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته[3].وهذا يؤكد أن الإنسجام "يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في عالم النص، بخلاف الاتساق الذي يهتم بالروابط الشكلية المتجسدة في ظاهر النص"[4].

ويفرق علماء النّص بين الإتّساق والإنسجام، والتّرابط، والإلتحام (- COHERENCE COHESION) كون المصطلحان (الاتساق والإنسجام) مصطلحان مشهوران بكثرة في تحليل الخطاب واللّسانيات النّصية (TEXT LINGUISTICS) لكن من الصّعب تمييزهما، فهما متّصلان من ناحية الإشتقاق أو أصل الكلمات (ETYMOLOCALLY) ويتقاسمان نفس الفعل (COHERE) كون أنّ هناك أسسا لتمييزٍ مفيد فإنّه يشار إليه، مع ذلك بالصّفات المشتّقة متّسق (COHERENT) ومتماسك (COHESIVE) ولها معان مختلفة، أيضا في الاستعمال الشائع "[5]. وحتى نتمكن من الفصل بين الآليتين سنأخذ على سبيل المثال ظاهرة التّكرار، إذ ينظر إليها في آلية الإتّساق من كونها ظاهرة معجمية متعلقة بتكرار الألفاظ التي تسهم في الربط بين أجزاء النّص، ويستطيع الباحث أن يكشف عن العناصر اللّغوية المتّكررة، حسب ملاحظة" شارول" وقد لاحظ هنا أنّ اللّغة توفر آليات تكفل المظهر التّكراري في الخطاب وتسمح بتعليق جملة أو مقطع إلى آخر يوجد في محيطها المباشر (الضّمائر والأوصاف المعرفة، الاستبدالات المعجمية إعادة الاستدلالات نفسها)[6]. ويوضح محمد الشاوش بأنّ "دراسة الإتّساق هي بالأساس دراسة علامة تحقق الإنسجام، وقرائته المتحققة باللفظ، ويمكن ألا يعتمد الإنسجام إلاّ على عدد قليل من القرائن اللفظية بل إنّه قد يتحقق دون توفر أي قرينة من القرائن التي تعتبر منها كالضمائر و التسمية الإشارية والمطابقة بين الأفعال في الزمان والجهة"[7] فظهور أدوات الربط والإتّساق النّصي ليست تعبيرا بالضرورة عن إنسجام

---

[1] – ينظر:المرجع نفسه،ص:103. وينظر: نحو النص، اتجاه جديد لنظرية علم النص، د.أحمد عفيفي، ص:90.

[2] – ينظر: نحو النص، اتجاه جديد لنظرية علم النص، د.أحمد عفيفي، ص:90.

[3] – نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، د.سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلّد العاشر، العددان الأوّل والثاني،يوليو/أغسطس، 1991م، ص:154.

[4]– ينظر: علم لغة النص، د. سعيد حسن بحيري، ص: 122– 123.

[5]– معجم الأسلوبيات، كاتي ويلز، ترجمة، شارع البصرة، البصرة، الحمراء، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص: 130.

[6]– الإقتضاء وانسجام الخطاب، ريم الهمامي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص: 140.

[7] – ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس نحو النص، د. محمد الشاوش، المجلد الأوّل، ص:109.

النص[1]. فقد تكون عدّة جمل صحيحة نحويا ولا يوجد أيّ رابط لفظي أو معنوي بينهما. ولانعدّها من قبيل النصوص المنسجمة.

والإنسجام هو من يكفل العلاقة البعيدة بين العناصر التكرارية على مستوى النص وخارجه، لأن المتلقي له دور كبير في الربط بين هذه العناصر اللغوية المتكررة في النص والدلالات التي تحملها داخل وخارج النص، لأنها تخضع لبنى تتداخل مع بعضها البعض بطريقة منسجمة لتمنح النص هذه الخاصية. ويمثل الإتّساق دعامة أساسية من دعائم الدرس النصي، فهو يتصل بالإنسجام النصي داخل النصي، ويرتبط بالوسائل والروابط الصورية السطحية، وتتحدد مهمته في توفير عناصر الإنسجام، وتحقيق الترابط بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، هذا الترابط هو الذي يخلق بنية النص، ويحقق استمراريته. فإذا كان التّكرار شرطا من شروط انسجام الخطاب، فأنّه يجب البحث عن العناصر اللغوية التي يتضمن حضورها في الخطاب انسجامه"[2].

.وقد أشار CONTE إلى أنّ انسجام النص ليس مجاله التتالي الخطّي الأحادي البعدي للأقوال، إنّما مجاله تنظيم تراتبي متعدد الأبعاد...وأنّك متى تناولت العلاقات بين الأقوال لاحظت أنّها قائمة على أبنية وأشكال. وأنت واجد إلى هنا حديثا عن الأبنية النّصية:فقد أشار VAN DIJK إلى أنّ فهم الأقوال يقتضي اعتماد أوّليات قائمة على ضروب مختلفة من الأبنية النصّية، فالمخاطب في إقامته لمختلف علاقات الإنسجام بين الجمل يعتمد على أطره الإحالية CADRES ومعرفته بالعالم على نحو يمكّنه من إكمال الحلقات الناقصة، فنلاحظ أنّ هذه الأبنية ليست من قبيل ما عهدته من الأبنية اللغوية، لأنّ الأطر(أبنية) ذات طبيعة إحالية وليست أبنية لغوية".[3] وهذا ما يجعلنا نحدد مقاصد الخطاب وأهدافه، و"حسب براون ويول فإنّه لتحديد مقاصد الخطاب يسعى المتلفظ المشارك إلى:

1- معاينة نوع (الفعل اللغوي المؤدى): يحكم على الملفوظ بأنّه منسجم أو لا وفق طبيعته: اعتراض، تعليق، تهديد...

2- تسخير معرفة موسوعية، بما أنّ معرفة أنواع الخطابات ناتجة عن تجربتنا بالعالم"[4].

---

[1] – ينظر:المرجع نفسه، المجلد الأوّل، ص:109.

[2] – الإقتضاء وانسجام الخطاب، ريم الهمامي،ص: 140.

[3] – أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،"تأسيس نحو النص" محمد الشاوش، المجلد الأوّل، ص:105.

[4] – المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، ص: 20، 21.

وكان تنبيه ديكرو (DUCROT) إلى ظاهرة التّكرار في غاية الدّقة خاصّة وأنّ القضية تتعلق بانسجام خطاب، لأنّ " المسألة لا تتعلق بإعادة أي عنصر من عناصر الخطاب بل إنّ الإعادة تقتضي حصرها في المقتضى فحسب"[1] ، ومن هنا فإنّنا نتعامل مع ظاهرة التّكرار من جانبين متداخلين لا نستطيع الفصل بينهما، لأنّها تدخل في باب الإتّساق من خلال الكشف عن العناصر اللّغوية المتكرّرة على المستوى الخطي الأفقي، والجانب الثاني يتعلّق بالانسجام الذي يظهر في نموه وتطوره، "وحتى يكون الخطاب منسجما يجب أن يكون تطوره مصحوبا بإضافة مضامين دلالية متجددة على الدّوام (CHAROLLES) وحتّى يكون الخطاب منسجما فإنّه لا يكتفي بتكرار مادته الخاصّة ولكن يجب أن ينمو بواسطة إدراك عناصر جديدة"[2] ترتقي به.

وقد ذكر القاموس الموسوعي للتّداولية أنّ الانسجام هو توافق قرائن بين البنى التركيبة والقولية،وهكذا فإن صاحب القاموس الموسوعي جعل الإنسجام من التداولية. وذكر لنا مثال لذلك سبق ذكره وهو : –زيد: كم الساعة؟ – عمر: لقد مر ساعي البريد منذ حين. و أمّا الإتّساق عنده، فإنّه "علاقة دلالية تربط ملفوظين من قبيل زيد: أعزب، إنّه لم يتزوّج قطّ"[3]. "إنّ الحكم بالإنسجام أو التّماسك لا يمكن أن يكون حالة مطلقة فهو أمر نسبي، وفي هذا نحن نوافق سيرل (SERRLE 1982 117) عندما لاحظ أنّه لا يوجد اختيار كوني لإقرار انسجام قول ما أو عدم انسجام معنى. ذلك أنّ مفهوم الإنسجام متغيّر، وهذه مشكلة أخرى تجعل تحديد الإنسجام أكثر صعوبة وأكثر تعقيدا"[4] ، فشرط الإنسجام (CONDITION DE COHERENCE) هو أنّه "يحدّد الإطار الذي يعاد فيه الحد الأدنى من المعلومات الضّرورية "[5] ويمكننا أن نفسر ذلك بأنّ الإنسجام ينظر في كمّ المفردات والعناصر اللغوّية التي ينبغي أن تتكرّر في نص ما لتحقيق انسجامية النّص، أمّا الإتّساق فإنّه يكشف عن هذه العناصر. وقد ذكر دي بوجراند:"أنه من المفيد أن نميّز بين الاتساق COHESION باعتباره نصيّة قائمة على الصياغة والانسجام COHÉRENCE وباعتباره نصيّة قائمة على نقل المعلومات INFORMATION، فإذا استقام هذا الفصل بين المجالين أمكن حسب رأيه أن تعتبر الإتساق من مظاهر النحوية والإنسجام من مظاهر المقبولية"[6]. ومن هنا فإنّه يمكن القول بأنّ "الإنسجام أهم من الإتّساق، كما أنه يبدو أعمق منه، بحيث يتطلب بناء الإنسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي

---

1 – الإقتضاء وانسجام الخطاب، ريم الهمامي،ص: 141.

2 – الإقتضاء وانسجام الخطاب، ريم الهمامي،ص: 141.

3– ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، ج2، ص: 565، 566.

4 – المرجع السابق، ص: 150.

5 – المرجع نفسه، ص: 141.

6– أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش ، المجلد الأول، ص: 108– 109.

الإتّساق إلى الكامن (الإنسجام)"[1].وهذا يعني" أنّ الإنسجام الذي نقصده غير الإتّساق، فهو أعم منه وأعمق، حيث يطلب الإنسجام من المتلقي النظر إلى ما هو ليس شكليا ولا معجميا، بل إلى علاقات خفية قائمة داخل النص المراد دراسته، حيث يهتم بترابط المفاهيم والعلاقات الدلالية المتحققة داخله"[2]. ومن هنا فإنّ الإنسجام يعني العلاقات التي تربط معاني الجمل في النص وهذه الروابط تعتمد على المتحدثين (السياق المحيط بهم)، فهو يتّصل برصد وسائل الإستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي؛ أي أنّه يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في عالم النص بخلاف الإتّساق الذي يهتم بالروابط الشكلية المتجسدة في ظاهر النص.

6- أدوات وآليات الإنسجام:

بعدما تمكن علم لغة النّص من الإعتلاء على ساحة البحث في العلوم اللّغوية الحديثة، وشموله على حيّز منها بعدما كانت في الأمس القريب وحيدة تفصل بينها قطيعة منهجة، منها علم النّحو وعلم الدلالة، وعلم الاجتماع ويضاف إليها علوما أخرى كعلم النفس، وعلم الأنتروبولوجيا...الخ حتى جاء مصطلح الإنسجام كمفهوم ملّم بكلّ ما يحيط بالنّص من جميع جوانبه، لأنه خاصّية دلالية للخطاب يعتمد في فهمه على كلّ جملة مكوّنة للنّص، في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى المتاخمة لها، لذلك فإنّ كثرة المصطلحات التي برزت في هذا الاختصاص تفرض علينا ضبطها وتحديدها لاستعمالها كأدوات للتحليل النصي، وآليات للكشف عن انسجام النّص، ولهذا السّبب فإنّنا سنأخذ بأكثر المفاهيم اعتمادا في هذا الإختصاص ومن عند أكبر رواد هذا العلم.

إن تداخل عدّة عوامل في عملية انسجام نص ما، بما يخدم المستوى النحوي السطحي للنص، وبنيته الدلالية العميقة، بما يحدث الانسجام المستمر بين أجزاء النص الكلية، "وحتى يكون مقطع ما أو نص منسجما، يجب أن تكون الوقائع التي يوردها في العالم المطروحة مترابطة"[3]، بحيث إذا أدرجنا مقطعا ما من نص آخر، بدا أجنبيا وغريبا عن بقية المقاطع، ما يمكن للقارئ أو المتلقي اكتشاف ذلك، ويهديه للتميز بين تلك الثغرة أو الفراغ المفهومي الذي أحدثه هذا القطع المدرج بين أجزاء النص وفهمه لعلاقة المقاطع التي تعلو وتتذيل المقطع المدرج. فالفهم هنا محاصر بين هذه المقاطع التي تمثل جانبين أحدهما في المقدمة والآخر في الخاتمة، وسرعان ما يتبدد ذلك بإزالة هذا المقطع الأجنبي عن المقاطع المؤسسة للبنية الكلية للنص.

1- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطاب، 5- 6- 12- 16.

[2] - جمالية الخطاب في النص القرآني،د لطفي محمد، ص:217.

[3] -Introduction aux problèmes de la cohérence des textes, 1978, P : 30.

إنّ عناصر انسجام الخطاب كما تتجلى في كتاب "تحليل الخطاب DUSCOUERE ANALYSIS" لمؤلفيه "G. BROUN BG. YLE" تتضمن محاور أساسية لخصها محمد خطابي بناء على اختزالهما لوظائف اللغة في الوظيفة النقلية والوظيفة التفاعلية، إن كان لا ينفيان الوظائف الأخرى ومن هنا يقترحان جملة من العناصر: على محلل الخطاب أن يأخذها بعين الاعتبار: (مبدأ السّياق- مبدأ التّأويل المحلي- مبدأ التّشابه- مبدأ التّغريض)[1]، "فالنّص إذا يتألف من عدد من العناصر، تقييم فيما بينها شبكة من العلاقات الدّاخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الإنسجام والتّماسك، وتسهم الرّوابط التّركيبية والرّوابط الزّمانية والرّوابط الإحالية في تحقيقها... ويعني ذلك أنّ النّص بنية مركبة متماسكة"[2] وكذلك الخطاب الذي يتّصل بالملفوظ أكثر من الكتابة، فإذا كان في النّص ما يؤشر إلى فعل التّخاطب، خاصّة في حضور فعل القول وكذا عنصر التّخاطب، وهذه الملامح هي التي تبرز مدى انسجامية النّص، وعليه، فإنّ هذه الآلية تترسب منفصلة عن آلية الإتّساق مستقّلة بخصائصها تلوح في ظاهر النّص، وتتعمّق كلما غصنا ناحية اللغة، أي داخل النّص، ويوضح المخطط التالي كل مبادئ الإنسجام التي جاءت بها نظرية علم اللغة النصي:

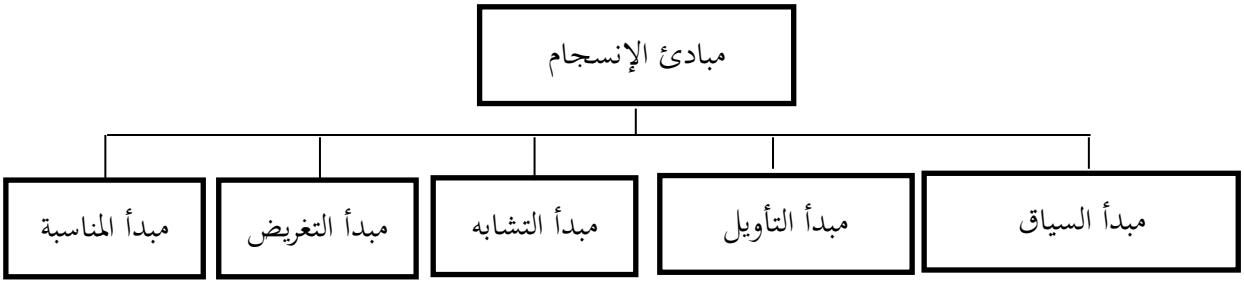

وتشترك هذه المبادئ كلها متضامنة في تأسيس نظرة انسجامية للنص المتداول بين عناصر التواصل والخطاب. وهناك من يضيف قواعد أخرى تساهم هي الأخرى حسب رأيه في انسجام النص، كما فهل شارول.

7- قواعد الإنسجام عند شارول:

حاول شارول باجتهاده الخاص أن يرصد قواعدا تضبط الإنسجام وتجعله يتميز عن الاتساق. وذلك في مقاله (القواعد الواصفة للانسجام (META- REGLES DE COHERENCE) عندما حاول أن يؤسس هذه القواعد من منطلق مفاده؛ أن الكلام عن الانسجام يجب أن يضع في الحسبان خطية النص، أي:

---

[1]- ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري والسردي، نور الدين السد، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ج2، ص: 77، 78، 79.

[2]- دراسات لغوية تطبيقية، حسن سعيد بحيري، ص: 78

يجب أن يؤخذ في الحسبان التتابع الذي تظهر فيه العناصر المكونة للنص[1]. وهذه القواعد هي أربعة بها يمكننا أن نصف الانسجام:

أ- قاعدة التكرار:

وتسمح هذه القاعدة حسبما يرى بتحقق:

- طابع الاستمرارية.
- التدرج المتجانس.
- غياب القطيعة.

وهذه القاعدة تضمن استمرارية المعنى وتجعل المتلقي ينتقل بين البنيات الجملية بأريحية وسلاسة بحيث يتدرج من جملة إلى أخرى تليها في التركيب دون أن يشعر بتنافر الأجزاء ووجود قطيعة بينها، لأن التدرج المتجانس للأفكار والمعاني يحدث في غياب القطيعة التي قد تنشئها جملة غريبة عن التركيب؛ فإذا غابت هذه القطيعة وقع تدرج في بناء المعنى وتوجهت المعاني ناحية الأمام دون الشعور بوجود ثغرات نصية قد تحدثها القطعية. وهذا ما يحافظ على استمرارية النص في انسجام تام، لذلك فإن هذا المبدأ هو مبدأ عام يحكم العلاقات بين الجمل المتدرجة، وبين الفقرات المتجانسة والمنسجمة "وتسمح هذه الإجراءات بربط جملة (أو مقطع) بأخرى توجد في محيطها القريب من خلال التذكير بأن مكوّن ما في جملة يوجد في مكوّن في الجملة المجاورة، والتذكير فيها يتعلق بمحتويات دلالية غير ظاهرة يبنيها المتلقي حتى يظهر الاستمرار"[2].

ب- قاعدة التدّرج:

حتى يكون النص منسجما في كل مستوياته يجب أن يصاحب تدرجه سند دلالي متجدد باستمرار، فليس من المعقول أن نتصور نصا مؤسسا كلية على التكرار، بل هذا يعد ضربا من المحال، لذلك فإن قولا ما لا يلتقي بالتكرار ليكون منسجما، بل لابد من التدرج الذي تفرضه الأقضية المتواجدة في النص والتي تشكل الموضوع العام له، مثل علاقة الاستقصاء (الإضافة)، السبب والنتيجة، الإجمال والتفصيل، الترادف، التضاد، التكرار، الارتقاء والدلالي ويؤكد شارول أنّ هاتين القاعدتين تكملان بعضهما البعض، وإن كان ما يميز التكرار هو الثبوت في ذكر المعاني والمفردات المتكررة فإن التدرج يميزه التجدد والحركية التي تنقل المتلقي دائما

---

[1] **–Introduction aux problèmes de la cohérence des textes, 1978, P :12.**

[2] **– الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن، د. محمد شاكر، ناصر الربيعي، د. أحمد جاسم مسلم، الجنابي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، العدد 17، أيلول 2014م، ص: 455.**

نحو الأمام لاستيفاء معاني النص، ولابد أن يكون النص منسجما بين هذين المبدأين لأنهما مطلبين من مطالب الاستمرارية الموضوعاتية والتدرج الدلالي.

ج- قاعدة عدم التناقض:

منطقيا فإنه يستحيل أن تذكر القضية أو الفكرة مع النقيض في نفس الوقت، لأنه هذا يمثل ضربا من المستحيلات، ولا يحدث إلا من الوجهة البلاغية، وذلك إذا كان التناقض طبيعيا موجها توجيها بلاغيا في النص، وله تأثير إيجابي على الانسجام، ويحدث لسبب واحد وهو أنه ذكر لوجود غاية فنية، لأن جوهر المعنى لا يتأثر بهذا التناقض بل العكس فيمكن جرّاء ذلك أن يقع انسجام في النص بالرغم من وجود متناقضات.

د- قاعدة العلاقة:

وهي قاعدة مهمة ركز عليها شارول، بسبب تواجد العلاقات الدلالية الكثيرة في النصوص، ومفادها "أنه يجب أن تكون الوقائع مطروحة في النص مترابطة، وليس المقصود منها الروابط الشكلية التي تفيد الاتساق وإنما العلاقة الدلالية التي تجعل النص مترابطا دلاليا، وأيضا ما يصنع المتلقي من علاقات استنادا إلى العالم الذي ينظر منه"[1].

ومن هذه العلاقات يمكننا الحكم على انسجام النص حسب شارول، فالنص المنسجم عنده هو النص التابع لمنتجه ومقصود منه متلقي ما. ويمثل هذان الشخصان (المنتج والمتلقي) الأطراف المتبادلة للحديث في نفس العالم الذي ينتميان إليه، وتكاد تكون لهم معارف مشتركة بينهما وفق ما يقضيه العقل والمنطق، وأي خلل في انسجام النص يشعر به منتجه والمتلقي، وينتج هذا الشعور من خلال معرفتهم اللغوية ومعرفتهم بالعالم الذي يحيط بهم.[2]

8- الإنسجام في الدّراسات القرآنية وعلوم القرآن:

شكل الخطاب القرآني "حضورا أدبيا وجماليا وروحيا وجد قبولا باذخا في الوجدان الإسلامي، بما احتوت عليه دواله من خصائص التلاؤم والانسجام والدقة في أداء دلالاته ومقاصده ما جعله من أهم – إن لم يكن هو كذلك- الوسائل التواصلية الإبلاغية المتفردة عن الخطابات الأخرى سموا وفصاحة وبلاغة وبيانا"[3]. وقد أشار الرّازي في تفسيره إلى أنّ الخطاب القرآني "منسجم مترابط، مترتب، ترتيبا منطقيا وموضوعيا وحين يبدو الأمر كأنّ فيه انقطاعا يسارع إلى توضيحه وتفسيره متّكئا على البنى الدّلالية المكوّنة للموضوع الكلّي

---

[1]- ينظر: الأشكال البديعية في ضوء الإنسجام في القرآن، د. محمد شاكر، ناصر الربيعي، د. أحمد جاسم مسلم، المرجع نفسه، ص: 455.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 455.

[3]- جمالية الخطاب في النص القرآني، د، لطفي محمد، ص: 100.

ويتعلّق بهذا ترتيب مفردات الجملة الواحدة أيضا"[1] و وصف الطباطبائي بأن القرآن الكريم كلام منسجم ولا يوجد فيه أي اختلاف، كلّ اختلاف يظهر منه يمكن حله بالتدبر في القرآن الكريم نفسه.[2]

وكان للسّيوطي وغيره من العلماء "إحساس نصي يتعلّق بمراعاة العلاقة القائمة بين مكوّنات النّص الواحد، المتمثل في السّورة وعلى سبيل المثال وفي عدّة نصوص كذلك، كما يتّضح في عدّة سوّر"[3] .ولم يغب ابن جني برأيه في كتابه (الخصائص) عن هذه النظرية من حيث أنّ الفائدة المرجوة من الكلام هي وضعه لفائدة مرجوة، حيث "وضع للفائدة، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة، وإنّها تجنى من الجمل ومدارج القول"[4] ويربط إبراهيم الفقي بين المناسبة والاستمرارية" المتحقّقة عبر كلمات وعبارات وجمل وآيات والفقرات المكوّنة للنّص، بل عبر أكثر من نص"[5] وهو بذلك يذهب إلى أبعد حدّ في فهم الإنسجام، ويعطيه بعدا نصيّا حقيقيا، بل إنّه يعتبره سمة من سمات النّصوص التي تؤلف كتابا.

إنّ "هذا الذي قدمه علماء الخطاب وتحليل النص يلتقي في جوهره مع ما يطرحه علماء القرآن، الذين انطلقوا من وحدة النّص الكريم، مصدرا وموضوعا، فقد تماسك النّص لغة وانسجم مضمونا وفقا لمراد إليه، الذي تعهده بالحفظ على هذا النّحو الذي ترتب فيه الآيات والسّور الترتيب الذي اقتضى تماسك كل دال مع ما يليه"[6] .لأنّ النص القرآني ينفرد بحيوية دائمة، تنجذب لها النفوس وتأنس بها القلوب، سواء بإيحاءاته ومعانيه، أو بألفاظه ومبانيه. ومما زاد من بهائه ورونقه، ذلك البناء، أو فلتقل الإنسجام الذي ضمه نسيج نصي متماسك، كسا النص جمالا وإبداعا وتمايزا، أكثر قبولا واستقرارا في نفس المتلقي.[7]

ولقد تعرض العلماء العرب قديما إلى ظاهرة الإنسجام من خلال إنسجام المواضيع لتحقيق هدف ومقصد معيّن في السورة، فقول الله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)** ﴾ (سورة البقرة:189)، علقّ عليه القرطبي بقوله:"كان الأنصار إذا حجوا وعادوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم فإنهم كانوا إذا أهّلوا بالحج والعمرة يلتزمون شرعا أن لا يحول بينهم وبين السماء حائلا، فإذا خرج الرجل منهم بعد ذلك أي من بعد إحرامه من بيته، فرجع لحاجة لا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف البيت أي أن يحول بينه

---

[1]– الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، ص: 258.

[2]– ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص: 338.

[3]– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، إبراهيم صبحي الفقي، ج2، ص: 95.

[4]– الخصائص، لابن جني، 28/1.

[5]– علم اللغة النصي، النظرية والتطبيق، إبراهيم صبحي الفقي ج2، ص: 95

[6]– النص والخطاب، قراءة في علوم القرآن، د/محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب، القاهرة ط1، 1420هـ، 2009م ص: 18، 19.

[7] – جمالية الخطاب في النص القرآني،دلطفي محمد، ص: 216.

وبين السماء، فكان يتسنم ظهر بيته على جدران ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته، فتخرج إليه من بيته فكانوا يرون أن هذا من النسك والبر،كما كانوا يعتقدون أشياء نسكا فرد عليهم فيها، وبين الرب تعالى أن البر في إمتثال آمره"[1]. ولسائل أن يسأل: ما صلة قوله:﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾بقوله:﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**﴾. قال القرطبي:"اتصل هذا بذكر مواقيت الحج اتفاق وقوع القضيتين في وقت السؤال عن الأهلة و عن دخول البيوت من ظهورها فنزلت الآية فيهما جميعا"[2].

وإذا كان القرآن الكريم كتاب معجز ومتجاوز في إعجازه لحدود ما عهد البشر في الأعمال الأدبية الشعرية والنثرية إلا أنه كتاب ينتمي في تكوينه المعجز إلى الأبنية النصية الكبرى، التي تتجلى فيها مظاهر الانسجام والتماسك النصي إنه يصيبه ألهية معجزه في اللفظ، وسامية في المعنى ومتعالية في النظم، وشامخة في الانسجام، وشديدة في التماسك، ولاشك في أن الباحث في النص القرآني رغم انفتاحه على قراءات متعددة يتعامل معه على أنه وحدة واحدة مترابطة تمتلك أسباب تفوقها وعلوّها وامتيازها عن النصيّات الأخرى.[3]

وهذا ما يقوله الدكتور محمد درّاز (1377 هـ) عن القرآن. ونستنتج من ذلك الوصف العام لسورة البقرة على اعتبارها أنّها نص منه، وجزء مهم من أجزائه: "ولا عجب أنه من كونه أكثر الكلام افتنانا وتنويعا في الموضوعات وهو أكثر افتنانا وتلوينا في الأسلوب في الموضوع الواحد...ألاّ تراه كما ينتقل في السورة الواحدة من معنى إلى معنى ينتقل في المعنى الواحد بين إنشاء وخبر...وإظهار وإضمار...وغيبة وخطاب إلى غير ذلك من طرق الأداء على نحو من السرعة لا عهد لك بمثله...ومع هذه التحوّلات السريعة المستمرة التي هي مظنة الاختلاج والاضطراب بل مظنة الكبوة والعثار في داخل الموضوع أو في الخروج منه تراه لا يضطرب ولا يتعثر، بل يحتفظ بتلك الطبقة العليا كمن متانة النظم وجودة السبك حتى يصوغ من هذه الأفانين منظرا مؤتلفا"[4]. "بل تجد السورة تنتقل بقارئها من معنى إلى آخر ومن فن إلى فن، ولكن بأعلى درجات النظم، أحكاما وأرقى طبقات البلاغة بهاء، لا يتفاوت في نظمه ولا يتباين في تأليفه"[5]، وهذا ما أكد عليه الباقلاني في ذكره لوجوه الإعجاز.

واختلف أهل تدبير القرآن قديما وحديثا اختلافا كبيرا في أن موضوع ومحور هذه السورة العظيمة وكان هذا الاختلاف في مجمله اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، نظرا لأن سورة البقرة سورة في القرآن الكريم فقد

---

[1] – تفسير القرطبي، ج2/344– 345

[2] – تفسير القرطبي،ج2/344.

[3] – جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد،ص: 217.

[4] –النبأ العظيم، د. عبد الله درّاز، دار العلم، الكويت، (د، ت، د، ط)، ص: 144.

[5] – مظاهر إعجاز القرآن الكريم في تعدد موضوعات السورة، علي عبد الله عيلان، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 41، ملحق2، 2014م، ص: 856.

احتوت على موضوعات متنوّعة عالجت من خلالها عدّة قضايا، حتى قال بعضهم إنّ محاور سور القرآن الكريم كلها موجودة في ثنايا هذه السورة الأم وهم يقصدون سورة البقرة.

وهذا يكون للقرآن الكريم خصائص لا نجدها في نصوص أخرى، فقد خرق العادة من حيث نزوله وكتابته فمن "هذه الناحية أيضا: نزل مفرّقا منجّما، ولكنه تمّ مترابطا محكما، وتفرقت نجومه تفرق الأسباب، ولكن اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب، ولم يتكامل نزوله إلاّ بعد أكثر من عشرين عامّا ولكّن تكامل انسجامه بداية وختاما"[1]. وقد أعجز القرآن الخلق بما فيه" من انسجام ووحدة وترابط (**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1)** (هود،01). وإنّه ليستبين لك سر هذا الإعجاز، إذا ما علمت أنّ محاولة مثل هذا الاتساق والانسجام لا يمكن أن يأتي على مثل هذا النمط الذي نزل به القرآن ولا على قريب من هذا النمط لا في كلام الرسول –صلّى الله عليه و سلّم– و لا في كلام غيره من البلغاء"[2].

ويمكننا أن نستكشف طريقة توظيف المبادئ التي صرحنا بها سابقا في عملية الإنسجام النصي، كما سيتبّين ذلك.

ثانيا:– السّياق : CONTEXT:

1 – تعريف السياق:

– لغة:

نعتمد هنا على الكتب التي ذهبت في شرح هذا المصطلح إلى أبعد الحدود. منها ما جاء في لسان العرب". ..انْساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة. وفي حديث أُم معبد: فجاء زوجها يَسُوق أعْنُزاً ما تَساوَقُ أي ما تتابَعُ. والمساوَقة: المتابعة كأنّ بعضَها يسوق بعضاً، ... يقال ولدت فلانةُ ثلاثةَ بنين على ساقٍ واحدة أي بعضهم على إثر بعض ليس بينهم جارية؛ ووُلِدَ لفلان ثلاثةُ أولاد ساقاً على ساقٍ أي واحد في إثر واحد، وولَدَتْ ثلاثةً على ساقٍ واحدة أي بعضُهم في إثر بعض ليست بينهم جارية، وبنى القوم بيوتَهم على ساقٍ واحدة"[3] . وهو في الشّرح يقرب من المعنى المعجمي الذي كشفنا عنه عند شرحنا للإتّساق. وهذا ما يدل على أنّنا نتناول موضوعا متشعّبا في نفس المفاهيم. وهي

[1] – الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1405هـ –1985م، ص:26.

[2] –الأساس في التفسير، سعيد حوى، ص:26.

[3] – لسان العرب10 /169.مادة (سوق).

التتابع المنتظم، المتناسب، المترابط. وقد ذكره الزمخشري في معجمه"أساس البلاغة"حين قال: "هو يسوق الحديث في أحسن سياق وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه كذا وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"[1] ،ويقصد الزمخشري والله أعلم أن السّياق مرتبط بالكلام. وهو مرتبط بالمتلقي الذي يساق إليه الحديث، والحالة التي يقال فيها، ومن هنا تبدأ الخيوط الأولى للإنسجام تظهر بين العناصر الثلاثة وهي المرسل، والنّص (الرسالة) والمتلقي (المستقبل) ولعل من الأوائل الذين استخدموا هذه اللفظة في تفسير القرآن. هو الإمام الشافعي، في رسالته التي تضمنت بابا سمي (باب الصنف الذي يبين سياقه معناه)[2].

وجاء في معجم مقاييس اللّغة: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقا، والسيقة ما استيق من الدّواب، يقال: سقت إلى إمرأتي صدقها وأسقته"[3]. وفي تاج العروس: يدل"أصل السّياق سواق قلبت الواو ياء لكسرة السّين والسّاقة جمع سائق وهم الذين يسوقون الجيش ويكونون من ورائهم، وساق الماشية سوقا وسياقة بالكسر، ومساقا سياقا واتساقها وأساقها فانساقت فهو سائق وسواق ومنه (قد لفها الليل بسواق حطم). وقوله تعالى:(إلى ربك يومئذ المساق)(سورة القيامة، من الآية: 04.). وقوله تعالى:(معها سائق وشهيد)(سورة ق، الآية: 21) قيل: سائق يسوقها إلى المحشر وشهيد يشهد عليها بعملها وأنشد ثعلب:

– لولا قريش هلكت معد واستاق مال الأضعف الأنشد [4]

ويتبين لنا أنّ مادة (سوق) تدور حول القيادة والإحاطة، فسائق الشيء هو القائد له أو المسيطر عليه الذي يتحكم فيه كيفما يشاء، وكل هذه المعاني تقارب المعنى الذي يدّل عليه السياق. وقال الراغب الأصفهاني: "سوق الإبل جليها وطردها يقال: سقته فاستاق... والسوق، الموضع الذي يجلب إليه المتاع للبيع. والتسويق سمي بذلك، لإنسياقه في الحلق من غير مضغ"[5].

– اصطلاحا:

"يتكون مصطلح السياق (CONTEXT) من السابقة اللاتينية بمعنى CUN: مع، وTEXTUS اللاتينية أيضا التي تعني النّص أو المتن، وقد قصر صاحب معجم المصطلحات الأدبية ترجمة

---

[1] – أساس البلاغة، الزمخشري، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1992م، ص: 468/1، مادة سوق.

[2] – الرسالة، الشافعي، تح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1939م، ص: 62.

[3] – مقاييس اللغة، ابن فارس(سوق): 117/3.

[4] – تاج العروس الزبيدي، ط دار صادر، بيروت، لبنان، 1999م. مادة(سوق).

[5] – مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم، ط2، 1418هـ، ص: 436.

المصطلح في القرينة الحالية دون الإلتفات إلى المستويات السّياقية الأخرى، وبذلك ينحصر – عنده- في السياق الخارجي"[1]. وقد بدأ استخدام هذه اللفظة بمعناها الاصطلاحي في كتب المفسرين، فهي تفيد عندهم: "تأثير الموقع وما يحيط باللفظ أو العبارة في تحديد المعنى، منذ شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (ت310هـ)." وفي هذا الباب نذكر مثالا عن قوله تعالى: ﴿ **يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ**﴾(سورة آل عمران، من الآية 13) "الهاء والميم في (يرونهم) عائدة على (وأخرى كافرة)، والهاء والميم في (مثليهم) عائدة على (فئة تقاتل في سبيل الله)، وهذا من الإضمار الذي دّل عليه سياق الكلام. وهو قوله "(يؤيد بنصره من يشاء)، فدل على أن الكثيرين كانوا مثلي المؤمنين"[2] .

وكلمة السياق في تعبير المفسرين "تطلق على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا، واشتمل على غرض واحد، هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام، أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق، كما أننا قد نستخلص: أن السياق قد يضاف إلى الآية وإلى السورة وإلى القرآن كله، من جهة أغراضه ومقاصده الأساسية، ومن جهة نظمه المعجز"[3].فهناك من العلماء الذين اهتموا بالسياق، وعبروا عنه بـ تعابير مثل "أن لفظ المقام، والمقتضى، ومقتضى الحال، ولفظ التأليف، ولفظ النظم القرآني"[4].

وتجدر الإشارة إلى أن بعضهم صرّح بالسياق أحيانا، ومنهم من مارسوه من دون تصريح، إذْ كانت ملامح فكرة السّياق عندهم مما فطن إليها في وقت مبكر، فمصطلح السّياق لم يكن جديدا بل وجد عند علمائنا من مفسرين وأصوليين ولغويين وبلاغيين وغيرهم"[5] .وكمثال لذلك قول السكاكي:"اعلم أنّ مساق الحديث يستدعي تمهيد وهو أنّ مقتضى الحال عند المتكلّم يتفاوت"[6].

ومن المحدثين الذين اهتموا بدراسة ألفاظ القرآن وتراكيبه وطريقة نظمه مصطفى صادق الرافعي حيث علق على الطريقة التي انسجمت بها الألفاظ مستعينا بالسياق، فيقول:"أمّا ألفاظ هذا الكتاب الكريم، فهي كيفما أدرتها وكيفما تأملتها وأين اعترضتها من مصادرها أو مواردها ومن أي جهة وافقتها، فإنك لا تصيب لها

---

[1] – معجم المصطلحات الأدبية، مجدى وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، (د، ت)، ص: 89.

[2] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص: 27/4.

[3]– دلالة السياق، منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب أبو صفية، عمان، الأردن، د. ن، ط 1، 1989م، ص: 86.

[4] – المرجع نفسه، ص: 86.

[5] – السياق القرآني وآثره في الكشف على المعنى، أطروحة دكتوراه، حيدر جبار عيدان، ص: 07.

[6] – مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد علي السكاكي الخوارزمي،(المتوفى:626هـ)، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1407هـ –1987م، ص:163.

في نفسك ما دون اللذة الحاضرة، والحلاوة البادية. والانسجام العذب، وتراها تتساير إلى غاية واحدة"[1]. **أمّا** فتحي إبراهيم يعرّف السياق بأنه: "بناء نصّي كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأيّ جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما ما يكون السّياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها"[2].

أمّا في المعاجم المصطلحاتية الحديثة، فقد جاء في "معجم المصطلحات اللّغوية" أنّ السياق: "ما يسبق العنصر اللغوي أو يليه في كلام أو نص سواء كان صوتا، أم كلمة أم جملة"[3] "فليس السّياق مجرد حالة لفظ، وإنّما هو على الأقّل متوالية من أحوال اللّفظ"[4] .

ولا تنحصر دلالة هذا المصطلح على الجانب اللغوي للنص فقط، بل هناك جانب آخر يهتم بالسياق الذي يصاحب النص وهو السياق الخارجي، وفي هذا الباب نشير إلى أنّ علماء القرآن قد تحدثوا عن أسباب النزول، وتحدث علماء الحديث عن أسباب الورود، وتحدث الأدباء والنقاد على أسباب وظروف الإنشاد والإنتاج النصي... وهكذا... لذلك عني علماء القرآن أكثر بمعرفة أسباب النّزول لما لها من أهمية في معرفة حقيقة الآيات والسوّر، وأهم المناسبات التي نزلت فيها ثم إنّك "لو تتبعت أسباب النزول في القرآن ومواقع الآيات لتبيّنت أنّ رسالة الرسول لم تكن جملة واحدة ليكون القرآن جملة واحدة، بل كانت أحداثا متلاحقة تقتضي كلمات متلاحقة"[5]. ولهذا فقد وضع الكثير من العلماء السياق ضمن مضامين كتبهم والإستعانة به في تحليلهم للنصوص من جانب سياق الحال أو الما جرى، لأنّه الكاشف عن جملة من العناصر التي تشكل النص، يقول محمود السّعران: "أنّ سياق الحال أو الما جرى هو جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي، أو للحال الكلامية، أمّا عبده الراجحي فيقول: "إنّه مجموع الظروف التي تحيط بالكلام"[6] .

وقد تتعدد الطرق والمجالات التي تدرس النص من الجانب السياقي،لأن "المجالات التي يفرضها السّياق عديدة وتتوزع عبر فضاءات معرفية كثيرة، منها ما هو مرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط الإنتاج اللغوي والزمن والمكان... وغيرها"[7]، وإذا ما تتبعنا الاستخدام الاصطلاحي لهذه الكلمة، فإنّنا نجد أن هذا الإستخدام له

---

[1]– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة رحاب، الجزائر، ص: 240– 241.

[2]– معجم المصطلحات الأدبية، فتحي إبراهيم، ص: 201.

[3] – معجم المصطلحات اللغوية، رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1990م، ص: 119.

[4] – النص والسياق، استقصاء في البحث الدلالي والتداولي، فان دايك، تر: عبد القادر قينني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000م، ص: 258.

[5] – الموسوعة القرآنية إبراهيم الأنبا ري، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ–1984م، المجلد3، ص: 59.

[6] – نظرية السّياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2007م، ص: 82.

[7] – السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، دار الثقافة، مطبعة النّجاح، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1421هـ/2000م، ص: 16.17.

علاقة بالأصل اللغوي، فيقال: سياق الكلام، وسياق الجملة وسياق النّص... إلّا أن هذا الإستخدام يعد عاما ومفتقرا إلى التّحديد لذلك سنكشف عن بعض الأنواع من السياق حتى تتحدد الأطر التي تدرس النصوص من جوانب متنوعة وهذه الجوانب قد تكون داخلية (لغوية) أو خارجية (سياقية مقامية)، ولهذا سنذكر أنواع السياق الرئيسية لما لها من تأثير على إنسجام النص والتعريف بها.

2- أنواع السّياق:

يعتبر السياق عنصرا مهما في الكشف عن انسجام النص وقد كان شائعا بين القدماء بمدلوله اللغوي العام، ولم تحمل كلمة (السّياق) مفهومها الاصطلاحي المعروف الآن عند علماء الدلالة المحدثين إلا بعد استخدام ما لينوفسكي وفيرث لها[1] ويبدو - حسب رأيي- أنّه العنصر المهيمن على معيار الإنسجام في دراسات اللغويين الذين يتخذون من النص مادتهم التحليلية الأولية، وقد نبّه براون ويول (1983) محللي الخطاب إلى الأخذ "بعين الإعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب (والسياق لديهما يتشكل من المتكلم/الكاتب، والمستمع/القارئ، والزمان والمكان) لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب"[2]. ويمثل السياق عاملا مساعدا يعين على الفهم وتأويل النصوص.

فهناك عوامل كثيرة تتداخل في إنتاج النص، وتتداخل معها الظروف المتنوعة المصاحبة له، التي تهيؤه للخروج ككائن لغوي وكأثر أدبي، فإن قدر و وجد هذا النص، فإنّه ستتحكم فيه سياقات متنوعة كالموقف الاجتماعي والنفسي. لأن أدائية النص، لديها مقاصد وأهداف تبليغية وتواصلية، تلزم صاحب النص الإنسياق وراءها. فالكلمات التي يستعملها المتكلم والكاتب (المنتج) في سياقاتها اللغوية الداخلية في السياق النصي، يصاحبها خارج النص مواقف مقامية وحالية، وما هذه إلا عوامل تعين على فهم النص، ومن هنا كان لابد أن نقسم العوامل متحكمة في السياق إلى عوامل لغوية داخلية ، تتشكل منها البنية الكلية للنص. وعوامل غير لغوية خارجية متمثلة في حال المخاطِب والمخاطَب. وكذلك الزمان والمكان. والغرض من النص ودواعيه والإشارات والإيماءات والتلميحات، والحركات الجسمية بوجه عام المصاحبة للموقف الكلامي...إلخ"[3]. وسنعتمد هذا المبدأ كمعيار مهم للبحث عن الانسجام النصي. وينحصر دور السياق حسب البحثان في نقطتين:

أ- حصر مجال التأويلات الممكنة.

---

[1] – المعايير النصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، د.يسري نوفل، دار النانغة للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة ،ط1، 1436هـ/2014م، ص: 191.

[2] – لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 52.

[3] – المعايير النصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة ديسري نوفل، ص: 191.

ب- ترجيح لغة التأويل المقصود. [1]

"فالسياق الذي يؤدي إلى التقبلية (القبول) ينبغي أن يراعى فيه:

أ- صحة القواعد النحوية.

ب- توافق الوقوع و(الرصف) بين مفردات الجملة. ومن هنا نصل إلى النتيجة المطلوبة بقبول المتلقي"[2].

ولننظر إلى دور المكان في تفسير الآية وكيف خلق الإنسجام بين النص والمقام، "قال تعالى في سورة البقرة:﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾ (البقرة: 193)، وقال في سورة الأنفال: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ (الأنفال: 39) وقد جاء هنا النسق على ترتيب القتال داخل الجزيرة العربية وخارجها، فالذي في سورة البقرة يراد به كفار الجزيرة العربية، لتكون القاعدة العربية الأولى التي يناط بها نشر الدعوة خارج الجزيرة، ولذلك جاء في الأنفال كلمة (كله) إشارة إلى قتال جميع الكفار، وقد تطابق الترتيب مع الواقع، ورتبت الأوامر حسب تدرجها"[3].

ولهذا يرى هاليداي (M.HALLIDAY) أنّ السّياق"هو النص الآخر. أو النّص المصاحب للنّص الظاهر والنص الآخر لا يشترط أن يكون قوليا. إذ هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"[4]. ويساعد النّص المصاحب لوحدة ما، في تحديد صورتها ومعناها. وما سمّي بالصلات النظمية (COLLIGATIONAL TIES) تأخذ بعين الاعتبار القيود النحوية التي توافق مثلا، أشكال الفعل المناسبة للفواعل (SUBJECTS). وتعمل أدوات التماسك مثل شركة إحالية على ربط جزء من النص بآخر. ويتوقف الحذف (ELLIPSIS) على النص المصاحب في تأويله. ويمكن للتوارد النصي المصاحب الاعتيادي للكلمات أن يأخذ بعين الاعتبار المعنى التآلفي"[5]. وحتى لا يخلط محللو النصوص بين بعض المفاهيم اللسانية. وذكر روبرت دي بوجراند (R.DE.BOUGRAND) الفرق بين مصطلحين يتصلان بالنص وهما:

---

[1]- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، المجلد الأول، ص: 159.

[2]-نحو النص، اتجاه جديد لنظرية علم النص، د. أحمد عفيفي، ص: 89.

[3]- تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، ص: 25.

[4] - علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، ص: 29.

[5] - معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة، خالد الأشهب، ص: 171.

* (CONTEXT) (سياق الموقف): وسماه كذلك بالبيئة الشاسعة الذي يكون فيه الموقف (SITUATION OF OCCURRENCE) تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات (STRATEGIES) والتوقعات (EXPECTATIONS) والمعارف (KNOWLEDGE).وهذا ما يعرف بالسياق غير اللغوي.

* (CONTEXT) (سياق البنية): هو التركيب الداخلي للنص ويعرف بالسياق اللغوي[1].

وعموما فإن أغلب اللسانين ومحللي الخطاب وعلماء النص، جعلوا دراستهم في هذا الجانب في رواقين مختلفين متقابلين وهما: السّياق اللّغوي الداخلي وسياق خارج النص وهو سياق غير لغوي يتعاطى مع الظروف البيئية التي تحيط النص والأسباب التي أوجدته.

وحتى تتضح العلاقة بين السياق اللغوي(سياق البنية) والمقامي(السياق الموقف)، فإّن السياق اللغوي يساهم في إبراز المعنى حسب المقام لذلك توظف فيه الكلمات بدقة متناهية في آيات القرآن الكريم، وبها يمكننا فهم المعاني وتحديد الدلالات، والأمثلة كثيرة عن ذلك في القرآن الكريم ونذكر منها قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**﴾ (البقرة: 60)، وقوله أيضا: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**﴾ (الأعراف: 160).فمن خلال النظرة الأولى السريعة، قد نقع في الظن بأن الآيتين تتحدثان عن ذات الواقعة وربما قال بعض المفسرين: عند آية الأعراف:"قد مرّ تفسيره في سورة البقرة، كما فعل صاحب غرائب القرآن"[2] أو كما ذكر في زاد المسيرة "قوله تعالى: ﴿**فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ**﴾، والقصة مذكورة في سورة البقرة: 58- 60" [3].لكن عند التدقيق يتضح أن (الإنبجاس) غير (الانفجار)، وهو أضعف منه، الإنبجاس"أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيّق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع"[4]. فالذي استسقى في آية البقرة هو موسى عليه السلام، فكان الانفجار والذي استسقى في الأعراف هم قومه، وهم أقل كرامة على الله تعالى منه، فكان الإنبجاس، وليس هناك ما يشير إلى تقدّم إحدى الحادثتين على الأخرى أو مقدار الزمن بينهما، وكل حادثة منهما تتناسب مع الجوّ العام للسورة التي وردت فيها، فالانفجار يتناسب مع سورة البقرة وسياقها الذي يركز على تعداد النعم على بني إسرائيل، وتفضيلهم على العالمين والإنعام عليهم، الإنبجاس يتناسب مع سورة الأعراف التي فيها قوله تعالى:﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ**

---

[1] – ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص: 91.

[2]– ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسنين محمد العمّي السايوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416 هـ– 1996م، ج3، : 337.

[3]– زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لنان، ط1، 1414هـ– 1994م، ص: 211.

[4]– معجم مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، ص: 46.

﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة الأعراف: 69)، تلخيصا لحال العديد من الأمم التي ورد ذكرها في السورة، ما يعني أن المقطع المذكور فيه نفس الخاصية، وهي قلّة البركة، "والمقام مقام تقريع وتأنيب، فإن بني إسرائيل قوم لا يتعظون فإنهم بعدما أنجاهم من البحر وأغرق آل فرعون طلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناما يعبدونها، وعندما ذهب موسى لميقات ربه عبدوا العجل"[1].

وخلاصة ما نقول هنا أنّ "السياق نوعان لغوي (مقالي) وحالي (مقامي) وكلاهما يؤدي إلى تماسك عناصر النص، فمستهلك النص المنطوق، أو المكتوب، يعتمد على تفاعله مع الكلام في إدراك الروابط، وعلاقات التضام بين أجزائه، وهذا التفاعل يقود إلى ملء الفجوات التي تتخلل أجزاء النص، وتهيء له الحضور الكلي، وهذا بطبيعة الحال شيء يتجاوز السلوك اللغوي"[2] ،"لأن المعجم الذهني شيء مشترك بين جميع الأفراد ذوي اللسان الواحد وعليه فإن الكلمات تحتفظ بمعانيها الأساسية خالصة لتنضاف إليها جملة من المعاني الأخرى تبعا للسياق أو مقام الحال"[3]. وسنذكر أهم تقسيم للسياق فيما يأتي. ويتضح من خلال ذلك أن السياق نوعان، وكيف يكوّن السياق اللغوي البناء النصّي خطيا SYNTAGMATIC الذي تحكمه العلاقات الدلالية بين الكلمات في النص، أمّا النوع الثاني و هو السّياق غير اللغوي يكون خارج النّص حيث تكشف عنه الذاكرة في حدود الموضوع المتحدث عنه (النّص). ولذلك فإنّ السّياق اللغوي تكون عناصره حاضرة، أمّا السّياق غير اللّغوي فإنّ عناصره غائبة نكتشفها من خلال الدلالة اللّغوية التي تحيل خارج النّص والتي تنسجم مع لغة النص.

وهنا نشير إلى حديث "قازدار" عن السّياق الذي لمح فيه إلى فكرة الإنسجام بينه وبين الموقف الإجتماعي والإتّصالي واعتبره "مجموعة من القضايا تنمو بالسّياق نحو توليد جديد، وإنّ هذا التّدرج يقع على أساس المقتضيات المحتملة.. مما يشترط ارتباط كلّ السّياقات السّابقة له وإلا عدّ الخطاب غير متماسك"[4]، ومن حيث البنية النصية وعلاقتها بالمحيط الخارجي يمكننا أن نقسّم السّياق إلى نوعين هامين وهما:

أ- السّياق اللغوي الداخلي LINGUISTIC CONTEXT:

وهو ما أسماه روبرت دي بوجراند بسياق البنية، وكان لطرح هاليداي في منتصف الستنيات فكرة دعت (بالتساوق) أو الرصف (COLLOCATION) -على حدّ تعبير تمام حسان- تقتصر على السّياق

---

[1]- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمان، عمّان، ط 1، 1418 هـ- 1998م، ص: 313.

[2] - الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، ص: 205.

[3] - دور الكلمة في اللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، ص: 205

[4]- الاقتضاء وانسجام الخطاب، ريم الهمامي، ص: 137.

اللغوي وحده، ويقصد به "الإرتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة بكلمات أخرى معينة"[1] . فمنذ دي سوسير؛ غدا من المسلم به "أن العلاقات بين الكلمات في الجملة الواحدة تنقسم إلى نوعين:

– **الأولى:** علاقات خطية سياقية SYNTAGMATIC ترجع إلى ارتباط الدوال فيما بينها. ويتعلق بالانسجام الطوليّ أو المتدرج (Linear or Sequential Coherence)[2]، وينشأ هذا النوع من الانسجام بين ما تعبّر عنه الجمل ومتواليات الجمل من قضايا وهذا النوع من القضايا هو الذي ينتج عنه ما يسمى ببنى النصّ الصغرى. أمّا البنى الدلاليّة الأشمل، التي لا تشخّص مباشرة عن طريق العلاقات بين قضايا مفردة، بل تشخّص في حدود ما نجريه على تلك المجموعات والمتواليات من إجراءات، فهي البنى التي تنتج هذا النوع من القضايا والمتواليات الكليةّ التي تكوّن ما يسمى ببنى النصّ الكبرى.

– **الثانية:** علاقات إيحائية ASSOCITIVE ناتجة عن ترابط مجموعة من الكلمات تنتمي لحقل محدد في الذاكرة. والعلاقات الأولى توصف بأنّها علاقات حاضرة، وأمّا الثانية (العلاقات الإيحائية) فهي تربط بين العناصر لصورة غيابية".[3] وتربط بين هذه الكلمات العلاقة الإحالية التي تقوم بتحديد المحال إليه حسب السياق.

ويندرج تحت هذا النوع الاستعمالات والتراكيب المتنوعة للمفردات والتراكيب والجمل والفقرات والنصوص على اعتبار أنّ "الإستعمال هو الذي يضفي على الكلمة صفة الجودة. فالإستعمال يقيم علاقة جديدة بين الكلمات تجعلها تكتسب معان جديدة نابعة من اختيار الكلمات وطريقة بنائها، فالسّياق بهذا المعنى هو الهيئة الحاصلة بين العلاقات الأفقية والرأسية بين الوحدات اللغوية التي يتكون منها النّص"[4] . ويشترط في مسيرتها اللغوية (نقصد هنا الوحدات اللغوية) أن تمشي بطريقة سلسة منسجمة مع المعجم اللغوي المستعمل في النص. وألاّ يكون بينها تنافر في التموقع والبناء حتى يصل إلى نهاية النص.

وسورة البقرة "حافلة بالظواهر السياقية اللغوية المشحونة بالدلالات المتنوّعة، التي تجعل آياتها تنسجم انسجاما جميلا وبديعا، يحدث تلاؤما عجيبا واتساقا في نص السورة، ومن أمثلة ذلك نجد قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (البقرة:

---

[1] – ينظر، علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988م، ص: 74.

[2] – ينظر: حبك النصّ، منظورات من التراث العربيّ، محمّد العبد ؛ مجلة فصول؛ العدد/59، ربيع 2002؛ 56.

[3] – ينظر: النص والخطاب، قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، ص: 105–106.

[4] – السّياق وأثره في المعنى، دراسة أسلوبية، المهدي إبراهيم الغويل، ص: 55.

159- 160). هذه الرسالة مبثوثة للناس أجمعين بصيغة التوكيد، حيث يحذر الله تعالى من خطورة كتمان الآيات والقرآن والأدلة والبراهين، وباختصار كتمان الحث، من طرف الناس جميعا، ففي قوله تعالى:﴿**يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ**﴾ التفاتا من ضمير المتكلم إلى الغيبة، إذ الأصل (نلعنهم) ولكن في إظهار الاسم الجليل:﴿**يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ**﴾ إلقاء الروعة والمهابة في القلب"[1].

1- دور الكلمة في انسجام البنية اللغوية للنص:

أكثر ما يتهم به السياق اللغوي في النص هو الكلمة وما يحيط بها من علاقات لغوية، لأنها عنصر جوهري في البنية النصيّة وبها يكتمل البناء، ويحدث أن يكون للكلمة المفردة سياق لغوي خاص بها داخل النّص، وفي الحدود التي يكون فيها للكلمة المفردة سياق لغوي خاصّ بها داخل النّص وفي حدود البناء اللّغوي العام للنّص. لأن تحديد الحدود التي تكون فيها الكلمة المفردة في حدود النّص مرهون بالسياق الذي ترد فيه "فالسّياق اللغوي أو سياق النّص VERBAL CONTEXT وهو المحدود بحدود النّص لا تتجاوزه ويبدأ ببنية الكلمة المفردة. وتركيب الجملة وعلاقات الجمل، ويندرج فيه البحث في علاقات الحروف والأصوات في الكلمة المفردة، والكلمات في الجملة، فيما يعرف بمبحث فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام، والبحث في التراكيب النّحوية المتعلقة بالجملة أو الجمل فيما عرف بالنظم في البلاغة العربية وفيه تكون الكلمة سياق الحرف والصوت، والجملة سياق الكلمة، وينتهي بالنّص بوصفه سياقا للجملة. "ويتم عادة الوصول إلى المعنى الجملي للنص أو الخطاب بمعرفة الكلمات المفردة مسبقا"[2]. وكون الكلمة أهم عنصر في تركيب النص: "فلا يكفي أن تندمج مع غيرها من الكلمات لتكون تركيبا نحويا، وإنّما لا بد أن تراعى جملة من المسائل تتعلق بالخطاب ووضعية الخطاب أو المقال"[3] "لأنّ السياق يعد الحل الأمثل للكثير من الإشكاليات التخاطبية فيما يخص الدلالة فهو القرينة الفنية الكاشفة للوجه المراد من المفردة إذ يقوم بعملية ترشيح دلالي للاكتناز المعنوي الموجود في المفردة الواحدة "[4].

ويستعمل اللسانيون المهتمون بالسياق مصطلحان لسانيان نصيّان متعلقان بالكلمة؛ وهما: مصطلح (المعطى) و(الجديد) اللذان يتعلقان بسياق الكلمة داخل النص، والتي تكون لها دلالة معجمية معروفة تحيل خارج النص، ويتعهد السياق حين يوظفها بتزويدها بدلالة جديد، و"يعد السّياق بهذا المعنى عاملا مهما في

---

[1]- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مكتبة الإيمان، دار الصابوني، ط 9، القاهرة، ج1/ 109.

[2] – دور الكلمة في اللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، ص: 205.

[3] – ينظر، علم الدلالة، أحمد مختار عمر ،ص: 72.

4 – جدلية السّياق والدلالة في اللغة العربية، النص القرآني أنموذجا، م.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، م. حيدر جبار عيدان كلية، الآداب، جامعة الكوفة، العراق، مركز دراسات الكوفة، العدد التاسع 2008م، ص: 33.

قيمة أو وزن المعلومة فالمصطلحان: معطى (GIVEN) وجديد (NEW) يحيلان على التوالي على وحدات أو أفكار تم ذكرها سالفا في الجمل السابقة، والتي أدخلت حديثا."[1] "ونجد مثلا ظاهرة (الإتقاء) أو ظاهرة (الإماتة والإحياء) وغيرهما من المحاور الرئيسية في سورة البقرة لا تكاد تختفي من هذا القسم أو المقطع حتى تبرز في سياق خاص يستدعيها، والأمر كذلك بالنسبة إلى عشرات الظواهر أو الموضوعات أو الأفكار الجزئية التي تتخلل السورة، لترتبط بالخطوط الأخرى التي تنتظم بشكلها"[2]. بحيث تمثل ظاهرة (الإتقاء) المعطى (GIVEN)، وكل ما يتعلق بها هو الجديد (NEW) ونفس الشيء بالنسبة لظاهرة (الإماتة الإحياء)، والجدول التالي يمثل بعض الظواهر السياقية المعطاة وما يتعلق بها من جديد.

المعطى(GIVEN)	الجديد(NEW)	رقم الآية
المتقين	- الكتاب هدى - الإيمان بالغيب. - إقام الصلاة - الإنفاق مما رزقوا.	02 03
المتقين	- موعظة. - الذين صدقوا. - الوصية للوالدين والأقربين. - حق المتاع بالمعروف للمطلقات	66 177 180 241

ثم جاءت الآيات التي بعدها مبّينة قضيتين وهما:

"1- الأساس: هو الإيمان والصلاة والإنفاق.

[1] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، تر: خالد الأشهب، ص: 159.

[2]– التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، ج1/ 22.

2- البناء: هو اتباع الكتاب. ومجموعها هو التقوى، وقد غفل الكثيرون عن هذا فعطل بعضهم كتاب الله وهم يظنون أنهم متقون"[1]. ويظهر الإنسجام بين "نمو السّياق وتدرجه على أساس المقتضيات المحتملة، حيث يعكس حقيقة أن المتكلم يلزم نفسه بالقضية التي يقتضيها السياق السابق، وهي قضية ستصبح مقتضى محققا في السياقات اللاحقة عند المحافظة عليها"[2]. فالتقوى هنا بعد وروده في سياقات كثيرة بعد المعطى الأول المذكور أصبحت متحققة، وهنا نورد ذلك وكيف حققت هذه الظاهرة الإنسجام من بداية السورة إلى آخرها:

المعطى	الجديد	رقم الآية
تتقون+ تتقوا	- عبادة الرب - خالق الناس - جاعل الأرض فراشا. - السماء بناء. - منزل الماء من السماء...	21
فاتقوا (أمر) + اتق	- القصاص. - الصيام. - الرفث إلى النساء ليلة الصيام. - الله. - النار. - إيّاي (الله). - يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا. - الله.	179 183 187 244 24 41 48 189

[1]- الأساس في التفسير، سعيد حوى، ص: 69.

[2]- الاقتضاء وإنسجام الخطاب، ريم الهمامي، ص: 134-135.

	– الله. – الله. – الله. – الله.	231-196 281-203 206 223
اتقوا (ماضي)+ اتقى	– تقوى بني إسرائيل مثوبة. – إتيان البيوت من أبوابها. – لا إثم لمن تأخر أو تقدم عن ذكر الله. – سخرية بني إسرائيل من الذين آمنوا والذين اتقوا.	103 189 203 212
التقوى	– خير الزاد.	197

ونلاحظ من خلال صيغ الفعل (اتقى) ومشتقاته أنه كلما ذكر أحد هذه المعطيات تعلقت بالجديد وهو ما سمي بـ (NEW GIVEN).إذ تحيل كلها إلى التقوى العام الذي تتحدث عنه سورة البقرة وما هو مذكور في كل مرة على طولها وامتدادها هو تجديد لنوع التقوى عن طريق تجدد الأفكار وتجدد الطرح. والأمثلة كثيرة في سورة البقرة خاصة فيما يتعلق بالقصص وبني إسرائيل والإنفاق، وسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي كلّما ذكر في كل مرة تجدد معه الطرح، وهذا ما يحقق اتساقا متقاطعا ومتشابكا بين آيات السورة فالمعطيات كثيرة وأفكارها تتجدد في كلّ مرة، ما يصبغ على الاتساق نوعا من حالة التجدد بعيدا عن خمول الفكرة، وحتى لا تصبح بالية السياق. ولهذا فإن السياق اللغوي لا يخرج عن نطاق النص، لأنّه يعتمد على الكلمة والعلاقات اللغوية التي يتشكل منها كلّ النّص، ويدخل ضمن هذه السّياقات اللغوية، إنطلاقا من البنية الحرفية للكلمة ثم التراكيب والجمل التي تتشكل في النص حسب نوع السّياق. ثم تتابع هذه البنى مشكلة البنية الكبرى للنص، ويصحب هذا التتابع التركيبي للقضايا في النص تتابعا سياقيا يشكل السّياق اللغوي العام للنص.

إن تتابع الكلمات حسب نظام لغوي معيّن تضبطه العلاقات اللغوية. ويتحكم فيه سّياق لغوي معيّن، ينبعث من القواعد اللغوية المتنامية بحركة واستمرار داخل تشكيلة النص. لأنّ السّياق العام للنّص

تتحكم فيه سياقات لغوية (مقالية) داخلية. متمثلة في النّص ذاته بجميع مستوياته اللغوية وكينونتها النصية. إذ أن معنى الكلمة لا يتحدد إلا بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية"[1] ولأن موقعية الكلمة في الجملة ومنه في النّص؛ تعطي قوة إضافية للمعنى فالكلمات التي تحيط بها هي بمثابة إعانة تركيبية تدعم المعنى المتوخى، فدور الكلمة يتحدد بموقعها بما يجاورها من الكلمات التي تشترك معها في السّياق. فمن خلاله تتجلى دلالة الكلمة عند استعمالها في اللغة "[2] والكلمات في النّص ليست عناصر لغوية معزولة عن بعضها البعض، وعلاقاتها التي تربط بينها هي علاقات متبادلة تحيا على بعضها البعض، وفيه تظهر قيمة الكلمة وأثرها في الجملة والنص، بعد أن تتضامن المفردات من خلال هذه المواقع داخل النّص لتساهم في التشكيل السياقي للنص المنسجم. ولنلاحظ الدقة في اختيار الألفاظ القرآنية، وأدائها المعنوي الدقيق والبليغ في **قوله تعالى:﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)﴾** (البقرة،24)، **قال ابن عاشور:** "وإنما عبر بـ(**لم تفعلوا ولن تفعلوا**) دون : (**فإن لم تأتوا بذلك ولن تأتوا**) ، كما في قوله تعالى :(قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم) إلى قوله :(فإن لم تأتوني به) إلخ . لأن في لفظ (تفعلوا) هنا من الإيجاز ما ليس مثله في الآية الأخرى إذ الإتيان المتحدى به في هذه الآية إتيان مكيف بكيفية خاصة وهي كون المأتي به مثل هذا القرآن ومشهودا عليه ومستعانا عليه بشهدائهم فكان في لفظ (تفعلوا) من الإحاطة بتلك الصفات والقيود إيجاز لا يقتضيه الإتيان الذي في سورة يوسف. "[3]

ومن السياق اللغوي يمكننا أن نحدد معنى الكلمة داخل النظام اللغوي الذي احتضنها لأنّه "حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، متجاورة مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصا محددا، وهو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة (بنية النص) من تسلسل العناصر وترتيبها، وتقارن المفردات وتتالي الوحدات، وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، وهي تسبح في نطاق التراكيب، ويتكون من السّوابق واللواحق، أي ما يتقدم الكلمة وما يتبعها ليتخذ المعنى شكل الحلقات اللغوية المتسلسلة والتي تعطي معنى متعاضدا وناميا"[4]. ولقد صرّح زعيم المدرسة السياقية (FIRTH) بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال "تسييق الوحدة اللغوية"[5]، وجعلها مع أخواتها في سياق معيّن حتى تتغذى من دلالة الكلمات والألفاظ المجاورة لها، كون الكلمة بعيدة عن السياق محدودة معجميا، والسياق هو الذي يثيريها ويعطيها دلالات متنوعة

---

[1] – ينظر: تحليل الخطاب، براون ويول، ص: 68.

[2] – ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص: 68.

[3] – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/343-344.

[4] – النقد والسياق، سالم عباس حدادة، مجلة العلوم الإنسانية جامعة البحرين، ع2، 1999م، ص: 107، ينظر: المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة الشيدي، دار نينوى للطباعة والنشر، دمشق، 2011م، ص: 22.

[5]– علم الدلالة، أحمد مختار عمر،، ص: 68.

ومختلفة، وعليه فإن "دراسة دلالات الكلمات تتطلب تحليلا للأنماط السياقية والطبقات المقامية التي ترد فيها، فمعنى الكلمة يتحدد وفق السياقات التي ترد فيها"[1].

ولابد من القول بأن هذه التعددية الدلالية مع وحدة المفردة "تعد إسهاما رئيسا لتغطية كثير من الإشكاليات التخاطبية، وتحل عدة صعوبات لمواجهة التطور العصري وتحدياته، ولكن إذا تركت هذه الدلالات مكتنزة في المفردة دون تفصيل لكل وجه منها بقيت الصعوبة في مواجهة التطور قائمة دون تذليل، وأحيلت المفردة من حلٍ لمشكلة إلى مشكلة بذاتها، إلا أن هذه المشكلة تنتفي حال دخول المفردة في سياق، إذ إن السياق هو الحكم في توجيه دلالة المفردة وتحديدها؛ وذلك بحيثية تعاضد جميع مفردات السياق كاشفة عن المعنى المراد للمفردة ومعرفته تحديدا".[2]

2- انسجام الكلمة في سياق الجملة والتركيب لتحقيق المعنى:

يقول أحد اللسانيين "إن الجملة هي الوحدة السياقية النصية المعبّرة وليست الكلمة، وما الكلمة إلاّ جزء من الجملة، وعندما نعزل الكلمة عن السياق فإنّ معناها الدلالي والسياقي وهي بعيدة عن النص سيذوب ويتقلص. وبالتالي لا تكتسب الكلمة معناها إلاّ داخل التركيب في سياق ما. ومعنى الجملة كما هو معلوم ليس مجموع معاني الكلمات المفردة، ولكنه المعنى الحاصل من إئتلاف هذه الكلمات في ما بينها"[3]، لذلك يحترز المفسرون وأهل التأويل من تفسير الجمل والتراكيب اعتمادا على موقع الكلمة وعلاقتها بما يسبقها وما يلحقها، لأنّها تستمدّ جزءا من معناها من تلك العلاقة التي تنطلق منها لتمتد باحثة عن بقية المعنى من خلال ما يحيط بها من عناصر لغوية، وكأنها في رحلة البحث عن الجزء المكمل لمعناها تارة ناحية اليمين، وتارة أخرى ناحية الشمال، حتى يكتمل معناها بامتصاص تلك الأجزاء من المعنى التي تكتمن في الكلمات المحيطة بها، ولا يستقر معنى معيّن ولا تتضح الدلالة المعيّنة التي يقصدها صاحب النص إلاّ بوجود الكلمة داخل تركيب معيّن تساق فيه منسجمة مع أخواتها الكلمات التي تحيط بها، وهي في هذه الجهة تحصل على "خاصية أخرى وهي خاصية فصاحة اللفظ وانسجام النظم وذلك سلامة الكلام في أجزائه ومجموعه مما يجر الثقل إلى لسان الناطق به، ولغة العرب لغة فصيحة وأهلها مشهورون بفصاحة الألسن"[4]. لذلك فهم يستعملون اللفظ مصحوبا مع غيره للوصول إلى المقصود المعنوي، فاللفظة وعلاقتها بأخواتها تنشئ علاقة تساق بها المعاني إلى المتلقي وهي في حالة انسجام تام مع ما يصاحبها من ألفاظ داخل سياق معيّن. لذلك نجد "أن اللغويين يصفون المعنى المعجمي للكلمة بأنه متعدد ويحتمل أكثر من معنى واحد، في حين يصفون المعنى السياقي لها بأنه واحد

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 68.

[2] – جدلية السّياق والدلالة في اللغة العربية، النص القرآني أنموذجا، م.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، م. حيدر جبار عيدان كلية، الآداب، جامعة الكوفة، العراق، مركز دراسات الكوفة، العدد التاسع 2008م، ص: 35.

[3] –دور الكلمة في اللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، ص: 203.

4 –تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج112/1.

لا يحتمل غير معنى واحد".[1] و لنلاحظ كيف فسّر قوله تعالى من منشإ سياقي واضح في توظيف القرآن لحرف اللام في هذه الآية من سورة البقرة، وانسجامه مع الوظيفة الدلالية، فقد جاء في قوله تعالى حرف اللام:(**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**) (سورة البقرة: 286) ليضفي أصل معناها على ما دخلت عليه، لانّ اللام تشعر بالملكية المؤذنة بالإنتفاع، وجاءت (على) في قوله"(وعليها ما اكتسبت)؛ لأنّ (على) تشعر بالعلو المشعر بالتحميل والثقل المؤذن بالضرر وهو ما يسمّى بالطباق بين حرفين و هو لون من الألوان البديعية التي تضفي على الكلام روعة وجمالا[2]. ونطير ذلك أيضا قوله تعالى:(**ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف**)(سورة البقرة: 237) حيث جاءت اللام التي تدل على الملكية في قوله:(ولهن) لأن اللام تشعر بالملكية المؤذنة بالإنتفاع، وجاءت (على) في قوله (عليهن) لأنّها تشعر بالعلوّ المشعر بالتحمل والثقل، وهذا مما يدل على دقة استعمال الحرف في النظم القرآني[3].وهنا نلاحظ أن السياق القرآني مد نص الآية دلالتها التي تتغذى بها من الألفاظ التي تحيط بها، لذلك نجد المفسيرين يبحثون في العلاقة الموجودة بين حرف اللم وما يحيط لإظهار دلالته.

ويقول الأستاذ عبد الرحمن بودرع عن السيّاق:"إنّه إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدّمها النص للقارئ، ويضبط السّياق حركات الإحالة من عناصر النص، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتالي بعدها داخل إطار السّياق وكثيرا ما يرد الشبه بين الجمل والعبارات مع بعض الفوارق التي تميّز بينها ولا نستطيع تفسير تلك الفوارق إلاّ بالرجوع إلى السّياق اللغوي، ولحظ الفوارق الدقيقة التي طرأت بين الجمل"[4].

ولتكن الإحالة إحدى العلاقات اللغوية التي يمكننا أن نكشف من خلالها السياق اللغوي، وانسجام الجمل والفقرات، والآيات في السور القرآنية، حيث يضبط السياق حركة الإحالة بين عناصر النص، فلا نستطيع فهم الكلمات أو الألفاظ والجمل إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل السياق، وكثير ما يكون هناك تشابه بين الجمل والعبارات مع بعض الفوارق البسيطة، التي تميز بين هذه التراكيب فلا نستطيع أيضا تفسير تلك الفوارق إلا بالرجوع إلى السياق اللغوي، وملاحظة تلك الفوارق السياقية الدقيقة التي تظهر في الجانب اللغوي المسيق في الجمل، فكل مساق للألفاظ يجر ضربا من المعنى بجزيئاته وتفاصيله" ويمكننا أن نصنع معجما سياقيا للدوال (الكلمات) الواحدة التي اختلفت معانيها لاختلاف سياقاتها، ومن هذه الدوال

1– منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م، ص: 185.

[2] - الصبغ البديعي،د- أحمد إبراهيم موسى، ص:78.

[3] – من بلاغة حروف المعاني في النظم القرآني، د.بدر عبد العال حسين محمد، مجّلة جامعة طيبة، للآداب والعلوم الإنسانية، المدينة المنوّرة، السنة الثانية، العدد3، 1435هـ، ص:481.

[4]– منهج السّياق في فهم النّص، د. عبد الرحمن بودرع، مكتبة الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط 2008م، ص: 43.

(الكلمات) "الهدى" فقد جاءت في سبعة عشر سياقا وهي في كلّ سياق تحمل معنى يختلف به عن غيره، فقد جاءت بمعنى :

-الثبات ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الفاتحة : 06.

-البيان ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ البقرة 05.

-الدين ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله﴾ آل عمران : 73.

-الحجة ﴿و الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ البقرة : 258.

-الإلهام ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ طه : 50.

ويظل على هذا النحو حتى يأتي على الوجوه المختلفة للدال (الكلمة) أو على المعاني السياقية المختلفة التي تميز بها دال (كلمة) (الهدى) في النص الكريم [1]

وفي قوله تعالى: ﴿**خَتَم الله على قلوبِهِم وعلى سمعِهِم وعلى أَبصارِهِم غشاوةٌ ولهم عذاب عظيم**﴾ (سورة البقرة، الآية: 7.) وقوله: ﴿**أولئك الذين طَبع اللهُ على قلوبِهِم وسمعِهِم وأبصارِهِم وأولئك هم الغافلون**﴾ (سورة النحل، الآية: 108) قيل إنّ معنى ختم "شهد عليها بأنّها لا تقبل الحق، يقول القائل : أراك تختم على كل ما يقول فلان أي تشهد به وتصدقه... وقيل المعنى في ذلك أنه ذمّهم بأنها كالمختوم عليها لا يدخلها الإيمان ولا يخرج عنها الكفر"[2] فهي كالختم بالشمع الذي يؤدي دلالة الحضر والمنع " فيجعله لا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء"[3] فكأن الأمر قد انتهى بالنسبة لهؤلاء بدلالة التسوية في سياق الآية السابقة عليها وهي قوله تعالى: ﴿**إن الذين كَفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرهم لا يؤمنون**﴾" (سورة البقرة، الآية: 6.) متحدثة عن المنافقين وحيثيات تعاملهم مع المؤمنين، وهذا يدفعنا للقول أيضا بأنّ معنى (ختم) قد يدل على التغافل والإعراض منه سبحانه عن المنافقين[4] على حين أن إنعام النظر في سورة النحل يكشف لنا عن أن (طبع) أكثر شدة في الدلالة من (ختم)؛ وذلك لجملة أمور أولها"أن الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه فهو

---

[1] – ينظر: النص والخطاب ، قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، ص: 107.

[2] – التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تح: احمد حبيب قصير العاملي، مطبعة قم . مكتبة الإعلام الإسلامي، ط1، 1379هـ ج1، ص: 63.

3 – القاموس المحيط،: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ)، مطبعة الجيل، د.ت.، ج4، ص: 103.

[4] – ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج15، ص: 54، 55، والقاموس المحيط، الفيروز أبادي، ج4، ص: 104.

يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيد الختم"[1] فنصل إلى أن الطبع أثر لا يزول بخلاف الختم، وما يعضد هذا أنه عدّى الطبع إلى الإبصار فضلا عن القلب والسمع ولم يعد الختم إلى الإبصار بل قطع صلة حدث الختم بـ (الواو) الاستئنافية قبل الإبصار فقال: وعلى أبصارهم غشاوة ؛ لأن الختم لا يلزم، ثم إن الضرورة المعنوية هنا لا تقتضي التعدية للإبصار على حين "إن الطبع مأخوذ من الطبيعة المزامنة للإنسان التي لا تنفك عنه فهو مجبول عليها"[2]، وبما أن مدار الآية في الطبع مرتكز على فكرة (الغفلة) بدلالة نهاية الآية (وأولئك هم الغافلون) كانت التعدية للجميع ادعى لاستكمال الغفلة وجعلها كأنّها من طبيعتهم الدائمة، ويعضد هذا بناء الإسناد في جملة الغفلة على الاسمية الدالة على الثبات، بينما نجد أن مرتكز الآية في البقرة يدور على وجوب العذاب لا الغفلة وهذا متأتٍ من أن الكفار ممتنعون عن تقبل الحق لأنهم مختومون دونه، فصار لزاما ثبوت العذاب عليهم بدلالة نهاية الآية (ولهم عذاب عظيم).

أما ثاني الأمور فمرده إلى السياق السابق واللاحق لآية الطبع في سورة النحل، إذ الناظر فيهما بتأنٍ يدرك الفارق بينهما، فسياق الآيات السابقة عليهما تُفصّل القول في الكافرين والملحدين الذين يشرحون صدورهم بالكفر علنا وقد آثروا الحياة الدنيا، ويذكر سبحانه صراحةً غضبه عليهم فكانت دلالة السياق مشحونة ومحمّلة بالعذاب والغضب الإلهي، ثم يكاد سياق الآيات اللاحقة لها تتمحور على فكرة الكفر والعذاب أيضا، والتكذيب للرسل والإعراض عنهم، فكان هذا انسب دلاليا لورود لفظة (طبع) في هذا الموضع دون لفظة (ختم)[3] .

وبهذا نصل إلى أن للسياق اللفظي مقتضى و حاكمية على الدلالة فهو يوجّه اللفظة بحسب حاجته منها وعلى وفق ما تحمله اللفظة من دلالة معينة تفارق بها نظيرتها. التي قد يظن أنّها مرادفتها بفعله فالنص القرآني معجز في جميع وجوهه ويضمنها إعجازه السياقي في توجيه الدلالة.

ويمكننا أن نعد السياق اللغوي هو المرجع الأساسي والحقيقي الحاضر الذي يساعد على تحديد دلالة الكلمة، خاصّة إذا اختلف على تحديد مقصديتها. لذلك يظهر التفاعل بين الألفاظ وتبادل الوظائف والدلالات لإستكمال كلّ كلمة لمعناها من سياق الجملة. لذلك عندما يقول قائل: "الجملة سياق الكلمة لا يعني انفصال الكلمة عن سياقات أخرى داخلية أو خارجية، ولكن هذه المستويات تتفاعل وتتداخل لتأت الدلالة في نهاية الأمر حصيلة هذا التفاعل"[4] ، وهذا ما يوضحه قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ**

---

[1] – الفروق في اللغة،: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الأفاق الجديد . بيروت، ط3، 1979م. ص: 64.

[2] – ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج10/ 102.

[3] – جدلية السّياق والدلالة في اللغة العربية، النص القرآني أنموذجا، م.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، ص: 41.

[4] – السياق وتوجيه دلالة النص، عيد بلبع، بلنسية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1429هـ/2008م، ص: 141.

فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260) ﴾ (البقرة 258-259). وقوله:﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ**﴾ "عَطْفٌ عَلَى سَابِقِهِ وَالْكَافُ إِمَّا اِسْمِيَّةٌ بِمَعْنَى (مِثْلَ) مَعْمُولَةٌ لِ (أَرَأَيْتَ) مَحْذُوفًا أَيْ (أَوْ أَرَأَيْتَ مِثْلَ الَّذِي مَرَّ) وَإِلَى ذَلِكَ ذَهَبَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ وَأَبُو عَلِيٍّ وَأَكْثَرُ النَّحْوِيِّينَ. وَحُذِفَ لِدَلَالَةِ أَلَمْ تَرَ عَلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ قِيلَ: إِنَّ مِثَالَ هَذَا النَّظْمِ كَثِيرًا مَا يُحْذَفُ مِنْهُ فِعْلُ الرُّؤْيَةِ كَقَوْلِهِ :

قَالَ لَهَا كِلَابُهَا أَسْرِعِي كَالْيَوْمِ (مَطْلُوبًا وَلَا طَالِبَا)

وجِيءَ بِهَذِهِ الْكَافِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى تَعَدُّدِ الشَّوَاهِدِ وَعَدَمِ اِنْحِصَارِهَا فِيمَا ذُكِرَ كَمَا فِي قَوْلِكَ الْفِعْلِ الْمَاضِي مِثْلَ: نَصَرَ، وَتَخْصِيصُ هَذَا بِذَلِكَ عَلَى مَا قِيلَ: لِأَنَّ مُنْكِرَ الْإِحْيَاءِ كَثِيرٌ، وَالْجَاهِلَ بِكَيْفِيَّتِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى بِخِلَافِ مُدَّعِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا زَائِدَةٌ وَإِلَى ذَلِكَ ذَهَبَ الْأَخْفَشُ أَيْ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ أَوِ الَّذِي مَرَّ الخ، وَقِيلَ: إِنَّهُ عَطْفٌ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى كَأَنَّهُ قِيلَ: أَلَمْ تَرَ كَالَّذِي حَاجَّ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ وَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَهُ جَوَابًا لِمُعَارَضَةِ ذَلِكَ الْكَافِرِ، وَتَقْدِيرُهُ وَإِنْ كُنْتَ تُحْيِي فَأَحْيِ كَإِحْيَاءِ الَّذِي مَرَّ،"[1]

وهنا نشير إلى أن نحو النص (TEXT GRAMMAR) "يدرس النص المنجز من جهتي بنيته الكلية والسياقية، فهو يسجل عناصر النص في قواعد كبرى تقعد لتراكيب (الجملة) ولما وراء التركيب (التراكيب المجاورة) من حيث:

- مكونات التركيب ، وعلاقة ما بين التراكيب والفقرات والنص ككل، أي الخطاب النصي[2].

والسياق القرآني يخدم بعضه بعضا، فالكلمات السابقة واللاحقة كلها تتساوق في نغم خاص يثير إعجابنا وإن لم ندرك كنهه، وفي هذا يقول الرافعي:"ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية

[1] -ينظر، تفسير الألوسي، ج3/20-21.

[2] - نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، محمد عفيفي، ص: 55.

واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها في ما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعض، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي"[1].

وهنا يورد السياق القرآني لفظة (استبرق) داخل الآية الكريمة ولا يوجد تركيب أفضل مما وظفت فيه على الرغم من أنها لفظة غير عربية، ويعلق السيوطي نقلا عن الخويني على كلمة (استبرق) وهي كلمة غير عربية (أعجمية)، وكيف انسجمت قي الآية الكريمة مع غيرها من الكلمات الأخرى العربية وذلك قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31)** ﴾ (الكهف،31) "لو فصحاء العالم أردوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك"[2] لأنّ العبرة ليست في كون اللفظ عربيا أم أعجميا "بل باندماجه في سياقه، وقدرته على تأدية المعنى أفضل من غيره"[3] وهنا تتضح قيمة الكلمة وسط السياق، مهما كان نوعها فهي جزء من المعنى السياقي للتراكيب التي تتواجد فيها، تساهم بشكل كبير في صناعة الانسجام اللغوي بين الكلمات والألفاظ التي تتشكل منها الآية الكريمة، وبالتالي فإن هذا السياق اللغوي الخاص يساهم هو الآخر في الانسجام الكلي أو العام للنص. وتظهر خاصية النص اللغوية منسجمة في صورتها النهائية.

كما أن لفظة (يوقنون) أعطت للآية نوعا بديعا من التجديد في استعمال الألفاظ، وإظهار سلاسة قرآنية وبلاغية، شكلا ومضمونا؛ اتساقا وانسجاما.وهي من الألفاظ والكلمات التي تميزت بها سورة البقرة وكذلك تميزت باستخدامها مع لفظة (الآخرة) في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ (البقرة: 04). قال أبو حيان: "وكما ترى بين الإيمان بالمنزّل، والإيمان بالآخرة في اللفظ لزوال كلفة التكرار، وكان الإيقان هو الذي خُصّ بالآخرة لكثرة غرائب متعلقات الآخرة، وما أعدّ فيها من الثواب والعقاب السَرْمَدِيَّيْنِ، وتفصيل أنواع التنعيم والتعذيب ونشأة أصحابها، على خلاف النشأة الدنيوية، ورؤية الله تعالى، فالآخرة أغرب في الإيمان بالغيب من الكتاب المنزّل، فلذلك خصّ للفظ الإيقان، ولأن المنزّل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، مشاهدٌ أو كالمشاهد، والآخرة عين صرف، فناسبت تعليق اليقين بما كان غيبا صرفا"[4]. وما قاله البقاعي في قوله يوحي بخصوصية لفظة (يوقنون) وذلك حين قال "ولما كان الإيمان بالبعث من الدّين بمكان عظيم جدّا بيّنه بالتقديم إظهارا لمزيد الاهتمام فقال: (وبالآخرة) أي التي هي

---

[1]– مصطفى صادق الرافعي، تاريخ الآداب، ج227/2.

2 –ينظر، الإتقان في علوم القرآن، السيوطيج430/2.

3 – ينظر: النص والخطاب، قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، ص: 111.

[4]– البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج1/ 71.

دار الجزاء، ومحل التجلي، وكشف الغطاء، ونتيجة الأمر...ولما تقدّم من الاهتمام عبّر بالإيقان، وأتى بضمير الفصل فقال: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾، لأن ذلك قائد إلى كل خير، وذائد عن كل ضمير"[1].

ومن خلال هذه النظرة نستطيع أن نتبين مواطن الانسجام من خلال السياق اللغوي، حيث نجد أن معجمية هذه اللفظة منحتها خصوصية لغوية ودلالية انسجمت معها لفظة الآخرة، التي تدل على العالم الغائب عن تصوّر الذهن، وما فيه من غرائب الأحوال، ووقتها مما استأثر الله تعالى بعمله حيث ناسب أن يعبر عنها بالإيقان، وهو تعبير أكثر انسجامية من غيره.

وقوله:﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)**﴾ (البقرة،259). "(كيف ننشزها) بالزاي المعجمية من الإنشاز وهو الرفع كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد، وقال الكسائي: نلينها ونغطيها"[2].

وما يتميز به القرآن ككل؛ هو اختيار الألفاظ القوية التي تكون دلالتها إيحائية أكثر من غيرها، بفضل تركيبتها الحرفية. وهذا ما حدث مع هاتين اللفظتين ولو قطفت كلمتين (يتغير- نرفعها) لما كان المعنى بنفس الدلالة أقوى وأبين لذلك. وحسب رأينا والله أعلم أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعطي أدلة قوية فناسب ذلك قوّة الألفاظ لتكون أكثر وقعا عليه من غيرها.

ونستدل أيضا بكلمة (يتسنه) في قوله تعالى:﴿**فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ (البقرة: 259) وفي قوله: ﴿**وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا**﴾ (البقرة:259). فقد وظفت هاتين الكلمتين لما فيها من خصائص صوتية ومعجمية ودلالية مكتنزة فيها عن غيرها من لفظتي (يتغيّر- والرفع) قال الألوسي: "(لم يتسنه) أي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة"[3]. وهكذا يظهر الإنسجام في اختيار اللفظة لملاءمتها للسياق الذي هو بحاجة إلى مثل هذه الألفاظ، لأن القرآن من ميزاته اِختار الألفاظ لدقة وقوّة معانيها. لأن دلالتها في سياق كهذا هو تبليغ خاص قد لا تستوفيه ألفاظ أخرى غيرها. وفي هذا الوضع يكون استعمال اللفظة منسجما مع الألفاظ الأخرى المستعملة في نفس السياق دلالة وصوتا وصرفا وتركيبا، لتكون جزءا من

---

[1]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 1/ 36.

[2]- تفسير الألوسي، ج3/23-24.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ج3/23-24.

سياق النص إذن لابد أن تدرس اللفظة في سياقها اللغوي الذي وردت فيه وأثرها في هذا السياق من جهة المساهمة في انسجامه وملاءمتها للألفاظ الأخرى الواردة[1].

ونأخذ على سبيل المثال قضية لغوية تركيبية بلاغية وهي قضية التقديم والتأخير، ومن القضايا اللغوية التي يهتم بها السياق في القرآن وبخاصية البلاغة العربية قضية التقدم والتأخر ، كتقديم السماء على الأرض أو العكس أو الهدى على الضلال، أو الضلال على الهدى كل ذلك بحسب ما يقتضيه المقام، فمن ذلك تقديم الضلال على الهدى في قولة تعالى :﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)**﴾(البقرة 26.) ومما قيل عن هذا التقديم والتأخير،أنه "قدم في النظم الاضلال على الهداية مع سبق الرحمة على الغضب وتقدمها بالرتبة والشرف لأن قولهم ناشئ من الضلال. [2]

ونجد كذلك في قوله تعالى:﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)**﴾ (البقرة،7). وفي هذه الآية " فإن المتحدث عنهم هؤلاء أنفسهم ، ولكن الحديث عنهم أنبدئ بتساوي الإنذار وعدمه في جانبهم بقوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)**﴾ (البقرة 6). فلما أريد تفصيله قدم الختم على قلوبهم ،لأنه الأصل كما كان اتخاذ الهوى كالإله أصلا في وصف حالهم في سورة الغاشية، فحالة الهوى هي الأصل في الإنصاف على التلقي والنظر في الآيتين ولكن نظم هذه الآية كان على حسب ما يقتضيه الذكر من الترتيب ونظم آية البقرة كان على حسب ما يقتضيه الطبع" [3].

وكذلك من هذا القبيل أيضا تقدم الخوف على الحزن في قوله تعالى :﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)**﴾(البقرة، 38). فتقدم الخوف على الحزن لأنه أعظم الضررين وأشد الألمين ، فخوف المجهول أشد على النفس من الحزن على المعلوم ، علاوة على أن الخوف يتعلق بما لم يحصل بعد . أي بما يتوقع في المستقبل ، فان الخوف في هذه الآية متعلق أي بهذا العالم المجهول الغريب وما فيه من أهوال أما الحزن فهو على ما حدث في الماضي أي حزن على ترك الدنيا ومفارقة الأهل والأحباب والأموال وكل ما يحدث في الدنيا من حزن أو مكروه فانه لا بد في لحظة ألم من عذاب الأخرة، ولهذا

---

[1]– الأشكال البديعية في ضوء والانسجام في القرآن الكريم، د. محمد شاكر ناصر الربيعي، د. أحمد جاسم مسلم الجنابي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 17، أيلول 2014م، ص: 462.

[2] – روح المعاني ، 209/1

[3] – التحرير والتنوير ، 360//25 .

قدم الخوف لما هو آت على الحزن لما قد فات .[1] وقد ذكر السيوطي قولا :خص دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء نحو:﴿ **وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ** ﴾(البقرة177) .قال وكل موضع ذكر فيه الكتاب (آتينا) فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه (أوتوا) لأن (أوتو) قد يقال إذا أوتي من لم يكن منه مقبول و(آتيناهم) يقال فيمن كان منه قبول.[2]

ولهذا فإنّ السياق اللغوي يلعب دورا هاما في تحقيق الانسجام اللغوي ، كما ظهر ذلك من خلال بلاغة التقديم والتأخير إذا بلغ الانسجام في النص عن طريق السياق اللغوي ذروة كبيرة في تخير مواضع الكلمات الذي يقتضيه المقام والسياق ، وذلك لتحقيقها أغراضا بلاغية مقصودة بهذه البنى اللغوية . و الحاصل والمحصول في واجهة هذا النوع من السياق اللغوي هو الانسجام الملموس بين مواضع هذه الآيات فقد فاقت مواضعها وتراكيبها كل أنواع الفنون الأدبية النثرية والشعرية وهذا الانسجام هو انسجام نوعي ورفيع .

– علاقة السياق بالنحو:

يعتبر النّحو الآلية الفعلية التي نكتشف بها نوع العلاقة اللغوية في النص، حيث يوفر للمحلل الذي يقوم بتفكيك النص تلك الآليات التي تحدد نوع العلاقة. والسياق النحوي هو الذي يدرس البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية في كل متسق، وأن الكلمات في الجمل تتوالى على نسق مرتب وتخضع في ترتيبها إلى أنساق تركيبية مطردة وعلاقات داخلية معينة تشكل في مجموعها قواعد التركيب النحوي على وفق مقتضى السياق، "فالسياق ينتج المعنى الذي تؤديه المنظومة القواعدية التي يتكون منها النص من وجهة نظر نحوية، فالقواعد التي يبنى عليها النص اللغوي يجب أن يتحقق فيها الإنسجام مع دلالة (السياق)، ويعمل السياق النحوي على أداء معنى الجملة"[3] لأنه يقوم "بوظيفة مهمة في تحديد المعنى الفعلي للكلمات"[4]. ويركزّ السياقيون على صحة العلاقات النحوية والدلالية لضبط الإنسجام في النص؛ لذلك يركزون على دقة اختيار اللفظ والعلاقة النحوية التي تؤدي المعنى المراد(المقصود)، فإن "صحت العلاقة النحوية والدلالية معا، وإذا لم تجتزه لم تصبح العلاقة ملائمة. والاختيار هنا مفيد SÉLECTION RESTRICTION، ومهمته أنه يهدف إلى إزالة التناقض الدلالي بين التراكيب الإسنادية وغيرها وقد عبّر علماؤنا القدامى عن هذا بقولهم أن الكلمة تطلب لفقها.[5]

---

[1] – مفاتيح الغيب ، 29/3 ، بتصرف .

[2] – الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ،ج199/2 .

[3]– جدلية السّياق والدلالة في اللغة العربية، النص القرآني أنموذجا، م.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي،ص: 42.

[4]– معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ص: 159.

[5]–ينظر، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي، الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص: 96.

وفرّق مشكور كاظم العوادي بين السّياق والنظم بقوله: "النظم هو ترتيب الكلمات إداريا (بقصد مع وضع معيّن) لتأدية معنى خاص، وبه تتم الإفادة من قوانين اللغة فيما يمكن أو تسمح به هذه القوانين من إعادة التركيب في نمط معين لمعنى جديد معيّن، أمّا السياق فهو المعنى الذي يؤديه النّص والانسجام مع هذا المعنى لشيء آخر ملحق به (ملاءمة الوضع) أي المعنى العام هو الذي يجري مع السّياق"[1]. يقول السكاكي: "اعلم أنّ النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية وأعني بكيفية التركيب، تقديم بعض الكلم إلى بعض ورعاية ما يكون من الهيئات إذّاك وبالكلم، نوعيتها المفردة وما حكمها"[2]، و لهذا كان ابن عاشور دائما يستعين بالنحو لمعرفة نوع العلاقة النحوية التي ارتبطت بها الجملة، والمعنى الذي حققته في السياق، حيث قال معلقا على قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)**﴾ (البقرة: 23-24)"تفريع على الشرط وجوابه ، أي فإن لم تأتوا بسورة أو أتيتم بما زعمتم أنه سورة – ولم يستطع ذلك شهداؤكم على التفسيرين – فاعلموا أنكم اجترأتم على الله بتكذيب رسوله المؤيد بمعجزة القرآن فاتقوا عقابه المعد لأمثالكم .ومفعول (تفعلوا) محذوف يدل عليه السياق، أي فإن لم تفعلوا ذلك أي الإتيان بسورة مثله،... وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته (في سورة المائدة.). وجيء بـ (إن) الشرطية التي الأصل فيها عدم القطع مع أن عدم فعلهم هو الأرجح بقرينة مقام التحدي والتعجيز ; لأن القصد إظهار هذا الشرط في صورة النادر مبالغة في توفير دواعيهم على المعارضة بطريق الملاينة والتحريض ، ...ومجادلة له بالتي هي أحسن ، حتى إذا جاء للحق وأنصف من نفسه يرتقي معه في درجات الجدل; ولذلك جاء بعده ولن تفعلوا كأن المتحدي يتدبر في شأنهم ، ويزن أمرهم فيقول أولا ائتوا بسورة ، ثم يقول قدروا أنكم لا تستطيعون الإتيان بمثله وأعدوا لهاته الحالة مخلصا منها ، ثم يقول : ها قد أيقنت وأيقنتم أنكم لا تستطيعون الإتيان بمثله . مع ما في هذا من توفير دواعيهم على المعارضة بطريق المخاشنة والتحذير . ولذلك حسن موقع (لن) الدالة على نفي المستقبل ، فالنفي بها آكد من النفي بلا ، ولهذا قال سيبويه " : لا " لنفي " يفعل " ،و " لن " لنفي " سيفعل " فقد قال الخليل : إن " لن " حرف مختزل من لا النافية وأن الاستقبالية . وهو رأي حسن ، وإذا كانت لنفي المستقبل تدل على النفي المؤيد غالبا لأنه لما لم يوقت بحد من حدود المستقبل دل على استغراق أزمنته إذ ليس بعضها أولى من بعض ، ومن أجل ذلك قال الزمخشري بإفادتها التأبيد حقيقة أو مجازا وهو التأكيد ، وقد استقريت مواقعها في القرآن وكلام العرب فوجدتها

---

[1]– البحث الدلالي في تفسير الميزان، (دراسة في تحليل النص)، د. مشكور كاظم العوادي، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م، ص: 137.

[2] – مفتاح العلوم، السكاكي،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1– 1403– 1983م، ص:75.

لا يؤتى بها إلا في مقام إرادة النفي المؤكد أو المؤبد . ..وقوله ولن تفعلوا من أكبر معجزات القرآن فإنها معجزة من جهتين : الأولى أنها أثبتت أنهم لم يعارضوا لأن ذلك أبعث لهم على المعارضة لو كانوا قادرين ، وقد تأكد ذلك كله :بقوله قبل: (إن كنتم صادقين) وذلك دليل العجز عن الإتيان بمثله فيدل على أنه كلام من قدرته فوق طوق البشر . الثانية أنه أخبر بأنهم لا يأتون بذلك في المستقبل فما أتى أحد منهم ولا ممن خلفهم بما يعارض القرآن فكانت هاته الآية معجزة من نوع الإعجاز بالإخبار عن الغيب مستمرة على تعاقب السنين ، فإن آيات المعارضة الكثيرة في القرآن قد قرعت بها أسماع المعاندين من العرب الذين أبوا تصديق الرسول ، وتواترت بها الأخبار بينهم وسارت بها الركبان بحيث لا يسع ادعاء جهلها – ودواعي المعارضة موجودة فيهم – ففي خاصتهم بما يأنسونه من تأهلهم لقول الكلام البليغ وهم شعراؤهم وخطباؤهم "[1] . وبهذا نلا حظ دور النحو في التفريق بين السياقات والدلالات، لأنّ الفرق بين (لم)و(لن) في المثال السابق لا يمكن فهمه إلاّ بتوظيف النحو ومعرفة خصائص كل منهما، ف(لم) تدخل على الماضي و(لن) تدخل على المستقبل المنفي المؤكد والمؤبد.

وهنا تظهر العلاقة واضحة بين النحو والسياق. لأنهما يهتمان باللغة كالحرف والكلمة والتراكيب النحوية والجمل والنصوص...إلخ وكل علاقة بين عنصرين لغويين تربط بينهما علاقة لغوية معينة كالإسناد مثلا. وقد تتبع النحاة العرب الكلمة من خلال تموقعها في الكلام. وفي سياقات لغوية معينة، بهذا فإننا نجد أن الدراسات النحوية العربية هي دراسات سياقية، لأن النحاة العرب اهتموا بالعلاقة بين الكلمات أكثر من اهتمامهم بالمفردة وذلك موجود في تتبعهم لنظام الجملة العربية (الإسمية– الفعلية– الظرفية...) حيث وضعوا القواعد والأصول التي تحكم الترتيب اللغوي للكلمات حسب سياق لغوي معين، واعتبروا المفردة وحدة من الوحدات السياقية التي يتشكل بها النظم، فهي ليست سياقا صرفا لغويا كاملا. ومن هنا كانت دراستهم تنطلق من علاقة الجزء بالكل. أي علاقة الكلمة (الوحدة السياقية) بأخواتها سياقية لغوية ولذلك كان غهتمام الغربيون بهذه العلاقة اهتماما يتساير من العلاقات النحوية داخل النص و "لقد اهتم النحو السياقي الذي طوره أوجين وينتر (EUGENE WINTER) (1970) بكيفية فهمنا لمتواليات الجميلات أو الجمل بلغة السّمات النحوية الواردة أو المعنى"[2].

وقد كان النحو العربي يبحث في السياقات الخطابية التي "تُبنى أصالةً على مقتضيات منهجية ومنظومات قواعدية غاية في الرفعة والإتقان، إذ تتيح للمتكلم أن يشكِّل السّياق نحويا على وفق مقاصده ومراده، فتتوزع البنى التركيبية على مسار الخطاب اللغوي من منظور دلالي محكوم بقاعدة تضبطه لا يسعه أن يتعداها آو يخرج عليها"[3]، ويعدّ هذا النوع من الدراسة السّياقية أهمّ من غيره في الجانب اللغوي لأنّه يهتم

[1] – تفسير ، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/342–343.

[2]– ينظر، معجم الأسلوبيات، كاتيي وايلز، خالد الأشهب، ص: 159.

[3]– جدلية السّياق والدلالة في اللغة العربية، النص القرآني أنموذجا، م.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي،ص: 41.

بالمفردة من جهة والتراكيب التي سيقت معها، ثم ينتقل إلى أكبر بنية سياقية ولغوية يكشف من خلالها نوع الربط فالإتّساق ثم الإنسجام مع غيرها من المفردات التي تسهم معها في إنتاج النص.

يقول أحمد عفيفي في بيان العلاقة بين طريقة التحليل النحوي (نحو النص) والسياق: "ثمة مفهومات جديدة للنص وطريقة تحليلية نحويا شكلت النظرة إلى اللسانيات الراهنة، فالنص بمفهومه الحديث يتجاوز كل حدود المعيارية للنحو التقليدي – نحو الجملة- كما أنه يتجاوز كل العادات القرائية التقليدية وطرق التحليل اللغوي المعروفة عن طريق تقسيمه إلى وحدات ومن خلال المفاهيم اللغوية لهذا المنهج ندرك أن النص إبداع تتفاعل مع اللغة وتنسجم معها من خلال تحرك غير مقيد في فضاءات لا تحدّ"[1].

لذلك عيب على نحو الجملة بأنه يعزلها عن بقية السياقات التي تكتمل معناها بها وتستمد دلالتها من الجمل التي تحيط بها، لأن التعليل في "نحو الجملة يبدأ باختراع الجمل وعزلها تقريبا عن سياقها في النص أو الخطاب، ويصبح السلوك اللغوي مجرد تحقيق لا نهائي لعدد من نماذج الجملة، وما على النحوي إلا الكشف عن هذه النماذج وتحديد قوانينها الحاكمة لمكوّناتها التركيبية، ليصير الكلام جميعه قيد الضبط وهذا الاجتزاء لا يعطي لكلية النص قيمة دلالية فاعلة، لأنه لا يوجد بين علاقة بين أجزاء النص الواحد، ولا يراعي علاقة آخر النص بأوّله، ولا علته بمعلوله، ولا كيفية الترابط بين أجزاء النص الواحد فضاء النص الرحب، لأن نحو الجملة بحدود جزئية"[2].

"من هنا كان اتجاه نحو النص إلى تحديد المعنى الكلي للنص وتحديد مجموعة القوانين الحاكمة لبنية المعنى، تلك البنية التي تتجاوز الدلالات الجزئية فيه لأن التعامل معه يكون في صورته الكبرى أو البنية الشمولية"[3] . ويظهر أثر السياق النحوي جليا في بيان الدلالة النحوية. والسياق النحوي والدلالة النحوية هما عنصران يتفاعلان في الجمل والتراكيب لبيان وتوضيح ما فيها من دلالات وظيفية، وقد اصطلح بعض المحدثين على هذا التفاعل النحوي والدلالي بـ(المعنى النحوي الدلالي للجملة).[4]

3- أثر السياق اللغوي في انسجام النص:

ويظهر أثر السياق اللغوي مرّة أخرى في سورة البقرة لتخيّره للصيغ المعبّر عنها في آياتها، وبالمقارنة بينها وبين آيات شبيهة بتلك المذكورة في سورة البقرة يتضح لنا مدى انسجامه تلك الكلمات والمفردات مع

---

[1]-نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، ص: 47.

[2]-المرجع نفسه، ص: 65- 66.

[3]-المرجع نفسه، ص: 66.

[4] - المرجع نفسه ص: 42.

السياق العام للسورة ومحورها، فنلاحظ مثلا في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58)**﴾ (البقرة: 58) وقوله أيضا في سورة الأعراف: ﴿ **وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161)**﴾ (الأعراف: 161)، وبالمقارنة بين الآيتين نجد اختلافا في توظيف واستعمال اللغة يكشف عنه النحو وعلاقته بالسياق، وكان لفاضل السامرّائي جهدا كبيرا في هذا العلم، حيث قال معلقا عن هاتين الآيتين:" لو أردنا أن نُجمِل الاختلاف بين الآيتين: سنجد بالمقارنة الإختلاف واضحا بعد أن نمعن النظر، فيظهر لنا ذلك في ما يلي[1]:

سورة البقرة	سورة الآعراف	العلاقة النحوية وعلاقتها بالسياق
-وإذ قلنا .	-(وإذ قيل لهم) بالبناء للمجهول.	– قال في البقرة (وإذ قلنا) بإسناد القول إلى نفسه سبحانه وتعالى، وهذا يكون في مقام التكريم، وبناه للمجهول في الأعراف للتقريع (وإذ قيل لهم)، مثل أوتوا الكتاب وآتيناهم الكتاب، فأوتوا الكتاب في مقام الذم.
– ادخلوا هذه القرية فكلوا.	– اسكنوا هذه القرية و كلوا.	– قال (ادخلوا القرية فكلوا) في البقرة: فكلوا، الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، يعني الأكل مهيأ بمجرد الدخول ادخلوا فكلوا، أما في الأعراف (اسكنوا وكلوا) والدخول ليس سكناً، فقد تكون ماراً. ولم يأت بالفاء بعد السكن، أما في البقرة فالفاء للتعقيب الأكل بعد الدخول .(وكلوا) الواو تفيد مطلق الجمع متقدما أو متأخرا، ففي البقرة الأكل مهيأ بعد الدخول، أما في الأعراف فالأكل بعد السكن، ولا يدرى متى يكون؟ والأكرم أن يقول ادخلوا فكلوا.
-رغدا.	– لم يذكر رغداً لأنهم لا يستحقون رغد العيش مع ذكر معاصيهم.	– قال (رغداً) في البقرة، ولم يقلها في الأعراف؛ لأنها في مقام تقريع، ورغداً تستعمل للين العيش ورخائه، فرغداً تتناسب مع التكريم.

[1] –ينظر، على طريق التفسير البياني،فاصل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدّة ، 1423هـ– 2002م،، ج120–21.

- وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حطة.	- (وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً) قدم القول على الدخول .	(وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ) يعني حُطّ عنا ذنوبنا، من حطّ يحط حطة، أي ارفع عنا، قدّم السجود على القول، فالسجود أفضل من القول؛ لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فقدّم ما هو أفضل (وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ)، إضافة إلى أن السياق في البقرة في الصلاة، قال (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ (43))، والسجود من أركان الصلاة، وقال بعدها أيضاً (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)، السياق في الصلاة، فتقديم السجود هو المناسب للسياق والمقام. أما في الأعراف (وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا)، فقد جاء بالسجود بعد القول.
- نغفر لكم خطاياكم.	- نغفر لكم خطيئاتكم.	في البقرة قال نغفر لكم خطاياكم، وهو جمع كثرة، وفي الأعراف خطيئاتكم جمع قلة، وجمع المذكر السالم يفيد القلة إذا كان معه جمع كثرة، وإذا لم يكن معه جمع كثرة فإنه يستعمل للكثرة والقلة مثل سنبلات وسنابل.خطايا جمع كثرة وخطيئات جمع قلة، كافرات وكوافر كافرات جمع قلة وكوافر جمع كثرة. فمادام هناك جمع كثرة الأصل في جمع السالم مذكرا أو مؤنثا أن يكون للقلة. فإذًا خطايا جمع كثرة، وخطيئات جمع قلة، نغفر لكم خطاياكم وإن كثرت، خطيئاتكم قليلة، أيهما الأكرم؟ خطاياكم أكرم. فآية الأعراف لم تحدد أن خطاياهم قليلة، لكن ما غُفر منها قليل إذا ما قورن بآية البقرة. وفي آية البقرة يغفر كل الخطايا، أما في الأعراف فيغفر قسماً منها.
- وسنزيد المحسنين.	- سنزيد المحسنين.	وقال في البقرة (وسنزيد المحسنين) جاء بالواو الدالة على الاهتمام والتنويه، وقال في الأعراف (سنزيد المحسنين) بدون الواو. وهنالك أمور أخرى في السياق

		لكننا نجيب على قدر السؤال. الخطاب في الآيتين من الله تعالى إلى بني إسرائيل، والأمر بالدخول للقرية والأكل واحد، لكن التكريم والتقريع مختلف والسياق مختلف.حتى نفهم آية واحدة في القرآن يجب أن نضعها في سياقها، لا ينبغي أن نفصلها، وإذا أردنا أن نفسرها تفسيراً بيانياً نضعها في سياقها، وقال القدامى السياق من أهم القرائن. لا يكفي أن نقول: مرة قال: وكلوا، ومرة فكلوا؛ لأنه يبقى السؤال لماذا قال؟ هي في الحالين حرف عطف، لكن حرف العطف يختلف، أقبل محمد لا خالد، وأقبل محمد وخالد، ما أقبل محمد بل خالد، كلها عاطفة لكن كل واحدة لها معنىً.

يقول السامرائي مستعينا بقواعد النحو ، ويربط بينها وبين السياق في تفسير الآيتين من خلال المقارنة: "قلنا في أكثر من مناسبة إن الآية يجب أن توضع في سياقها لتتضح الأمور والمعنى والمقصود:

1- آية البقرة في مقام تكريم بني إسرائيل، بدأ الكلام معهم بقوله سبحانه ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47)** ﴾(البقرة، 47) والعالمون هنا أي قومهم في زمانهم، وليس على كل العالمين الآن، يعني فضلناكم على العالمين في وقتهم وليس كل العالمين.

فالسياق في البقرة في مقام التكريم يذكرهم بالنعم، وفي الأعراف في مقام التقريع والتأنيب، فهم خرجوا من البحر، ورأوا أصناماً، فقالوا (يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)، وعبدوا العجل، وهذا لم يذكره في البقرة، وانتهكوا حرمة السبت، فالسياق ورد في غير سياق التكريم، وإنما في سياق التقريع والتأنيب، وذكر جملة من معاصيهم.

وصيغة الجمع التي جاءت عليها كلمة (خطياكم) وكلمة (خطيئاتكم) وهذه الكلمة جاءت على صيغة جمع التكسير وهو جمع كثرة في الغالب، يدل على عشرة فما فوق، في حين جاءت في آية الأعراف جمع المؤنث السالم وهو جمع قلّة، يدل على ما دون العشرة إلى الثلاثة.[1] فلما كان السياق في البقرة، يتضمن تعداد

[1]– ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث العربي، القاهرة، ط 2، 1980م، مج 2، ج4، ص: 114.

النعم، جيء بالجمع (خطاياكم) الدّال على الكثرة ولما نعده من كثرة الخطايا، وتجاوزه تعالى عن هذه الخطايا من أهم النعم التي أنعمها على بني إسرائيل، إذ أنه رغم كثرتها وعظمها يبقى هناك أمل كبير في المغفرة.

أما في سياق الآية التي جاءت في سورة الأعراف وهي السورة التي عرفت بالتأريخ لأحداث بني إسرائيل، لأجل التعنيف عليهم نتيجة كفرهم ومعصيتهم، فقد جاءت لغة الخطاب لتتخيّر الجمع (خطيئاتكم) الدّال على القلّة وكأن المغفرة لا تتحقق إلا لبعض الخطيئات القليلة، غير العظيمة، وفي ذلك إشارة إلى تحذير القوم من الارتكاس في الذنوب والمعاصي، ودفعهم إلى الإيمان، والتصديق بنبوّة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهكذا نلاحظ أنّ فهم النصوص يجب أن توضع في سياقها حتى تظهر من خلاله العلاقات النحوية التي تبني بنيتها العامة، ولا بد من استظهار العلاقات اللغوية وكشفها حتى نتمكن من حصرها وتبيان الدلالة المخصوصة بها. لأنّ ثمة علاقة وطيدة بين النحو والسياق. وهناك الكثير من النماذج التي تبيّن الطريقة السلسة التي انسجمت بها آيات سورة البقرة في ظل السياق اللغوي للسورة، نذكر منها كمثال آخر للتوضيح أكثر ما جاء في قوله تعالى:﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾ (البقرة: 257). حيث جاء في الآية بأن ولي المؤمنين واحد، هو الله عزّ وجلّ، وأولياء الكفار متعددون متشبعون في الضلال والإضلال ولذا وحدّ ولي المؤمنين، وجمع أولياء الكفار، وكذا سبيل الحق واحدة، وسبل الباطل متعددة، فأفرد سبيل الحق وجمعت سبل الباطل.[1] ويظهر الانسجام اللغوي الحاصل في لفظتي (الله) و(ولي) فقد خصّ الله سبحانه وتعالى ولايته للمؤمنين لوحده أما الكفار فأولياؤهم متعددون وكثيرون، لذلك نجد انسجاما في السياق. وكذلك نجد انسجاما في السياق اللغوي للآية بين صيغة الإفراد بين (الله) و(ولي) ولايته للمؤمنين، وانسجاما آخر حاصل في صيغة الجمع ذاتها (أولياؤهم)، لأنّ سبل الطاغوت متعدد عند الكفار بعكس سبيل المؤمنين وهو طريق واحد. فحصل الانسجام بين توحيد الطريق للمؤمنين وتعداد طرق الكفار وهذا لا يمكننا أن نكشف عنه إلاّ بالعلاقات النحوية. فلما كانت الظلمات بمثابة طرق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، فقد جمعت الظلمات وأفرد النور، ولم يرد النور في آيات الذكر الحكيم إلاّ مفردا، وكذا الظلمات لم ترد إلا جمعا، وذلك للإشعار بتعدد طرق الضلال وتشعبها، والدلالة على وضوح طريق الحق وجلائه"[2].

وهكذا فإن مبدأ السياق من هذا المنظور يكون له دور كبير في الكشف عن تأثير الألفاظ والكلمات على دلالة النص، حيث تلعب المفردات والكلمات أدوار متعددة في تحقيق انسجام النص في خضم العلاقات اللغوية التي تحكم نظمه.

---

[1]– ينظر: من بلاغة النظم القرآني،د. بسيوني عبد الفتاح فيّود، ص: 14 – 26.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 26.

ولنلاحظ قوله تعالى:﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: 19) ولنلاحظ كلمة صيّب وطريقة توظيفها داخل السياق وكيف انسجمت مع السياق الذي سيقت فيه، يقول السيد الطباطبائي: "الصيّب هو المطر الغزير، والبرق معروف، والرعد هو الصوت الحادث من السحاب عند الإبراق، والصاعقة هي النازلة من البروق، وهذا مثل ثان يمثل به حال المنافقين في إظهارهم الإيمان، أنهم كالذي أخذه صيّب السماء ومعه ظلمة تسلب عنه الأبصار والتمييز، فالصيّب يضطره إلى الفرار والتخلص والظلمة تمنعه ذلك، والمهولات من الرعد والصاعقة محيطة به فلا يجد مناصا من أن يستفيد بالبرق وضوئه وهو غير دائم ولا باق متصل كلما أضاء له مشى وإذا أظلم عليه قام"[1].

ولذلك نجد الطباطبائي يستعين بالسياق اللغوي في تحديد المعنى المراد من المعنى المعجمي (صيّب) ويختار المعنى السياقي (المطر الغزير) الذي تحدده معاني الكلمات المجاورة (البرق، الرعد، جعل الأصابع بالآذان) الذي يعمل على ربط عناصر النص القرآني، وأنه "يتيح للعناصر لما يتكوّن منها النص أن تولّد تواكبا للتمثيل والتنوع"[2].مستفيدا من سياق الآيات التي سبقتها لذا تراه يقول:مثل ثان إشارة إلى قوله تعالى:﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾ (البقرة: 17).وهذا التحليل النصي ينم عن رؤية نصيّة لسانية تضاهي اللسانيات الحديثة، تؤكد ظاهرة الانسجام الموجودة في هذه الأمثلة المضروبة في سورة البقرة، إذ يظهر ذلك في الانسجام داخل النص، وبين النص أي الأمثلة وصورة المنافقين خارج النص.

فظاهرة التماسك النصي تظهر في خاصة الانسجام الموجودة على المستوى الكلي للنص (سورة البقرة)، وهذه النظرة العامة للسورة تؤكد كلية النص من خلال انسجام سياقه اللغوي في تحديد الدلالات والمعاني. "وهذه حال المنافق فهو لا يحبّ الإيمان ولا يجد بدّا من إظهاره، ولعدم الموافقة بين قلبه ولسانه لا يستضيء له طريقه تمام الاستضاءة فلا يزال يخبط خبطا بعد خبط، ويعثر عثرة بعد عثرة فيمشي قليلا ويقف قليلا ويفضحه الله بذلك ولو شاء الله لذهب بسمعه وبصره فيفتضح من أول يوم"[3]. فالانسجام بهذه النظرة لا يتحقق انطلاقا من "علاقات الترابط بين المتتاليات والجمل فحسب بل يتحدد كذلك على مستوى البنية الكبرى للنص بعدّه عملا كليا يحدد معنى النص"[4].

---

[1]– الميزان في تفسير القرآن الكريم، السيد الطباطبائي، ج1/ 58.

[2]– نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ص: 119.

[3]– الميزان في تفسير القرآن الكريم، الطباطبائي، ج1/ 58.

[4]– ينظر: لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء نعمان بوقرّة، ص: 59.

إننا نجد خلال التعرّف للسياق اللغوي لهذه الآية الكريمة ربطا نصيّا وسياقيا بين أول الآية وآخرها حيث استفاد الألفاظ من السياق المتقدم في تحديد دلالتها ومعانيها بدقة، حيث نرى إن السياق اللغوي لكلمة (صيّب) وما جاورها من ألفاظ جانبتها، حققت لها لسياقها الأصغر الذي أفاد في تفسير الآية والكشف عن مظهر الانسجام في سورة البقرة عبر هذه الآيات.

وهنا نستطيع القول بأنّ الأثر الذي يتركه السياق اللغوي على مستوى الآية فالسورة حتى وإن كان صغيرا غير أنّه له خاصية الربط وتحقيق الانسجام على مستوى البناء الكلي للنص (السورة) حيث يعتبر جزءا من الانسجام العام للسورة، إذ أن تحقيق الترابط عن طريق السياق اللغوي هو مساهمة بشكل مباشر في تحقيق انسجام النص "بين وحدات النصوص وعناصرها من خلال العلاقات التي تربط نسيج النص بعضه ببعض وتجعل النص موحدا"[1].

4- أثر الكلمة في انسجام النص من خلال السياق:

تلعب الكلمة دورا مهما في السياق اللغوي الداخلي في النص، إذ منها ما يمثل المحور الأساسي الذي تدور حوله الأفكار والمقاطع النصية، وتتحدد منزلة الكلمة من كثرة حضورها ودورانها فيه، ويمثل التكرار والذكر والحذف أكثر الصور الوجاهية التي يظهر فيها دور الكلمة في النص، حيث يمثل مركزها في النص نقطة تجاذب العلاقات النصيّة، مثل كلمة (البقرة) التي يظهر فيها تجاذب العلاقات من بداية النص المتمثلة في العنوان، حتى مركز الذكر الذي وردت فيه هذه اللفظة، ثم تبدأ علاقات أخرى تنسجم من جديد بعد ذكر هذه الكلمة لتمشي في سياقات معيّنة حتى آخر آية من السورة،ولنكشف عن هذا الدور الذي تقوم به الكلمة تاركة أثرها في النص، نتأمل مثلا قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا**﴾(نوح: 15- 16)، فهذه الآية سمعها العرب، فبعضهم يفهم من نسقها أن القمر نور والشمس نور، ولكن اختلف اللفظان ليكون في ذلك تنويع بليغ، ويعلو آخر عن هذه المنزلة، فيفهم أن القمر أضعف نورًا من الشمس لأن هذه عبّر عنها بالسراج، ولفظ السراج يحضر في النفس شعاعه المتقد فكأنه نور منبعث من نار ويدفق بعضهم فيرى أنّ الغرض هو التعبير عن الشمس بأنها تجمع إلى النور الحرارة، ولذلك فائدة في الحياة ولهذه فائدة أخرى، والنور نفسه لا تكاد تحس فيه الحرارة، بل إنما تحس في السراج ووهجه، وكأن المفسرين لم يتعدوا المنزلة الثانية، ولم يفطنوا حتى ولا للثالثة...ثم يفهم أهل القلوب الحديثة مع كلّ هذه الوجوه أن المراد من الآية إثبات ما كشفته هذه العلوم، من أن القمر جرم مظلم، وإنما يضيء بما

[1]- ينظر: في اللسانيات ونحو النص، د. إبراهيم محمود خليل، ص: 185.

ينعكس عليه من نور الشمس التي هي (سراجه) إذ النور لا يكون من ذات نفسه ابتداء، ولابد له من مصدر يبعثه، فذكر السراج بعد النور دليل على أن هذا مصدره ذاك.[1]

كما "يمكن القول أن الكلمات بمفردها لا تحمل إثباتا، و إنها لابد من أن تكون في الجملة لكي تؤدي معنى تاما، كما إن بعض الكلمات لا يمكن أن تدل على أيّ معنى بمفردها، ولابد من أن تكون ضمن سلسلة الكلام، وفي بعض الموارد فإنّ القبور على معنى ليس بالأمر السهل، فمثلا يدرك معاني كلمات: اليد، على، كثير، ولكن إذا ألفنا منها جملة واحدة: اليد على اليد كثير، فلا يمكن أن نفهم من معانيها الوضعية الخاصة معنى الجملة ككل"[2].

وقد حاول ابن جني وتشومسكي والتحويليون أنّ يضعوا شرطا لصحة العلاقات النحوية وهي ما أسموه SÉLECTION RESTRICTION (قيود الاختيار) وما سيتتبعه ذلك من النظام النحوي والمقام السياقي، غير أن التحويليين يجعلون من قيود الاختيار أو الاختيار المفيد قاعدة منتجة، إذن –كل كلمة– لكي تدخل في علاقة نحوية مع أي نوع مع غيرها، لها شرط اختيار خاص بها. فإذا اختارت هذا الشرط الاختياري صحت العلاقة النحوية والدلالية معا، وإذا لم تجيزه.

ونجد ألفاظا أخرى حظيت بدقة من حيث توظيفها في الآيات والسور، وكان هذا التوظيف انسجام متناهي الدقة والوضوح، مثل لفظتي (راهبون) و(اتقون)، في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ، وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**﴾ (البقرة الآيتان: 40- 41) فقد بيّن الطاهر بن عاشور الفارق الدلالي للكلمتين الملفوظتين وسرّ توظيفهما بهذه الطريقة المنسجمة مع كلّ آية، عندما قال: "القول فيه كالقول في ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، إلا أن التعبير في الأوّل بـ (ارهبون) وفي الثاني بـ (اتقون)، لأن الرهبة مقدّمة التقوى، إذ التقوى رهبة معتبر فيها العمل بالمأمورات واجتناب المنهبات، بخلاف مطلق الرهبة، فإنها اعتقاد وانفعال دون عمل، ولأنّ الآية المتقدّمة تأمرهم بالوفاء بالعقد فناسب أن يخوّفوا من نَكْثِهِ، وهذه الآية تأمرهم بالإيمان بالقرآن الذي منعهم منه بقية دُهَمَائهم، فناسبها الأمر بأن لا يتقوا إلاّ الله"[3].

وعلق الألوسي على هذا قائلا:"وإنما ذكر في الآية الأولى ﴿فَارْهَبُونِ﴾، وهنا ﴿فَاتَّقُونِ﴾ لأن الرهبة دون التقوى، فحيثما خاطب الطائفة، عالية ومقلّدهم- وحثهم على ذكر النعمة التي يشتركون فيها، أمرهم

---

[1]– ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص: 207.

[2]– منطق الخطاب القرآني، دراسات في لغة القرآن، محمد باقر سعيدي روشن، ترجمة: رضا شمس الدين، ص: 26– 27.

[3]– تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/ 469.

بالرهبة التي تورث التقوى، ويقع فيها الاشتراك، ولذا قيل الخشية ملاك الأمر كلّه، حيثما أراد بالخطاب – فيما بعد– العلماء منهم، وحثهم على الإيمان، ومراعاة الآيات، أمرهم بالتقوى التي أولها ترك المحظورات، وآخرها التبرىء مما سوى غاية الغايات"[1].

ومن خلال ما تم ذكره، يظهر الانسجام في الآية الأولى بين الرهبة ومضمون الآية الذي هو تذكير بالنعمة والوفاء بالعهد لذلك انسجم التخويف من نكث العهد، كما إن الآية الثانية نصت على الإيمان بالقرآن، وكان أهل السوء يحذرون من الإيمان به، و انسجم ذكر ذلك مع التقوى إلا لله، وحده لا شريك له، ويمكننا تمثيل هذا الانسجام بالمخطط التالي:

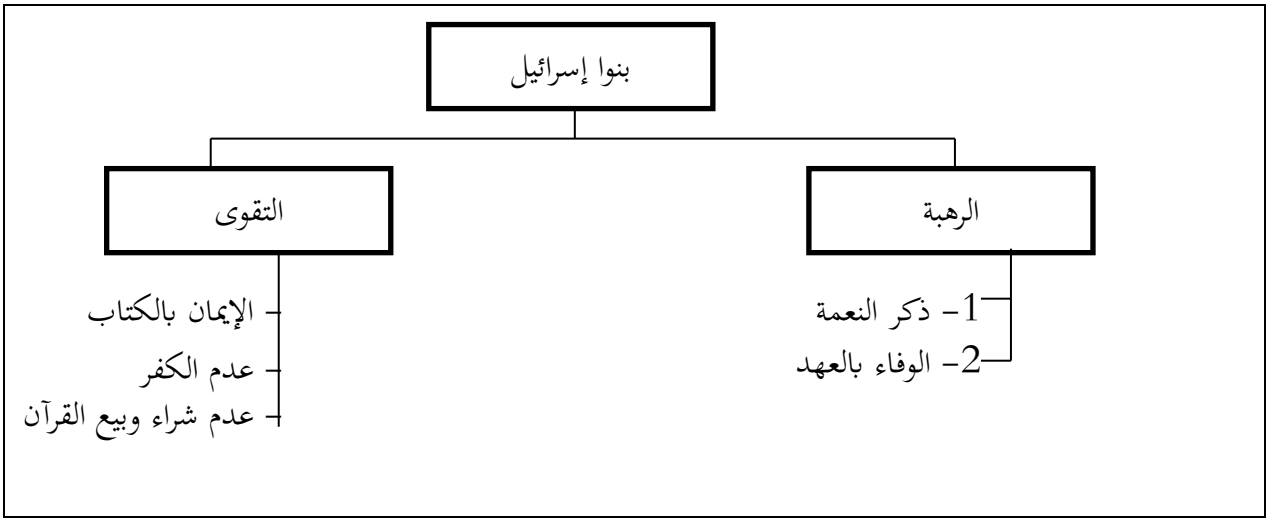

ومن هنا يمكننا أن نستخلص ملاحظة أخرى ساهمت في عملية الانسجام النصي وهي أنه تعالى، ذكر أفعال أمر في الآية الأولى وهي ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾،﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ثم بعد ذلك الفعل ﴿فَارْهَبُونِ﴾، أما في الآية الثانية ذكّرهم بفعل الأمر ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾، ثم نهاهم مرتين متتابعتين﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا﴾، ثم اتبع ذلك أرادة لنصحهم بأفعال الأمر من باب ترهيبهم وإعادتهم إلى رشدهم، لذلك انسجمت أفعال الأمر مع الرهبة، ثم انتقل إلى نهيهم بعد أمهرهم، وفيه دعوتهم لتقوى الله، فناسب الأوامر بالرهبة الموّرثة للتقوى، لذلك ذُيّلت كلّ آية بما ينسجم مع السياق فيها.

ومن هنا يظهر أثر السياق في انسجام النص والآيات، إذ يتضح مما سبق أن التقوى لا يتطابق في معناه مع الرهبة، وهو يعني الامتثال للأوامر واجتناب النواهي، وهو نتيجة حتمية للرهبة، وأما الرهبة فهي الخوف، ومنها يبدأ التقوى حيث تعتبر مقدّمة له.

[1]– روح المعاني، للألوسي، ج 1/ 332.

كما نجد صور أخرى لتوظيف بعض الكلمات التي حققت اتساقا مجازيا مع كلمات أخرى أحاطت بها يمينا وشمالا فتظهر عند هذا الاتساق والترابط النحوي، انسجاما معنويا كان لا يصلح إلا لتلك اللفظة، وها هو السيّد الطباطبائي يشير إلى دور الألفاظ المجاورة في تزويد الكلمة بدلالة معيّنة وجعلها موضعا لاحتضان معنى خاص ومعيّن والألفاظ المركبة فيها دلالة مستنبطة في غير دلالتها المجرّدة وتشبعها الدلالي يتشارك فيه أخواتها السابقة واللاحقة لذ يقول: "اللفظ إذا يعيقه غيره تغيّرت حالة...إلا ترى أنّ أكثر الكلام مركب مما إذا فصلنا بعضه عن بعض أفاد ما لا يفيده المركب..."[1]، وهذه المقولة تناسب قول المحدثين في أن معنى الكلمة لا يمكن معرفته وهي منعزلة بمفردها من غير أن نفرق موضعها في النص.

ونجده في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾(البقرة: 15): أي يمدّ لهم كأنه يخليهم والامتداد في عمههم والجماح في غيّهم، إيجابا للحجة، وانتظارا للمراجعة، تشبيها بمن أرخى الطول للفرسان.

والأمثلة كثير في سورة البقرة وغيرها من السور القرآنية، قال الله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾ (البقرة: 17) ولم يقل (بضوءهم)؛ لأن ذكر النور في هذه الآية أبلغ من حيث أن الضوء فيه دلالة على النور وزيادة، فلو قال: ذهب الله بضوءهم، لكان المعنى يعطي ذهاب تلك وبقاء ما يسمى نورا، لأن الإضاءة هي فرط الإنارة. دليل قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾ (البقرة: 17) فكل ضوء نور، وليس كل نور ضوء[2].

إن اختيار النص القرآني للكلمة وانتقاؤه للفظة قد جرى مجرى عجيبا، فتأتي الكلمة في هذه الوضعية صافية في أصواتها، وبالتالي جميلة الوقع في السمع طيبة المجرى على اللسان نازلة على أحسن ما يكون من هيئة في الإيقاع، موجبة بكل ما تريده من دلالات ومقاصد وأغراض"[3]. إنّ "الخطاب القرآني يؤسس سياق معناه وفق نظام معين خاص به، وإذا كانت اللسانيات في العصر الحديث تستعمل مصطلح الخطاب للدلالة على مقطع مكتوب أو شفوي، بغض النظر عن طوله، ليس إلاّ أنّه شكّل كلا متماسكا، فإنّ الخطاب في النص القرآني يتميز عن بقية النصوص"[4]، "بفرادة تماسكه، وكيفية هذا التماسك، فهو نص يقدم نفسه بوصفه

---

[1]– الميزان في تفسير القرآن الكريم، الطباطبائي، 1/ 2325.

[2]– الجامع الكبر في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لعز الدين بن الأثير، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي، دار الآفاق العربية، ط 1، 2007م– 1428 هـ، القاهرة، ص: 316.

[3]– جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد، ص: 177.

[4]– المرجع نفسه، ص: 100.

نصوصا متداخلة في إطار السورة الواحدة، كما يقدم نفسه بوصفه نصوصا متداخلة في إطار السور المتعددة"[1].

ولنلاحظ سياق الآيتين رقم 48 في سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ (البقرة: 48)، وقوله:﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾(البقرة: 123). ففي سياق الآية الأولى قدّم ذكر الشفاعة على العدل وفي الآية الثالثة قدم ذكر العدل على الشفاعة، فسياق الآية الأولى جاء في بداية الحديث عن بني إسرائيل، أما سياق الآية الثانية قدّم ذكر العدل على الشفاعة، فسياق الآية الأولى جاء في بداية الحديث عن بني إسرائيل، أما سياق الأولى الثانية، فجاء بعد سرد طويل لأحداث بني إسرائيل من النعم والعقوبات.

فالآية الأولى في النفس الجازية الثانية في النفس المجزية، ذلك أن قوله (ولا تنفعها شفاعة) في الآية الثانية يدل على ذلك، فالنفع يكون للنفس المجزية كل النفس الجازية والسياق يؤكد ذلك، حيث أن سياق الآية الأولى كان في الحديث عن أخبار اليهود وكتمانهم لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، فجاء الخطاب لينفي هذا الوهم الذي قد استولى على عقولهم، ليظهر لنا هذه الشخصية حاضرة كلية لا تملك أن تشفع لأحد يوم القيامة، فقدم ذكر الشفاعة نافيا قيد لها من الشافع، ثم ثنى بذكر العدل، ونفى فائدته بلفظ الأخذ، وهو لفظ أعم من لفظ القبول، حتى يشمل العدل الذي تقدمه النفس الشافعة من مالها أو من مال المشفوع له، أمّا في حديث الآية الثانية عن النفس المجزية، فقد جاءت بعد عرض طويل وسرد مفصل لقصة بني إسرائيل، لتأخذ لغة الخطاب بعدا جديدا في التأسيس للعلاقة الجديدة بين المسلمين واليهود، فهي نفس لم تستجب لنداء الحق، بل ضلت وأضلت كثيرا. فلن يقبل منها فدية يوم القيامة، وليس التيئيس. وذلك قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾دلالة على أنها قد تقبل من غيرهم، لكنها غير مقبولة منهم، ولن تنفعهم أيضا".[2]

5- السياق النصي:

قد اهتم "فيرث" (ت1960) بهذا الجانب واعتبره من أهم المبادئ التي ينبغي معرفتها للكشف عن المعنى. فالمعنى عنده "لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، فالمعنى عنده يفسر بإعتبار وظيفته في السّياق"[3]؛ وهذا واضح في السياقات التي تتشابه ألفاظها ويختلف سياقها، إذ أنّ

---

[1]- اللسانيات والدلالة، منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، حلب، سورية، ص: 120.

[2]- ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1985م، ج1/ 252.

[3] - نقلا عن علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1993م، ص: 68.

الظروف المحيطة بإنتاج النّص تسهم عند التلفظ في تحديد معنى الكلمة، كما تضيف لها معاني دلالية جديدة من خلال السيّاق. "أي أنّ السّياق يمثل خلفية للقول تجعله يفهم بمقتضاها، فكل كلمة أو جملة توضع في إطار أو نسق المعنى يعتبر هذا الإطار أو النّسق سياقا لها. فالكلمة المفردة لها سياقها، والتركيب له سياقه والنّص له سياقه، وكلّ هذه السّياقات تتشابك لتنضوي تحت السّياق العام للنّص"[1] " والنّص بطبيعته يخضع للسّياق الثقافي الذي يحتويه بكلّ ما فيه من أعراف وتقاليد"[2]. إنّه نتاج سياقات مفردة تتّحد كلّها لتعطي السّياق العام للنّص. ومما استنتجه د. العمري في ذلك أن "الكلمة القصدية وحدها لا اعتبار لها في نفسها، بل تستمد قيمتها البلاغية من حسن موقعها وتنسيقها وملاءمتها لما قبلها وبعدها"[3].

ولنقارن قوله تعالى في سورة البقرة عن بني إسرائيل: ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾(البقرة: 61)، وفي آل عمران: ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾ (آل عمران: 21) وفي سورة النساء: ﴿**وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾ (النساء: 155)، فقد وردت كلمة (الحق) معرفة بالألف واللام في البقرة، ونكرة في آل عمران والنساء، وعنها قال المفسرون: إن المعرفة يراد بها الحق الذي أمر الله أن تقتل النفس بسببه وهو قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ (الأنعام: 151)، فكان أولى أن يذكر مقدّما ومعرّفا، لأنه من الله تعالى، ولأنه عام في الشرائع كلها، والنكرة في آل عمران والنساء معناها: "بغير حق في معتقدهم ودينهم، فكان أولى بالتأخير، لأنه خاص بفريق من الناس، وليس عاما في الشرائع والديانات"[4].

ومن دلائل الترتيب في البينة النصية المنسجمة من حيث الأحكام، قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ**﴾ (البقرة: 34)، ولقد جرت عادة القرآن في شأن العقيدة أن يجملها، ثم يفصلها فيما بعدها من الآيات، وهذا هو الثابت في ترتيب المصحف، وإباء السجود من إبليس يعتبر بيانا للعقيدة عن طريق بيان موانع الإيمان لها، وقد جاءت تلك الموانع مجملة في قوله: (أبى)، ثم فصلت فيما بعدها من السور على ترتيب لا يخلو من الأسرار وأحكام الترتيب"[5]. "ففي سورة الحجر قال تعالى: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ (الحجر: 31) وفيه بيان لموضع الإباء"[6].

---

[1]– السّياق وأثره في المعنى، دراسة أسلوبية، المهدي إبراهيم الغويل، أكاديمية الفكر الجماهيري،دار الكتب الوطنية، بنغازي، سبأ،ط 2011م،ص: 17.

[2] – المرجع نفسه، ص: 17.

[3]– المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، د. أحمد العمري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410هـ– 1990م، ص: 134.

[4]– تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، ص: 24.

[5]–المرجع نفسه، ص: 24.

[6]–المرجع نفسه، ص: 24.

إننا عندما نعمد إلى تحليل نص فإنّه سوف" تحكمنا ظروف اللغة المكون منها هذا النص إضافة إلى البيئة التي ولد فيها وطبيعة كل من المنشئ والمتلقي.و بناء على هذا فإنّه يمكن القول بأنّ تحديد مفهوم السّياق يحكمه بعدان: بعد داخلي وبعد خارجي، فالبعد الدّاخلي يتعلق باللغة وتراكيبها من حيث موقع الكلمة بين أخواتها والهيئة التي انتقلت فيها الكلمات مع بعضها ومكان هذه الائتلافات والتراكيب من الموضوع الجامع لها، أو بعبارة أخرى هو طريقة تسييق الكلمة المفردة داخل الجملة، وتسييق الجملة مع الجمل الأخرى، وتسييق هذه الجمل داخل الإطار الكلي للنّص"[1]. ولنأخذ على سبيل المثال قوله تعالى والظروف التي المحيطة به وكيف ساهم السياق الخارجي في فهم الآية وانسجامها معه، قال تعالى في "دعاء إبراهيم الخليل عند بيت الله المحرم في سورة البقرة ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا**﴾ (البقرة: 126)، وفي سورة إبراهيم: ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا**﴾ (إبراهيم:35)، فكلمة (بلدا) جاء منكرة في البقرة، ومعرفة في إبراهيم لأن الدعاء الوارد في البقرة كان قبل بناء الكعبة، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿**بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ** ﴾ (إبراهيم: 37)، فلما بنيت الكعبة، واسكن حولها الناس، جاء الدعاء للبلد المعروف المحدد المعالم، ولذلك جاء معرفا، وجاء عقبه في إبراهيم: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾وجاء في البقرة عقبه: ﴿**وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾[2] .

و(السياق الداخلي) هو الذي نعرف به دور الكلمة مع صاحبتها لأنّه سياق اللغوي، و"يتعلق بالتناسق اللفظي في العبارة أو النّص، وهو لا يخرج عن إطار البنية اللغوية، ويكمن دوره في تحديد معاني الكلمات، وإزالة اللّبس عنها، وإبعاد المعاني الأخرى التي تحتملها الكلمة في سياق آخر، وإضفاء صفة الجمال أو الشّاعرية، أو الفنية عليها"[3] وفي هذا الإطار يقول عبد الرحمن بودرع: "السّياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النّص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط وبيئته اللغوية والتّداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النّص للقارئ"[4]. ومن أهم الملاحظات التي أوردها الباحثان هاليداي ورقية حسن أن نحو النص يتعامل مع النص على أنه بنية كلية، ومن ثم يكون المدخل إلى التحليل النحوي عن طريق "تحليل الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص، وتعطي عرضا لمكوّناته التنظيمية النصيّة"[5].وهكذا يصبح نحو النحو ضليعا في الكشف عن العلاقات التي يتشكل منها أيّ سياق داخلي في النص أو السورة..

---

[1] – السّياق وأثره في المعنى، دراسة أسلوبية، مهدي إبراهيم الغويل، ص: 14

[2]– تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، ص: 25.

[3]– السّياق وأثره في المعنى، دراسة أسلوبية، مهدي إبراهيم الغويل، ص: 15.

[4] – ينظر: منهج السّياق في فهم النص، عبد الرحمن بودرع، سلسلة كتاب الأمة، (العدد111)، نشر وزارة الأوقاف في الشؤون الإسلامية، قطر، السنة السادسة والعشرون، ص: 17.

[5]–Holliday, Ruquoiyahasan, cohesion in endlish, P : 04.

أمّا البعد الآخر وهو "البعد الخارجي ويتمثل في الظروف والخلفيات المحيطة بالنّص سواء منها ما يتّصل بالمخاطب أو المخاطب. وكذلك البيئة الزمانية والمكانية النابع منها النّص، وكذلك يشمل الأسس الفكرية والحياتية القائمة وراءه. وهو بهذا المعنى يشمل جملة الملابسات والأحوال والظروف القائمة في الإطار الزماني والمكاني لعملية التّخاطب"[1]."فالمكان في إطار نظرية السّياق أيضا لا ينفصل عن الزمن والفرق بينهما أن المكان يدرك بشكل مباشر والزمان يدرك من خلال أثره على المكان وما يشغله من أشياء، فالإهتمام بالمكان اهتمام في الوقت نفسه بالزمان. وهذا ما تؤكده مقولة الحال والمقال"[2]. ومن الكلمات التي تميزت بترتيبها في السياق ودورها بالقرب من أخواتها في سورة البقرة كلمة (غشاوة) في قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾ (البقرة من الآية 08)، لأنهم كانوا على الحقيقة ينظرون إلى الأشخاص ويقلبون الأبصار، إلاّ أنهم لما لم ينتفعوا بالنظر، ولم يعتبروا بالعبر، وصف (سبحانه) أبصارهم بالغشي وأجراهم مجر من الخوابط الغواشي".[3] ومن المعلوم أن السياق يسهم في عملية التماسك النصي حسب رؤية فان دايك في كتابة (النص والسياق)، إذ يرى أن الترابط لا تحدده العناصر اللغوية السطحية الظاهرة في الخطاب، فأهم شرط لتحقق الترابط لديه هو تعليق الوقائع التي تشير إليها القضايا، وذلك في عوالم (أزمنة وأمكنة) متعالقة[4].

ولا يمكننا أن نفصل النّصوص عن زمكنتها وتخليصها من هذين البعدين، لأنّهما على علاقة متينة بإنتاج النّص، ولدورهما الهام الذي يظهر عند تفسير النّصوص وتأويلها، فهناك بعض الكلمات والنّصوص تكون وليدة ظروف معيّنة وخاصّة، وهي بذلك تبرز علاقة الإنسجام المتنقلة بينها وبين تلك الظروف، على أنّ الإنسجام ظاهرة أعمّ وأوسع من أن تحصر داخل النّص فقط، فلسياق الجزئي للكلمة والجملة مكانته في صناعة المعنى العام للنص، لأنه يكشف عن مدى العلاقة بين النّص والمنتج والمتلقي، ويضاف إلى ذلك عملية التفاعل بين هذه العناصر الثلاثة في سياق واحد ومعيّن، وإذا حصل وأن اختلطت الأمور وصار كلّ واحد من هذه العناصر يشق لنفسه طريقا لخطاب وللغة تفارق لغة الآخر وخطابه فإنّنا هنا في هذه الحالة أمام حالة لا نصيّة ولا انسجام، حتّى وإن كان السّياق واحدا، والظرف كذلك. لذلك نجده يخالف بين البنية السياقية والأخرى في مواقف نعتقد أنّها تتشابه وما يكشف عن الخلاف فيها هو السياق الخارجي، كما هو في معرض الحديث عن التحدي بالقرآن فقد" جاء في سورة البقرة خطابا لمنكري أن القرآن من عند الله: ﴿**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ**﴾ (البقرة: 23)، ثم جاء في سورة يونس ﴿**وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ**﴾ (يونس: 38)، وكذلك جاء في سورة هود،

---

[1] – السّياق وأثره في المعنى، دراسة أسلوبية، المهدي إبراهيم الغويل، ص: 15.

[2] – النّص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1430هـ/2009م، ص: 99.

[3]– تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، تحقيق العلامة، محمد عبد الغني حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1433 هـ– 2012م، ص: 113.

[4]– ينظر: النص والسياق، فان دايك، ص: 20.

وذلك لأنه زاد في السور المتحدى بها إلى عشر سور، زاد في المدعوين فقال: ﴿**مَنِ اسْتَطَعْتُمْ**﴾ ولما كان التحدي في سورة البقرة بسورة واحدة قل عدد المدعوين، وانحصر في الشهداء وحدهم"[1].

وإذا ما ذهبنا إلى سياق التلفظ فأننا سنضطر إلى متابعة العلاقات اللغوية الإحالية والعلاقات السياقية المقامية للحكم على انسجام النص، الأفعال المقالية المقامية التي نجدها في السياق القرآني توضح أكثر دور السياق في خلق الانسجام بين المخاطب والمخاطب، والرسالة الموّجهة، ونأخذ على سبيل المثال الفعل (قال) بمختلف تصرفاته (قيل-قل-قالوا-....)، فالفعل (قل) في القرآن فعل الأمر للرسول (صلّى الله عليه وسلّم) فيه إعمام للخطاب، للجهة التي صدر منها فهي تفتح فضاء الزمان والمكان ليحتوي أكبر جمهور محتمل أو معاصر وتكثر في النص القرآني بالشكل (يقولون - قل) وأحياناً ترد جواباً عن تقوّلات خارج النص. لذا فتمركز البنى الأمرية في النصوص التي وردت فيها كان بقصد استحضارها دور الذات الإلهية في مقامات معينة، ذلك أن البنى الأمرية تحتوي ثنائية الذات المرسلة والمرسل إليها، وبذا فإنها تضيف حمولة دلالية للنص ، لأن دلالتها المركزية تبقى حاضرة مع ورودها وهي تأكيد مصدر القول (الوحي) وتحديد حضور النبي (صلّى الله غليه وسلّم) رسولاً من عند الله وتأكيد أهمية القول الذي يأتي بعدها.

جدول يوضح بعض السياقات التي جاء فيها الفعل (قال)

التسلسل	الآيـة	رقم الآية
1	**وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**	80
2	**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**	91
3	**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ**	93
4	**وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**	111

فتحديد السّياق يعين على عملية التّأويل، وربط المعرفة الخلفية بالنّص المنتج تدعيم للفهم، إذ "لابدّ أن تكون قابليتنا في الوصول تلقائيا إلى تفسيرات ما لم يتم قوله مستندة على بنى معرفية موجودة مسبقا، تؤدي هذه البنى وظيفة معروفة موجودة مسبقا لنماذج مألوفة من خبرتنا السّابقة التي نستعملها لتفسير تجارب

[1]- تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، ص: 25.

جديدة"[1]، بحيث لا تتخلف عن مدّنا بمساعدات تفسيرية لحصر التّأويل وتقييد المعنى إن أمكن ذلك، وتلعب هذه المعرفة المسبقة للحالات التي عاشها متلقي النّص والخطاب، دور المؤثر الذهني لإعادة استثارة الفهم حيال تلك الحالة المشابهة التي أدت على إنتاج نص مشابه للنّص السّابق، لذلك فإنّ المتلقي هنا يعيش حالة ثانية تشابه الحالة السابقة أو تقاربها، وهو في هذه الحالة مضطر انطلاقا من مبدأ التشابه للبحث عن حالات الإنسجام بين الحالتين والسّياقين، والعلاقة بين العناصر اللغوية لكلا النصين، ثم علاقة العناصر التّخاطبية ووجه المناسبة بينها وبين تلك التي أنتجت النّص السّابق. فالإنسجام يدخل من هذا الجانب، ويبحث عن علاقة بين النصين، ومن أيّ ناحية ينسجمان.

6- الإنسجام بين سياق السورة والسياق القرآني العام:

"يبحث السياق في الدلالات المعنوية الآتية في مساق واحد، ومدى انسجامها في ما بينها، بحيث تشكل قطعة موضوعية من الحقائق العقدية والتشريعية والكونية بما يحقق للإنسان درب الهداية والفلاح، ومدى ترابط المعاني وتتابعها في طريق واحد لأجل الوصول إلى غاية محددة وهنا يمكن القول:السيّاق هو علاقة المعنى بالمعنى والنظم هو علاقة اللفظ بالمعنى"[2]. وسنوضح ذلك أكثر في مبدأ المناسبة بين سورة البقرة وعلاقتها بالسور الأخرى كسورة الفاتحة، وآل عمران.....إلخ.

قد ركزّ عبد الفتاح محمود في عرضه لتفريق السياق القرآني عن بعضه البعض، على ضرورة تتبع ترتيب الألفاظ القرآنية وتقفي معانيها لتحديد سياق الآية، ثم الآيات ثم السياق العام للسورة، آخذا في ذلك بالمعنى اللغوي للكلمات، فالسيّاق عند هو "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبليغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[3]، وهو يلمح كذلك إلى أن النص القرآني نص مقصدي له غاية وهدف وغرض، بحيث يجب مراعاة تقصيد النص وتغريضه عند تسييق الوحدة اللغوية (الكلمة)، التي خصصت لذلك ولا يمكن زحزحتها عن معناها المراد حتى لا ينزاح النص عن مقصديته، وللسيّاق دور كبير في ذلك بحيث يترك أثره عندما ينسجم النّص (التراكيب واللغة) مع الغرض منه ومقاصده، وبالتالي؛ فكأن وظيفة السيّاق في هذه الحالة هي الوصل بين النص كلغة ومقاصده، فإذا انسجم النص مع المقاصد تحقق الغرض منه وكان معناها ذو قيمة.

---

[1] – التّداولية، جورج بول، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 1431هـ/2010م، ص: 130.

[2] – نظرية السياق القرآني، عبد الفتاح محمود المثنى، دار وائل للنشر عمان، الأردن، ط 1، 2007م، ص: 18.

[3] – المرجع نفسه، ص: 15.

وحسب نظرية السياق التي تتأسس على استمرار المعنى من الكلمات المجاورة للألفاظ المحيطة بها، والتي تنص على أن دلالة الكلمة لا تكتمل إلاّ بتسييقها مع أخواتها، وأنّ جزءا من هذه الدلالة موجود في ما يسبقها وما يلحقها من ألفاظ وكلمات. فالنص عبارة عن تشكيلة متنوعة من الجمل توجد بينها علاقات يفصلها ومن خلالها تتجسد بنية النص، كما تقوم الأدوات النحوية في هذه العلاقات بدور في بناء النص بناء مفيدا، والنص عبارة عن عدد من الجمل ولكل جملة بداية ونهاية"[1]. ولهذا فإنه يمكنا القول بأنّ العلاقات الداخلية في النص من بدايته إلى نهايته تتشابك مع بعضها البعض لتشكل علاقة تعطي بها الألفاظ طريقة لتستمد دلالتها من السياقات التي تستعمل فيها، ومن هنا يمكن تقسيم السياق القرآني إلى ما يلي:

1- السياق اللغوي: ويقصد به"سياق الآية أو الآيات داخل السورة وموقعها بين السابق من الآيات واللاحق، أي مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تربط الآية بالسيّاق الذي وردت فيه، ولا تقطع عما قبلها وما بعدها وأطلق عليه البعض (سياق النص)، حيث تتوالى فيه العناصر التي يتحقق بها الترتيب والاتساق"[2]. فترابط الجمل بعضها ببعض وتجاورها في بنية النص الواحد يجعلها كما يقول الدكتور حماسة عبد اللطيف: "مسؤولة عن تكوين سياق نصي معيّن يساعد على تفسير التراكيب داخل النص، وكل جملة في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها في النص"[3]، وتلك مسؤولية نحو النص من خلال دراسة وسائل الترابط للكشف عن النظام الكلي الحاكم للنص. [4]وينقسم هذا السياق إلى قسمين:

-أوّلا: السياق الأصغر: وهو سياق خاص جزئي وهو الموضع القريب المحيط بالنص كالكلمة في الجملة، أو الجملة في الآية أو الآية ضمن الآيات القريبة السابقة واللاحقة.

-ثانيا: السياق الأكبر: "وهو السياق العام الكلي وهو السياق القرآني بأكمله، إذ أنّ للقرآن الكريم منهجه الخاص في التعبير و مصطلحاته المبتكرة التي لم تعهد في غيره. وطريقته المتميزة التي توازن بين الإجمالي والبيان والإطلاق والتقييد والعموم والخصوص... ولذلك أدرك المفسرون والأوائل أنه لا غنى للمفسّر عن

---

[1]- الكلمة في اللسانيات الحديثة، د. عبد الحميد عبد الواحد، التفسير الفني، صفاقس، تونس، ط 1، 2007م، ص: 43-44.

[2]-المنهج السياقي وأثر في تطوير دراسات التفسير، د. عادل رشاد حسين غنيم، بحيث مقدم للمؤتمر الدولي التطوير الدراسات القرآنية، 1434/4/6 هـ- 16/ 2/ 2013م.

[3]- منهج في التحليل النصي للقصيدة، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، صيف، 1996، حماسة عبد اللطيف، ص: 126- 127.

[4]- نحو النص، اتجاه جديد لنظرية علم النص، د. أحمد عفيفي، ص: 97.

المواءمة بين كل ثنائية منها ومن خلالها تبرز النتائج الكاملة وقد درست في ضوء السيّاق الشامل للقرآن الكريم"[1].

2- السياق غير لغوي: ويراعي الظروف المحيطة بالنص، وهو بذلك سياق غير لغوي ويقصد به "ظروف الخطاب وملابساته الخارجية ومنها ما سمّاه المفسرون: أسباب النزول ويندرج ضمنها بالطبع مراعاة حال المخاطب وغرض المتكلم"[2].

ويعد الانسجام جزءا أساسيا عند تشكيل النص إذ لا يمكن أن يطلق على قطعة مكتوبة نصا إذا لم تكن هذه القطعة تحمل دلالة مركزية معيّنة يدور حولها موضوع السورة أو النص، وكل حدث في القطعة منسجم ومرتبط بطريقة ما من أجل جعل هذه الدلالة واضحة في السياق وفي ذهن المتلقي، فلا يمكن عدّ هذه القطعة نصّا إذا فقدت الروابط الدلالية بين أجزائها، فالانسجام قضية منطقية لأجل أن يكون التواصل مفهوما، فالإفهام هو الغاية من إنشاء النصوص، وهذا الأمر جعل الدكتور محمد خطابي يعد الاتساق مكونا من مكونات الانسجام بمعنى أن تكون وسائل الاتساق متناسقة مع الدلالة. [3]

ب- السياق الخارجي (المقامي) CONTEXTE EXTERNE :

يقصد به "الإحاطة بالظروف التي أنشأ فيها الخطاب، معرفة (المرسل، المرسل إليه، الزمان والمكان)[4]، لأنّ كل هذه العناصر يلاقي بينها ظرف زماني وآخر مكاني، وينتج النّص حسب المقام، "فمقام الخطاب هو الذي يمكّن من الانتقال من معنى الجملة (المكون اللساني) إلى معنى الملفوظ (المكون البلاغي) ومقام الخطاب هو الذي يوفرها باعتبارها مجموع التعاليم التي توجه نشاط الفهم، وتقترح ك.كربرا-أوركيوني التي ترى أن السياق مقامي أساسا، وذلك تبعا لـ ب.براون وك.فرازار (1979). أن تحدد مكوناته الأساسية من مشاركين وموقع وهدف"[5] وينجم عن النظرية السياقية أن المقتضيات تفرض قيودا على السياقات المناسبة لتأويل الخطابات التي تحملها، وتستوجب أن نضيف المقتضى إلى السياق دون أن يحدث أي خرق لمبادئ انسجام الخطاب"[6]. وقد ركزّ روبرت دي بوجراند على ضرورة ربط النص بالموقف الاجتماعي الاتصالي لتحديد الغرض منه، إذ "ينبغي

---

[1]- المنهج السياقي وأثر في تطوير دراسات التفسير، د. عادل رشاد حسين غنيم، ص: 18

[2]- المرجع نفسه ، ص: 18.

[3]- ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 256.

[4] - الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، نور الدين السد، دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر2010م، ج2، ص: 77.

[5] - ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص: 519.

[6] - الاقتضاء وانسجام الخطاب، ريم الهمامي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص: 137.

للنص أن يتصل بموقف تتفاعل معه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعرف وهذه البيئة الشاسعة التي تسمى سيّاق الموقف أما التركيب الداخلي للنّص فهو سياق البيئة"[1].

إلاّ أن الحديث عن الخطاب من هذا المنظور، يجعلنا نمارس عملية التأويل قبل أوانها، لذلك يستوجب منا الحديث عن سياقات كلية. عامة ومتنوّعة تساهم كلها في بناء السياق العام للنّص، وهو ما يجعلنا نفترض أن الخطاب إنما هو تأليف بين سياقات الجمل التي يتكون منها، تتسق في انسجام معيّن لصناعة النصّ، "أمّا في ما يخص مسألة العلاقة بين الخارجي والداخلي فيبرر إجماع على قول، كمال ج.كلايبار. "بأنّ المقام لم يعد يتصور باعتباره أمرا خارجيا، وإنما بإعتباره حقيقة عرفانية"[2] وكان جون لاينز قد ركز على المواقف اليومية التي تعطي للكلمة معناها في ذلك السياق الذي سيقت فيه لأن" الواجهة الأخرى في المواقف اليومية التي نسأل فيها عن معنى الكلمات هي تلك التي يقال عنها عادة إنها تعتمد النّص...وغالبا ما يستحيل إعطاء معنى كلمة دون وضعها في نص"[3].

لذلك فقد عدّ أنّ أحسن حالة لفهم الخطاب والنصوص هو تناسبها وانسجامها مع المقام الذي قيلت فيه، وهذا ما دعا إليه المفسرون من خلال اعتبار أسباب النزول في تفسير الآيات، ودعا إليه النقاد والأدباء من خلال اعتبار المناسبة التي قيل فيها الخطاب والنص الشعري، لأنّ "الإطار الأمثل للقول: وهو أن يخاطب شخص شخصا آخر أو عدّة أشخاص باستعمال الجهاز الصوتي عبر القناة الصوتية – السمعية، وتكون كل الأطراف المشاركة حاضرة في المقام نفسه، الحقيقي، بحيث يتسنّى لهم رؤية بعضهم بعضا وإدراك الخاصيات فوق اللغوية غير المنطوقة في كلامهم، ويتناوبون فيما بينهم دور الباث والمتلقي"[4] . لأنّ سياق الخطاب اللغوي ينضح بدلالات عديدة ومتنوعة تسهم في إثراء الدلالات الإحتمالية، وهي "تُصور في الذهن بجدوى ترشيحه الدلالي الدقيق للألفاظ، وبراعة التركيب للوظائف النّحوية، ومراعاة الإثارة الانفعالية أو العاطفية للمتلقي، فإنّه يضاف إلى هذا كله دلالة (الحال) أو المقام، وذلك أن البنى اللغوية المتراصفة في السّياق تتحول مساراتها في البناء التركيبي على وفق ما يتطلبه حال المخاطب ومقامه، حيث أن أركان القاعدة التخاطبية لأيّ لغة منطوقة ترتكز على ثلاثة عناصر (المخاطِب والمخاطَب والخِطاب) وهذا الأخير يتحكَّم به المخاطِب على مستويات متوّزعة على أساس المراتب المقامية للمخاطَب، فصيغة الخطاب مع السيد تُغاير وضعية الخطاب مع العبد، ومخاطبة الأب لها حيثيات خاصة تتباين مع غيرها من أساليب الخطاب، ولهذا تنبّه لها علماء المعاني من البلاغيين، وتحدثوا عنها في تقسيمهم لأنواع الخطاب بفعل الأمر بحسب مقامات

---

[1]– النص والخطاب والإجراء، روبرت ديموجراند، ص: 91.

[2] – ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص: 520.

[3]– علم الدلالة، جون لانيز، ص: 22– 23.

[4] – المرجع نفسه، ص: 64.

المخاطبين من أمر واجب، والتماس باحترام ودعاء بإجلال، وذلك بأن للسياق دلالة تظهر وتتشكّل "من ظروف أداء المقام وهي التي تشتمل على القرائن الحالية"[1].

وقديما قيل (لكل مقام مقال), وإذا نظرنا إلى هذا المقتضى في النص القرآني فإنّه سيبدو لنا واضحاً ومنه قوله تعالى:﴿ **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ .(88)** ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: 87.) ، فنجد أن (الظن) هو الذي دفع النبي يونس عليه السلام. لترك قومه بعد أن مكث فيهم هادياً شوطاً من الزمن فلم يهتدوا، فخرج منهم غاضباً[2]:

وذهب بعض المفسرين بناء على دلالة (الظن) في الآية إلى القول أنّه "يقتضي كونه شاكاً في قدرة الله تعالى"[3]. وهذا تأويل بعيد لا يتفق ومكانة النبي يونس عليه السلام وما يحلُّ هذه الإشكالية هي دلالة الحال أو المقام في السياق.

3- دور مبدأ السياق في انسجام النص في اللغة العربية:

وفي ضوء هذا ينبغي أن نميّز بين السياق اللغوي والسياق غير اللغوي في كون "الأوّل يهتم بعلاقات البنية بغيرها من البنى التجاورية، ويقيم المعنى الوظيفي نتيجة لهذه العلاقات، وأبرز مظهر له يتجلى في بيان المعنى النحوي واللساني، ولا تعينه النسبة الخارجية التي تؤديها العبارة، أما الثاني فيتناول مؤديات المعنى في طبقات المقام، فيكون من ضمن اعتباراته المتكلم والمخاطب والجو المحيط بذلك، مثل: الأعراف والثقافات والتقاليد التي تكون من ضمن الدورة التخاطبية".[4]

قد يلتبس، عند هذا الحد مصطلح السّياق بمصطلح المقام، وهذا الالتباس ممتد بين زمنين وثقافتين متباعدين ومختلفتين، "فقد شاع المقام عند العرب قديما عندما استعملوه في الدّراسات البلاغية في حين استعمل كثير من المحدثين، خصوصا الغربيين مصطلح السّياق. وإذا نظرنا إلى كل منهما، فإنّنا قد نجد فروقا بين ما كان يقصده البلاغيون العرب، وما يقصده التّداوليون في البحث اللّغوي الحديث"[5].

---

1 – اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيأة المصرية العامة للكتاب ،. القاهرة، ط2، 1979م، ص: 339.

[2]– جدلية السّياق والدلالة في اللغة العربية، النص القرآني أنموذجا، م.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي،ص: 45.

3 – التفسير الكبير فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، المطبعة البهية المصرية، الجامع الأزهر . مصر، ط1، 1357هـ– 1983م، ج22، ص: 214.

[4]– ينظر: الخطاب القرآني، د. خلود العموش، ص: 26.

[5] – استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص: 41.

لقد كانت لفكرتي الحال والمقام دورا بارزا في تسييق النصوص حسب الظروف والمناسبة التي قيلت فيها، لذلك كانت عناية البلاغين بهذه الأوجه في غاية الأهمية، وقد ربط البلاغيون ذلك بالزمان والمكان "ففكرتا الحال والمقال في – مفهوم البلاغيين- مرتبطتان بالبعد الزماني والمكاني للكلام. وذلك أنّ الأمر الذي يدعو المتكلم لتقديم صياغته على وجه معيّن إمّا أن يتّصل بزمن الصّياغة فيسمى (الحال)، وإمّا أن يتّصل بمحلّها فيسمى (المقام) لأنّ كلّ كلام لابد له من بعد زماني وبعد مكاني، يقع فيه، ومن هنا ارتبطت فكرة الحال والمقام بالمقال، واختلاف صوّر هذا المقال يعود بالضرورة إلى اختلاف الحال والمقام"[1] .

وتظهر علاقة السياق الداخلي بالسياق الخارجي من خلال التأثير والتأثر خاصة عند عملية الفهم، فإذا كان السياق اللغوي "يخضع نسبيا للمعيارية، والمنطق العقلي إلى جانب الذوق فإنّ السّياق الخارجي لا يخضع لمعيار أو قانون محدّد يحكمه، لأنّه قد تتداخل هذه الظروف المحيطة بتكوين النّص، وقراءته، وقد يلعب جانبها على آخر فيختلف تبعا لذلك فهم النّص. والحكم عليه من حيث القيمة"[2] حيث تظهر علاقة التأثير والتأثر بينهما واضحة في الفهم، فكلاهما يستمد قوامه من السياق الآخر. " ويشير هايمس إلى أنّه بقدر ما يعرف المحلّل أكثر ما يمكن من خصائص السّياق. بقدر ما يحتمل أن يكون قادرا على الشيء بما يحتمل أن يقال"[3].

ويستند د/عبد الهادي بن ظافر الشهيري في ذلك إلى قول د/ تمام حسّان غير أنّه تحفّظ على تحديد مفهوم المقام عند البلاغيين العرب، كونه يرى أنّ الفيصل في ذلك الاختلاف بين مفهومي المقام والسياق. هو معرفة ما تنطوي عليه الثقافة. ففيها يرتبط كثير من المواقف بالإستعمال اللغوي. ممّا يحدّ من إخضاع المقام للمعيارية التي تلتصق بتعريفات البلاغيين العرب"[4] .والسياق من الركائز التي تحول عليها العلماء العرب القدامى-رحمهم الله- في تفسير الظواهر اللغوية وقد تضافرت جهودهم على إظهار مصطلح السّياق، والأمثلة كثيرة على أصالة هذا المبدأ الفني في التّراث العربي (التّفسير وعلوم القرآن وأصول، وعلوم الحديث، والبلاغة والنّحو وغيرها) فقد تحدث علماء القرآن على أسباب النزول وأفردوا بالتأليف، وتحدث علماء الحديث على أسباب الورود، وتحدث الأدباء والنقاد على أسباب وظروف الإنشاء وهكذا، يقول تمام : "لقد فهم البلاغيون (المقام) أو(مقتضى الحال) فهما سكونيا قالبيا نمطيا مجردا ثم قالوا لكل مقال مقام (...) فهذه المقامات نماذج مجردة أو أطر عامّة، وأحوال ساكنة... وبهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكوني (STATIC) فالذي أقصده بالمقام ليس إطار أو قالبا وإنّما هو جملة الموقف المتّحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه كما يعتبر

---

[1] – البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 1994م، ص: 306.

[2] – السّياق وأثره في المعنى، دراسة أسلوبية، المهدي إبراهيم الغويل، ص: 17.

[3] – لسانيات النّص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 53.

[4] – ينظر: استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري ص: 41.

السّامع والكلام نفسه وغير ذلك ممّا له اتّصال بالتّكلم (SPEECH EVANT) وذلك الأمر يتخطى مجرد التّفكير في موقف نموذجي ليشمل كل عملية اتصال... وعلى الرغم من هذا الفارق بين فهمي وفهم البلاغيين للمصطلح الواحد أجد لفظ المقام أصلح ما أعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث (CONTEXTE OF SITUATION) الذي يستعمله المحدثون "[1] .

"فعندما ينعم النظر في النظم القرآني، ونتأمل ألفاظه، وتراكيبه، يبدوا لنا اختلاف في استخدام الألفاظ، وفي التراكيب فهذه جملة مؤكدة، وتلك خالية من التوكيد، هذا اللفظ مفرد في سياق وجمع من سياق آخر، وذاك نكرة في موضوع ومعرفة في موضع آخر، هذه الكلمة قدّمت في آية وأخرت في آية أخرى، وردت مفردة في موضع، وجمعا وبمرادف له في موطن آخر، وردت واو العطف في تلك الآية ولم ترد في الأخرى"[2].وفي هذا الاختلاف وراءه أغراض قد اقتضته وأسرار دعت إليه إنه يرجع إلى أن لكل مقام مقالا"[3]، وسوف نكشف ما للسياق المقامي من أثر على السياق اللغوي، وترتيب مفرداته، إذ أن الانسجام يكمن في هذه اللطائف التي ذكرت، فما السر من ذلك وما علاقة السياق اللغوي بالسياق المقامي؟

ولنتأمل آيتين من سورة البقرة والأخرى من سورة إبراهيم، لكشف علاقة السياق بالمقام، وكيف تنسجم كلّ آية من السورتين مع المقام الذي قيلت فيه، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾(البقرة: 49)،وقوله تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ (إبراهيم: 06).

فقد حاول الشيخ الفخر الرّازي أن يشير إلى تلك اللطائف القرآنية الموجودة في الآيتين من سورتين مختلفتين حيث جاء التعبير في سورة البقرة بدون واو في قوله:﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ**﴾ وفي سورة إبراهيم معطوفا بالواو ﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ**﴾ يقول الفخر الرّازي: "أن الفائدة التي يجوز أن تكون هي المقصودة من ذكر حرف العطف في سورة إبراهيم أن يقال: إنه تعالى قال قبل تلك الآية: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ**﴾ (إبراهيم الآية 05) والتذكير بأيّام الله لا يحصل إلاّ بتعديد نعم الله تعالى فوجب أن يكون المراد من قوله

---

[1] – ينظر: في كتاب الطراز، يحيى بن حمزة العلوي، مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين، دار النشر للكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ، ص: 53، وينظر: إستراتجية الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص: 41.

[2] –من بلاغة النظم القرآني، د. بسيوني فيد الفتاح قيود، ص: 10.

[3] – المرجع نفسه، ص: 10.

﴿**يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ**﴾ نوعا آخر ليكون التخلص منها نوعين من النعمة فلهذا وجب ذكر العطف هناك أي في سورة البقرة وأما في هذه الآية- آية سورة البقرة- فلم يرد الأمر إلا بتذكير جنس النعمة، وهي قوله تعالى: ﴿**اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾ فسواء كان المراد من سوء العذاب هو الذبح أو غيره كان تذكير جنس النعمة حاصلا فظهر الفرق".[1]

ولنا أن نستخلص علاقة ذكر وحذف حرف الواو في الآيتين، إذ أن "العطف بالواو قد جعل التذبيح شيئا آخر سوى سوم بسوء العذاب، لأنّ المقام في سورة إبراهيم مقام تذكير بأيّام الله تعالى، ومثل هذا المقام يقتضي تعداد النعم وتفصيلها، فجعل النجاة من التكاليف الشاقة ﴿**يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾ نعمة تستوجب الشكر، والنجاة من التذبيح نعمة أخرى، والنجاة من استحياء النساء أي: استبقاء البنات حتى يصرن نساء مشتهيات فيفترشن وينتهك عرضهم نعمة ثالثة.

أما المقام في سورة البقرة وسورة الأعراف فمقام تذكير بجنس النعمة، ومثل هذا المقام لا يحتاج إلى تعداد النعم، ولذا تركت الواو ووقع التذبيح والاستحياء بيانا لسوم سوء العذاب"[2].

ومما سبق فإننا نلاحظ علاقة السياق في الفصل بين المقامين، وكيف انسجم السياق اللغوي لكل آية من كلّ سورة مع المقام، فنجد أن سياق آية سورة البقرة منسجما مع مقامه وهو تعداد للنعم لذلك حذفت الواو ولم يعطف بها تذبيح الأنبياء واستحياء النساء على سومهم سوء العذاب، بل وقع بيانا له وتفسيرا له، وهذه أيضا طريقة من طرق الربط.

ويلاحظ د/ عبد الفتاح البركاني من مناقشة مفاهيم السّياق إلى أنّ "مفهوم السّياق في معنى الظرف الخارجي يرادفه في التراث العربي كل من المقام والحال والموقف، وأنّ مفهوم السّياق يتّسع أيضا ليشمل ما يعرف في الدّراسات اللّغوية الحديثة بسياق النّص VARBAL CONTEXT وسياق الموقف أو المقام الخارجي وهو يعرف بـ CONTEXT OF SITUATION، أي أن هذا السّياق كما فهمه العلماء الغرب يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقام جميعا ويمكن تقسيمه تبعا لذلك إلى:

1- السّياق اللّغوي وهو المستفاد من عناصر مقالية داخل النّص.

2- السّياق الخارجي وهو المستفاد من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النّص"[1]."ويكون السياق القرآني على العموم، مؤلفا من ثلاثة عناصر أساسية:

---

[1]- التفسير الكبير، الفخر الرّازي، ج3- 73.

[2]-من بلاغة النظم القرآني..، د عبد الفتاح فيود، ص: 13.

- الأغراض والمقاصد التي بني عليها النص.

- النظم والأسلوب القرآني المؤتلف من مجموع الكلام والتعبير فيه.

- الأسلوب والأحوال التي نزلت فيها الآية والمخاطبون بها فيها"[2].

- علاقة السياق بالإحالة في سورة البقرة:

يعد السّياق بتنوعاته ونعوته العديدة واحدا من أكثر المصطلحات استعمالا في اللسانيات، والنقد الأدبي معا، وأكثر شمولية في مدى معاينة النّصوص وفهمها حسب المقتضى.و يحيل السّياق الذي تم تحديده بشكل ضيّق (ولكن بغموض) على (شيء يسبق أو يلي شيئا ما) في الكلام أو الجملة يمكن أن يكون هذا أصوات، وكلمات ومركبات، أو جميلات تحيط بصوت وكلمة ومركب وجميلة أخرى، وفي نص ما (غير أدبي أو أدبي) ويمكن أن يكون كلمات وجملا وأقوال وفقرات أو فصولا...الخ ويعرف هذا أيضا بالسّياق الكلامي (VARBAL CONTEXT) أو الشكل المفيد، النّص المصاحب (CO- TEXT)، وما يسمى لضمائر الشّخص الثابت (SHE-HE-THEY-IT) تستعمل نموذجا مع إحالة نصية تكرارية أمامية، وذاتية (ANAPHORIC) (CATAPHORIC)"[3] . ويذكر أولمان أن السّياق هو "النّظم اللّفظي للكلمة وموقفها من ذلك النّظم، بأوسع معاني هذه العبارة، أنّ السّياق على هذا التّفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السّابقة واللاحقة للكلمة فحسب بل القطعة كلّها، والكتاب كلّه، ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتّصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن."[4]

ويضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النّص، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السّياق وكثيرا ما يرد الشبه بين الجمل والعبارات مع بعض الفوارق التي تميز بينها، ولا نستطيع تفسير تلك الفوارق. إلاّ بالرجوع إلى السّياق اللغوي، وملاحظة الفوارق الدّقيقة التي طرأت بين الجمل، فكّل مساق للألفاظ يجرّ ضربا من المعنى بجزئياته وتفاصيله. "ومن هذا المنطلق يحضر السّياق بعمق كأداة إجرائية يمكنها أن توسع من دائرة فهم النّص الأدبي وتأويله وإخراجه إلى أفق أوسع وتكثف أسئلة الكتابة وشروط التّواصل معه بحيث لا ينبغي في حدود خلق علاقة محدودة مع الموضوع بل تتجاوز ذلك إلى

---

[1] – دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، عبد الفتاح البركاوي، دار المنار، القاهرة، ط1، 1411هـ، ص: 30.

[2]– تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، بن يحي طاهر ناعوس، ص: 215.

[3] – معجم الأسلوبيات، كاتي واليز، ترجمة، خالد الأشهب، ص: 158.

[4] – دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1992م، ص: 62.

الرغبة العميقة في إستكناه كل الأطراف المساهمة في عملية الإبداع والتّلقي[1]، ومن خلال هذا التنقل بين الأطراف ينكشف الإنسجام في الوصلات التي تنقل المتلقي من جوّ النّص إلى خارجه مع المحافظة على ذلك النّسق الذي يربط بين المنتج والمتلقي، وللسيّاق الأسبقية على المبادئ الأخرى لتحقيق الإنسجام، فهو من جهة مساهم في صناعته، ومن جهة أخرى كاشف عنه، من خلال عملية التواصل وتبادل الأدوار وعميلة التخاطب، ضمن سياق معيّن، إنّه يحيل تارة داخل النّص وتتبع اللغة، وتقفي آثار المعنى، وتارة أخرى يعّين عناصر التخاطب ويحددها بدقة ليرفع الإبهام ويزيل الغموض عند عملية التأويل. فالعمل الإحالي الذي نرصده في السّياق يحيلك مباشرة على الإنسجام الذي يهيمن على النّصوص إن وجد، إن قلّت درجته أو كثرت.وبيّن كل من ديكرو وتودورو علاقة السياق بالمقام بحيث فرض في نظريته الاستعانة بالمقام خاصة عند تفسير الملفوظ، وهو "ويشير إلى أن الكثير من أفعال التّلفظ أو (كلّها)، لا يمكن تأويلها إذا كنّا نعرف فقط الملفوظ المستعمل، ونجهل كل شيء عن مقام، ذلك أنّنا نحدّد دوافع وأثار الملفوظ، بل لن يكون بإمكاننا أن نحدّد بدقة القيمة الجوهرية للملفوظ ولا حتّى المعلومات التي يمررها هذا الأخير ويثبت (ديكرو) قيمة المقام في كونه ضروريا لتحديد :

مرجع التّعابير المستعملة (كالإشارات) (أنا- أنت— هنا- هذا- الآن) ويصدق أيضا على العديد من أسماء الأعلام: "زيد"، وعلى العديد من العناصر المسبوقة بأداة التّعريف (الحارس: الشخص الذي يحرس العمارة التي تحدثنا عنها).

الاختيار بين التأويلات المختلفة لملفوظ غامض "[2]. ومن يتأمل قوله تعالى:﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة البقرة:05) يلمح دقة استعمال القرآن للحرف (على) في قوله تعالى: (**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**) ليضفي أصل معناه على السياق والمقام ويوحي بعلوّ المكان، فكل من يوصف بالهداية فهو في أعلى الدرجات والمنازل عند الله تعالى، ومما يزيد من بلاغة النظم في الآية؛ استعمال اسم الإشارة (أولئك) الذي يدل على البعد ليوحي بمدى علوّ مكان وارتفاع منزلة كل من اتّصف بالهداية فهو في أعلى المراتب والدرجات[3] . ونلاحظ أنّه؛ في التعابير القرنية تستعمل الحروف و الكلمات في الجمل القرآنية استعمالا دقيقا حسب السياق، إذ نلمح استعمال(على) بكثر مع الهدى ليضفي أصل معناه على السياق و المقام، ويوحي بعلوّ المكانة و الصفة، فكل من يوصف بالهداية يكون في أعلى الدرجات و أعلى المنازل عند الله تعالى، وفي مكانة عالية لا يدرك كنهها إلاّ الله تعالى. بعكس الطرف الثاني عندما استعمل الحرف(في) مع الضلال ليضفي أصل

---

[1] – السّياق، والنّص الشّعري، من البنية إلى القراءة، على آيت أوشان، ص: 18.

[2] – ينظر: السّياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، على آيت آوشان، ص: 32، 33، 34.

[3] –ينظر: مفاتيح الغيب2/33–34.

معناه على السياق و المقام أيضا ويوحي بمدى التخبط و الحيرة في دائرة الضلال كأنّه يعيش في دائرة مغلقة يحيط بها السواد والظلام في كل الجهات حيث ظلمة الكفر وظلمة الجهل وظلمة العمل وظلمة العاقبة فهو يعيش داخل هذه الظلمات التي لا يمكن الخلاص منها بأي حال من الأحوال[1] . وهنا يظهر الدور الذي يلعبه السياق في تحديد معنى الحرف (على) الذي يعطيه دلالة البعد والإستعلاء لأنّ المتحدث عنه هو الهدى، والهدى موجود في أعلى المراتب والدرجات. لذلك وظّف الحرف الذي يتناسب مع السياق وهو الحرف(على).

"وفي مقدمة سورة البقرة وبالتحديد أهم الصفات الأساسية الكبرى للمتقين، ذكرت أن أوّل صفة من صفاتهم أنهم يؤمنون بالغيب، والمراد به الغيب الذي أخبر الحق سبحانه عنه، وهذا يدل على استسلامهم الكامل له جلّ وعلا علما وعملا، قلبا وقالبا"[2]. لقوله تعالى:﴿ **الم(1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (البقرة 1-5).ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن الجاحدين المعاندين وهم الكفّار الذين اشتد كفرهم ووقفوا الند للند للرسول صلى الله عليه وسلم. فرسمت لهم هذه السورة "هرما للجحود والعناد، وضعت على قمّته الكافرين جحودا وعنادا، الذين لا يؤمنون سواء أنذرتهم أم لم تنذرهم"[3]، قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (البقرة: 6-7)"ثم وضعت في وسطه المنافقين الذين يخادعون الله ورسوله، والذين مهما رأوا من الأدلة والبراهين لا ينتفعون فهم الصمّ إلبكم العمي الذين لا يرجعون عما هم فيه من باطل وضلال"[4]، قال تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ، مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ**

[1] – ينظر: تفسير أبي سعود،25/7.و تفسير التحرير و التنوير، 113/23.

[2] – من موضوعات سور القرآن الكريم، الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبد الحميد محمود طهماز، ص: 21.

[3] – المرجع نفسه،ص: 21.

[4] – المرجع نفسه، ص: 21.

ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 08-20)، "ثم وضعت في قاعدته أهل الكتاب، وخاصة بني إسرائيل، وأفاضت الآيات في ذكر السلام إلى زمن التنزيل الحكيم للقرآن الكريم في عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم"[1]، ونلاحظ بأنّ الحديث عن هذه الفئات الثلاثة من الناس التي كانت تعيش زمن التنزيل ذكرت في مقدّمة السورة، وكما أن الاختلاف يؤدي إلى التباين، فإن الاختلاف الموجود بها، إذما أجرينا مقاربة بين المتقين والكفار سوف نجدهما متناقضين ومختلفين وبينهما فرقة وسط تدعي الإيمان وهي كافرة وهذه الفئة من فئة المنافقين، وقد تم ذكر هذه المواضيع الثلاثة (الفئات) في بداية سورة البقرة ودون أن يشعر المتلقي (القارئ) بأنها مواضيع متباينة وفقط ودون أن يبحث عن سبب هذا الاختلاف والتباين في بداية هذا النص القرآني وهو نص وخطاب واحد (سورة البقرة).

ولذا فنقول: إنّ عملية الربط والتماسك بين هذه المواضيع صنعتها اللغة، حيث صخرت العديد من الوسائل الإحالية التي تعمل على اتساق النص القرآني وانسجامه، كالضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة والعطف...الخ، وباختصار فإن هذا الربط بين الفرق الثلاثة والحديث عن صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين توضيحا "لحقيقة الإيمان وحقيقة الكفر والنفاق، للمقارنة بين أهل السعادة وأهل الشقاء"[2].

ب- علاقة السّياق بالمعنى:

تتضح علاقة السّياق بالمعنى من خلال المعنى الذي تدل عليه الكلمة داخل السّياق الذي سيقت فيه، حيث يسهم السّياق في إعطائها المعنى الذي يقصده المتكلم، و"تأتي علاقة السّياق بالمعنى من كون العديد من الملفوظات لا يمكن تحديد معناها بدقّة إلاّ بمعرفة سياقها الذي وردت فيه. فعادة ما يسأل الشّخص عن معنى كلمة فيضطر إلى التّساؤل عن سياقها الذي وردت فيه"[3]، لذلك لا يجب إهمال السّياق الذي ترد فيه الكلمة، إنّه جزء من عملية التّفسير الذي يساهم فيها، بصفته يعطي للمعنى حقيقة دلالة تلك الكلمة، فالإنسجام من هذه النّاحية حاصل بين الكلمة والسّياق الذي سيقت فيه، وما مدى تناسبه مع ذلك. وللسّياق أيضا وظيفة مهمة في تحديد المعنى الفعلي للكلمات، لأنّ المتلقي يبقى متتبعا وفيّا لسياق الكلام اللغوي، وما يحيط به من ظروف إنتاجه، إنّ معلّق فهمه للكلام بتلك الظروف التي يساق فيها، ولا بدّ عليه أن

---

[1]- المرجع نفسه،ص: 21.

[2]- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار المعارف، الرياضي، المملكة العربية السعودية، ص: 11.

[3] - السياق والنص الشعري، من بنية النص إلى القراءة، علي آيت آوشان، ص: 39.

يفهم وجه التّناسب بين الكلام والظّروف التي قيل فيها، لأنّ فهم الكلام مرهون بفهم السّياق اللغوي ومدى إنسجامه مع الظروف التي قيل فيها، حتّى يتيسر الفهم والتّأويل.

"ولقد أصبح المعنى والسياق، متلازمين خاصة إذا حدث الغموض، حينئذ ليس هناك من اللجوء إلى السياق، وعلى كل حال أصبح السياق نظرية وصارت "نظرية السياق- إذا طبقت بحكمة- تمثل حجر الأساس في علم المعنى. وقد قادت هذه النظرية بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة..."[1].

يقول بييرغيرو: "إن الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدّلالات يزول حين توضع في سياقها"[2]، فالتعريف من (خلال السّياقية) (CONTEXTUALIZATION) يتم تمثيله بواسطة تطبيق الإقتباسات في معاجم واسعة تساعد (السّياقية) في حل الالتباس (ANRBIGUITY) الناتج عن تعدد الدلالة (POLYSEMY) والاشتراك اللفظي (HOMONYNY)[3]، لأنّ الكثير من الكلمات تراها تتجرع معناها من سياقها اللغوي ، فحتى طريقة بناء النصوص ورصف كلماتها جنبا إلى جنب يخضع لضرورة دلالية تفرضها الكلمة بتواجدها بالقرب من أختها، وفي سياق معيّن. فالعلاقات الدلالية تقوم على أساس أن الكلمات ذات المعنى العام والمعقد والمحتمل تتحد علاقاتها وتتخصص دلالاتها عن طريق وضع الكلمات في سياقاتها التي توضح معناها مركبة مع المفردات الأخرى، وتقوم دراسة العلاقات الدلالية في اتساق النصوص على أساس أن الكلمة الواحدة تحدد معانيها ودلالاتها بالقدر الذي تتفاعل مع الكلمات الأخرى وترتبط بها. لذلك"لابدّ من الالتفات إلى أن اللغة لما كانت نظاما فإن تعيين القيمة الدلالية الدقيقة لعناصرها إنّما يمكن من خلال ملاحظة علاقتها بسائر العناصر، فإذا نظرنا إلى هاتين الجملتين مثلا: (جلس علي) و(جلست هذه الكلمة)؛ فإن الجملة الثانية تبدو غير مستعملة ولا معنى لها، وذلك لأنّ ثمة في النظام الدلالي للغة علاقة معلومة بين (جلس) وبين تلك الهيئة الخاصة للإنسان في الخارج، ولكن وبتغيير طفيف للجملة الثانية فإنها تكتسب معنى، كأن نقول: لقد جلست هذه الكلمة في هذه الجملة خير مجلس"[4]. وقد بيّن العلامة عبد القاهر الجرجاني أن هناك ثلاثة عناصر توجب للكلام جزية بعد أن يتحقق له (النظم) الذي أشار إلى أنه يقوم على أمرين: معاني النحو، والفروق والوجوه التي تكون فيه، هذه العناصر هي:

1 – الأغراض التي يوضع لها الكلام، وهي تشتمل على السّياق الملائم للكلام.

---

[1]– دور الكلمة في اللغة ، استيفن أولمان، ص: 66– 67، وينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص: 105.

[2] – ينظر، السيمياء، بييرغيرو، سلسلة زدني علما، ط1، 1984م، ص: 39.

[3] – معجم الأسلوبيات، كاتبي وايلز، ص: 159.

[4]– منطق الخطاب القرآني، دراسة في لغة القرآني، محمد باقر سعيدي روشن، ترجمة رضا با الدين، ص: 26.

2- موقع الكلمات بعضها من بعض، ولعله يقصد به الاستفادة من الحرية، المتاحة للتقديم والتأخير في بعض الوظائف النحوية.

3- استعمال بعضها مع بعض، وهو ما يمكن أن يفهم بوصفه الاختيار الصحيح بين الحقول الدلالية للمفردات[1].

والنقطة الأخرى هي أن لكلّ وحدة لغوية أو عنصر لغويّ معنيين: مباشرا وغير مباشر، فالمعنى المباشر هو المعنى الواضح والمحدد له، وغير المباشر هو بالمعنى الحاصل من اجتماع كل عنصر مع عنصر آخر.

فلو تأملنا في هاتين الجملتين (كم هي عذبة هذه العين ! كم هي حادة وقوّية هذه العين !) سنجد أنّ كلمات: عذبة وحادة وقوية مضافا إلى معانيها المباشرة- هي ذات دور في تحديد معنى الكلمات ندرك أن المراد لكلمة العين الأولى هو العين النابعة، وبالأخرى هي الباصرة. [2]

ويذكر أركون في مبحث عنونه بـ (معنى القرآن LE SENSE DE CORAN): "لبلوغ المعنى: يتعين علينا التخلي هنا عن كل قراءة خطية تعطي الأولوية للفهم المعتاد وللمنطق النحوي، فحتى لو رتبنا الآيات وفق التصنيف المعجمي، كما فعل محمد فؤاد عبد الباقي- فإنه سيظل مطروحا علينا بالضرورة تجاوز النظم البلاغي لاكتشاف نظام أكثر أهمية هو النظام البنيوي"[3]. ونجد قوله تعالى:﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ (البقرة: 286).أتى لفظ (الاكتساب) المشعر بالكلمة والمبالغة في جانب السيئة لثقلها[4].

وترى بعض النظريات أن المعنى لا يتحدد إلا بالنظر إلى السّياق الذي تقع فيه. وترتبط هذه الفكرة بالتوزيع DA DISTRIBUTION وترجع هذه الفكرة إلى فكر المدرسة البنيوية الأمريكية وخاصّة هاريس الذي يرى أنّ الإختلاف في المعنى، فكلمة (كلب) على سبيل المثال لا تقع في نفس السّياقات التي تقع فيها كلمة (ثقافة) وكلمة (ثقافة) لا تقع في نفس السّياقات التي تقع فيها كلمة (كراسة) وذلك بسبب من الاختلاف الحاصل في المعنى. والتوزيع ينبني على العلاقات المركبة أي بالنظر إلى الكلمة في علاقاتها المجاورة لها في مستوى التركيب وتزعم هذه المدرسة المذكورة أنّ معنى الكلمة أو معنى الصيغة يحدّده السّياق الذي يرد فيه، ممّا يجعل المعنى وثيق الصّلة بالعلاقات بين الكلمات"[5].

---

[1]- النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص: 98.

[2]- منطق الخطاب القرآني، دراسة في لغة القرآن، محمد باقر سعيدي روشن، ترجمة: رضا شمس الدين، ص: 26.

[3]- قراءة القرآن، أركون، ص: 06.

[4]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج 1/ 171.

[5] - ينظر: دور الكلمة في اللّسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، ص: 205، 206.

"وترى هذه النظريات أنّ لا معنى للكلمة إطلاقا خارج سياقاتها أي خارج التركيب، وبدون مراعاة الكلمات المجاورة لها، سواء كانت التي تسبقها أو التي تلحقها، "إذ في التركّيب وحده تتحقق الكلمة وتكتسب معناها"[1] ويعتبر هاريس أنّ الكلمة وحدة الكلام واللّسان، "وهي لا تتحقق ولا تتحدّد إلّا إذا ارتبطت بسياق أكبر، وبالتّالي يمكن معالجتها بعيدا عن الجملة، وكلما زحزحناها أو عزلناها عن مكانها لم تعد كما كانت عليه في السّياق لأنّها فقدت تلك العلاقات التي من شأنها أن تحددها".[2] وللكلمة عندهم معنيين:

1- المعنى الكامن POTENTUL: وهو معنى الكلمة باعتبارها وحدة معجمية.

2- المعنى المتحقق REEL: هو معنى الكلمة في سياق ما" .[3] وكثير من الحالات التي تسيّق فيها الكلمات تحدد المعنى بعد أن يكون المعنى المعجمي لها خارج النص غير محدد، لأنّه "لا يوجد معنى تام خارج السّياق، ولا يتحقّق المعنى حقيقة إلا داخل السّياق ويرى هايرس أنّ المعنى الحقيقي ليس ما تتضمنه الكلمة في حد ذاتها، وإنّما ما ينتج من علاقاتها مع كلّ عناصر القول"[4]. ومن هنا فإن جمل النص لابد أن تترابط في نظام معيّن، ولا يتم ذلك ببساطة، إذ لابدّ من وجود سياق مناسب أيضا،[5] ومن ثم كما يقول جون لاينز: "إنّ النص بكليته لابد أن ينطوي على مجموعة مميزة من الخصائص التي تؤدي إلى التماسك والانسجام"[6]. فعبارة النص "هي دلالة اللفظ على المعنى، أو الحكم المقصود من سوقه، أو تشريعه أصالة أو تبعا، ويعرف قصد المشرع أو المتكلم بالقرائن الخارجية، أو من سياق النص نفسه، أو من سبب النزول"[7]. وقد أشار السيوطي إلى علاقة اللفظ باللفظ وائتلافه مع المعنى، وقسمها إلى قسمين:

"الأوّل: أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضا بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة.

والثاني: أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد فإن كان فخما كانت ألفاظه فخمة أو جزلا فجزلة أو غريبا فغريبة أو متداولا فمتداولة أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك"[8]. قال الله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ**

---

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 206.

[2] – المرجع نفسه، ص: 206

[3] – المرجع نقسه، ص: 207.

[4] – المرجع نفسه، ص: 207.

[5] – نحو النص، اتجاه جديد لنظرية علم النص، د. أحمد عفيفي، ص: 983.

[6] –Linguistico sémantico, an–Introduction Cambridge université johnessonspress, 1995, P : 262.

[7] – بين علمي أصول الفقه ومقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الحسين ابن الخوجة، ج2/ 232.

[8] – الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج1/ 171.

عَذَابٌ﴾، فإنه لو اقتصر على قوله عذاب ولم تقل عظيم لاحتمل القليل والكثير، فلما وصفه بالعظيم تمم المعنى وعلم أنّ العذاب الذي وعدوا به عظيم، إمّا في المقدار وإما في الإيلام والدوام. [1]

4 – السياق العام لسورة البقرة:

يعتبر سياق سورة البقرة كاملة سياقا متنوع المقامات والأحداث لا تلك الأحداث التي كانت لها خصوصية متميزة عن ذي قبل، وعن الأعراف التي كانت العرب تقيم بها علاقاتها الاجتماعية، وكما كانت للعرب طقوس معيّنة في ممارستهم للعبادات التي كانوا يعتقدونها كانت لديهم أعراف يتعاملون بها في زواجهم وأموالهم. تخالف شريعة الله في الأرض فأنزل الله سبحانه وتعالى سورة البقرة ليتبين لهم شريعتهم التي اختارها لهم، بداية من مقدمة السورة التي تشكل كلاّ بالنسبة للسورة انتهت بفقرة مبدوءة بقوله تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ**﴾ ويجدر التوضيح هنا بأنّ النص القرآني "بوصفه نصّا مفرقا تبعا لتنوع الأحداث، فلم ينزل كلّه في مكان واحد، ولا زمان واحد، ولا لحدث واحد لهذا احتاج فهمه إلى معرفة مكان النزول وزمانه ومناسبته حتى تمكن تفسيره"[2]، "ومقدمة سورة البقرة ذكرت الصفات الرئيسية لأهل إيمان، من إيمان بالغيب، وصلاة، وإنفاق، واهتداء وبكتاب الله في الشأن كله، وذكرت المظهر الجلي للكفر في كون الكافر يؤثر فيه الإنذار من أهله، وذكرت نماذج ثلاثة من مواقفهم، نتعرف عليهم من خلالها، ثم ضربت لهم مثلين، مثلا للمنافق الخالص ومثلا للمنافق الذي لازال في قلبه بقية من إيمان"[3].

فقد تحدث السيوطي في كلامه عن سورة البقرة وما تسوقه، "فكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر وخطاب اليهود في البقرة أكثر، لأن التوراة أصل، والإنجيل فرع لها، والرسول دعا اليهود في المدينة ولم يجاهد النصارى إلاّ آخر الأمر"[4].و سورة البقرة من أطول سور القرآن الكريم على الإطلاق وهي من السور المدنية التي تعني التشريع، شأنها كشأن سائر السور المدنية التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية[5]."

---

[1]– البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي الغرناطي، ج1/ 76.

[2]– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ج1/ ص: 109.

[3]– الأساس في التفسير، سعيد حوى، ص: 678.

[4]– تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، ص: 20.

[5]– التعريف بسور القرآن الكريم، موسوعة القرآن الكريم، إعداد موقع روح الإسلام، ص: 03 www.islamspirit.com)/http:www.shamela.ws.

أ- الإنسجام بين وحدة السورة وتنوع المواضيع في سورة البقرة:

في هذا العنصر سوف نكشف عن طبيعة الانسجام الموجود بين مواضيع سورة البقرة، وكيف توحدت تحت غطاء السورة الواحدة، في بناء لغوي محكم منسق من حيث التركيب ومنسجم من حيث المعنى. وسورة البقرة هي: "أوّل سورة نزلت من القرآن في المدينة، وهي أطول السور القرآنية جميعا إذ تستغرق أكثر من جزأين من أجزاء القرآن، وفيها حشد من الموضوعات المتنوّعة أكثر مما حوته آية سورة أخرى من سور القرآن"[1].فبعد الحديث عن الفرق الثلاثة التي ذكرناها سابقا (المؤمنون- الكافرون- المنافقون) في مطلع السورة انتقل الحديث "عن بدء الخلفية، فذكرت قصة أبي البشر آدم عليه السلام وكان عند تكوينه من أحداث ومفاجآت، مما يدل على تكريم الله لآدم وبنيه"[2]، ويتمثل هذا المقطع بداية من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 30). ثم جاءت بعد ذلك سلسلة من الآيات وهي: (31- 32- 33- 34- 35- 36- 37- 38). تسرد قصة آدم وتخبرنا بها.

وبعد ذلك عادت السورة مرّة أخرى دون أن تنقطع عن المواضيع السابقة لتتحدث "بإسهاب عن أهل الكتاب، وبخاصّة يهود إسرائيل لأنّ اليهود كانوا مجاورين للمسلمين في المدينة المنوّرة، وبذلك تكون العناية واضحة بتنبيه المسلمين إلى خبث اليهود ومكرهم، وما جبلت عليه نفوسهم من اللؤم والغدر ونقض العهود، وخيانة المواثيق، إلى غير ذلك من القبائح والمفاسد التي ارتكبوها عبر العصور"[3]، " ويبدأ هذا المقطع بداية من قوله تعالى:﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة:40) حتى قوله تعالى:﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ،وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ (البقرة: 122- 123).وفي قصة البقرة تكشف عدّة قضايا أساسية لها تعلق قوي بمحور السورة[4].

وبهذه الطريقة نستطيع أن نكتشف الطريقة التي انسجمت بها هذه المواضيع وبطريقة متدرجة من البداية غلى النهاية. وذلك عندما ذكرت -حسب ما نراه- وفق تسلسل زمني حقيقي موجود في الواقع، أين

---

[1]-دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1982م، ص: 277.

[2]- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين في الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار المعارف، الرياض، ط1، ص: 11 (على الهامش).

[3]-المرجع نفسه، ط 1، ص: 11 (على الهامش).

[4]- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، أ. د. مصطفى مسلم، ج1/ 32.

ذكرت قصة أبو البشرية ثم الأوائل ممن استخلفهم في الأرض وعنادهم ومعاصيهم وهم بنو إسرائيل. وركز على بعض أخلاقهم المذمومة كالقتل الذي تجسد بوضوح في قصّة البقرة، وهذه الطريقة التي سلك بها النص القرآني هذا المنحى هي طريقة لعرض المواضيع التي وفق نظام لغوي قرآني محكم، انسجمت فيه اللغة بعالم الحقيقة وهو العالم الواقعي المقابل لهذا النص.ومن المعلوم أن كثرة المواضيع داخل النص الواحد تشتت بنياته وتضرّ بمعانيه وأن "الجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدره"[1]. غير أنّ سور القرآن الكريم ليست كذلك ، فنرى فيها الإتساق والإنسجام تتباهى بهما مظهرا، وتتوشح بهما لفظا، وعدّ ذلك من مظاهر إعجاز القرآن الكريم في تعدد موضوعات السورة لأنها تنتقل "بقارئها من موضوع إلى آخر بأرقى درجات النظم إحكاما وأعلى طبقات البلاغة بها، وهذا لمظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وخرق لعادة بلغاء العرب في كلامهم المنظوم، حيث تتفاوت فصاحتهم وتتمايز بلاغتهم ويعتريهم النقص عند التنقل من موضوع إلى آخر، بل أن يعطيهم لا تفرق فصاحته وبلاغته إلا في نوع من الكلام كالرثاء. ثم إن ترابط الموضوعات في السورة وتناسبها مع تنوع أساليب الأداء، وتعاليه على الدواعي المفككة للنظم من تنجيم (تفريق) لآيات السورة في زمن النزول، وتعدد لأسباب نزول آيات منها وتباين ظروفها، لشاهد على إعجاز القرآن وألوهية مصدره وصدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أنه الرسول الكريم"[2].

وكيف لا نصف هذا المظهر"من مظاهر إعجاز القرآن الكريم التي تزيده إعظاما وتثبت حقيقة مصدريته وتؤكد ألوهيته، الترابط بين موضوعات السورة القرآنية الواحدة، فأقول: لو أنك أمعنت النظر في سورة وهي تنتقل بك من معنى إلى معنى ومن موضوع إلى آخر، تجد آيات كل موضوع مترابطة متناسبة آخذة بعضها بحجر بعض وكل موضوع يغطي إلى الآخر، وينتظمان بأحسن صور الالتئام وتتابع موضوعات السورة وتتعانق كعقد أحكم تمام الإحكام وإن كان ظاهرها يوجب اختلافها، ولكنها مؤتلفة وإن كان تعددها يوجب شتاتها ولكنها مجتمعة وإنك لتتيقن أن الترابط بين الموضوعات في السورة وجه من وجوه إعجاز القرآن في بنائه"[3]. يقول الإمام الرّازي (606 هـ) عن وجوه الإعجاز في سورة البقرة التي تنوعت موضوعاتها "ومن تأمل نظم هذه السورة- يعني سورة البقرة- التي تعددت موضوعاتها وطالت آياتها وفي بدائع ترتيبها علم أنّ القرآن كما أنه معجز بحسب ألفاظه وبشرف معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته".[4]

---

[1]- رسالة البيان في إعجاز القرآن ضمت كتاب ثلاثة رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد خلف وآخرون، دار المعارف، ط4، (د،ت) ص: 27- 28.

[2]- مظاهر إعجاز القرآن الكريم في تعدد موضوعات السورة، علي عبد الله علان، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 41، ملحق 2، 2014م، ص: 854.

[3]-المرجع نفيه، ص: 859.

[4]- التفسير الكبير الفخر الرازي، 3/ 106- 107.

ولننظر إلى جملة من الآيات الأخرى في سورة البقرة وهي الآيات (261- 283) في قوله: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (267) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269) وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (270) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (280) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى

فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (283) ﴾ (البقرة: 261- 283)، فإن القارئ يرى في هذا المقطع "آيات فيها تحث على الإنفاق والترغيب به وبيان أحكامه وآدابه، ثم آيات تحريم الربا وإعلان الحرب على من لم يذر التعامل به بعد تحريمه، ثم آية في الدين وكيفية توثيقه، وآية في الرهن عند انعدام وسبل توثيقه، فهلا تدبرت ما الربط بينها، وكيف نصوغ جملا تعرب عن التناسق والانسجام بينها؟"[1] فيجيب الأستاذ علي عبد الله علان "ألا تتفق معي أن الإنفاق يسد لحاجة المحتاجين، وإن الربا ما هو إلا استغلال لحاجتهم، لذلك جعل الله بين يدي تحريم الربا بديلة الإنفاق لوجهه الكريم لقاء ثوابه العظيم، ثم أتبع تحريم الربا بديلا آخر الغرض الحسن بالدّين المكتوب الموثق أو بالرهن مقابلة لحفظ الحقوق لينتفي النزاع بين العباد، فكأنّ إليه يقول يا عبادي: سدوا حاجة المحتاجين زكاة وصدقة، فأثيبكم عليها، فإن لم يكن فأقرضوهم قرضا حسنا- دينا- وأثيبكم عليه، كما في قوله سبحانه:﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ (الحديد: 11)"[2].

ولننظر إلى الطريقة التي انسجمت بها هذه المواضيع في سورة البقرة، حيث يجمع بينها جامع واحد، هو المال، أكان من حيث إنفاقه أم من حيث تحصيله، فتحدثت هذه الآيات عن إنفاق المال والترغيب به، ثم فصلت طريقة الإنفاق والتصدق به، وحدّد نوع المال المنفق وهو الحلال الطيب الذي يجازي به الله، وحرّم الربا وأحلّ البيع، وبيّن طريقة إنفاق أخرى على الفقراء وهي الزكاة. ثم ذكر طريقة أخرى يفرج بها المؤمن على أخيه المؤمن وهي المداينة وفصّل كيف يكون وكيف تتم كتابة الدين، ثم بيّن طريقة أخرى من المعاملات المالية وهي الرهن:

---

[1]-ينظر، المرجع نفسه، ص: 862 وما بعدها.

[2]- المرجع نفسه، ص: 868.

فهذه المواضيع المختلفة قد انسجمت أكثر في نصف حزب تقريبا بداية من الآية (261) إلى الآية (283)، وعالجت قضايا مالية منها ما هو حلال كالصدقة والزكاة والإنفاق، والبيع، والرهان، والمداينة، ومنها ما هو حرام، كالربا، وقد اجتمعت هذه المواضيع في انسجام محكم في آيات شكلت لنا نصا متسقا ومترابطا رغم ما يبدوا عليه من تنوع في المواضيع التي تظهر عليها سمة الشتاة لكنها حققت العكس أين توحدت في خضم آيات هذه السورة، ومنه يظهر الانسجام المهيمن على السورة.

وإذا تمحصنا مقطع الآيات التي فرض الله تعالى الصيام وبيّن أحكامه في سورة البقرة من الآية)182- 189)، وكانت الآية (188) منه في تحريم أكل الأموال بالباطل والآية (189) في الأهلة والمواقيت، ثم كان المقطع الثاني آيات يأمر الله فيها بقتال الكفار المقاتلين ويبين أحكامه عند المسجد الحرام، وفي الأشهر الحرم من الآية (190- 191) ثم يأتي مقطع من الآيات في أحكام الحج من الآية (196- 203) وبذلك ترى آيات عن القتال توسطت بين مقطعين يتحدثان عن ركنين من أركان الإسلام (الصيام والحج) يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (192) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (193) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ**

الْمُتَّقِينَ (194) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (199) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (200) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (202) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203) ﴾ (البقرة: 183– 203).

قال الإمام الرّازي معلقا عن هذه المقاطع وكيف فصل الربط والاتساق بينها ثم كيف انسجمت تحت غطاء السورة الواحدة دون أن يشعر القارئ بشتاتها رغم تنوعها.

"المسألة الأولى أنه تعالى أمر بالاستقلالية في الآية المتقدمة بالتقوى في طريق معرفة الله تعالى...ثم أمر في هذه الآية بأشد أقسام التقوى وأشقها على النفس، وهو قتل أعداء الله فقال: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[1]، ولم يلتفت إلى الربط بين آيات الصيام وآية النهي عن أكل الأموال بالباطل وآية الأهلة[2]، ربما لأنه رأى الرابط بينهما واضحا لا يحتاج إلى بيان كما لم يربط بين آيات القتال وآيات أحكام الحج"[3].

فقد جاءت الآيات من (182– 189) في موضوع واحد وسياق واحد، حيث تبين فرض الصيام وأحكامه وختمت بآية الأهلة، والتي بها يثبت شهر رمضان والحج، واستطردت أصناف ذلك في حث العبد على العبودية لله تعالى بالدعاء في الآية (186) وفي هذا يقول السيد قطب عن هذا الربط المتسلسل بين الصيام والأهلة والحج، "بعد ذلك يجيء الحديث عن الحج والعمرة وشعائرها والتسلسل في السياق واضح بين

---

[1]– التفسير الكبير، الفخر الرّازي، ج 5/ 287.

[2]– المرجع نفسه، ج 5/ 279 و281.

[3]– المرجع نفسه، ج 5/ 301.

الحديث عن الأهلة وأنها مواقيت للناس والحج، والحديث عن القتال في الأشهر الحرم وعن المسجد الحرام، والحديث عن الحج والعمرة وشعائرهما في نهاية الدرس"[1].

ثم استطردت الآيات إلى النهي عن أكل الأموال بالباطل في الآية (188) وفي هذا يقول الأستاذ عبد الله علان: "ولعلك توافقني أنّ المناسبة جلية، فإن كان الصيام امتناعا عن الأكل المباح وتقييدا للشهوات المباحة في نهار رمضان، فيجدر بالمؤمن أن يكبح جماح شهوته عن أكل الأموال بالباطل في سائر الأيام، وما الصيام إلاّ تدريب على ذلك، ثم كان المقطع الثاني في الأمر بقتال المقاتلين وبيان أحكام متعلقة به من الآية (190- 195) ولا عجب فالمجاهد بها عن الدنيا لتكون في يده لا في قلبه يلقيها عندما شاء ويستجيب إلى نداء الجهاد تاركا الدنيا بحلتها، كما يمتنع عنها عند سماع نداء الفجر للصيام، بل أعلم أن هذا الترابط بين الآيات وافقه الترابط واقعا"[2].

"فلما ذكر الله تعالى أحكام الصيام وعطف بذكر الجهاد، شرع في بيان المناسبات فأمر بإتمام الحج والعمرة، وظاهر السياق إكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما"[3].

يقول الإمام البقاعي مستجليا صور الربط بين هذه المقاطع الثلاثة "ولقد ذكر سبحانه الحج في هذه السورة المدنية وكان سبيله إذ ذاك ممنوعا عن أهل الإسلام بأهل الحرب، الذين أخرجوهم من بلدهم، ومنعوهم من المسد الحرام الذي هم أحق به من غيرهم، وكان الحج من الجهاد، وكان كل من الصوم والجهاد تخليا عن الدنيا...وكانت كل أمهات العبادات موقتة وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج، وغير موقتة وهي الذكر والجهاد وهو قتال أهل الحرب...وكان سبحانه قد ذكر العبادات الموقتة أتبعها بغير الموقتة"[4].

لقد تنوعت مواضيع هذه المقاطع وكان في تنوعها هذا إثراءا لموضوع السورة العام، وبيان لجملة أحكام الشرعية، وأهم المقاصد التي جاءت بها، حيث تلاءمت والتحمت مشكلة لنا النهج الإسلامي الذي حض عليه الله تعالى في هذه السورة، فتوّحدت المواضيع وانسجمت دون أن نشعر بذلك الاختلاف الذي يشتت تلك الوحدة العامة لسورة البقرة، بل على النقيض فقد كان هذا التنوع إيجابيا اتسقت به السياقات وانسجمت بها المواضيع وحققت الغرض والهدف بتلك المقاصد التي اجتمعت تحت سقف هذه السورة، وإنه "من عجيب نظم كتاب الله وقوّة إعجازه وعظمة شأنه، أنك تجد السور القرآنية تنزل نجوما، وربّما في أزمان متطاولة في العهد المكي أو العهد المدني أو بين العهدين وفي ظروف مختلفة، وحسب وقائع ودواعي متعددة، ومع كل هذه

---

[1]– في ظلال القرآن، سيد قطب، 1/ 276.

[2]– ينظر: مظاهر إعجاز القرآن الكريم في تعدد موضوعات السورة، علي عبد الله علان، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 41، ملحق 2، 2014م، ص: 861.

[3]– تفسير ابن كثير، ج1/ 357.

[4]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 1/ 361– 362.

الأسباب المفككة لوحدة الكلام، تجد آيات السورة وموضوعاتها منسقة متناسبة محكمة البناء، حتى لتظن أنها نزلت مرّة واحة، بل إن هذا الظن يفرق في نيف وعشرين سنة !"[1].

ب – الإنسجام بين القصص في سورة البقرة :

ولتكن القصص الثلاثة التي ذكرت متتابعة في سورة البقرة، ولقد جاء في سورة البقرة التلميح إلى قصة أهل السبت، قال تعالى:﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونو قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين** ﴾ (البقرة 65-66). ثم جاءت قصة البقرة : ﴿**وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾ (البقرة 67-71) . ثم جاء التلميح الى قصة النفس المقتولة : ﴿ **وإذ قتلتم نفسا فادرأتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون**﴾ (البقرة 72-73) .

ويعلق البقاعي على هذه القصص ويبين علاقتها ببعضها البعض وما وجه انسجامها، بالكشف عن المناسبة بين القصص الثلاث ، فيقول : ولما بين تعالى قساوتهم في حقوقه عامة ثم خاصة. أتبعه بيان قساوتهم في مصالح أنفسهم لينتج أنهم الناس فقال« وإذا قال موسى لقومه » ، أو يقال أنه لما كان السبب إنما وجب عليهم وابتلوا بالتشديد فيه باقتراحهم له وسؤالهم إياه بعد أبائهم للجمعية كما يأتي إن شاء الله بيانه عند قوله تعالى «إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه كان أنسب الأشياء تعقيبة بقصة البقرة التي ماشدد عليهم في أمرها إلا لتعنتهم فيه وإبائهم لذبح أي بقرة تيسرت، ومن أحاسن المناسبات أن في كل من آيتي السبت و البقرة تبديل حال الانسان بمخالطة لحم بعض الحيوانات العجم ، ففي الأولى إفراسه بعد نطقه بلحم السمك، وفي الثانية انطاقه بعد فرسه بالموت بلحم البقر، ولعل تخصيص لحم البقر بهذا الأمر لإيقاظهم من رقدتهم وتنبيههم عن غفلتهم عن عظيم قدرة الله تعالى لينزع من قلوبهم التعجب من حوار العجل الذي عبدوه .[2] " ويعتبر الانسجام من أهم العناصر التكوينية للقيمة الجمالية للخطاب في الأعمال الأدبية الكبرى، من حيث الغنى والطابع المفهومي للتعبير الأدبي، فهو يجسد خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكوّنة للنص في علاقاتها بما يفهم من الجمل الأخرى ...فهو ليس خاصية تجريدية للأقوال و لكنّه ظاهرة تأويلية ديناميكية من الفهم المعرفي، تتدخل فيها أنواع عديدة من المعارف الذّاتية...وانطلاقا من هذا التحديد فإنّ الإنسجام يتّصل بعوالم الدلالة والسيّاق و التداولية"[3].

---

[1]– ينظر: مظاهر إعجاز القرآن الكريم في تعدد موضوعات السورة، على عبد الله علان، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 41، ملحق 2، 2014م، ص: 862.

[2] ينظر نظم الدور ، البقاعي ، 1/466-475 .

[3] – ينظر:جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية و آليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي،مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ- 2014م، 216.

5- علاقة السّياق بالمقام:

"إن غياب حدود واضحة لمفهوم السّياق يظّل مصدرا للخلط الذي تفشى في استعمالات علماء اللسان بين " السياق " و" المقام" فغالبا ما نلفيهم يستعملون مصطلح " السّياق " للدلالة به عموما، على مجموع الظروف التي تصاحب ظهور الملفوظ، ولهذا المعنى، لا يعدو السّياق مكوّنا من علاقات فحسب، ولكنّه يشمل مختلف العناصر التي تسهم في فعل التّلفظ (المحيط الفيزيائي ضمن الظروف التاريخية والاجتماعية، ومعارف ونفسيات المشاركين في عملية التّخاطب).و الواقع أنّنا ملزمون بإدراج مصطلح المساق، وذلك تحاشيا للخلط بين العناصر اللّسانية والعناصر غير اللّسانية عند استعمالنا المعنى الموسّع لمصطلح السّياق، وعليه يغدو التّقابل "مساق" "سياق"، "المقام"، يتوجب توخي الحذر بخصوص هذا المصطلح الذي شاع استعماله وتعددت تعاريفه من لساني لآخر"[1]. ولنا أن نفرق بين المقام والسياق؛ "فالمقام هو محلّ القيام، ويطلق على المكان المعدود لأمر عظيم، كما في قوله تعالى: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا** ﴾ (سورة الإسراء: 79) وهو في الغالب لا يكون إلا لأجل العمل فصرفت دلالة هذا اللفظ إلى العمل نفسه، يهد لذلك قوله تعالى، على لسان نوح عليه السلام: ﴿**إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ**﴾(**يونس: 71**)"[2]. أمّا كلمة (سيّاق) فهي أخص من حيث الدلالة من كلمة (مقام). إذ أن لفظ (سياق) لا يعني غير المقام المقالي للخطاب، وهو عنصر فعّال في توجيه الخطاب صوب مقصد الشارع منه، كما أن من وجوه أهميته رفع التعارض الظاهر بين ألفاظ الخطاب. [3]ولهذا كان الأصوليون ينظرون إلى الموضع والزمان في تحديد الحدث من جهة وإلى مقتضيات الأحوال من جهة أخرى والمقام عندهم هو "الدلالة على الموضع أو المكان الذي يصدر عنه الناس في أقوالهم وأحوالهم وتصرّفاتهم وهو بهذا مورد الكلام عندهم"[4]. وفي اعتبار علماء هذا العلم أن المراد من المقام وجود قسمين:

- الأوّل: المقام الذي ينظر فيه إلى الزمن والمكان الصادر فيه الخطاب.

- الثاني: وهو باب علمي المعاني والبيان، لأن مداره الخطاب، يقوم على معرفة مقتضيات الأحوال، حال الخطاب في ذاته، وأحوال المخاطب، والمخاطب[5].

---

[1] – المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور، ترجمة عبد القادر فهيم الشيباني ط1، سيدي بلعباس، الجزائر، ص: 36.

[2]– بين علمي أصول الفقه ومقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، 1425هـ/ 2004م، ج2/ ص: 235.

[3]– ينظر المرجع نفسه، ج 2/ 236.

[4]– المرجع نفسه، ج2/ ص: 235.

[5]– المرجع نفسه، ج2/ ص: 235.

"وللسياق مكانة في علوم القرآن، ينهض به علمان قائمان برأسيهما وهما: "علم معرفة أسباب النزول" و"علم معرفة المكي والمدني"، بالأوّل يتمكن المتلقي من معرفة العلاقة بين جزء محدّد من النص (آية أو أكثر) والواقع الخارجي الذي هو سبب النزول، وبالتالي يتمكن من استيعاب السّياق التاريخي والاجتماعي الذي به اختلف الخطاب المكي عن المدني "، وهذا يعني أنّ السّياق في هذا النّظر يستوعب العناصر ذاتها التي انتهت إليها نظريات تحليل الخطاب المعاصرة ".[1]

وقد وضح العلماء في باب نزول القرآن منجما، أنّ ذلك"يدلنا على أنّ في ذلك حكما وأحكام ما تربط بمناسبة النزول، وهو جزء لا يتجزأ من بيان الوحي المنزل، فلا ريب أنّ للمناسبة أثرا في تفسير المراد بالنّص، بل إنّها همزة الوصل بين النص من حيث علوية المصدر، وبينه من حيث هدفه في معالجة الواقع، وقد تقررت قاعدة أصولية تقول: (إن العبرة دائما بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" ومع ذلك يبقى للسبب أهميته في توجيه هذا العموم وتشخيصه)".[2]

والأمثلة كثيرة على دور السياق في انسجام النص، ويتضح هذا المبدأ وما يلعبه من دور في تسجيم النص، نستدل بمثال آخر، في قوله تعالى:﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ (البقرة: 61)، حيث جاء الترتيب السياقي اللغوي للآية كالآتي: الذلة، المسكنة، والغضب، أما في آية أخرى من سورة آل عمران فجاء قوله تعالى:﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ**﴾ (آل عمران: 112)، حيث جاء فيها السياق اللغوي مرتبا على النحو الآتي: بدأ بالذلة والغضب والمسكنة أي مخالفة الترتيب الذي جاء في سياق سورة البقرة ذلك أن سياق سورة البقرة "جاء في مخاطبة بني إسرائيل المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم. يذكرهم بالنعم التي أنعمها الله على أجدادهم، ويحذرهم من العصيان والتمرد فيصيبهم ما أصاب السابقين من الويلات والعقوبات، فجاء على ذكر ما هو أشد على نفوسهم وأعظم أثرا فيهم، إذ بدأ بالذلة إلى تذكرهم بأسوأ أحوالهم عبر العصور، من التشرد والتفرق والتشتيت من بلد لآخر، ثم جاء على ذكر قلوبهم التي كانت فقيرة خاوية من مخافة الله تعالى، وهي على كل حال ليست في نفوسهم بمنزلة الذلة، ثم جاء على ذكر الغضب من الله، وهو ما لم يلتفت إليه بنو إسرائيل طول حياتهم، ولجل هذا عمد إلى تأخير ذكره.

أما في آل عمران، فالخطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم– وللجماعة المسلمة، يبصرهم بحال اليهود تجاههم، ولأجل ذلك بدأ بالذلة لتقبيح صورتهم، فتنفر منها النفس، وستجرد من حبها القلب، ثم يأتي على ذكر الغضب، وما يمثله هنا من يحبه الله، ويبغضون من يبغضه الله، ثم ينتهي بذكر المسكنة التي لا مكانة لها عند

---

[1] – **النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الأدب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2009م، ص: 24.**

[2] – **تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، ص: 30، 31.**

المسلمين بعد ذكر الذلة والغضب، وبهذا يدرك المسلمون ضرورة الأخذ على أيدي اليهود بكل قوّة، دون أن تأخذهم في ذلك رحمة أو شفقة"[1].

6- علاقة السياق بأسباب النزول:

يفرض سبب النزول في القرآن الكريم منطقه على السياق القرآني ، لأنه يساعد المؤوِّل على تأويل الآية الكريمة وتحديد المعاني المرادة، والمناسبة التي نزلت فيها الآية الكريمة ،ويساعد الفقيه على إستنباط الأحكام والمفسِّر على فهم المعاني ومقارنات السياقات اللغوية ببعضها وتفسير الآيات حسب مقام كل سياق، فالوظائف المنوطة بسبب النزول متعددة لذلك يجتهد علماء القرآن في إحلالها مكانتها اللائقة .

إن كان لسبب النزول شأن كبير في تحديد السياق المقامي الذي نزلت فيه الآية ، فإن دوره لا يقل أهمية في السياق اللغوي للآية، ومن خلاله يمكن تحديد انسجام الآية بسياقها اللغوي مع المقام الذي قيلت فيه وعلاقاتها بالآيات السابقة واللاحقة لها، ولهذا سوف نكشف عن دور سبب النزول في تحقيق الانسجام بين السياق اللغوي (الآية) والسياق المقامي ومن هذه النماذج في السورة البقرة: نذكر ما يلي :قال تعال ﴿**قلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** (97) **مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ** (98) **وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ** (99) **أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** (100) **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ101**) ﴾ (**البقرة:97-101**).

فقد رويَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما و عن عبد الله بن صوريا حبر من أحبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم:" أي ملك يأتيك من السماء؟ قال :(جبريل) :قال : ذلك عدونا و لو كان ميكائيل، لآمنا بك واتبعناك، إن جبريل ينزل بالعذاب ، والشدة، والخسف، وإنه عادانا مرارا، و أشد ذلك علينا : أن الله أنزل على نبينا : أن بيت المقدس سيخرّب على يد رجل يقال له : بَخْتَنصر ، فلما كان زمنه؛ بعثنا إليه من يقتله، فلقيه ببابل غلاما مسكينا فأخذه ليقتله، فدفع عنه جبريل، وقال: إن كان الله أمر بهلاككم فلن تسلط عليه، وإن لم يكن هو؛ فعلى أي حق تقتله؟ ! فلما كبر ذلك عليه الغلام وقوى غزانا، وخرب بيت المقدس، فلهذا نتخذه

[1]- ينظر: دلالة السياق، وأثرها في توجيه المتشابهة اللفظي في قصة موسى، فهد بن شتوى الشتوي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2005م، ص: 239.

عدوا، فأنزل الله هذه الآية .[1] فسبب نزول هذه الآية كان واضحا بسبب عداوة اليهود لجبريل، ولهذا كان سبب نزولها رابطا بين سياقها الذي جاء به جبريل عليه السلام و سياقها المقامي، لهذا قال الطبري:" أن أهل العلم بالتأويل أجمعوا جميعا على أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل إذا زعموا أن جبريل عدو لهم، وأنّ ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك ، فقال بعضهم : إنما كان بسبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله رسول الله –صلى الله عليه وسلم – في أمر نبوته ...ثم ساق الحديث".[2]

ولهذا نجد أن في معرفة سبب النزول دور كبير في الكشف عن علاقة النص القرآني بمقامه الذي سيق فيه، كون المقام عامل مهم في تفسير النصوص و تأويل الآيات، فضلا عن ذلك كشف العلاقة بين الآية وما يسبقها وما يلحقها من آيات أخرى، ولهذا؛ فإذا كان هناك إنسجام بين الآية ومقامها إتضحت الدلالة والمعاني، وتيسَّر فهم النصوص الشرعية وتأويلها وتكملة لسبب نزول السابقة ذكر أهل العلم في تفاسيرهم أن" عمر –رضي الله عنه– كان له أرض بأعلى المدينة، وكان ممره إليها على مدارس اليهود، فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم. فقالوا له يوما : من صاحب محمّد الذي يأتيه من الملائكة؟ قال :جبريل ، فقالوا : ذاك عدونا ، يطلع محمدا على سرنا، وهو صاحب كل عذاب، وخسف وشدة، وإن ميكائيل يجيء بالخصب والسلامة، فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمّدا –صلى الله عليه وسلم–، قالوا : نعم، فقال : أخبروني عن منزلة جبريل، و ميكائيل من الله تعالى؟ قالوا : جبريل عن يمينه و ميكائيل عن يساره ، وميكائيل عدو لجبريل ، فقال عمر –رضي الله عنه– : أشهد أن من كان عدوا لأحد كان عدوا للأخر. ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ، ثم رجع عمر إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فوجد جبريل –عليه السلام– قد سبقه بالوحي ، فقرأ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هذه الآيات : وقال : لقد وافقك ربك يا عمر ! فقال –رضي الله عنه– : والله لقد رأيتني بعد ذلك في ديني أصلب من الحجر."[3]

ومن هنا يمكننا أن نستنتج الرابط المباشر الذي انسجام به النص، بين ما حدث لعمر –رضي الله عنه– مع اليهود، وما قاله النبي –صلى الله عليه وسلم — هو قوله بعد إخباره من طرف عمر ما حدث له مع اليهود، حيث عبر النبي –صلى عليه وسلم–، عن الانسجام بقوله: (لقد وافقك ربك يا عمر)، في إشارة منه إلى الآية الكريمة:﴿من **كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (98)** ﴾**(البقرة 98)**.

---

[1] – تفسير القرآن الكريم، و إعرابه و بيانه ، الشيخ محمد علي طه الدرة ، دار ابن كثير للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان، سورة الفاتحة وسورة البقرة ، المجلد الأول ،ط1، 1430 هـ .2009م ، ص : 261 .

[2] – المحرر في أسباب نزول القرآن (من خلال الكتب التسعة) ، دراسة الأسباب رواية و دراية ، تأليف خالد بن سليمان المزيني ،دار الجوزي الدمام، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1426 هـ ، ص :203 .

[3] – تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه ، الشيخ محمد على طه الدرة ، ج261/1 .

ومما سبق؛ فإنه يمكن القول بأن سبب النزول هو رابط يستأنس به في إقامة العلاقة بين النص القرآني والموقف الاجتماعي، ونقصد به السياق المقامي، إذ يساهم بدرجة كبيرة في صناعة الانسجام بين الأحداث واللغة، كون اللغة هي الناقلة الفعلية لجملة من الأحداث من زمانها إلى أزمان أخرى تطلع المتلقي بحقيقة هذه الأحداث.وهنا يظهر الانسجام في صورة شبيهة بإعادة تسجيل موقف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه – وما جاء به جبريل من وحي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- . إنه انسجام بين الغيب و الحاضر، بين الوحي وعداوة اليهود لجبريل -عليه السلام-، وبين لغتهم وما يكنونه من حقد إلى هذا الملك الطاهر ، وما جيء به من ألفاظ في وحي هذه الآيات، وعلى هذا الأساس أقمنا علاقة بين السياق وسبب النزول، ليتّضح دور معرفة سبب النزول في توضيح الانسجام بين المواقف والآيات أي الخطاب/النص القرآني، وعلينا أن نتساءل دائما لم لا تكون هذه الآية قد نزلت في موقف آخر وسياق مخالف؟ لذلك كان السلف الصالح عندما يشكل عليهم معاني الآيات كانوا يقفون على أسباب نزولها ، فيزول عنهم الإشكال[1]، حيث يختلقون انسجامها مع الموقف دون تكلف ، فيسهل عليهم الربط بينهما .

يقول أحد علماء القرآن: "وإذا ما وجد في النص القرآني ما يوهم ظاهرة التفكك وعدم الإنسجام والتماسك، بسبب نزوله منجما على الحوادث والوقائع، ثم جمعت آياته وسوره في المصحف على وضعيتها الخاصة وترتيبها الحالي، فإن هذه الوضعية هي من أهم الظواهر الإعجازية التي لفتت نظر السلف، والخلق للكشف عن دوافع نظمه وبدائع انسجامه التي تميز بها على سائر الكلام"[2]."ولو تأملنا سورة البقرة وقد نزلت ترتيلا في ما يقارب عشرة سور"[3]. لذلك "كان الهدف من هذه العناية بالسياق هو الهدف نفسه من العناية بأسباب النزول وهو الوصول إلى فهم أدق للآية الكريمة، وذلك لإدراك أحكام التشريع التي تمكننا من الانتقال من العام إلى الخاص، ولكننا نجدهم أحيانا يوظّفون هذه المعرفة السّياقية بالبعد الزماني والمكاني لإدراك المناسبة بين الآيات والسّور"[4] .وقد نزلت سورة البقرة على عدة مراحل وكانت كلّ آياتها فيما عدا الآية (281) منها قد نزلت في المدينة لذلك يوصف بأنها مدنية، وهي أول ما نزل بعد الهجرة، واستمر نزولها حتى نهاية العهد المدني، حيث نزت الآية (281) منها، وهي على الراجح آخر آية في القرآن حسب أغلبية العلماء، كما نزلت قبلها آيات الربا، فيما تقدمت خواتيم السورة سائرها، فنزلت قبيل الهجرة، لكن غالب آيات السورة كان في بداية الهجرة، لذلك نجد طبيعة النص فيها، تقديم وشرح للدين الجديد (الإسلام) ومهمة الإنسان في الأرض مع

---

[1] – ينظر : أسباب النزول المسمى (لباب النقول في أسباب النزول) ،لجلال الدين أبي عبد الرحمان السيوطي ، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1422 هـ ، 2002م ، ص:07 .

[2] – جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد، ص: 218.

[3] – وحدة النسق في السورة القرآنية، فوائدها وطرق دراستها، رشيد الحمداوي، المرجع نفسه، ص: 148.

[4] – المرجع السّابق، ص100.

عرض تجارب الأمم السابقة والاستفادة منها. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه من الجمرة من بطن الوادي فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال: "هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة"[1].

مخطط يوضح مراحل نزول سورة البقرة:

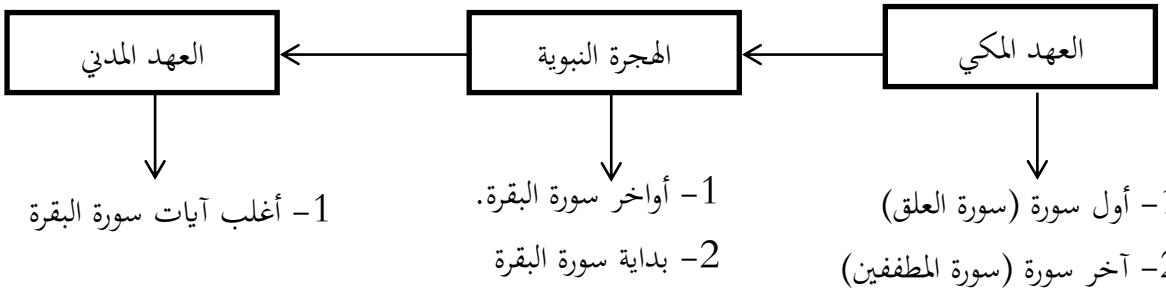

وبشيء من التفصيل لبعض الأسباب التي نزلت بها بعض الآيات من سورة البقرة، فإنّ علماء القرآن فصلوا في ذكر أسبا النزول للكثير من الآيات "فلقد نزلت آية للظهار في سلة بن صخر، ونزلت آية اللّعان في شأن هلال بن أمية، ونزلت آية حدّ القذف في رمات عائشة، ونزلت آية القبلة بعد الهجرة وبعد أن استقبل المسلمون بيت المقدس بضعة عشر شهرا، ونزلت آية اتخاذ مقام إبراهيم مصلى حين سأل عمر الرسول في ذلك، وكذلك كانت الحال في الحجاب، وأسرى بدر، وغير ذلك كثير، فكان القرآن ينزل بحسب الحاجة خمس آيات، وعشر آيات، وأكثر وأقل، وقد صح نزول عشر آيات في قصة الإفك جملة، كما صح نزول عشر آيات من أول (المؤمنين) جملة، وصح نزول (غير أولي الضرر) (النساء): 93، وحدها، وهي بعض آية، وكذا(و إن خفتم عيلة)التوبة: 29، إلى آخر الآية، وهي بعض آية، نزلت بعد نزول أول الآية."[2] فقد وقف علماء القرآن أمام كثير من الآيات والسّور التي خفي وجه التناسب فيها، ولم يكن أمامهم لإزالة هذا الغموض غير الاستعانة بالسياق الخارجي / سياق موقف"[3].

قال الجعبري: "نزول القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال "[4] كما أن لمعرفة سبب النزول هو "الوقوف على المعنى وإزالة الأشكال. قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[5] "وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"[6] ولنا أن نقول أيضا:" أنّ القرآن الكريم منه ما ينزل لسبب مذكور، ومنه ما ينزل لغير سبب، وليس لكلّ سورة

---

[1]– أخرجه البخاري، (1747، 1749)، ومسلم (1296)، ينظر: تفسير ابن كثير، دار الإمام مالك، الجزائر، ج1/ 70.

[2] – الموسوعة القرآنية إبراهيم الأنبا ري، مؤسسة سجل العرب، 140 5هـ–1984م، المجلد3، ص: 59–60.

[3] – جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد، ص: 100.

[4]– الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، عليق، مصطفى شيخ مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/2009م.

[5]– النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الأدب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2009م، ص: 71.

[6] – الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ص: 71.

أسباب نزول خاصة"[1]، "وقال بن تميمة: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[2] ولذلك فقد "تنزل الآيات على الأسباب الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة، رعاية لنظم القرآن وحسن السّياق"[3]. وقد قسم العلماء أسباب النزول إلى قسمين، وهما :

– القسم الأول: ما نزل من الله – عز وجل– ابتداء من غير ارتباط بسبب خاص، وهذا الأكثر في آيات القرآن الكريم. وأظهرتها الآيات الأولى (من سورة العلق) فهي استهلاك للوحي لا تتعلق بسبب إلا بسبب العام، وهو تنزيل الرسالة على الرسول صلى الله عليه وسلم[4]

– القسم الثاني: ما نزل من الله – عز وجل– مرتبطا بأسباب خاصة، وهذا القسم هو الأقل في القرآن الكريم، ولذلك كان محل بحث العلماء والتصنيف فيه وهو ما يسميه العلماء بسبب نزول الآية "[5] وممن اهتموا بظروف الانجاز النصي، وسياقه محمد الشاوش في ربط النص القرآني مهما كان نوعه بظروفه ومما جاء في كتابه "أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية" بأن "الانسجام أمر شيء مظروف بسياق إنجاز وتقبله"[6]وهذه إشارة إلى ظروف الإنجاز وتواجد النص، ومقبوليته لدى المتلقي.

غير أن هناك ممن يرون الإستعانة بأسباب النزول تكلّفا "ومن عجيب ما قاله سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ونقله عنه الإمام السيوطي في الإتقان: إن ربط آيات القرآن على ترتيب بنزولها تكلف لا يليق. إذ أنه يشترط في حسن الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوّله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلاّ بربط ركيك... فإن القرآن نزل في نيف وعشرين بينة في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة، وما كانت كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض"[7].

ولمعرفة أسباب نزول الآيات فوائد كثيرة منها : فهم المراد من الآية، وتفسيرها تفسيرا صحيحا. وقد ذكر الإمام الواحدي [8]–رحمه الله – أنه يمتنع "معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصّتها،

---

[1] – الجامع الروائع البيان في تفسير آيات القرآن، سورة البقرة، سيد مبارك، شبكة الألوكة، ص: 05.

[2]– النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الأدب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2009م، ص: 71.

[3]–المرجع نفسه، ص: 75.

[4]– تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، ص: 30.

[5]– ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، ص: 132

[6]– ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس "نحو النص"، محمد الشاوش، المجلد الأوّل، ص: 113.

[7]– تناسق الدرر في تناسب السور، للجاحظ جلال الدين السيوطي، ص: 09.

[8] – هو أبو حسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي، الإمام المفسر النحوي اللغوي الأديب، لازم الثعلبي المفسر وأكثر عنه، صنف التفاسير الثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز، وأسباب النزول، والإعراب في علم الإعراب، وشرح ديوان المتنبي وغيرها، توفي في نيسابور سنة 468هـ. معجم الأدباء(556/3) وفيات الأعيان (33/3) سير أعلام النبلاء(339/18).

وبيان نزولها"[1] . وكخلاصة فإن "أسباب النزول هي المناسبات الزمانية والمكانية والشّخصية والجماعية التي نزلت فيها آيات معينة، بيانا لحكم فيما استشكل على الجماعة المؤمنة"[2] والأمثلة كثيرة في بيان دور معرفة السبب ومساهمته في تفسير الآيات منها قوله تعالى : " ﴿ **فأينما تولوا فتم وجه الله** ﴾ (البقرة ،115) "فلو أخذت هذه الجملة على إطلاقها لما وجب استقبال القبلة في الصلاة في السفر أو الحضر، ولكن معرفة سبب النزول تدل على أن ذلك مقصور على قافلة السفر أو فيمن صلى باجتهاد حيث غمض عليه تحديد اتجاه القبلة""[3].

إننا ندرج معرفة سبب نزول الآيات في قضيتي اتساق النص القرآني ثم انسجامه لعلاقة متينة وهي معرفة الارتباط والتماسك الموجود بين الآيات الكريمة داخل السورة الواحدة، وعلاقاتها مع بعضها البعض، خاصة والكل يعلم بأن القرآن أنزل متواترا منسجما ولم ينزل دفعة واحدة ، إننا نشير هنا إلى التباعد الزمني بين الآيات وكيفية انسجامها مع بعضها البعض لغويا وسياقيا، حتى تحقق النص المتماسك داخل السورة الواحدة، لأننا لو بحثنا في الأزمنة والأمكنة والظروف المحيطة بكل آية لوجدناها ظروفا خاصة يختلف زمانها ومكانها وسبب نزولها الخاص بها، ومع ذلك نجدها منسجمة انسجاما بديعا لانجده في أقوال البشر ونصوصهم، ومما وقف عليه السابقون أن "بيان سبب النزول سبب قوي في فهم معاني القرآن "[4]. ومعرفة أسباب النزول والظروف المحيطة بالنص القرآني يساعد في معرفة علاقة السياق اللغوي للنص الذي وردت فيه الآية ومدى انسجامها مع محيطه والظروف التي نزل فيها نص الآية ، فهو يأخذ المتلقي من النص إلى خارجه ويجتهد هذا الأخير في فهم نص الآية وتأويله تأويلا صحيحا، خاصة فئة المفسرين فالحكم على انسجام النص القرآني مع المقام يبدأ بمعرفة سبب نزول الآية، قالوا نظرنا إلى قوله تعالى : (**أينما تولوا فثم وجه الله**) (البقرة : 115) ، ففي هذه الآية حكم مطلق غير مقيد بزمان ومكان فلو أخذت هذه الجملة على اطلاقها لما يجب استقبال القبلة في الصلاة في السفر أو الحضر، ولكن معرفة سبب النزول تدل على أن ذلك مقصور على قافلة السفر أو فيمن صلى باجتهاد حيث غمض عليه تحديد اتجاه القبلة.[5]

وتوضح الأمثلة التي تبين أن معرفة سبب النزول له أثر كبير تحديد سياق الآية وانسجامها مع الظرف الذي نزلت بسببه ، ومنه يعرف المتلقي الغاية من هذه الآية ويأمن اللبس في تأويلها ، فآلية الانسجام هنا ترجح دلالة على دلالة أخرى، وتطابق بين السياق والسبب فقوله تعالى : (**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج**

---

[1] –أسباب النزول، ص: **05**.

[2]– تاريخ القرآن، د/ عبد الصبور شاهين، ص: **3**

[3] – تاريخ القرآن، د/ عبد الصبور شاهين، ص: **31**.

[4]– المرجع نفسه ، ص: **08**

[5] تاريخ القرآن ، د/عبد الصبور شاهين ، ص **318** .

البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكرا عليم.)(البقرة : 158). فإن ظاهر هذه الآيات قد يفيد أن السعي ليس من شعائر الحج ، وهو ما قرره بعض الفقهاء ،ولكن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذكرت في سبب نزول الآية أن بعض الصحابة تأثموا من السعي بين الصفا والمروة لأنه من عمل الجاهلية فنزلت هذه الآية لتؤكد ضرورة السعي استكمالا لأداء فريضة الحج كما أرادها الله سبحانه .[1]

ومن مظاهر الانسجام بين النص القرآني والحديث، آية تحويل القبلة ففي الصحيحين من حيث ابن عمر "بينما الناس قيام في صلاة الصبح اذا أتاهم آت فقال:إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة "والدليل على أن نزولها كان نهارا قول ابن حجرا " الأقوى أن نزولها كان نهارا ... وأن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة ، وهم بنو حارثة ووصل وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة وهم بنو عمرو بن عوف أهل ، وقوله : قد أنزل عليه الليلة مجاز عن اطلاق الليلة على بعض اليوم الماضي والذي يليه. [2] وهناك الكثير من الآيات في سورة البقرة التي تبين سبب نزولها والسياق التي نزلت فيه ، خاصة وأن هذه السورة جاءت في بداية الدعوة الإسلامية لتبين للمسلمين الأوائل الذين آمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الشريعة الجديدة التي جاء بها هذا الدين الجديد عليهم ، لذلك انسجم نزولها منجما مع الأسئلة التي كان يطرحها المؤمنون ، وهذه فائدة نجدها من وراء تنجيم الوحي ، بالإضافة إلى تلبية رغائبهم الدينية ، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب مر بمقام إبراهيم في الكعبة فقال : يا رسول الله أليس نقوم مقام خليل ربنا؟ فقال : "أفلا تتخذه مصلا؟"، فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت الآية : (**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**) (البقرة : 125).[3] ومن خلال معرفة سبب نزول هذه الآية يتضح الانسجام الحاصل من سياقها اللغوي الداخلي الذي ينقلنا الى عالم خارج النص، وهو سياق المقام الذي كان فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ أننا نجد لفظتي (مقام ومصلى) ، قد جاءتنا في السياق اللغوي للآية وهما لفظتان تلفظا بهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لمعرفة أسباب النزول فوائد كبيرة منها الوقوف على المعنى وازالة الاشكال، فالكثير من الحالات لم يتضح معناها إلا عندما عرف سبب نزولها لذلك قال الوحدي " لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وسبب نزولها" [4].

ولهذا يقول الشيخ د/محمد عناية الله في كتابه :(البرهان في نظام القرآن) :"هذا : والذين رزقوا أن يألفوا النظر في معاني الآية من كتاب الله ومدلولاتها، وارتباط ذلك في الكثير من الأحيان بأسباب النزول، يدركون الأهمية

---

[1] **تاريخ القرآن ، د/ عبد الصبور شاهين ، ص : 31–32 .**

[2] **– الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، مكتبة الصفا ،ط1 ، ج73/1 .**

[3] **– تاريخ القرآن ، د/ عبد الصبور شاهين ، ص : 29–30 .**

[4] **– كتاب التقول في أسباب النزول ، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي ، تعليق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ،1426 هـ/2006م ، ص : 08 .**

لرعاية النظام في فهم تلك الأسباب. على مختلف أصولها، ووضعها مواضعها من ساحة التأثير في تبين المعنى المراد واتساق الجزئيات مع الكليات على محور الهداية في الفرقان الحكيم ، والتخلي عن ذلك قد يوقع فيما مع عكس المقصود ." [1]

7- أسباب وظروف نزول سورة البقرة:

تشير كتب أسباب نزول إلى أن ترتيب السورة حسب النزول ليس يقينيا ولا يمكن الجزم به لعدم وجود أدلة صحيحة ، كما ذكر العلماء ، وحسب ما جاء في كتاب البرهان للزركشي أن سورة البقرة هي أول ما نزل بالمدينة المنورة بعد الهجرة ، وقد نزل قبلها في مكة خمس وثمانون سورة ، ذكر ذلك أبو عمرو الداني في كتابه (البيان في عد آي القرآن)حيث قال : " فذلك ما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم بمكة ، خمس وثمانون سورة ... وأنزل عليه بعدما قدم المدينة سورة البقرة ، ثم آل عمران ثم الأنفال"[2].

ولمعرفة الظروف التي تحيط بالنص، كونها مساعدة على فهمه يجب أن نبحث البيئة والأوضاع التي نزلت فيها السورة، وخاصة سورة البقرة التي احتوت على أكثر الأحكام التشريعية طيلة فترة مكوث النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة. فقد "نزلت سورة البقرة بالمدينة، والمدينة بوضعها الرمزي بل والأصيل هي حاضرة دار الإسلام، وعاصمة الحكم لأمة الإسلام، ومنطلق الفاتحين المنسوب بالدين الجديد، ومركز الدعوة ضد دار الكفر في مكة، وفيما وإلى مكة والمدينة من أقاضي الجزيرة، وفيما تاخم المدينة من أرض اليهود، أي أن المدينة قد أصبحت قاعدة الصراع والدعوة، ومجتمع المؤمنين القادة الأوائل، وكان القرآن قد استقر بمنطقة وقوته بين المؤمنين، وخلق بين الكفار مكة بعد الهجرة فزعا أطاش منهم الصواب"[3]. ومن المعلوم: "أنّ الزمن الذي قضاه الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة هو نصف زمن الرسالة على وجه التقريب اقتصرت دعوته فيه على العقيدة وروافدها ووسائل إعلائها وترسيخها على المستوى العربي القريشي المختار لنشر الدعوة في الجزيرة العربية كلها، ثم في خارجها على مقتضى عموم الرسالة للبشر جميعا لم يشرع من العبادات في مكة غير الصلاة وذلك لصلتها الوثيقة بالعقيدة"[4]. "أما في المدينة فقد كان نزول القرآن يهدف إلى تكوين دولة الإسلام بكل مقوّماتها في مواجهة دولة الكفر بكل مقوماتها في مكة، وكان الصراع بين هذين النموذجين لدولة الإسلام ودولة الكفر

---

[1] – البرهان في نظام القرآن ، (نظام سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران) ،د/محمد عناية الله أسد سبحاني ، قدم له العلامة دكتور محمد أديب الصالح ، العلامة أبو الحسن على الحسني النقدي ، دار الكتب للنشر والتوزيع ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1414 هـ/1994 م ، ص68 .

[2] البيان في عد آي القرآن ، أبو عمرو الداني ، تحقيق : الدكتور غانم قدوري حمد ، منشورات مركز المخطوطان و التراث و الوثائق ، الكويت ، ط1 ،1414هـ/1994 ، ص :136 .

[3]– تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، ص: 18.

[4]– تناسق الدرر في تناسب السور، الحافظ جلال الدين السيوطي، ص: 30، ينظر: ص: 31– 32– 33.

تدريبا حكيما بالغ الحكمة على الصراع بين أمة القرآن وأمة الكفر على سطح الأرض، خارج الجزيرة العربية..."[1].

"نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ بِالْمَدِينَةِ بِالِاتِّفَاقِ وَهِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ فِي الْمَدِينَةِ وَحَكَى ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ الِاتِّفَاقَ عَلَيْهِ ، وَقِيلَ نَزَلَتْ سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ قَبْلَهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ سُورَةَ الْمُطَفِّفِينَ مَدَنِيَّةٌ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِيهَا فَرْضُ الصِّيَامِ ، وَالصِّيَامُ فُرِضَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ ، فُرِضَ فِيهَا صَوْمُ عَاشُورَاءَ ثُمَّ فُرِضَ صِيَامُ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِأَنَّ النَّبِيءَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – صَامَ سَبْعَ رَمَضَانَاتٍ أَوَّلُهَا رَمَضَانُ مِنَ الْعَامِ الثَّانِي مِنَ الْهِجْرَةِ . فَتَكُونُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ نَزَلَتْ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ فِي أَوَاخِرِهَا أَوْ فِي الثَّانِيَةِ ".[2]

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ مَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ تَعْنِي النَّبِيءَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَكَانَ بِنَاءُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى عَائِشَةَ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْأُولَى لِلْهِجْرَةِ . وَقِيلَ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهَا أَنَّهَا مَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعَ سِنِينَ فَتُوُفِّيَ وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ ، إِلَّا أَنَّ اشْتِمَالَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ عَلَى أَحْكَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَعَلَى أَحْكَامِ الْقِتَالِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ يُنْبِئُ بِأَنَّهَا اسْتَمَرَّ نُزُولُهَا إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَسَنَةِ سِتٍّ كَمَا سَنُبَيِّنُهُ عِنْدَ آيَةِ﴿ **فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** ﴾ وَقَدْ يَكُونُ مُمْتَدًّا إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانٍ كَمَا يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ لِمَنِ اتَّقَى عَلَى أَنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّ قَوْلَهُ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ الْآيَةَ هُوَ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي الْمُقَدِّمَةِ الثَّامِنَةِ أَنَّهُ قَدْ يَسْتَمِرُّ نُزُولُ السُّورَةِ فَتَنْزِلُ فِي أَثْنَاءِ مُدَّةِ نُزُولِهَا سُوَرٌ أُخْرَى [3].

وَقَدْ عُدَّتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ السَّابِعَةَ وَالثَّمَانِينَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ وَقَبْلَ آلِ عِمْرَانَ . وَإِذْ قَدْ كَانَ نُزُولُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي أَوَّلِ عَهْدٍ بِإِقَامَةِ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَاسْتِقْلَالِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِمَدِينَتِهِمْ كَانَ مِنْ أَوَّلِ أَغْرَاضِ هَذِهِ السُّورَةِ تَصْفِيَةُ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ أَنْ تَخْتَلِطَ بِعَنَاصِرَ مُفْسِدَةٍ لِمَا أَقَامَ اللَّهُ لَهَا مِنَ الصَّلَاحِ سَعْيًا لِتَكْوِينِ الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ النَّقِيَّةِ مِنْ شَوَائِبِ الدَّجَلِ وَالدَّخَلِ . وَإِذْ كَانَتْ أَوَّلَ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ فَقَدْ عُنِيَ بِهَا الْأَنْصَارُ وَأَكَبُّوا عَلَى حِفْظِهَا ، يَدُلُّ لِذَلِكَ مَا جَاءَ فِي السِّيرَةِ أَنَّهُ لَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ النَّبِيءُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِلْعَبَّاسِ اصْرُخْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا أَهْلَ السَّمُرَةِ يَعْنِي شَجَرَةَ الْبَيْعَةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ يَا أَهْلَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَقَالَ الْأَنْصَارُ : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ .[4] ونحن هنا عندما نذكر أسباب النزول فإننا نذكر البيئة والمحيط الذي نزلت فيه وكيف كان المجتمع العربي أنذاك، فاللغة المستعملة وقتذاك ليست هي اللغة التي

---

[1]– ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، ص: 37– 38.

[2] – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج201/1.

[3] – المرجع نفسه، ج201/1–202.

[4] – المرجع نفسه، ج202/1.

نستعملها اليوم، والعادات والتقاليد والأعراف كلها تختلف عمّا نحن عليه الآن، فالإسلام غيّر المجتمع العربي المشرك، وغيّر سلوكه، فكان من ضروري أن تتغير اللغة ودلالة الألفاظ لتحمل دلالات جديدة ولغة وأساليب لم يتعوّد عليها العرب لتنسجم مع الواقع الجديد المفروض عليهم وهو الإسلام، ونزول القرآن الذي هذّب وغيّر وألغى وأعفى وجدد ...إلخ من أخلاق وذهنيات الرجل الذي كان في الأمس القريب الجاهلا. فناسب ذلك كله تغيّر جذري على مستوى جميع الميادين، إنسجم مع القرآن. وهذه الظروف المحيطة بسورة البقرة كلها عوامل مساعدة على معرفة العلاقة بين الآيات والطريقة التي انسجمت بها مع بعضها البعض، بل معرف علاقة السورة الواحدة ببقية السوّر الأخرى والكتاب ككل في إطار منسجم عام.

8- أثر الإختلاف في سبب نزول الآيات والقصص في سورة البقرة على انسجام النص:

سورة البقرة هي جزء من القرآن الكريم وهي فسطاطه التي حوت المواضيع الكثيرة، لذلك وصفت بأنها مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني خاصة فيما يتعلق بالاختلاف الظاهر في أسباب النزول. "ومن مظاهر الإعجاز التي نلمحها أن اختلاف أسباب نزول آياتها وتباعد أوقات تنزيلها كان أدعى إلى تفكك أجزائها وتداعي بنائها، ومع ذلك تجدها متصلة الوشائج، متينة النسيج متنوعة المشاهد، متحدة المقاصد، متآلفة البدايات والنهايات"[1].وهذا جلي فحين تنظر إلى السور القرآنية – على سبيل المثال- نلاحظ أن فيها آيات متجاورة، وقد اختلفت مناسبات النزول في كل منها، ومع ذلك فهي متماسكة، ولكن هذا التماسك فيما يراه د. صبحي إبراهيم الفقي، راجع إلى وحدة الموضوع الذي تعالجه السورة، "فالعديد من السور المكية تتحدث عن قصص مختلفة من قصص الأنبياء مع العلم بأن لكل نبي قصة مع قومه، وقد يظن الظان أن هذه القصص غير متماسكة فيما بينها، لكنه يجلد في النهاية أنّه يجمعها إطار عام، هو أن هذه القصص عبرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيضا لتخدم موضوع السورة الرئيسي وهذا هو الجامع العام لهذه القصص وهو لا شك رابط دلالي، والظروف المنسوبة إلى كل قصة يمكن توحيدها في الدعوة والتكذيب والإيذاء وانتقام إليه من المكذبين"[2]."وذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات من قوله تعالى: ﴿الم﴾(البقرة: 01)إلى قوله: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة:05) أقوال أحدها: أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب دون غيرهم، وهو قول ابن عباس وجماعة، والثاني: نزلت في جميع المؤمنين قاله مجاهد"[3]. ونلاحظ هنا أنّ سبب النزول هو الذي حدد وحدة موضوع هذه الآيات الخمس، وكيف انسجمت مع النص داخل السورة وخارجها، لأنّ المتحدث عنهم هم فئة واحدة وصفاتهم واحدة فوصفوا بها وصفا خالفوا بها المذكور بعدهم من فئة الكفار والمنافقين.

---

[1]- وحدة النسق في السورة القرآنية، فوائدها وطرق دراستها، رشيد الحمداوي، المرجع نفسه، ص: 149.

[2]- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص: 96.

[3]- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، الجزء الأول، ص: 68.

كما ذكروا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة: 06) إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ (البقرة:07)، أقوالا أحدها: أنها نزلت في يهود كانوا حول المدينة، قال ابن عباس، وكان يسميهم، الثاني: نزلت في قادة الأحزاب من مشركي قريش، قاله أبو العالية، الثالث: في أبي جهل وخمسة من أهل بيته، قاله الضحاك، الرابع في أصحاب القليب: وهم أبو جهل، وشبيبة بن ربيعة، وعقبة ابن أبي معيط، وعتية بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، الخامس: في مشركي العرب قريش وغيرها، السادس في المنافقين..."[1].و سبب نزول هاتين الآيتين هو يتضح أثره من خلال توحدهما في الموضوع المتحدث عنه، وهم فئة الكفار. لذلك نجد الآيتين منسجمتين من الذكر المفهومي، ومتصلتين بما سبق من آيات عن طريق عملية التضاد، مما زاد الإنسجام امتدادا على مستوى بنية أكبر في النص.

وأمّا قوله تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9)** ﴾ (البقرة: 8-9) وذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات خلافا، قال قوم: نزلت في منافقي أهل الكتاب كعبد الله بن أبي سلول، وعتب بن قشر، والجدّ بن قيس، حين قالوا: تعالوا إلى خلّة نسلم بها من محمد وأصحابه ونتمسك مع ذلك بديننا، فأظهروا الإيمان باللسان واعتقدوا خلافه، ورواه أبو صالح، عن ابن عباس، وقال قوم: نزلت في منافقي أهل الكتاب وغيرهم، وبه قال أبو العالية، وقتادة وابن زيد"[2]."(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) هذا فريق آخر وهو فريق له ظاهر الإيمان وباطنه الكفر وهو لا يعدوا أن يكون مبطنا الشرك أو مبطنا التمسك باليهودية وبجمعه كله إظهار الإيمان كذبا ، فالواو لعطف طائفة من الجمل على طائفة مسوق كل منهما لغرض جمعتهما في الذكر المناسبة بين الغرضين فلا يتطلب في مثله إلا المناسبة بين الغرضين لا المناسبة بين كل جملة وأخرى من كلا الغرضين"[3]. وجاءت " الآيات السابقة لما انتقل فيها من الثناء على القرآن بذكر المهتدين به بنوعيهم " : الذين يؤمنون بالغيب " " والذين يؤمنون بما أنزل إليك "إلى آخر ما تقدم ، وانتقل من الثناء عليهم إلى ذكر أضدادهم وهم الكافرون الذين أريد بهم الكافرون صراحة وهم المشركون ، كان السامع قد ظن أن الذين أظهروا الإيمان داخلون في قوله الذين يؤمنون بالغيب فلم يكن السامع سائلا عن قسم آخر وهم الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الشرك أو غيره وهم المنافقون الذين هم المراد هنا بدليل قوله وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا إلخ ، لأنه لغرابته وندرة وصفه بحيث لا يخطر بالبال وجوده ناسب أن يذكر أمره للسامعين ، ولذلك جاء بهذه الجملة معطوفة بالواو إذ ليست الجملة المتقدمة مقتضية لها ولا مثيرة لمدلولها في نفوس السامعين ، بخلاف جملة إن الذين كفروا سواء

---

[1]– ينظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، الجزء الأول، ص: 76.

[2]– تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، الجزء الأول، ص: 89.

[3] – تفسير التحرير والتنوير،ج259/1.

عليهم ترك عطفها على التي قبلها لأن ذكر مضمونها بعد المؤمنين كان مترقبا للسامع، فكان السامع كالسائل عنه فجاء الفصل للاستئناف البياني."[1].

إننا نشير هنا إلى الإختلاف في أسباب النزول في السورة الواحدة في بعض الآيات التي حققت إنسجاما بين هذه المواضيع الثلاثة والتي انسجمت وانصهرت تحت موضوع واحد جيء به في بداية سورة البقرة وهو ذكر أصناف الناس من مهتدين مؤمنين وكفار ومنافقين. حتى يعلم القارئ(المتلقي) بأن المخاطبون في سورة البقرة لا يخرجون عن هذه الأصناف . وهكذا نكتشف الدور الذي تلعبه أسباب النزول في بعث الإنسجام بين النص والسياق.

9- الإنسجام بعلاقة التفصيل بعد الإجمال في سياق سورة البقرة:

يمثل الإنسجام بواسطة هذه العلاقة وسيلة من وسائل حبك المعاني "لأنّ العلاقة تكمن في ترابط المعنى الأول والثاني ففي الثاني إحالة إلى الأوّل، وهذا النوع كثير في القرآن لأن المعنى إذا ألقي مجملا، ثم فصل كان ذلك أوقع في نفس المتلقي لما في ذلك من شوق إلى معرفة التفصيل"[2]. فكما أن البحث العلمي مثلا أو الخطبة الجماهرية أو التحليل النفسي يراعي طبيعة الشخص وطريقة إدراكه للأمور ويخضع لقوانين خاصة في الاستجابة للأشياء مثل إدراكه للمجمل أولا، ثم للمفصل أو العكس، ومثل التدرج بمشاعره أو أفكاره من البسط إلى المعقد...الخ كلّ أولئك لها أهميتها من حيث الهدف الذي يرسمه النص. [3] ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ (البقرة: 49). فقد أوضحت هذه الآية الكريمة أن فرعون سام بني إسرائيل سوء العذاب."وهذا معنى مجمل، فصلته الجملتان التاليتين:﴿**يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**﴾ فسوء العذاب بيانه تذبيح الأبناء واستحياء النساء"[4]. فانسجم ذبح الأبناء واستحياء النساء مع سوء العذاب الذي جاء قبلها، ففصلت هاتين الجملتين هذا العذاب السيئ وقد وقع "تناسب بين المعاني إلى جانب تماسك الجمل وارتباطها من خلال التركيب فحصل اتساق بواسطة الترابط وانسجام بواسطة التناسب". والمخطط التالي يوضح أثر هذه العلاقة (علاقة الإجمال والتفصيل) في الآية 49 من سورة البقرة.

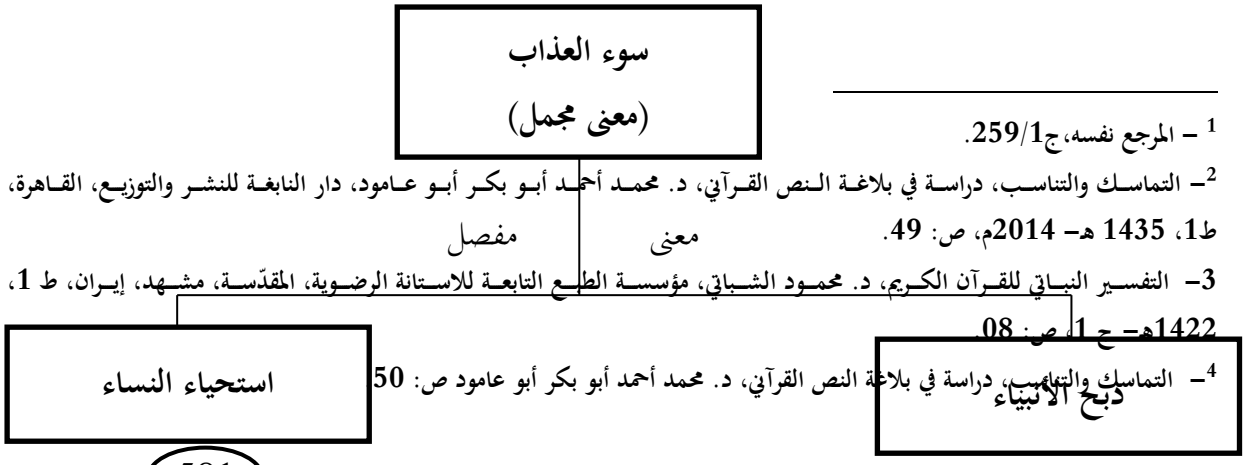

[1] – المرجع نفسه،ج259/1.

[2]– التماسك والتناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني، د. محمد أحمد أبو بكر أبو عامود، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1435 هـ– 2014م، ص: 49.

[3]– التفسير النباتي للقرآن الكريم، د. محمود الشباتي، مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية، المقدّسة، مشهد، إيران، ط 1، 1422هـ– ج 1، ص: 08.

[4]– التماسك والتناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني، د. محمد أحمد أبو بكر أبو عامود ص: 50

وهنا كان الإتّساق في الآية واضحا بين هذه الجمل التي تبني الخبر في صياغة سريعة الوصول إلى المتلقي لذلك نجد الإتساق هنا حاصل قبل الانسجام بعلاقة الإجمال التي يجمل فيها المعنى ثم يفصله بعدها، وهذا ترابط بين أنواع العذاب المذكورة في الآية وبين العذاب السيئ الوصف.

ونذكر مثالا آخر من هذه العلاقة وكيف حصل الإنسجام بها في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ (البقرة: 253)"قصد الآية إجمال لما بعده فقد بيّن في صدر الآية فأشير إلى موسى عليه السلام بقوله: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾، وأشير إلى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾، ثم أشير إلى عيسى عليه السلام وما اصطفاه الله به من إيتائه الإنجيل وتأييده بروح القدس"[1]. ويوضح الألوسي هذه العلاقة قائلا:" قَوْلُهُ تَعَالَى :مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ فَإِنَّهُ تَفْصِيلٌ لِلتَّفْضِيلِ الْمَذْكُورِ إِجْمَالًا، وَالْجُمْلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، وَقِيلَ: بَدَلٌ مِنْ فَضَّلْنَا وَالْمُرَادُ بِالْمَوْصُولِ إِمَّا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَالتَّعْرِيفُ عَهْدِيٌّ، أَوْ كُلُّ مَنْ كَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ رِضًا بِلَا وَاسِطَةٍ، وَهُمْ آدَمُ كَمَا ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَمُوسَى وَهُوَ الشَّهِيرُ بِذَلِكَ، وَنَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الْمَخْصُوصُ بِمَقَامِ قَابِ وَالْفَائِزُ بِعَرَائِسِ خِطَابِ مَا تَعَرَّضَ بِالتَّعْرِيضِ لَهَا الْخِطَابُ"[2].

مخطط يوضح علاقة الإجمال والتفصيل في الآية 253 من سورة البقرة

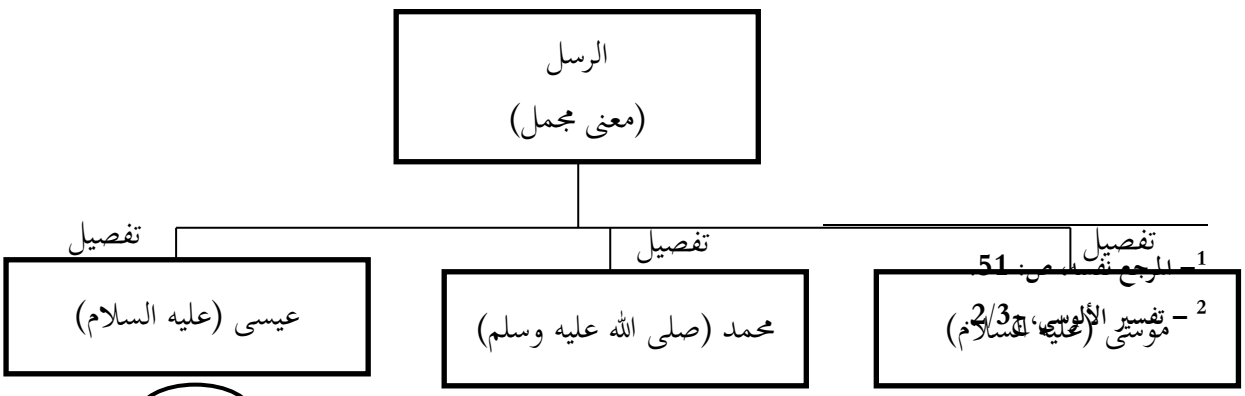

[1] – المرجع نفسه، ص: 51.
[2] – تفسير الألوسي، ج2/3.

وأطول مثال لمظهر الإنسجام بواسطة علاقة الإجمال بعد التفصيل نجده في قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)** ﴾ (البقرة: 257- 260) "فالآية (257) ترتبط بالآيات الثلاثة التالية بعلاقة التفصيل بعد الإجمال، فقد اشتملت هذه الآية على القاعدة العامة، وهي أن الله يؤيد المؤمنين فهو وليهم فيؤديهم على أعدائهم بالحجج والبراهين، كما أنّ الشيطان هو ولي هؤلاء الأعداء فيخرجهم من نرو الإيمان إلى ظلمات الكفر على العكس ممن تولاهم الله، حيث يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهذا ما جاء مفصلا في الآيات الثلاثة التالية"[1]. وهذا ما أكدّه الألوسي بقوله:"(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) أَيْ مُعِينُهُمْ أَوْ مُحِبُّهُمْ أَوْ مُتَوَلِّي أُمُورِهِمْ وَالْمُرَادُ بِهِمْ مَنْ أَرَادَ الْإِيمَانَ أَوْ ثَبَتَ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى إِيمَانُهُ أَوْ آمَنَ بِالْفِعْلِ يُخْرِجُهُمْ بِهِدَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَهُوَ تَفْسِيرٌ لِلْوِلَايَةِ"[2]، "(وَالَّذِينَ كَفَرُوا) أَيْ أَرَادُوا الْكُفْرَ أَوْ ثَبَتَ كُفْرُهُمْ فِي عِلْمِهِ سُبْحَانَهُ أَوْ كَفَرُوا بِالْفِعْلِ أَوْلِيَاؤُهُمُ حَقِيقَةً أَوْ فِيمَا عِنْدَهُمُ الطَّاغُوتُ أَيِ الشَّيَاطِينُ أَوِ الْأَصْنَامُ أَوْ سَائِرُ الْمُضِلِّينَ عَنْ طُرُقِ الْحَقِّ، وَالْمَوْصُولِ مُبْتَدَأٌ أَوَّلُ، وَ (أَوْلِيَاؤُهُمْ) مُبْتَدَأٌ ثَانٍ، وَ (اَلطَّاغُوتُ) خَبَرُهُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ الْأَوَّلِ وَالْجُمْلَةُ الْحَاصِلَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا قَبْلَهَا، قِيلَ: وَلَعَلَّ تَغْيِيرَ السَّبْكِ لِلِاحْتِرَازِ عَنْ وَضْعِ

[1]– التماسك والتناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني، د .محمد أحمد أبو بكر أبو عامود، ص: 52.

[2] – ينظر، تفسير الألوسي،ج1/14–15

الطَّاغُوتِ فِي مُقَابَلَةِ الِاسْمِ الْجَلِيلِ وَلِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ بِتَكْرِيرِ الْإِسْنَادِ مَعَ الْإِيمَاءِ إِلَى التَّبَايُنِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ حَتَّى مِنْ جِهَةِ التَّعْبِيرِ أَيْضًا"[1].

ولنا أن نتساءل ما علاقة الآيات الثلاثة (258- 259- 260) بالآية الأولى التي سبقتهم (257)؟

فنجد الإجابة عند الشيخ ابن عاشور "جرى هذا الكلام مجرى الحجة على مضمون الجملة الماضية أو المثال لها، فإنه لما ذكر أنّه يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، وأن الطاغوت يخرجون الذين كفروا من النور إلى الظلمات ساق ثلاثة شواهد، على ذلك هذه، هذا أولها وأجمعها يعني الشاهد الأول- لأنه اشتمل على ضلال الكافر وهدى المؤمن"[2].

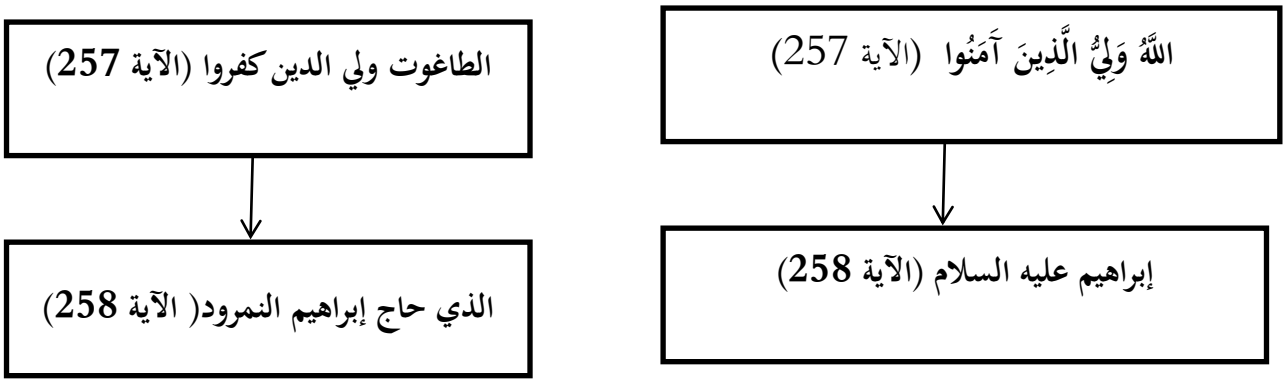

وأكدّ هذه العلاقة الموجودة بين هذه الآيات الثلاثة أبو حيان في البحر المحيط، قائلا:" مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أخبر أنه ولي الذين آمنوا وأخبر أن الكفار أولياؤهم الطاغوت ذكر هذه القصة التي جرت بين إبراهيم والذي حاجه، وأنه ناظر ذلك الكافر فغلبه وقطعه، إذ كان الله وليه، وانقطع ذلك الكافر وبهت الكافر إذ كان وليه الطاغوت، فصارت هذه القصة مثلا للمؤمن والكافر الذين تقدم ذكرهما"[3].

وهذه الأمثلة هي امتداد للمقابلة التي وجدت في الآية السابقة عليه حيث كان موقف إبراهيم عليه السلام امتدادا لولاية الله لعباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهذا تذكير للنبيّ صلّى الله عليه وسلم بما حصل لسيدنا إبراهيم عليه والسلام، مع النمرود الكافر بالله الذي ادعى الربوبية؛ ويظهر ذلك قوله تعالى:"(ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه)وهذا بيان لتسديد المؤمنين إذ كان وليهم وخذلان غيرهم ولذا لم يعطف، واهتم ببيانه لأن منكري ولايته تعالى للمؤمنين كثيرون، وقيل: استشهاد على ما ذكر من أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وتقرير لهم كما أن ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها، وبدأ به لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بأمر عجيب حقيق بأن يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز

[1] -ينظر، المرجع نفسه، ج1/14-15.

[2]- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج3/ 31.

[3]- تفسير البحر المحيط، أبو حيان، ج2/624.

وجل، وما أتى به في أثنائها من العظمة المنادية بكمال حماقته، ولأن فيما بعده تعدادا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على أنه قد أشير في تضاعيفه إلى هدايته تعالى أيضا بواسطة إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإن ما يحكى عنه من الدعوة إلى الحق و ادحاض حجة الكافرين من آثار ولايته تعالى ولا يخفى ما فيه، وهمزة الاستفهام لإنكار النفي وتقرير المنفي، والجمهور على أن في الكلام معنى التعجب أي ألم تنظر، أو ألم ينته علمك إلى قصة هذا الكافر الذي لست بولي له كيف تصدى لمحاجة من تكفلت بنصرته وأخبرت بأني ولي له ولمن كان من شيعته أي قد تحققت رؤية هذه القصة العجيبة وتقررت بناء على أن الأمر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد ممن له حظ من الخطاب فلتكن في الغاية القصوى من تحقق ما ذكرته لك من ولايتي للمؤمنين وعدمها للكافرين ولتطب نفسك أيها الحبيب وأبشر بالنصر فقد نصرت الخليل، وأين مقام الخليل من الحبيب، وخذلت رأس الطاغين فكيف بالأذناب الأرذلين""[1] .

ثم يأتي قوله تعالى من الآية (259) لتربط بقوله تعالى في 257 وهي آية تتحدث على الموت ثم الإحياء، وإعادة البعث الذي يعاد، وذكره في الآية التي بعدها رقم 260 التي تتحدث عن طلب إبراهيم عليه السلام دليلا قاطعا عن إعادة البعث بواسطة الطير، وكلها آيات تتحدث عن فكرتين الإحياء والموت، وإعادة البعث من جديد، وهي قضايا تتعلق بالإيمان "فنجد أفكارا مثل (الإحياء والإمانة) تتخلل الأقسام جميعا مع ملاحظة : أن العنصر القصصي يظل ميدانا لإثارة هذه الفكرة: حيث أن تجسيدها في قصص حيّة يظل أكثر إثارة وأشد إقناعا للقارئ، وهكذا تتآزر الخيوط المختلفة فيما بينها"[2]، "وبهذا نتبين كيفية تشابك الأقسام في هذه السورة بحيث تجسد شبكة من الشخوص والموضوعات والأفكار التي يرتبط أحدها بالآخر"[3].

9- الإنسجام بارتباط القضايا و اقترانها في السياق الواحد:

كارتباط الوعد بالوعيد وقد قال الزمخشري و فخر الدين الرازي أنّ من عادة القرآن أنّه ما جاء بوعد إلاّ أعقبه بوعد، وما جاء بنذارة إلاّ أعقبها ببشارة، و يكون ذلك بأسلوب الاستطراد والاعتراض لمناسبة التضاد، وفي هذا السياق يقول السيوطي:" من عادة القرآن: إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد و التنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي"[4] وقد تتبع أحمد أبو زيد مختلف مظاهر هذا الاقتران في النص القرآني وذلك في باب "تناسب المعاني المتقابلة" وبيّن الدور الذي تلعبه في صناعة الإتساق النصي في القرآن الكريم و كان ذلك في دراسته القيّمة (التناسب البياني في القرآن الكريم) وكان من جملة نتائج بحثه " الغالب في البيان القرآني أن ترد آيات الرحمة بإزاء آيات العذاب، ومشاهد النعيم في مقابل العذاب، وخطاب الوعيد والترهيب بإزاء خطاب الوعد والترغيب،

---

[1]- ينظر: تفسير الألوسي، ج3/15-16.

[2]- التفسير النباتي للقرآن الكريم، د. محمود الشيباني ،ج1/ 95.

[3]-المرجع نفسه، ص: 95.

[4] - التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج1/ص: 125.

وذلك للتخويف والتبشير والتذكير والتحذير، وقلّ في القرآن أن يرد أحد هذين المعنيين منفردا"[1] ومن الآيات التي اقترن فيها الوعد و الوعيد قوله تعالى: ﴿بلى من كسب سيئة و أحاطت به خطيئاته، فأولائك أصحاب النارّ هم فيها خالدون، و الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ (البقرة: 81-82.)- دور السّياق وأثره في إنسجام النص القرآني: إذا ما اعتبرنا أن النص بناء لغوي يتم بتحقيق مقصديته، فإنّ الكثير من العلاقات التي تنطوي فيه المتنوعة والتي تمتد من بدايته إلى نهايته، وبوصف "النص القرآني نصا مفرقا تبعا لتنوع الأحداث، فلم ينزل كله في مكان واحد، ولا زمان واحد، ولا لحدث واحد، ولهذا احتاج فهمه إلى معرفة مكان النزول وزمانه ومناسبته حتى يمكن تفسيره ومن هنا كان الاهتمام بمناسبة النزول"[2]، ضرورة للكشف عن انسجام الآيات مع سبب نزولها. عندما نتحدث عن السياق، فإنّ ذلك يلزمنا بفحص البنيات اللغوية التي تنظم البنية العامة للنص، وبه يتحدد معاني الكلمات ودلالتها التي سيقت لأصلها، لذلك نجد أثر السياق يظهر مباشرة على الكلمة "فدلالة الكلمة على وجه الدّقة وبوساطته تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة لتقرر دلالات جديدة قد تكون مجازية، أو إضافية أو نفسية، أو إيحائية أو اجتماعية"[3]. وهذا ما أكدّه الزركشي(ت: 794 هـ): عندما درس الكلمة في السياق وكشف عن تأثير السياق فيها، لأنها ترد في سياق معيّن ومنظومة لغوية محددة، ومن ثم يتم تحديد الدلالة العامة لذلك السياق ، ويؤكد الزركشي على تأثير السياق في الكلمة حتى تنسجم معه، فدلالة السياق "ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعد احتمال غير المراد وتخصيص العام، وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم. أنظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان: 49) كيف نجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"[4].

ومن الأمثلة التي جاءت في سورة البقرة عن تأثير السياق في الكلمات وتحقيق الانسجام في النص، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ﴾(البقرة: 13)، فنجد الفعل المضارع المنفي (لا يعلمون) يحمل دلالة التجهيل المنسوبة إلى الجهل، وقد وردت هذه العبارة في سياقها القرآني لبيان حال المشركين المعاندين وتشنيعهم عما يصدر عنهم من أعمال وأقوال بغير علم ولا حجة فنسبهم الله تعالى إلى الجهل لإظهار حقيقة أعمالهم قال البيضاوي (ت: 691 هـ) في وله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(البقرة: 13) "هو رد ومبالغة في تجهيليهم، فإن الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله"[5] فقد انسجم الفعل (لا يعلمون) مع السياق الذي

---

[1] – التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم الصوتي و المعنوي، أحمد أبو زيد، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة ،الرباط، ط1، 1992م، ص:155.

[2]– علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص: 109.

[3]– علم الدلالة التطبيقي، ص: 236.

[4]– البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ج2/ 218.

[5]– ينظر: تفسير البيضاوي، 47/1، وينظر: روح المعاني، 01/ 21.

تحدث عن السفهاء، الجهّال الذين وصفهم الله بأنهم لا يعلمون جهلهم وهم معاندين بشركهم وأقوالهم . وهنا يلعب الانسجام دوره في تحسين جماليات السياق والبحث عن البدائل اللغوية التي يفاضل بينها المرسل، حيث يلعب الانسجام دور الغربال في انتقاء الكلمات التي يفرضها السّياق، فيختار الألفاظ الأكثر انسجاما، من آجل تحقيق الهدف التواصلي، والإبلاغي، على أن الدلالة النصية لا تتحقق بطريقة عشوائية.

إنّ السّياق اللغوي لأيّ نص ومهما كان نوعه والبحث في جمالياته وانسجامه، من موقع لغوي إلى موقع آخر قد يسبقه أو يلحقه، وقد يبعد أو يقرب يتحقق وينتظم بانتظام "الوحدات اللغوية التي يتكون منها النص من أصغر وحدة إلى أكبر وحدة فيه فهو يشمل الحرف والكلمة والجملة، وقد يقول قائل : إن السّياق اللغوي بهذا المفهوم مؤثر في المعنى لا محالة، والحديث عن أثره فيه هو من تحصيل الحاصل، فأقول له: إنّ المقصود هنا هو كيفية تسييق العبارة حيث أنّها تتسع لكثير من طرق الصياغة، ويكون لطريقة ما فضل على طريقة أخرى في إثبات المعنى وتوضيحه، أو إضفاء دلالات أخرى مصاحبة لهذا المعنى، ومن هنا تبرز أهمية دراسة أثر السّياق اللغوي"[1] وانسجام العلاقات اللغوية المتنوعة داخل الكيان النصي، بدءا من الحروف، فالكلمات، ثم الجمل كوحدة لغوية أوسع. "وإذا ما لاحظنا مقدمة سورة البقرة وبالتحديد في وقوله تعالى: ﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(البقرة: 1-2)نجد في هذا النص أربع جمل ﴿الم﴾جملة برأسها، و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾جملة ثانية، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾جملة ثالثة و﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ جملة رابعة، وجيء بها هكذا متناسقة بلا حرف عطف بمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة"[2].

وهكذا يظهر دور السياق اللغوي الداخلي للنص في عمله عن طريق اتساق النص وانسجامه، حيث نرى الرابط الذي يبيّن العلاقة بين هذه الجمل يظهر في ترابط المعاني وتداعيها فيما بينها من جملة إلى أخرى، ألا ترى أنك إذا قلت ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ وصمتّ، كانت الحاجة إلى إرداف الكلام على بعضه بطريقة معينة حتى يستقيم ويتجلى المعنى، وأنك إذا أضفت قوله ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كان المعنى أكثر انسجاما وأوضح للمعاني، وهكذا حتى تصل إلى نهاية المقدمة.

ولا يقف التشكيل اللغوي النصي عند حدود الجملة، فهناك فقرات قد تكبر وقد تقل، وقد تطول وقد تقصر وكذلك بالنسبة للنص فهو "ذو بداية ومجال وسط قد يطول وقد يقصر، ونهاية وهي نقاط يمكن التوقف عند أي واحدة منها وفصلها عن غيرها ولكنها لن تفهم معزولة عنها، فكل مكوّن من مكوناته يمثل

[1] – السياق وأثره في المعنى، دراسة أسلوبية، المهدي إبراهيم الغويل، ص: 55.

[2] –الأساس في التفسير، سعيد حوى، ص: 67.

معلما أو نقطة (REPÈRE) تتقدم بها الأحداث إن كانت حدثا، وتتعدى بها الذوات إن كان ذاتا...الخ وبالقياس عليها يجري الترتيب في عالم الخطاب وبناء النص بالاستتباع"[1].

وبهذا الشأن يرى فان ديك أن اقتران الجمل بعضها ببعض علاقة أساسية تضع سلاسل الجمل المترابطة –أصلا – بعلائق منطقية، ونحوية، في نسق يجعل منها كلا متماسكا[2] "ويتحكم أن يتضح هذا في المقال، سواء تناول هذا المقال موضوعا اتفاقيا تنسجم أفكاره بعضها مع بعض، أو مجموعة قضايا بأخلاقية يسودها التناقض، الأمر المهم – هنا- أن بيدو المقال متماسكا، ليقترن بعضه ببعض بصرف النظر عن مدى الانسجام بين أجزاء المحتوى"[3] "والذي لا شك فيه، ولا ريب، أن المقال كلما طال، زاد عدد الجمل التي تضاف فيه، وينبغي أن تعمّق صلة الشيء اللاحق بالشيء السابق، سواء من حيث الموضوع أو من حيث توقع المستقبل الذي يستعمل النص"[4].

ولقد أشار الأزهر الزناد إلى وجود علاقة بين بداية النص ووسطه ونهايته، وهي إشارة إلى سياقه اللغوي الذي تتقاسمه الأجزاء الثلاثة للنص في البداية والوسط والنهاية، فإذا حدث انفصال في البنية اللغوية للنص بين الأجزاء الثلاثة، قد تنفصل عن بقية العناصر وتحدث القطيعة بينها ويتوقف المعنى، وبمفهوم الغياب الجزئي لبعض العناصر اللغوية من بنية النص يتعذر فهم النص، ولأن كل كلمة وكل مقطع من النص يفترض حضوره في النص ليسد منفذا دلاليا، كما أنّ غيابه يجسد ثغورا داخل النسيج النصي، وإذا حضرت هذه العناصر حضر الإنسجام وتصوّرت في الأفق نصية النص المنجز، كما يقول فان ديك: "السّياق ليس مجرد حالة لفظ، وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ وفضلا عن ذلك لا تظل المواقف متماثلة في الزمان وإنما تتغير من حالة ابتدائية وأحوال وسطى وحالة نهائية "[5] . ولننظر إلى قوله تعالى في سورة البقرة حيث"قال في مفتتح سورة البقرة: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(4)** ﴾ (البقرة، 4) وقوله في نهاية السورة :﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾ فانظر كيف ذكر الإيمان بما أنزل إليه وما أنزل من قبله في بدء السّورة وختمها بذلك فقال: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ وذكر الإيمان بالرسل قبله فقال: ﴿ **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾[6]. ألا يجعلك ذلك حائرا كيف ارتبطت السورة من البداية إلى النهاية وتبحث عن

---

[1]– نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ص: 42.

[2]–van dijk text and context longman london 1st ed 1977 p 43– 44

[3]– van dijk p 94.

[4]– van dijk p 94

[5]– ينظر: النص والسياق، فان ديك، ص: 258.

[6] – المرجع نفسه، ص: 248.

سبب الربط بين المقدمة والخاتمة؟ وكيف توحّد السياق اللغوي وجعل مضمون الكلام واحد على الرغم من تباعد الفقرتين/ المقطعين؟ ذلك ما يجيبك عنه الإنسجام؛ إنّها لغة القرآن التي لا يسهو قائلها سبحانه وتعالى و لا ينسى مواضعها رغم تباعد أوقات النزول واختلاف المواضيع استطاعت السورة أن تكون كلا موّحدا تحت سقف واحد يلمّ أشتاتها ويجعلها تساق للتشريع والإخبار عن الأمم السابقة، هكذا ساهم معيار الإنسجام في توضيح العلاقات السياقية للسورة والربط بين كل الملاحظات التي تفرغ في هذا السياق.

إنّ عامل السياق عامل جوهري إذ هو العنصر الفاعل المؤثر في تحديد بروز سمة أسلوبية بعينها، فالأسلوب يعتمد على العلاقة القائمة بين معدلات التكرار للعناصر نفسها في قاعدة متصلة به من ناحية السياق"[1] وبناء عليه "فإن أي مجموعة من الجمل لا تدور حول موضوع معين يصعب أن يتعلق بعضها بعض"[2] فالسياق "هو الذي يدلنا على أن هذه المجموعة من الجمل ينظم بعضها البعض للدلالة على شيء"[3]. فالسياق إذن شرط ضروري للترابط بين التراكيب داخل النص، وانسجامها وهو يستدعي آلية الارتباط التي توحدها مختلف العلاقات اللغوية في النص، فإذ ذهبت الآلية، تلاشى السّياق، وانفكّت النصية، وأصبحت كل التراكيب بمنأى عن بعضها البعض، وفي حالة انفصال واضح يهز تراص النص، فما يصحّ لتماسك النص واتساقه، يصحّ للتراكيب الموجودة في النص، لذلك فإن الانسجام اللغوي العام للنص يتبع من أوّل تركيبة اللغوية، وهكذا يصبح انسجام سياق جزء من انسجام سياق النص.

ومن هنا نستطيع القول إن نمو العلاقات اللغوية داخل البناء النصي، في سياق معين، يصاحبه انسجام في السياق اللغوي للنص، لأنهما يسيران بالتوازي المتناهي من بداية النص إلى نهايته، وإلى غاية تحقيق الهدف والمقصود. وإن أي خلل موازي في السياق اللغوي يصاحبه عدم الإنسجام، وهنا تظهر العيوب التي تصيب انسجام السياق النصي، لتلك العلاقات، و بإمكان أي كان أن يلاحظ ذلك.

إن محافظة الكاتب/المنتج /المرسل /المخاطِب...الخ على استمرارية العلاقات اللغوية داخل النص في سياق معين ومحدد، هو أيضا محافظة على انسجام السّياقات المتتابعة لتلك العلاقات، فالبناء اللغوي للنص بتلك العلاقات اللغوية المختلفة يخدم النص لغويا وسياقيا، كون الانسجام اللغوي لبنية النص مهم جدا بالنسبة لانسجام السياق، وهكذا نتحصل في الأخير على نص منسجم سياقيا، فيظهر الأثر بوضوح على العلاقات اللغوية داخل النص، وما يصاحبها من سياقات لغوية متنامية معها. لأنّ"سياق النص نفسه ينطوي على الكلمات، وإشارات تتخلل نسيجه اللغوي، وظيفتها أن تجعل المتلقي على صلة دائمة بموضوع الحديث،

[1]– المرجع نفسه، ص: 80.

[2] – الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، ص: 145.

[3] – المرجع نفسه، ص: 135.

وظروفه، وملابساته الحالية وهذا شيء موجود في معظم اللغات، وما يعرف بالسياق المرجعي"[1] الذي يقيم علاقات وخيوط تربط بين السياقات اللغوية في النصوص تحددها الأماكن المشار إليها ووحدة المرجع، و"تبعث الرسائل كإشارات من المرسل أو الباعث إلى التلقي عبر وسيط الكلام، على طول قناة لموجات الصوت، الإنسان (المرسل) مع ذلك هو (شكل طبيعي) أيضا مبدع الرسالة، وأن ما يجب إيصاله يمكن ألا يكون فقط واقعيا، أو حتى كلاميا، ولكن أيضا موقفيا (ATTITUDINAL) واجتماعيا، واقعيا، أو ثقافيا"[2].

10- دور الإنسجام في تحديد العلاقة بين سبب النزول و ترجيح دلالة السياق القرآني :

دلالة السياق أثر كبير في فهم المعاني المنشودة من الآية من حيث الموضوع ، والخطاب والأسباب التي أدت إليه والآثار المترتبة عليه، ذلك لأن مقتضى البلاغة اِرتباط الكلام بسابقة ولاحقة ارتباطا يحتوي المعنى بضمه دون انفصال أو تشتت بل مع حسن انتقال و تدرج في مرافي المباني والمعاني.[3] ويلعب سبب النزول دورا مهما في إلهام السياق تبصرة معنوية تحدد دلالة النص القرآني إذ يفصل بين المعاني ويقاضي بينهما ثم يرجع الأنسب فالأنسب عند التأويل، ولذلك فإنّ دلالة السياق القرآني فهم معنى الآية هام جدا، فأثرها في تحديد سبب النزول أهم لأن أسباب النزول قضايا وحوادث تعلق النزول بها فلا بد أن تكون بينهما قدر من الاشتراك في الألفاظ والمعاني، وإلا فلا معنى لتسميتها أسباب النزول .[4] ويجسد هذا القدر من الألفاظ التي تكون مشتركة بين الحادثة التي نزلت فيها الآية نصيبا كثيرا من الانسجام ، لأنه لا يمكن ولا يصح أن تتعلق الآية بسبب النزول معين دون أن يكون فيها لفظ واحد قيل في ذلك المقام ، وتعد هذه الدلالة جوهرية لفهم أي نص كان. سواء أكان النص إلهيا أم ثبوتا أم سائر الكلام ، إلا أنّ السياق القرآني أبلغ من كل سياق :لأن القرآن العظيم لا يطرقه احتمال الخطأ والوهم بخلاف غيره .[5]

ولذلك كان المفسرون يجتهدون لمعرفة سياق الآية وعلاقته بسبب النزول حتى يتمكن المؤولون من تأويلهم الصحيح وهي أمثلة الاستفادة من سبب النزول وعلاقته بالنص القرآني قوله تعالى:﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)** ﴾(البقرة :115)، حاول أبو حيان الأندلسي عند تفسير هذه الآية بالنظر إلى العلاقة بين السبب والسياق وهل هناك انسجام بينهما، فاستعان بالاتّساق (الربط) الموجود بين آيات السياق وربط هذه الآية بما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ**

---

[1]– الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، ص: 137.

[2] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، تر: خالد الأشهب، ص: 138.

[3] – المحرر في أسباب النزول ، من خلال الكتب التسعة ، دراسة الأسباب ، رواية ودراسة لخالد سليمان المزيني ، دار ابن الحوزي للنشر والتوزيع ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1474 هـ ، ج180/1 .

[4] – المرجع نفسه ، ج180/1.

[5] – المرجع نفسه ، ح180/1.

مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ (البقرة :144) حيث قال :" والذي يظهر أن انتظام هذه الآية بما قبلها هو أنه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله والسعي في تخريبها، انتبه على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات ولا من ذكر الله ، إذا المشرق و المغرب لله تعالى ، فأي جهة أدت فيها العبادة فهي لله يثيب على ذلك ولا يختص مكان التأدية في المسجد).[1] ، وهذا القول لأبي حيان الأندلسي فيه ما يشير إلى ظاهرتي (الإتّساق – انتظام هذه الآية بما قبلها)، ثم وضح الطريقة التي انسجمت بها الآيات مع بعضها البعض وذلك من خلال تداعي المعاني في السياق وحاجتها إلى بعضها البعض ، وقد كان طرحه هذا مقبولا ومنطقيا لأن الآيات حسب رأيه تتحدث عن الثواب عبادة الصلاة و ليس عن مكان التأدية في المساجد .

وهنا نشير إلى أن أبو حيان اِعتمد على السياق القرآني في تفسير الآية ووضع سبب النزول جانبا فقد أطرح الترميذي ابن ماجة عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنهما – أو مِن اجتهادٍ: كمَن خَفِيَتْ عليه القِبْلةُ فاجتهد ثمَّ تبيَّن خَطَؤه بعد فراغِه مِن الصلاة؛ فإنَّ صلاته صحيحةٌ ولا إعادةَ عليه؛ لحديثِ عامِرِ بنِ ربيعةَ رضي الله عنه قال: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، فَلَمْ نَدْرِ أَيْنَ القِبْلَةُ؛ فَصَلَّى كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا عَلَى حِيَالِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَزَلَ: ﴿**فَأَينَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجهُ ٱللَّهِ**﴾ (البقرة: 115). ولو اختير الحديث هنا سببا للنزول لألغيت دلالة السياق القرآني ولابد لأنهما لا يجتمعا.[2]

ولذلك ننبه إلى ضرورة الاحتراز عنه الاستعانة بأسباب النزول في تفسير القرآن، وما كان السياق القرآني يغني عن ذلك، وإنما تأخذ من باب الاستئناس في مثل هذه الحالات، لأنّ قيمة النص القرآني ليست كقيمة أي نص من النصوص التي ينتجها البشر، وعلّة ذلك أنّه إذا كان الآيات منسجمة في سياقها تمام الانسجام فإنها أغنى من أن يقحم في تفسيرها سبب النزول ما لم يكن هناك تكلف في تفسير السياق القرآني، فالانسجام السياقي سابق هنا ثم يحل بعده سبب النزول ، ولهذا تبين علاقة سبب النزول بالسياق القرآني .

وأخرج مسلم و أحمد الترميذي و النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه قال : وفيه نزلت ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ** ﴾[3]. ولذلك فإنه يجب على محلل النصوص تلبية حاجته الدينية سيما النص القرآني، أن يحقق ويدقق في معرفة تفسير الآية أو الوقوف على سبب نزولها ومدى انسجاميته مع سياقها القرآني، لأن يتأمل السياق القرآني الذي وردت فيه الآية كون الآيات في الأعم الأغلب، لابد أن يكون لها ارتباط بما قبلها وعلاقة بما بعدها أما انتزاع الآية وحدها كأنها ثمرة فلاشك أنه يوقع المفسر في الخطأ والزلل .

---

[1] – تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، دار إحياء التراث العربي للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنات ، ج1/ص :518 .

[2] – ينظر : المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة ، دراسة الأسباب رواية و دراسة ، د.بن سليمان المزيني ، ج1/ص : 184 .

[3] – أخرجه مسلم ،كتاب صلاة المسافرين و قصرها ، باب جواز الصلاة النافلة على الدابة (1 :486) رقم 700 .

وهذا السياق الذي معنا ليس بعيدا من هذا، فالآية التي قبلها كما ذكرنا تتحدث عن المشركين الذين أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدوه عن البيت حين قصده عام الحديبية كما هو الراجح في قول المفسرين.[1] يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية :"هذا والله أعلم فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم وصلاتهم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، ثم صرفه الله إلى الكعبة بعد، ولهذا يقول تعالى :﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾[2].

ويمكننا أن نكشف إنسجام هذا الموضوع بسهولة كبيرة، حيث أن سبب النزول واضح وفي الآيات قول لليهود عندما غيّر النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وذلك أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود ، فاستقبلها الرسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم فكان يدعوا وينظر إلى السماء فأنزل الله :﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ** ﴾ (البقرة :144) فأرتاب من ذلك اليهود وقالوا:﴿**مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا**﴾ (البقرة :142) **فأنزل الله:**﴿ **قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ**﴾ (البقرة :142) وقال : فأينما تولوا فثم وجه الله .

وقد رأينا في قوله الطاهر بن عاشور ما يوجب إقامة علاقة منسجمة بين سبب النزول وسياق الآيات حين قال : " لما جاء عيدهم و وعد المؤمنين، عطف على ذلك تسلية المؤمنين على خروجهم من مكة ونكاية المشركين يسنح ابتهاجهم بخروجهم المؤمنين منها و انفرادهم هم بمزية جوار الكعبة فبين أن الأرض كلها لله تعالى وأنها ما تفاضلت جهاتها إلا بكونها منطقة للتقرب إليه تعالى، وتذكر نعمته وآياته العظيمة، فإذا كانت وجهة الإنسان نحو مرضاة الله تعالى فأينما تولى فبعد صادق رضي الله تعالى عنه ، وإذا كانت .وجهته الكفر والغرور والظلم فما يعني عنه العياذ بالأماكن المقدسة بل هو فيها دخيل لا يلبث أن يقلع منها.[3]

وهكذا يظهر الانسجام واضح الأثر في الربط بين السياق القرآني وسبب النزول الذي كثيرا ما يكون سببها بصورة طبق الأصل لما ورد في نص الآيات القرآنية سواء من خلال الألفاظ في السياق القرآني وما قيل من أقوال في السبب، أو من خلال الوقائع والأحداث، كما حدث في الأمثال التي ضربت عن المنافقين . فشرط إقامة علاقة تربط بينهما هو الانسجام بينهما، بين السياق القرآني وسبب النزول .

---

[1] ينظر المحرر أسباب النزول ، من خلال الكتب التسعة ، دراسة الأسباب ، رواية ودراسة ، د.خالد بن سليمان المزيني ، ج211/1 .

[2] – تفسير إبن كثير ، ح248/1.

[3] تفسير التحرير و التنوير ، محمد الطاهر با عاشور ، ح1/ 682 .

11- دور السّياق في تحقيق الإنسجام بين المشاركين في الخطاب:

وبالرجوع إلى مصطلح السياق CON TEXT نفسه انبثق بصورة تؤكد هذه العلاقة، فالسابقة CON تعني المشاركة، أي توجد أشياء مشاركة في توضيح النص، WITH THE TEXTE وهي فكرة تتضمن أمورا أخرى تحيط بالنص كالبيئة المحيطة، والتي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص والحال[1]. وأشارت الدكتورة ألفة يوسف إلى علاقة الملفوظ بالبنية العامة للنّص، وعلاقة السياق بذلك على "أنّه ما يحيط بالقول المقصود من أحوال تسبقه وتلحقه تساهم مفسراتها في تحديد معناه"[2] لأنّ "الحكم الذي يقضي بأنّ النّص منسجم وغير منسجم قد يتغيّر وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسّياق والحجة التي يخولونها للمتلفظ"[3]، ويدرج هايمس بالإضافة إلى المشاركين "المكان والزمان والغاية، ونوع الخطاب والقناة واللهجة المستعملة والقواعد التي تحكم التّداول على الكلام في صلب جماعة معينة"[4]. "أما البعض الآخر فيدرج معارف المشاركين حول العالم ومعارف بعضهم عن البعض الآخر والمعرفة الخلفية الثّقافية للمجتمع حيث ينتج الخطاب في الواقع"[5] ولهذا الواقع نصيب في إنسجام الخطاب، لأنّ السّياق الخارجي للنّص يرتبط دائما بظروف إنتاجه وواقعه. ومن المعلوم في الحالات التخاطبية فإنّه "يتطلب الحديث الكلامي مخاطِبا ومخاطَبا ورسالة ترسل بينهما وسياقا وشفرة (نظام المعنى)"[6]، وكلّ هذه العناصر تتفاعل في انسجام صانعة جوّ النّص، إنّها أجزاء تساهم في الإنسجام الكلّي للنّص، وكلّ واحد منها له خاصيّته التي يتميّز بها عن العناصر الأخرى وميزته التي يسهم بها في خلق الإنسجام النّصي، وهذا النظام الكلي الناظم للغة النص، يسوقنا عند الحشد الكبير للمفردات والتراكيب بداخل النص، وهنا تبدأ العلاقة بين النص والمتلقي تنمو بعد عملية إنتاج النص، ونجد الدكتور شكري عياد له رأي في ذلك، قال فيه:"عندما نقف حائرين أمام حشد من الأنساق والسمات اللغوية والمعلومات التاريخية، فيجب أن نعلم أننا بدأنا نقيم علاقة حميمية مع النص، وأنّ حيرتنا لا تطول سنرى النص فجأة وقد شمله نور منبعث من مصدرها وستتبين لنا أن تلك الجزئيات قد تجمعت في نظام"[7]، وانسجام بعيدة عن العبث والفوضى، إنه نظام الانسجام المتحقق بين كلية النص.

---

[1]- ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ج 1/ ص: 108.

[2] – تعدد المعني في القرآن، ألفة يوسف، كلية الأدب منوبة، تونس، ط2، د، ت، ص: 9.

[3] – المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، باتريك شارودو – ودومينيك منغنو، ص: 28.

[4]- المرجع نفسه، ص: 28.

[5]- المرجع نفسه، ص: 28.

[6] – معجم الأسلوبيات، كاتي واليز، ص: 139.

[7]-ينظر، اللغة والإبداع، (مبادئ علم الأسلوب العربي)، شكري محمد عيّاد، انترناشيونال برس، القاهرة، ط أولى، 1988م.ص"11: وما بعدها.

و"توجد بين عناصر التخاطب الثلاثة علاقة متينة تحيط عنصري التخاطب ويجمع بينهما الخطاب ذاته، لذلك يتطلب الإنسجام النظر إلى علمية تساوق ألفاظ الخطاب، ومن اشتراك وتكامل بين المقامات يعين على التوصل إلى تحديد معنى الخطاب"[1]. لذلك يظهر الإنسجام بين هذه العناصر أثناء عملية التخاطب التي تبرز علاقة الألفاظ بعضها ببعض، فلكل خطاب مقام معيّن، ويدخل تحت هذا المقام البارز للخطاب مقامات أخرى ثانوية تساهم في عملية تنسيق الخطاب العام حتى تشكل المقام العام لخطاب معيّن.

وممن أعطوا مكانة لعناصر السياق والتخاطب وبيّنوا دورها في تحقيق الإنسجام الدكتور تمام حسان، حيث قال: "فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا ولا قالبا، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم، وذلك أمر يتخطى مجر التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل جوانب عملية الاتصال من الإنسان والمجتمع والتاريخ والغايات والمقاصد"[2]. لأن دراسة التراكيب بمعزل عن محيطها لا يحقق أهداف التعبير والتواصل وغايتها، ولا يفرق الأداء المختلف عن بعضها، لأن اللغة واقع اجتماعي حي، وأبنيتها تحدد أولا ولا على أساس أنها علاقات وأنظمة داخلية تتأثر بما يكتنفها من مؤثرات خارجية، ففكرة السياق أو المقام هي الأساس الذي ينبني عليه الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال[3].

12- الإنسجام بين السياق وعناصر التخاطب:

لقد "كان النموذج الأكثر تأثيرا لتحليل الخطاب هو نموذج رومان جاكبسون-ROMAN JAKOBSON (1960) الذي أوجز المكونات المفاتيح للتواصل وكذا وظائفها المتصلة، يتطلب الحدث الكلامي مخاطبا ومخاطبا ورسالة ترسل بينهما وسياقا وشفرة (نظام المعنى)"[4] وله يعود الفضل في استعماله للمصطلحين، في مسودته، التي حوت التواصل اللساني بين المخاطِب والمخاطَب، واللذان يشيران في مفهومهما العام، إلى فاعلي التواصل، الذي يطلق عليهما في نظرية الإعلام، ومن المنظور الغير الديناميكي: الباعث، المتلقي.

---

[1]- بين علمي أصول الفقه، ومقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ الحسين ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، دولة قطر، ج2/ ص 235.

[2]- الأصول، تمام حسان، عالم الكتاب، القاهرة، 2000، ص: 333.

[3]- اللغة العربية معناها ومبناها، تماما حسان، عالم الكتب القاهرة، ط 4، 1425 هـ/ 2004م، ص: 337.

[4] - المرجع نفسه، ص: 139.

ويعتبر (المرسل والمرسل إليه)، فاعلين ضمنيين، بحيث يعرفان الخطاب المعبّر بـ (أنا/أنت) و(السارد/ المسرود له) و(المحاوِر/ المحاوَر) وكلها تمثيلات، تنجز عبر، المرسل/ المرسل إليه)."[1] وفي "التحاور يكون المخاطب أو المخاطب دائما المتكلم والمستمع".[2] و"إن العرب أمة جبلت على ذكاء القرائح وفطنة الإفهام، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم، وبخاصة كلام بلغائهم، ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم لإعتماد المتكلمين على إفهام السامعين كما يقال "لمحة دالة"".[3] لأنّهم كانوا يفهمون الأمور من بدايتها، وبمجرد الإنطلاق في عملية التكلم/الحديث تبدأ معالم الرسالة تبرز للمخاطب، ويبدأ الفهم بالتحقق ، ثم تبدأ المضامين تتقاطر جزءا جزءا حتى تصل الرسالة إلى نهايتها، وعندئذ نتوجه إلى المتلقي هل فهم أم لا؟ وهل بلغه المقصود من الرسالة أم لا؟ تساؤلات كهذه تعزز مركز المتلقي وتجعله عنصرا مهما ولا غنى عنه في قلب العملية التواصلية، التي تخوّل له جزءا من الحكم على انسجام الخطاب. ولهذا يتم التركيز على اللغة من نظرة المتلقي لها في عملية التواصل والتجاوب معها من خلال النص ومقصدية الخطاب للمخاطب ولهذا تبقى اللغة دائما محركا لعنصر الفهم والتأويل ."ويذكر فان دايك بأنّ هناك نوعين من الروابط التي تصنع تماسك النصوص وهي الروابط المنطقية LOGICAL CONNECTIVE وبعضها طبيعي ينبع من طبيعة التركيب اللغوي NATURAL CONNECTIVE والاختلاف بين النوعين لا يتعدى كون الأوّل منهما نابعا من تنظيم الجمل، وترتيبها على وفق المعنى وتسلسله، ومطابقته للربط، وانسجامه مع مقاصد الكاتب "[4] .

ويجعل كل من براون ويول 1983 المتكلم /الكاتب والمستمع / القارئ في قلب عملية التواصل،التي لا تحصل بدون انسجام، وهذه حقيقة لابد من وعيها بدقة لأنه الملامح المكملة لخطاب موجودة خار النص، ويجدر بنا التنبيه إلى أن هذين الباحثين على خلاف كثير من باحثي الإنسجام، ولا يعتبران انسجام الخطاب شيئا معطى، بل شيئا موجودا في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه من خلال مجسداته ، والإنسجام في نظرهما شيء يبنى، على أنّه ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص آخر غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على النص بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم، وبانجلاء هذه المسألة فحسب، يمكننا فهم تركيزهما على إنسجام التأويل وليس على انسجام الخطاب، بتعبير آخر يستمد الخطاب انسجامه من فهم وتأويل المتلقي ليس غير" [5]. وسنوضح ذلك في مبدأ التأويل.

---

[1]– معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ– 1985م، ص: 99.

[2] – المرجع نفسه، ص: 139.

[3] – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/ص: 93.

[4] – ينظر: الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، ص: 141.

[5] – لسانيات الخطاب، مدخل إلى انسجام النص، محمد خطابي ص: 51.

13- عناصر التخاطب ودورها تحقيق الإنسجام:

ونقصد بها هنا العناصر المشاركة في عملية التخاطب والتحاور والتواصل، إلى غير ذلك من عمليات بعث الرسائل وتلقيها. ونوّد هنا أن نبيّن مركز اللغة (الكلمة) في ذلك، فاللسانيون يختلفون في أنّ "الكلمة مشبعة بالمعنى، وهي مخزنة بمعناها أو بمعانيها في الذاكرة المعجمية لدى الأفراد، والأمر يعتبر بديهيا بالنسبة إلى المتكلم الذي يريد أن يبلّغ شيئا عن طريق اللسان واستعماله الكلمات بدون معنى أمر لا معنى له في فهم خطاب بكامله في حالات وفهم بعضه في حالات أخرى، وقد يكون عدم معرفته لكلمة ما عائقا عن فهم الخطاب بصورة تامة"[1] وقد نبه الفيلسوف اللغوي الروسي ميخائيل باختين (MIKHAIL BAKHTIN) (1986) إلى دور الفعل التخاطبي في خلق الاستمرارية، وعدّ "المخاطبية (ADDRESSIVITY) خاصية كل قول: الالتفات إلى ما قيل سابقا، تجاوبا معه، ولاحقا، لاستباق الأجوبة التي قد تأتي مستقبلا"[2].

ومعرفة السياق تحصر مجال التأويل الممكن وتدعمه. وحتى تتبيّن لنا العلاقات بين عناصر التخاطب، علينا تحديد أهم خصائص السياق، هي:" (المرسل–المتلقي– الحضور– الموضوع –المقام– القناة –النظام اللغوي –شكل الرسالة – المفتاح–الغرض)"[3].وهي الخصائص نفسها التي ذكرها محمد خطابي في كتابه (اللسانيات – مدخل إلى انسجام النص)، وعلى محلل الخطاب أن يختار الخصائص الضرورية في جميع الأحداث التواصلية"[4]. وذكر خطابي أن هايمس حاول أن يصنف خصائص الخطاب إلى[5]:

أ- المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

ب- المتلقي: المرسل إليه أي السامع أو المخاطَب.وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

ج- الحضور: وهم المستمعون الآخرون حاضرون. يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

د- الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.

---

[1]– دور الكلمة في اللسانيات الحديثة، د/ عبد الحميد عب الواحد، ص: 205.

[2] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة، خالد الأشهب، ص: 35.

[3] – الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، د/ نور الدين السد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، مج2، ، ص: 78.

[4] – المرجع نفسه، ص: 78.

[5] – ينظر، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 53.

هـ – المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصلي، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه.

و– القناة: كيف يتم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي : كلام، كتابة، إشارة.

ز– النظام: اللغة أو الهيئة الأسلوبية اللغوية المستعملة.

ح– شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود، الدردشة، جدال، غطة، خرافة، رسالة غرامية.

ط– المفتاح: ويتضمن التقويم : هل كانت الرسالة موعظة حسنة – شرحا مثيرا للعواطف.

ي– الغرض: أي أن ما يقصد المشاركون أن يكون نتيجة الحدث التواصلي.

"إذ لا يتصور قيام عملية تواصل دون الأطراف المساهمة فيها بل لن يتسنى فهم وتأويل التعابير والأقوال والخطاب بصفة عامة إلا بوضعها في سياقها التواصلي زمانا ومكانا ومشاركين ومقاما"[1]. وقد استظهرت البلاغة العربية كل هذه العناصر من خلال دراستها النصوص من عدة جوانب بما فيها النص القرآني، وحاولت تبيان العلاقة التواصلية بين المرسل والمتلقي، يقول سعيد حسن البحيري: "إن العلاقة بين المرسل والمتلقي التي حرصت البلاغة على إبرازها قد وجدت طريقها إلى نظرية الاتصال وبالتالي إلى التداولية التي عنيت بالسياقات المختلفة وأطراف الموقف التواصلي عناية كبيرة"[2]، و"ليس المتكلمون ولا السامعون ولا الأشياء المشار إليها مساحات عديمة الخاصيات والألوان، وليس صحيحا كذلك أننا نجدهم مقترنين بأسماء أعلام تصلح لجميع الحالات مع وصف مميز لهم يصلح لكل الحالات، فما يميزهم أنّهم يتمتعون بأعداد هائلة من الخصائص الجسمية والاجتماعية تصلح أي منها لأن تكون الخاصية المناسبة لعملية تواصلية خاصة"[3].

لقد دعي اللسانيون المهتمون بالخطاب إلى إيجاد عدة تسميات تختلف تحديداتها حسب الاختيارات النظرية التي يتجه بعضها أكثر إلى ظواهر التلفظ، وبعضها الآخر إلى ظواهر التواصل، هذا هو من ناحية شأن المتكلم والباعث والمتلفظ، ومن ناحية أخرى، متقبل ومستمع ومخاطب ومرسل إليه ومشارك في الخطاب ومشارك في التلفظ"[4]."وتحيل المقابلة بين الإنتاج /و التقبل على الأدوار التي يضطلع بها أطراف التبادل اللغوي أثناء وقوعه، فهما يتعاقبان ويتداولان في القيام بالدور الذي ينتج عمل اللغة موجها إلى الآخر وبالدور الذي

---

[1] – المرجع نفسه، ص: 48، 49.

[2] – علم النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر وتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م، ص: 23.

[3]– معجم تحليل الخطاب، ج براون، ج يول، ص: 70.

[4] – المرجع نفسه، ص: 539.

يتقبل عمل اللغة ويسعى إلى تأويله"[1] فقد جاء في الأسلوبيات: أنه "لإنتاج الأدب (LITERATURE) لا يجب أن يكون هناك مؤلف (AUTHER)، ونص (TEXT) وقارئ (READER)"[2]. واقترح كريرا-أوركيوني (سنة1997) مقترحا يميز بين أنواع مختلفة للمخاطبين لأنّ التخاطب عنده هو نقل الأخبار والمعلومات في إطار التخاطب والتواصل أي ربط الاتصال بين المتخاطبين إذ أن المخاطبة جاءت على وزن مفاعلة الذي يفيد المشاركة في الفعل" ولا تستعمل إلا بين نفسين يصح لكل واحد منهما أن يخاطب إبتداءا ويجيب صاحبه عن خطابه" وبالتالي تتشكل من المتخاطبين دورة التخاطب التي تتكون من العناصر التالية: المرسل وهو المتكلم أي المخاطَب هو: "الشخص الذي نتوجّه إليه بالكلام، أي متلقي الخبر".

و(المخاطب) هو إمّا (مخاطب متوهم) أو مخاطَب حي.ولا يوجد (مخاطَب) خارج قناة توّحد الفهم بين (المخاطَب) و(المخاطِب)[3].وجهاز الإرسال وهو عند الإنسان الجهاز الصوتي محدث الأصوات. وجهاز إلتقاط وهو عند الإنسان الجهاز السمعي الأذن. والقناة التي توصل الخطاب وهو في كل حال المخاطبة بالمشافهة (الهواء) وفي حالات أخرى كل مادة موصلة للأصوات".[4]

كان اهتمام (هاليداي) بسياق الموقف اهتماما إحاطيا للنص من حيث ملابسات إنتاجه، وكشف عن تأثير السياق في إنتاج النص وتشكيله وقسم السياق إلى ثلاثة مظاهر أساسية ذكرها الدكتور يوسف عوض:

"أ- المجال: ويعني به (هاليداي) الموضوع الأساسي الذي يتخاطب فيه المشاركون في الخطاب والذي تشكل اللغة أساسا مهما في التعبير عنه.

ب- نوع الخطاب: وهو نوع النص المستخدم به لإكمال عملية الاتصال، ويركز هاليداي هنا على طريقة بناء النص والبلاغة المستحقة فيه، وما إذا كان مكتوبا أو منطوقا، وما إذا كان سرديا أم أمر بكلام جدليا ونحو ذلك.

ج- المشتركون في الخطاب: ويعني هاليداي بهذا المفهوم طبيعة العلاقة القائمة بين المشاركين في الخطاب ونوع العلاقة القائمة فيما بينهم، وهل هي رسمية أم غير رسمية عارضة أم غير عارضة ونحو ذلك"[5].

---

[1]- معجم تحليل الخطاب، ج براون، ج يول، ص: 540

[2] - معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة، خالد الأشهب، ص: 83.

[3] - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ-1985م، ص: 85.

[4] - مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2006م، ص: 27.

[5]- ينظر: علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، ص: 32- 33.

وإذا ما أخذنا في الحسبان ما جاء في كتاب (لسانيات النص)، لمحمد خطابي على أن الانسجام "يعني البحث في العلاقات الخفية التي تؤلف النص وتنظمه وتوّلده"[1]، فبنية الإنسجام تنطلق من داخل النص، وبالذات من العلاقات التي تعتمد على تنظيم الأجزاء الكبرى للنص، وتفوق حدود الجمل، ويحدث ذلك عن طريق عملية فهم هذه العلاقات التي تتم بين المفردات والتراكيب والسياق، وهنا يكون للسياق دور كبير في إدراك الانسجام "فالنص يكون غير قابل للفهم إذا كانت هناك قطيعة بين البنيات التي تؤلفه"[2].

وبالنسبة للنص القرآني يوضع في الاعتبار أن المرسل هو الحق سبحانه وتعالى ويقع وجوده خارج النص في أغلب السياقات، وذلك حين لا يرد اسم من أسمائه صراحة داخل النص، وأن المرسل إليه يكون النبي صلى الله عليه وسلم، في نطاق محدود أحيانا، ويكون مجموع المخاطبين أو المرسل إليهم الذين أرسل إليهم الخطاب في ظروف ومناسبات وسياقات معيّنة بمفهوم واسع، وإذا اتسع محيط المرسل إليه انتقل الخطاب إلى درجة أخرى من التعميم تتجاوز محدودية دلالات المفردات المشكلة لبنية النص، وبعبارة أخرى، نجد في نصوص القرآن مستويين (يتشكل منهما عامل الإحالة) الذي سنوضحه فيما يلي:

- المستوى الأول: مستوى خارجي يقوم على وجود ذات.

- المستوى الثاني: مستوى داخلي، يختص بالنص داخل النص والإحالة هنا تكون غير لغوية"[3].

14- عناصر التخاطب و انسجامها في النص القرآني:

لقد اهتدى علماء العربية في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية والبلاغية إلى ما يحق بظاهرة الكلام من ملابسات، كالسامع والمقام وظروف المقال، وكل ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية من روابط، والأمثلة كثيرة على أصالة هذا المبدأ في التراث العربي. و"المخاطَب والمخاطِب مصطلحان يحيلان إلى مشاركين اثنين متقابلين في أيّ فعل (ACT) كلامي للتواصل (COMMUNICATION) أو حدث الكلام (SPEECH EVENT). وهناك مصطلحات متكافئة أخرى (مقترضة من الفرنسية) هي المتكلم (ADDRESSER) (LOCUTOR). ومخاطَب (ADDRESSEE) (ALLOCUTOR).[4]وتمثل هذه العناصر السياقية "الإطار العام الذي يسهم في ترجيح واختيار الآلية المناسبة لعملية الفهم والإفهام، أو الإقناع والإقتناع بين طرفي الخطاب- المرسل والمرسل إليه. ويتمّ تحقق ذلك عبر مجموعة من العناصر المؤثرة في

---

[1]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 12.

[2]- الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن الكريم، د. محمد شاكر ناصر الربيعي، د. أحمد حاسم مسلم الجناني، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة العراق، العدد 17 أيلول 2014، ص: 263.

[3]- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص: 101- 102.

[4] - ينظر: علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، ص: 34

إنجاز عملية التواصل في الخطاب، كالمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والظروف الاجتماعية، وعنصري الزمان والمكان اللذين يتلفظ فيهما المرسل بخطابه.[1]

ونلحظ في النص القرآني كثرة المخاطبات ، والمخاطبون فيه بحسب تقسيم (عبد الله صوله)[2] نوعان: نوع يذكر داخل النص القرآني وهو قسمان: قسم مذكور معين باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب الذي يعينه شأن خطاب الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) وخطاب الكافرين ، وخطاب بني إسرائيل ، وأهل الكتاب ، وخطاب الذين امنوا وهو كثير فيه ، والنوع الآخر من المخاطبين يقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه ، ولكنه مع ذلك معني بخطاب القرآن وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم .

15- تبدّل الأدوار بين البث و التلقي في الخطاب القرآني:

إن شكل الاتصال الذي نتحدث عنه خاص ، وخصوصيته تنبع من كونه حاصلاً بين طرفين لا ينتميان إلى نفس المرتبة الوجودية (الذات الإلهية + والرسول –صلى الله عليه وسلّم–)[3].و يمكننا أن نعتبر العلاقة القائمة بين القرآن ككل هي أن الله سبحانه وتعالى هو الباث الحقيقي للنص القرآني ،وهو المخاطِب الأوّل إذا ما اعتبرنا أن الملك جبريل وهو المكلف بالوحي متلقي (مستقبل) أوّل نصوص الوحي من الذات المتعالية ثم يتحول الملك جبريل من متلقي (مستقبل) إلى باث ومحوّل للخطاب، لأنه مكلف بنقل النص القرآني (الرسالة) إلى متلقي ثاني وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فتنقل العلاقة من العالم العلوي الغيبي إلى العالم الدنيوي. وبالتالي فإنه تصبح لدينا ثلاث أطراف حسب رأي د/عبد المالك مرتاض: وذلك عندما حلل قوله تعالى﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)** ﴾ (البقرة : 34) .

أ– الله : ويتجلى فيه الباث الأول بصفته الذات المتعالية .

ب– محمد رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: ويمثل في هذه الآية المتلقي الأول باعتباره المعنى بتلقي الرسالة ،ولكنه يجسد في الوقت ذاته الباثّ الثاني على أساس أنه هو الموكل ببث الرسالة الإلهية إلى من عاصره .والذين يأتون بعد عصره أيضا إلى يوم القيامة ومن الناس كافة، فمحمد هو المتلقي والمرسل معا .[4]

---

[1] – ينظر: جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي،ص: 84.

[2] – الحجاج في القرآن الكريم: 1/44–45.

[3] – مفهوم النص، ص:45.

[4] – نظام الخطاب القرآني ، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان ،د/عبد المالك مرتاض ،دار مومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2001 م ، ص :72 .

"– المتلقي الثاني : البشر الذين عاصروا الرسول وزامنوا رسالته ..وهم يجسدون المتلقي الثاني بالقياس إلى ترتيبهم انطلاقا من بث الرسول ، لكنهم يجسدون المتلقي الثالث والأخير بالقياس إلى ترتيبهم انطلاقا من البث الإلهي الأول "[1]. على أنّه يمكننا أن نقدّم تقسيما آخر للعناصر التخاطب وجعلها أربعة بدلا من ثالثة أطراف، ويمثّل ملك الوحي جبريل عليه السلام العنصر الذي يمكننا إبرازه في هذه العلاقة من جديد لأنّه لا يمكننا تجاهله فهو وسيط ينقل الرسالة نقلا أوّليا إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الذي يستقبلها ثم يعيد بعثها من جديد محمد صلّى الله عليه وسلّم لتبلغها إلى البشرية جمعاء، وهي في ذلك العصر كانت في أغلبها تخاطب المؤمنين. وهذا ما أثار فكر الأستاذ عبد المالك مرتاض، وأعاد توزيع الأدوار التخاطبية بين عناصر التخاطب، ويظهر ذلك في هذا المخطط.

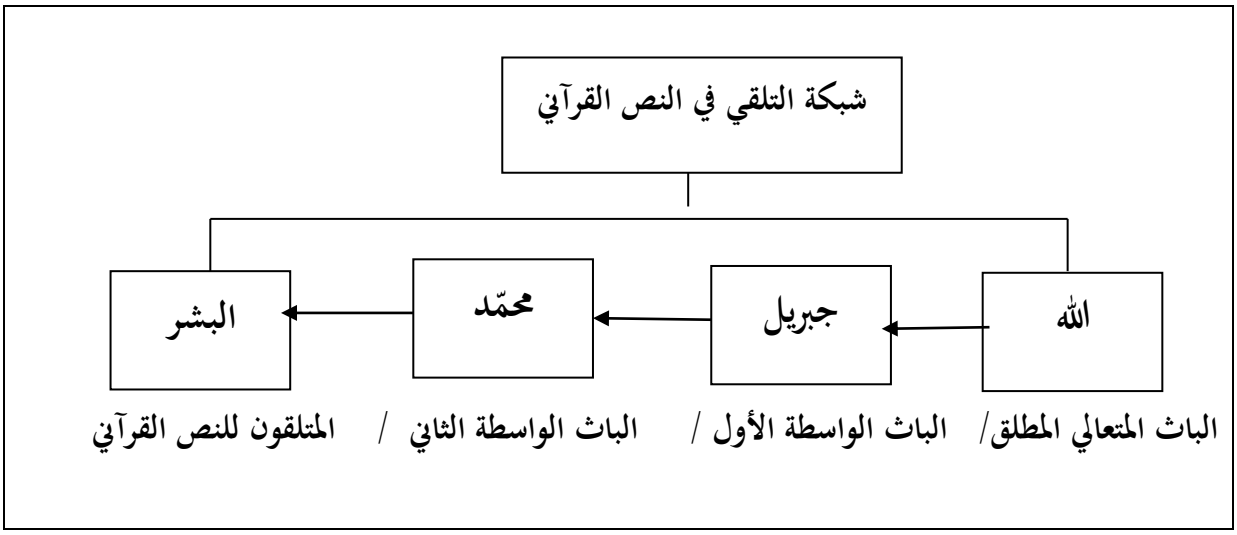

"إن الخطاب القرآني باعتباره نصا/ خطابا لغويا يهدف إلى مخاطبة كل الناس، وحامل الخطاب هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهكذا فإن مرسل الخطاب هو الله سبحانه وتعالى، والمرسل إليهم هم الناس جميعا، والرسالة هي القرآن الكريم وأخيرا فإن الأداة التي صيغ بها الخطاب هي اللغة العربية، أما الفتاة التي مرّ عبرها الخطاب إلى العالمين فهو الرسول الكريم صلوات الله عليه".[2] وهذه العلاقة التي يجسّدها النظام التخطابي بين العناصر المتخاطبة من بث وتلقي تجسد حقيقة عملية الإنسجام ويطهر ذلك في طريقة التواصل بينها التي كانوا يتواصلون بها ويحققون بها إبلاغية رسائلهم التخطابية. وهناك عدد من العناصر التكوينية للخطاب التي تشترك في بلورة عمليّة التواصل والإبلاغ في الخطاب، والتي يمكن معرفتها وفحصها –على حدّ قول الكاتب

[1]– نظام الخطاب القرآني ، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان ، د/عبد المالك مرتاض ، ص : 72 .

[2]– لسانيات الخطاب مظاهر الاتساق والانسجام، د. خديجة إيكر، مركز الدراسة القرآنية الرابطة المداخلات للعماء، المملكة العربية، الموقع www.alquran.com

السعودي عبد الهادي بن ظافر الشهري- من خلال النظر إلى الخطاب ذاته، بوصفه الميدان الذي تتبلور فيه كلّ هذه العناصر، مما يحيلها على عناصر سياقية، والتي يمكن ذكرها على نحو إجمالي في الآتي: [1]

أ- المرسِل في الخطاب القرآني (الباث – المخاطِب):

ويجسد هذا العنصر الحلقة المحورية الأولى في إنتاج الخطاب، فهو المحرك الأساس للعملية الاتصالية، أينما طمح في التأثير على المستقبل، ويقوم باختيار الألفاظ التي تليق بمقام المرسل والمرسل إليه والسياق الاجتماعي وما يتبعه. إذ لا يمكن للغة أن تتجسد أو تمارس دورها الحقيقي أو تصبح وجودا له فاعلية إلاّ من خلال مرسل.[2]

وإذا كانت العلاقات الخطية SYNTAGMATIC تختص بالمنشئ أو المرسل الذي يختار مجموعة من الدوال –حسب تعبير دي سوسير– يراها أقدر من غيرها على توصيل رسالته، فإن العلاقات الإيحائية ASSOCIATIVE تتعلق بالمتلقي الذي تستدعي لديه هذه الكلمات المختارة سلاسل أخرى من الكلمات كان يمكن اختيارها، فيلتقي الحاضر مع الغائب، الحقيقي مع الممكن، وهذا يخلق بين العلاقتين حالة من الجدل تنعكس على دلالة النص برمته"[3]. ويحيل الاتصال (CONTEXT) في نموذج رومان جاكسون (ROMAN-JAKOFEON) (1960) للتواصل أو للحدث الكلامي (SPEESH EVENT) على العلاقات بين المخاطب والمخاطب، وليس فقط الترابطات الفيزيائية بواسطة القناة (CHANNEL)، بل أيضا الترابطات النفسية والمقامية".[4]

- المرسل/ المخاطِب /الباثّ (الله سبحانه وتعالى):

وهنا نؤكّد على محلل النص القرآني "أن يأخذ بعين الاعتبار طبيعة النص القرآني، ومقاصد السورة، كونها تتميز بقصدية لا يجوز لنا أن نحيدها عن هدفها، والمرسل في القرآن هو الله عزّ وجل وهو في سورة البقرة المولى عزّ وجل، منزل القرآن الكريم وجاعله هدى وشريعة للناس"[5]. وكثيرا ما يظهر بضمائر المتكلم:(أنا-نحن-تاء المتكلّم-ياء المتلكم...) أو لفظ الجلالة الذي كثيرا ما يرد على لسان نبي من الأنبياء.

---

[1] – ينظر:المرجع نفسه، ص: 84.

[2] – المرجع نفسه، ص: 84.

[3]– النص والخطاب، قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، ص106.

[4]– معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، ص: 155.

[5]– الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، ص: 160.

ويؤكد اللسانيون على ضرورة تضمين المخاطب خطابه أسلوبا تأثيريا، وهنا تظهر قدرة المخاطب "على تضمين خطابه معاني وتأثيرا ومنطقا مقنعا يهيئ وجدان المخاطب ونفسه وبسائر قوى وعيه الكامنة لقبول الخطاب وعدم إغلاق الأبواب دونه. و الاهتمام بملاحظة أهم الاعتراضات التي ثارت في نفس السامع سواء صرح بها أم لم يصرح عندما تلقى الخطاب في لحظة اتصاله الأولى لتضمين الإصدارة الثانية للخطاب جواب عنها"[1]. ونلاحظ هذه النماذج في سورة البقرة من خلال كفار بني إسرائيل وبصفة خاصة في استهزائهم عندما طلب منهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة، فأسروا على كفرهم، وتجاهلوا قول موسى عليه السلام بأسئلتهم في وصف البقرة وتعجيزه لتحديدها. بحيث تظهر تهيئة المخاطبين في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾ (**البقرة: 67**)، فكان ردّهم باستهزاء على سيدنا موسى عليه السلام ﴿**قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**﴾ (البقرة: 67)، فردّ عليهم باستعاذته من جهل كجهلهم وكانت هذه الجملة المتمثلة في قولهم اعتراضا على الشكوك التي ثارت في نفوس بني إسرائيل وكان هذا الاعتراض صريحا بلفظه عندما كان سيدنا موسى عليه السلام في حوار معهم وفي اتصال مباشر بهم، وبعد ذلك أصرّوا على كفرهم وعنادهم وألحوا على نبيّهم بمجموعة من الأسئلة التعجيزية حتى لا يفعلوا ما يؤمرون. لكن سيدنا موسى عليه السلام كان يرد عليهم في كل مرة دون ملل ويلقي عليهم الخبر في أذائهم حتى يقبعوا.

ويعدّ الانسجام "بؤرة رئيسية في النص، وللمتلفظ المشارك وظيفة هامة في بنائه، والحكم الذي يقضي بانسجام النص من عدم انسجامه قد يتغير لتغير الأفراد ووفقا لمعرفتهم بالسياق والحجة التي يخولونها للمتلفظ"[2] ويرتكز الخطاب "على جملة من المتلفظات اللغوية أو التعابير التي تنظم بطريقة معيّنة لتنتج دلالة ما، وتحقق أثرا متعيّنا، وذلك من خلال إيجاد تفاعل مع المجال الإجتماعي الذي يعد مهادا لتلقي موضوع الخطاب. وحينئذ تتاح لمثل هذا الخطاب فرصة التجادل مع غيره من الخطابات الأخرى، وبالتالي يشتبك مع وعي المخاطبين في محاولة لدفعهم إلى حقل قناعته. فالخطاب في صميم بنائه لا يخرج عن كونه وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب، ويتسم بأنّه كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء"[3]

غير أنّ ما نلاحظه في بعض الدّراسات، كالدراسات البلاغية للقرآن، " أغفلت التوقف عند الأسلوب في جانب (المبَيّن) أو (المتكلم) أو (المرسل)، وذلك للحرج الشرعي الذي شعروا به، فتمّت إحالة الذّات الإلهية التي تكلمت بالقرآن على قاعة (علم الكلام)، ووقع الفصل، مع أنّ هناك مدخلا لدراسة الأسلوب القرآني في جانب المتكلم يستجيب لمقتضيات العقيدة الإسلامية وهو: "جلال المتكلم وعظمته"،

---

[1]– **الوحدة البنائية للقرآن المجيد، سلسلة دراسات قرآنية، طه جابر الحلواني، دار الشروق، 2005م، ص: 15.**

[2] – **ينظر: المصطلحات المفاتيح، لتحليل الخطاب، دومينيك منغنو، ص: 21.**

[3] – **جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ– 2014م، ص: 83.**

دون أن نخشى الوقوع في التشبيه أو التجسيم أو غيرها من الانحرافات العقدية التي تعتبر مردودة بأسلوب القرآن نفسه.[1]

ب- المرسَل إليه (المتلقي- المستقبل - المخاطَب):

وله عدّة مسميّات المتقبل (المرسل إليه/ المستقبلRECEPTEUR) وهو المتقبل في نظرية الإعلام، وهو الجهاز أو الشخص الذي يقبل ويسجل ويفك الرسالة التي ينقلها إليه الباث[2] وقد عوض جاكبسون لفظة (المتقبل) بـ (المرسل إليه)[3]، ويمثّل "الحلقة الثانية في العملية الإتصالية، وهو الذي تتحدّد على أساسه لغة الخطاب ومستواها، مما يدل على أنّ المرسَل إليه مستحضر بشكل أساس في ذهن المرسِل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان هذا الاستحضار عينيا أم افتراضيان وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسل إليه يسهم بشكل فعّال في حركية الخطاب، ومن ثمّ يعمل عل قدرة المرسل في الممارسة التنويعية للخطاب، التي تمنحه أفقا منفتحا لاختيار الطريقة الفعّالة لخطابه"[4].وبهذا يمكننا أن نقول بأنّ الإنسجام أمر نسبي عند عناصر الخطاب، كونه يكون من طرف المتلقي بنسبة أكبر.

علاوة على كون الانسجام أمرا نسبيا (يكون بالنسبة إلى سامع ولا يكون بالنسبة إلى آخر)، فإنه أمر اختياري شهد على قيامه الملاحظة، وقد يتحقق الانسجام بالروابط اللفظية بين أجزاء النص كما يمكن أن يتحقق دونها، وهو في الحالتين (عند عدم توفر الروابط وكذلك عند توفرها) يعتمد على معرفة السامع بالعالم الذي تحيل عليه الجملة أو الجمل (أي معرفته بما يسمى أيضا الأطر FRAMES كما يقول WIRRER، فيكون النص الواحد منسجما أو غير منسجم بحسب كون السامع عارفا أو جاهلا بتلك الأطر[5]. لهذا نجد أغلب علماء تحليل الخطاب يركزوا على دور المتلقي ومساهمته في انسجام النص، لأن له دور فعّال في ترقية النص إلى درجة النصيّة، ويقف هذا حسب درجة الفهم والتأويل التي يحظى بها المتلقي، بهذا وهما:

1- "لا يملك الخطاب في ذاته مقوّمات انسجامه، وإنما القارئ هو الذي سند إليه هذه المقوّمات.

2- كلّ نص قابل للفهم والتأويل فهو منسجم والعكس صحيح.[6]

---

[1] – اطرادات أسلوبية في الخطاب القرآني، رصد واستدراك، محمد إقبال عروي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 1417هـ-1996م، ص: 18.

[2] – معجم تحليل الخطاب، بتريك شارودو دومنيك منغنو، ص: 496.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص:496.

[4] – جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي،ص: 84.

[5]– ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس "نحو النص"، محمد الشاوش، المجلد الأول، ص: 111.

[6]– ينظر: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، د. محمد خطابي، ص: 52.

"وإذا أقررنا بدور القارئ في إنتاج النص فدوره في تحقيق التماسك النصي بالتالي كبير، وفيما يتعلق بآلية الحذف يتوجب عليه دون سواه ملء الفراغات الناتجة من الحذف، إذ يملؤها بوعي من خلال آليات وضوابط متعارف عليها قديما وحديثا، منها أن يراعي السياق في أثناء هذه العملية، وأن يستعين بالأدلة الموجودة في البنية السطحية"[1].

ولنلاحظ على سبيل المثال قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا**﴾ (البقرة: 168) وقوله:﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**﴾ (المائدة: 04) لأن المقصود بالطيّبات هو المأكولات، ولا تطبق الطيّبات على الأفعال الحسنة لأن هذه سميت بالمعروف، وإن كان يفرق تفريقا يتباين الأفعال الحسنة والقبيحة أي بين المعروف والمنكر، فالطيب ما لا ضر فيه ولا وخامة وقذارة، وهو المباح والحلال، والخبيث ما أطرأ أو كان وخيم العاقبة أو مستقذرا لا يقبله العقلاء، وهو الحرام من المأكولات، فلا يصح بحال أن يحجّر طعام على قوم منه، وقد تساءل الناس عن العادات واختلافها فنذكر في غير إطناب أن قيس كانت تأكل الكلب، وأن جرهم كانت لا تأكل الدجاج، وأن قريشا لا تأكل الضبّ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وجد على مائدته ضبا فلم يطعمه، وقال "ما هو بحرام، ولكنه لم يكن من طعام قومي فأحدثني أعافه"[2].

ومن هنا نستجلي أنّ الإنسجام قد وقع بين الألفاظ الثانية (كلوا- حلالا- طيبا) (أحل- الطيبات)، وذلك لأنهما سيقت في علاقة لغوية تربط بين معنى الحلال والطيب المتعلق بالأكل، وعلى هذا يمكننا القول أن السياق جزء من الانسجام وللمتلقي دور في استحضار ما لم يتم سياقته.

لأنّ النص القرآني هو نص إلاهي أنزله ملك الوحي جبريل -عليه السلام- وهو يمثل المستقبل الأوّل لنص الرسالة السماوية لكنه غير مكلف بتنفيذها وإنّما كلف بتبليغها إلى المتلقي(المستقبل/المخاطب) محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويلعب النبّي صلّى الله عليه وسلّم دورين وهما:

أ- متلقي أوّل: للرسالة (القرآن الكريم) بواسطة ملك الوحي عليه السلام.

ب- مرسل ثاني:(مخاطِب/باعث) للرسالة بعد تلقيها من الملك جبريل عليه السلام لتبليغها إلى الناس للتنفيذ والعمل بها اهتداء. لأن "أدوار كلام مختلف المتكلمين تتسلسل حسب نظام التعاقب"[3] ."ومن هنا وجود (المرسل إليه/ المتلقي) في النص القرآني أمرا حتميا، كي يكمل عملية التواصل، فهو عنصر من عناصرها،

---

[1]- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، : 194.

[2]- ينظر: بين علمي أصول الفقه، ومقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة، ج 2)184- 185- 186 وما بعدها).

[3]- معجم تحليل الخطاب، ص: 563.

لا تقوم إلا به، وهو يبقي التلقي عملية مستمرة"[1]، و"كان المخاطب المتلقي في الوحي موجودا منذ أول النزول، بل كان حاضرا حضورا بيّنا في أول لفظ (اقرأ)"[2]. فالمتلقي له دور فاعل وأساس في الحكم على انسجام النص، وتماسكه، إذ يعد أحد أهم أركان التحليل النصي فهو يعتبر القراءة الثانية للنص، ولهذا لن يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي فالنص، يعد حوارا قائما بين قائل النص والنص والمتلقي"[3]. ولهذا نقول "إذ ليس من الفصيح أن يقول الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- للمرسل إليه ، قال لي المرسل: قل كذا وكذا، ولأنه لا يمكن إسقاطها، فدل على أن المراد بقاؤها، ولابد لها من فائدة وتكون أمرا من المتكلم للمكلم بما يتكلم به أمره شفاهاً بلا واسطة كقولك لمن تخاطبه: افعل كذا"[4]، فالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليس مجبرا بأخبار المتلقي(كفارا ومؤمنين) كلما كان هناك إنزال للوحي فيكفي أنّه عرف منذ البداية بمهمته التبليغية لتلك الرسالة الإلهية التي جاءت في القرآن.والسر الذي نبحث عنه هو الطريقة التي انسجم بها التلقي عنده مع البث من جديد، واستطاع أن يكون الشخص الوحيد الذي يمكنه القيام بذلك.

في هذا العمل التبادلي الوظيفي بين الأداء والتبليغ للنبيّ صلى الله عليه وسلّم يظهر حقيقة الإنسجام بين الوظيفتين المختلفتين لنفس الشخص، دون أن يحيد النبيّ على مسار الرسالة المكلف بتبليغها.

- المخاطبون في سورة البقرة:

ويمثلون الفئات التي تتلقى النص القرآني والرسائل الخطابية من الله عزّوجل على ألسنة أنبيائهم، باعتبارهم المبلغين عن الله سبحانه وتعالى،اي عن طريق الوسيط المخاطب، والناظر في السور الكريمة يجد أن خطابها موضوعاتها تنقسم إلى قسمين من هذه الناصية وهما:

"- القسم الأول: خطاب لليهود أو عن اليهود وهذا يمثل الشطر الأول في السورة تقريبا.

- القسم الثاني: فإنه يتوجه للمسلمين بالخطاب ويكلفهم بجملة من أحكام العبادات والمعاملات المالية والأسرية والأولية لم تتوج السورة بختامها العظيم الذي يبين استجابة المؤمنين لأمر ربهم وتضرعهم له أن يتم عليهم أمره في خاصة شؤونهم وعامها ولوضوح هذا الأمر فقد أشار الله غالب من كتب في موضوعات هذه السورة المباركة"[5].

---

[1]- جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد، ص: 97- 98.

[2]- كلام الله، الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية، د. محمد كريم الكواز، دار السياق، بيروت، ط1، 2002م، ص: 37.

[3]- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، إبراهيم الفصي، ج1/ 110.

[4]- البرهان في علوم القرآن: 2/251-252.

[5]- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف: أ. د مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ط1، 1431هـ- 2010م، ج1/ 28.

1- المخاطب الأوّل رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-:

خطاب الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم: وقد اتخذ فعل الأمر (قل) شكل التحاور بين الذات الإلهية عبر الوحي والمخاطبين الأولين ومنهم إلى الجمهور المحتمل، وقد حققت حكاية أقوال الكافرين والمتخاطبين والرد عليها نسبة تواتر عالية بهذا الفعل، فضلاً عن كونها اتخذت شكل الجواب عن سؤال بصيغة حكاية السؤال (يسألونك / قل) أو بالاستفهام بأدواته المتنوعة، أو أن تأخذ شكل الجواب عن سؤال مفترض ممكن الوقوع ، كما أن فاعلية فعل الأمر (قل) وأثرها وطاقتها الإقناعية تمثلت في سياقات (الأسلوب الحكيم) أو (ظاهرة الانتقال الدلالي) ببعديه الحياد عن الجواب إلى غير المتوقع، أو الجواب الذي يأخذ مساحة أكبر مما يتطلبه فعل (الاستفهام) والذي هو (طلب الفهم)، فيفيد النص الذي ترد فيه من طاقتها الإيحائية تلك في توجيه ذهن السامع إلى ما هو أصلح له، فضلاً عن كون فعل الأمر (قل) للرسول صلّى الله عليه وسلّم- فيه إعمام للخطاب، للجهة التي صدر منها فهي تفتح فضاء الزمان والمكان ليحتوي أكبر جمهور محتمل أو معاصر وتكثر في النص القرآني بالشكل (يقولون – قل) وأحيانا ترد جواباً عن تقولات خارج النص.

واشتملت سورة البقرة عدّة أساليب لخطاب الرسول صلى اله عليه وسلم، من بينها أسلوب الأمر، ويتضح ذلك في قوله تعالى:" ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)** ﴾(سورة البقرة:153-156)، خاطب الله رسوله بقوله (وبشّر)،"والخطاب للرسول عليه السلام بمناسبة أنه شمله قوله (**ولنبلونكم**) وهو عطف إنشاء على خبر ولا ضير فيه عند من تحقق أساليب العرب ورأى في كلامهم كثرة عطف

الخبر على الإنشاء وعكسه. وأفيد مضمون الجملة الذي هو حصول الصلوات والرحمة والهدى للصابرين بطريقة التبشير على لسان الرسول تكريما لشأنه، و زيادة في تعلق المؤمنين به بحيث تحصل خيراتهم بواسطته، فلذلك كان من لطائف القرآن إسناد البلوى إلى الله بدون واسطة الرسول، وإسناد البشارة بالخير الآتي من قبل الله إلى الرسول"[1]. واختلف في الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم ،نحو : «ياأيها النبي ،«يا أيها الرسول » ،هل يشمل الأمة ؟ فقيل : نعم ، لأنه أمر القدوة لا اتباعه معه عرفا والأصح في الأصول المنع لاختصاص الصيغة به.[2]

[1] - تفسير التحرير و التنوير،ج2/56-57.

[2]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،ج3/15.

الآيـات	رقم الآية
(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)	215
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ)	217
(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما اكبر من نفعهما)	219
(ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وان تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المعتد من المصلح ....)	220
(يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)	189
(يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير...)	215

في قوله تعالى مثلا: ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ** ﴾ يعلق الرازي

(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن ....)	222
(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن ....)	222

على هذا القول، حيث "يرى أنّ في هذه الآية وجهين: **الأوّل**: أنه خطاب مع النّبي -صلى الله عليه وآله وسلّم-

خاصّة لأنه هو الداعي وهو المقصود بالاستجابة و اللفظ، وإن كان للعموم لكنّا حملناه على الخصوص لهذه القرينة، وروى أنّه عليه السلام حين دخل المدينة ودعا اليهود إلى كتاب الله وكذّبوه فأنزل الله تعالى هذه الآية . **والثاني** : وهو قول الحسن أنّه خطاب مع الرسول والمؤمنين وينقل قول القاضي: "وهذا أليق بالظاهر لأنّه عليه السلام، وإن كان الأصل في الدعاء، فقد كان في الصحابة من يدعوهم إلى الإيمان، ويظهر لهم الدلائل، وينبّههم عليها، فصحّ أن يقول تعالى:﴿ **أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ** ﴾ ويريد به الرسول ومن هذا حاله من أصحابه وإذا كان ذلك صحيحا فلا وجه لترك الظاهر" [1].وهذا مثال واضح على علاقة الإضمار بالمقام ، وعلى وجه التخصيص عنصر (المخاطب) وما يليق بحقّه وما لا يليق (العرف الاجتماعي). كما يتبدّى الحرص على أن يتّفق الضمير مع الحقيقة الموضوعيّة الخارجيّة وهي هنا حال المؤمنين في علاقتهم مع المشركين واليهود ، والمفسّر يسمح لنفسه في سبيل الحرص على التواؤم بين السياقين اللّغوي والمقامي أن يؤوّل العلاقات التي تحكم الضمائر؛ فالضمير في" تطمعون" دالّ على الجمع فحين يوجّه ليعود على النّبي تكون هناك مشكلة فيفترض أنّه عموم يراد به الخصوص من أجل أن يبقى النصّ متّسقا. ويوضح هذا الجدول إنسجام الخطاب الموّجه للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن طريق السؤال والجواب الذي كان يسأل به النبّي صلّى الله عليه وسلّم عن أمور دينية تشريعية وأخبار ما سبق من الأمم، ونذكر هنا بعض الآيات التي توضح ذلك الإنسجام في خطاب الله للنبيّ ومشاركته الناس(مؤمنين وكفار).وهذا جدول آخر فيه الإشارة إليه في باب الإتساق سابقا يوّضح دور الفعل الخطابي (قل) في عملية انسجام الخطاب بين المتخاطبين في سورة البقرة.

التسلسل	الآيــة	رقم الآية
1	**وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**	80
2	**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**	91
3	**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ**	93
4	**وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**	111

[1] - تفسير الرازي ، 3/ 133.

ويمثل الناس بمختلف أصنافهم (كفارا ومؤمنين ومنافقين) المتلقي الحقيقي للرسالة السماوية (القرآن) ونحن نقصد بالناس هنا المتلقين المباشرين الذين عاشوا زمنها، أمّا ما ورد من أخبار عن الأمم السابقة يمكن تصنيفهم كذلك حسب حالة الخطاب والعصر الذي عاشوا فيه، مثل عصر النبي موسى وعيسى عليهما السلام، فإنّهما يمثلان المتلقي الأوّل للرسالة ثم المبلغ عنها. وقد فرق علماء القرآن بين طريقة خطاب كل فئة مخاطبة في النص القرآني من السياق اللغوي،كما في "قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ** ﴾ (البقرة: 21)، أخرج الواحدي عن علقمة قال: كل شيء فيه ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ فهو مكي، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾ فهو مدني يعني: أن ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ خطاب أهل مكة، و﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾ خطاب أهل المدينة"[1]. وقد اختلف المفسيرون في "الخطاب ب: .«ياأيها الذين» (البقرة104) ،هل يشمل أهل الكتاب فقيل : لا، بناء على أنهم غير مخالطين بالفروع وقيل :نعم، واختار ابن السمعاني ،قال : وقوله «ياأيها الذين» خطاب تشريف لا تخصيص.[2] ويعطي أسلوب الإستفهام صورة أخرى من صور الإنسجام في طريقة التخاطب بين المرسل الله سبحانه وتعالى والرسول صلّى الله عليه وسلّم، والمتسائلون سواء من الكفار أو المؤمنين الذين كانوا يوّجهون الاسئلة للنبي عليه السلام.ثم يجيبهم عن ذلك بالوحي الإلهي الذي كان ينزل عليه، ورصدنا بعض الآيات في الجدول لتوضيح ذلك.

2- المخاطبون (المتلقي الثاني) المؤمنون/المتقون:

ويبدأ ذكرهم في مطلع السورة في قوله تعالى:﴿ **الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)** (البقرة ،1-5). "وإنما بدى هذا الترتيب لسورة الكتاب لأن علم الكتاب أقرب إلى المخاطبين من تلقيه على أمر الله، فكان في تعلم سورة البقرة العمل لما تهيؤ لتلقي ما تضمنته سورة آل عمران. ليقع التدرج والتدرب بتلقي الكتاب حفظا"[3] وهنا "يخبر تعالى أن ما أنزله على عبده ورسوله من القرآن يمثل كتابا فخما عظيما لا يحتمل الشك ولا يتطرف إليه احتمال لكونه غيره. وحي الله وكتابه بحال وذلك لإعجازه ،وما يحمله من هدى ونور لأهل الايمان والتقوى

[1]- إرشاد الرحمن لأسباب النزول، ص: 46.

[2]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج15/3.

[3] ينظر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ،199/14-202 .

يهتدون بهما إلى سبل السلام والسعادة والكمال" [1].ولم يخصه الخطاب صلى الله عليه وسلم "لأنه ورد على لسانه لتبليغ غيره ،ولما له من الخصائص"[2].

وجاء في سياق رسالة الخطاب الموّجهة للمتقين أنّ الله تعالى أنزل القرآن على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلّم ليبلغ عن رسالته والتي تدعوا إلى توحيده وتنزيهه،كما هو في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ (سورة البقرة: 255) وقد اصطلح على تسمية هذه الآية بآية الكرسي، وكانت هذه أهم رسالة جاءت في الكتاب للمتقين.

ويمثل هذه الرسالة المحور الثاني أين انتقل الحديث "لمخاطبة المؤمنين وتكليفهم تحمل الأمانة العظمى في الكون، وقد تدرج هذا المقطع في خطاب المسلمين تدرجا حكيما نعرفه من مطالعة مقاطع هذا المحور: فابتدأ المقطع بتمهيد يعد مدخلا اعتقادا بربط المسلمين بالتوحيد، ثم تحدث عن تخليص منهج التلقي لله رب العالمين، وذلك ببيان أنه وحده المتفرد بالتحليل والتحرير مع ذكر أمثلة على ضلال السابقين في هذا الجانب، وبهذا تهيأت النفوس لتلقي الأوامر فجاءت آية البر التي كشفت ضلال السابقين، وأنارت طريق الهداية للمسلمين"[3]. وتنوّعت الرسائل المجزأة إلى المتقين الذين آمنوا لتفصيل مضمون شريعته الإلهية، فمن "الآيات القرآنية التي تحمل سنن الله في كمال الإيمان غير المشوب بما يعكّر صفوه وينزهه عن الشوائب "آية البر" التي تتجمع في أعطافها جواهر الإيمان وعناصره الأصلية التي تجعل ممن يعمل لها مؤمنا بمفرداتها مما رسب لسائرها"[4]، قول الله جلّ ثناؤه: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾(سورة البقرة: 177). وهذا ما يجعلنا نقول بأنّ "كنوز القرآن ضخمة ومتنوّعة وموضوعاته كثيرة متشعبة واسعة المساحة، ويبدأ تناسقه العام ثم تناسق محكم على

---

[1] – أيسر التفاسير للكلام العلي الكبير ، أبي بكر جابر الجزائر ، ط1410،3ه/1990م ،راسم للدعاية والإعلان ، المملكة العربية السعودية ،المجلد20/1 .

[2] – الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج15/3.

[3]– اللغة الإعلامية، المفاهيم– الأسس– التطبيقات، أ.دسامي الشريف، د. أيمن منصور ندا،كلية الإعلام، القاهرة، 1425 هـ– 2004م، ص: 53.

[4]–الموسوعة القرآنية المتخصصة، حجية السنن الإلهية، في رحاب القرآن، أ. د. مصطفى الشكعة، المرجع نفسه، ص: 818.

مستوى السورة الواحدة حتى يصل إلى الانسجام على مستوى السورة الواحدة حتى يصل إلى الانسجام على مستوى الآية الواحدة"[1]. ثم جاءت تفاصيل هذا المحور في ستة مقاطع وهذا بيانها بإيجاز:

1- المقطع الأول: تفصيل بعض أمور البر (178- 203).
2- المقطع الثاني: نماذج بشرية ومواعظ إلهية (204- 220).
3- المقطع الثالث: تفاصيل أحكام الأسرة (221- 242).
4- المقطع الرابع: فصحى الإحياء والإماتة والعبرة منها (243- 260).
5- المقطع الخامس: الانفاق آدابه والمستحقون له، (261- 274).
6- المقطع السادس: حفظ الأموال عن الحرام وعن الإضاعة. (275- 283).

لتأتي بعدها الخاتمة " وفيها رد لآخرها على أولها والشهادة للأمة بالإيمان واللجوء إلى الله"[2].

ويحدث هذا الإنسجام بين هذه المقاطع تحت المحور الثاني في رسالة موجهة للمسلمين، فكثرة التشريعات والنظم والقوانين والأعراف التي جاءت بها الرسالة الموجهة للمتقين المسلمين تدل على تنوّع نص الرسالة وثرائه وقيمته، وكذلك عناية المرسل (المخاطب) الباث الله سبحانه وتعالى بالرعية، وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد خان: "والقرآن الكريم رسالة دينية، وفي الوقت نفسه رسالة لغوية...وصلته باللغة العربية صلة وثيقة لا تكاد تنفصم، وقد قدر لها أن ترتبط به حضارتها وتاريخها"[3].

فالخطاب القرآني في هذه الآية، يوضح جزءا مهما من الرسالة الإلهية إلى البشرية إنه التشريع بإقام أفعال تقابل الإيمان بمفرداتها، فهي"تنبه إلى فعل الخير وأنه ليس مقصورا على إقامة الصلوات، وأداء الفرائض وحسب وبذلك يظهر المؤمن أنه قد أدى واجبه نحو ربّه وأنه أدى ما عليه من دين، ولكن الأمر أوسع من ذلك بكثير، إن الأمر يتمثل في تلك التوجيهات الربانية والتوجيهات الإيمانية التي قدمها القرآن الكريم واضحة المعالم والقسمات ظاهرة المعاني والتفصيلات في نص تلك الآية الكريمة من سورة البقرة"[4].

ويحصل الانسجام هنا في هذه الآية، بين مضمونها ونوع الفئة المتلقية والمستقبلة لهذه الرسالة، حتى يكمل إيمانهم القلبي بأدائهم الفعلي، ترسيخا لمفردات هذه الآية فكان جزاؤهم متكافئا مع عملهم، ومنسجما

---

[1]-المرجع السابق، ص: 53.
[2]- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، أ. د. مصطفى مسلم، ج1/ 31- 32.
[3]- لغة القرآن الكريم، دراسة تطبيقية للجملة في سورة البقرة، محمد خان، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2004م، ص: 08.
[4]-الموسوعة القرآنية المتخصصة، حجية السنن الإلهية، في رحاب القرآن، أ. د. مصطفى الشكعة، المرجع نفسه، ص: 818.

بين إيمانهم وعملهم الصالح مع الجنّات التي وعدهم بها الله فقال: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (البقرة: 25) والخطاب هنا موّجه إلى سيد الخلق، نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم ببعث البشرى وسط هؤلاء المؤمنين المتقين الذين يعملون الصالحات فالمتتبع للرسالة المبثوثة في سورة البقرة يجدها منسجمة أشد الانسجام من دون خلال في المضامين والوعود والجزاء والعقاب مع تفصيل في بعض الأحيان للجزاء وخاصة العقاب ويكون ذلك حسب المقام.

وقد تنوع الخطاب القرآني الموّجه للمتقين في سورة البقرة، كما جاء في آية المداينة في قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة:282) يقول ابن عاشور: " وإنّما جيء في خطاب المتعاقدين بصيغة الأمر، وجيء في خطاب الشهداء بصيغة النهي؛ اهتماماً بما فيه التفريط؛ فإن المتعاقدين يُظن بهما إهمال الإشهاد، فأُمرا به. والشهود يُظن بهم الامتناع فنهوا عنه، وكل يستلزم ضده " [1]. وهذا ما يبيّن لنا أنّ السياق له دور كبير يبدأ منذ بداية الإنتقاء اللفظي للكلمات واختيار أحسن المواضع وأفضل الأساليب لتبلّغ المقصود ببلاغة كبيرة، لذلك اختار الأمر للمتدانيين، والنهي للشهداء.

3- المخاطبون (المتلقي الثاني) الكفار:

يوّجه النص القرآني إلى الأشخاص كونهم الفئة المعنية بالخطاب (الرسالة)، ويستعمل في ذلك الكثير من الوسائل اللغوية كالضمائر مثلا التي تحيل مباشرة إلى المخاطب المعني بالخطاب والرسالة، وقد استطرد الخطاب القرآني في خطاب بني إسرائيل "وذلك عبر توجيه الخطاب إليهم مباشرة و عدّ النعم الإلهية التي تفضل الله بها عليهم، في حال أنّ هؤلاء لم يبق منهم إلاّ الأثر و الذكرى، و الهدف من ذلك مثلا تفهيم اليهود في زمن النبّي. وتحذيرهم من المصير الذي آل إليهم أسلافهم في الماضي ممّن يتبعون الآن خطاهم ويقتفون أثرهم في عناد الأنبياء

[1]- تفسير التحرير والتنوير 112/3.

فيكونوا تبعا لذلك مستحقين للغضب والعذاب الإلهيين. ومن هنا فإنّ القرآن يخاطب بني إسرائيل في زمن موسى بضمير (كم) الخاص بالمخاطب الحاضر بدلا من الضمير (هم) باعتبار أنّهم غائبون في عصر نزول القرآن"[1] وهذه إحالة من زمن إلى زمن استعمل فيها الله سبحانه وتعالى مخاطبة الحضور بذكر تاريخ الأسود لجدود بين إسرائيل، قال تعالى:﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)**﴾(سورة البقرة:49-50).يقول السيد قطب معلقا عن هذا الخطاب الموّجه إلى هذه الفئة الضالة قائلا:"إنّ إعادة التذكير بقصة إنجاء قوم موسى عليه السلام على نحو تصوير الحادثة، إنما هو لأجل إحياء هذه الخاطرة في أذهانهم و تأثيرها في قلوبهم، لذلك فإنّ الكلام مع المخاطبين على نحو كأنّهم هم الذين شهدوا فلق البحر يومئذ ونجاة بني إسرائيل بقيادة موسى، وإنّ إحياء وجوه القصّة يعدّ من أبرز خصائص الأسلوب القصصي القرآني العجيب"[2].

ويوجه الخطاب في النص القرآني للرسول صلّى الله عليه وسلّم حتى يراد به إثبات حقيقة خالدة عبر الزمان والمكان من خلال الانفتاح الزمني الذي امتدت لتحتويه هذه القضية التي أثبتها القرآن للرسول- صلّى الله عليه وسلّم -ولكل الرسل الذين سبقوه وبالإشارة إلى ما يدعو إليه الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، ليتحد في مضمونه وما جاء به من سبقه، بتوجيه الخطاب إلى من لا يتوارد عليه الشرك وهو الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- فانبثق لدينا مستويان من التلقي:

- المستوى الأول: خاص بالمتلقي الأوّل الذي يجسد النبّي صلّى الله عليه وسلّم، وهو ما جاء به القرآن ككل وسورة البقرة للإعلان عن بداية تاريخ جديد للإنسانية جمعاء والعرب خصوصا. وما يظهر في سورة البقرة هو أن أغلبية الخطاب كانت تحكي عن اليهود، للتحذير منهم، وتبيان الشريعة التي أرادها الله للناس وخاصة المؤمنين.

- المستوى الثاني: وهو خاص بالمتلقي الثاني من الكفار والمؤمنين على طول السورة. التي شكلت بنية منهجية واضحة لرسم الطريق الصحيح للعالم. وفي خضم هذا التناوب نجد أن العلاقة التخاطبية بين الرسول صلّى الله عليه وسلّم و المعنيون بالخطاب منسجمة بطريقة تفريعية لأنها تدور في مسلكين متناقضين: مسلك لخطاب الكفار ومسلك لخطاب المؤمنين. والمخاطب في هذه البنى هو مستمع ينتمي إلى هذا العالم. ثم إن نص لا يحصر خطابه على مخاطب، بل يمتد ليشمل كل فرد يمكنه تفرده من الدخول في دائرة السامعين ، ومن المفسرين من

---

[1] - ينظر: القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء، في تفسير الميزان، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط2، 1428هـ -2007م،دار الرسول الأكرم، بيروت، لبنان، ص:30.

[2] - في ضلال القرآن، ج137/30.

ذهب إلى أن المخاطب بها هو المتلقي الأول الرسول صلّى الله عليه وسلّم. ومنه إلى كل سامع ، وبمقاربة إحصائية لأنماط حضور هذه البنى يقف البحث على مجموعة من المقاربات والآراء لتحولات هذه البنى دلالياً وخطابياً ، ويمكن أن تجد الدلالات التعبيرية كتهويل الأمر، وتفخيمه وتعظيمه كما أنه يقصد بها إفهام المخاطب أمورا يغفلها عن حقيقة تاريخ اليهود، أو يغفل عظمتها ودورها في عالمه الذي سيعيش فيه مسلما؛ لقصور إدراكه العقلي عنها ، فإذا ما انطلق من الله سبحانه إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم أسبغ عليها هالة من التعظيم ؛ لأن الرسول صلّى الله عليه وسلّم هو المبلغ عن ربه تعالى إلى البشر بكل مميزاته لا يدرك هذه الأمور إلا بتعريف الله تعالى له بها ، كما أن فيها بيان ضآلة عقول المخاطبين ؛ لأن الخطاب مقصود به جمهور محتمل مفتوح على الزمان والمكان.

والمخاطبون من هذه الفئة منقسمون إلى اليهود والنصارى والمشركون من العرب والمنافقون. وهم الفئة الأكثر عددا في الخطاب القرآني الأوّل الذي نزل في المدينة، ثم ينتقل الخطاب بدرجة أقّل فيما بعد إلى خطاب المؤمنين الذين آمنوا فيما بعد من باب حبهم للتطلع على معرفة الدين الجديد. وفي كثير من الأحيان تساؤلا عن أحكام هذا الدين في قوله تعالى:(يسألونك/قل). وقد سبق شرح ذلك.

أ- المخاطبون من فئة الكفار(المشركون):

ويبدأ هذا المقطع بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾ وينتهي بقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة: 21- 29). إن هذا "النص قد طالب بتوحيد الله تعالى، معقبا على ذلك بقوله تعالى: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ وهذا التعقيب له صلة ببداية السورة التي تحدثت عن سمات المتقين،﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ تظل سمة (الاتقاء أو التقوى) منتظمة كل أجزاء السورة- مصفحة بذلك عن الإحكام الهندسي لها في نطاق البناء العام للسورة، وفي نطاق المقاطع الجزئية لها"[1].وجاء في كتاب (إرشاد الرحمان إلى أسباب النزول) "وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ خطاب لمشركي أهل مكة إلى قوله هذه الآية نزلت في المؤمنين، وذلك أن الله تعالى:﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾ لما ذكر جزاء الكافرين بقوله:﴿**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ ذكر جزاء المؤمنين"[2].

ويظهر السياق القرآني هنا الانسجام الحاصل بين المخاطبين من المشركين والمؤمنين، حيث خاطب الله تعالى كلّ فئة من الفئتين السابقتين بطريقة معينة، حيث ذكرهما ثم لاقى بينهما في الجزاء فانسجم الخطاب بينهما ثم خص كل فئة بخطابها وجزائها الخاص الذي تفرع منها ذلك الانسجام في الجزاء. "إن هذا الفريق من

---

[1]- التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، ج1/ 30.

[2]- إرشاد الرحمن لأسباب النزول، ص: 46.

الذين اختاروا الكفر عنادا واستكبارا واستسلموا لشياطينهم الذين أضلوهم – ونعني هنا كفار قريش- قد استمعوا بين ما قد استمعوا إليه من الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم"[1].

"ولقد عنى الكتاب العزيز بوصف أحوالهم وإصرارهم على كفرهم وكشف كيدهم ولؤمهم، وبيان كذبهم على الله ورسوله والمؤمنين، ودحض حجمهم وتنسيقه عللهم، وذلك لأن الشرك والكفر هما أسوأ سبيل لعصيان رب الكون وخالقه"[2]. وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(سورة البقرة: 06-07). وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يكون على علم هؤلاء الكفار قد أصبح ختم الغشاوة على قلوبهم ولن يتمكن منها الإيمان فإنذارك وتحذيرك لهم من عدمه على سواء واحد، ثم أخبره بعظمة العذاب الذي سيتلقونه، فكان الانسجام بين نوع العذاب وكفرهم. والمخاطبون في هذه الآية حسب بعض المفسرين هم من الكفار وقيل " هؤلاء زعماء اليهود وطواغيتهم ، الذين ليس لهم هم إلا أن ينفثوا اسم ضد الاسلام ،ويشعل نار الفتنة كي يطفئوا نور القرآن "[3]. مما يؤيد هذا الرأي قول ابن عباس والكلي حيث قال عن هاتين الآيتين : "نزلت في رؤساء اليهود حي ابن أخطب وكعب بن الأشرف ونظرائهما .[4]

"وفي هذه الآيات يختص "بعرض سمات المشركين وطالبهم الله سبحانه وتعالى في خطابه لهم بتوحيده من خلال مطالبتهم بما هو (ضد) للشرك، وهو (التوحيد)، كما أشار إلى ظواهر الإبداع الكوني ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ حينما طالب بعدم اتخاذ الأنداد لله (وهو الشرك) من خلال إشارته للظواهر الإبداعية المذكورة، ثم عرض لسمات أخرى مثل التشكيك برسالة الإسلام ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ فيما سخر من شركائهم وهم الأصنام التي يعبدونها، حينما طالبهم بأن يستعينوا بأصنامهم في الإتيان بسورة مثل القرآن، مضاف إلى أنه عرض لسمات مثل: نقض العهد، وقطع الصلة، والإفساد في الأرض...الخ"[5].

وقد تعرض هذا المقطع لسمات المشركين من خلال طرحه لجملة من مفهومات التوحيد والإيمان باليوم الآخر، والجزاء المترتب على ذلك إيجابا وسلبا، وختم ذلك قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى**

---

[1]– الموسوعة القرآنية المتخصصة، حجية السنن الإلهية، سنة الله مع الكفر والكافرين، أ. د مصطفى الشكعة، ص: 821.

[2]–الموسوعة القرآنية المتخصصة، المرجع نفسه، ص: 822.

[3] – البرهان في نظام الإسلام ،ص 95 .

[4] فتح القدير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،1383 هـ، ج39/1 .

[5]– المرجع نفسه، ج1/ 30– 31.

السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فالملاحظ أنه ختم كلامه عن المشركين، بالحديث عن ظاهرة (الإماتة والإحياء) سوف تنعكس أصداؤها على قسم كبير من السور (مثل إحياء والبقرة بعد موتها- وإحياء الطيور الأربعة بعد تقطيعها، وإحياء الميت بعد مائة سنة...الخ). وهذا ما زال الخطاب مع الكافرين الذين سبق وصفهم بأحسن الصفات وأسوء الأحوال حيث قال لهم على طريقة الالتفات موبخا مقرعا : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتنا فأحياكم) وذكر من أدلة وجوده وكرمه، ما يصبح الكفر به من أقبح الأمور وصاحبه من أحط الخلائق وأسوئهم حالا ومالا، فمن آدلة وجوده الإحياء بعد الموت والإماتة بعد الإحياء، ومن أدلة كرمه وقدرته أن خلق الناس في الأرض جميعا لتوقف حياتهم عليه وخلق السماوات السبع وهو مع ذلك كله علمه محيط بكل شيء سبحانه لا إلاه إلاّ هو ولا رب سواه .[1]

ثم أنّ النص وهو ينهي حديثه عن سمات المشركين، لابد أن يتقدّم إلى الحديث عن موضوعات جديدة، ومن ثم لابد أن يتم الانتقال وفق طريقة فنية (تربط) بين القسم الأوّل، من السورة وبين القسم الجديد منها، ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[2] وهي جملة أحالت إلى ما سيأتي بعدها في السورة، حيث ربطت بين ما سبق وعلم الله، وهو قمة سيدنا أدم عليه السلام وموقف إبليس من ذلك، فيما يظل سمة (علم الله تعالى)هي: الظاهرة التي تتخلل عصب القصة المذكورة. [3]

وفي سياق قوله تعالى:﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة: 163- 264). نجد أنّ المولى عزّ وجل: قد بدأ خطابه هذا بلفظة (إلهكم): بإضافتهم له تشريفا لهم، ويتمثل ذلك في كاف الخطاب، وميم الجماعة (كم) وهزّا لسامعهم وتهنيئا لما سيقال لهم بعد ذلك، ليتفكروا ويتدبروا، لم لا يقروا بعد ذلك بوجدانية الله تعالى[4]، "والخطاب بكاف الجمع لكل من يتأتى خطابه وقت نزول الآية أو بعده من كل قارئ للقرآن وسامع فالضمير عام، والمقصود به ابتداء المشركون لأنه جهلوا أنّ الإله لا يكون إلاّ واحدًا"[5].

ويظهر من سياق هاتين الآيتين أن الله سبحانه وتعالى يخاطب الكفار والمشركين بحقيقة عقدية وهي توحيد ألهية الله سبحانه وتعالى أين كان الخطاب موجها بحرف الكاف وميم الجماعة إليهم جميعا، حيث أراد

---

[1]- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر جابر الجزائري ، ج1/39 .

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ج1/ 31.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ج1/ 31- 32.

[4]- ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد، ص: 110.

[5]-تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج2/ ص 74.

الله تعالى أن يبين لهم بأن وحدانيته وألهيته ليس الإيمان بها محصور على قوم دون قوم آخرين ولا فئة دون فئة أخرى، وإنّما الإيمان بهذا الاعتقاد واجب على الجميع دون تنصل أو إقصاء، لذلك أضافهم إلى نفسه تشريفا لهم وتفضيلا، وقدّم لهم الآيات الكونية لتأكيد تلك الحقيقة لزيادة في تأكيد هذه الوحدانية، التي تم ذكرها في السيّاق السابق. وهذا ما جعل سياق الآيات ينسجم فيما بينها وتتآلف على حقيقة وحدانية قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ وعلى هذا يعلّق الألوسي قائلا: "موقع هاته الآية عقب سابقتها موقع الحجة، من الدعوى، ذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره وهي قضية من شأنها أن تتلقى بإنكار من كثير من الناس فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لا يسع الناظر إلا التسليم إليها"[1].

من الملاحظات التي استطعنا أن نلحظها وجلبت انتباهنا هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (البقرة: 39)، حيث ورد قبل هذا السياق قصة آدم عليه السلام وقصة بني إسرائيل، التي تذكر الكفار والمشركين من أهل الكتاب بنعم الله عليهم، وورد فيها تعجب عظيم لكفرهم بالله، بعد أن أدركوا وعرفوا قدرته على الإحياء والإماتة والخلق وعلمه بكل الخلق وإن كان السياق سابقا قد خاطبهم (ولا سيما الكفار) بالدعوة إلى الإيمان والعودة إلى أنفسهم ليتبينوا موقفهم غير المنفي وغير القائم على برهان في قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ،الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (**البقرة: 21– 24**).

وفي خضم عرض النص القرآني لسمات المشركين من اليهود وعتابه لهم، طالبهم "بتوحيد الله عبر مضمون العبادة وهي (التقوى) وعدم اتخاذ أنداد لله تعالى (وهو الشرك) من خلال إشارته إلى الظواهر الإبداعية المذكورة، وكان من سمات شركهم التشكيك برسالة الإسلام ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾(البقرة: 23)، ونقض العهد، وقطع الصلة، والإفساد في الأرض في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (البقرة: 27)، ثم إنكارهم ليوم البعث والجزاء عبر ظاهرة (الإحياء والإماتة)﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ**

[1]– روح المعاني القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسني الألوسي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1415هـ، ج2/ص: 76.

﴿**يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (البقرة: 28)، والحديث عن (الاتقاء والتقوى)، و(الإحياء والإماتة) مسبقان رابطا فنيا بين كل مقطع ومقطع من السورة"[1]، حيث يكونان بمثابة الخيط الرابط بين مجموعة من المقاطع التي جاءت في سورة البقرة وتعتبر هذا الربط انسجاما بين هذه المواضيع لأن محتوياتها ومضامينها كل تفرغ في قصتي (التقوى والإتقاء) و(الإحياء والإماتة)، وبهذا يحصل انسجام معجز بين المواضيع المتعددة والمتنوعة في السورة الواحدة كسورة البقرة.

ب- المخاطبون من الكفار (بنو إسرائيل/اليهود/والنصارى):

قال تعالى : ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)** ﴾ (البقرة 40-43)و" لما كان السياق في الآيات السابقة في شأن آدم وتكريمه وسجود الملائكة له ، وامتناع ابليس لكبره ، وحسده وكان هذا معلوم لليهود لأنهم أهل الكتاب ناسب أن يخاطب الله تعالى بني اسرائيل مذكرا اياهم بما يجب عليهم من الايمان والاستقامة ،فناداهم بعنوان نبوتهم لاسرائيل عليه السلام ، فأمرهم ونهاهم ، وأمرهم بذكر نعمته عليهم ليشكروه تعالى بطاعته فيؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الهدى و أمرهم بالوفاء بما أخذ عليهم من عهد لينجز لهم ما وعدهم، وأمرهم أن يرهبوه ولا يرهب غيره من خلقه وأمرهم ان يؤمنوا بالقرآن الكريم وأن لا يكونوا أوّل من يكفر به، ونهاهم عن الاغتياض عن بيان الحق في أمر الايمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا من متاع الحياة الدنيا، وأمرهم بتقواه في ذلك وحذرهم إن هم كتموا الحق أن ينزل بهم عذابه، ونهاهم عن خلط الحق بالباطل دفعا للحق وبعدا عنه حتى لا يؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإذعان لله تعالى بقبول الإسلام و الدخول فيه كسائر المسلمين" [2].

ومن قوله:﴿ **وإذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها**﴾ (البقرة : 72)، قال البغوي: هذه أوّل القصّة وإن كان مؤخرا في التلاوة، وقال الواحدي: كان الاختلاف في القائل قبل البقرة، وإنما أخر في الكلام لأنه تعالى لما قال:﴿**إن الله يأمركم**﴾ (البقرة 67)، علم المخاطبون أن البقرة لا تذبح إلا للدلالة على قائل خفيت عينه عليهم فلما استقره علم هذا في نفوسهم أتبع بقوله:﴿ **وإذا قتلتم نفسا فادّارأتم فيها**﴾ (البقرة : 72) فسألتم موسى فقال:﴿ **إنّ الله**

---

[1]- التناسب القصصي في سورة البقرة، دراسة في هدى علم المناسبة، د. زهراء خالد سعد الله العنيدي، و د. طلال يحي إبراهيم الطويجي، المرجع السابق، ص: 204.

[2]- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي جابر الجزائري، ج1/ . 49

يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ (البقرة : 67)[1]فقد كان في الانتقال من الإنذار والموعظة والاستدلال إلى الاعتبار بأحوال الأمم الماضية المماثلة للمخاطبين المشركين في الكفر وتكذيب الرسل ، يعمد النص إلى إدخال نوع من أنواع المتلقين داخل الحدث القصصي ؛ ليجعله جزءاً من الحدث .

لم يكن الخطاب القرآني زمن التنزيل موجها مباشرة إلى أصحابه، بل كان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم بتبليغ رسالته، فبعد الحديث عن المتقين والمنافقين وجميع الكفار، تم تخصيص المخاطبون في هذه الآيات الكريمات من سورة البقرة وهم بنو إسرائيل حيث "نجد فيها انتقال من موعظة المشركين إلى موعظة الكافرين من أهل الكتاب وبذلك تتم موعظة الفرق المتقدم ذكرها، لأنّ فريق المنافقين لا يعد وأن يكونوا من المشركين أو من أهل الكتاب اليهود"[2].

قال تعالى:﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ (البقرة: 40) وهنا نلاحظ أنّ وتيرة الخطاب قد تغيرت لأنّه موّجه إلى فئة من فريق على دراية بالكتب السماوية لأنّ أغلب الرسل كانت من بني إسرائيل "ووجه الخطاب هنا إلى بني إسرائيل وهم أشهر الأمم المتدينة ذات الكتاب الشهير والشريعة الواسعة، وذلك لأن القرآن جاء يهدي للتي هي أقوم فكانت هاته السورة التي هي فسطاطه مشتملة على الغرض الذي جاء لأجله"[3].

ثم يبدأ من الآية 40 من سورة البقرة حتى الآية 103 بتذكيرهم بنعم الله التي أسبغها عليهم في تاريخهم الطويل "مخاطبا الحاضرين منهم كما لو كانوا هم الذين تلقوا هذه النعم على عهد موسى عليه السلام وذلك باعتبار أنهم أمّة واحدة متضامنة الأجيال، وسيحضر أمام خيالهم مشهد نجاتهم من فرعون وملئه كأنه حاضر، ومشهد النعم الأخرى التي ظلت تتوالى عليهم من تضليل الغمام إلى المن والسلوى إلى تفجير الصخر بالماء، ثم يذكرهم بما كان بعد ذلك من انحرافات متوالية"[4]. "لذلك يقول الدكتور جابر العلواني "وأنت أيها المخاطب – هنا– إنما تخاطب لتعطي وترزق ولتهدي، ولتلبي حيث بأنك – كلها– لا في حياتك الدنيا– وحدها– بل على امتداد حياتك كلها– ذلك الامتداد– الذي لا تستطيع من دونها أن تحيط بمجالاته، وكل المطلوب منك في هذا الخطاب كله أن تحسن تلقيه، والإصغاء إليه، ثم تتفكر فيه"[5].

---

[1] – الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ،ج50/3 .

[2] – تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور، ج 1/ 447.

[3] –المرجع نفسه، ج 1/ 447.

[4] – تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، ابن جني طاهر ناعوس، دار القدس، وهران، الجزائر، 2014م، ص: 296.

[5] – الوحدة البنائية للقرآن المجيد، سلسلة دراسات قرآنية، طه جابر العلواني، دار الشروق، 2005م، ص: 16.

إن خطاب اليهود في سورة البقرة مذكور بأكثرية "لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها، والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب، ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخوطب به جميع الناس، والسور المدنية فيها خطاب من أقرّ بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا بأهل الكتاب، يا بني إسرائيل، يا أيها الذين آمنوا..."[1] **وفي أكثر الخطاب : بـ ﴿يا أيها الذين أمنوا ﴾** (التحريم 08)، على المواجهة وفي جانب الكفار حيث يلفظ الغيبة إعراضا عنهم كقوله ﴿**إن الذين كفروا** ﴾ (البقرة 6) ،﴿**قل للذين كفروا**﴾ (الأنفال38)[2].

وذُكر بنو إسرائيل في المقطع المحدد بـ (الآيات 10- 122): ويتمثل هذا الخطاب من خلال النداء المتكرر في السورة، وهو موّجه إلى بني إسرائيل حيث "يمثل هذا القسم من السورة أكبر الأقسام حجما حتى أنه ليكاد يشكل ثلثي السورة الكريمة...، وهذا يعني أنّ ضخامة السلوك المنحرف الذي يطبع الإسرائيليين، يظل منسجما ومتجانسا مع ضخامة الحديث الذي عرض سلوكهم"[3]. فبدأ هذا القسم بقوله تعالى:﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ (البقرة: 40)، ثم ختم هذا القسم بالآية التالية:﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ (البقرة: 122). حيث بدأت بمقدمة تذكير وعتاب (40- 48) ذكرت بني إسرائيل بنسبهم الكريم ونعمة الله عليهم، ثم بينت لهم العهد الذي أخذه الله عليهم، وعاتبهم على أمرهم الناس بالبّر ونسياهم أنفسهم، وذكرتهم بالله بالنعم ثم حذرتهم من يوم القيامة وكل هذا تذكير لهم وعتاب وفي خضم هذا الحديث جاء في مطلع (الآية 40) من سورة البقرة نداء لبني إسرائيل "يقول تعالى آمرا بني إسرائيل بالدخول في الإسلام ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، ومهيّئا لهم بذكر أبيهم إسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام"[4].

إن الموضوعات التي يتناولها القسم الخاص ببني إسرائيل ترتكز على سلوك هذه الطائفة التي وصفها النص القرآني بصفتي (الكفر) و(التكذيب) بآيات الله تعالى تبعا للخاتمة التي ختمت بها القصة وهي تشكل القسم الثاني من السورة إذ نجد قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (البقرة: 39)، فعلى الرغم من أنّ طابعي (الكفر والتكذيب) هما سياق عام يتناول جميع البشرية إلاّ أن النص القرآني يتجه بعده إلى عرض سلوك بني إسرائيل ممثلا بقوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ**

---

[1]– تناسق الدرر في السور، الحافظ جلال الدين السيوطي، ص: 63– 64.

[2]–الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،ج3/50.

[3]– ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني،، ج1/ 38.

[4]–تفسير ابن كثير، مراجعة العلامة محمد ناصر الدين الألباني، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 1430هـ– 2009م، ج 1/ 138.

الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة: 40)، ليؤكد بعد ذلك أن بني إسرائيل هم الأنموذج الواضح والتجسيد الحي لصفتي (الكفر) والتكذيب)، وقد عرضت السورة طباعهم مجملة ومفصلة لتطالبهم بالابتعاد عن هذا السلوك المنحرف، ومن ذلك مطالبتهم بالوفاء بالعهد، وبالخوف من الله تعالى، وبالإيمان برسالة الإسلام التي نشرتها توراتهم، وتحذيرهم من الكفر بها، ومطالبتهم بتقوى الله تعالى، وعدم لبس الحق بالباطل، وعدم كتمانه وغير ذلك[1]. فهذه على العموم شكلت المحتوى للخطاب الإلهي إلى بني إسرائيل، حيث توالت هذه الرسالة القصيرة في تتابع واتساق منتظم الواحد تلوى الآخر حتى يتمكنوا من استيعابها بالتدرج، وربما يهتدوا رويدا رويدا باستعمال الحجج والأوامر والنواهي المذكورة في سورة البقرة، لذلك نجد أن الغاية الإلهية والهدف من وراء هذه الرسالة هو هدايتهم ونصحهم بالابتعاد تلك السلوكات السيئة، خوفا من وقوعهم في عذاب جهنم، وهنا يمكننا أن نقول بأنّ هذه الرسالة كانت هادفة ومغرّضة لتحقيق جملة من المقاصد التي سبق ذكرها.

ويظهر ممّا سبق أن هناك ربط من حيث الموضوع (المضمون) بين الآيات التي خاطب فيها الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل، ويتجسد ذلك بوضوح بداية قوله تعالى:﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ (البقرة: 49)، إذ تجد عددا من الآيات التي تمّ ربطها بـ (إذ) التي تكررن عدة مرات وهي "ظرف زمان للماضي في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: (اذكروا)"[2] وكلّها آيات لها مرجعية سابقة مع آية النداء ولبني إسرائيل (40) ويمكننا أن مثل ذلك على النحو التالي:

---

[1]– ينظر: التناسب القصصي في سورة البقرة، دراسة في هدي علمك المناسبة، د. زهراء خالد سعد الله العبيدي ود. طلال يحي إبراهيم الطويجي، المرجع نفسه، ص: 203.

[2]– إعراب القرآن الكريم، راجعه وقدّمه: فتحي الدبول، إبراهيم البنا، محمد محمد العيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1427 هـ/ 2008م، المجلد الأول: ص: 48.

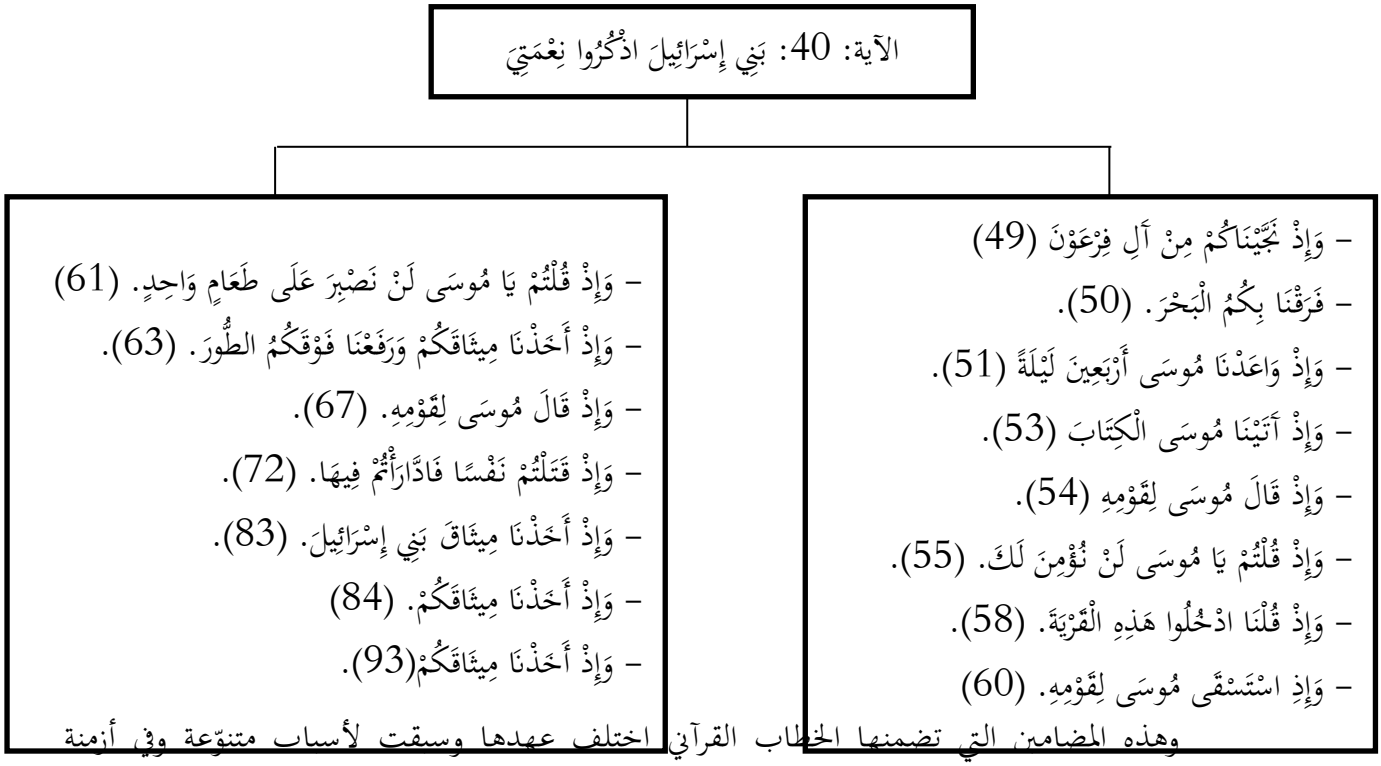

وهذه المضامين التي تضمنها الخطاب القرآني اختلف عهدها وسيقت لأسباب متنوّعة وفي أزمنة مختلفة، لكن طريقة ترابطها واضمحلالها في عمل فني قرآني منسجم رائع لا يستطيع البشر تجسيده.

ج – المخاطبون من الكفار (المنافقون):

إن حديث القرآن الكريم عن المنافقين طويل واسع شامل، وذلك لأهمية هذه الفئة ودورها الذي قامت وتقوم به في صفوف المؤمنين، وقد أشار ابن كثير إلى هذا فقال: "لما تقدم وصف المؤمنين في صدر السورة (يعني سورة البقرة) بأربع آيات، ثم عرف حال الكافرين بهاتين الآيتين شرع الله تعالى. بين حال المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ولما كان أمرهم يشبه على كثير من الناس أطيب في ذكرهم بصفات متعددة كل منها نفاق، كما أنزل سورة براءة وسورة المنافقين فيهم، وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفا لأحوالهم لتجنبهم، ويجتنب من تلبس بها".[1]

والمنافقون فئة ظهرت في المدينة حيث كان اليهود، ولم يكن النفاق معروفا في مكة، وصار هذا السلوك سلوكا يوميا يواجه به هؤلاء رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بإرضائه عند المواجهة وإظهار إيمانهم، وكفرهم عند الخلو والغيبة كما كانوا يبطنونه، وهذا هو أصل عقيدتهم فهم كفّار وزيد عنهم بالكذب، والنفاق أخطر من الكفر كون صاحبه يتستر وراءه ولا يمكن كشفه بسهولة، يقول الله تعالى في وصف تضليل هؤلاء المنافقين وخداعهم:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا**

[1]–تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/ 75– 76.

كَانُوا يَكْذِبُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾(8- 16).

"لقد جعل الكتاب العزيز بآيات كثيرة مبثوثة في مكانها الملائم لها في عدد كبير من سوره، ولكن لما كان لهؤلاء المنافقين من خطر على دعوة الإيمان، ومن زرع بذور الفتنة بين جموع المؤمنين فقد شاءت الإرادة الإلهية أن تفضحهم وتستهزئ بهم بصورة متكاملة، دقة وصف وكمال بيان، وجمال عرض، وإعجاز أسلوب، في هذه المجموعة المتفردة من آيات كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فخلفت عارا لكل منافق، وسبّه من الذين يتلون كتاب الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ويوم يبعثون"[1] وقال الفريابي: "هؤلاء المنافقون هو قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهم في الدرك الأسفل من النار، فالكفار والمجاهرون أخف، وهم فوقهم في دركات النار، لأن الطائفتين استرقتا بالفكر، ومعاداة الله ورسوله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين. ولذلك قال الله تعالى في حقهم:﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ**﴾ (المنافقون:4)"[2].

ذكر الله تعالى المؤمنين المفلحين، والكافرين الخاسرين ذكر المنافقين وهم بين المؤمنين الصادقين والكافرين الخاسرين ثم على طريقة الالتفات نادى الجميع بعنوان الناس لتكون نداؤ عاما للبشرية جمعاء في كل مكان وزمان و أمرهم بعبادته ليقوا أنفسهم من الخسران ،معرفا لهم نفسه ليعرفوه بصفات الجلال والكمال فيكون ذلك أدعى لاستجابتهم له فيعبدونه عبادة تنجيهم من عذابه وتكسبهم رضاه وجنته ،وختم نداءه لهم ينبئهم عن اتخاذ شركاءله يعبدونهم معه ،مع علمهم أنهم لا يستحقون العبادة لعجزهم عن نفعهم أو ضرهم .[3]

بعدما ينتهي النص من ذكر هؤلاء الطواغيث ينصرف الى ذكر المنافقين الذين هم من أتباعهم وعملائهم داخل صفوف المسلمين .﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ**

---

[1]– الموسوعة القرآنية المتخصصة، حجية السنن الإلهية، سنة الله مع الكفر والكافرين، أ. د مصطفى الشكعة، ص: 823.

[2]– صفة المنافق وذم المنافقين، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسين المستفاض، الفريابي، تحقيق: محمد القاضي، وحميد عبد المجيد دار الحديث، د، ت، ص: 103وما بعدها.

[3] – أيسر التفاسير للكلام العلي الكبير ، لأبي بكر جابر الجزائري ، ج1/ 33.

عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16) ﴾ (البقرة : 8-16).

وهؤلاء المنافقون أيضا من اليهود،كما ورد عن أبي عياس رضي الله عنه في هذه الآيات أنه قال " إنها في منافقي أهل الكتاب" [1] وقادتهم وشياطنهم هم الذين سلف ذكرهم من اليهود فهم الذين يخططون لهم ويرسمون لهم الطريق ، ثم يدسونهم في صفوف المسلمين كي يخدموهم ويخدعوا المسلمين .[2] وأخبر تعالى أن فريقا من الناس وهم المنافقون يدعون الايمان بألسنتهم ويضمرون الكفر في قلوبهم ، يخادعون الله والمؤمنين ،بهذا النفاق وكما كانت كما فيه من خداعهم عائدة عليهم ، كانوا بذلك خادعين أنفسهم لا غيرهم ،لكنهم لا يعلمون ذلك ولا يدرون به .كما أخبر تعالى أن في قلوبهم مرض وهو الشك والنفاق والخوف، وأنه زادهم مرضا عقوبة لهم في الدنيا وتوعدهم بالعذاب الأليم في الأخرة بسبب كذبهم وكفرهم .[3]

وخلاصة ما سبق ذكره فالمخاطبون بالقرآن الذين ورد ذكرهم في مطلع السورة وهم الفئات الثلاثة ،ورد ذكرهم في سيياقات لغوية مختلفة عن بعضها البعض، وكأن مطلع سورة البقرة يعكس واقع الناس الذين كانوا يعيشون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه هي تصنيفاتهم المذكورة في نص سورة البقرة ،ذكر تعالى المؤمنين الكاملين في إيمانهم وذكر مقابلهم الكافرون البالغون في كفرهم في الكفر منتهاه ،ذكر المنافقين وهم المؤمنون في الظاهر الكافرون في الباطن ،وهم شر من الكافرين البالغين في الكفر أشده .[4]

ج- الرسالة (الخطاب/ النص):

و"الخطاب/هو الكلام (أو ما ينوب عنه) الذي يتلفظ به كل من المخاطِب والمخاطَب.بعض الكتاب العرب المحدثين استعملوا مصطلح الرسالة ترجمة حرفية للمصطلح الأجنبي (MESSAGE). فالانسجام من المفاهيم التي وظفها علم لسانيات النص الحديث في الكشف عن التلاحم القائم بين الجمل الفقرات والنص بكامله. بمعنى أنّه يشكّل وضعية أو قل خاصية (سيمانطيقية/ دلالية) يتميّز بها الخطاب في

---

[1] – زاد المسير في علم التفسير للإمام ،ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ،دمشق ، ط1/ ،1384 هـ/ ،ج 29/1 .

[2] – البرهان في نظام القرآن ،ص 96 .

[3] – أيسر التفاسير للكلام العلي الكبير ، لأبي بكر جابر الجزائري ،ج1 /25 .

[4]– المرجع نفسه ،ج24/1-24 .

الأعمال الأدبية/والنصوص القرآنية، تقوم على التناسق الفني الذي يقيها التشتت والالتباس في ذهن المتلقي، مما يضعف من جاذبية النص ويفقده حيويته[1].

والنص نظام لغوي تمضي فيه الأفكار بتسلسل محكم فهو نظام معيّن تحكمه الروابط المتنوعة حتى تتحقق الانسجامية، فيكسبها جمالية وخصوصية في طريقة الأداء، وبهذا تتشكل جمالية التشكيل اللغوي قائمة على توظيف طاقات في عرض المعاني والأفكار المجردة في تركيبة لغوية قائمة على توظيف طاقات اللغة، وإمكاناتها في تقديم مشهد نصي أو استحضار منظر خيالي بطريقة خاصّة لتكشف عن إيحائية جدية في التعبير تكون أكثر فاعلية، وأكثر تأثيرا لا يحس به السامع في اللغة التجريدية"[2]. فالنصيّة التامة لأي نص يجب فيها "أن لا يكون كل نص كومة، وإنما متتابعة ملفوظات منظمة ومتراتبة وواقع يترجم بمخططات النص التي تقوم بدور أساسي في تركيب المعنى النصي الأكبر، والتي تناسب ما كان القدماء يدرجونه ضمن "الترتيب""[3]. والرسالة فيه هي "ما يرجع إلى الخطاب نفسه، وهو ذلك الكل الجامع بين العناصر الثلاثة السابقة، وبالتالي فإنّ الخطاب هو الرسالة الموّجهة من المرسل إلى المرسل إليه في عبارات لغوية وآليات خطابية منتقاة ضمن سياق معيّن، ويفهم من خلال تفكيك لغة الخطاب للوصول لبنية الخطاب تمثلا أفقيا من خلال الخطاطة التالية: [4]

- المرسل/ الباث ← ينتج رسالة/خطابا يستقبله → المرسل إليه/المخاطب.

ويشترط في هذه العلاقة أن يكون بين هذه العناصر إنسجام بينها، لحصول العملية التواصلية، وأن تتعاون العناصر السياقية في تحصيل الإنسجام بينها. و"يبدو أن مبدأ التعاون (CO-OPERATIVE PRINCIPLE) جوهريا بالنسبة للتواصل الطبيعي، مظهر لقدرتنا (COMPETENCE) على الأقل في المجتمعات الغربية الحالية، إنه نوع من الاتفاق الضمني للعمل سويا بعقلانية لإتمام تبادل منسجم وفعلي، ومثالي أو نظري، ربما يكون التحاور اللاّرسمي في أحيان كثيرة بلا هدف وغير منسجم، بما أنه تم اعتباره كذلك، فهذا يوحي بأن مبدأ التعاون هو "معيار" صحيح"[5] .ويتم ذلك على المستوى التداولي حيث يدرس النص دراسة وصفية "من واقع النظر إلى كونه مقبولا تداوليا خلال السياق الذي أنجز فيه، وهو مستوى العمل بمعنى أنّ القول لن يوصف فقط بمراعاة بنيته الداخلية والمعنى المسند إليه، وإنما سيوصف أيضا باعتبار الفعل المنجز

---

[1] – جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ- 2014م، ص: 217.

[2]– جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، د. لطفي فكري محمد الجودي، ص: 58.

[3]– معجم تحليل الخطاب، ص: 422.

[4] – المرجع نفسه، ص: 84.

[5]– معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة، خالد الأشهب، ص: 163.

بإنتاج مثل هذا القول"[1]. لذلك لم يعد في نظرية النص التوقف عند الكشف عن الترابط النحوي والدلالي هو الحد الكلّي لنصيّة النص، وإنما لابد من دراسة النص على مستوى عملية التخاطب أيضا، باعتبار حدثا كلاميا يضاف إلى التركيب البنيوي واللغوي للنص، "وهذا المستوى يعيد مناسبة المنطوقات، أو الجمل الصغرى إلى السياق التواصلي الذي تنجز فيه"[2].

إنّ وحدة أي نص "لا يمكن أن توجد بشكل كاف إلا بمراعاة قاعدته الدلالية أما وسائل الربط التركيبية فهي تسهل على السامع التعرف على بناء القاعدة الدلالية في النصوص وفهم ذلك البناء، وقد عبّر هاليداي ورقته حنين عن أهمية البعد الدلالي لقولهم أن أفضل ما ينظر إلى النص على أنه وحدة دلالية، ووحدة ليس في الشكل محل في المعنى"[3]. والانسجام النصي أحد المعايير المهمة التي تحقق الاستمرارية في عالم النص، وهو يمثل مع معيار الاتساق الذي يختص ببيان مظاهر الترابط السطحي البنية الكلية لنص ما، فالانسجام وفق هذا يهتم ببيان الترابط المفهومي في النص أي إيضاح العلاقات الدلالية التي تربط معاني النص أو الخطاب أو القول. وقد توصل (فندايك) إلى نتيجة مفادها أن تحليل النصوص يعتمد أساسا على رصد أوجه الربط والترابط والانسجام والتفاعل بين البنية الصغرى الجزئية والبنية الكبرى التي تجمعها في هيكل تجريدي"[4].

ولما ظهر الإسلام ونزل القرآن الكريم "كان ذلك حافزا للإنتباه أكثر بكل هذه العناصر التواصلية فهو نص وخطاب، وإذا كان الخطاب يمتاز عن النص بأنه يفترض وجود السّامع لحظة بروز الخطاب.فإن القرآن كذلك له قارئ ومخاطب في كل لحظة وآن"[5] . والخطاب القرآني "نمط تعبيري خاص، يتكون من اللغة في تراكيبها وأنساقها، وبالتالي في دلالاتها وهذا ما يحمل المتلقي علم التعامل مع بنية الخطاب على وفق ما يتطلبه سياق الممارسة نفسها، ولا سيما إذا أخذنا بالحسبان أن النص القرآني يظل نصا مفتوحا تتناوله الأجيال المتعاقبة بحسب مرجعياتها الثقافية"[6].ونظرا لكون النص القرآني يحتوي على مقدمة ومتن وخاتمة فقد كان مفسرو القرآن دائما يولون اهتماما كبيرا لمقدمة السورة وعادة ما تكون اسم السورة أو الآيات الأولى منها. لأنها تساعدهم على خلق الانسجام من البداية وهذا عملا بمبدإ التغريض (المقصدية النصّية)، لأنها " تشير إلى الغرض المقصود وهو ما يسمى براعة الاستهلال لأن ذلك يهيئ السامعين لسماع تفصيل ما يسرد عليهم فيتأهبوا لتلقيه إن كانوا من أهل التلقي فحسب، أو لنقده وإكماله إن كانوا في تلك الدرجة، ولأنّ ذلك يدل

---

[1]– لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 29.

[2]– علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، ص: 231.

[3]– مدخل إلى علم اللغة النصي، فالفجانجهاتية، وديترفيهيبجر، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، ص: 37– 38.

[4]– ينظر: علم اللغة النص، (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن بحيري، ص: 22.

[5] – الدرس النصي في كتب أصول الفقه على ضوء لسانيات النص، خالد الرفاعي، رسالة دكتوراه، إشراف: إسمهان الصالح، جامعة حلب، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، 2007م، رقم20941، ص: 214.

[6]– جمالية الخطاب في النص القرآني، د، لطفي محمد، ص: 101.

على تمكن الخطيب من الغرض وثقته بسداد رأيه فيه بحيث ينبه السامعين لوعيه وفيه سنة للخطباء ليحيطوا بأغراض كلامهم"[1]. لهذا جعل (هاليداي) السياق من جملة التوقعات التي تفسّر ما سيقوله لنا الآخرون، وهو يسهم في جعل عملية الاتصال ممكنة وسهلة، لذا فمهمة اللغوي تتركز في معرفة الوسائل التي تمكن المشاركين في الخطاب اللغوي من تأسيس تلك التوقعات، وفي مقدمة تلك الوسائل يأتي السياق[2]. ولنلاحظ كلمة (النّاس) في هذا الخطاب القرآني ، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ (البقرة: 21)، فالعبادة في الآية معناها: التوحيد، وهو أول ما يلزم العبد معرفته، والإيمان به، ولهذا كان أول خطاب خاطب الله به الناس جميعا في أوّل سورة في القرآن، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في نفس السورة: ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾ قال الكرماني: وهو علم الكمال، أي العلم بالله وأسمائه وصفاته، ولذلك عبر عنه بقول: (الذي) "والناس اسم جمع لا واحد له من لفظه"[3]. واختلف في الخطاب :«ياأيها الناس»(البقرة21)، هل يشمل الرسول صلى الله عليه وسلم على مذاهب : أصحها –وعليه أكثرون–نعم لعموم الصيغة له ، أخرج ابن أبي جاتم عن الزهري قال : إذا قال الله «يا أيها الذين أمنوا افعلوا » ، فالنبي صلى الله عليه وسلم منهم .[4] والأصح في الأصول أن الخطاب : «ياأيها الناس» يشمل الكافر والعبد ، لعموم اللفظ ، وقيل : لايعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ،ولا العبد لصرف منافعه الى سيده شرعا.[5]

وحينما يكون "الخطاب من إله الكون والإنسان والحياة، وخالق العالمين ومرسل المرسلين فإن الأمر يختلف اختلافا كبيرا، فالخطاب هنا يصبح شيئا آخر، ويصبح مجرد اتفاق مع أشكال الخطاب البشري وصوره، وصيغة تعبيرية وجها من وجوه تعاليه وإعجازه وتجاوزه، ويصير تنزله ولإنزاله إلى البشر، وتنزيله إليهم شأنا ربانيا وروحيا من أمره، واللفظ – آنذاك– يصير قدسيا يتعبد به حتى ولو كان حرفا منفردا، نحو (أ. ل. م) فإنها تصير ألفا ولاما وميما، ثياب على تلاوة كل منها، والخطاب آنذاك لا يعبّر عن حاجات للمخاطب يريدها منه"[6].

و"يظهر مبدأ التعاون دون شك حجة في أوضاع تقديم النصيحة والمعلومة...إلخ، كما هو الحال في الخطاب الأدبي. فالقارئ يتوقع إتّساقا في التقديم، تماما كالكاتب"[7] "لأن عملية التفسير في حقيقة الأمر عملية معقدة متشابكة إذ إنها تقع بين المنتج والقارئ، ويظل هو العنصر المشترك بينهما، المعين على استرجاع القارئ

---

[1] – تفسير التحرير ة التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1، ص: 153.

[2]– ينظر: علم النص ونظرية الترجمة، البروفيسور، يوسف نور عوض، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط 1، 1410هـ، ص: 30.

[3]– تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج 1/ 77.

[4]– الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،ج15/1.

[5]– المرجع نفسه، ج15/1.

[6]– الوحدة البنائية للقرآن المجيد، سلسلة دراسات قرآنية، طه جابر علواني، دار الشروق، 2005م، ص: 16.

[7] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة، خالد الأشهب، ص: 163.

للاحتمالات المختلفة التي كانت متاحة أمام المنتج ليختار منها"[1] .والقرآن الكريم" رسالة اتصالية. قال الله تعالى: ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾[2]. موجهة للبشرية ذلك أن القرآن الكثير يمثل عملية إتّصال بكامل عناصرها من مرسل ومرسل إليه ورسالة وقناة إتّصال وأثر"[3] "فقد نسج نظمه نسجا بالغا منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف لفظا ومعنى لما يفي بأقصى ما يراد بلاغة إلى المرسل إليهم"[4] . "فكما أن طبيعة الخطاب القرآني تأتي بوصفها كلاما دالا على ذاته، تأتي أيضا كلاما دالا على مبدعه، فهو – أي الخطاب القرآني– يضع نفسه في قلب التواصل اللساني، ولذا نجده يحتوي بالإضافة إلى سلطته الإبلاغية عنصرا آخر لا يتم التواصل اللساني إلا به، ولا يكون بلاغا بشكل مكتمل إلا بوجوده، هذا العنصر هو (المتلقي)، وهو عنصر متضمن في الخطاب نفسه، ويؤدي دورا يكون تَحَيُّن الخطاب وتعيينه الدلالي على مثاله، هذا ما يجعل القرآن بوصفه خطابا وهو يرتحل في الأزمنة، يختلف في لحظة استقباله قراءة وتأويلا عن لحظة نزوله وحيا، إذ أنه كامل كمال صاحبه في هذه اللحظة، ولكنه عندما يغادر مرسله يكون أيضا على مثال قارئه ومفسره وهو ما يجعله خطابا آخر غير الخطاب المنزل، فعملية التلقي إذا تفترض حتما مسافة فاصلة للفهم بين الخطاب المنزل بوصفه كاملا باعتباره زماني مخلوق، وهذا الأمر يعني بدون شك أن تعددية مستويات الخطاب في النص القرآني تتم تعددية للدلالات الثانوية للخطاب تبعا لرؤية المتلقي"[5].

إن شكل الاتصال الذي نتحدث عنه خاص، وخصوصيته تنبع من كونه حاصلاً بين طرفين لا ينتميان إلى نفس المرتبة الوجودية (الذات الألهية + والرسول صلّى الله عليه وسلّم)[6]. وقد جاء مفهوم الوحي في الثقافة العربية مستوعباً لكل النصوص الدالة على خطاب الله تعالى للبشر، وهو في إطار اللغة قبل القرآن كان دالاً على كل عملية اتصال تتضمن نوعاً من الإعلام ، والإعلام بالوحي خفي سري بين طرفين[7] "وليست الرسالة المتضمنة في عملية الاتصال بالوحي سواء كانت رسالة لغوية أم كانت رسالة خاصة (بالمتلقي الأول)، ولكنها رسالة مطلوب تبليغها للناس وإعلامهم بها[8].

---

[1] – علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب ة البلاغة وعلم اللغة النصي، برند شبلنر، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1987م ص: 108، 109.و ينظر دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البينة والدلالة، د/سعيد حسن بحيري، ص: 83.

2 – سورة القصص، الآية: 51

3 – ينظر: تقنيات الاتصال التعليمي في القرآن والسنة، عبد العظيم عبد السلام الفرجاني، المغرب، 2000م، ص: 141.

[4] – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج93/1.

[5]– جمالية الخطاب في النص القرآني، د، لطفي محمد، ص: 96

[6] – مفهوم النص ، نصر حامد أبو زيد ص:45.

[7] – لسان العرب: 15/379–380 ، مادة (وحي).

[8] – مفهوم النص ، نصر حامد أبو زيد ص:55.

ويذكر نعمان بوقرة ما لدور(النص/الرسالة) في خلق الإنسجام بين النص والمتلقي، عندما تطرق إلى ظاهرة التكرار حيث قال: "كما أن التكرار الإيقاعي المتناسق المميز للقصيدة يشيع فيه لمسة عاطفية وجدانية تحققها تكرارت المتوليات اللفظية والتركيبية مما يجعل لدى المتلقي قدرة على التأويل بشكل جد فعال. وهذا ضرب من ضروب الانسجام الوجداني بين النص والمتلقي"[1].

ونجد في سورة البقرة أن الرسائل التي جاءت فيها، موّجهة إلى عدّة فئات من المخاطبين منهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وموسى عليه السلام، والمؤمنين، والكفار واليهود والمشركين والنساء....إلخ، إنّها سورة ملغّمة بالرسائل، ولا يسعنا المقام أن نذكرها كلها، وسنميّعها إلى نوعين من الرسائل، وهما : رسائل خوطب بها الكفار على اختلاف أطيافهم، ورسائل أخرى للمؤمنين المتقين. وقد أثبتت الدراسات في المجال التحادثي أنه يوجد أصناف مختلفة من المتقبلين، إذ يمكن أن يوجد: متقبلون حاضرون أو غائبون، متقبلون وحيدون أو متعدون، متقبلون حاضرون يتوجه إليهم و/أو آخرون حاضرون يتوجه إليهم، متقبلون لهم حق تناول الكلمة حسب دورهم، وآخرون لا يتناولوها إلا بطريقة مؤجلة (بالكتابة مثلا)، وآخرون لا يمكن أن يكونوا إلا في وضع استماع (أثناء محاضرة مثلا)... ويمكن أن يكون حقيقيا أو مقدرا أو خياليا وتمثيلا للنوع الأخير. أن يكون القارئ هو المتقبل لرواية مسرودة.

ويمثل القرآن الكريم كله رسالة من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله محمدصلى الله عليه وسلم، المكفل بتبليغ شريعة الله في الأرض للبشر، كان ملك الوحي جبريل عليه السلام هو الذي ينقل ما أوحى إليه من الله سبحانه وتعالى إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان القرآن يصله تواترا حيث مثل كله الرسالة الإلهية إلى نبيه لتبليغها جميعا دون نقصانو زيادة إلى البشر جميعا. وعليه فإن هذا العمل اللغوي الذي يتجسد في بنية نص الرسالة الإلهية لبني إسرائيل يظهر ملما بكل جوانب الهداية، ومشتقا معجزا بلغته، منسجما في معانيه ومقاصده وهو نص رسالة راقية ومثالي يطوق الرسائل التي يتبادلونها البشر.

وأما الرسائل الأخرى التي تندرج في سوّره، فهي رسائل متوجّه إلى المخاطبين بها في تلك الأزمنة خاصة في القصص القرآني، ومن ذلك ماجاء في آآية الكريمة :﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)** ﴾ (البقرة الآية :34).إذ كانت الرسالة موّجه من الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة "ويظل النشاز قائما في عدم إنجاز هذه الرسالة التي بثت إلى إبليس، كما بثت إلى الملائكة (على أساس أنه قبل لحظة العصيان و الحرمان كان هو أيضا ملاكا) ؛ لكن إبليس جرؤ على رفض إنجاز الرسالة، على اعترافه

[1] – لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، نعمان بوقرة،، ص: 194–195.

بتلقيها ، وإصراره مع هذا الرفض والعصيان، على بث رسالة أخراة مناوئة لرسالة الله.."[1] وهدا يقربّ المعنى الذي يستطيع المتلقي للقرآن في ذلك الزمن أن يفهم طريقة العصيان الأولى التي تجسدت في الرفض المطلق لتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى في العالم الغيبي السابق، حتى يفسر كل سلوك من هذا القبيل بأنّه سلوك إبليس المتمثل في العصيان عند الطاعة الواجبة الأداء وهي طاعة الخالق، وهنا ينسجم النص مع الموقف المراد بلوغة من الرسالة.

وأمّا الرسالة الأخرى التي وجّهت للمؤمنين :﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)** ﴾ (البقرة 04) فقد جاء"مضمون هذه الآيات هو الرسالات التي أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم فإيمان المتقين هو تصديق "بالوحي الذي أنزل إليك أيها الرسول وهو الكتاب والسنة "[2] وإيمانهم بما أنزل من قبلك هو التصديق" لما أنزل الله تعالى من كتب على الرسل من قبلك كالتوراة والإنجيل والزبور"[3] وذلك إيمانهم " بالحياة في الدار الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب، هم عالمون متيقنون لا يشكون في شيء من ذلك ولا يرتابون لكامل إيمانهم وعظم اتقائهم"[4].ولا نستطيع هنا أن نفصل في عرض كل الرسائل التي يتضمنها القرآن، ونشير فقط إلى ذلك التنوّع في طريقة بثّها وعرضها التي انسجمت بها في زمن كان العرب فيه يوصفون بأنّهم أهل فصاحة وبيان، ورغم تنوّعها جاءت منسجمة فكل رسالة موّجهة إلى فئة معيّنة وفي زمن مخصوص انسجمت مع الظرف الذي قيلت فيه وفي السياق الذي يناسبها.

16- مخطط النص/ الخطاب والوحدة الموضوعية PLAN DE TEXTE/ DISCOURS:

وهذا يعني بأنّه لكن نص نظام يسير عليه بانتظام، وكأنه مهندس من طرف صاحبه وروعي فيه كلّ المعايير التي تجعله بناء قائما بذاته، لأنّ النص حتى وإن "كان قصيرا هو تتابع أجزاء (جمل متسلسلة و/ أو مقامع. و أكثر منه تتابع جمل. ومخطط نص قد يكون اصطلاحيا (يحدد جنس الخطاب)"[5]. ولذلك يرى الدكتور درّاز رحمه الله أنّ لكل سورة تخطيطا حقيقيا بديعا حيث يقول: "فقد كنّا نبحث عمّا إذا كان هناك نوع من الترابط في الأفكار التي تتناولها السورة الواحدة، ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أنّ هناك تخطيطا واضحا محددا يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي سنعالجه في خطوطه الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء من جزء آخر، وإنما يحتل

---

[1]– نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان ،د/ عبد المالك مرتاض ، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ،ط1،2001م،ص:74.

[2]–أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، لأبي بكر جابر الجزائري ، ج21/1.

[3]–المرجع نفسه ج21/1..

–المرجع نفسه. ج21/1.[4]

[5]– معجم تحليل الخطاب، ص: 423.

كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة"[1]. وهذا البقاعي يشبه لنا السورة القرآنية بدائرة كبرى فيها دوائر صغرى، ويشبهها بساق شجرة تتفرع منه الأغصان حيث يقول: "فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليها أوّلها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدّمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج"[2]...ويقول أيضا: "فصارت كل سورة دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الذرّ، البديعة النظم العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها وحسن تواصل ثمارها وأغصانها"[3]. فنرى قوله واضحا في الوحدة الموضوعية ونحو هذا قال سيد قطب، بأنه لكل سورة محور تنشد إليه موضوعات السورة وتدور في فلكه.

لأنّ الانسجام لا ينبع من محتوى النص فحسب، وإنما ينبع أيضا من ذلك التجاوب الذي يظهر على متلقي النص أو الخطاب سواء بالرفض أو القبول، لأن عملية تلقي واستقبال النصوص لا تفرض بالضرورة من المتلقي قبول النصوص أو رفضه وإنما هذا القبول وهذا الرفض هو دليل على الانسجام الموجود بين المرسل (المنتج) وموضوع الرسالة ومتلقي النص.

ويتحدد الخطاب في النص القرآني "على أنه رسالة لسانية في حدّ ذاته، ولكنّها من جانب آخر هو شهادة عن رسالة عقائدية، ولاسيما أنه نص توافرت فيه عوامل الوضوح في الفهم، فلم يكن مبهما ولا مستعصيا بل جاء خلوا من الطلاسم والملغزات"[4]. وقد لا حضنا الكيفية التي يتواصل بها الخطاب القرآني باستمرارية انسجامه نحو التشكيل النصّي العام لسورة البقرة، لينتقل بعد الرسالة الموّجهة لبني إسرائيل إلى الحديث عن الكعبة، وكان ذلك في المقطع الرابع من هذا المحور "وفيه يذكر انتقال القبلة والإمامة في الدين لأمة سيد المرسلين ويظهر ذلك في الآيات (142- 162). وتحدث فيه الله تعالى عن تحويل القبلة وبينت الآيات أنّ تحويل القبلة إيذان بتحويل الخلافة لأهلها المستحقين لها، وقد ردت الآيات على شبهات اليهود وأبطلتها كلها، وقوّت قلوب المؤمنين ومهدّت لهم طريق المواجهة، ثم انتقل آخر المقطع لخطاب المؤمنين وإعدادهم لحمل الأمانة الكبرى بالجهاد والصبر، وبثت لهم أن الصدّ ليس المسجد الحرام وإنما عما حوله أيضا كشعائر الحج"[5]. وهنا يعرض المولى عزّوجل الأسباب الحقيقية التي كانت سببا في عزل بني إسرائيل وإبعادهم عن الخلافة، وكيف تحقق الربط والإتساق اللغوي في هذا السياق، الذي تنوّعت مواضيعه لكن تحت محور واحد وهو كما سمّاه سيد قطب بالخلافة في الأرض.

---

[1]– مدخل إلى القرآن الكريم، عرض تاريخي وتحليل مقارن محمد عبد الله درّاز، دار القلم، الكويت، ط1، 1404هـ-/1984م ،ص:119.

[2]– مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي،1/ 149.

[3]–المرجع نفسه، ص: 1/ 149.

[4]– جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد، ص: 100.

[5]– ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، ج 1/ 30– 31.

وتوضّح الخطاطة التالية الطريقة التي بنيت عليها الرسائل والمضامين في سورة البقرة، وكيف انسجمت في حديثها عن الفئات الكافرة والمؤمنة تحت سورة واحدة، جمعت تقريبا كلّ الأحكام التشريعية.

مخطط توضيحي لمضمون الرسالة الإلهية لليهود الذي يمثله المحور الأول.

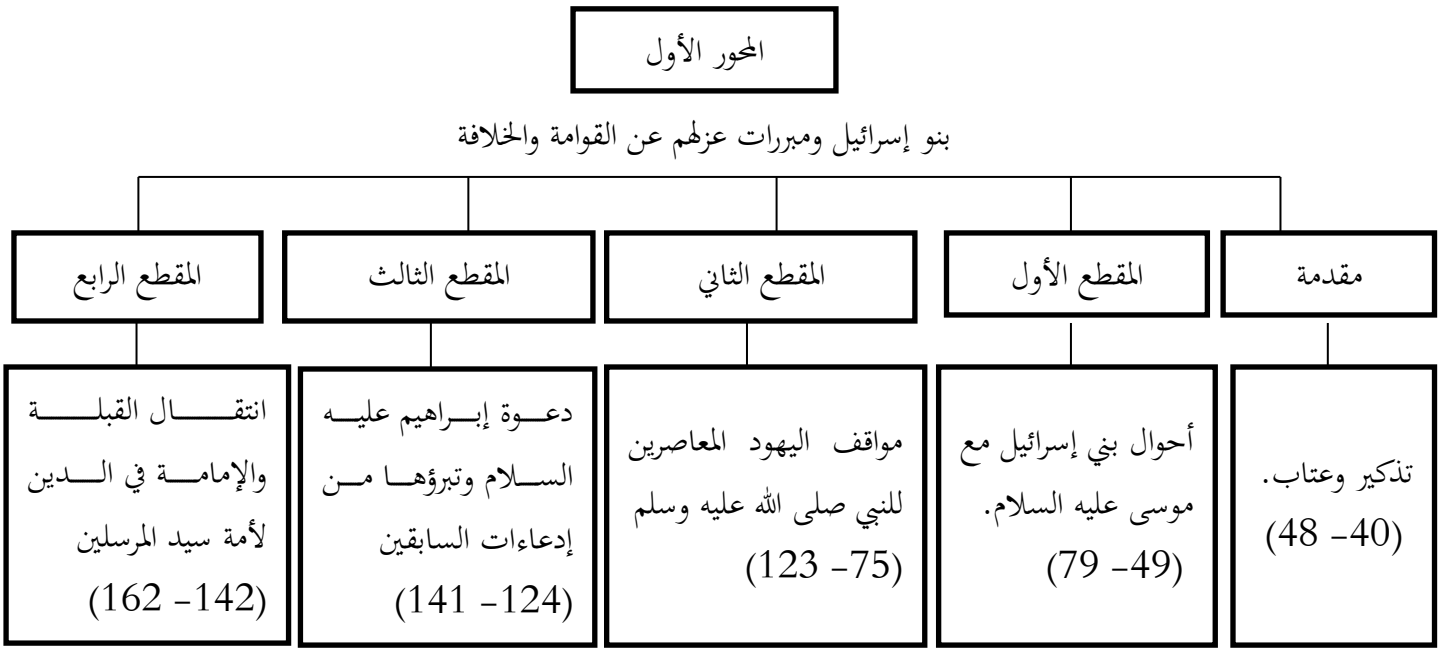

إذا ما نظرنا إلى هذه المقاطع التي تمثل الخطاب الموّجه إلى بني إسرائيل، سنجدها تتحدث عن أخطر فئة بشرية عرفتها البشرية بمكرها وخداعها وجحدها لنعم الله، وقد تدرج الذكر الحكيم في سرد أخبارهم منذ العهود القديمة إلى عهد النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، لذلك كان هذا الخطر متناسب مع عدد الآيات التي ذكرت فيها أفعالهم، كما وضحنا سابقا، وهذا ما يوضحه المخطط السابق هو عبارة عن بيان للرسالة الإلهية التي كان مضمونها حسب المحور؛ حيث يبدأ بذكر بني إسرائيل والمبررات التي كانت مسببة لإبعاد الخلافة منهم. لذلك نجد الإنسجام واضحا بين المقاطع الأربعة والمقدمة التي يخاطب فيها الله تعالى بني إسرائيل وكل هذه المقاطع انسجمت في سياق لغوي عجيب ومتدرج لسحب الخلافة منهم وإسنادها إلى أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– ويمثل آخر هذه المقاطع نقطة تحول من خطاب إلى خطاب ومن رسالة إلى رسالة دون أن نشعر بالفصل بينها، فالرسالتان متصلتان ببعضهما البعض وهما موجودتان في سياق نص سورة البقرة.

وقد أشار الدكتور نعمان بوقرة إلى الدور المحوري الذي يلعبه المتلقي عند استقباله النص في عملية الانسجام الحاصلة بين عناصر الخطاب الثلاثة لأن الانسجام يتضمن حكما عن طريق الحدس والبديهية وعلى درجة من المزاجية حول الكيفية التي يشغلها النص، فإذا حكم قارئ على نص ما بأنه منسجم فلأنه عثر على تأويل يتقارب مع نظرته للعالم، لأن الإنسجام لا يوجد في النص فقط، ولكنه نتيجة ذلك التّفاعل مع مستقبل

محتمل "[1] "فالقارئ في هذه الحالة يجسّد المرتكز الأساس الذي يعتمد عليه في تحقيق الإنسجام النصّي من خلال فعل القراءة المراعى للآليات المكوّنة لهذه البنية داخل النصّ[2].وهنا يمكننا أن نراعي وظيفة المتلقي التي لا تكمن فقط في استقبال النصوص على اختلاف أنواعها وأنماطها، وتخزينها في ذاكرته، بل تناط إليه عملية الكشف عن مدى إنسجامها من عدمه. وكل رأي يبديه حول نص ما تمليه عليه ثقافته وخلفياته المعرفية التي يحيط بها من العالم الخارجي.

[1] – المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة، ص: 92.

[2] – جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ– 2014م، ص: 216.

الفصل الثاني:

مبادئ الإنسجام وأثرها في النص القرآني.

أوّلا– مبدأ التأويل:

1– تعريف التأويل:

– لغة :

ورد التأويل في معاجم اللغة على عدة معانٍ تركز بمجملها على التفسير والرجوع ففي لسان العرب: "التأويل فهو تفعيل من أَوَّل يؤوِّل تأويلاً...والتأويل والمعنى والتفسير واحد...يقال أُلْتُ الشيء أَؤُوله إذا جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واحد لا إشكال فيه... والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه"[1].وأصل هذه الكلمة مادة (أول) وهذه اللفظة "مأخوذة من الأول وهو الرجوع قال ابن منظور الأول: الرجوع، آل الشيء يؤول أولا ومآلا رجع، وقال أبو عبد : تأويل : المرجع والمصدر.[2] وقيل أن التأويل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، قال الزبيدي :"آل الملك رعيته يؤول إيالا ساسهم وأحسن رعايتهم، وآل المال أصلحه وساسه"[3] "وعلى ذلك: قلنا : إن التّأويل مأخوذ من الأوّل"وهو الرجوع فلأن فيه إرجاع الآية إلى ما تحمله من معاني وإن قلنا أنه مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، فلأن المؤول يسوس الكلام ويضعه في معناه اللائق به "[4]. وفي القاموس المحيط:"آل إليه أولا ومآلا، رجع، وعنه ارتد. ثم قال: وأول الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدره وفسره ، والتأويل عبارة عن الرؤيا"[5].

ويخلط الكثير من المفسرين بين التفسير والتأويل لذلك يجب التفريق بينهما، وحتى نظهر الفرق بين التأويل والتفسير نجد أنّ التفسير أصله الكشف والإظهار وهو علم نزول الآية وشأنها و قصتها والأسباب التي أنزلت فيها والأقوام الذين أريدوا وجاهها . والتأويل من الأوّل وهو رجوع يقال: أولته فآل أي صرفته فانصرف، فتأويل الآية : صرفها إلى معنى تحمله موافقا لما قبلها أو بعدها .[6] ومن هنا يبرز كيف أن التأويل قد أتخذ له اصطلاحا معنى التفسير.. فكأن التأويل هو إرجاع للكلمة المرادة إلى أصل بعيد عن المعنى الحرفي لها. أي أن التأويل إرجاع أبعد من إرجاع المفردة العادية، أو قل هو إرجاع ثنائي لمعنى الكلمة، حيث يتم إرجاع الكلمة إلى الذهن لمعرفة معناها عن طريق الممارسة ـ ثم يتم إرجاع المعنى إلى الذهن للتوصل إلى ما يعرف بمعنى المعنى.

---

[1] –لسان العرب، ابن منظور، 33/11.(مادة أول).

[2] – ينظر الموسوعة القرآنية المتخصصة ، التفسير و المفسرين ، أ.د.جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب النجار ، ص 243:243 .

[3] – ينظر المرجع نفسه، ، ص :243 .

[4] – ينظر المرجع نفسه، ص :243 .

[5] – القاموس المحيط : 3/ 331.

[6] – فتح الرحمن في تفسير القرآن ، الإمام القاضي مجير الدين ابن محمد العليمي المقدسي الحنبلي ، اعتنى به تحقيق و ضبطا و تخريجا ، نور الدين طالب ، ص :09 .

وهذا لا يعني أن القرآن لا يفسر باللغة العربية، ولكنه يعني أن للقرآن طرق للفهم تختلف وتتنوع، والتفسير إحداها وليس كلها. قال ابن عباس في قول القرآن:﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا**﴾(الرعد،17):" أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً قَالَ:قُرْآنًا، فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا قَالَ:الْأَوْدِيَةُ قُلُوبُ الْعِبَادِ[1].وهذا ليس بتفسير بل تأويل للمعنى الذي تعطيه اللغة ويعطيه التفسير .إذن فاللغة لا تفك أسرار النص القرآني، تماما كما أنها لا تفك أسرار النص الأدبي...فكلاهما بإختلاف درجاتهما يفوق اللغة من حيث التفسير.

"وبالرجوع إلى معنى (التأويل) يتبين أنه لا منافاة بين الرأيين فإن لفظ التأويل ورد لثلاثة معان:

– الأول: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو اصطلاح أكثر المتأخرين.

– الثاني: التأويل بمعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه.

– الثالث: التأويل: هو حقيقة التي يؤول إليها الكلام"[2].

– إصطلاحا:

قد اختلف علماء العامة اختلافا كبيرا في تشخيص الفرق بين التفسير والتأويل وتفرقوا بعدد عقول رجالهم سواء بالرأي أو الاجتهاد، وأشهر هذه التعريفات الاصطلاحية: هو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل؛ لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، وهذا تعريف الأصوليين واختيارهم. ومفاد التعريف هو الخروج من معنى النص القريب إلى مجازه بقرينة أو بدليل لولاه ما جاز هذا الخروج، أو هو الخروج من الحقيقة إلى المجاز بدليل. وعرفه آخرون: رد واحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر، وهذا التعريف أقرب إلى اصطلاح اللغويين. بينما يرى بعضهم أن تعريف التأويل هو: صرف اللفظ إلى ما يمكن أن يتحمله من معنى وفي تعريف آخر: أنه بيان ما يرجع إليه معنى القرآن بمقتضى القواعد والنظر الدقيق[3] والحقيقة التي يؤول إليها الكلام: كما قال – تعالى –:﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾ (الأعراف: 5).

وقد عرفت البيئة العربية تأويلات عدّة لنصوص كثيرة من القرآن حسب الأهواء والثقافات، وساهم في تغذية هذا الخلاف التأويلي خلاف سياسي وطائفي، حيث أصبح النص يخضع للعقل وليس العكس، والتأويل هو إخضاع العقل لما هو موجود في النص القرآني حتى يتقيد بالمضمون. ولازم التأويل مختلف الديانات السماوية

---

[1] – تفسير الطبري، ج266/9.

[2] – مباحث في علوم القرآن، مناع القطّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط33، 1418هـ/1997م، ص: 218.

[3] – ينظر موقع:https://vb.tafsir.net/tafsir9683/#.XIooqSJKjIU

واستخدمه العرب تبعا لأبعاد تصوراتهم، فواكبت ظاهرة التأويل الدين الإسلامي بعد نزول القرآن، وعرفت تيارات عديدة تعرضت لإشكالية الظاهر والباطن، من خلال الخوض في جدل الثنائيات كثنائية المحكم والمتشابه أو التشبيه والتنزيه وغيرها ممّا عرفته البيئة الثقافية العربية.

كما احتوى النص القرآني نصوصا لا تحتاج إلى تأويل، وهي المحكم من النصوص التي يفهم معناها حتى عامة الناس، ونصوصا تحتاج إلى تأويل، وهي الباطن المتشابه الذي يعسر فهمه إلا لخاصة العلماء لقوله تعالى:﴿**هو الّذي أنْزل عليْك الكتاب منْه آيات محْكمات هنّ أمُّ الكتاب وأخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهمْ زيْغ فيتّبعون ما تشابه منْه ابْتغاء الفتْنة وابْتغاء تأْويله وما يعْلم تأْويله إلاّ الله والراسخون في العلْم يقولون آمنّا به كلّ مّنْ عند ربّنا وما يذّكّر إلاّ أوْلواْ الألْباب**﴾ (آل عمران: 07).

ونأخذ تعريف الجرجاني في كتاب التعريفات للجرجاني (ت 816هـ)، كتعريف إصطلاحي حيث يقول فيه: "التأويل: في الأصل: الترجيع، وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقًا للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى :﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ** ﴾]الأنعام: 95]، إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرًا، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل، كان تأويلًا"[1].

وفي كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي الحنفي التهانوي(ت 1158هـ):"التأويل هو مشتق من الأول وهو لغةً: الرجوع، وعند الأصوليين قيل: هو مرادف التفسير، وقيل: هو الظن بالمراد والتفسير: القطع به، فاللفظ المجمل إذا لحقه البيان بدليل ظني كخبر الواحد، يسمى مؤولًا، وإذا لحقه البيان بدليل قطعي يسمى مفسرًا. وقيل: هو أخص من التفسير وجميع ذلك يجيء مستوفًى هناك، والتأويل في اصطلاح أهل الرمل: عبارة عن شكل حاصل من ربط أو انفتاح شكل المتن.[2] وقد مر التأويل بمرحلتين:

1- **المرحلة الأولى**: تميزت بكون المصطلح حمل فيها دلالته اللغوية الأصيلة.

2- المرحلة الثانية: حمل فيها المصطلح على دلالته الاصطلاحية الحادثة، ويشير ابن تيمية رحمه الله إلى هاتين المرحلتين بقوله:"إن التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف... وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان: أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقارباً أو مترادفاً، وهذا -والله أعلم- هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله، ومحمد ابن جرير الطبري يقول في تفسيره: القول في تأويل كذا وكذا، واختلف أهل التأويل

---

[1] -كتاب التعريفات، للجرجاني ص 50-51.

[2] - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ) المحقق: رفيق العجم - علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة :الأولى - 1996م.، ج1/376-377.

في هذه الآية ونحو ذلك ومراده التفسير. والمعنى الثاني في لفظ السلف وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقاً هو نفس المراد بالكلام"[1]. قد قَالَ" ابْنُ عَبَّاسٍ : التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ : وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ. "[2]

وللتأويل عند الإمام الطبري اهتمام بالغ، حيث أطلق لفظ التأويل في بداية تفسير كل آية، فيقول: (القول في تأويل قوله تعالى) ثم يأخذ في التفسير. وقد جاء في مقدمته أن تأويل جميع القرآن على ثلاثة أوجه. يقول الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في مقدمة تفسيره جامع البيان في تأويل آي القرآن[3]: قد قلنا فيما مضى من كتابنا هذا في وجوه تأويل القرآن، وأن تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة:

– أحدها لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة، التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة، مثل: وقت قيام الساعة، ووقت نزول عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، والنفخ في الصور، وما أشبه ذلك. فَإِنَّ تِلْكَ أَوْقَاتٌ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ حُدُودَهَا، وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ تَأْوِيلِهَا إِلَّا الْخَبَرَ بِأَشْرَاطِهَا، لِاسْتِئْثَارِ اللَّهِ بِعِلْمِ ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ. وَبِذَلِكَ أَنْزَلَ رَبُّنَا مُحْكَمَ كِتَابِهِ فَقَالَ:﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون** ﴾ (سُورَةُ الْأَعْرَافِ: 187) . وَكَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَشْرَاطِهِ دُونَ تَحْدِيدِهِ بِوَقْتِهِ كَالَّذِي رَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ، إِذْ ذُكِرَ الدَّجَّالُ: إِنْ يُخْرَجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ، وَإِنْ يَخْرُجْ بَعْدِي، فَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ " وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ – الَّتِي يَطُولُ بِاسْتِيعَابِهَا الْكِتَابُ – الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمُ أَوْقَاتِ شَيْءٍ مِنْهُ بِمَقَادِيرِ السِّنِينَ وَالْأَيَّامِ ، وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا كَانَ عَرَّفَهُ مَجِيئَهُ بِأَشْرَاطِهِ ، وَوَقَّتَهُ بِأَدِلَّتِهِ .

–الوجه الثاني :ما خص الله بعلم تأويله نبيه صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته، وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجة، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويله. وأَنَّ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا لَا يُوصَلُ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَذَلِكَ تَأْوِيلُ جَمِيعِ مَا فِيهِ: مِنْ وُجُوهِ أَمْرِهِ– وَاجِبِهِ وَنَدْبِهِ وَإِرْشَادِهِ–، وَصُنُوفِ نَهْيِهِ، وَوَظَائِفِ حُقُوقِهِ وَحُدُودِهِ، وَمَبَالِغِ فَرَائِضِهِ، وَمَقَادِيرِ اللَّازِمِ بَعْضَ خَلْقِهِ لِبَعْضٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ آيِهِ، الَّتِي لَمْ يُدْرَكْ عِلْمُهَا إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ. وَهَذَا وَجْهٌ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْقَوْلُ فِيهِ، إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ تَأْوِيلَهُ بِنَصٍّ مِنْهُ عَلَيْهِ ، أَوْ بِدَلَالَةٍ قَدْ نَصَبَهَا ، دَالَّةٍ أُمَّتَهُ عَلَى تَأْوِيلِهِ.

---

[1] –ينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998– 1999، ص7–29.

[2] – ينظر، تفسير الطبري، ج1/75–76.

[3] – ينظر، المرجع نفسه،ج1/73–76.

– الثالث منها :ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، لا يوصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم.وَذَلِكَ: وَمَعْرِفَةُ الْمُسَمَّيَاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ غَيْرِ الْمُشْتَرَكِ فِيهَا ، وَالْمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهَا الْخَاصَّةِ دُونَ مَا سِوَاهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ. وَذَلِكَ كَسَامِعٍ مِنْهُمْ لَوْ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو:﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾(سُورَةُ الْبَقَرَةِ : 11،12)،لَمْ يَجْهَلْ أَنَّ مَعْنَى الْإِفْسَادِ هُوَ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ مِمَّا هُوَ مَضَرَّةٌ ، وَأَنَّ الْإِصْلَاحَ هُوَ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ مِمَّا فِعْلُهُ مَنْفَعَةٌ، وَإِنْ جَهِلَ الْمَعَانِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ إِفْسَادًا، وَالْمَعَانِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ إِصْلَاحًا. فَالَّذِي يَعْلَمُهُ ذُو اللِّسَانِ– الَّذِي بِلِسَانِهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ– مِنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، هُوَ مَا وَصَفْتُ:مِنْ مَعْرِفَةِ أَعْيَانِ الْمُسَمَّيَاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ غَيْرِ الْمُشْتَرَكِ فِيهَا، وَالْمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهَا الْخَاصَّةِ، دُونَ الْوَاجِبِ مِنْ أَحْكَامِهَا وَصَفَاتِهَا وَهَيْآتِهَا الَّتِي خَصَّ اللَّهُ بِعِلْمِهَا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ إِلَّا بِبَيَانِهِ، دُونَ مَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ دُونَ خَلْقِه.

ولهذا تعتبر اللغة إشارة عن طريق المفردات التي يتضح بها معنى في ذهن المخاطب، ولكن هذا المعنى المراد لا يتحدد إلا عن طريق الممارسة العملية للمخاطَب والمخاطِب. فعند التلفظ بكلمة ما من شخص ما إلى شخص آخر فإنه تتم عملية إرجاعية سريعة للكلمة في ذهن المخاطَب فتختلط بالممارسة وعندها يتحدد المفهوم. وهذا الأمر نفسه يحدث للمخاطِب ولكن بطريقة عكسية إذ تحدد الممارسة أولا شكل الكلمة التي يريد إخراجها وبعدها يخرج اللفظ محددا بممارسته . وحتى يتم التفاهم بين الطرفين لابد وأن تتقارب ممارستهما للكلمة المعينة، وما اِختلاف الرأي إلا اِختلاف ممارسة. إذن فاللغة أو بالأصح العبارة يتم فهمها عن طريق الإرجاع للكلمة في الذهن .فمن"الصعب تحديد أبعاد المقصدية تحديداً منضبطاً، إذ إنها تتعلق بالمتكلم،أو مرسل الخطاب، والذي ليس له وجود عيني حين مباشرة عملية التأويل، ولهذا السبب عدّ بعض العلماء الإحاطة بالمقصدية غير متوقفة على العلم باللغة، لأن المقاصد عبارة عن معان لها تعلق بالذهن لا بالوضع اللغوي"[1].

2– قيود التأويل:

لا يمكننا أن نتحرر من الضوابط والقيود التي تربطنا بالنص عند الفهم والتأويل، لأنّ هذا النوع من العلاقات يفرض نفسه على محلل النص لأنه وليد بيئة معيّنة وله ظروف معيّنة تتحكم في تحديد معناه، وهو ما يجعل المستمع لا ينشئ سياقا أكبر مما يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويل ما، فالمستمع يعتبر ما تقدّم من الخطاب لتقييد التأويل المناسب.[2] وإذا تعارضت التأويلات فإن أقربها إلى الصواب أكثرها انسجاماً مع سياق الخطاب[3]. وقد قيل عن الآيات القرآنية في عملية التأويل: "التأويل، صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما

---

[1]– ينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998– 1999، ص7–29.

[2]– أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس "نحو النص"، محمد الشاوش،ج1/ 167. وتحليل الخطاب، ج براون وج بول، ص: 59.

[3] – ينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998– 1999، ص:7–29.

بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، فأمّا التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور، لأنه تأويل الجاهلين."[1] وعليه فإنّ هذا المبدأ يعتبر قيدا من قيود تحديد الدلالات وإزالة اللبس والغموض، لأنه يقصى كل التأويلات التي قد يضيفها المؤول للنص المنتج ومن هنا يمكننا أن نعتبر أن قيود هذا المبدأ ثلاثة وهي:

1- عناصر التخاطب الثلاث (المخاطب- المتلقي- الرسالة) وما ينشأ بينها من علاقات.

2- الزمان والظروف التي ينشأ فيها النص.

3- مكان وبيئة النص.

وتعتبر هذه العناصر الثلاث من القيود التي تفرض على النص شخصيته وزمكنة تلغي مجموعة من الدلالات والتأويلات التي تصاحب النص، حيث تسهم هذه القيود في توضيح صورة الإنسجام للنص مع عناصر التخاطب الثلاث، وزمان ومكان إنتاج النص، وكنموذج لذلك ذكر الباحثان نصا لبيان المقصود بعبارة التأويل المحلي ترجمه على النحو التالي:"جلس رجل وامرأة في قاعة الجلوس العائلية...سئم الرجل فاتجه إلى النافذة ونظر إلى الخارج...خرج ثم ذهب إلى ناد، تناول مشروبا وتحدّث مع السّاقي"[2].

ويعلق محمد الشاوش على هذا النص مبديا دور هذا المبدأ في تحقيق الإنسجام، قائلا: "فما تمت الإشارة إليه في بداية نصّ الخطاب أشخاصا وزمانا ومكانا سيبقى هو ثابتا ما لم يشر إلى تغيير يمسي هذه العناصر واعتمادا على هذه القاعدة يفترض القارئ:

- أن الرجل الذي اتجه إلى النافذة هو الرجل الذي كان جالسا حدو المرأة.

- إن النافذة التي اتجه نحوها هي نافذة الغرفة المشار إليها في سابق المقال.

- أن النادي الذي قصده ناد من نوادي المدينة التي هو فيها، وليس من نوادي مدينة أخرى، وأنه لم يستقل للانتقال إليه قطارا أو طائرة...

- أن تناول المشروب كان في النادي الذي قصده.

[1] – ينظر: الموسوعة القرآنية إبراهيم الأنباري، المجلد3، ص: 50.

[2]– أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس "نحو النص"، محمد الشاوش، ج1/ 168.

– أن الساقي الذي حادثه هو ساقي النادي الذي قصده وهو نفس السّاقي الذي قدّم له المشروب..."[1].

فهذا النص مرتبط بمجموعة من المقيدات التي تحدّ طاقة المتلقي/ المخاطب من فتح المجال لتأويلات موسعة بناءا على الخطاب المتلقي في حدودها وهذه المحلات هي:

1- (الشخصيات الرجل والمرأة) السّاقي الموجود في النادي.

2- المكان: (نادي طاولات وكراسي- ونافذة في مدينته).

3- الحدث البارز: (خروج الرجل والمرأة- تناول المشروب).

إن مثل هذه المعطيات اللغوي والنصية المذكورة في النص تضيق على المتلقي حرية التأويل وتجعله مرتبطا بما هو مذكور في النص، فمجال التأويل من حيث الشخصيات، والزمان والمكان والأحداث البارزة مقيّد بالمذكور في النص، وهو في غنى عن طاقته التأويلية مادام النص مقيدا بهذه المحلات.

وفي القرآن، فإنّ عملية التأويل تختلف عما هو في الدنيا، "ففي القرآن ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعمله في الدنيا.و لكن الحقيقة ليست كالحقيقة، فأسماء الله وصفاته وإن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه في اللفظ والمعنى الكلي إلا أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقية المخلوق وصفاته، العلماء المحققون يفهمون معانيها ويميزون الفرق بينها"[2]، "وكذلك الشّأن بالنّسبة إلى أخبار الله عن اليوم الآخر ففيها ألفاظ تشبه معانيها ما هو معروف لدنيا إلاّ أنّ حقيقة غير الحقيقة، ففي الآخرة ميزان، وجنة ونار"[3] لأنّ "الخطاب القرآني بنية نصيّة كبرى لم يتكئ في عرض مفاهيمها الدينية وحقائقها التشريعية على الألفاظ وحدها، أو المعاني وحدها... وإنّما سلك طريقا فنيا في الأداء، ومنهجا جماليا بالغ الروعة في التعبير، جمع بين جمال الإيقاع، وروعة التصوير، ودقة التعبير، وقوّة نظمه وانسجامه، فكان السر في عدم تناهي تأويلاته، ومن ثم خلوده"[4].

ومثال ذلك قوله تعلى في سورة البقرة: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31)** ﴾(البقرة،31). حيث نجد عناصر الخطاب وهي:(الله سبحانه وتعالى، الملائكة ثم أدم عليه السلام، والخطاب) والمكان في العالم الغيبي، والزمن أزلي غير معروف، والحدث البارز هو الإنباء

---

[1]– ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 56، وينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص"، محمد الشاوش، ج1/ 168.

[2] – مباحث في علوم القرآن، مناع القطّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط33، 1418هـ/1997م، ص: 219.

[3] – المرجع نفسه، ص: 219.

[4] – جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ- 2014م، ص: 240-241.

بأسماء الملائكة بعد سؤالهم عن الخليفة في الأرض، ليبيّن لهم بأن علمه سابق عن كل شيء، غير أنّ هناك إشكالية اختلف فيها العلماء وهي عبارة (الأسماء كلها) وما هي هذه الأسماء؟ ويجيبنا الطبري قائلا مستعينا بمعارفه ولغته:" وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ، وَأَشْبَهُهَا بِمَا دَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ ظَاهِرُ التِّلَاوَةِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي قَوْلِهِ : (**وعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**) إِنَّهَا أَسْمَاءُ ذريته وَأَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ، دُونَ أَسْمَاءِ سائر أَجْنَاسِ الْخَلْقِ. وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ:(**ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ**) يَعْنِي بِذَلِكَ أَعْيَانَ الْمُسَمَّيْنَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي عَلَّمَهَا آدَمَ . وَلَا تَكَادُ الْعَرَبُ تُكَنِّي بِالْهَاءِ وَالْمِيمِ إِلَّا عَنْ أَسْمَاءِ بَنِي آدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ. وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَنْ أَسْمَاءِ الْبَهَائِمِ وَسَائِرِ الْخَلْقِ سِوَى مَنْ وصفناها، فَإِنَّهَا تُكَنِّي عَنْهَا بِالْهَاءِ وَالْأَلِفِ أو بالهناء وَالنُّونِ، فَقَالَتْ:" عَرَضَهُنَّ " أَوْ "عَرَضَهَا " وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ إِذَا كَنَّتْ عَنْ أَصْنَافٍ مِنَ الْخَلْقِ كَالْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَسَائِرِ أَصْنَافِ الْأُمَمِ وَفِيهَا أَسْمَاءُ بَنِي آدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهَا تُكَنِّي عَنْهَا بِمَا وَصَفْنَا مِنَ الْهَاءِ وَالنون أَوَ الْهَاءِ وَالْأَلِفِ. وَرُبَّمَا كَنَّتْ عَنْهَا ، إِذَا كَانَ كَذَلِكَ بِالْهَاءِ وَالْمِيمِ ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ**﴾ (سُورَةُ النُّورِ: 45)، فَكَنَّى عَنْهَا بِالْهَاءِ وَالْمِيمِ، وَهِيَ أَصْنَافٌ مُخْتَلِفَةٌ فِيهَا الآدمي وَغَيْرُهُ . وَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا، فَإِنَّ الْغَالِبَ الْمُسْتَفِيضَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا وَصَفْنَا، مِنْ إِخْرَاجِهِمْ كِنَايَةَ أَسْمَاءِ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ -إِذَا اخْتَلَطَتْ- بِالْهَاءِ وَالْأَلِفِ أَوَ الْهَاءِ وَالنُّونِ. فَلِذَلِكَ قُلْتُ:أَوْلَى بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ أَنْ تَكُونَ الْأَسْمَاءُ الَّتِي عَلَّمَهَا آدَمَ أَسْمَاءَ أَعْيَانِ بَنِي آدَمَ وَأَسْمَاءَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنْ كَانَ مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ جَائِزًا عَلَى مِثَالِ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ قَوْلِهِ :﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ**﴾ الْآيَةَ. وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهَا فِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ " : ثُمَّ عَرَضَهُنَّ " وَأَنَّهَا فِي حَرْفِ أُبَيٍّ " : ثُمَّ عَرَضَهَا.[1]

وهنا نلاحظ أنّ الطبري كشف لنا المعنى المراد بـ(الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) استنادا إلى المقام المخاطب فيه (المكان) الذي يتواجد فيه الملائكة، مع سيدنا آدم عليه السلام،وهي أَسْمَاءُ ذريته وَأَسْمَاءُ الْمَلَائِكَةِ، دُونَ أَسْمَاءِ سائر أَجْنَاسِ الْخَلْقِ. واستعان كذلك باللغة في تحليله، لتحييد لغة خطاب البشر من لغة خطاب الحيوانات، فخطاب الحيوان والبهائم يستعمل فيه وَأَمَّا، فَإِنَّهَا تُكَنِّي عَنْهَا بِالْهَاءِ وَالْأَلِفِ أَوْ بِالْهَاءِ وَالنُّونِ، فَقَالَتْ كقولنا (عَرَضَهُنَّ) أَوْ(عَرَضَهَا). وهكذا استطاع الطبري تمييع المعنى في نص الآية بناء على معطيات نصية مقامية ولغوية التي تمثل القيود التي يستند إليها المتلقي لفهم النص وتأويله حسب طاقاته المعرفية.

3- مبدأ التأويل عند العرب:

طبق العرب نظرية التأويل في دراساتهم القرآنية بشيء ملفت للإنتباه كونهم يدرسون نصّا مقدّسا لا مجال فيه للخطأ، ولهذا لم تكن دراسة التركيب"كافية عند النحاة العرب بدراسة المقام الخارجي، وما يحيط بالظاهرة اللغوية من ملابسات تكتفيها، تتصل بالمتكلم أو المخاطب أو ظروف الكلام، وخاصّة في معرض الكلام عن "الفهم والإفهام""[2]ومن أجل هذا احتاج المتكلمون والمستمعون إلى الاستعانة على الفهم الصحيح

---

[1] -تفسير الطبري، ج1/485-486.

[2]- علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 73.

بالقرائن المقالية والحالية التي تحق بالكلام، وبما يقتضيه السياق في توجّه الكلام، ويحدده المقام من غرض الخطاب"[1]، وفي هذا الصدد يقول محمد الطاهر بن عاشور "لذلك تجد الكلام الذي شافه به المتكلم سامعيه أوضح دلالة على مراده من الكلام الذي بلغة عنه مبلغ، وهذه الصورة وإن كانت أقل وضوحا وأكثر احتمالا من الأولى فإن ما يكون من الكلام عن طريق الكتابة هو أقل وضوحا من الصورتين السابقتين لفقده دلالة البيان، ولغياب ملامح المتكلم عنه، وإن كانت هذه الصورة الأخيرة من الكلام أضبط من جهة انتقاء التحريف والسهو والتصرف في التعبير عن المعنى عند سوء الفهم"[2].

و اختلفت أرائهم حول ذلك فنظر ابن رشد إلى التأويل على أنّه "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخلّ ذلك بعادة العرب من التجوّز من تسمية الشيء بشبهه أو بسببه أو لاحقه، أو غير ذلك من الأشياء التي عدّت في تعريف أصناف الكلام المجازي"[3]، فلسان العرب هو المترجم لمقاصدهم. واستند ابن رشد كذلك على جانب اللغة واختلاف أساليبها المجازية والإستعارية وسمي بالتأويل اللغوي، ذلك أنّ اللغة "هي التي تحدد ما ورد من الآيات محكمة فهي تستنبط المعنى واضحا ظاهرا كونه جاء ليعبر عن حالات ثابتة في المجتمع والنفس"[4].

وأقرّ ابن رشد بأهمية العقل، واعتبره الموصل إلى البرهان في تأويل النص القرآني، إذ تعددت الطرق للإحاطة بالمعنى حيث استند التأويل على مستويات يتم من خلالها تأويل النص القرآني؛ فاعتمد على الآثار التي وصلت عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم، وسمي ذلك بالتأويل بالمأثور.وكان هذا الإستناد استناد إلى نظرة عقلية محضة، سميت بالتأويل العقلي أو الكلامي، واقتضت الحاجة الوقوف على واحدة منها أو جميعها تبعا لاحتياج النص لها.

إن الخطاب القرآني هو خطاب تبليغ مرسل من رب العالمين إلى مرسل إليهم هم النّاس أجمعين، وأن حامل الخطاب هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فهذا الخطاب مخترق حدود الزمان والمكان والبيئة؛ ومن ثم يحتاج فهم مضمونه إلى اعتبار متطلبات المستقبل وحاجاته، وذلك من خلال نسبة اللغة التي يتلقى بها ذلك المضمون، لاسيما إذا كان هذا الخطاب يتبع في تأليفه نظاما محكما، فالقرآن الكريم يجسد أداة توصيل مبنية في تبليغها، وشاملة ككل مات تقوم به حياة (المرسل إليه) على أكمل وجه رآه (المرسل).

---

[1]– ينظر، بين علمي أصول الفقه، ومقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ الحسين ابن الخوجة، ج2/ 216.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ج2/ 216.

[3]– نقد الحقيقة، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط2، 1995.، ص 13.

[4] – النص بين الدلالة والتأويل (قراءة في خطاب التراث الأصولي)، منقور عبد الجليل،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2004، ص 43.

على أكمل وجه رآه (المرسل)؛ فيكون بذلك خطابا مستمرا وصالحا ووافيا بحاجات الإنسان الذي هو مركز الوجود وغاياته. [1] ومما يؤكد أن أصحاب هذه المدونات التفسيرية كانوا على وعي تام بأن فهم الخطاب لا يتم باستحضار المستويات اللغوية الشكلية: فالأصوات والصرف والتركيب لا تفيد المعنى بالضرورة، بل لابد من استحضار السياق اللغوي، والمقام السياق غير اللغوي- أي أسباب النزول وملابسات النزول، باعتبارها عوامل أساسية من عوامل تحديد المعنى".[2]

وقد بيّن محمد الشاوش بأن الإنسجام لا يكون إلا بالأقوال والجمل المنجزة في السياق، "وقد أفضى هذا الأمر في نهاية المطاف إلى إرساء تناول ظاهرة الإتساق بين الجمل على سياق التخاطب وعلى اختيارات المتكلم والمخاطب الحقيقيين المنتجين للقول"[3].

ومحصل ما تقدم من الكلام أن كل ما تقدم من الكلام وأنّ كل متتالية من العلامات اللغوية مهما تباعدت وانفصلت لا تصبح نصّا إلا متى أمكن أن تجد لها السّياق المناسب الذي تنطبق عليه، ومثل هذا القول يجعل السياق والنص أمرين متلازمين إذ لا سبيل إلى تحقق انسجام النّص كما تقدم إلاّ بعد أن تدبر له سياق"[4]."ومن أمثلة هذه الاستراتيجيات التي تجعلنا نجد العنصر المخاطب بدقة في كلّ سور القرآن ما جاء في قوله تعالى:﴿**وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ (البقرة: 03)،وقال هنا:﴿**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدًى**﴾ (آل عمران: 3-4)، وصرّح بذكر الإنجيل هنا، لأن سورة خطاب للنصارى، ولم يقع التصريح به في سورة البقرة بطولها، وإنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة، لأنها خطاب لليهود"[5]."ويؤكد هذا المعنى قول السكاكي عند تنويهه بأهمية مقام الكلمات داخل مقام المقال: ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل واحد ينتهي إليه الكلام مقال"[6].

4- دور المتلقي في عملية التأويل:

يمكننا أن نطابق هنا بين المتلقي والإنسجام مطابقة أدائية ونقول أن فهم المتلقي للنص هو ذات الإنسجام، ويعتبر المتلقي هو محقق هذا المبدأ، وهو العنصر الأهم من النص في عملية التأويل لأنّ سوء الفهم قد يؤدي إلى انحراف المعاني وحياد النص عن مساره التواصلي وتبليغي في الخطاب، "ومن أهم القضايا الراهنة

---

[1]- الاستفادة من الألسنية في تفسير القرآن الكريم، د .عبد الرؤوف مخلوف، ملتقى دولي حول (التحليل، اللساني للنصوص جامعة عنابة- الجزائر، في الفترة (5- 8) مايو 1985م وينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، د. لطفي فكري محمد الجوي، ص: 72.

[2]- جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد، ص: 97.

[3]- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس النحو النص، محمد الشاوش، ج1/ 113.

[4]- ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس "نحو النص"، محمد الشاوش، المجلد الأوّل، ص: 117.

[5]- تناسق الدرر في تناسب السور، للجاحظ جلال الدين السيوطي، ص: 71.

[6]- مفتاح العلوم السكاكي، ص: 80.

المتعلقة بفهم عملية التخاطب باعتبارها العملية النّصية الكليّة أو الكبرى قضية معرفة الطريقة التي تتيح للسامع أن يكمل المعلومات المسكوت عنها أي (المضمرة)، فالسامع يسند إلى ما يسمعه المعاني المناسبة لكنّه في قيامه بذلك يساهم مساهمة كبيرة في عملية التأويل فالجمل والعبارات والألفاظ التي يسمعها والمصوغة صياغة صحيحة تحمل (خلافا لما يعتقده عامة الناس من كونها معظم سياقات الخطاب تامة الصياغة) عددا كبيرا جدا من الثغرات...ومظاهر الترابط ليست مجرد سمات وخصائص تضاف إلى النص ويحكى بها، بل هي آمر ضروري لتأويل النص وإدراك معناه"[1]. فالقارئ ينطلق في قراءة النص وتلقي الخطاب من فراغ، وإنما يوظف خلفياته ومعارفه السابقة في مواجهة الخطاب الحالي[2].

"وقد اهتم الباحثان براون ويول في كتابهما (تحليل الخطاب) بنظرتهما إلى انسجام النص، إذ يريان أن الانسجام ليس في الخطاب نفسه بل في التأويل أي أنهما لا يعدان أن انسجام الخطاب متحقق في الخطاب، بل ينبغي البحث عنه للعثور على أدواته، وهذا هو عمل القارئ أو المتلقي"[3]، وهنا نشير إلى أن الزركشي (في القرآن الثامن للهجرة) قد ذكرى في كتابه (البرهان في علوم القرآن) أن أهمية تدخل القارئ في بعض الأحيان لتحقيق الترابط النصي، ضرورية إذ قسم الترابط بين الآيات إلى قسمين:

1- ارتباط ظاهر: وهو الذي يقدم أدلة وقرائن واضحة على العلاقات الموجودة بين أجزاء النص.

2- ارتباط غير ظاهر: وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

الأول منهما: أن يحتوي التركيب جملا معطوفة يشركها في حكم واحد، والثاني، وهو المقصود: ما يظهر عدم وجود ارتباط بين الجملتين عبّر عنه الكاتب بقوله: وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويشْكُل وجه الارتباط، فتحتاج إلى شرح، أي إلى تدخل القارئ لتحقيق الترابط في نص يشير ظاهره بعدم وجود علاقة بين أجزائه.واستشهد الزركشي بما جاء عن المفسرين في قوله تعالى:﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (البقرة، الآية: 189) حيث تدخل المفسرون في الربط بين السؤال عن الأهلة من جهة، وإتيان البيوت من أبوابها من جهة أخرى[4]. ليظهروا العلاقة الإنسجامية الواضحة بين السياقين.(الأهلّة كمواقيت/ ودخول البيوت).

---

[1]- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس "نحو النص" محمد الشاوش، المجلد الأول، ص: 150.

[2]- لسانيات الخطاب القرآني، مظاهر الاتساق والانسجام خديجة إيكر، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المتحدة للعلماء، المملكة المغربية، الموقع: www.alquran.ma

[3]- ينظر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، ص: 159.

[4]- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1972م، ص: 40.

وهكذا تمتد أفاق التصور عن أنواع المتلقين انطلاقاً من تشكلات الخطاب في النص القرآني وتتركز فاعلية النص في إنشاء وعي المخاطبين، أو تشكيله وتحقيق أثر القول فيهم، فالنص القرآني يعنى بالمتلقي عند تأليفه لعناصره الاقناعية، وكثيراً ما يحدد النص القرآني شكلاً للمتلقي بطرائق متعددة، وهذا التحديد يتفاعل مع معطيات النص في توليد البعد التأويلي، كونه يدخل عنصراً من عناصر بناء النص، فمن خلال خصوصية توجيه الخطاب تتضح للقارئ معالم تأويلية يستنبطها من النص نفسه، ويكتشف من خلالها اتساع أفق النص في التعامل معه.

وهذا ما نلاحظه عندما يتدخل المؤوّل في خلق العلاقات بين النص وفهمه له، لكي ينسجم مع التأويل مع السياق، ففي قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ(87)وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ(88)** ﴾(البقرة،87-88) "لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا مَا هَذِهِ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنَّهُ بَيَّنَهَا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ﴿ **وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ** ﴾(49\ 3) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى﴿ **وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَى الْأَصَحِّ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ (193 \ 26)،وَقَوْلِهِ: ﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا**﴾ الْآيَةَ(19 \ 17)[1] وهذا ما قاله البغوي:" وَلَقَدْ آتَيْنَا (أَعْطَيْنَا) مُوسَى الْكِتَابَ (التَّوْرَاةَ، جُمْلَةً وَاحِدَةً) وَقَفَّيْنَا (وَأَتْبَعْنَا) مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ (رَسُولًا بَعْدَ رَسُول) وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ (الدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ وَهِيَ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَالْمَائِدَةِ وَقِيلَ: أَرَادَ الْإِنْجِيلَ (وَأَيَّدْنَاهُ) قَوَّيْنَاهُ (بِرُوحِ الْقُدُسِ)"[2]. ونلاحظ هنا كيف ربط المفسر قوله تعالى في سورة البقرة بناء على معارفه المسبقة التي تشكل له ثقافة إسلامية(قرآنية) مسبقة ساعدته على استحضار المفاهيم السابقة من آيات أخرى لخلق الإنسجام بين النصوص والمعنى المؤوّل.

كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني (الآن) أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالإسم (محمد) مثلا"[3] وهنا سيجد المتلقي مهما كان نوعه مضطرا للعودة إلى الزمن والمكان والظروف التي أنشأ فيها النص. فالمشكل الذي يعترض محلل الخطاب هنا هو نفس المشكل الذي يواجهه السامع، لذا فإنّه يمكننا عدّ هذا المبدأ طاقة تأويلية وهو يقيد المتلقي أو المحلل بإعتماده على خصائص السّياق، وذلك قصد تمكين المحلل من تحديد تأويل ملائم ومعقول مرتبط بطبيعة الخطاب"[4].

---

[1] – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي،ج40/1.

[2] –تفسير البغوي، ج119120/1.

[3] – لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 71.

[4] – الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد، ص: 78.

ولكل نص سياقه الخاص به وظروفه، ومستقبلوه (المخاطبون) الذين يعنيهم هذا الخطاب، لذلك فإن عملية تأويل هذا النص، تخضع لمعطيات معينة، ففهمه يكون إنطلاقا من سياقه الخاص، وتأويله تأويلا داخليا محلّيا لأنّنا لا نستطيع تأول كلمة البقرة مثلا، بمنأى عن السّياق القصصي الذي جاءت فيه"[1]ولول فعلنا ذلك لأصبحت دلالتها حيوان وفقط، لأننا عزلناها عن سياقها الذي وردت، والذي يشبعها دلاليا ويعطيها معناها حسب القصة والسياق الذي وردت فيه.

ولا يمكن اعتبار القارئ "مستقبلا فحسب، بل مشاركا في تشكيل النص، فالقارئ له دور فعال في عملية إنتاج النص ذاتها، فليست العلاقة بين النص والقارئ علاقة تسير في اتجاه واحد من النص إلى القارئ بل إنها تسير في اتجاهين متبادلين من النص للقارئ، ومن القارئ للنص، فبقدر ما يقدم النص للقارئ يضيف القارئ على النص أبعادا جديدة، قد لا يكون لها وجود في النص، وعندما تنتهي العملية بإحساس القارئ بالإشباع النفسي والنصي تتلاقى وجهات النظر بين القارئ والنص"[2].

"أنّ الخطاب القرآني- بأنماطه المختلفة- هو خطاب تبليغ مرسل من الله- عزّوجّل- إلى مرسل إليه هم الناس أجمعين، وأنّ حامل الخطاب هو الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، وأنّ هذا الخطاب مخترق حدود الزمان والمكان والبيئة"[3]" ولا يتم التفاهم بين المرسل والمرسل إليه ويحصل تواصل إلا بوجود نفس الخطاب اللغوي بينهما وهو الذي نسميه الوضع في اللغة التي اصطلح على إستعمالها قوم أو مجموعة من المجموعات البشرية"[4].

لقد اختص النص القرآني — دون سائر النصوص- في شكله ومضمونه- بخصائص جمالية معجزة، هي قوة البيان وسحره، والانسجام اللفظي والتماسك النصي، والإيقاعية التي تحددها دقة التوزيع الموسيقي بين الحروف والكلمات والتراكيب...ممّا جعل النفوس تهتز لسماعه، وتدهش لتركيبه، وتنتشي بقوة تأثيره[5]، ولهذا كان للمتلقي الذي يتلقى النص ويتأثر به، دور كبير في خلق الانسجام والمساهمة في صناعته، لأن الانسجام يتجاوز حدود النص والخطاب، وهو ينبعث منهما إلى الخارج ليصطدم بالمتلقي الذي يظهر قابليته في التأثر بهذا النص، عندئذ نقول أنّ المتلقي انسجم مع النص، ولقي عنده تلبية، ودليل ذلك هو تقبله لما فيه من مضمون وظهور رضى تقبلي بفعل حركات تظهر انسجامه مع النص، وهكذا يمكننا الحكم على الانسجامية

---

[1] – تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، بن يحي طاهر ناعوس، دار القدس العربي، وهران، ط2014، ص: 221/220.

[2] – ينظر: في القص في النظرية والتطبيق، نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، 1992م، ص: 53–54.و ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، ص: 84.

[3] – جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، ص: 240.

[4] – مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م، ص: 28.

[5]– المرجع السابق، ص: 44.

الحاصلة بين النص والمتلقي وبين المخاطب والمخاطب والرسالة. وهذا قد يوهمنا بأننا نحصل على الإنسجام من أول كلمة نسمعها ونبدي تفهمنا حيالها حتى نقبل أو نرفض النص.

فقد لا نستطيع تحديد تأويل العديد من الإشاريات دون معرفة المقام والسياق الذي قيلت فيه، خاصة في الخطابات المباشرة التي تستعمل فيها الإشاريات بكثرة، فهي محتاجة إلى توضيح السياق والمقام الذي قيلت فيه فـ "وضع الخطاب المباشر لـ (هنا) و(الآن) حيث يتم إنتاج النص أو الكلام مثلا، (التحاور العرضي بين الأصدقاء، والشجار بين جارين) فيما يسمى بضمائر الشخص الأولى والثانية (أنا) (I)، نحن (WE)، أنت (YOU) تعمل نموذجا في سياق كلام (CONTEXT OF UTTERANCE) هذا أو سياق تواصلي (COMMUNIEATIVE CONTEXT)[1] " ويرتبط مبدأ التأويل المحلي بقرائن النص التي يؤول بعضها بعضا، فنعرف موضوع النص والعلاقات والقرائن التي تربط بين عناصره"[2] فالإنسجام هنا "يتجاوز الجانب الشّكلي إلى الجانب الدلالي الذي لا تكفي فيه الدلالة اللغوية وحدها للأقوال في فهم الخطاب وتأويله فالقارئ في حاجة إلى وقوف على ملابسات القول من أحوال المتخاطبين وطبيعة العلاقة بينهم"[3]. "لأن الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه بالمعنى المحدد سالفا، إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية (من حيث لغته) ولكنه قد يتضمن قرائن (ضمائر أو ظروفا) تجعله غامضا غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإنّ للسّياق دورا فعّالا في تواصلية الخطاب وفي إنسجامه بالأساس"[4] " ولهذا فإنّ المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما. حتى لا يتكلّف ويسرف في التأويلات. وهكذا فإذا سمع شخص ما أحد يأمر "أغلق الباب" فإنّه سينظر إلى أقرب باب يحتاج إلى إغلاقه فإذا كان ذلك الباب مغلقا، فمن المحتمل جدا أن يقول فإنّه مغلق "بدلا من البحث عن أبواب أخرى يمكن إغلاقها"[5] ولذلك فإننا في غنى عن التأويل ما لسنا بحاجة إليه شرحه وفهمه وما هو بلفظه ظاهر كالأماكن التي ذكرت في القرآن والأسماء والظروف التي حددت بنص الآية، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)** ﴾ (البقرة،158)، فالصفا والمروة مكانان معروفان في مكة المكرمة ولا حاجة لإبتذال العقل في تأويلهما وهما هنا يعتبران مركزان إشاريان بامتياز مساعدان على الفهم السريع والتأويل." وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان أساف ونائلة وكان أساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين

---

[1] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، ص: 160.

[2] – تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، بن يحي طاهر ناعوس، ص: 212.

[3] – إنسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي"مقاربة تداولية"فتيحة بوسنة، منشورات مخبر تحليل الخطاب، الأمل، جامعة تيزي وزو، الجزائر، 2012م، ص: 32.

[4] – لسانيات النص، محمد خطابي، ص: 56.

[5] – تحليل الخطاب، ج.براون.ج يول، ص: 71.

الصفا والمروة تعظيما للصنمين ويتمسحون بهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر الله"[1] .

إن تأويلنا للمعنى (والفكرة) نص ما يتوقف على حكمنا على القراءات المناسبة للنص المصاحب (CO-TEXT) "ولعالم النص، (من خلال معرفتنا) للواقع، وللسياق التاريخي المناسب للأدب غير معاصر"[2]، وينقل لنا كل من ج.يول وج.براون اقتراحا لجون لاينز من حيث المبدأ، وهو إمكان وجود مثل هذه الأساليب المتعارف عليها: "إن كل وحدة كلامية حقيقية فريدة من حيث الإطار المكاني والزماني في حين أنّها قبلت أو كتبت في مكان محدد وزمان محدد.و طالما وجد نظام متعارف عليه لتحديد موقع الأشياء مكانيا وزمانيا فبإمكاننا من حيث المبدأ، تحديد الظرف الزماني الحقيقي لأي حدث كلامي"[3]. وهو لا يريد أن يبعد النص عن بيئته لأنّه يراها عاملا مسعدا للمعنى وفك الألغاز في النص، مهم.وهذا ما يجعلنا نستحضر في هذا المقام قول ابن عاشور عن قصة الصفا و المروة كيف بدأت .وانسجم التأويل مع النص زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهذا كلام وقع معترضا بين محاجة أهل الكتاب والمشركين في أمر القبلة، نزل هذا بسبب تردد واضطراب بين المسلمين في أمر السعي بين الصفا والمروة وذلك عام حجة الوداع، كما جاء في حديث عائشة .. فهذه الآية نزلت بعد الآيات التي قبلها وبعد الآيات التي نقرؤها بعدها، لأن الحج لم يكن قد فرض، وهي من الآيات التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلحاقها ببعض السور التي نزلت قبل نزولها بمدة ، والمناسبة بينها وبين ما قبلها هو أن العدول عن السعي بين الصفا والمروة يشبه فعل من عبر عنهم بالسفهاء من القبلة وإنكار العدول عن استقبال بيت المقدس ، فموقع هذه الآية بعد إلحاقها بهذا المكان موقع الاعتراض في أثناء الاعتراض، فقد كان السعي بين الصفا والمروة من أعمال الحج من زمن إبراهيم عليه السلام تذكيرا بنعمة الله على هاجر وابنها إسماعيل إذ أنقذه الله من العطش"[4] . "فلما فتحت مكة وأزيلت الأصنام وأبيح الطواف بالبيت وحج المسلمون مع أبي بكر وسعت قريش بين الصفا والمروة تحرج الأنصار من السعي بين الصفا والمروة وسأل جمع منهم النبي صلى الله عليه وسلم هل علينا من حرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله هذه الآية. "[5]. وهكذا يتضح أن سبب نزول هذه الآية له سياق معيّن يتحدد به المركز الإشاري للمخاطبين الذين كانوا يحجون ويسعون بين الصفا والمروة وفي قلوبهم شك بذلك فجاءت هذه الآية لتزيح تلك المفاهيم والأفكار والتأويلات التي كانت سائدة على اعتبار أن اليهود كانوا ينصبون علي الجبلين ألهتم. وهنا أدى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم دور الوسيط في إيصال الرسالة وإزالة الشك باليقين لإطمئنان المؤمنين وهم يؤدون شعائرهم، وهذا ما يجعلنا

---

[1] ينظر، تفسير البغوي، ج1/173– 174.

[2] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ص: 161.

[3] – تحليل الخطاب، ج. براون، ج.يول، ص: 62.

[4] – تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج2/59–60.

[5] – المرجع نفسه، ج60/2.

نحكم على الإنسجام الذي وقع بين نص الخطاب وسياق الموقف والغرض من نزول هذه الآية، وكل هذه الأمور ساهمت في ذلك التناغم الحاصل بين هذه العناصر لتحقيق الفائدة التي أرادها الله سبحانه وتعالى من تأويل النص .

ونعتقد أن الشيء الذي يبدو "ثابتا لا يتغير في فهم "هنا" هو أن المركز الإشاري موجود حيث يوجد متكلم... ومرة أخرى نقترح أن المركز الإشاري يقع داخل سياق الكلام النابع من المتكلم ولكن فهم الأداة (الآن) على أنّها ترتبط بالحدث الكلامي إمّا بالتزامن معه أو لحدوث بعده أمر يلزم تحديده بالرجوع إلى محتوى القول. ونجد الملاحظ أنّ عملية تثبيت المركز الإشاري هذه تناسب بالخصوص مع ما يسميه لاينز الإطار الأمثل للقول"[1]. كقوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)** ﴾(البقرة،71)، التي تزامنت مع الواقع التي كان فيها تحديد صفات البقرة وأيضا في قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)** ﴾(البقرة،187) .يقول ابن عاشور معلقا عن هذه الآية وفي تحديد معنى لفظة المقام الإشاري(الآن)" وما شرع الصوم إلا إمساكا في النهار دون الليل فلا أحسب أن الآية إنشاء للإباحة ، ولكنها إخبار عن الإباحة المتقررة في أصل توقيت الصيام بالنهار، والمقصود منها إبطال شيء توهمه بعض المسلمين وهو أن الأكل بين الليل لا يتجاوز وقتين؛ وقت الإفطار ووقت السحور ، وجعلوا وقت الإفطار هو ما بين المغرب إلى العشاء ؛ لأنهم كانوا ينامون إثر صلاة العشاء وقيامها فإذا صلوا العشاء لم يأكلوا إلا أكلة السحور وأنهم كانوا في أمر الجماع كشأنهم في أمر الطعام وأنهم لما اعتادوا جعل النوم مبدأ وقت الإمساك الليلي ظنوا أن النوم إن حصل في غير إبانه المعتاد يكون أيضا مانعا من الأكل والجماع إلى وقت السحور، وإن وقت السحور لا يباح فيه إلا الأكل دون الجماع؛ إذ كانوا يتأثمون من الإصباح في رمضان على جنابة، وقد جاء في صحيح مسلم أن أبا هريرة كان يرى ذلك يعني بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعل هذا قد سرى إليهم من أهل الكتاب كما يقتضيه ما رواه محمد بن جرير من طريق السدي ، ولعلهم التزموا ذلك ولم يسألوا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعل ذلك لم يتجاوز بعض شهر رمضان من السنة التي شرع لها صيام رمضان، فحدثت هذه الحوادث المختلفة المتقاربة، وذكر ابن العربي في العارضة، عن ابن القاسم ، عن مالك : كان في أول الإسلام من رقد قبل أن يطعم لم يطعم من الليل شيئا فأنزل الله فالآن باشروهن فأكلوا بعد ذلك، فقوله تعالى(علم الله) دليل على أن القرآن نزل بهذا الحكم لزيادة البيان؛ إذ علم الله ما ضيق به بعض المسلمين على أنفسهم وأوحى به إلى رسوله صلى الله عليه

[1] – تحليل الخطاب، ج.بروان، ج.يول، ص: 64.

وسلم . وهذا يشير إلى أن المسلمين لم يفشوا ذلك ولا أخبروا به رسول الله ولذلك لا نجد في روايات البخاري والنسائي أن الناس ذكروا ذلك لرسول الله إلا في حديث قيس بن صرمة عند أبي داود ولعله من زيادات الراوي "[1]."وقوله تعالى : فالآن باشروهن الأمر للإباحة ، وليس معنى قوله : (فالآن) إشارة إلى تشريع المباشرة حينئذ بل معناه : فالآن اتضح الحكم فباشروهن ولا تختانوا أنفسكم ، والابتغاء الطلب ، وما كتبه الله : ما أباحه من مباشرة النساء في غير وقت الصيام أو اطلبوا ما قدر الله لكم من الولد تحريضا للناس على مباشرة النساء عسى أن يتكون النسل من ذلك، وذلك لتكثير الأمة وبقاء النوع في الأرض . "[2] وهذا يساعد على ضبط التأويل وترجيح تأويلا على تأويل يكون هو المنسجم مع نص الآية والسياق"إن التأويل المحلي يقيد تأويلنا ويجعلنا نستعيد التأويل غير المنسجم مع المعلومات الواردة في الخطاب"[3] كما أنّه يقيد السّياق ويقيد تبعا لذلك الطاقة التأويلية للقارئ.

5- دور التأويل في انسجام النص:

يرى اللسانيون أن المعنى في النص خاضع لعملية التركيب سواء على مستوى الجملة أو على مستوى الخطاب، وبموجب هذا يكون فهم اللاحق مستنداً إلى فهم السابق.وتكمن فاعلية النص أو التركيبي في أنه ينظر من خلاله إلى النص في كليته وانسجامه وليس بصفته نتوءات مجتزأة لا يشير بعضها إلى بعض، وكل معنى منتزع من السياق بالضرورة معنى لا يعبر عنه النص [4].ويساهم التأويل في الكشف عن إنسجام النص بطريقة مخصوصة، ويتعلق هذا المبدأ أكثر بالمتلقي للنصّ أو الخطاب، ويساهم في إرشاد العقل إلى تأويل يكون مناسبا مع محل السّياق زمانا ومكانا وحسب الظروف المحيطة بالنص والبيئة التي قيل فيها: "فقد يقال خطاب واحد في سياقين مختلفين وبالتالي يترتب على ذلك تأويلان مختلفان"[5] ويعد من "المشكلات التي تعترض محلل الخطاب أثناء تحديده تلك الخاصية السّياقية المحددة في جملة الخصائص السياقية اللامتناهية في الظاهر. والتي يجب أن تؤخذ بعين الإعتبار في فهم الخطاب"[6]. ويطلق عليه كل من براون ويول في كتابهما اسم (مبدأ الفهم المحلي). و"يهدف هذا المبدأ إلى تعيين عملية التأويل للنص من قبل المتلقي وضبطها، حيث يضع بعض الحدود التي تؤثر في عملية التأويل، وذلك من خلال بعض المفاتيح في الخطاب مثل أسماء الأشخاص، ألفاظ الزمان والمكان"[7].

---

[1] –ينظر، تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج2/181–182.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ج2/183.

[3] – لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 57.

[4] – ينظر، النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998– 1999، ص7–29.

[5] – الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد، ج2/78.

[6] – تحليل الخطاب، ج، ب، براون، ج.يول، ص: 71.

[7]– الترابط الصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1430هـ– 2009م، ص: 161.

لذلك انطلق المؤلفان من الحديث عن أهمية الدور الذي يقوم به السياق في "تأويل نص الخطاب وهما يقصدان السياق المقامي من المادي الذي نشأ فيه الخطاب، ولما كانت قابلية التأويل هي المحققة للانسجام فإن السياق يكتسب دورا رئيسيا في تحقيق ظاهرة الانسجام فالسياق يجعل القول الواحد متى ظهر في مقامين مختلفين ذا تأولين مختلفين، وهنا ما يختم الاعتداد بدور السياق في تحقيق انسجام الخطاب"[1]."وتأويل الخطاب لا يتسنى إلا بوضعه في سياقه التواصلي زمانا ومكانا والمشاركين فيه ومقاما"[2].وكمثال لذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ**﴾ (البقرة: 13) فكلمة الناس تدل على العموم في حين أن هذه الآية أنزلت في عبد الله بن سلام.

وينظر عادة إلى المقام على أنه معيار محكم من معايير الحكم على العبارة بالمقبولية النحوية، إذ إن العبارات غير المكتملة نحوياً من جهة التركيب لكنها منسجمة مع المقام تصبح عبارات مقبولة وقابلة للتأويل. ولقد ذهب تودوروف إلى أن عبارة بسيطة من مثل: "علينا أن نغادر هذا المكان من هناً"، لا يمكن تفسيرها إلا في سياق محسوس. ولنأخذ الفعل الكلامي الآتي: "أعطني خبزاً" فإن الجهل بمقام الخطاب يؤثر في تأويلنا له فنتردد في عده أمراً أم التماساً، ومن هنا اكتسب سبب النزول فاعلية كبيرة في تأويل النص القرآني، وعلماء التفسير تعاملوا معه باعتباره مؤشراً على المعنى وليس منبع المعنى وإطاره، فقالوا: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وجعلوه مرجعاً يحتكم إليه حين الاختلاف في التأويل"[3].

وقد ذهب المؤلفان هاليداي ورقية حسن إلى أن: "انسجام النص، يأتيه لاحقا عند تأويل المتلقي له، وهو ليس أمرا سابقا على تأويله، ويتم توصل، القارئ إلى تأويل نص الخطاب اعتمادا على أمرين اثنين: أحدهما تجاور مكوّنات نص الخطاب والثاني افتراض توفر الانسجام فيه"[4].فالمتلقي لديه رحابة في استقبال النصوص وتلقيها في أمكنة وأزمنة مختلفة ومن قبل أشخاص مختلفون في الثقافة والعادات والأعراف، وضابط الانسجام في هذه النصوص هو فهمها وتأويلها، لذلك وضع الباحثان فرضيتين لفهم وتأويل النصوص والخطابات وهما أن:

1- الخطاب لا يملك في ذاته مقوّمات انسجامه وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقوّمات.

2- كل نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم والعكس صحيح.[5]

---

[1]- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المجلد الأول، ص: 159.

[2]- المرجع نفسه، ج1/ 154.

[3] - ينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998- 1999، ص7-29.

[4]- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس "نحو النص"، محمد الشاوش، ج1/ 157.

[5]- المرجع نفسه، ج1/ 157.

فالباحثان هنا يعطيان النص انسجامه من خلال ما يحصده القارئ المتلقي للنص من فهم يمكنه تأويل النصوص والخطابات والرسائل التي يتلقاها من طرف ما يقابله في عملية التخاطب.

ومن هنا فإن "النص المنجز لا يتم تحليله لغويا ومدلولاته الحديثة والزمانية والمكانية، لأنه باختصار شديد كائن حي يتشكل مع القراءة الواعية والتحليل الهادف الذي يجعل للسياق والموقف اللغوي دور يتناسب مع التحليل، هذا السياق هو الذي يحدد مكونات النص بل ويوحدها"[1].و"لكي تكون الرسالة قد وصلت فعلا إلى المرسل إليهم يتعين أن يقفوا على مضمونها، وأن يعرفوا محتواها معرفة تامة، وما لم يتم ذلك فإن المرسل إليهم يكونون في حكم من لم يتوصل بالرسالة. وهنا يواجهنا مشكل النص الخطاب القرآني كونه أعلى كأنه مسند مفسر لا يحتاج إلى بيان، يقول الله تعالى:﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾"[2].

وإذا ما نظرنا إلى تعريف إيليس Ellis للتأويل قائلاً بأن التأويل... هو فرضية في التنظيم العام والإنسجام لكل عناصر المكونة للنص الأدبي، وإذا كان افتراض التفكك يعيق من عملية التأويل للنص الأدبي، فإن تأويل القرآن لا يقبل مثل هذا الافتراض، إذ يتعامل المؤول مع نص بلغ درجة الكفاية اللغوية ووصل مرتبة الإعجاز، وله مقاصد معرفية كونية واضحة[3].

وإذا ما أخذنا مقصدية النص القرآني وأعملناها عند تأويل النصوص، فإنها في القرآن الكريم تعصم "القارئ"من إنتاج تأويلات تصطدم مع المقاصد الربانية، لأنّ كل تأويل تعارض كلاً أو جزءاً مع مقصد من مقاصد الشريعة فهو تأويل فاسد كلاً أو جزءاً[4].لذلك حرص علماؤنا أن لا نخضع النص القرآني للأهواء والخلافات. وهذا ما حصل عندما ولّدت الخلافات السياسية والإيديولوجية والعقائدية تأويلات مختلفة في هويتها تبعا لها، فغدا الانتصار للذات مسألة فتحت حرية التأويل، مستعينة بغيرها من العلوم للتقرب إلى المعنى المراد من النص القرآني، ما دام قائما على البنية المجازية التي هي من سمة اللغة البلاغية، أي أنّ اللفظ يراد منه غير ما وضع له في الأصل، "من هنا كان احتياج النص القرآني إلى التأويل الذي هو تجاوز الظاهر إلى الباطن والخروج من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية أو الأصح القول الإرتداد من المجاز إلى الحقيقة ما دامت الحقيقة هي الأصل والمجاز هو العرض الإستتنائي"[5].

---

[1]–نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، كلية دار العلوم، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، 2001م، ص: 47.

[2]– لسانيات الخطاب مظاهر الاتساق والانسجام، د. خديجة بكر، (الموقع نفسه).

[3] – ينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998– 1999، ص:7–29.

[4] –المرجع نفسه، ص:7–29.

[5] – نقد الحقيقة، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1995.، ص: 13.

ومما سبق فإننا لا نكاد نحيد بفهمنا لما آل إليه فكر خطابي من آراء حول علاقة السياق بانسجام الخطاب، إذ يمكننا أن نقف على مقولته القائلة بأن: "الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه...إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية من حيث لغته، ولكنّه قد يتضمن قرائن (ضمائر أو ظروفا) تجعله غامضا غير مفهوم دون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإنّ للسياق دورا فعّالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس"[1]."فالخطاب لا يملك في ذاته مقوّمات انسجامه، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه المقوّمات في أثناء عملية القراءة والتأويل"[2]، فلا سبيل إلى تأويل الخطاب إلا متى كان المخاطب مهتما بالسياق الذي حدث فيه[3]. وقد نظر اللغويون إلى اللغة على إنها إنجاز فعلي واقعي وليست بنية مبتورة عن سياقها التواصلي. فالمعنى الحرفي عند الآمدي غير موجود لأن المعنى غير متعلق بأوضاع الكلم فحسب، ولكن بقصد المتكلم وإرادته. وهناك حركات إعرابية تعود إلى قصد دلالي من مرسل الخطاب، كما أن ظواهر الحذف والمجاز والكنايات وغيرها لا يمكن فهم المقصود منها إلا بربط الخطاب بسياقه التداولي، هذا السياق هو الذي يحتل فيه المتكلم مكاناً معتبراً وهو من يظهر تجاوبه معها حتى يظهر الإنسجام بين المخاطِب والمخاطَب والتحقيق الغرض من النص (الرسالة)[4].

"وعلى مستوى السورة يمكن أن يقال إن موضوعاتها لم تكن جديدة كلّ الجدّة على المتلقي، فقراءته لأجزاء القرآن الأخرى، وتأويله إياها تساعده على الجمع بين موضوعات السورة،[5] فهو يعلم لا محالة من خلفياته السابقة أن هناك علاقة وطيدة بين استحقاق المولى عزّ وجل العبادة وتوحيده، تصحيحا للعقيدة التي كان تسود العصر الجاهلي، وبين خاتمتها التي تعيد القارئ إلى نقطة البداية ويظهر فيها دعاء المتلقي (المؤمنين) الله ليتوب عليهم، كما تاب على أولئك الذين من قبلهم، وتنشأ هنا علاقة تشابه بين المؤمنين الذين تابوا وأصلحوا وبين أولئك الذين نزلت فيهم السورة.

6- علاقة التأويل بالمقام:

تظهر أهمية المقام عند التأويل من خلال الكشف عن الملابسات والظروف التي قيل فيها الخطاب، ويوظف المؤوّل عملية إقصاء للمعاني المحتملة التي تحق بالمعنى الأصلي وتقاربه تأويلا، لذلك ترفع الاحتمالات الكثيرة التي قد تخرج النص عن مقصده الحقيقي كالتوصل عن طريق "سياق الخطاب إلى الوقوف على العلّة

---

[1]- ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 56، وينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص محمد الشاوش، المجلد الأول، ص: 165.

[2]- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، ص: 160.

[3]- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس "نحو النص" محمد الشاوش، ج1/ 166.

[4] - ينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998- 1999، ص:7-29.

[5]- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، ص: 162.

التي قصدها الشارع، والتي يمكن أن تناط لها الأحكام غير المنصوصة"[1]. ونضرب مثالا عن ذلك ذكره صاحب ملاك التأويل، عن قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)**﴾ (**البقرة:45**).وما الفرق بينه وبين قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)**﴾(البقرة،153). حيث" قد يسأل عما أعقب به في كلّ من الموضعين و ما وجه تخصيصه وهل يجوز وقوع كل منهما في موضع آخر؟ والجواب: إنّ قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ** ... ﴾ الآية. وقوله في (الآية) والثانية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾. كلا الإخبارين مناسب لقوله: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** ...﴾ فلا سؤال في هذا. إنّما يسأل عن تخصيص كل من الموضعين بما خصّ به اتباعا؟ والجواب عن ذلك أنّ قوله جلّ وتعالى: ﴿ **وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)**﴾ مشير إلى التثاقل عنها والتكاسل الجاريين في الغالب والأكثر مع ضعف اليقين وقلّة الإخلاص، وذلك مناسب لحال بني إسرائيل ممن ذكرت الآيات قبل، ألا ترى قوله تعالى في المنافقين وإنّما أكثرهم من اليهود: ﴿ **وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)**﴾(التوبة،54)...فلما كان قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** ...﴾ مكتفيا بأمر بني إسرائيل ونهيهم ناسب هذا قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ (البقرة،45). ولما كانت الآية الثانية معقبا بها على أمر المؤمنين في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ.**﴾ (**البقرة،153**) وحال من وسم الإيمان حال رضى واستقامة ناسبهم وصفهم بالصبر إذ بالصبر على الطاعات حصول الدرجات فجاء كل على ما يناسب، ولم يكن ليلاءم واحدا من الموضعين غير ما أعقب".[2] وهكذا يوضح التأويل الطريقة التي تلاءمت وانسجمت بها الآيات والجمل والتراكيب مع السياق، كون لغة القرآن لغة مقصودة من الشارع الحكيم بأحكام وأخبار معيّنة، وهي تغّرض في النص لتسير نحو ذلك الغرض أو الهدف ، فانسجمت لغة الخطاب مع بني إسرائيل حسب السياق الذي وردت فيه، وكذلك لغة الخطاب الموجّه للمؤمنين مع السياق الذي وردت فيه هي أيضا.

وقد أظهر الكثير من علماء الأصول و مفسروا القرآن الأهمية القصوى للمقام في تحديد السياق ومقصدية النص القرآني، وأكدوا على ضرورة التفريق بين مقامات الخطاب، لمعرفة المقاصد، وبيّنوا مقامات عدّة، منها، مقام الموعظة والترغيب والترهيب والتبشير والتحذير، والتعليم والتحقيق.كما أكدّوا على ضرورة ردّها إلى موردها الأصلي الذي قيلت وهنا يمكننا أن نرى درجة انسجامية الخطاب (النص) بالمقام من خلال ذلك المورد الذي قيل فيه[3].

---

[1]– بين علمي أصول الفقه، ومقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ الحسين ابن الخوجة، ج2/ 239.

[2] – ملاك التأويل، القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الإمام إبي جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزّبير الثقفي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،ج32/1.

[3]– ينظر: بين علمي أصول الفقه، ومقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ الحسين ابن الخوجة، ج2/ 239. وما بعدها.

وينظم السياق العلاقة بين المتخاطبين والمتواصلين حول موضوع معين "وهو على أي نحو متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما، ويقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه، وقالوا عبارتهم الموجزة الدّالة التي يضعها الدكتور تمام حسّان بأنها فقرة من فقرات الفكر، وهي: (لكل مقام مقال)، ولا تكون للعلاقة النحوية مميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم"[1].ونلاحظ في نص الآية التالي كسف انسجم الخطاب زمن النبي بذكر أخبار اليهود السابقة تاريخيا في مواقف عدة منها:" **قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) ﴾** (البقرة،67).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذِهِ الْآيَةُ مِمَّا وَبَّخَ اللَّهُ بِهَا الْمُخَاطَبِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فِي نَقْضِ أَوَائِلِهِمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالطَّاعَةِ لِأَنْبِيَائِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : وَاذْكُرُوا أَيْضًا مِنْ نَكْثِكُمْ مِيثَاقِي، " إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ " – وَقَوْمُهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، (إِذِ ادَّارَؤُوا فِي الْقَتِيلِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِمْ إِلَيْهِ:﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا** ﴾ وَ " الْهُزُؤُ " : اللَّعِبُ وَالسُّخْرِيَةُ"[2]

وتفترض دلالة الخطاب في المجال اللغوي وجود متكلم ومخاطب، وموضوع خطاب، وهي كذلك بالنسبة للخطاب الشرعي تقتضي وجود من يصدر عنه الخطاب وهو المشرّع، ووجود مخاطب له وهو المجتهد أو المكلف ووجود خطاب له وهو المجتهد أو المكلف ووجود خطاب وهو الأحكام الشرعية التي جاءت بها النصوص الشرعية الأصولية"[3].

7– مبدأ التأويل في النص القرآني:

إن كان مدار السياق النصي على الربط، فإن مدار الانسجام على الترابط، ويكاد التأويليون يجمعون على أن وظيفة المؤول هي البحث عن انسجام النص[4]، فالظاهرة القرآنية ظاهرة مركبة لا تجد تأويلها في التعديلات الأحادية الجانب، مما يتطلب اللجوء إلى نظرة شمولية تستحضر كل العوامل الفاعلة في اتساق الخطاب القرآني، وانسجامه، بحيث يشكل منظومة متكاملة، حيث تتماسك الآيات والسور القرآنية بروابط لغوية وموضوعية ودلالية. [5] لأن" المتدبر للقرآن الكريم ينطلق من البنية التركيبية السطحية للوصول إلى البنية

---

[1]– النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي، الدلالي. محمد حماسة عبد اللطيف، ص: 98.

[2]– ينظر، تفسير الطبري،ج2/182–183.

[3]– بين علمي أصول الفقه، ومقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ الحسين ابن الخوجة، ج2/ 220.

[4] – ينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998– 1999، ص:7–29.

[5]– لسانيات الخطاب القرآني، مظاهر الاتساق والانسجام، د. خديجة إيكر، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المتحدة للعلماء، المملكة المغربية، الموقع: www.alquran.ma

العميقة فالقرآن الكريم يحتمل من المعاني بقدر ما يحتمل من المباني، لذلك اتجهت عناية المفسرين إلى تحديد الإعرابات الممكنة للآيات القرآنية وتحديد الصيغ الصرفية التي تناسب مع كل سياق، لأنهم بصيغتهم هذه يقيدون المعاني المطلقة للقرآن الكريم بطريقة علمية وموضوعية، ويشكل المستوى التركيبي عاملا مهما من عوامل تماسك الخطاب القرآني فالعلاقات التركيبية من وشائج شكلية ناظمة لكل مكوّنات الخطاب القرآني من جهة، ومحددة معانيه من جهة أخرى، باعتبار المعنى الأساس يكمن في البيئة التركيبية العميقة التي يمكن الوصول إليها إلى المستوى التأويلي، بغية فهم الخطاب القرآني واتساق آليات اتساقه وانسجامه وقد استعمل المفسرون هذه التقنية منذ التفاسير الأولى لتحديد مراد الله تعالى من الخطاب القرآني من جهة ولإدراك مظاهر الإعجاز في القرآن من جهة أخرى"[1].

وقوله تعالى يوّضح كيف استطاع الطبري توظيف اللغة في تقييد التأويل بين الاستفهام والخبر في قوله تعالى: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)** ﴾(البقرة،6) حين قال:" فَإِنَّهُ ظَهَرَ بِهِ الْكَلَامُ ظُهُورَ الِاسْتِفْهَامِ وَهُوَ خَبَرٌ; لِأَنَّهُ وَقَعَ مَوْقِعَ "أَيٍّ " كَمَا تَقُولُ:"لَا نُبَالِي أَقَمْتَ أَمْ قَعَدْتَ"، وَأَنْتَ مُخْبِرٌ لَا مُسْتَفْهِمٌ، لِوُقُوعِ ذَلِكَ مَوْقِعَ "أَيٍّ ". وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَاهُ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ: مَا نُبَالِي أَيُّ هَذَيْنِ كَانَ مِنْكَ. فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِه : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُم** ﴾ ، لَمَّا كَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ : سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَيُّ هَذَيْنِ كَانَ مِنْكَ إِلَيْهِمْ – حَسُنَ فِي مَوْضِعِهِ مَعَ سَوَاءٌ : "أَفَعَلْتَ أَمْ لَمْ تَفْعَلْ . " وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّي الْبَصْرَةِ يَزْعُمُ أَنَّ حَرْفَ الِاسْتِفْهَامِ إِنَّمَا دَخَلَ مَعَ "سَوَاءٌ " ، وَلَيْسَ بِاسْتِفْهَامٍ ، لِأَنَّ الْمُسْتَفْهِمَ إِذَا اسْتَفْهَمَ غَيْرَهُ فَقَالَ : "أَزَيْدٌ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرٌو ؟ " مُسْتَثْبِتٌ صَاحِبَهُ أَيُّهُمَا عِنْدَهُ . فَلَيْسَ أَحَدُهُمَا أَحَقَّ بِالِاسْتِفْهَامِ مِنَ الْآخَرِ. فَلَمَّا كَانَ قَوْلُهُ " : سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ " بِمَعْنَى التَّسْوِيَةِ ، أَشْبَهَ ذَلِكَ الِاسْتِفْهَامَ ، إِذْ أَشْبَهَهُ فِي التَّسْوِيَةِ. وَقَدْ بَيَّنَّا الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ. فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذًا: مُعْتَدِلٌ يَا مُحَمَّدٌ– عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّتَكَ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهَا، وَكَتَمُوا بَيَانَ أَمْرِكَ لِلنَّاسِ بِأَنَّكَ رَسُولِي إِلَى خَلْقِي، وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا يَكْتُمُوا ذَلِكَ، وَأَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ، وَيُخْبِرُوهُمْ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ صِفَتَكَ فِي كُتُبِهِمْ– أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْحَقِّ ، وَلَا يُصَدِّقُونَ بِكَ وَبِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ "[2]. وهكذا نجد الطبيري استعان باللغة لتبيان المعنى عند تأويله للآية الكريمة.

ويشترط بعضهم خاصة في النصوص القرآنية أن يكون القارئ ممتلكا لأدوات القراءة ومؤهلا لها، لأن في عرفهم ليس كل مطالبة للقرآن يعد قراءة، فالتركيب رتب أنماط القراءة في تصنيف يميز فيه بين القراءة

---

[1]– الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1430هـ– 2009م، ص: 161.

[2] – تفسير الطبري،ج1/256–257.

والتجويد والتلاوة والترتيل والتفسير والتأويل[1]. كما كان يفعل القرطبي في تفسيره وكان صاحب علم غزير، ومما علّق عليه في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ(17)** ﴾(**البقرة،17**)."وَأَوْلَى التَّأْوِيلَاتِ بِالْآيَةِ مَاقَالَهُ قَتَادَةُ، وَالضِّحَاكُ، وَمَا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا ضَرَبَ هَذَا الْمَثَلَ لِلْمُنَافِقِينَ – الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ وَقَصَّ قِصَصَهُمْ، مِنْ لَدُنِ ابْتَدَأَ بِذِكْرِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ لَا الْمُعْلِنِيْنَ بِالْكُفْرِ الْمُجَاهِرِين بِالشِّرْكِ، وَلَوْ كَانَ الْمَثَلُ لِمَنْ آمَنَ إِيمَانًا صَحِيحًا ثُمَّ أَعْلَنَ بِالْكُفْرِ إِعْلَانًا صَحِيحًا – عَلَى مَا ظَنَّ الْمُتَأَوِّلُ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿**كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُون** ﴾ أَنَّ ضَوْءَ النَّارِ مَثَلٌ لِإِيمَانِهِمُ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ عِنْدَهُ عَلَى صِحَّةٍ ، وَأَنَّ ذَهَابَ نُورِهِمْ مَثَلٌ لِارْتِدَادِهِمْ وَإِعْلَانِهِمُ الْكُفْرَ عَلَى صِحَّةٍ – لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِنَ الْقَوْمِ خِدَاعٌ وَلَا اسْتِهْزَاءٌ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا نِفَاقٌ. وَأَنَّى يَكُونُ خِدَاعٌ وَنِفَاقٌ مِمَّنْ لَمْ يُبْدِ لَكَ قَوْلًا وَلَا فِعْلًا إِلَّا مَا أَوْجَبَ لَكَ الْعِلْمَ بِحَالِهِ الَّتِي هُوَ لَكَ عَلَيْهَا، وَبِعَزِيمَةِ نَفْسِهِ الَّتِي هُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهَا؟ إِنَّ هَذَا بِغَيْرِ شَكٍّ مِنَ النِّفَاقِ بَعِيدٌ، وَمِنَ الْخِدَاعِ بَرِيءٌ. وَإِذْ كَانَ الْقَوْمُ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ إِلَّا حَالَتَانِ: حَالُ إِيمَانٍ ظَاهِرٍ، وَحَالُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ ، فَقَدْ سَقَطَ عَنِ الْقَوْمِ اسْمُ النِّفَاقِ؛ لِأَنَّهُمْ فِي حَالِ إِيمَانِهِمُ الصَّحِيحِ كَانُوا مُؤْمِنِينَ، وَفِي حَالِ كُفْرِهِمُ الصَّحِيحِ كَانُوا كَافِرِينَ . وَلَا حَالَةَ هُنَاكَ ثَالِثَةً كَانُوا بِهَا مُنَافِقِين ."[2]

وقد أيقن المبرد بأن عملية التخاطب تؤكد على أن ظروف المقال غير اللغوية كالمتكلم والمتلقي تلعب دورا مهما في تحديد خصائص الخطاب، حيث يظهر اهتمامه بالسياق غير اللغوي خدمة للسياق اللغوي ونجاح عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب يتوقف على المقام. فالعلاقات الدلالية بين جمل النص تؤدي إلى الانسجام إذا كانت متصفة بالمنطقية والمقبولية من قبل المتلقي لأنّ الانسجام ظاهرة تأويلية ديناميكية من الفهم المعرفي، تتدخل فيه أنواع عديدة من المعارف الذاتية[3].

قال تعالى: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ (البقرة: 36)، "وعطف ﴿**وَقُلْنَا اهْبِطُوا**﴾ بالواو دون الفاء لأنّه ليس بمتفرّع عن الإخراج بل هو متقدّم عليه ولكن ذكر الإخراج قبل هذا لمناسبة سياق ما فعله الشيطان وغروره بآدم فلذلك قدم قوله فأخرجهما إثر قوله ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ**﴾"[4].ولهذا يشترط في المتلقي أن لا يكون تدخله تدخلا عشوائيا وهو "يعد من أهم الركائز في نظرية تحليل الخطاب، وليست هذه العملية التأويلية عشوائية بل

---

[1]– ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2، ص: 146.

[2] – تفسير القرطبي، ج325/1.

[3]– ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، ص: 240.

[4]–تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، 1984م، ج1/ 135.

منطقية بضوابط وقرائن[1]. "فالمفسر يجمع في كتابته بين التفسير اللغوي وملاحظة السياق، ولا يقف عند الجانب اللغوي الخالص المنسجم مع نظرية العامل، بل يتسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها، وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب وحال المتكلم وموضوع الكلام، كما تنبه إلى دور السيّاق في أمن اللبس وتحدي البناء الجواني المقصود من البناء البرّاني ذي الاحتمالات"[2]. وهكذا فإن محلل النص وهو يتناول الإنسجام فإنه "يستضيف النص ويعقد معه صلاة حميمية ليتعاون معا على انجاز مهمة الفهم والتأويل"[3].وتكمن إجرائية هذا المفهوم في كونه يراعي المقام الثقافي العم الذي يمثل مرجعية المتلقي. ولقد اعتمد اللساني فيرث على مصطلح السياق الثقافي في التأويل واعترف هو وتلامذته منهم هاليداي وإيليس متضمناً سياقات ثقافية جزئية، ومفاد هذا الاصطلاح أن تأويل النصوص لا يتم إلا بجعلها تتسق مع سياق ثقافي محدد[4].

"ويظهر هذا المبدأ كذلك في تفسير طريقة نظم النصوص التي تنتج بها المعاني عن طريق العلاقات النحوية، وفي المعاني الإضافية التي يستخرجها المتلقي بجهد عقلي ونظر ثاقب وروية...إنه يكمن باختصار في تقابل المعنى الذي قصد إليه المتكلم والمعنى الذي فسّره المتلقي أو في تسخير التشكيل اللغوي في كفاءة تفسيرية (لدى المخاطب) للوصول إلى الكفاءة الإبداعية (لدى المتكلم) وهكذا لا يمكن الفصل في نظرية وقد راعى الخطاب القرآني الإقناعي سياق تحققه، سواء سياق وروده أو سيقا تلقيه، وذلك نظرا لما لهما من دور مهم في فهم هذا الخطاب، بمعنى أنه يتحتم أن يكون هناك سياق ما للخطاب ليمارس فيه فعله ويؤسس سلطته، إذ لا يمكن أن يكون هناك خطاب بدون سياق أو (مناسبة) عامة أو خاصّة تعمل على وجوده أو تحققه"[5].

وهكذا فمن غير الممكن العثور على تعارضات دلالية فيه، فهو كلام الله المنزه عن التناقض والاختلاف. ولقد كان علماء التفسير على وعي بقضية الانسجام فجعلوا من أصول التفسير: تفسير القرآن بالقرآن، فما غمض هنا توضح هناك، وما أجمل في موضع فصل في آخر. ويُبيّن إيكو كيف أن التخمينات التي يصدرها المؤول على النص –الذي ينبغي أن يؤخذ في وحدته العضوية– لا تقبل إلا إذا تلاءمت مع انسجام النص الذي سينكر التخمينات الاعتباطية لذلك يمكننا القول أنّ كل تأويل أدى إلى تعارض أجزاء النص هو تأويل فاسد وغير منسجم[6].

---

[1]– ينظر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، ص: 161.

[2]– نظرية النحو العربي، في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، بيروت، 1980، ص: 90– 91.

[3]– دينامية النص، تنظير وإنجاز محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990م، ص: 42.

[4] – ينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998– 1999، ص:7–29.

[5]– جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد، ص: 104.

[6] – ينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998– 1999، ص:7–29.

ثانيا– مبدأ التشابه والتمثيل في القرآن وعلاقته بالإنسجام:

1 – مبدأ التشابه والتمثيل:

يعتبر مبدأ التأويل المحلي جزءا من إستراتيجية عامّة وهي التّشابه الذي يعيشه الإنسان خلال مسيرته الحياتية، لأنّه قد يتعرض لمواقف يعيشها ويتعايش معها وتصبح رصيدا من عالم المعرفة الذي بحوزته وفي نفس الوقت تجميعا لخبراته الحياتية فإذا ما تعرض لموقف شابه موقفا ما قد مضى عليه تهيأت أفكار ذهنه لتفسيره وتأويله بناء على ما مضى من تجربته السابقة، فالتجارب السابقة التي يعيشها الإنسان في حياته عبارة عن تراكمات مفهمية، وعمليات متعددة يستطيع الشخص من خلالها مواجهة تلك المواقف التي تشبهها، ويحللها، وثمة ظهور للمتشابهات والمختلفات "حيث يعتمد المحلل على التجربة السابقة التي يراكم بها عادات تحليلية وفهمية وعمليات متعددة لمواجهة النصوص"[1] الجديدة التي تشبه تلك النصوص القديمة التي أنتجتها ظروف تشابه الظروف نفسها التي أنتج فيها النص السابق.

وللعالم الخارجي المحيط بالنص بصمة في ذلك، حيث نلاحظها في الكشف عن التجارب المتشابهة والمتقاربة من حيث الظروف زمانا ومكانا فحتّى العمليات الفكرية والمعرفية لها نصيب في تحديد نمطية التفكير، كون التّجارب السابقة تبقى دائما رصيدا معرفيا متراكما يحي بظهور نص مشابه للنص المعطى أمام المحلل، لأنّ كلّ العمليات المعرفية (...) من إدراك حتى التفكير، تعد طرقا يسعى فيها جهد الأصيل وراء المعنى إلى التجسيد، وبتعبير أشمل نقول إن جهد لهذا مجرد محاولة لربط الشيء المعطى مع شيء آخر غيره . فالمتلقي مطالب بإدراك الإطرادات عن طريق التعميم واكتشاف الثوابت والمتغيرات فيتزود بالقدرة على التوقع اللاحق من الخطاب بناءا على السابق.[2] لكن هذا الأمر لن يتأتى له مع النص القرآني لأنه نص أحكمت صياغته من الله سبحانه وتعالى وهو نص غير قابل لإعادة البناء، وفي مقابل ذلك هو نص مؤهل لأن يفهم من جديد في كل زمن ومكان، لأن العالم الخارجي عنه هو موضوع هذا النص والتجارب التي يعيشها المتلقي تعد لبنة من لبنات الفهم تساعده على استحضار تجارب حياتية تشابه تلك التي ذكرت القرآن في القرآن ربما ليتعض بها كالقصص والأخبار، والأمثلة.

إنّ هذه التجربة التي يكتسبها محلّل الخطاب يستمدها من تجربته الحياتية الواقعية، الاجتماعية، الفكرية والنفسية، حيث تصبح في البداية من العموميات لدى المتلقي وبعد ممارسة طويلة في مواجهة النّصوص المختلفة يستطيع الكشف عن بعض الثّوابت التي قد تميل إلى التّعقيد في بعض الحالات وبعض المتغيرات التي

[1] – ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام النص، محمد خطابي، ص: 57.

[2] – إنسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي، فتيحة بوسنة، ص: 43.

تصبح من الثانويات، وبهذا يستطيع المتلقي أن يكسب مفتاح فك للمعاني وتصنيف التأويلات في خانات معيّة لتميّز النصوص عن بعضها البعض، و"الوصول إلى تحديد الخصائص النوعية لخطاب معين"[1] تفرضه عليه الأفكار المعطاة في كلّ نص، وطريق التفكير السابقة، والتأويلات التي استنتجها من تجاربه السابقة.

فكل التّجارب التي مرّ بها المتلقي لنص ما يشابه نصا قد مرّ عليه، تعطي له أسبقية الفهم والتأويل عن غيره من متلقين آخرين صادفوا النص الجديد لأوّل مرّة، لأنها تزوّده بـ"القدرة على التوقّع، أي توقّع ما يمكن أن يكون اللاّحق بناءا على وقوفه (أي المتلقي) على السّابق"[2] ، وهذا ليس أمرا متاحا للجميع، فهو متاح لذوي التجارب الكثيرة والمتنوّعة، وبالأخص التي يكثر تكرارها والتشابه فيها. إنّ تجربة المتلقي "مع أحداث مماثلة هي التي تمكّنه من الحكم على المقصد الذي يمكن أن يهدف إليه الكلام، كما أنّ معرفته للعالم هي التي تحدد فهمه المحلي[3]، أين يستطيع إنتاج عدّة تأويلات متعددة لنص واحد، وتلخص له تجربته هذه بالعالم الخارجي وسياق الحال كل هذه التجارب في تجربة واحدة تناسب التأويل المحلي لذلك النص، بعد عملية مفاضلة بين تلك التجارب، إنّه يختار المعنى الأقرب الذي يبعد عنه الإلتباس ويزيل الشّك.

ومما تبنه له البلاغيون في هذا المجال، والذي يمكن أن يعد من الروابط المعنوية : التمثيل . والتمثيل هو التشبيه ، إلا أنه " لا يحصل لك إلا من جملة في الكلام أو جملتين أو أكثر حتى أن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر "[4] ، فالفرق بين التمثيل والتشبيه ، أن الأوّل يكون فيه " الشبه منتزع من مجموعها (الجمل) من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض وإفراد شطر من شطر حتى أنك لو حذفت منها جملة واحدة من أي موضع كان بالمغزى من التشبيه "[5] ، من هنا نجد أن ترتيب الجمل في التمثيل ترتيب مقيد لا يمكن التصرف به فهو سلسلة من الضمائر المترابطة الذي لا يعني في الجزء شيئا إلا إذا انتظم في الكل الذي يصنعه التمثيل من أجل الوصول إلى مغزى التمثيل – لذا فقد فرق الجرجاني بين نوعين من الترتيب : الأول مثل له بقول الشاعر :

-النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم"[4].

---

[1] – لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام النص، محمد خطابي، ص: 57.

[2] – المرجع نفسه، ص: 57–58.

[3] – تحليل الخطاب، ج براون، ج.يول، ص: 73.

[4]– النشر مسك، أي: الرائحة الطيبة منهن كرائحة المسك، وقوله: دنانير، أي: كالدنانير، النشر مسك: مشبه ومشبه به، والوجوه دنانير وأطراف الأكف عنم، هذه ثلاث تشبيهات، جمع وفرق، دنانير، أي: كالدنانير من الذهب في الاستدارة والاستنارة مع مخالطة الصفرة، لأنها مما يستحسن في ألوان النساء، والأطراف: الأصابع، والعنم: شجر أحمر لين الأغصان محمر تشبه بأغصانه أصابع الجواري المخضبة، فقد شبه النشر بالمسك، والوجوه بالدنانير، وأطراف الأكف بالعنم، جاعلا كل مشبه مع مقابله، وهذا يسمى مفروقا، أي: أتبع كل مشبه ما شبه به من غير فصل بينهما بمشبه آخر، وسمي بالمفروق لأنه فرق بين المشبهات والمشبهات بها بالمشبهات.

2- المتلقي بين الفهم و التأويل ودوره في تحقيق الإنسجام :

تستخدم الأمثال في القرآن كأدلة تساهم في حجاجية النص القرآني، وفي إثبات الحقائق، وتعتبر أداة هداية بالنسبة لمن رزق قلبا نيرا وعقلا فاحصا، وأداة ضلال بالنسبة لمن كان عنيدا[1]، وقد بين القرآن دور الأمثال في إعمال العقل وتحريك الفكر، قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (سورة الحشر، الآية: 21)، كما استخدم المثل في القرآن الكريم لأغراض ومقاصد عديدة لا يمكن حصرها في سردها وذكر أخبار الأمم السابقة فقط بل إنها تؤثر في المتلقي وتقنعه وتغيّر نظرته وأفكاره، كما تعدّ هدفا واضحا في الكشف عن الحقائق وبيانها بيانا شافيا تطمئن له القلوب، وتدركه العقول وتقرير الممثل في النفس، حيث يكون الممثل به أوضح الممثل أو يكون للنفس سابقة ألفة وإئتناس به مما يعني انسجام الممثل والممثل به انطلاقا من مبدأ التشابه الذي أقرّه كل من "بروان" و"بول"[2] في محاولة الربط بين الشيء المعطى مع شيء آخر. [3]

وقد استعمل هذا المبدأ في القرآن الكريم كأداة فاعلة في إقناع المخاطب وفي التأثير فيه، لأنه يقرّب المقاصد إلى النفس في صورة حسية ولعقد الصلة بين السياق المشاهد الحاضر، وبين السياق الخيالي الغائب، الذي يتجلى في استحضار بعض الحشرات، وأخبار السابقين وهو يسوق الخبر مقرونا والنباتات بالحجة، ليلقي قبولا واستجابة من المخاطبين وفيه كذلك تبكيت للخصم، لذلك قال الأصفهاني "في ضرب الأمثال تكبت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسورة الجامع الأبيّ، فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه"[4]، فكثير الأمثال التي ضربت في القرآن تبعث من مبدأ تشابه المواقف في الكفر والعناد، الذي اتصفت به، لأن السابقة، فكان استحضارها من مبدأ التشابه.

بين هذه الموافق التي لا تختلف عن ذلك الكفر والعناد الذي تميزت به الأمم السابقة، حصل انسجام بين ما هو حاضر وما هو غائب وبين ما هو حسّي وما هو خفي، قال تعالى:﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾ (سورة إبراهيم: 180)، حيث نجد أن أعمال الكفار في هذه الآية هي صفة معنوية ثم تشبيهها بشيء مادي (رماد)، وذلك لتحقيق المقصود من الآية، إذ يظهر الانسجام في هذا المبدأ، بواسطة التمثيل والتشبيه

---

[1]- ينظر: الجدل في القرآن الكريم، محمد التومي، فعالياته في بناء العقلية الإسلامية، شركة شهاب للنشر والتوزيع، باب الواد، الجزائر، د، ت، ص: 234.

[2]- ينظر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم، بن عيسى باطاهر...، ص: 103. وينظر: المتلقي في الخطاب القرآني، بوقرومة حكيمة، دكتوراه، جامعة تيزي وزو، 21/04/ 2010م، ص: 324 وما بعدها.

[3]- ينظر: المتلقي في الخطاب القرآني، بوقرومة حكيمة، دكتوراه، جامعة تيزي وزو، 21/04/ 2010م، ص: 324- 325.

[4]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ص: 502- 503 وما بعدها.

الذي ينسجم بين المعنوي والمادي، وكثيرا ما يستخدم التشبيه لتقريب بعمق الإنسجام ويتسع من المتشابهين المذكورين في النص، كأنه جزء من عملية التشبيه، فيبدي قابليته وارتياحه في استقبال المعنى (الرسالة)، فيكون المثل هنا "حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدّمتها، ويراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها"[1].التي تنسجم معها في الكثير من الأحيان، ويؤثر المثل هنا على المتلقي من خلال استحضار لمشهد غائب يشابه المشهد الحاضر الذي يعايشه فينسجم ذكر الغائب مع الحاضر المعاشي، لتحقيق غرض من النص القرآني. ولتبسيط الرؤيا نوضح ذلك في المخطط التالي:

مخطط يوضح مركز المتلقي من مبدأ التشابه ودوره في عملية الإنسجام

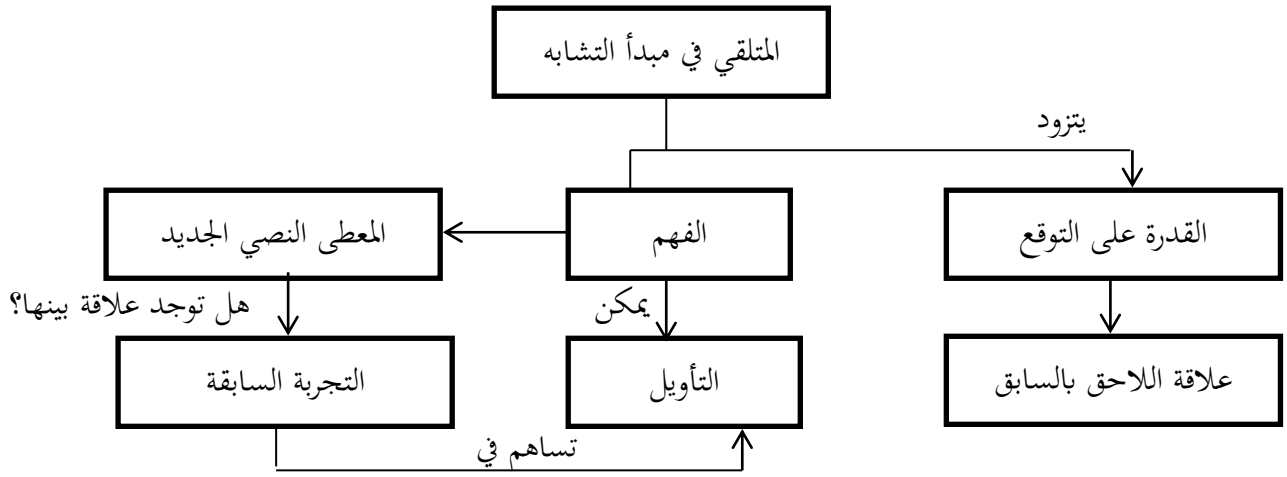

والانسجام الذي نقصده هنا من خلال هذا المبدأ هو أحد الآليات التي يستقبل من خلالها القارئ النص فهو" لا يتعلق بمستوى التحقق اللسانين ولكنّه يتعلّق بالأحرى بتصوّر المتصورات التي تنظم العلم النصّي بوصفه متتالية تتقدّم نحو نهايته... بمعنى أنّ الإنسجام يضمن التتابع و الاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام.[2]وفي سورة البقرة نجد هذا المبدأ من بين أكثر المبادئ استحضارا فيها، لكون تلك الفترة (الفترة المدنية) كانت بحاجة أقوى إلى ذكر ما يدعوا إلى الدخول إلى الدين الجديد وتحبيبه للنفوس وتقريبهم من النبي صلى الله عليه وسلم، وتحذيرهم من كيد اليهود والكفار والمشركين بذكر الأمثال وأخبار الأمم السابقة، وبذكر هذه الأمثال والأخبار يقيم المتلقي للنص القرآني مقارنة واستقراء شخصي بين ذلك، ليكشف عن سبب ذكر هذه

[1]– في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطاب، الخطابة في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق– المغرب، 2002م، ص: 82.

[2] – جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية و آليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي،ص: 216.

الأخبار وهذه الأمثال ومدى انسجاميتها مع زمن الفترة المدينة، حتى يتبدى له في الأخير الصلة الرابطة بين هذا النص الذي تم استحضاره كمشهد حي في زمن غير منه، أو في مضرب شابه مورده. ويكمن دور المتلقي عند تلقيه للأمثال في فك اللغة الرمزية، ولكن يبلغ مراده لابد أن يأخذ بعين الاعتبار انتقال النص من السرد المباشر إلى الإيحاء أو التشبيه والتمثيل، فيتوصل إلى كشف معنى النص العام، ليحيط ببنيته ويفهم المقصود من هذه الأمثال والتشبيهات ويعقد بينها وبين الواقع قرانا يكتشف منه درجة الانسجام.

إنّ النصوص المتشابهة التي توّلدها ظروف متشابهة تحتاج لفهمها وتأويلها، إلى "عملية الفهم المحلي" التي تعتبر الفيصل الوحيد لفرز التأويلات، لأنّ الاحتمال كبير"في أن ترتبط (عملية الفهم المحلي) بخطة مغايرة تطلب من المتلقي /القارئ أن يقلّل من عمليات التّحليل قدر الإمكان، وأن يقتصر على تكوين تصور على درجة كافية من التّخصيص يسمح له بفهم يتناسب مع ما يرى المتلقي أنّه غرض قول"[1]، لذلك تجده أكثر الحريصين على مراقبة الإنسجام الذي تبثّه تلك النصوص مع التجارب التي سبق وأن تعرض لها أو لاحظها وسمع عنها، ولكي يكشف عن ذلك الإنسجام الحاصل لابدّ له أن ينظر إلى النصوص والخطابات المنتجة مع المواقف والظروف التي أنتجتها، من زاوية الإنسجام حتى يسهل تحديد تأويلها إذا وضعنا في الحسبان وكأنّها تجربة سابقة سبق وأن تم تأويلها، فكلّ المعطيات موجودة وحاضرة إلاّ الإنسجام يبقى دائما آنيا وظرفيا مع تلك النصوص، فقد تكون النصوص متشابهة ولكنها تختلف من حيث ظروف إنتاجها، وبالتالي فإن عملية التأويل المحلي تحتاج إلى فهم محلي للظروف التي أوجدت تلك النصوص، ويلعب الإنسجام في هذه الحالة دور الكاشف والمغربل للتأويلات التي حصلت لذلك النّص.

إنّ عملية تقييد التّأويل ليست"مرتبطة فقط بطبيعة الخطاب وسلامة تأويله وإنّما تمليه أيضا بشكل من الأشكال تجربتنا السّابقة في مواجهة نصوص ومواقف سابقة تشبه من قريب أو من بعيد النص أو الموقف الذي نواجهه حاليا"[2] ويندرج هذا ضمن إستراتجية أعم وأوسع وهي معرفة العالم.

ويشترط على الفقهاء والمؤولين أن يكونوا موسوعيي الأفكار والمعارف حتى لا تضيق بهم روح التأويل، لأنهم ليسوا متلقين عاديين للنص القرآني فينطبق عليهم ما ينطبق على المتلقي العادي والساذج للقرآن الكريم، إنّهم مطالبون على الأقل عند تطبيق هذا المبدأ في تحليلهم النص القرآني بمعرفة أسباب نزول الآيات على الأقل حتى لا يكون تأويلهم مجرد فعل تطبيقي لا يخضع للمبادئ العلمية البحثية. وهنا نورد مثالا نوضح فيه كيف استطاع سبب النزول أن يشكل الانسجام بين السياق اللغوي للآية والسياق المقامي الذي نزلت فيه، فقد أورد السيوطي في كتابه عدة أمثلة من سورة البقرة يوضح فيها علاقة الآية بسبب النزول .كما هو في قوله

[1] – تحليل الخطاب، ج براون، ج.يول، ص: 73.

[2] – لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام النص، محمد خطابي، ص: 57.

تعالى﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(20) ﴾(البقرة 19-20).

فقد أخرج ابن جرير من طريق السدي الكبير عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا :كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله – صلى الله عليه و سلم- إلى المشركين. فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعها في أذانهما من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتيا مكانهما يمشيان، فجعلا يقولا : ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمّدا فنضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما و وضع أيديهما في يده، وحسنا إسلامهما فضرب الله شأن هاذين المنافقين، الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة، وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي –صلى الله عليه وسلم- جعلوا أصابعهم في أذانهم فرقا من كلام النبي –صلى الله عليه وسلم – أن ينزل فيهم شيئا أو يذكروا بشيء فيقتلوا ،كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في أذانهما (**كلما أضاء لهم مشوا فيه**) فإذا كثرت أموالهم (و ولدهم، وأصابوا غنيمة أو فتحا مشوا فيه، وقالوا إنّ دين محمّد حينئذ صدق واستقاموا عليه كما كان ذانك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهم البرق (**وإذا أظلم عليهم قاموا**) ، وكانوا إذا هلكت أموالهم (و ولدهم)، وأصابهم البلاء قالوا: هذا من أجل دين محمّد وارتدوا كفارا ، كما قام ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهم .[1]

ويحصل من ذلك ؛ أن التشابه الحاصل في سلوك المنافقين مما هربوا من النبي –صلى الله عليه وسلم- مع من كانوا في المدينة سلوك واحد مرده إلى عدم ثبات كلمتهم على رأي واحد كما دلّت عليه الآيات السابقة، لذلك نجد انسجاما بين سلوكاتهم ذكرته الآية الكريمة رغم هروبهم من بؤرة النفاق، إلا أنهم حافظوا على تلك السلوكات ولم يغيّروا فيها شيئا، فكان الجزاء مناسبا تماما ومنسجما مع تلك السلوكات، لعلّهم يعودون إلى رشدهم

وقد بينت الآية أن التذبذب في سلوكاتهم شبيه بتلك الحالة الجوية الغير مستقرة، يضيئها البرق تارة ثم يضلهما، وفي ذلك وضوح الرؤية وعدمه، وهكذا هو سلوك المنافقين، يرون الحق قائما ويتجاهلونه، فاستحضر هذا المعنى بمشيهم عند الإبراق ووقوفهم عند الإطلال، فانسجمت أفعالهم مع حال الجو والطبيعة، وانسجم موقفهم مع لغة النص، حيث استطاعت الآية الكريمة أن تستحضر حالتهم في النص كما حدث لهم في أرض التي يعيشون عليها في الواقع . ولهذا نجد أنّ معرفة سبب نزول هذه الآية استحضار لإنسجام بين نص هذه الآيات وحالات النفاق في المدينة المنورة وهذا النص ما هو إلاّ تجربة سابقة من تجارب النفاق التي كانت سائدة زمن النبّي صلّى الله عليه وسلّم . كما أن اللغة التي استعملت في وصف هذين المنافقين من ألفاظ وتراكيب وسياقات لغوية

[1] – أسباب النزول ، المسمى (لباب النقول في أسباب النزول) لجلال الدين أبي عبد الرحمان السيوطي ، ص :13 .

جميلة، تتناسب تناسبا حاليا مع حالتهم النفسية، وهم في تلك الظلمة والصاعقة والخوف والرهبة وصممهم وبكمهم لشدة خوفهم، فهم لم يستطيعوا الكلام والحديث وسط هذا الجو المخيف، لذلك انسجمت الألفاظ التي اختيرت لهذا الموقف لحالتهم من حيث القلة والقصر (صم ، بكم ، عمى) لدلالتها على الحالة النفسية التي عاشوها.

3- معرفة سبب النزول ودوره في الكشف عن التجربة السابقة:

في المدينة أين نجد فيها الكفار واليهود والمنافقون، هناك كانت أكثر الأمثلة تضرب. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مبتليا بالمنافقين الذين كانوا يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام بغية الإطاحة بالحكومة الإسلامية الفتية، وفي هذا الصدد نرى أن الأمثال المدنية تطرقت في آيات كثيرة إلى المنافقين وبينت خطورة موقفهم على الإسلام والمسلمين، فتارة يضرب الله سبحانه لهم مثلا بالنار وأخرى بالمطر، يقول سبحانه: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ (**سورة البقرة: 17- 19**). لذلك نلاحظ مما سبق ذكره أنّ معرفة الآيات ومعانيها يكون أجدر بمعرفة سبب النزول، الذي يمثل مورد النص أول مرّة، وعند التلقي يكون هذا السبب الذي يمثل المعرفة السابقة حاضرا لثاني مرّة وكأنها تجربة ثانية حاصلة أمام المتلقي العادي للنص أو المفسر والمؤول. ولأسباب النزول دور بارز في إضفاء الانسجام بين النص والموقف الاجتماعي أو بالأحرى بين السياق اللغوي والسياق المقامي، وليس للاتساق هنا بد لاستحضاره لأنه يتعلق بجانب لغوي بحت، فأما الانسجام فإنه ثاوٍ في النص ويمكن أن يمتد تأثيره إلى خارج النص مثل معرفة سبب نزول الآية ..

غير أن ذكر مجموعة من الأمثال التي يبرز فيها مبدأ التشابه بصورة واضحة ساهم في خلق انسجام بلاغي متعدد من خلال ضرب أمثلة كثيرة متعاقبة حيث قال الطاهر بن عاشور "فإنّ قيل: لم يكن الرد عقب نزول الآيات الواقع فيها التمثيل الذي أنكروه، فإن البدار بالرّد على من في مقالة شبهة رائجة يكون أقطع لشبهته من تأخيره زمانا، قلنا: الوجه في تأخير نزولها أن يقع الرّد بعد الإتيان بأمثال معجبة اقتضاها مقام تشبيه الهيآت، فذلك كما يمنع الكريم عدوّة من عطاء فليميزه الممنوع بلمز البخل، أو يتأخر الكميُّ[1] عن ساحة القتال مكيدة فيظنّه ناس جنبا، فيسرها الأول في نفسه حتى يأتيه القاصد فيعطيه عطاء جزلا، والثاني حتّى يكرّ كرة تكون القاضية على قِرْنه[2]، فكذلك لما أتى القرآن بأعظم الأمثال وأروعها، وهي قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ**

---

[1]- الكمّيُ: الشجاع أو لابسُ السلاح. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ- 1991م، مادة (كمي)، باب الياء، فصل الكاف (4/ 556).

[2]- القِرْن: بكسر الرّاء كفؤ الإنسان ومثله في الشدّة والشجاعة القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ- 1991م، مادة (قرن)، باب النون، فصل القاف (47/ 366).

كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾(سورة البقرة من الآية: 17)، ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**﴾(سورة البقرة من الآية: 18)، أتى إثر ذلك بالرّد عليهم، فهذا يبيّن لك مناسبة نزول هذه الآية عقب التي قبلها، وقد غفل عن بيانه المفسرون"[1]. وهنا يوضح الطاهر بن عاشور علاقة الانسجام والارتباط التي وسمت بها هذه الأمثلة من خلال ذكر لمناسبة نزول كلّ مثل، من الأمثلة التي سبق سياقها في الآيات (17- 18- 19) ثم ينقل القارئ والمتلقي إلى الآية (26) التي ضرب فيها الله تعالى مثلا آخر لتحدي الكفار وإعجازهم، وهنا يظهر الانسجام بين الأمثلة الثلاثة الأولى مع هذه الآية في ردّ على المشككين في صدق القرآن وفصاحته وبلاغته وأنّه من عند الله، وذلك من خلال الردّ عليهم بالقدرة على التمثيل بما هو أحقر وأضعف مما ذكروه في مطاعنهم، ليزهق الله تبارك وتعالى أدنى مطعن قد يطعنون القرآن الكريم من خلاله، ومن هذا النقل تبيّن أن مناسبة هذه الآية الكريمة وانسجامها مع الأمثلة التي قبلها. جاء من مبدأ واحد وهي تشابهها في الرد على الكفار، وهو الرّد القاطع وذلك بإثبات فصاحة القرآن وبلاغته في ضرب الأمثلة، فإنّ الله تعالى لما ضرب الأمثلة قدح الكفار في فصاحته وبلاغته، فجاءت هذه الآية لترد هذه الفرية الباطلة.

قال تعالى :﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ (البقرة :17-18) "إنّ مآل جمل هذه الآية كما يناسب مآل مجموع قصة المنافقين، كذلك يناسب آية آية منها، ألا ترى أن مآل القصة أنهم آمنوا صورة للمنافع الدنيوية...ثم تبطنوا الكفر...ثم تحيروا وترددوا...ثم لم يتحروا الحق...ثم لم يستطيعوا الرجوع فيعرفوا، وما أنسب هذا بحال من أوقدوا لهم نارا أو مصباحا...ثم لم يحافظوا عليها...ثم انطفأت...ثم أظلموا...ثم لا يتراءى لهم شيء حتى يكون كلّ شيء معدوما في حقهم فلسكون الليل كأنهم صمّ، ولتعامي الليل وانطفاء أنواره كأنهم عمي، ولعدم وجود المخاطب والمغيث لا يستغيثون كأنهم بكم، ولعدم استطاعة الرجوع كأنهم أشباح جامدة لا أرواح لها"[2]، فكل هذه الحالات التي سيقت بلغة القرآن نقلت الذهن إلى خارج النص ليبحث عن تلك الحالات المشابهة لهذه المذكورة في النص القرآني، فانسجمت اللغة مع المتخيّل لفضاعة إعمال المنافقين وتنوعها ولذلك أكدّ أهل البلاغة بأن في المشبه به في هذه الآية نقطا أساسية تناظر النقط الأساسية في المشبه، مثلا الظلمة تنظر إلى الكفر والحيرة إلى التذبذب، والنار إلى الفتنة...". [3]" ثم يبرز النظم الكريم سبب حيرتهم وتخبطهم، فيصوّرهم في صورة (الصم البكم العمى) أنظر كيف جاءت هذه الصفات بلا عطف، فالتحمت وصارت كأنها صفة واحدة، تصور شدّة نفورهم وإعراضهم عن الهدى، وتأمل ما وراء حذف أداة التشبيه وفي

---

[1]–تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/ 359.

[2]– إشارات الإعجاز في مطاف الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر مدينة النصر القاهرة، مصر، ط 3، 2002م، ص: 126.

[3]– المرجع نفسه، ص: 127.

المشبه –على نية تقديره– من مبالغة في وصفهم بتلك الصفات (صم بكم عمي) والدلالة على شدّة التصاقهم بهم.

يتلو ذلك تشبيه ثالث، كشفا لحالهم بعد كشف، وإيضاحا لها بعد إيضاح، فيصورهم النظم الكريم بحال من أخذته السماء يصيّب فيه ظلمات ورعد وبرق، فامتلأ رعبا وفزعا، وأخذ بسد أذنيه بأصابعه خوفا من الصواعق أن تنزل به.

ومما يلاحظ أنّ التمثيل الأول قد ذكر فيه لفظ (المثل) في جانب المشبه والمشبه به معا، والمراد بالمثل: الحال والعجيبة والقصة الغريبة ذات الشأن، على سبيل الاستعارة، فإن المعنى: حالهم العجيبة وصفتهم الغريبة كحال رجل استوقد نارا...استعير لفظ (المثل) للحال العجيبة والصفة الغريبة ذات الشأن.[1]

فمن " بلاغة القرآن، حيث يضرب للمعقولات أمثالا محسوسات لأن الشيء المحسوس أقرب إلى الفهم من الشيء المعقول، لكن من بلاغة القرآن أن الله تعالى يضرب الأمثال المحسوسة للمعاني المعقولة حتى يدركها الإنسان جيدا ، كما قال تعالى :﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُون**﴾ (العنكبوت :143) فحدث انسجام عن طريق مبدأ التشابه الحاصل بين ما هو عقلي وما هو حسي ، لأنه يثوب للقياس ، وأنه دليل يؤخذ به لأن الله أراد منا أن نقيس حالهم على حال من يستوقد ، وكل مثل في القرآن فهو دليل على ثوب القياس[2] ، وفي نفس الوقت دليل على الإنسجام بين المقيسين. ويسوقنا هذا المبدأ إلى الكشف عن حالات الانسجام بين النص و السياق الذي سيقت فيه الأمثلة، إذ أن "الإيمان نور له تأثير حتى في قلب المنافق ، لقوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ**﴾ كما أن الله سبحانه و تعالى جازاهم على حسب ما في قلوبهم : ﴿**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾ ، كأنه أخذه فهم. فانسجم الجزاء مع نفاقهم ، ومن وجوه الانسجام في هذه الآية من خلال مبدأ التشابه ما يلي :

1- أن هؤلاء المنافقين لا ينطقون بالجوع كالأبكم .

2- أنهم لا يبصرون الحق –كالأعمى .

3- أنهم لا يرجعون عن غيهم ، لأنهم يعتقدون أنهم محسنون ، وأنهم صاروا أصحاب للمؤمنين وأصحاب للكافرين :هم أصحاب للمؤمنين في هم أصحاب للمؤمنين في الظاهر ، وأصحاب للكافر في الباطن : ومن

---

[1]– ينظر: من بلاغة النظم القرآني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ص: 248– 249.

[2] ينظر إلى تفسير القرآن الكريم ، الفاتحة –البقرة ، محمد بن صالح العثيمين ، ج1/ 64 .

استحسن شيئا فإنه لا يكاد أن يرجع عنه "[1] ، وبتوظيف التقابلات بين صفات المنافقين الغير خلقية منهم ، مع صفات الغيب الخلفي كما هو موضح في الجدول .

صفات المنافقين	عيوب خلقية بشرية
1-لا يسمعون الحق	1-الأصم
2- لا ينطقون بالحق و يجحدونه .	2- الأبكم
3-لا يبصرون الحق و يخفونه ويديرون وجههم عنه .	3-الأعمى

إن الأصم الحقيقي هو الذي يفقد سمعه أو ولد وهو لا يسمع ، وهذا انسجم مع حالة المنافقين في إدارة ظهورهم للقرآن و تعمدهم عدم السمع .ومن هنا نلاحظ الأبكم الحقيقي الذي خلق على هذه الحالة ينسجم مع المنافق الذي يرى الحق ولا ينطق به، وكذلك بالنسبة إلى المنافق الذي يرى الحق و يخفيه ، فإن مثل هذه الصفة تتناسب مع الأعمى الذي لا يرى الأشياء وفي تلاقيها غياب البصر و البصيرة . ولذا فإن الانسجام في هذه الآية ينطلق من هذا التشابه الموجود بين حالة المنافقين و موقفهم من الدعوة المحمدية وما خلق الله تعالى من حالات تشويه خلقية وعيوب في الإنسان وهم الصم و العمى فالذي يسمع القرآن ويضع يده في أذنه ويصمم على علم سماع القرآن ينسجم لهذه الحالة مع الأصم الذي لا يتمتع بتسمعه ، فكلا هما فقد متعته للاستماع.

ويمكننا أن نلاحظ أثر هذا المبدأ من خلال إقامة العلاقة بين الممثل والممثل به من جهة، ومن جهة أخرى بين الأمثلة المساقة في السورة، كما يظهر ذلك في الرد على المنكر الذي زعمه الكفار في آية البعوضة (26)، خاصة بعد الإنكار القوي الذي اتصف به الكفار المعاندين الذين أنكروا بلاغة القرآن وفصاحته واحتاروا لها، لتضليل الناس، فجاء الردّ قويا ليترك أثرا قويا ينسجم مع قوّة الإنكار ويسلونها وقد يفوقها.

4- توارد الأمثلة (المعرفة المسبقة) وعلاقتها بالإنسجام:

ما يميز القرآن أنّه كثير التمثيل واستحضار الأمثلة والتشبيهات، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**﴾ (البقرة: 26). وهذه الآية تتعلق بالآيات التي قبلها في انسجام تام نكتشفه من خلال هذا التوارد في الذكر، وللكشف عن ذكر هذه الآية (المثل) في هذا الموقع وكيف انسجمت مع سابقتها قال الرّازي: "اعلم أنّه بيّن بالدليل كون القرآن معجزا أورد هنا شبهة أوردها الكفّار قدحا في ذلك، وأجاب عنها وتقرير الشبهة أنّه جاء في القرآن ذكر

[1] ينظر المرجع نفسه، ج1/ 66 .

النحل والذباب، والعنكبوت، والنمل، وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فاشتمال القرآن عليها يقدح في فصاحته فضلا عن كونه معجزا، فأجاب الله تعالى عنه بأنّ صغر هذه الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذا كان ذكرها مشتملا على حكم بالغة، فهذا هو الإشارة إلى كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها"[1]، وقد وضح المفسرون أنّ معارضة الكفار لكلامه سبحانه وتعالى لا صحة له وأن الله قد أعجزهم بفصاحة القرآن الكريم وأنه ليس من الصّعب أن يضرب أمثلة بالحيوانات التي تحتقرونها فربط بين هذا الإعجاز وعنادهم وحصل انسجام بين السياق اللغوي والموقف وفي هذا يقول الألوسي: "وجه ربطها بما تقدم على هذا، وكان المناسب عليه أن توضع في سورة العنكبوت مثلا، أنها جواب عن شبهة تورد على إقامة الحجة على حقّية القرآن بأنّه معجز، فهي من الريب الذي هو في غاية الاضمحلال، فكان ذكرها هنا أنسب"[2]. وبيّن أبو حيّان وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها والدّاعي إلى ذكرها في هذا الموقع والموقف، قائلا: "ومناسبة هذه الآية ظاهرة، إذ قد جرى قبل ذكر المثل بالمستوقد والصيّب، ونزل التمثيل بالعنكبوت والذباب، فأنكر ذلك الجهلة وأهل العناد، واستغربوا ما ليس بمستغرب ولا منكر، إذ التمثيل يكشف المعنى ويوضح المطلوب...والعاقل إذا سمع التمثيل استبان له به الحق"[3].

ومن التعليقات التي حاولت الكشف عن الانسجام بين هذا المثل (الآية) والآيات التي سبقت قبلها قول الطاهر بن عاشور حيث قال "قد يبدو بادئ النظر عدم التناسب بين مساق الآيات السالفة، ومساق هاته الآية، فبينما كانت الآية السابقة ثناء على هذا الكتاب المبين، ووصف حالي المهتدين بهدية، والناكبين عن صراطه، وبيان إعجازه، والتحدي به، مع ما تخلل وأعقب ذلك من المواعظ والزواجر النافعة، والبيانات البالغة، والتمثيلات الرائعة، إذ بالكلام قد جاء بخبر بأن الله تعالى لا يعبأ أن يضرب مثلا شيء حقير أو غير حقير.

فحقيق بالناظر عند التأمل أن تظهر له المناسبة لهذا الانتقال، ذلك أنّ الآيات السابقة اشتملت على تحدي البلغاء بأن يأتوا سورة مثل القرآن، فلما عجزوا عن معارضة النظم، سلكوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني، فلبسوا على الناس بأن في القرآن من سخيف المعنى ما ينزّه عنه كلام الله، ليصلوا بذلك إلى إبطال أن يكون القرآن من عند الله بإلقاء الشك في نفوس المؤمنين، ويذر الخصيب في تنفير المشركين والمنافقين".[4]

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (سورة البقرة: 261)، وقوله تعالى:

---

[1]– مفاتيح الغيب، الفخر الرّازي، ج2/ 131.

[2]– روح المعاني للألوسي، ج1/ 278.

[3]– البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج1/ 194.

[4]–تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/ 357.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: 265).وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 264)، ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: 266).

وإذا عدنا إلى تشبيهات الإنفاق في سورة البقرة وتأملنا تسلسلها، فإنها نجدها "بدأت بتمثيل حال من ينفق في سبيل الله، ويتبع ذلك تمثيل حال المنان عطاءه والمرائى له، ثم تمثيل حال من ينفق ابتغاء مرضاة الله، واختتمت بتمثيل حال المنان والمرائى، التي طويت لوضوحها ودلالة السياق عليها، وهذا التنويع فيه لفت وتنبيه للقارئ وحث على تدبر هذه الصور، والوقوف على بعد ما بينها، فاقتران الصور بما يقابلها، ثم اختلاف المشبه به في كل صورة يأخذ بلب القارئ، ويثير فكره، ليقف على هذه الصورة، ولذا التفتت في التمثيل الرابع إلى الخطاب ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وبدئ بهذا الاستفهام الإنكاري الدّال على النبيه والإيقاظ وطويت حال المشبه لتبقى صورة المشبه به ماثلة أمام القارئ الذي هيئ لتدبرها والإحاطة بها"[1].

وتتضافر التشبيهات التي تلتقي في سياق واحد على تجلية أهداف وإبراز معان يقصد إلى تحقيقها...، ارجع إلى تشبيهات سورة البقرة التي تناولت تصوير الإنفاق، وأنظر كيف صورت تضاعف الإنفاق في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وصورت ذهاب إنفاق المن والأذى والرياء سدى، وهي بهذا تهدف إلى الحث على الإخلاص في الإنفاق، والابتعاد عن الرياء والمن والأذى، الذي يبطل الصدقات وكان النسيج اللغوي للتشبيهات والسياق الذي وردت فيه واحدا، إذ رأيناه يبرز مضاعفة الثواب و إرباء الصدقات، ويحث على إنفاق الطّيبات، ويحذر من المن والأذى والرياء، ومن إنفاق الخبيث وأكل الربا...ويستمد عناصره من الزرع والنبات والماء والتراب، وما تخرج الأرض (حبة أنبتت سبع سنابل...صفوان عليه تراب فأصابه وابل...جنة بِرَبْوَة أصابها وابل...جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار...أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض). ويبرز المضاعفة و الإرباء: (والله يضاعف لمن يشاء...فآتت أكلها ضعفين...ويربي صدقاتكم بالمن والأذى...فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت...يمحق الله الربا).

[1]–من بلاغة النظم القرآني، د. بسيوني عبد الفتاح قيود، ص: 257.

هذه الأنسجة اللغوية تضافرت على تجلية المعنى الذي يقصد السياق إلى تحقيقه، وهو الحث على إنفاق الطيبات، ابتغاء وجه الله، والبعد عن الخبيث والمن والأذى والرياء والربا، ويأتي تصوير آكلى الربا بأنهم لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وسبب ذلك أنهم قالوا: ﴿**إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ (سورة البقرة: 275) إنما يحذر النظم الكريم ويتوعد آكلي الربا وينذرهم بحرب من الله ورسوله، وفي نفس السياق.

كما قد "جاء تشبيه إعراض الكفرة عن الآيات والذكر دالا على تحقيرهم، ومشعرا بشدّة الإعراض والنفور في مواطن كثيرة من آيات الذكر الحكيم، انظر إلى قوله تعالى:﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة: 171). تجد مدى التحقير والإهانة في تمثيلهم وقد أعرضوا عمن يدعوهم إلى الحق بالأنعام التي لا تسمع إلاّ دعاء ونداء، ثم وصفهم بهذه الصفات التي التحمت وصارت كأنها شيء واحد قد تمكن منهم وأحاط بهم (صم بكم عمي) فهم في إعراضهم عن الهدى لسوا إلاّ كذلك، لأنه لا يعرض عن الحق والهداية إلاّ فاقد وسائل الإدراك تلك"[1]."وفي نفس السياق يعد الذين يؤدون الزكاة وينظرون المعسر إلى ميسرة، ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّا وعلانية، ويطمئنهم بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وبهذا يتجلى لنا أن السياق الكريم يضع ضوابط وأسس تنظم التعامل المالي بين الناس، فيحث على الزكاة وبذل الصدقات ابتغاء وجه الله، ويحذّر من الإنفاق منّا وأذى ورياء، وينفر من الربا، ويتوعد آكليه، وينذرهم بحرب لا قبل لهم بها، حرب من الله ورسوله، وينهض التشبيه بدوره في تجلية هذه المعاني"[2]. هذا وعندما نتبع التشبيهات في سياقها من النظم الكريم تراها مع السياق نسيجا لغويا واحدا، إذ نجد كل تشبيه إنما هو امتداد للأنسجة اللغوية التي صاغت السياق كله.[3]

5- الثابت والمتغيّر في مبدأ التشابه:

قد يحدث وأن تقع الحالة المعيشية أن تتكرر ويحدث معها استرجاع للتجربة السابقة من خلال استرجاع الحادثة المشابهة أو المثل الذي يسرد حالة مشابهة، فنحصل على ثوابت ومتغيّرات تساهم هي الأخرى في خلق الإنسجام بين الفهم والتأويل، وكلما كانت الحالة الجديدة تشبه الحالة القيمة، كان تأويل الخطاب أيسر وسريع، وعليه نحكم على النص بأنّه منسجم أو لا. قال تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، أَوْ**

---

[1]-من بلاغة النظم القرآني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ص: 245.

[2]-المرجع نفسه،، ص: 266- 267.

[3]-المرجع نفسه، ص: 266.

كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 17- 20) ثم يضرب لهم مثلا آخر في الآية التي بعدها: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(البقرة: 19- 20)"وهذا أيضا مثال يضربه الله عزّ وجل للمنافقين، كأن المعنى أو كأصحاب صيّب، فجعل دين الإسلام لهم مثلا فيما يناله من الشدائد والخوف وجعل ما يستضيئون به من الإسلام، وما ينالهم من الخوف في البرق بمنزلة ما يخافونه من القتل، والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ**﴾ (سورة المنافقون: 04)"[1]و"هذا مثل ضربه الله عزّ وجل – للمنافقين في تجملهم بظاهر الإسلام وحقنهم دمائهم بما أظهروا فمثل ما تجهلوا به من الإسلام كمثل النار التي ستضيئ بها المستوقد وقوله: ﴿**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾معناه والله أعلم اطلاع الله المؤمنين على كفرهم، فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر الله عزّ وجل من كفرهم ويجوز أن يكون ذهب الله بنورهم في الآخرة، أي عذّبهم فلا نور لهم، لأنّ الله عز وجل قد جعل للمؤمنين نورا في الآخرة وسلب الكافرين ذلك النور، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا**﴾ (الحديد: 13)"[2].

مخطط يوضح الثابت والمتغير في الخطابات المتشابهة ودور التجربة السابقة في تحقيق الإنسجام:

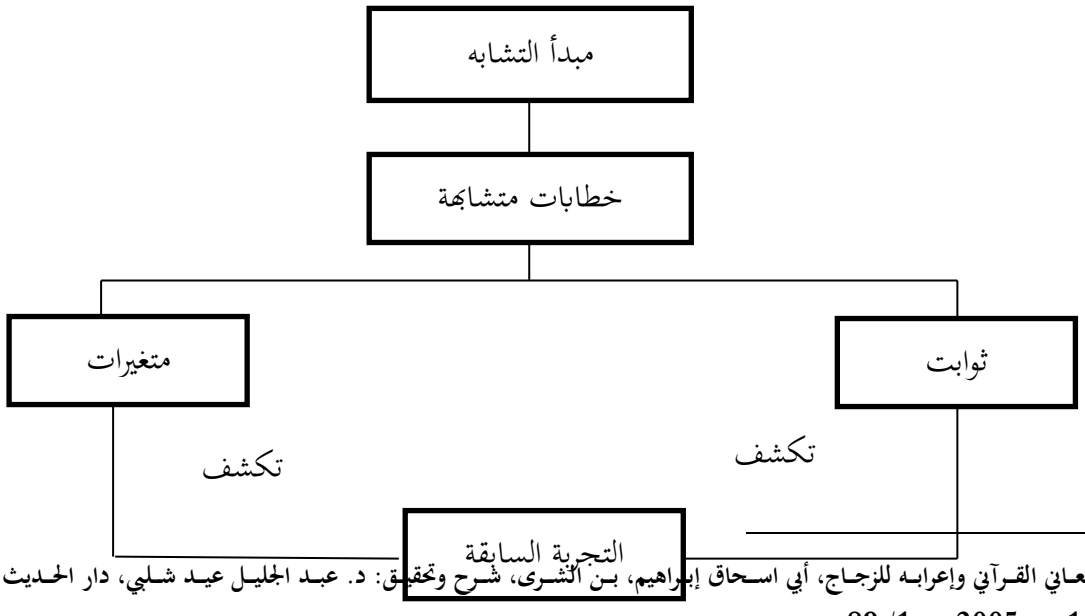

[1]– معاني القرآني وإعرابه للزجاج، أبي اسحاق إبراهيم، بن السّري، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عيد شلبي، دار الحديث القاهرة، 1426 هـ– 2005م، ج1/ 89.

[2]–المرجع نفسه، ج1/ 90.

وتوضح هذه الخطاطة علاقة الخطابات المتشابهة بالتجارب السابقة في عملية التأويل، أين تتشابه المواقف والأقوال بل قد تعيد التجربة السابقة نفسها ولكن في ظروف مخالفة، فنحصل من ذلك على أشياء ثابتة لم تتغيّر تنفذ إلى الفهم بسرعة، وتيّسر للمتلقي طريق التفاعل مع الخطاب بانسجام، ومتجددات متغيّرة تصاحبها ظروف جديدة معيّنة، تحتاج فيها المتلقي على اختلاف أنواعه عملا ذهنيا يحرس فيه أن يسير والمراد من النص.

ولنا أن نكشف الطريقة التي يدعو إليها هذا المبدأ من انسجام اتسمت به سورة البقرة، من خلال توظيف التشابيه القرآنية، ففي قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (سورة البقرة: 74)، "تشبه لقلوب اليهود بالحجارة في صلابتها وجمودها، وأنها لا ينفذ إليها شيء من الخير والحق، فالتشبيه يصوّر غفلة اليهود وتحجر قلوبهم، وشدة إعراضهم عن الهدي والحق"[1]. حيث تمثل القلوب والحجارة وهما طرفين بارزين في التشبيه، العنصر الثابت الذي يحافظ على خصائصه الطبيعية، لكن المتغيّر في ذلك هو سلوك نوع العلاقة بينهما وتقريبها من سلوك اليهود.

وبهذا نجد أنّ السياق اللغوي للتشبيه في الآية الكريمة قد انسجم مع واقع اليهود، حيث أن قساوة قلوبهم شبهت بقساوة الحجارة أو أشد منها، ومنه نجد أن كلاهما (قلوب اليهود والحجارة) قد انسجما من حيث القساوة والصلابة، وهذا ما يوضح مدى انسجام العلاقة الموجودة بين المتشابهين، وهنا يتجلى الدور الذي يلعبه هذا المبدأ في عملية الإنسجام الحاصلة إنه انسجام ثنائي بين شيء (قلوب اليهود) وشيء آخر (الحجارة)، وبين سياق لغوي وسياق مقامي، وهذا الانسجام استطعنا أن نكشفه من خلال تجسيد لهذا المبدأ (أي مبدأ التشابه).

"ولهذا قال بعض العلماء معلقين على قوله تعالى:﴿**أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾وإلى إخباره عن الحجارة بأن منها ما يتفجر منه الأنهار، ومنها من يشقق فيخرج منه الماء، ومنها ما يهبط ويسقط من موضعه استجابة لأمر الله، فالحجارة وإن كانت علما في القسوة، فإن قلوب اليهود أشد قسوة منها، وصياغة (أهل التفضيل) من الفعل (قسا) قياسة، ولكن النظم الكريم آثر التعبير بلفظ (أشد) فلم يقل: فهي كالحجارة أو أقسى، للتصريح بالشدّة وللإشعار بجفاء القلوب، وغلظها وخلوها خلوا تاما من أنواع الخير، ومن النفع المشار إليه في الحجارة"[2]."وبهذا

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 231.

[2]–من بلاغة النظم القرآني، د. المرجع نقسه/ ص: 232.

يتبّين لنا أن سياق التشبيه يوضح ويظهر المغزى المراد منه وأنه لا يمكن الإحاطة بمعاني التشبيه، وإدراك أثره، متنوعا من سياقه الذي ورد فيه".[1]"وقد وضح لنا انسجام تشبيه من التشبيهات التي تناولت تصوير هذه الأحوال في سياقه، واتساقه مع المعنى الذي يبرزه السياق".[2]

6-أثر مبدأ التشابه على الإنسجام في سورة البقرة:

لإستظهار الأثر الذي يتركه هذا المبدأ في المتلقي نعود إلى ما قاله تعالى:﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (سورة البقرة: 19- 20)، ويظهر وجه نظم هذه الآية وبين سابقتها في "أنه كرر التمثيل وأطنب في التصوير إشارة إلى احتياج تصوير حال المنافقين في دهشتهم وحيرتهم إلى نوعين منه"[3] ، "كما أن تكرار التمثيل إماء إلى انقسام المنافقين إلى الطبقة السفلية العامية المناسبة للتمثيل الأوّل وإلى الطبقة المتكبرة المغرورة الموافقة للتمثل الثاني"[4].

ويعتبر التمثيل الثاني من خلال مبدأ التشابه منسجما مع حال المنافقين المتكبرين الذين يرفعون رؤوسهم إلى السماء، وهو متناسب أيضل مع التمثيل الأول الذي ينسجم مع المنافقين الصغار الذين يبحثون عن طريق تنجيهم من الظلمة، "إذ هو كالتكملة والتنمية له مع الاتحاد في كثير من النقط"[5]. لذلك وظفت (أو) في :﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾إشارة إلى انقسام المنافقين[6]. ومن هنا يتبيّن لنا بلاغيا أنّ الرسالة تصل إلى المتلقي من خلال تعريفه بأصناف المنافقين وبصفاتهم، حسب ما عرضناه فهناك المنافق الكبير والمتعجرف الذي يتناسب سلوكه مع فعله رفع الرأس إلى الأعلى، وهناك المنافق الصغير الذي يدل عليه سلوكه، وهو إنزال الرأس إلى الأسفل، وهذا ما يترك في المتلقي فهما جديدا يعرف فيه أنواع المنافقين الذين كانوا متواجدين زمن النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم. وتتحوّل هذه المعرفة الجديدة فيما بعد إلى معرفة سابقة تسترجع كلما كانت هناك حالة مشابهة تستدعي حضورها من جديد.

وأمّا الأثر الثاني فإنّه يمتد إلى خلق تصورات ذهنية من خلال هذا المبدأ عن حالات النفاق والفئات البشرية التي كانت تعيش وقت نزول الرسالة، إنّه يؤثر على المتلقي بهذه الطريقة ويتركه ينجلب لمعرفة المزيد عن

---

[1]-من بلاغة النظم القرآني، د. المرجع نفسه، ص: 232.

[2]-المرجع نفسه، ص: 238.

[3]- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، ص: 134.

[4]-المرجع نفسه، ص: 134.

[5]-المرجع نفسه، ص: 135.

[6]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 137.

هذه النماذج البشرية حتى يستطيع التعامل معها، وسرعان ما تصبح هذه النظرة من زاد المتلقي الذي يخزن في رصيده حتى إذا ما صادف حالة مثل تلك الحالات التي ذكرت في سورة البقرة قارن بينهما واختار سلوكا يسلكه في حياته، وسنعرض بعض الصور التي نستطيع نسيانها ذكرتها سورة البقرة "وفي التصوير لشخصية المنافق فقد رسمها المقطع في جملة صورة فنية ممتعة، ومثيرة ومدهشة، لقد وصفها – من جانب- بكونها صماء، بكماء، عمياء، ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ (البقرة: 18) وهذا الوصف يعد من حيث عمارة المقطع إنماءا عضويا للصورة السابقة ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(البقرة: 07)حيث الختم على قلوبهم وسمعهم، ثم الغشاوة على بصرهم، يفضي في النهاية إلى أن يكون (صمّا وبكما وعميا)، وهذا ما نعنيه بعملية (الإنماء أو النمو العضوي) بصفة أنّ الموضوع الأوّل (وهو الختم...الخ) قد تنامى وتطوّر إلى الموضوع الآخر (وهو العمي...الخ)، فالختم على السمع قد تنامى إلى ظاهرة (الصمم)، والختم على السمع تنامى إلى ظاهرة (البكم)، والغشاوة على البصر تنامت إلى (العمي)، فأصبحوا تبعا لذلك صمّا بكما عميا، كما هو نص الصورة التي وصفت المنافقين بأنهم ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾وهذا ما يرتبط بالصلة المباشرة بين الصورتين اللتين اعتمدتا القلب والسمع والبصر"[1].

أمّا الصورة الثانية ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: 19) فتمثل تفصيلا لما أجملته الصورة الأولى، وإنها توضح لنا طبيعة العمليات النفسية التي يصدر المنافق عنها حينما يفكر بتحقيق مكاسبه، إنّه يواجه ظلمة ورعدا وبرقا وصواعق، فالظلمة هي خوفه من عدم تحقيق المكاسب، والرعد هو مزيج من الخوف والأمل بصفته مؤشرا إلى إمكانية استمرار المطر وإمكانية عدمه، والبرق مؤشر إلى وجود الأمل، فهو يسن خوف ثم تأرجح بين خوف وأمل ثم اطمئنان إلى الأمل، ثم بزوغ الخوف بالقضاء على مكاسبه، وهكذا إذن صورة الظلمات والرعد والبرق والصواعق تمثل العمليات النفسية المعبّرة عن (الصراع) الذي يحياه المنافق. لأنّ جعل الأصابع في الآذان ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾تعتبر عن بداية الصراع وعن مدى تخوّفهم من الفضح. حيث أن الوحي قد فضح بعضهم فعلا، وأمّا صورة ﴿**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا**﴾ (البقرة: 20) فهي تعبير عن عمليات الصراع المتعاقبة، فالبرق أو الأمل في تحقيق المكاسب- يكاد يخطف بصرهم، إنهم يسيرون في الطريق كلما أشاء لهم البرق، حيث يخيّل إليهم أن نفاقهم سوف يخفى، لكن﴿**وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا**﴾ أي: إذا أظلم الجوّ من جديد وقفوا متخوفين من الفضيحة وهكذا"[2]

---

[1]– التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، مشهد مجمع البحوث الإسلامية، مكتبة مؤمن قريش، الجزء الأول، ص: 27– 28.

[2]– التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود الشياني، ج1/ 29– 30.

ثالثا–مبدأ التغريض و دوره في إنسجام النص:

1– مبدأ التغريض:

دخل هذا المفهوم إلى اللّغة بالدلالة التاريخية ثم تحوّل إلى مفهوم لساني، ولقد ظهرت عبارة المسافة الأغراضية في ميدان تحليل الخطاب من جانب التاريخ بداية من الثمانينات، وترتبط في أعمال المؤّرخ اللّساني للغات القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية (غيلومو 1984/1981) بكيفية جديدة في قراءة الأرشيف"[1]، ويقصد بالتغريض سياق النص بالتدرج نحو المقصود الذي يهدف لتبليغه المرسل بجرعات متتابعة ومتسلسلة، إلى المتلقي حتى يتمكن من استيعابه وفهم مقصوده مبعدا كل التأويلات المحتملة الأخرى. و"لما كان الخطاب ينتظم على شكل متتاليات من الجمل مندرجة لها بداية ونهاية فإنّ هذا التنظيم يعني الخطية، سيتحكّم في تأويل الخطاب بناء على ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه"[2]. "فهناك نظام تسلسل طبيعي يمكننا من أن نتوقّعه في غياب مؤشرات توحي بخلاف ذلك لأنّ الحدث الذي ذكر أوّلاً والذي ذكر ثانيا تاله زمنيا لهذا فالمجال مفتوح أمام المستمع/ القارئ للوصول إلى إستنتاجات من هذا التّسلسل، وهي استنتاجات محدّدة بمضمون ما قيل وبالتوّقعات النمطيّة المبنية على التّجارب السّابقة[3].

وينظر اللّسانيون بهذه الحقيقة النّصية خاصّة في النّصوص السّردية بقولهم: "نحن نعترف بأنّ السّردية متدرجة (أدم 1997)، إنّه يجب لتوحّد الحكاية قبل كلّ شيء تمثيل تعاقب أفعال زمنية ويجب بعد ذلك أن يتحقّق أو يخلق تغير هام أو أقلّ أهمية لبعض الخصائص الأولى للفواعل، ويجب أخيرا أن يهيكل حبك العقدة ويعطي معنى لهذا التعاقد للأعمال والأحداث في الزّمن، تحقيق هذا الشّرط الأخير بألا يقع الخلط بين الحكاية بالمعنى الدقيق ومجرد وصف أو ربط بين الأحداث أو رسم ملامح شخص بواسطة أعمال"[4]، لأنّ عامل الرّبط بين الأحداث والأزمنة مهمّ جدّا في النّصوص السّردية، لذلك يجد المحلّل نفسه مضطرا إلى تتبع التّنامي المتدّرج للأحداث حسب طبيعة النّص، خاصّة في النص القرآني فإننا نجد مثل هذا النوع في القصص القرآنية التي يغلب عليها النمط السردي، فالأفعال تتالى متلاحقة في النّص ويربط بينها إتّساق زمني يوصل المتلقي إلى نهاية القصة بفائدة ومقصود. وهنا نجد الإنسجام هو المهيمن على كلّ النص، فالإتّساق يظهر في ذلك الترابط، والإنسجام في الطريقة التي خدمت المعنى وكيف أفرغ كلّ فعل من هذه دلالته الجزئية في المعنى العام للنص لتشبيع الدلالة العامة للنص.

---

[1] – معجم تحليل الخطاب، ص: 471.

[2] – لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام النص، محمد خطابي، ص: 59.

[3] – تحليل الخطاب، ج.بروان، ج.يول، ص: 146.

[4] – معجم تحليل الخطاب، ص: 471.

ويبدأ تحقيق مبدأ التغريض من بداية الخطاب إذ "يمكن أن يكون عنوان النص، أو الجملة الأولى فيه، وهو يبحث في العلاقة بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوانه أو نقطة بدايته"[1].ويقوم مبدأ التغريض على تنمية العناصر اللغوية والخطابية في النص، ويساهم بتوسيعه النص عن طريق إنشاء علاقات لغوية متنوّعة ومغرضّة إلى هدف ومقصد معيّن "وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية ما أو حادثة أمّا الطرق التي يتم لها التغريض متعددة نذكر منها تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه استعمال ضمير محيل إليه، خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية..."[2]. فهذه المذكورات التي ذكرها خطابي في كتابة ثم ذكرها في اتساق النص اعتبرت من المقومات التي تحقق اتساقية النص وترابطه، ومنها ينطلق الانسجام في الظهور والبروز فكلها توجهنا نحو غرض النص الذي يزيد به الإنسجام تناميا ما لم ينحرف صاحب النص عن وحدة أكفاره وتوجيهها نحو هدف معيّن يخدم قصد النص.

مخطط يوضح العنصر المغرّض له في النص لبلوغ الهدف والقصد من النص.

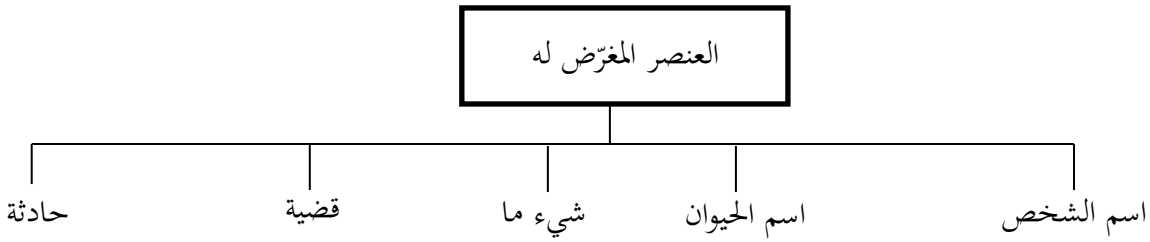

مخطط يوضح الطرق المستعملة للتغريض في النص.

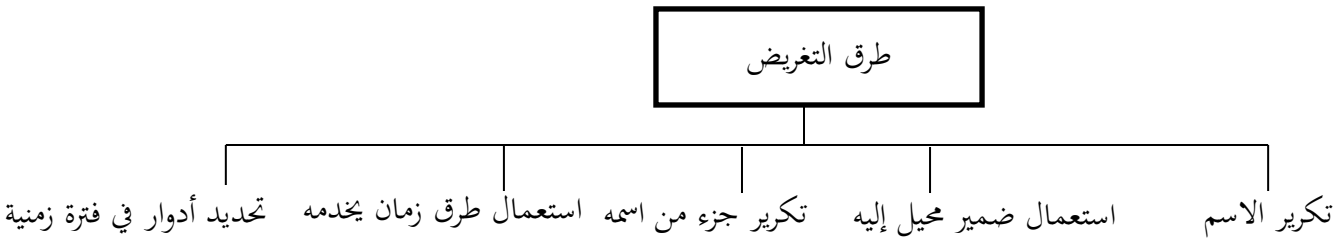

2- بداية التغريض من العنوان إلى النّص:

نزل القرآن الكريم جديدا في موضوعه، وفي شكله ومن جديد شكله أسماء سوره، فلكل سورة اسم تعرف به، وهذا أمر لم نعهده في نثر الجاهلية وشعرها الذي خلا من هذه الظاهرة فإننا إذا ما تصفحنا مجاميع

[1]- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، ص: 162.

[2]- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 59.

الشعر الجاهلي، لا نجد اسما لكل قصيدة ، إلاّ ما كان من أمر المعلقات التي عرفت بأسماء أصحابها، وما كان كذلك من أمر لامية الشنفرى، ولامية السموأل اللتين شاعتا بين العرب، فعرفتا لا بأسمائها بل بشجهرتهما وجماهيريتهما. [1]

ونشير هنا إلى أن أهم ما يميز هذه الظاهرة وحدتها في نوعية أسمائها، إذ المألوف في أسماء العربية أن تكون إمّا جامدة أو منقولة. وعلى ما هو الحال في مثل: حجر وحبل، وشجرة، وفضل، وحسن وشاكر ومحمود...الخ، وقد يكون اسما منقولا عن الفعل نحو: تغلب، ويثرب، ويتبع، وتدمر، ويريد، وتماضر، وتأبط شرا، وشاب قرناها...الخ "[2] . وقد جاءت أسماء وسور القرآن الكريم موافقة لما تسمى العرب في هذين البابين حيث جاءت الأعلام أعجمية، وعربية في مثل: يونس وهود، ويوسف، وإبراهيم، ومحمد، كما جاءت جامدة في مثل: البرقة، والنساء، ومنقولة عن الفعل في مثل: فصلت، وعبس، غير أن الجديد الفريد في أسماء سور القرآن الكريم أن منها ما جاء حكاية عن حرف في مثل: ص، و ق، أو عن حرفين في مثل: طه، ويس، أو ثلاثة أحرف في مثل ألم، وقد أشار الدكتور أحمد حسنين إلى ظاهرة عنونة السور بأسماء لم تعهدها لا نصوص الشعر لا نصوص النثر، مبيّنا أهمية هذه الظاهرة، ورأى بأنّ ظاهرة العنونة في الثقافة القرآنية في شبه الجزيرة العربية، أصبحت قضية العام والخاص، و"خطت هذه القضية خطوة نوعية في مستوى التعاطي مع العنوان وصلته بالمحتوى كإشارة إلى تماسك المنطق الداخلي الذي يحكمها والخيط المنهجي الذي يربطها، فشكلت أسماء السور القرآنية دلالات رمزية لها قدرة محورية في السورة، وإشارات من طرف خفي إلى حدث جسيم فيها"[3] وعلى هذا النمط كانت كل سور القرآنية ماشية، آخذة من مضمونها لعنوانها، فحدث الترابط من قلب السور إلى رأسها الأعلى، وهذا الترابط يحمل في طياته تغريضا للعناوين. ويذهب الطاهر بن عاشور إلى أن أصل أسماء السور أن تكون بالوصف، لقولهم: السورة التي يذكر فيها كذا، ثم شاع فحذفوا الموصوف وعرّضوا عنه الإضافة، فقالوا: سورة "ذكر البقرة" مثلا، ثم حذفوا المضاف وأقاموا المضاف إليه مقامه، فقالوا: سورة البقرة، أو أنهم لم يقدروا مضافا وأضافوا السورة كما يذكر فيها لأدنى ملابسة."[4]

---

[1]– من قضايا أسماء سور القرآن الكريم، دراسة لغوية وصفية، أ.د. عبد الله أحمد إسماعيل ود، عبد الله عبد الجليل المناعمة، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الأول، ص: 613.

[2]– ينظر: من قضايا أسماء وسور القرآن الكريم، أ. د عبد الله أحمد إسماعيل ود. عبد الله عبد الجليل المناعمة، مجلة الجامعة الإسلامية، (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الأول، يناير 2010م، ص: 619.

[3]– العنونة وأسماء السور في القرآن الكريم، بقلم، عبد الرحمن حسين، صحيفة الحياة، 22– 09– 2007.

[4]–تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ص: 35.

ويذكر اللسانيون وعلماء نظرية التواصل أن "هدف النص أو الغرض منه، يعد هو المنطلق الأوّل لتحديد الأثر الذي يريد الكاتب أن يحققه في جمهور معيّن أو جمهور عام"[1]، "لهذا نجد أن أغلب الكتاب تكون نصوصهم هادفة ومُغَرَّضَةٌ للوصول إلى التأثير على المتلقي وهذا يتطلب من الكاتب أن يحدد بدقة من هو الجمهور المستهدف الذي يتوجه إليه بالكتابة، وما الذي يريده لهم أو يريد منهم"[2]، إذ أنّ الجمهور المتلقي للنصوص يختلف نوعهم وجنسهم وثقافتهم وبيئتهم "فقد يكون الجمهور المستهدف هم النساء أو الأطفال أو العمال أو الشباب، كما قد يكون جمهورا عاما"[3].وأما الهدف "المتوخى من وراء كتابة النصوص، فقد يكون الترفيه، أو إثارة الاهتمام والإغراء، كما قد يكون الهدف هو التوجيه والإرشاد"[4]. وفي السور القرآنية فإنّ الأهداف والأغراض تتنوع من نص إلى نص ومن مقطع إلى مقطع حسب المواضيع التي تذكر فيها.

ويساهم العنوان بدرجة كبيرة في عملية تغريض النّص فمنه ينطلق المتلقي بفكرة أوّلية تحدّد له معالم النّص، كما يساعده في تحديد دلالة ومجالات التّأويل التي خلّفها العالم الحقيقي، والعنوان جزء من النّص وأحد تعبيراته الممكنة، إنّه النّص المختصر والبسيط، والغير معقّد وتكمن وظيفته عند براون ويول في "أنّه وسيلة خاصّة قوية للتغريض"[5]، بحيث يضع المتلقي في حالة أهبة لإستقبال مضامين النّص التي تتوارد فيه الواحدة تلوى الأخرى لبناء الفهم العام للنّص، وهو يحضّر المتلقي لإنتاج تأويلات أوّلية قريبة منه، إذ لا يستطيع فكره أن يبتعد عنه على امتداد النّص فأينما حلّ المتلقي في النص طارده المعنى الأوّلي الذي أخذه في السّابق من العنوان، وكأنّ العنوان هو الذي يحدد للمتلقي المسالك الكبرى التي يجب أن يكون فيها الفكر، وللمتلقي الحرية في إنتاج تأويلاته واختيار أيّاً منها حسب الدّلالة التي يقتضيها المعنى المقصود من المرسل، حتى ينتهي به إلى آخر كلمة في النّص."فكثيرا ما يتحكّم العنوان في تأويل المتلقي، وكثيرا ما يؤدي كذلك تغيير عنوان نص ما إلى تأويله وفق العنوان الجديد "[6] "فالشيء الذي يستهل به المتكلم أو الكاتب حديثة يؤثر حتما في فهم كلّ ما يأتي لاحقا، هكذا يؤثر العنوان في فهم النّص الذي يتبعه"[7]، لذلك نجد الكتاب يختارون عناوين برّاقة ولامعة لاستقطاب عدد كبير من القرّاء وجلبهم إلى نصوصهم، لأنّهم يدركون ما للعنوان من تأثير على القارئ، فلا يجب أن يتعارض المضمون مع العنوان، لأنّ النصوص تنتج إمّا لتوسيع دلالة العنوان بشرط أن يكون ذلك في

---

[1]– اللغة الإعلامية، المفاهيم – الأسس– التطبيقات، أ. د. سامي الشريف، د. أيمن منصور، ندا، كلية الأعلام، جامعة القاهرة، 1425هـ– 2004م، ص: 49.

[2]–المرجع نفسه، ص: 49.

[3]–المرجع نفسه، ص: 49.

[4]– المرجع نفسه،، ص: 49.

[5] – ينظر، تحليل الخطاب، ج براون، ج، يول، ص: 148 وما بعدها.

[6] – ينظر لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ص: 60.

[7]– تحليل الخطاب، ج براون، ج، يول، ص: 155.

انسجام محكّم، تحكمه دلالة العنوان وسياق النّص، وإمّا تكملة لمضمونه، دون أن يحيد عن دلالة العنوان. ويمكن القول هنا" بأن فهم السورة مرتبط أساسا بتلفيق النظر في اسمها (العنوان)، لأن فهم العنوان يسهل علينا مضمون السورة بأكملها، بل قد نصل إلى التفريق بين السور المكية والمدنية"[1].

يبدأ التغريض في سورة البقرة من العنوان الذي يعتبر اختزالا لما في آياتها ثم يبدأ في التنامي والتوسع داخل نص السور من آية إلى آية أخرى، حيث تظهر في مقدمتها عرض للفرق الدينية التي تزامن وجودها مع بداية التنزيل "وقد جاء الوفاء بهذا الغرض على أبدع الأساليب وأكمل وجوه البلاغة فكانت فاتحتها في التنويه بشأن هذا الكتاب وآثار هديه وما يكتسب. متبوعة من الفلاح دنيا وأخرى، وبالتحذير من سوء مغبة من يعرض عن هديه و ينتكب طريقه، ووصف من خلال ذلك أحوال الناس اتجاه تلقي هذا الكتاب من مؤمن وكافر ومنافق، بعد ذلك أقبل على أصناف أولئك بالدعوة إلى المقصود"[2]، وهكذا تظل عملية التغريض متواصلة حتى تصل إلى علاقة بني إسرائيل بالبقرة التي أمرهم الله بذبحها، وهنا يتمركز التغريض ويصبح الغرض من العنوان منسجما مع قصة بقرة بنبي إسرائيل، لذلك فالانسجام هو سمة قرآنية إذ لا نجد على الإطلاق تنافر بين العنوان (اسم السورة) وموضوعها.

أ- العنوان في سوّر القرآن الكريم (اسم السورة):

يمضي التغريض من موضوع النص أو السورة إلى العنوان بعلاقة عكسية، بعدا أن ينطلق في البداية من العنوان نحو نص السورة، وينظر إلى العنوان على أنه وسيلة قوّية لتغريض السورة، وحينما يقع القارئ على كلمة في العنوان مذكورة كاسم للسورة "البقرة" مثلا؛ فإنه يتوقع دون شك أن تكون في السورة وتكون هي صميم الموضوع في حدّ ذاته، وتساعد هذه الكلمة أو اللفظة (البقرة) على تهيئة القارئ لاستقبال عناصر محيطة بها، والتي قد يتجدد ذكرها في كلّ مرّة داخل البيئة النصيّة لتقدم دلالة جديدة، وأنّها كلما نسجت معلومة جديدة (NEW GEVEN) توسع النص وزاد علاقاته إحكاما. وهذا ما يسمى بالتغريض الذي بدأ يتشعب وتلْتَفُّ حولها المواضيع المتشعبة في سورة البقرة التي لا تكاد تخرج عن المقصد العام للسورة أو الغرض الكلي. ويسجل هذا التنوع الإغراضي سمة بارزة في السورة، لأن هذا المبدأ يتفرع ويتخصص بموضوع معيّن محدد كلما كان هناك تجديد لنوع الخطاب القرآني داخل نصّ السورة، ويبدأ هذا التغريض في الالتفاف نحو أكثر العناصر اللغوية حضورا في هذه المقاطع، حتى يصبح لكل مقطع شبه عنوان تربطه علاقة قوية بأشهر مقطع و أوضح قصة التي تعبّد الطريق للقارئ وهو يواصل تتبع النص من نقطة البداية (العنوان)، إلى أن يصل إلى الكلمة التي ذكرت في مقدمة السورة ليربط بينها وبين العنوان من جديد، وهنا يصبح على قناعة بأنّ هذا العنوان له خاصيّة تختلف

---

[1]- تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، د. يحي طاهر ناعوس، ص: 236.

[2]-تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، 1984م، ج1/ 447.

عن العناوين التي يضعها البشر لنصوصهم كونه معطى لقصّة عجيبة وقعت زمن سيدنا موسى عليه السلام. ولا تكاد هذه العملية تنقطع حتى نهاية السورة.

ويعتقد محمد خطابي أن مفهومي "التغريض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه، وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوّع الخطابات"[1].ثم يقول: "وإن شئنا التوضيح قلنا إن في الخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقة وتحوم حوله بقية أجزائه[2]. **ولهذا يشترط** على صاحب النص أن يتمثل "الغرض الذي من أجله يكتب، لأن تحديد هدفه، هو الذي يحدد له المعلومات المطلوبة وأفضل الأساليب للعرض والتناول والتأثير العقلي والعاطفي"[3]. لأنّه يسعى لإقناع أشخاص قد لا يؤمنون بأفكاره.

لهذا نبه علماؤنا القدامى إلى أهمية العنوان أو اسم السورة، فيذهب الزركشي إلى أن تسمية السورة باسم من الأسماء التي سميت بها "ليس إلاّ تعقيدا لتقليد معلوم لدى العرب، وهو تقليد يراعي في كثير من المسميات أخذ بأسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه...ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز"[4]. ولذلك تطرق القدماء إلى العنوان في دراساتهم القرآنية التي شابهت نظرية النص وتحليل الخطاب الحديثة، لأنهم اعتبروه بمثابة العتبة التي يقدم عليها القارئ قبل النص، فهي الباب الأوّل المطروق بل أي عنصر لغوي آخر، ومما تجدر الإشارة إليه هو أننا نستطيع أن "نستنبط وجه المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها، لابد أن يكون اسم السورة توقيفا أي ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم"[5]. وتكتسي أسامي سورة القرآن الكريم أبعادا معرفية متوسعة شاهدة شمولية القرآن الكريم ،وكنوع مضمونه وطرقه لجميع مظاهر الكون والحياة البشرية ، فإن مضمون القرآن الكريم ، بلاشك لا يغادر كبيرة ولا صغيرة من تلك المظاهر إلاّ وتناولها بالاجمال أو التفصيل انسجاما مع روح العناوين الكبرى التي تمثلها السور ، ومن المجالات المعرفية الكبرى التي يمكن تخطيطها وتصنيف أسماء السور تحتها.[6]

---

[1]– لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 59.

[2]– المرجع نفسه، ص: 59.

[3]–المرجع نفسه، ص: 50.

[4]– البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ج1/ 46.

[5]–مباحث في التفسير الموضوعي، أ. د. مصطفى مسلم، مطبعة المعارف، ط1، 2009م، ص: 185.

[6] – أسماء القرآن الكريم ، أسماء سوره وآياته معجم موسوعي متيسر ، د/ أدم ، مراجعة وتقديم قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية ، مركز جمعية للثقافة والتراث ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ،ط 4301 هـ /2009 م ، ص : 98 .

ففي القرآن يتأكّد هدا المبدأ ويصبح قاعدة عامة لكلّ سوره، لأنّنا نقف عند العنوان والسورة في كل مرّة يتجدّد فيها تلقي السّور، وعلى هذا الأساس فسر العلماء مواضيع السوّر حسب العناوين، كما جاءت مضامينها منسجمة مع عناوينها، ونكاد نجزم بأنّ كل سوّر القرآن هي ترجمة لما جاء في عناوينها، ونذكر من ذلك سورة البقرة، التي ورد ذكر بقرة بنى إسرائيل فيها، فحقيقة الإنسجام بين العنوان والسّورة تظهر متمركزة في الآيات التي ذكرت فيها قصة البقرة، إنّه إنسجام بين العنوان والموضوع النّواة الذي جاء في السّورة، إذ هو قيد واضح للعنوان والتأويلات التي تبقى محصورة بينه وبين المضمون والسّياق الذي وردت فيه، بحيث يبقي المتلقي دائما يسير في المسار الأغراضي للسّورة، وهو مسار تشريعي في الغالب الأعمّ يهدف إلى تبيان مقاصد الشريعة الإلهية في الأرض، والتي لا تكاد تخرج عن حقيقة الحياة والموت، وإعادة البعث من جديد. إنّ متلقي سورة البقرة سيفهم مباشرة من العنوان أنّ أهمّ شيء مذكور في هذه السّورة يستحق تحليله تحليلا سيميائيا ونصّيا، هو قصّة البقرة، وعليه أن يتساءل ما علاقة العنوان بهذه القصة؟.

ولفهم ذلك ينطلق من بداية السّورة متدّرجا في تلقي الأغراض (الأهداف/ المقاصد) التي تفصح عنها الآيات المتتابعة في إنسجام تام، وبمقاصد معلومة ذكرها علماء التّفسير والقرآن حسب طريقة نظمها في الآيات. وليس له الحرية في خلق تأويلات تبعد عمّا حصره العنوان وقصة البقرة، إنّه مقيّد في إنتاج تأويلات لا تخرج عن هذه القصّة التي عرف بها عناد بني إسرائيل من باب كفرهم، يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)** ﴾ (البقرة،67-73) وهي تربطنا بالكثير من التشريعات السّماوية حسب منظومة أغراضية متدرّجة ومنتظمة تنسجم فيها كلّ التشريعات التي جاءت لتبيّن حقيقة بني آدم (البشر)، لتصل في آخر السّورة إلى ما تحقق من أهداف ومقاصد بعد إيمان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبعض المؤمنين بما أنزل إليهم من ربّهم وفي أوّلها قضيّة التوحيد، والإيمان بالملائكة، والكتب والرسل عليهم الصلاة والسلام دون التفريق بينهم ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)** ﴾ **(البقرة،285).**

وحتّى لا تكون هناك فوضى في تأويل النّصوص، وتُأَوَّلُ حسب أهواء المتلقين يبقى الضابط الأساسي للمعنى هو العنوان، يلوّح للمتلقي في كلّ مضّي ناحية الأمام ليسترشد به في ذلك، فهو يحدّه ويقيّده، وفي المقابل فإنّ قيودا أخرى تحد المتكلّم و"ممّا يحد من حرية المتكلم / الكاتب أنّه لا يستطيع إصدار أكثر من كلمة في وقت واحد، عندما ينظم هذه الجمل في نصوص، فإنّه يواجه ما أصبح يعرف بـ (مشكلة تسلسل الكلام) فعليه أن يختار نقطة بداية، هذه النّقطة ستِثير في فهم المستمع/ القارئ لكل ما يليها في الخطاب، حيث أنّها ستمثل السّياق النّصي الأوّلي لكلّ ما يلحق"[1]، لأنّ هذا الرّبط في الواقع هو اتّساق بين الألفاظ والجمل التي ترد متسلسلة ومنسجمة، لكنّه ليس بمعزل عن عناصر الخطاب، لذلك يخطئ من يعتقد بأنّ الإنسجام ينبع من النّص لوحده، ولكنّه في الحقيقة تساهم فيه كلّ هذه الأطراف، ولو بنصيب ضئيل، " بل إنّ في الخطاب مركز جذب يؤسّسه منطقه وتحوم حوله بقية أجزائه"[2]. "إن فهم الأحداث الكلامية تتم في إطار الأرضية التي يوفّرها السّياق النّصي السّابق (داخل سياق محدّد بطبيعة الحال) فقد تأخذ السّلسلة نفسها من الكلمات قيمة "مختلفة عندما تصدر في سياق نصي مختلف"[3]، ويختلف معها تغريض الكلام، لأنّها تمشي في رواق مقصد يخالف المقصد الأوّل، وللمتكلّم حقوق الإنتاج وحرية التغريض لإيصال رسالته وتحديد مقصديته.

فحين نقرأ نحن اليوم البقرة عنوانا على هذه السورة، لا يرد بخاطرنا غير بقرة بني إسرائيل، ونتذكر معاصيهم التي فاقت كلّ الحدود، فنتذكر "قصتهم في عصيانهم لله ورسوله موسى عليه السلام، فتدرك أن الله قصد بهذا العنوان أني سأقص عليكم تاريخ عصيان بني إسرائيل"[4]، فلا تكونوا مثلهم ولا تتبعوهم، وهذا خطاب تزامن مع بداية الدعوة النبوية الشريفة، حتى لا يكون لليهود تأثير على الفئة المتقيّة التي آمنت بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو بمثابة التحذير والتنبيه لهذه الفئة والسلالة البشرية التي جرّدها الله من الأمانة، وحمّلكم أيّاها فلا تكونوا مثلهم فيغضب الله عليكم. "ومن ثمّ اصطفى هذا الاسم من هذه القصة التي يظهر فيها بجلاء منهج بني إسرائيل الفاسد، ليبقى ماثلا في الأذهان تذكره حين تسمع الاسم الكريم "البقرة" فهو اختصار لكلام طويل جدا في اسم قصير معروف مألوف، معرفة قصّته ومألوفة أيضا"[5]. وحتّى نختصر الطريق في فهم السورة من خلال العنوان (السورة البقرة) التي سميت بها: وذلك لورود "قصة بقرة بني إسرائيل فيها، ولم ترد أي إشارة إلى هذه القصة في أي سورة غيرها"[6].

---

1 – تحليل الخطاب، ج يول، ج براون، ص: 145.

[2] – تحليل خطاب القرآني، في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، بن يحيى طاهر، ص: 224. وينظر مدخل النص، محمد الخطابي، ص: 59.

[3] – تحليل الخطاب، ج يول، ج براون، ص: 146.

[4]– مقال لأحمد الجوهري عبد الجواد /www.alukah.net/sharia/a/123450

[5]– مقال لأحمد الجوهري عبد الجواد /www.alukah.net/sharia/a/123450

[6]– التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، أ. د.، مصطفى مسلم، ج1/ 32.

أمّا عن عملية الانسجام بين العنوان والمضمون أو بين العنوان ونص السورة فإنه واضح لاختيار الله سبحانه عزّ وجل اسم "البقرة" لهذه السورة، وهي بقرة بني إسرائيل الذين تنكروا في ذبحها، وألحوا بالأسئلة على سيدنا موسى حتى يأتيهم تفصيل كثير عنها، كان هذا من باب الاستهزاء والسخرية وعندما تم وصفها ذبحوها وضرب المقتول ودلّ على قاتله.

وفي رأينا هذه أعظم قصّة ذكرت في السورة لأهميتها زمن سيدنا موسى عليه السلام، وكذلك عندما آثر النبي صلى الله عليه وسلم المتقين من أصحابه لتحذيرهم من سلوك اليهود ومكرهم، فهم قوم عنيدون جاحدون لنعم الله، فانسجم النص بما هو مذكور من عناد وجحود مع عظمة قصة البقرة. ومن هنا يمكننا أن نقول ما قيل به: بأن "أسماء السور القرآنية لها دور مهم في تحقيق التماسك النصي لتلك الصور، إذ يجمع حولها الموضوعات المختلفة للسورة وتساعد القارئ على توجه القراءة إلى هدف موحد يمنع تشتيت النص، وفصل أجزائه بعضها عن بعض"[1].

ب- علاقة التغريض بحروف التهجي والإعجاز القرآني في سورة البقرة:

تمثّل ظاهرة الحروف المقطّعة (التهجي) ظاهرة متميّزة ينفرد بها القرآن، وهي تقع في بداية السور، يظهر من أوّل وهلة أنّ حروف التهجي التي جاءت في سورة البقرة فيها سرّ كبير ينقل المتلقي من بداية السورة إلى وسطها، ومن وسطها إلى نهايتها في حالة انسجام يثير لها بين الآيات والجمل، لذلك قال اللسانيون يجب "أن تحتوي مقدمة الخبر على أهم ما فيه، فالمقدمات الناجحة هي المقدمات القصيرة الجذابة التي تشد انتباه المستمع وتبلغه بأهم ما حدث"[2] وهذا ما يصر أغلب النقاد على أن تبدأ المقدمة "ببداية سليمة تضمن معها جذب انتباه المستمع من أول جملة وإثارة فضوله لمتبعة الاستماع"[3].

و"إذا كان لابد من انفراد كل سورة باسم مستقل يميّزها من غيرها من سور القرآن على كثرتها، ويميز كل سورة من أخواتها المبدوءة بما يناظرها نحو (ألم) و(ألر) و(حم) والمسبحات...الخ، لأجل ذلك كان لابد لكل سورة أن تستقل باسم يميزها من غيرها"[4]. وهذا ما حصل مع فسطاط القرآن (البقرة) إذ سميت باسم لم

---

[1]- ينظر: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، ص: 238.

[2]- أسماء القرآن الكريم ، أسماء سوره وآياته معجم موسوعي متيسر ، د/ أدم ، مراجعة وتقديم قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية ، مركز جمعية للثقافة والتراث ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ،ط 4301 هـ /2009 م ، ص: 92.

[3]-المرجع نفسه، ص: 92.

[4]- من قضايا أسماء سور القرآن الكريم، دراسة لغوية وصفية أ. د عبد الله أحمد إسماعيل ود. عبد الله عبد الجليل المناعمة، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، يناير، 2010م، ص: 317.

يتواجد في كل سوره، وانسجم هذا الاسم مع مذكور في مضمون السور لم يذكر في باقي السورة الأخرى وهو قصة البقرة، التي انفردت هذه السورة بذكرها فحصل الانسجام بين عنوان السورة ومضمونها.

فقد ذكر الطاهر بن عاشور –رحمه الله– أن هناك مناسبة في هذه الآية الكريمة مع إعجازية القرآن الكريم للكفار أحدثت انسجاما غير متوقع بين هذه الحروف وقوله تعالى: ﴿الم﴾ (البقرة: 01) ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ (سورة البقرة: 23) حيث قال عن هذا الانسجام: "وتظهر المناسبة لوقوعها في فواتح السور أن كل سورة مقصودة بالإعجاز؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(سورة البقرة: من الآية 23)، فناسب افتتاح ما به الإعجاز بالشهيد لمحاولته، ويؤيد هذا القول أنّ التهجي ظاهر في هذا المقصد، فلذلك لم يسألوا عنه لظهور أمره، وأنّ التهجي معروف عندهم للتعليم، فإذا ذكرت حروف الهجاء على تلك الكيفية المعهودة في التعليم في مقام غير صالح للتعليم، عرف السامعون أنهم عوملوا معاملة المتعلّم، لأنّ حالهم كحالة في العجز عن الإتيان بكلام بليغ"[1].

وهذا ما يراه جمع من المفسرين في انسجام افتتاحية سورة البقرة بهذه الحروف المقطعة مع مقصد الآية (26) الذي يتضمن تحدي الله للكفار وإعجازهم عن الآيتان بسورة من مثل سور القرآن الكريم وهذا ما قال به البقاعي حين قال: "ولما كان معنى (ألم) هذا كتاب من جنس حروفكم التي قد فقتم في التكلم بها سائر الخلق، فما عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله إلا لأنه كلام الله؛ أنتج ذلك كماله"[2].

وللألوسي قول آخر من زاوية أخرى يربط فيه بين هذه الحروف ومطلع سورة البقرة، بقصة البقرة التي ذكرت فيها، فيقول: "افتتاح هذه السورة بالمبهم ثم تعقيبه بالواضح فيه أتم مناسبة لقصة البقرة التي سميت السورة لها"[3]. وعلى يحرص الكثير على أن المقدمة الناجحة "هي المقدمة القصيرة التي تقدم للمستمع أهم ما في الحديث في أقل عدد من الكلمات، وعادة لا تزيد المقدمة على جملة أو جملتين قصيرتين"[4].ولهذا قال قوم معلقين عن سبب الإبتداء بحروف التهجي(ألم) في سورة البقرة والغرض منها: "أنّ المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة نزلت ليستغربوها فيفتحون أسماعهم فيستمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة، وقيل هي أمارة لأهل الكتاب أنه ستنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كتاب في أول سور منه حروف مقطعة"[5].

---

[1]–تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/ 212.

[2]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي،ج1/ 33.

[3]– روح المعاني للألوسي، ج 1/ 140.

[4]–المرجع نفسه، ص: 92.

[5]– تفسير البحر المحيط، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الشهير بأبي حيّان الأندلسي الغرناطي، تحقيق: عبد الرزاق المهيّري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص: 54.

ومما سبق فإننا نستطيع القول بأن أغلب المفسرين لوحوا للانسجام الظاهر من بداية سورة البقرة بحروف مقطعة إلى ظاهرة الإعجاز القرآني وتحدي الله تعالى الكفار لأن يأتوا بسورة من مثله، في متن السورة، كما كشف الألوسي عن الانسجام الحاصل بين حروف التهجي في بداية السورة (ألم) وبين قصة البقرة التي سميت السورة بها، من خلال توضيح المبهم بهذه الحروف التي انسجمت مع قصة البقرة التي ذكرت فيها.

ويظهر أثر هذا الربط بين افتتاح السورة بهذه الحروف المقطعة ومع ما جاءت به السورة في تعجيز الكفار وتبكتهم عن الإتيان بمثل هذا القرآن الذي هو من جنس الحروف (ألم). كما يظهر أثرا آخر لهذه الحروف المقطعة يتمثل في لفت انتباه المشركين، وشدّ أذهانهم إلى القرآن الكريم المؤلف من هذه الحروف التي يستعملونها في كلامهم، لكي يثبت عجزهم التام عن الإتيان بمثله والله أعلم. حيث انسجم نوع التحدي مع المجال الذي برع فيه العرب وهو الفصاحة والبلاغة أين كان العربي يستعرض لسانه في أقوى سوق عربي عرفه التاريخ وهو سوق عكاظ.

ج- التغريض من بداية الجمل الأولى في النص:

تعتبر الجملة الافتتاحية هي المقدمة (LEAD) ومن المعروف في صياغة الأخبار أن غالبية الكتاب والمؤلفين يستعملون "أسلوب الهرم المقلوب (INVERTED PYRAMID) ويعني هذا الأسلوب كتابة أكثر عناصر الخبر أهمية في البداية، ثم تتدرج العناصر الأخرى بعد ذلك حسب أهميتها حتى تصل إلى رأس الهرم"[1]. لذلك يقال إن "المقدمة الجيّدة هي مفتاح الخبر الجيد"[2].

وبالعودة إلى مطالع النّصوص، فإنّ الجمل الأولى في النّصوص تنطلق دائما مصوّبة أسهمها ناحية المعنى المراد بلوغه، إنّك "لذلك تجد الجملة الأولى في الفقرة الأولى ليس فقط من معنى الفقرة ولكن معنى بقية النّص، أي أنّنا نفترض أنّ كلّ جملة تشكّل جزءا من تعليمات تتطّور وتتراكم لتعلّمنا كيف نبني تصوّرا مترابطا للخطاب"[3]، ينسجم معه تدرج في تغريض النّص، حتّى يصبح مفهوما عند المتلقي. فكل نصّ وكلّ خطاب له مقوّماته ومنها ما يلفت الإنتباه ويبقيه مرتبطا بأهمّ لفظة لها علاقة بالعنوان، وهنا تنشأ علاقة بين العنوان والنّص، ويظهر الإنسجام المتكامل بينهما، " وقد استدل كلّ من ج، براون، ج يول بقول غرايمز (1975) حيث رأيا أن كلّ تركيبة كلّ جملة كلّ فقره كلّ خطاب حول عنصر خاصّ يكون هو نقطة الإنطلاق "[4]، في إشارة منه إلى العنوان وجمل البداية التي تؤسّس لقيام المعنى النّهائي للنّص عند اختتامه. "وهكذا فإنّ عنوانا ما

---

[1]- اللغة الإعلامية، المفاهيم، الأسس، التطبيقات، أ. د سامي الشريف، د. أيمن منصور ندا، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1425 هـ- 2004م، ص: 92.

[2]- اللغة الإعلامية، المفاهيم، الأسس، التطبيقات، أ. د سامي الشريف، د. أيمن منصور ندا، ص: 92.

[3] - تحليل الخطاب، ج يول، ج براون، ص: 155.

[4] - المرجع نفسه، ص156.

سيؤثر في تأويل النص الذي يليه، كما أن الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن تفيد فقط تأويل الفقرة، وإنما بقية النص أيضا"[1].

وهذه ملاحظة نلاحظها في القرآن الكريم، فإنّ كلّ ذلك في القرآن الكريم على أتمّه، و"ليس فيه اضطراب أو اِلتواء ولا يجوز فيه عذر ولا تسويغ وهو منه بحيث يدعو بعضه إلى بعض، ويريد بعضه بعضا"[2]. ولذلك نرى بأنّ ما ذهب إليه براون ويول إلى أن عملية التغريض تبدأ من الجملة الأولى في النص، أو لنقل أن كلّ جملة في النص هي تحييد للأفكار نحو وجهة أغراضية معيّنة وتساهم في بنائه المنسجم، بمعنى أننا "نفترض أنّ كل جملة تشكل جزاء من توجيه متدرج متراكن يخبرنا عن كيفية إنشاء تمثيل منسجم"[3]. "وإذا كان البعض يوحي بضرورة أن يبدأ النص بإثارة الاهتمام على الفور ومنذ السطور الأولى...ويلح على ذلك كثيرا، فإنّ ذلك لا يعني أن يقتصر التشويق وإثارة الاهتمام على جزء أو أجزاء من النص دون سواها، بل يجب أن تتنوع مجالات إثارة الاهتمام وتتطور وقائع النص لتصل إلى ذروة الموقف"[4].

أمّا في البلاغة فإنّ هذا التدرج من العنوان إلى آخر كلمة في النّص المنتج تعد الذروة "باعتبارها صورة تعبيرية (FIGURE OF SPEESH) أداة درامية للإقناع، وتعرف أيضا بتدرج بلاغي (GRADATION)، فهي تقدّم حججا في رتبة تصاعدية من حيث الأهمّية، محتفظة بالمهمة إلى الأخير"[5]. أي الإنسجام بالتغريض من العنوان إلى آخر فقرة في النّص.

2- الإنسجام و مبدأ تغريض المقاصد في سورة البقرة:

كثيرا ما "يبدأ القارئ (المتلقي) بتحديث الفهم بداية من العنوان إلى آخر كلمة في النص، إذ يلعب العنوان الموّجه إلى الحقول الدلالية والمفاهيم المتواجدة في النص، لأنه يعتبر اختصارا لما سيرد في النص التابع، وينظر إلى العنوان على أنه وسيلة قوّية للتغريض، لأننا حين نقع على لفظة مضمنة في العنوان نتوقع أن تكون هي الموضوع، فهي تهيئ القارئ وتوجه قراءته للنص"[6] ويستطيع المتلقي أو المخاطب "أن يرى في الخطاب القرآني (مخططا قصديا) متلازما بشكل مستمر مع هذا الخطاب وطبقا لذلك يأتي الخطاب القرآني شكلا أدبيا، وخطابا أخلاقيا وتقريرا تاريخيا معرفيا، يعطينا معلومات عن الطريقة التي استخدمها النص الحالي في سياق تكوّنه والوظائف التي حققها وقتها، بينما تثير – هنا- وظيفة الفهم، حتما ستظهر هنالك وظيفة الكلمة

---

[1]- ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: 59.

[2]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مجموعة مصطفى صادق الرافعي مكتبة، رحاب، الجزائر، ط3، ص: 259.

[3]- ج. براون، وج بول، ص: 135.

[4]- اللغة الإعلامية، المفاهيم، الأسس، التطبيقات، أ. د. سامي الشريف، د. أيمن منصور، ندا،ص: 53.

[5] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، ص: 117.

[6]- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، ص: 229.

القرآنية وبالتالي تتجلى متعة كلمة الله المرسلة"[1] وتجتمع المقاصد الشرعية في نص السورة تحت غطاء اللغة بإعتبارها هدفا تُغَرِّض له الآيات من بداية السورة إلى نهايتها، وتغريض المقاصد في السورة هو توجيهها نحو هدف وغرض معيّن تتجه نحوه لبنية نص السورة، وهذا البناء المقاصدي المتتابع و المتدرج من أعلى السورة نحو نهايتها، وهو بناء للمقصد العام للسورة التي بنيت عليه، وتعليل ذلك أنّه لا يمكن أن نجد في السورة الواحدة مقاصدا تتنافر و لا تربط بينها روابط مقاصدية موّحدة تحت المقصد العام للسورة؛ لأن الهدف العام للقرآن ومقصده العام تبنيه تلك المقاصد المجزأة على كل سوره، وهكذا هو الحال في سورة البقرة، فالآيات "من آية رقم (1) إلى الآية رقم (20) من سورة البقرة تعتبر المقدمة بالنسبة لمحتوى السورة، حيث وصف القرآن بما هو أهله، ووصف متبعيه ومخالفيه كلا بما يستحقّه.ثم يأتي المقصد الأوّل من آية رقم (25-21)، في دعوة الناس كافة إلى الإسلام. ثم يأتي المقصد الثاني من آية رقم(162-40)، في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم و الدعوة في هذا الدين الحق. ثم يأتي المقصد الثالث من آية رقم(283-178)، في عرض شرائع هذا الدين تفصيلا. ثم يأت المقصد الرابع في آية واحدة وهي رقم (284)، في ذكر الوازع النازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم عن مخافتها.ثم تأت الخاتمة في آيتين اثنتين هما رقم(286-285)، في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد، وبيان ما يرجى لهم في عاجلهم وآجلهم. أمّا الآيات من(39-26)، الواقعة بين المقصد الأوّل و الثاني، فقد كان الحديث فيها عودا على بدء. و الآيات من(177-163)، كانت مدخلا للمقصد الثالث." [2]وهكذا تظهر المقاصد مترابطة متسقة في نسق لغوى يؤدي المقصد الأول منه إلى المقصد الثاني، والثاني إلى الثالث والثالث إلى الرابع وهلم جرا مع كل سور القرآن الكريم. فحتى الآيات التي لم تدخل ضمن أي مقصد من المقاصد في هذه السورة وهي(39-26) و(177-163)، أدت وظيفتها الترابطية والاتساقية بين المقاصد لأنها كانت تصبّ في الهدف و الغرض المقاصدي العام للسورة، و بالتالي فإنّها لم تزحزح البنية المقاصدية العامة أو الكبرى لسورة البقرة. وقد استطاع السيوطي أن يؤكد هذا الترابط المنسجم بين المقاصد في سورة البقرة من خلال تناسبها مع بعضها البعض و مع الغرض العام للسورة حيث قال:"ها أنت ترى مدى التناسب بين مقاطع أطول سورة في القرآن العظيم، فهذه مناسبة بين مجموعة آيات و مجموعة أخرى داخل سورة واحدة"[3]. لذلك قال محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: "ولم أغادر سورة إلاّ بيّنت ما أحيط به من أغراضها، لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته، ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله"[4].

---

[1]– جمالية الخطاب في النص القرآني، د. لطفي محمد، ص: 102.

[2] – علم المناسبات في السور و الآيات و يليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمان السيوطي، محمد بن عمر بن سالم باز حول، المكتبة المكية،ط1، 1423هـ-2002م، ص:30-31.

[3] – المرجع نفسه، ص:30.

[4]–تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/ 185.

وذكر قصة البقرة في هذه السورة انسجم مع الظروف الخارجية للنص، حيث ذكرت عناد بني إسرائيل وجحودهم لنعم الله والشرك بالله، مع ما كان يحيط بها من ظروف، فاليهود كانوا يحيطون بالمدينة، وكان سلوكهم اتجاه الدين الجديد هو نفس سلوك بني إسرائيل مع شريعة الله آنذاك وكانوا عصاة لأنبيائهم وملحدين، حيث واجه موسى عليه السلام شتى أنواع المكر والخداع والسحر، ومع مضي القرون والسنوات، لم يتغير ذلك السلوك وبقوا على حالهم زمن التنزيل وبداية التشريع الإلهي الإسلامي، فكان من الأحرص على المجتمع المسلم الجديد أن تذكرهم هذه السورة بما اقترفته أجدادهم عبر الزمن، فذكرتهم هذه السورة بمجموعة من القصص. (قصة العجل الذهبي للنبي عزير، وقصة البقرة) حتى يأخذوا العبرة منها، ولا يحدث لهم ما حدث للسابقين منهم. قال تعالى: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة البقرة: الآية 22)"أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أنّ الذي يدعوكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق لا شك فيه"[1]، والعبرة المستقاة من سورة البقرة ليست من السرد فقط، وإنما هناك هدف وغاية من ذكرها وتسميتها بها: "ومن وجوه العبرة في القصة ما يلي:

أ- الحرص على نقاء العقيدة وعدم تقديس أي معبود من دون الله.

ب- بيان تلكؤ بني إسرائيل في تنفيذ الأمر الإلهي.

ج- معاندة الأنبياء والاستهزاء بهم وعدم التسليم لهم.

د- بيان أن من طبيعتهم سفك الدماء والتنصل من الجريمة.

هـ- إحياء الله للموتى"[2].

لذلك كان الغرض من ذكر قصة البقرة هو: التوجه نحو تحقيق مقاصد وأهداف أي تغريض النص نحو تحقيق مجموعة من المقاصد. ولكل من الأمور التي سبق ذكرها تعلق قوي بمحور السورة فأمر التوحيد والإيمان قد افتتحت به السورة واختتمت به، وجاء الأمر به وذكر ما يسوغ الإيمان بالواحد الأحد في تضاعيف السورة"[3] وهنا وقع انسجام بين هرم النص (مقدمته) وقاعدته (خاتمته)، حيث يربط بينهما القصد والغرض. فجاء محتواه في أمر التوحيد والإيمان، فعملية الانسجام الطويل بين المقدمة والخاتمة التي انتهى إليها النص تسيير نحو تحقيق هذا المقصد والهدف، حيث نلمس ذلك في الآيات الأخيرة "والإيمان بالبعث بعد الموت من العلامات البارزة في محور السورة، وقد جاء في السورة عدّة شواهد عملية على البعث بعد الموت، وهي إحياء بني إسرائيل بعد

---

[1]-تفسير ابن كثير، دار الإمام مالك، ج1/ 102.

[2]- التفسير الموضوعي سور القرآن الكريم، أ. د. مصطفى مسلم، ج1/ 32.

[3]- المرجع نفسه، ج1/ 33.

صعقهم، وإحياء الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت فقال لهم الله موتوا، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروضها فأماته الله مائة عام ثم بعثه، وبعدها قصة إبراهيم مع إحياء الطير، ومناقضة إحياء القتيل"[1].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن "هذه خمس قصص في إحياء الآدميين وقصة في إحياء البهائم وقصة في إبقاء الطعام والتراب وقصة في إحياء الطير"[2]. وهي خمس قصص اتسقت ألفاظها وتراكيبها وتوحدت مقاصدها التي تعلقت كلها "بالإيمان بالغيب الذي جاء أوّل وصف للمتقين في السورة، ومرتبط أيضا بالحديث عن بني إسرائيل الذين صبوا اهتمامه على الماديات دون الأمور الغيبية"[3]. وهنا حصل انسجام خارق بين مضامين القصص ومقاصدها فكانت عملية التغريض نحو الهدف والغاية من هذه النصوص تسير نحو هدف واحد وهو الإيمان بالغيب.

مخطط توضيح مبدأ التغريض من القصص إلى المقصد

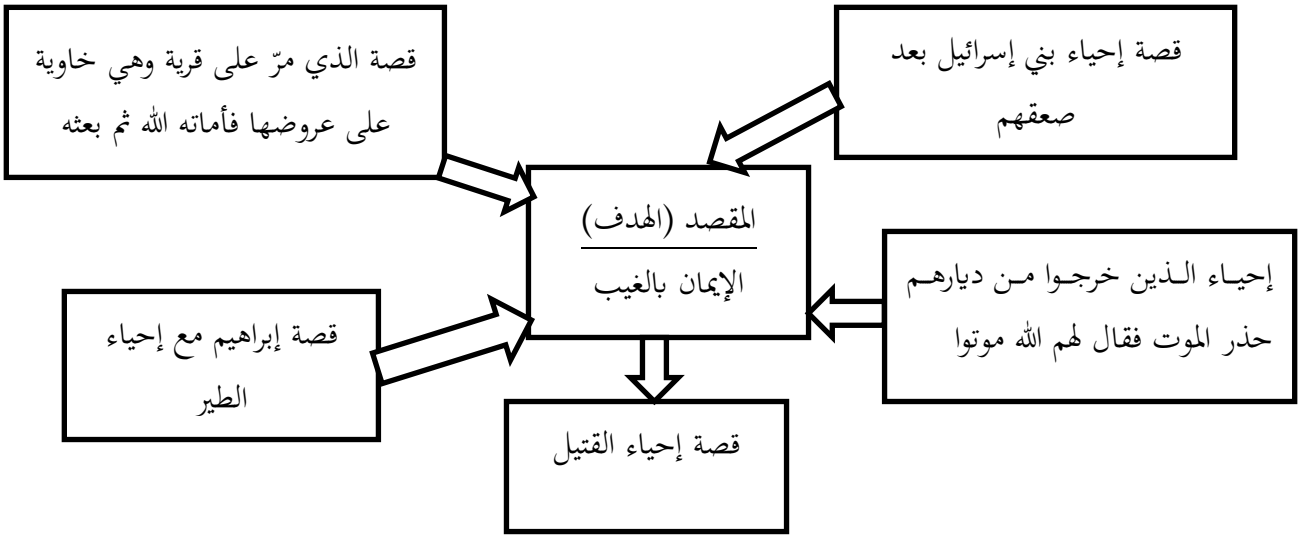

ونلاحظ هنا الكيفية التي انسجمت بها هذه القصص الخمس مع بعضها البعض لتشكل لنا هدفا عاما إغراضيا يجمعها ويوحدها وهو الإيمان بالغيب والبعث. ومن هنا يمكننا القول بأن الانسجام الحاصل بين هذه

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ج1/ 33.
[2]– ينظر: التفسير الموضوعي سور القرآن الكريم، أ. د. مصطفى مسلم، ج1/ 33.
[3]– المرجع نفسه، ج1/ 33.

القصص وتقدمه نحو المقصد الخاص هو من حيث ذكرها متتالية مع بني إسرائيل لتلتقي جميعا في انسجام تام عند الإيمان بالغيب وإعادة البعث.

"وقد أراد الله تعالى أن يريهم كيفية إحياء الموتى، في قصة البقرة قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾ (سورة البقرة:67)، وفي هذه الآية احتجاج على مشركي العرب لأنهم لم يكونوا مؤمنين بالبعث، فأعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر الذي لا يجوز أن يعلمه إلاّ من قرأ الكتب أو أوحي إليه: وقد علم المشركون أن النبي صلى الله عليه وسلم أمّيٌ وأنّ أهل الكتاب يعلمون –وهم يخالفونه– أن ما أخبر به من هذه الأقاصيص حق"[1].

يقول البقاعي رحمة الله عليه وهو يذكر مقصود سورة البقرة ودلالة أسمائها عليه:و"مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال ، وأعظم ما يهدى إليه الإيمان بالغيب ومجمعه الإيمان بالأخرة فمدار الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب. فلذلك سميت بها السورة وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام،لأنها في نوع البشر ومما تقدمها في قصة بني اسرائيل من الإحياء بعد الصعق وكذلك مشاكلها لأن الإحياء في قصة البقرة عن سبب ضعيف في الظاهر بمباشرة من كان من أعاد الناس، فهي أدل على القدرة ولاسيما وقد اتبعت بوصف القلوب والحجارة بما عمم المهتدين بالكتاب والضالين ، فوصفها بالقسوة الموجهة للشقوة ، ووصفت الحجارة الناشئة في الجملة عن التقوى المانحة للمدد المتعدي نفعة الى عباد الله ، وفيها إشارة الى أن هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا خليفة من أولى العزم من الرسل ، يرشدنا في كل أمر إلى صواب المخرج منه، فمن أعرض خاب ومن تردد كاد ، ومن أجاب أنص وأجاد ".[2]

مخطط توضيحي لعلاقة العنوان والجملة والفقرة والمفاصد للتغريض في النص.

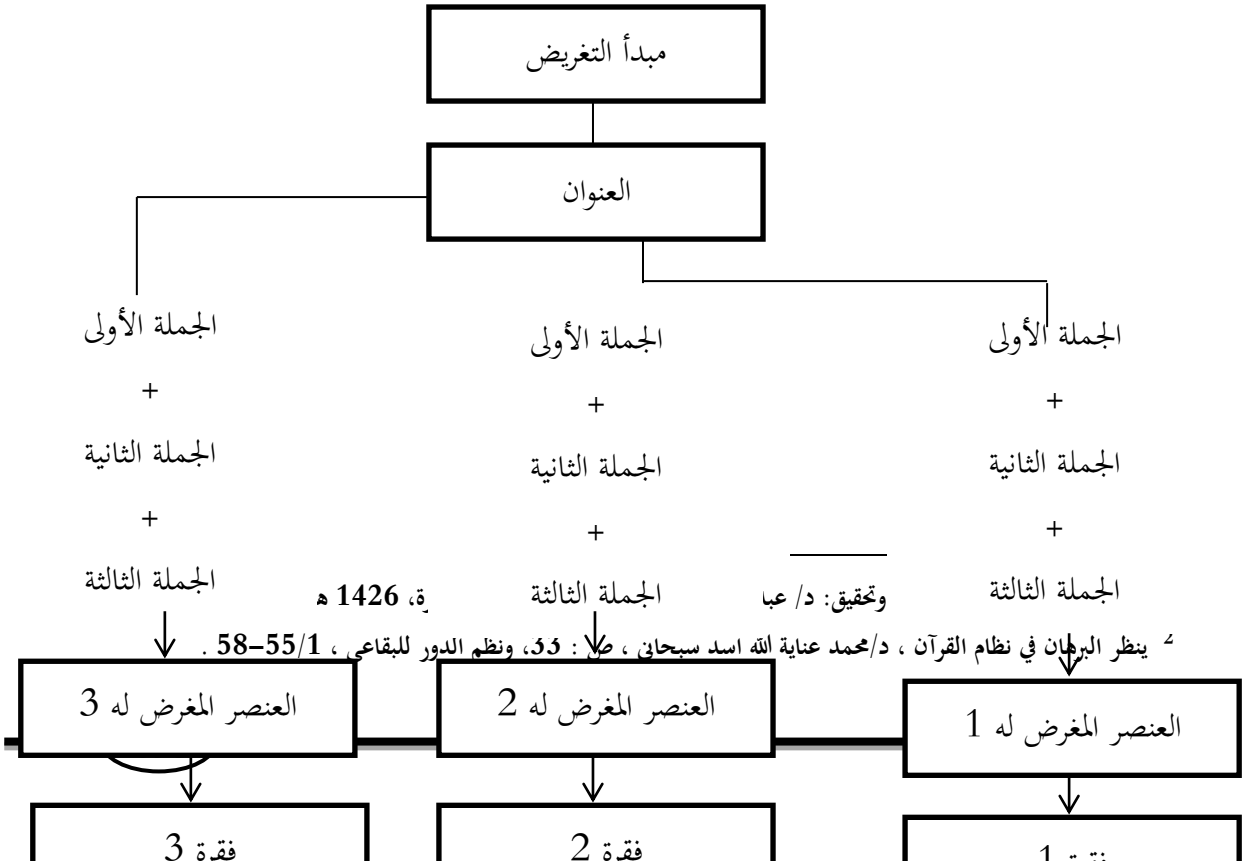

[1] وتحقيق: د/ عبا ة، 1426 ه

[2] ينظر البرهان في نظام القرآن ، د/محمد عناية الله اسد سبحاني ، ص: 33، ونظم الدور للبقاعي ، 1/55-58 .

إنّ هذا المخطط يوضح الطريقة التي تبنى عليها النصوص بصفة عامة والنص القرآني بصفة خاصة.وهو بمثابة رؤية تخطيطية للنص قبل إنجازه. حيث يوضح أهم العناصر المتعلقة بهذا المبدأ وكيفية العمل بها لإنتاج فهم واحد لنص واحد.

ثالثا– مبدأ المناسبة وعلاقته بالإنسجام:

1– مبدأ المناسبة:

– لغة :

جاء في معجم مقاييس اللغة "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء منه النسب. سمي لاتصاله وللاتصال له.[1]. والنسب: القرابة، وقيل هو في الأباء خاصة وناسبه : أي شركه في نسبه"[2] والنسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين وذلك ضربان: نسب بالطول كالاشتراك بين الأبناء والأباء، ونسب بالعرض، كالنسبة بين بني الأخوة وبني الأعمام، قال:﴿ **فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا** ۗ ﴾ (الفرقان :54)[3]. ويمكننا أن نقول من خلال التعريفات السابقة بأن الجذر (نسب)، يفصح عن عدة علاقات منها علاقة الأصل بالفرع وهي علاقة عمودية، وعلاقة الفروع ببعضها وهي علاقة أفقية، وهذه الملاحظة الدقيقة تقرب من شرح العلاقات

[1] – معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن زكرياء ابن فارس ، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ، ط1، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1415هـ /1994م ، ص :1025 .

[2] – لسان العرب ، ابن منظور ،1/755– 756(مادة نسب)

[3] – معجم مفردات ألفاظ القرآن ، أبو القاسم الحسن بن محمد بن المفضل الأصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ/1998م ، ص : 545 .

القائمة في النص، حيث تتنوع من الأعلى نحو الأسفل، ومن اليمين نحو اليسار وبالعكس أيضا، لأن النص مزيج من العلاقات المتقاطعة من بدايته إلى نهايته. وهو المقاربة و المشاكلة.

– اصطلاحا:

هي علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وأشهر ما اشتهر به هذا العلم دوره في علوم القرآن، والمناسبات القرآنية. وعرفه الإمام البقاعي بأنه "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقام لمقتضى الحال"[1] أما الفراهي فقد أردف له اسما آخر أطلقه عليه وهو اسم النظام حيث قال:"ومرادنا بالنظام أن تكون السورة السابقة و اللاحقة... وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلاما واحدا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الأخر"[2] ."وهو العلم الذي يبحث في علاقات المكوّنات البنائية للنص القرآني، قال د.مصطفى مسلم في تعريفه:"هو الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني إرتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط بين كل آية، وما قبلها وما بعدها "[3].وقد ذكر الرازي أن سبب الإعجاز في لغة القرآن مودع في تلك الترتيبات والروابط والطريقة التي انتظم بها، فقال:"وأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[4]. **إشارة منه إلى خاصية إعجازية لغوية وتركيبية بنيوية كامنة أسرارها في الاتساق والانسجام الموجود داخل النص، والذي تؤسسه العلاقات بين الكلمات وفوق ذلك بين الجمل والأجزاء.** ومن هذه التعاريف يمكننا القول أن هذا العلم يهتم بالتراكيب ومعانيها، وينظر في أسباب ترتيب النصوص، وتتابع علاقتها اللغوية والمعنوية، بإعمال البلاغة لإعانته على الكشف عن تلك الأسباب التي جعلت النص يخضع لنظام معين حتى أصبح كتابة واحدة. بل أكثر من ذلك، فإن هذا العلم إهتم بالنص القرآني ككل، ودرس أسباب ترتيب آياته وسوره. وفصلٍ في الآخر يحكم كلّية ووحدة القرآن تبدأ من آياته ثم سوره ثم أجزائه مشكلا وحدة تامة منسقة ومنسجمة.

2– أهمية علم المناسبة وفائدته:

يجمع علماء القرآن على أنّه لعلم المناسبة علاقة وثيقة بالتفسير الموضوعي، وتكمن هذه العلاقة في كونه وسيلة من وسائل التفسير الموضوعي بحيث يعتمد المفسر في التفسير الموضوعي على تلك اللطائف أو تلك المعاني أو تلك العلل التي كانت سببا في الربط بين وحدات القرآن سواء على مستوى الألفاظ أو على مستوى الآيات أو على مستوى السور.

---

[1] – نظم الدور في تناسب الآيات و السور ، البقاعي ، (5/1)

[2] – دلائل النظام ، عبد الحميد الفراهي ، الدائرة الحميدية و مكتتبيها ، الهند ، 1388 هـ ، ص 75 .

[3] – مباحث في التفسير الموضوعي ، د.مصطفى مسلم ، دار القلم ، ص :58 .

[4] – معترك الأقران في بيان إعجاز القرآن / جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، د.ت ، ج1 / 56 .

ولما كان علم المناسبة مسلكا من مسالك الكشف عن المقاصد الشرعية كان كذلك باعتبار أولى مسلكا من مسالك الكشف عن الموضوع الإجمالي للسورة الواحدة وربما للعدد من السور أو بين آيات متفرقة المواضع المشتركة في المعنى.كما أن هذا العلم يكشف عن وحدة القرآن الكريم الموضوعية الكلية. ولمن أراد أن يدلل على ذلك فليعد إلى تفسير البقاعي نظم الدرر وإلى الأساس في التفسير وغيرها من الكتب التي اعتنت بهذا الجانب. ويمكن القول أن البقاعي من الأوائل الذين وظفوا علم المناسبة في بيان وحدة القرآن ووحدة السورة.وعدّ أنّ وحدة أساسها والتئامها هي الإشتراكها في المقصد العام.

وتكمن أهمية هذا العلم في إظهار إعجاز النظم القرآني عن طريق الكشف عن تلك العلاقات المتناسبة التي تربط بين الآيات والسور وهذا ما قاله الزركشي" وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها أخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[1]، لأنه من خصائص الالتئام، الضم و الترابط و التماسك "حتى يبدوا النص القرآني لحمة واحدة متماسكة مترابطة ، لا يمكن أن يكون في هذا النظم أي خلل فكل جزء من النص القرآني يرتبط بما قبله وما بعده "[2] . من بين الأنظمة التي جاء بها القرآن وأخرص ألسنة الكفار، هوالنظام اللغوي الفريد الذي أنزل به، بشقيه اللفظي والمعنوي فالوقوف عند أحدهما لكشف وجه الإعجاز يقتضي الوجه الآخر، "فالقرآن معجز بكل منهما، وفي عرضهما تعريف بالإعجاز على وجهة المراد من القرآن وتعريف برسالة الرسول التي حملها القرآن، إذ هو لم يجيء بهذا الاعجاز اللفظي فحسب، وإنما جاء بالرسالة أولا وزفّها في هذا الثوب الذي يليق بها، و كما كانت الرسالة معجزة كان هذا الثوب معجزا.[3]

وأشار العلماء إلى الهدف الذي يهدف إليه علم المناسبة، حين قالوا "إنّ الأمر الكلي الذي يفيد معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أن تنظر إلى الغرض الذي سبقت له السورة، تنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من مقدمات في القرب والبعد عن المطلوب إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له، والتي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع هذا الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن"[4]."وبعلم المناسبة والترابط يتبين حسن نظم الآيات

---

[1] – البرهان في علوم القرآن ، الإيمان بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل الابراهيم ، دار التراث، القاهرة ،د.ت، ج36/1

[2] – التماسك والتناسب ، دراسة في بلاغة النص القرآني ، محمد أحمد أبو بكر أبو عمود، الرسائل الجامعية ، النابغة للنشر والتوزيع ، ص :10.

[3] – الموسوعة القرآنية إبراهيم الأنباري،مؤسسة سجل العرب،1405هـ–1984م، المجلد3،ص: 30.

[4]– تناسق الدرر في تناسب السور للحافظ جلال الدين السيوطي، ص: 28.

واتساق تراكيبها وإحكام بنائها في مقاطع بمعانيها وبموضوعاتها في السورة القرآنية"[1].وهذا العلم يهدف غلى إقامة الدليل على الوحدة البنائية واللغوية والدلالية الصوتية والمقاصدية (الأغراضية)...إلخ في النص القرآني.

قال تعالى:﴿**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُوُد الَّذِينَ يَخشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِين جُلُوُدهُمْ وقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَمَن يُضلِلِ اللهُ فمَا لهُ مِنَ هادٍ**﴾ (الزُّمر : 23). القرآن العظيم كتاب الله تبارك وتعالى، يُشْبِهِ بَعْضُه بَعْضًا فِي الْحُسْنِ، وَيُصَّدقُ بعْضُه بَعْضًا لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلافٌ. يُكرر ويقابل فيه بين ذِكْرُ الْوَعْدِ وَالْوِعيد، وَالْأَمرِ وَالنهَّيِ، وَالْأَخبَارِ وَالْأَحكَامِ، إِذا ذُكِرَت آيَاتُ الْعَذَاب خافت قلوبهم خشية لله فاقْشَعَرَّتْ جلُوُدهم، وَإِذا ذُكِرَت آيَاتُ الرَّحْمَةِ رجوا رحمة الله لَانَتْ وَسَكَنتَ قُلُوبُهُمْ، كَمَا قَالَ اللهَّ تَعَالَى: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللهَّ تَطْمَئِنُّ الْقُلوبُ**﴾ (الرَّعْدِ-1).[2] هذه هي أوصاف القرآن التي أثبتها العلماء، وكان لعلم المناسبة ضليع في ذلك فقد كان أحد العلوم التي أثبتت عدم تناقضه وتناسب المواضع والآيات فيه.

3- علم المناسبة عند العرب:

إذا كان انشغال البلاغيين والمفسرين بالنظم داخل الآية القرآنية المفردة غالبا، أو بين الآيات المتجاورة فإن علم المناسبة ينظر إلى النظام الرابط بين أجزاء السورة، بل ويمتد إلى القرآن وبلاغته أن يتعامل معه باعتباره سورة واحدة يحكما نظام موحد متميز.لهذا كان وعي العلماء العرب يصل بهم إلى فهم النص كبنية كلية عامة وشاملة، متسقة ومنسجمة اعتمادا على التناسب الموجود بين الآيات والمقاطع في السورة الواحدة، وبين سور الكتاب كلّه (القرآن) فحللوا واكتشفوا وجوه الترابط المتنوعة من خلال علم المناسبة الذي نعده نحن اليوم؛ طريقة من طرف البحث النصي في وجوه الترابط والعلاقات اللغوية التي تقيم كيان النص. وهذا ما كان للسيوطي فيه يد باحثة بقلمها في القرآن الكريم لإقامة دلائل لإثبات ترابطية النص القرآني من خلال مجمل العلاقات الموجودة فيه، حيث قال عن المناسبة "المشاكلة والمقاربة أو مرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى واحد بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين، ونحوها "[3]، إذ يقيم السيوطي بالمعنى نظام من العلاقات المنطقية على وجه الخصوص، فتناسب المعاني عنده جزء مساهم في ترابطية النص بواسطة مجموعة من العلاقات التي ذكرها .

ويشترط في علم المناسبة عدم التكلف والإصرار على إيجاد الروابط لأن ذلك قد يقود إلى تكلف آخر في إظهار معاني مبتذلة مما يخل بمعنى النص القرآني، وفي هذا يقول الإمام العزيز عبد السلام (ت660هـ):"لكن

---

[1]- مظاهر إعجاز القرآن الكريم في تعدد موضوعات السورة، علي عبد الله علان والقانون، المجلد 41، ملحق 2، 2014م، ص: 855.

[2] -ينظر، تفسير البغوي،ج115/7.

[3] - معترك الأقران في بيان إعجاز القرآن / جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، د.ت ، ج1/ 57 .

يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه إرتباط أحدهما بالآخر ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فإنّ القرآن نزل في نيّف وعشرين سنة بأحكام مختلفة وأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتي ربط بعضه ببعض"[1] ، وذلك لأن ترابط المعاني لا يعني الابتذال في إيجاد الروابط واعتصار النص القرآني لإيجاد علاقة الربط، لأن الاتساق الموجود فيه، إنما هو موجود في ذات اللغة التي تشكل تركيبه والتناسب بين الآيات لابد أن يكون طبيعي من فصاحة ألفاظه وطريقة ترتيبها ونظمها في أسلوب القرآن ، وهذا ما حذر علماء المناسبة من خطر اعتصار لغة النص القرآني تكليفا لإيجاد نوع من علاقات الترابط.

وعندما نتحدّث عن السورة القرآنية فأننا نتحدث حتما عن موضوع واحد، ونكشف علاقة الإتّساق والمناسبة المؤدية إلى انسجام المواضيع وتناسقها في جوّ فسيفسائي يزخم بالتنوّع، ويدلي بها في وعاء واحد ويدخل التناسق الموضوعي في المناسبات، حيث علل الترتيب والمعنى الرابط يكون بين الموضوعات التي تشتمل عليها السورة وبين الآيات داخل السورة، فما تعلق بالموضوعات من جهة نسقها ونظامها وتتابعها وتلاؤمها هو التناسق الموضوعي دون غيره من أوجه علل الترتيب أو المعنى الذي يربط بين سور القرآن وآياته.فإنّ المعنى الرابط وعلل الترتيب إمّا تكون بين موضوعات السورة أو بين آيات وأجزاء الآيات في السورة. والمعنى الذي يربط بين موضوعات السورة ويبين علل ترتيبها؛ إمّا أن يكون للربط بين آية وآية داخل السورة، أو للربط بين موضوع مقطع وموضوع مقطع آخر داخل السورة. والثاني إمّا أن يكون لمجرد إبراز الصلة بين موضوع مقطع وآخر، أو لإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع والترتيب بين موضوعات السورة جميعها، فهذا هو التناسق الموضوعي في السورة القرآنية؛ فهو المعنى الذي يربط بين موضوعات السورة ويبين علل ترتيبها؛ لإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع بين الموضوعات.

ويكون التناسق الموضوعي في القرآن الكريم بإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع بين موضوعات السور، بعد تحرير مقاصدها والغاية التي ترمي إليها كل سورة، فينتظم موضوعات القرآن الكريم تناسق تام ونظام بديع يبهر العقول ويأخذ بالألباب. فالتناسق هو إبراز نظام البناء الموضوعي للسورة في ترتيب وترابط وإنسجام.

وقد اهتم علماؤنا بهذا المبدأ في كتب علوم القرآن والتفسير، وأعيد بعث هذا العلم في الجامعات العربية تعد أن تأثرت بالمناهج اللغوية الحديثة التي تهتم بلغة النصوص، ومن بين ما أصبح موضوعا للإثارة من جديد، هو الوحدة الموضوعية للنص القرآني، سيما تلك الملاحظات التي أثارت عدّة تساؤلات حول أسباب النزول وتنوّع المواضيع وتعددها في السورة الواحدة، مما دفع بالكثير من المستشرقين يدعون إلى إعادة ترتيب القرآن إمّا حسب التاريخ (أي تاريخ النزول) أو حسب المواضيع (أي جعل كل المواضيع التي تهتم بموضوع واحد في سورة

[1] – نقل هذا الكلام عنه الزركشي ، البرهان ، ج1/37 ، وكذلك السيوطي في الإتقان ، ج1 / 322 .

واحدة)، غير أنّ هناك ملاحظات نوردها في هذا السياق وهي أن بعض مواضيع السور. كالقصص مثلا "إنّما ترد قصة بكل تفاصيلها في سورة واحدة، وإنما يأتي في سياق كل سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها، وهذا مظهر آخر من مظاهر وحدة السورة، وتناسب معانيها"[1].

4- أشهر الكتب التي ذكر فيها مبدأ المناسبة :

أوّل من تكلم عن هذا العلم هو أبو بكر النيسابوري (ت322هـ) وقد ذكر كل من الزركشي والسيوطي في كتابيهما البرهان والإتقان في علوم القرآن. حيث كان يوظف غزارة علمه في تبيان موضع الآية وعلاقتها بين الآية الأخرى، وما سبب ترابطها واتساقها مع أخواتها . ألف العلماء والمفسرون مجموعة كبيرة من الكتب التي تدرس العلاقات المتنوعة داخل النصوص وعلاقة النصوص بعضها ببعض، وكشفوا عن أسرار كبيرة تبينتها نظرية النص الحديثة، لذلك نقول بأن لسانيات النص العربية الحديثة هي الوارث الشرعي لهذا العلم (علم المناسبات) التي اعتركت وشكلت مزيجا من الرؤى والنظريات التي تدرس كل من الإتّساق والانسجام، فكما ورثت الأسلوبية الحديثة علم البلاغة العربية، ورثت لسانيات النص علم المناسبات، وفي تقديرنا لهذا العلم، فإن نظرية علم النص الحديثة التي تزخر بعلوم شتى هي تطوير وإثراء للدرس اللساني النصي العربي القديم، حيث تشير مؤلفات كثيرة إلى ذلك..ومن أشهر الكتب التي كان لها الفضل في إرساء مبادئ هذا العلم نذكر منها :

– جدول يوضح علم المناسبة وأهم علمائه والمواضيع التي جاءت في كتبهم.

اسم ولقب المؤلف	عنوان المؤلف	أهم المواضيع المطروقة في كتابة
1– أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (627– 708هـ)	**– البرهان في تناسب سور القرآن.**	**– يدرس فيه نوع التناسب.** **– وعلاقة التناسب بين السور.**
2– برهان الدين إبراهيم عمر البقاعي (ت: 885 هـ)	**– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.**	**– يبين فيه الصلاة بين الآيات داخل السورة.** **– علاقة مقطع السورة بمطلعها.** **– مناسبة السورة لما قبلها.**

[1]–التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي، أحمد أبو زيد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م، ص: 67.

3– السيوطي (ت: 911 هـ)	– تناسق الدرر في ترتيب الآيات والسور	– يبين العلاقة بين مطلع السورة، والسورة التي قبلها.
	– مراصد المطالع في علاقة المقاطع	– يبين الصلاة بين مطلع السورة ومقطعها.
	– أسرار التنزيل المسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار)	– يتضمن علاقات الآيات بالسور. – بيان التفسير وأسرار الإعجاز وأساليب البلاغة.
4– أبو الفضل عبد الله محمد بن الصديق الغماري	– جواهر البيان في تناسب سور القرآن.	– يبحث في علاقة السور بعضها ببعض. – مناسبة الافتتاح لمضمون السورة. – علاقة المطالع بالمقطع.
5– أحمد عبد اللطيف بدر.	– الفتوحات الربانية في الربط بين السور القرآنية.	– يبحث في مقطع السورة بمطلع السورة الثانية
6– عاطفا المليحي	– البيان في تناسب آيات وسور القرآن.	– فيه مقدمة لعلم المناسبة. – يبين فيه التناسب بين الآيات وبين السور

وكان لهذه الكتب وغيرها من كتب البلاغة كدلائل الإعجاز، مساهمة كبيرة في عملية تفسير القرآن العظيم، وممن استفادوا منها بصفة كبيرة الفخر الرازي، أبو حيان الأندلسي، الزمخشري، محمد الطاهر بن عاشور...إلخ. وقد كان لاعتماد هؤلاء المفسرين على علم المناسبة أثرا بارزا في تطبيق هذا المبدأ على سور القرآن، إذ لا نجد أحدا منهم إلا ويذكر مبدأ المناسبة ودوره في تحقيق الترابط بين الآيات والسور وفي الكشف عن مواقعه.

5- المناسبة عند الغرب:

ويسميها الغربيون الملائمية أو المناسبية (APPROPRIATENESS) وكانت على العموم تدّل على الملاءمة (SUITABILITY) كما كانت عبارة عن مفهوم منتشر "في النّظرية الأسلوبية" منذ العصور الكلاسيكية، وامتدت إلى السوسيولسانيات والمقاربات الوظيفية (FUNCTIONAL) لدراسة اللغة" [1].والمناسبة (APPROPRIATENESS) أو ملاءمة (PROPRIETY) هما الصورة والأسلوب للموضوع كما ينظر لهما كمزية في البلاغة منذ أرسطو وما بعده"[2] لأنّ "المتكلمين الفطريين واعون أنّ بعض أنواع اللّغة أو التّعابير تعد أكثر ملاءمة أو فعالية في بعض الحالات أو في بعض الوظائف أكثر من أنواع أخرى (مثلا اللهجة السّوقية (SLANG) في الملفوظ الرسمي، أكثر من / الوثيقة القانونية)"[3]، لذلك نجدهم يهتمون بعلاقة اللفظ مع الموقف ومدى تناسبه وإنسجامه مع الموقف الذي قيل فيه، كما يحمل هذا المبدأ قواعد أشمل وأهمّ تتعلّق بالكشف عن تناسب الكلمات في التركيب وتناسب الجمل في الفقرة وتناسب الفقرات في النّص، والكيفية التي تلاءم بها الأسلوب وطريقة التعبير مع المقام، إنّه كذلك نوع من أنواع الدّراسة التي تهتم بالسّياق اللغوي والسّياق المقامي إلاّ أنّه يدرس الأساليب ومدى ملاءمتها للمقام. إذ "يمكن أن تبدو اللّغة غير المناسبة غير ملاءمة، بل عدوانية مزعجة (OFFENSIVE) (مثلا توبيخ الطلاب كما لو أنّهم في مدرسة حضانة)"[4].

والمناسبة باعتبارها "مفهوما علميا في اللّسانيات قد عوّض القديم للسّلامة (الصحة) (CORRECTNESS)"[5] وهي"وفي نظرية فعل الكلام (SPEESH ACT THEORY) وتقع المناسبة والقدرة تحت مصطلح شروط المناسبة (APPROPRIATENESS CONDITIONS)، وهي الأنواع المختلفة للقيود (العملية) (PRAGMATIC) التي يجب تأديتها حتى يتسنى للقول أو لفعل الكلام إتمام هدفه التّواصلي.... وهكذا، عند إصدار أمر أو إقامة طلب؛ فإنّ المتكلم يجب أن يكون لديه وضع مناسب أو سلطة لفعل ذلك، وفي السّياق (CONTEXT) المناسب"[6]، إذ لا يمكن لجندي في الجيش إن يتقلد منصبا برتبة ضابط ويعطي الأوامر إلى رؤسائه، لأنّه مرؤوس وهم الرؤساء، وفي هذه الحالة يحدث خللا في استقبال الرسالة والخطاب والنّص، لأنّ المنطق لا يتقبل ذلك، كما لا يمكن للولد إن يأمر والده، وللطالب أن يوبّخ أستاذه وهكذا... إلاّ إذا كان هناك ظرف يسمح بذلك،

---

[1] – معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، خالد الأشهب،ص: 72.

[2] –المرجع نفسه ،ص: 72.

[3] – المرجع نفسه، ص: 72.

[4] – المرجع نفسه، ص: 73.

[5] – المرجع نفسه، ص: 73.

[6] – المرجع نفسه، ص: 73.

كما يهتم هذا المبدأ بالوضع الذي أدى بالمتكلّم إلى قول ذلك، فمن الأمثلة السّابقة يمكن للجندي أن يأمر قادته الضباط إذا تمرّد عليهم لأنّ في وضع يسمح له بذلك، ويمكن للولد أن يقدّم أمرا لوالده بغرض الإلتماس في طلب حوائجه، ويمكن للطالب أن يوبخ أستاذه إذا أحسّ بالإهانة أو عدم تمكن الأستاذ من إيصال المعلومة له، لأنّ هذا الوضع يدفع بإنتاج نصوص ملاءمة للحالة التي يكون فيها المتكلم والوضع الذي يكون عليه متناسبان

ونجد هذا المبدأ واضحا في قصّة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عندما همّ بذبح ابنه إسماعيل عليه السّلام، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)** ﴾(الصّافات،102)، فأسلوب الأمر في هذه الآية تحكّم فيه الوضع الذي كان فيه سيدّنا إسماعيل عليه السلام فهو الابن البار المطيع ولا يستطيع أن يرفض طلب والده، فلمّا أخبره بالرؤيا لم يتأخر الابن في إظهار الطاعة وتلبية طلب أبيه، ولما أحس سيدنا إسماعيل عليه السّلام شفقة أبيه عليه وتردده في ذبحه، وجّه له هذا الأمر(يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)، لأنّ الوضع يقتضي هذا القول لتشجيعه على الفعل، وهنا تظهر المناسبة بين القول أي النّص الذي قاله سيدّنا إسماعيل عليه السّلام مع الحالة التي كان عليها الأب سيدنا إبراهيم عليه السلام، فلاءم القول وضعهما، وهذا إنسجام ينطلق من النّص إلى خارجه، وهو إنسجام بين اللغة والمقام.ولهذا فإنّ"مسألة ترابط الوحدات المقطعية للخطاب وجه آخر، فمن الملاحظ أن الأبنية ليست جميعها مهيّأ لأن تدخل في علاقة مع بنية أخرى، في هذه الحالة، وتوظف نظرية " تمثيل الخطاب المقطعي" مفهوم الحدّ الأيمن (FRONTIERE DROITE) الذي يلعب دورا حاسما في انسجام الخطاب وجعل بعض المقاطع مهيأة لأن يضاف إليها مقطع جديد."[1]. وهذا النظام المقطعي نجده خاصة في تقسية السور القرآنية إلى مقاطع، منها الأحزاب، والأجزاء، والأرباع والأثمان، والأسداس، بل وأكثر من ذلك المقاطع داخل السدس، وعلاقتها ببعضها البعض.ونجده كذلك في الشعر العربي وهو ما عبّر عنه بالوحدات المقطعية لفكرة واحدة.

6- أنواع المناسبة:

تناول أهل هذا العلم القرآن من عدّة جوانب كلها تترصد مواطن الربط والتنظيم والإتّساق والإنسجام، الذي بدا عليه النص، حتى يظهر بأنّه نص في غاية التنظيم والإحكام، لذلك حرص هؤلاء أن تكون دراستهم ملّمة بكل جوانب النص القرآني لأنهم كانوا يرون فيها ضرورة اقتضتها متغيرات البنية النصية، لأنّ القرآن خالف كل نظم من شعر ونثر قالته العرب، وكان تناولهم للقرآن من هذا الباب إثباتا لوحدته المعجزة وتماسك نظمه، وكان ذلك عند من نظروا إلي النص القرآني من عدّة أوجه وهي:

[1] – الاقتضاء وانسجام الخطاب، ريم الهمامي، ص: 148.

- مناسبة اسم السورة لموضوعها.
- مناسبة السورة للسورة التي تليها .
- التناسب بين مطلع السورة وختامها.
- المناسبة بين الآيات.
- الوحدة الموضوعية لكل سورة.

- التنسيق في تأليف العبارات بتخير الألفاظ ثم نظمها في نسقٍ خاصٍ يبلغ من خلالها أرقى درجات الفصاحة كما أنّ هناك من فصّل تفصيلا في هذا العلم وبلغ به من وجه الإفتنان أن يرصد المناسبات حتّى خارج السورة الواحدة بل خارج القرآن كلّه، إلى معرفة المناسبة بين الآيات والسياق ومعرفة أسباب النزول والربط بينها وبين الأحكام القرآنية والمقاصد الشرعية.

ومن تدبر في حدود سور هذا الكتاب العظيم، على الإطار العام فيها، ولاحظ فيه طريقة ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، فهذا أحد أمور الإعجاز للقرآن الكريم. إذ أن القرآن نزل منجماً في أجزاءٍ طويلةٍ وأخرى قصيرةٍ خلال ثلاثٍ وعشرين سنةً، إلا أن هذه الأجزاء رتبت ترتيباً لا مثيل له على الإطلاق في أي كتابٍ من كتب الأدب أو العلوم التي هي من تصنيف البشر. فسور القرآن الكريم لم ترتب حسب موضوعاتها، ولا حسب زمن نزولها، إنّما للقرآن طريقته المستقلة المخالفة لما هو مألوفٌ عند البشر في الكتب والمصنفات.

وعندما كان الوحي ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بالآيات كان الرسول عليه الصلاة والسلام يأمر كتاب الوحي بوضع الآية في مواضع محددة من السور التي لم تكن قد اكتملت بعد، وبمجرد وضع الآية أو الآيات في موضعٍ ما فإنها تنسجم معه وتبقى ثابتةً في موضعها الذي أمر به الرسول صلّى الله عليه وسلم بوضعها فيه من السورة دون أن يطرأ على ذلك الوضع تصحيحٌ أو تعديل، وهذا أكبر دليلٍ و أسطع برهانٍ على ربانية هذا الكتاب ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(193)**﴾ (الشعراء:192-193)، وقال تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (106)** ﴾(**الإسراء، 106**).

ولاستظهار أنواع المناسبات لسورة البقرة، لجأنا إلى كتب التراث التي سبق ذكرها، وحاولنا أن نستخرج منها زبد ما قيل عنها من أوجه التناسب المتنوعة، لأن هذا المبدأ نعتبره سليل نظرية علم النص القديم التي عرفها العرب، وهو مبدأ راج عند علماء القرآن الذين اهتموا بدراسة الترابط النصي للسور والآيات بل القرآن ككل، كما عمل به علماء التفسير في الكشف عن العلاقات التي تربط السور بعضها البعض وعلاقة العنوان بالسورة، وترابط الآيات في السورة الواحدة، والمقاطع ببعضها، والمواضيع من المطلع إلى الخاتمة، ولهذا حاولنا أن ندوّن أشهر أنواع المناسبات التي قيلت عن سورة البقرة ولم يختلف فيها العلماء :

أ- المناسبة بين اسم السورة وموضوعها وتحقيق الإنسجام:

يعتبر البقاعي من الأوائل الذين اهتموا بهذا العلم حيث اهتم مبدأ المناسبة بين اِسم السورة وموضوعها، وهو القائل بأنّ اِسم كل سورة مترجم عن مقصودها، إذ اهتدى إلى هذه القاعدة بعد وصوله إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائية في تفسير نظم الدرر[1]. ومن المعاصرين نجد صاحب الظلال يربط أحيانا بين اسم السورة وموضوعها، كما فعل في سورة المؤمنين والقتال والواقعة، وفي خواطره القرآنية [2] حرص الأستاذ عمرو خالد على أن يربط بين السورة وموضوعها في مواطن كثيرة ولقد نسبق القول بأنّ عنوان السورة أو اسمها. مفتاح لمعانيها[3].

ويتساءل الدكتور عبد البديع أبو هاشم محمد عن سر اختيار اسم البقرة لتسمية السورة رغم تنوع المواضيع فيها، وما وجه المناسبة بينهما وفيها من الأسماء ما هو أفضل من اسم هذا الحيوان، فيقول:"فما معنى تخصيص سورة البقرة بهذا الاسم وقد ذكر فيها على سبيل المثال، هاروت وماروت وتحويل القبلة، والقصاص، والصيام، والإيلاء، والرضاع والتحريم الصريح للربا كله، وآية الدين، بما لم يذكر في سورة أخرى، ولم توسم السورة بشيء من هذا كله رغم أن ذكر شيء من ذلك عنوانا على السورة أشرف من ذكر كلمة البقرة، لولا أن لله الحكمة البالغة في تخصيص التسمية بهذا الاسم[4].

وتظهر الحكمة الإلهية المعجزة في صورة هذا الحيوان الأليف، الذي تناسب ذكره في سورة البقرة مع تلك الحادثة الغريبة في مقتل العم حسب أغلب الروايات، وإحيائه بعد ضربه ببعض من البقرة للإخبار عن قاتله، فانسجمت هذه الحادثة الغريبة، مع الحادثة التي كان بطلها هذا الحيوان الأليف مع تصرف بني إسرائيل. ويرى بعض المفسرين والمؤوّلين أنّ "سر اختيار اسم البقرة هذا الحيوان الأليف المعروف بلحمة ولبنة، وليد عن قصة القتيل المعروفة زمن موسى عليه السلام، وكيف تصرف بنو إسرائيل مع الحادثة القتيل، حيث بدا من حادثة القتل وأمر الله بني إسرائيل لطاعة الله تعالى ورسوله موسى عليه السلام. ظهر بأقبح صورة وأغرب مناظرة في قصة أمرهم بذبح بقرة، وحين يدور المتفكر بهذا العنوان (نكول بني إسرائيل عن أمر الله ورسالته) على كل جزء من السورة يجد له ظلا .... بين جنبات السورة"[5]، وهنا كان الإنسجام أخص الخاصيات في السورة كونها متعددة المواضيع، وقصة البقرة؛ لا قصة القتيل أشهر حادثة عرفوا بها لعنادهم وكفرهم وجحودهم و نكولهم، فناسب أن يكون اختيار هذا العنوان (البقرة) وهو حيوان لأوّل سورة من القرآن حتى يظهر في القرآن بأن أهم المواضيع التي سيبدأ بها القرآن هو

---

[1]- ينظر: نظم الدرر، البقاعي 1/ 12.

[2]- ينظر،خواطر قرآنية، نظرات في أهداف سور القرآن، عمرو خالد الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2004م، ص:24 وما بعدها.

[3]-سورة لقمان بين كلمة التنزيل وتناسب الترتيب، محمد رأفت سعيد، ص: 13.

[4] - الموسوعة القرآنية المتخصصة ،السور القرآنية ، د. عبد البديع أبو هاشم محمد ، ص : 220-221 .

[5]- المرجع نفسه، ص: 221 .

التنبيه من سلوك بني إسرائيل بداية من حادثة البقرة التي كانت العرب لا تعرفها إلاّ القليل منهم. وهكذا نجد أنّ علم المناسبة نظر إلى العنوان (اسم السورة) على أنّه جزء من السورة، وهو تمهيد لطرح الموضوع الذي تتميّز به السورة منذ بدايته. إنّه ديباجة لما سيقال آنفا في السورة.

ويرى الدكتور عبد البديع أبو هاشم محمد عن مناسبة العنوان لموضوع السورة لتحقيق الإنسجام بأنّه حتى يحصل ذلك يجب أن يعرف هذا بتدبر اِسم السورة الذي عرفت به، وتلمس المناسبة بينه وبين كل موضوع من موضوعات السورة، فيبدو جليا أن أسماء السور لها أسرارها الحكيمة، مما يدل على حكمة منزل القرآن، ويشير إلى المناسبة اللطيفة بين اِسم السورة وجميع موضوعاتها. أما ما ذهبوا إليه من محاكاة عادة العرب في تسميتهم فإنّه يجعل الإسم عنوانا على موضوعه فقط لا على السورة كلها، أو كما يقول أهل التصنيف إنه يجعل الإسم أخصّ من المسمى"[1]، وهذه المناسبة اللطيفة بين العنوان (اسم السورة) وأهم حدث قصصي في سورة البقرة تصنع الانسجام من بداية السورة، حيث تظهر السورة بداية من عنوانها وحدة واحدة، إذا يشكل العنوان وهو رأس السورة، مركزا قويا وهو يذكر في متنها، ويظهر الترابط بين الرأس والوسط بين البداية والمركز الذي تدور فيه كل مواضيع السّورة حول قصّة البقرة، هذا الاسم الذي اختاره سبحانه وتعالى عنوانا لهذه السورة لما ورد من أخبار عن هذا الحيوان الذي اِحتلّ مكانة في قلوب بني إسرائيل حتى عبدوه في سورة العجل، ونحن ننتقل بين هذه المواضيع هنا وهناك عبر آيات السورة يتجلى لنا الإنسجام الذي يظهره مبدأ المناسبة التام بين اسم السورة وقصّة البقرة.

ب– المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها :

"فواتح السور وخواتمها وجه مشرق من وجوه الإعجاز القرآني، ولذلك اهتم بها العلماء أيّما اهتمام، فقاموا يتلمّسون التناسب الدقيق بين أجزاء التركيب القرآني، فأبرزوا ذلك بشكل جلي واضح، وكان من ذلك وجه التناسب بين فاتحة السورة وخاتمة غيرها،[2] . وهذا النوع نكشف عنه في العلاقة بين خاتمة سورة الفاتحة وبداية سورة البقرة.

أمّا النّوع الذي نكشف عنه هو علاقة البداية بالخاتمة في السّورة الواحدة وكيف انسجمت رغم تباعدها وهناك من يسمى هذا النوع من الترابط: بترابط الأطراف، أو رد العجز على الصدر، يقول الدكتور القيعي –رحمة الله–:"أنّك إذا أردت أن تعرف المناسبة بين آيات السورة الواحدة؛ فتعرَّف على الغرض الذي من أجله سيقت السورة، والمقدمات الموصلة إليه قربًا وبعدًا، واللوازم في جزئيات تلك المقدمات التي تنتقل بالسامع من حالة إلى حالة..ومما تجدر الإشارة له التعرف على الإنسجام الكامل بين أوّل السورة ونهايتها"[3] .

---

[1] – المرجع نفسه ، ص : 220.

[2] – ينظر الموسوعة القرآنية المتخصصة ،السور القرآنية ، د. عبد البديع أبو هاشم محمد ، ص : 227 .

[3] – ينظر:الأصلان في علوم القرآن،محمد عبد المنعم القيعي، المكتبة الشاملة، ط4، 1417هـ/1996م، ص:63.

وتنبّه علماء المناسبة إلى هذه القضية التي بدت متجلية في القرآن من أوّل ولوج إلى كتاب الله، بداية من سورة البقرة، وعنها قال الأصبهاني: وافق آخرها أولها من ذكر أوصاف المؤمنين ثم الإشارة إلى وصف الكافرين[1]. وهذا تناسب عجيب في القرآن، وهو ما يرى من التآلف والتعانق بين مطلع السورة وختامها في سور القرآن تآلفا وتعانقا يأخذ بالألباب، وينبئ عن سبيل من سبل الإعجاز البياني للقرآن، فبينما تجد السورة تتناول موضوعات شتى وتطوف بقضايا مختلفة من أحاديث عن العقيدة والعبادات والمعاملات والجهاد وتنظيم الأسرة والمجتمع، فإنّك لا تعدم في نهاية المطاف وفي آخر السورة أن تجد ربطة متينة بين مطلع السورة وخاتمتها .[2]وذلك من بدايتها إلى خاتمتها.

ففي سورة البقرة مثلا : فاتحتها ثناء على المتقين الذين آمنوا بالقرآن وما فيه حتى لم يعرفوه مثل (ألم)، واهتدوا بهداه وخاتمة السورة شهادة لهم بالإيمان الذي حققوه : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [3]. وبهذه الطريقة نستطيع الكشف عن وجه من وجوه الإنسجام، فرغم بعد المقدمة عن الخاتمة وتنوع المواضيع بينهما إلاّ أن الإنسجام كان حاضرا ولم يمهل. وظهر الخطاب القرآني في موضوع واحد هو ذلك الموضوع الذي ابتدأت به السورة وهو ذكر الكتاب الذي أنزل عليهم، والمتقين الذين يؤمنون بالغيب، في قوله ﴿ **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ (**سورة البقرة :02**)، واختتمت السورة بإيمان هؤلاء المتقين، وكأن بداية السورة هي إشعار لبداية إيمانهم ونهايتها هي تمكين هذا الكتاب للدخول إلى قلوبهم. وجاءت إخبارا عن طريق استعمال الفعل الماضي (آمن) الذي يحيلنا مباشرة إلى لفظة (يؤمنون)في قوله:﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)** ﴾ (سورة البقرة،3-5)،وساهمت الإحالة المعجمية التكرارية التي تتمثل في استعمال الجذر اللغوي (أ،م،ن) في ذلك الترابط وذلك الإنسجام الذي أتى من أعلى السورة إلى أسفل السورة جارا بخيوطه باحثا عن مرافئ لها ليرسو بها عند المعنى، ماسكا متحكّما في معانيها، ويؤكّد هذا؛ الإتّساق التّكراري الممتد من بداية السورة إلى خاتمتها، وهذا الإتّساق يجسد الإنسجام الجميل السلس الذي لا تشعر به إلاّ وهو ينقلك بين المواضيع المختلفة والمتنوعة، ثم يوصلك دون أن تشعر بذلك الاختلاف إلى

---

[1] –ينظر، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتمها ، الحافظ جلال الدين السيوطي ، مكتبة دار المناهج، المملكة العربية السعودية ، الرياض ،ط1 ،1426 هـ . ص47–48 .

[2] – مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، ص: 14 .

[3] – الموسوعة القرآنية المتخصصة ،السور القرآنية ، د. عبد البديع أبو هاشم محمد ، ص : 230 .

محطة النهاية التي تحيلك مباشرة إلى محطة الانطلاق من حيث الموضوع.فالمؤمنون" هنا لقب للذين استجابوا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ".[1]وهم الذين ذكروا في البداية.

وهكذا يتحقق الإنسجام الداخلي للسورة بين بدايتها وخاتمتها عبر عدة آليات لغوية تجعل النص متسقا وتبعث فيه روح الإنسجام حتى يشعر القارئ بأنّه في جوّ نص واحد، ولا يتعامل مع السورة على أنّها عدة نصوص في نص واحد، لأنّ سورة البقرة قد احتوت على عدة مواضيع لو فصلنا بينها من خلال سياقها اللغوي لتشعرنا أن كل مقطع من مقاطعها يمثل موضوعا مستقلا لوحدة موضوعية مستقلّة، بداية من الآية(2) إلى الآية (286).

وهناك من فصل في بيان المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها وذكرها آية آية، وبيّن أنه بدأ في السورة يمدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، وبيّن في آخر السورة أن الذين مدحهم في أوّل السورة هم أمّة محمّد صلى الله عليه وسلم فقال:﴿ **آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)**﴾ (البقرة،285-286).

قال السيوطي رحمه الله في قطف الأزهار:"وقيل إنّه تعالى بدأ السورة بمدح المتّقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة و ينفقون.وبيّن في آخر السورة أنّ الذين مدحهم في أوّلها هم أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم؛ فقال: (وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)، وهذا هو المراد في أول السورة: (وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)، ثم حكى عنهم هنا كيفية تضرعهم إلى ربهم في قولهم:(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا...) إلى آخر السورة، وهو المراد بقوله في أوّلها: (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، فانظر كيف حصلت الموافقة بين أوّل السورة و آخرها.[2] قال الأصبهاني: وافق آخرها أوّلها من ذكر أوصاف المؤمنين، ثم الإشارة إلى وصف الكافرين.[3] "وهذا هو المراد بقوله في أول السورة : « الذين يؤمنون بالغيب » ثم قال ههنا : « وقد سمعنا وأطعنا» وهو المراد بقوله في أول السورة: « ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »،ثم قال ههنا : «غفرانك ربنا وإليك المصير» ،وهو المراد بقوله في أول السورة «وبالآخرة هم يوقنون» ثم حكى عنهم ههنا كيفية تضرعهم إلى ربهم في قولهم: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا إلى آخر السورة، وهو المراد بقوله في أول السورة «أولئك على هدى من ربهم أولئك هم المفلحون»

---

[1] – ينظر، تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،ج3/132–133.

[2] – ينظر: علم المناسبات في السور و الآيات و يليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمان السيوطي، محمد بن عمر بن سالم بازحول، المكتبة المكية،ط1، 1423هـ–2002م، ص:126.

[3] – المرجع نفسه، ص:126.

فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها".[1]و يذكر صاحب كتاب التفسير الموضوعي، بأنّ سورة البقرة:"بدأت بالحديث عن الإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب، وختمت به"[2].

وهكذا يظهر للأعيان أنّ السّورة تحقق فيها الإنسجام بداية من أوّل سورة لتصل بالمتلقي إلى نهايتها، وتحقق التناسب بين هذين الحدّين المتباعدين بحديثهما عن الموضوع نفسه.

ج- تناسب وإنسجام الآيات في سورة البقرة:

ومن أوّل ما يمكن أن نرصده كملاحظة في هذا الجانب، هو ذلك التناسب والإرتباط الذي وجدناه في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)**﴾ (البقرة،47-48)، لأنّه "تَقَدَّمَ تَذْكِيرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالنِّعْمَةِ فِي آيَةٍ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ مَقْرُونًا بِالْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَبِالْوَعْدِ بِالْجَزَاءِ عَلَيْهِ، وَالْأَمْرِ بِالْخَشْيَةِ مِنْهُ وَالرَّهْبَةِ لَهُ وَحْدَهُ. (وَهِيَ آيَةُ 40) وَتَلَاهَا آيَاتٌ أَمَرَهُمْ فِيهَا بِالْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَنَهَاهُمْ عَنْ لَبْسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَكِتْمَانِهِ.ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، ثُمَّ وَبَّخَهُمْ عَلَى نِسْيَانِ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْبِرِّ مَعَ أَمْرِهِمْ لِلنَّاسِ بِهِ وَتِلَاوَتِهِمُ الْكِتَابَ الدَّاعِيَ إِلَيْهِ، وَدَلَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي لَوْ سَلَكُوهَا عُوفُوا مِنْ هَذَا النِّسْيَانِ، تِلْكَ الطَّرِيقُ هِيَ : الِاسْتِعَانَةُ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي فَقَدُوهَا بِفَقْدِ رُوحِهَا، وَهُوَ: الْإِخْلَاصُ وَالْخُشُوعُ، وَبَعْدَ هَذَا عَادَ إِلَى التَّذْكِيرِ بِالنِّعْمَةِ بِنَوْعٍ مِنَ التَّفْصِيلِ، فَإِنَّ النِّعْمَةَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى مُجْمَلَةٌ وَالْإِجْمَالُ يُنَبِّهُ الْفِكْرَ إِلَى الذِّكْرِ فِي الْجُمْلَةِ، فَإِذَا تَلَاهُ التَّفْصِيلُ وَالْبَيَانُ كَانَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ تَامٍّ لِكَمَالِ الْفَهْمِ (فَيَكُونُ التَّذَكُّرُ أَتَمَّ وَالتَّأَثُّرُ أَقْوَى، وَالشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَةِ أَرْجَى)."[3] فقوله - تعالى:(يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)" مؤكد لمثله في (الآية 40) وتمهيد لما عطفه عليه من تفصيل الإجمال في الآية وما بعدها من الآيات، وما اقترن به من بيان كفرهم للنعم، وما تخللها من المواعظ والحجج، وأوّله وأعلاه قوله :(وأني فضلتكم على العالمين) أي : أعطيتكم من الفضل - وهو الزيادة فيما يحسن-ما لم أعط غيركم من الشعوب- حتى ذات المزايا الدنيوية-كالمصريين وسكان البلاد المقدسة[4].

ومن مناسبات اتصال الآيات بعضها البعض رغم اختلاف معانيها، ما جاء في قوله تعالى:﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (البقرة: 07)، "فمناسبة اتصال هذه الآية بما قبلها ظاهر، وهو أنّه لما ذكر صفة من الكتاب له هدى وهم المتقون الجامعون للأوصاف المؤدية إلى الفور، على الكفر، وافتتح قصتهم بحرف التأكيد ليدل على استئناف الكلام فيهم، ولذلك لم يدخل في

---

[1] - التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، دار الكتب العلمية، طهران ،7/138-139 .

[2] - التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم وآخرون، ج1/35.

[3] - - ينظر،تفسير المنار،محمد رشيد رضا، ج1/252.

[4] - ينظر، المرجع نفسه، ج1/252-253.

قصة المتقين، لأنّ الحديث إنما جاء فيهم بحكم الإنجرار، إذ الحديث إنما هو هنا الكتاب ثم انجرّ ذكرهم في الإخبار عن الكتاب"[1].

ومن صور الإنسجام بين السياق ومناسبة الآيات لبعضها البعض،قوله تعالى:﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾ (البقرة: 238) حيث جاءت هذه الآية في سياق الحديث على الطلاق والمشكلات الأسرية، وهي تستوقفنا بتساؤل واضح وهو ما علاقة سياق الطلاق والمشكلات الأسرية بالمحافظة على الصلاة؟ بحيث يطيب لكل قارئ أن يضع لها مناسبتها، وهذا أمر مقصود في غرض الآية، وبالتأمل والتحليل للآيات الكريمة حيث نجد هذه الآيات قد أطال الله في ذكر المشاكل الأسرية والطلاق وما يتعلق بالنساء "وهي موضوعات تصرف همّ الإنسان وتشغله عن عبادة ربه وقضاياه الكبرى التي هي عبادة الله تعالى وقضايا الأمة، أمر الله تعالى بالمحافظة على الصلاة مباشرة لتنتزع نفوس المؤمنين من الإنشغال بحقوق الخلق لترفعهم إلى الإنشغال بحقوق الحق تعالى"[2].وقال البيضاوي:"لعل الأمر بها في تضاعيف أحكام الأولى والأزواج لئلا يلهيهم الإشتغال بشأنها عنها"[3]. وهنا يظهر دور السياق في عملية الربط بين الآيات بل وأكثر من ذلك في انسجامها تحت غرض واحد يشكل جزءا من مقصدية الناس العامّة لسورة البقرة.

وهناك أيضا صور أخرى كثيرة للتناسب الموجود بين الآيات التي قد يظن بها أنّها آيات تمثل انطلاقة لموضوع جديد في السورة، لكننا لو عدنا إلى كتب التفسير وترصدنا ما قاله علماؤنا عنها لوجدناها متناسبة مع ما قيل قبلها وبعدها، ومنها قوله تعالى:﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)** ﴾(البقرة،25) ووجه المناسبة هنا كما جاء في تفسير المنار هو أنّه "لَمَّا بَيَّنَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مَا أَعَدَّهُ لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ فَجَحَدُوا بِهَا، أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَصِيبَ مُقَابِلِ هَؤُلَاءِ، وَهُمُ الَّذِينَ ظَهَرَ لَهُمُ الدَّلِيلُ فَآمَنُوا ، وَلَاحَ لَهُمْ نُورُ الْهِدَايَةِ فَاهْتَدَوْا، فَالْكَلَامُ مُتَّصِلٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. وَلِذَلِكَ عَطَفَ الْجُمْلَةَ عَلَى مَا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهَا مُتَمِّمَةٌ لِفَائِدَتِهَا، إِذْ لَا بُدَّ بَعْدَ بَيَانِ جَزَاءِ الْكَافِرِينَ، مِنْ بَيَانِ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْإِرْشَادُ تَرْهِيبٌ وَتَرْغِيبٌ، وَالْخِطَابُ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خَاصَّةً، وَأَنْ يَكُونَ عَامًّا لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ الْأَمْرَ مِنْ أَهْلِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْأَخِيرَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، وَالْمَفْهُومُ عِنْدَهُمْ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا الْخِطَابِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى (نَبِّئْ عِبَادِي) 49 : 15 () وَقَوْلِهِ:(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) (36-16)فَهُوَ فِي عُمُومِهِ جَارٍ مَجْرَى الْأَمْثَالِ، وَالْمُخَاطَبُ الْأَوَّلُ بِهِ هُوَ الرَّسُولُ عَلَى كُلِّ حَالٍ"[4] .

---

[1]– تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، الغرناطي، ج1/ 70.

[2]– ينظر: تفسير المنار،محمد رشيد رضا، ج2/ 436.

[3]–أنوار التنزيل، ج1/ 128.

[4] – ينظر: تفسير المنار،محمد رشيد رضا، ج1/ 192.

ومن صور الربط بين الآيات في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (البقرة: 254)، فقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ (البقرة: 253)، حيث تظهر مناسبتها في السياق الذي سيقت فيه هذه الآيات، عندما ورد في سياق الآية التي قبلها إخبار عن الإقتتال والإختلاف الموافق للمشيئة والحكمة الإلهية، وهذا يتطلب الإعداد والتهيؤ، لذا أمر بالإنفاق، حتى يكون التهيؤ والاستعداد على أتمه، قال أبو حيان: "مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنّه لما ذكر أن الله تعالى أراد الاختلاف إلى مؤمن وكافر، وأراد الاقتتال وأمر به المؤمنين وكان الجهاد يحتاج صاحبه إلى الإعانة عليه، أمر تعالى بالنفقة من بعض ما رزق، فشمل النفقة في الجهاد"[1]. ويمكننا أن نستخلص أثر وفوائد هذا المبدأ من خلال "جودة سبك القرآن وإحكام سرده، ومعنى هذا أن القرآن الكريم بلغ من الترابط بين كلماته وآياته ومقاطعه وسوره مبلغا لا يدانيه فيه أي كلام آخر"[2].

ونشير هنا إلى أنّه هناك عدّة صور للتناسب داخل الآية الواحدة، "لأن آيات القرآن الكريم فيما بينها إرتباطا وثيقا يعتبر مظهرا جليلا من مظاهر الإعجاز القرآني، وتبدوا آيات السورة الواحدة بهذا الترابط حلقات في سلسلة سلك من عقد الجميل، ومن جمال تناسب الآيات أن كلّ على أشكالها متنوعة أنظمتها ويظهر ذلك في نوعين :

– **النوع الأول** : تناسب أجزاء الآية الواحدة، ولهذا النوع أشكال منها :

1- تناسب القسم مع المقسم به.

2- السؤال و الجواب.

3- تناسب ألفاظ الآية مع حالها ومعناها مثل آية سورة البقرة ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ(126)**﴾**(البقرة،126)** بالمقابلة مع آية سورة إبراهيم: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35)** ﴾**(إبراهيم،35)**. نجد في الآية الأولى توظيف لكلمة(بلدا) حيث كانت مكّة مكانا منكرا غير معروف فجاءت اللفظة في هذا السياق نكرة (بلدا)، ولما أصبح مكانا معروفا يرتاده الناس ويستوطنونه جاء اللفظ في سورة إبراهيم مناسب لما عُبّر عنه معرفة (البلد).

---

[1]– البحر المحيط، لأبي حيان، ج2/ 604.

[2]– ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى – 1415 هـ – 1995 م ،ج1/ 450.

4- تناسب خاتمة الآية مع موضوعها مثل قوله تعالى :﴿**زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209)** ﴾(البقرة :209) ، ذكر الإمام القرطبي حكاية عن النقاش، أن كعب الأحبار لما أسلم كان يتعلم القرآن، فأقرأه الذي كان يعلمه ﴿**فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ على سبيل الخطأ فقال كعب :إني لأستنكر أن يكون هذا، ومر بهما رجل فقال كعب: كيف تقرأ هذه الآية ؟ فقال الرجل :﴿**فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عزيز حِكيمٌ**﴾ فقال كعب: هكذا ينبغي وقيل : سئل كعب : وكيف عرفت وأنت لا تحفظها فقال : ما كان لمن توعد وتهدد أن يغفر و يرحم ، وإنما يعز ويحكم. [1]

– النوع الثاني : تناسب الآيات مع بعضها داخل السورة الواحدة .ولهذا النوع أيضا أشكال منها:(البيان و التفسير– التأكيد– المقابلة – البدل للإيضاح – جواب الشرط).[2] وهذا النوع من التناسب مذكور في كتب البلاغة والنحو بصفة موضّحة .

د– تناسب وإنسجام المقاطع في سورة البقرة:

ونقصد بالمقطع الموضوع أو الفكرة الواحدة أو القصّة الواحدة، وللكشف عن علاقة التناسب بينه وبين غيره وما علاقته بما يسبق أو يلحق وما وجه المناسبة بينها وبين ما يحيط بها من مواضيع؟ هذه التساؤلات يستطيع أن يجيب عنها علم المناسبة، الذي به تظهر العلاقة بينها فالمتتبع لمواضيع سورة البقرة، يستطيع أن يكشف عن هذا المبدأ بمقارنة تلك المواضيع وذكرها في سور أخرى حيث نجد –إن لم نجزم قطعا – أنّ السورة الوحيدة التي اجتمع فيها أكبر عدد من القصص القرآني تحت هدف واحد وقصد واحد هي سورة البقرة، وأنّ طريقة عرض تلك القصص في سورة البقرة كانت وفق ترتيب منطقي لأهم الأحداث التي حدثت على سطح الأرض منذ بداية الخلق. حيث قال البقاعي في مقدمة كتابه عن تكرار القصص في سور أخرى إنّ الغرض منه هو "أن مناسبات القصص في السور توقفنا على معان عظيمة، تدل على إعجاز القرآن الكريم، وتكشف المكررات في القرآن، فإنّ كلّ سورة أعيدت فيها قصّة، فإنما أعيدت لمعنى ادّعى في تلك السورة، استدل عليه بتلك القصة، غير المعنى الذي سيقت له في السورة الأخرى، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظم بالتقديم والتأخير، والإيجاز والتطويل"[3].

وما يعنينا في هذا المبدأ حتى نكشف عن ذلك الإنسجام الحاصل بين القصص الواردة في سورة البقرة والطريقة التي سيقت بها، وألفاظها وتراكيبها،هو كيف نميّز السياق القصصي في سورة البقرة عن غيره من السياقات في السور الأخرى؟ وللإجابة عن هذا السؤال سوف نبحث عن تلك القصص في سور أخرى،

---

[1] – ينظر الموسوعة القرآنية المتخصصة ،السور القرآنية ، د. عبد البديع أبو هاشم محمد ، ص : 233 –234 .

[2] – المرجع نفسه، ص : 234–235 .

[3]– ينظر: نظم الدرر، البقاعي، 1/ 12– 14 (المقدمة).

والطريقة التي سيقت بها الألفاظ التي استعملت وحتى نتمكن من الكشف عن وجه المناسبة بين القصص (المقاطع) في سورة البقرة أي؛ الإنسجام، انطلاقا من مبدأ المناسبة.

ولنأخذ قصّة آدم عليه السّلام "فقد عرضت قصة آدم عليه السلام بدءا في سورة البقرة، ثم موقف الملائكة منه عليه السلام، ثم السجود له، ثم قصته مع زوجته ثم هبوطها إلى الأرض"[1].فبعد انتهاء القسم الأول من السورة الذي ختم بقوله تعالى:﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة: الآيتين: 28- 29) ابتدأت القصة بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ،فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ،فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (**البقرة: 30– 38**).

فالأحداث المذكورة عن هذه القصة في سورة البقرة لن تأتي بنفس السياق، ولا بنفس البناء القصصي، ولا بنفس طريقة ترتيبها وعرضها. وخالفت فيها السور الأخرى، حيث ابتدأت في سورة الأعراف من حادثة السجود، كما جاء في قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾ (الأعراف،11) وابتدأت في سورة طه من عهد الله لآدم عليه السلام كما جاء في قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى**﴾ (طه: 115- 116)، وفي سورة (ص) ابتدأت بالحديث عن خلق آدم عليه السلام من طين، كما جاء في قوله تعالى:﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ (ص: 71- 72) "وتفردت سور (الإسراء والحجر والكهف)

[1]– التناسب القصصي في سورة البقرة، دراسة في هدى علم المناسبة، د. زهراء خالد سعد الله العبيدي، ود. طلال يحي إبراهيم الطوبجي، المرجع نفسه، ص: 202.

بسياق الخلق والسجود مع اختلاف طريقة العرض والأداء، فنجد في كل سورة ما يتناسب مع موضوعها وشخصيتها، فناسبت مدنية سورة البقرة ذكر خلافة آدم عليه السلام مقرونا بخلقه في هذا الموضع الوحيد في القرآن؛ لتحديد سمات المجتمع المسلم، وإعطائه مقوّمات الضرورية"[1] وقد بين سيد قطب أهمية مبدأ المناسبة في توحيد الموضوعات وانسجامها مع طريقة عرضها في كل سورة من السور القرآنية، إذ يقول:"إنّ المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء"[2]، وهذا ما لاحظه الباحثان د. زهراء خالد سعد الله، ود. طلال يحي إبراهيم الطويجي، حين قال: "وما يمكن ملاحظته على هذا الترتيب التناسبي للقصص أنه يعبّر عن تماسك السورة، لأنّ إبراز مضامينها يتفق مع مضامين القصص فيها، بحيث أن القصص تلتقي كلّها عل الرغم من تباعد سياقاتها في السورة أو تقاربها فيها عند موضوع واحد يتلاءم مع هدف السورة"[3] وينسجم معه.

"وحتى يظهر الإنسجام واضحا من خلال هذا المبدأ، سنقف وقفة أخرى على موضع آخر من سورة البقرة لا يبتعد كثيرا عن قصة آدم عليه السلام، وله علاقة أخرى مع اسم السورة، وهو قصة بني إسرائيل وقد جعل سيد قطب المناسبة بينهما في سياق الاستخلاف، ويؤكد أن هناك صلة ظاهرة بين قصة استخلاف آدم عليه السلام وقصة استخلاف بني إسرائيل؛ لذلك أعقب الجولة مع بني إسرائيل بعد قصّة آدم عليه السلام، وذكر تمهيدا الله معهم ونكثهم له، ونعمته عليهم، وجحودهم بها مما ترتب على هذا حرمانهم من الخلافة وكتب عليهم الذلة، وحذّر المؤمنين كيدهم"[4].

قال أبو حيان:"وناسب الكلام معهم قصّة آدم عليه السلام، لأنّهم بعدما أوتوا من البيان الواضح، والدليل اللائح المذكور ذلك في التوراة والإنجيل من الإيفاء بالعهد والإيمان بالقرآن، ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم بالقرآن ومن جاء به"[5]، ويتبين من هذا أن الانسجام واضح في هذا المقطع من السور وقد ذكر ذلك علماء التفسير معتمدين فيه على مبدأ المناسبة. وهكذا يواصل مبدأ المناسبة في إظهار علاقة الربط والإتّساق بين المضامين والقصص"ليربط بين مفهومي (الإماتة والإحياء) و(التقوى) بوصفهما محورين رئيسيين للسورة عبر حلقات قصصية تلتحم جميعها في إثبات وحدانية الله تعالى وإبطال الشرك، وقد اتضح ذلك كما ذكرنا سابقا في ختام (قصّة البقرة) في قوله تعالى:﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة: 73)، ثم إيضاح مفهوم (الإتقاء) عبر التعقيب الختامي على القصّة في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ**

---

[1]– التناسب القصصي في سورة البقرة، دراسة في هدى علم المناسبة، د. زهراء خالد سعد الله العبيدي، ود. طلال يحي إبراهيم الطويجي، المرجع نفسه، ص: 202.

[2]– في ظلال القرآن، سيد قطب، ج1/ 63.

[3]– المرجع السابق، ص: 201.

[4]– في ظلال القرآن، سيد قطب، ج1/ 79.

[5]–البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي الغرناطي، ج1/ 327– 328.

قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(البقرة: 74) (1)وينبعث مبدأ المناسبة من قصة خلق آدم واستخلافه في الأرض وعصيانه الله عندما منعه ربه من الإقتراب من الشجرة ليلتقي بوجه الأرض في مقطع بني إسرائيل، عندما استخلفهم الله في الأرض بعدما خلقهم ثم عصوه بارتكابهم للمعاصي وقتلهم النفس التي حرم الله قتلها إلاّ بالحق، وبهذا يحصل الإنسجام بين القصّتين: قصّة آدم عليه السلام وقصّة بني إسرائيل.

ولبلورة فكرة (الإماتة والإحياء) تأتي قصّة سلوك بني إسرائيل عبر شريحة جديدة منهم، يقدّم لها النص القرآني لقوله تعالى:﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة: 242) وهي تذكرة بختام (قصّة البقرة) في قوله تعالى: ﴿**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(البقرة: 73)، وهذا الربط بين القصتين عند هذا المفهوم يبقى تمهيدا أو ختاما لموقفهم، ويكشف عن مدى سلوكهم الملتوي لخلوه من الإيعاظ والاعتبار"[2].

والجدول التالي يكشف عن بعض وجوه الإنسجام النصي والقصصي بين قصّة آدم عليه السلام وقصّة بني إسرائيل في بعض سلوكاتهم من خلال مبدأ المناسبة.

جدول يوضح مبدأ المناسبة بين قصة خلق آدم عليه السلام واستخلاف بني إسرائيل

آدم عليه السلام	بنو إسرائيل
1- استخلافه في الأرض﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة 30). **2- أكله من الجنة ﴿وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ (البقرة: 35).** **3- النهي عن إقتراب الشجرة ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: من الآية 35).**	**1- خلقهم الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 21).** **2- تذكيرهم بنعم الله عليهم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة: 47)، (البقرة: 57).** **3- النهي عن الكفر بالكتاب﴿وَآَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**

[1]- التناسب القصصي في سورة البقرة، دراسة في هدى علم المناسبة، د. زهراء خالد سعد الله العبيدي، ود. طلال يحي إبراهيم الطويجي، المرجع نفسه، ص: 204.

[2]- المرجع نفسه، ص: 204.

4- المعصية﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: 36).	**وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (البقرة: 41).** **4- المعصية ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(البقرة: 72)**

ولو واصلنا المقارنة بين القصتين لوجدناهما تقريبا على بنية واحدة، وقد تناسب بناؤهما وانسجمت معانيهما، خلق واستخلاف ونعم من عند الله ومعصية...الخ، فوجه المناسبة يكمن في عدّة نقاط تجمع بينهما لذلك نجدهما يصبّان في وعاء واحد وهدف واحد ومقصد واحد، ينسجم بينهما ويربط بينهما. وكأن قصّة بني إسرائيل مقتبسة من قصّة آدم عليه السلام، لأنّ هذه هي سريرة البشر التي جبلوا عليها جميعا، خلق وتمتع بالنعم ثم معاصي ثم توبة ثم موت.

هـ- المناسبة بين سورتي الفاتحة والبقرة، ثم سورتي البقرة و آل عمران:

ويتمثل في رصد العلاقات التي تربط بين سورة البقرة و سورة الفاتحة التي تقدمها في ترتيب المصحف، وقد سماه البلاغيون بعلاقة (الإيضاح بعد الإبهام) أو علاقة (التفصيل بعد الإجمال). وفي هذا إشارة إلى مواضيع عديدة تربط بين سورة البقرة وسورة الفاتحة، إذ أن العلاقة بين السورة وما قبلها، أن السورة اشتملت على تفصيل لأمر أجمل في السورة السابقة عليها."[1]، ولم يكن لهذا المبدأ أن يتضح لولا وجود علاقة انسجام بين مواضيع ومضامين السورتين، وسنكشف عن ذلك من خلال ما جاء من تقليص للمعاني في سورة الفاتحة التي تعد أم الكتاب، والعلاقة المعنوية بين آياتها ومعاني آيات سورة البقرة .فسورة الفاتحة جاءت جامعة لكل معاني القرآن وتضمنت معانيه من دون تفصيل، حيث تم اختزال كل معاني القرآن في هذه السورة، وعن هذا قال الزمخشري :"وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ومن التعبد بالأمر و النهي، ومن الوعد و الوعيد.[2]إذ لو تتبعنا سورة البقرة لوجدناها تفصل المواضيع التي جاءت في سورة الفاتحة وسنوضح ذلك باستلهام بعض الآيات.

وربما يسوقنا مبدأ المناسبة إلى الكشف عن الإنسجام الحاصل بين سورة البقرة وسورة الفاتحة، من خلال أو موضوع ينبغي للعلماء الحديث عنه وتوضيحه في القرآن، وهو عبادة الله في قوله تعالى :﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾(الفاتحة1-3)، والأمر

[1] التماسك و التناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني ، د.محمد أحمد أبو بكر أبو عامود ، ص :58 .

[2] – الكشاف ، الزمخشري ، ج1/ 23 .

بعبادة الرب في سورة البقرة:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(سورة البقرة 21-22).

ويندرج هذا التناسب ضمن علاقة سورة البقرة بالسور الأخرى الموجودة في الكتاب وهو تناسب بين الموضوع الرئيسي في كل سورة، وسندرس العلاقة بين السورتين اللتين تسبقها وتلحق بها"وهذا مسلك أعمق وأدق في الملاحظة، حيث يربط بين الروحين الساريين في السورتين ومن أمثلة ذلك ما يلي :

1- بين سورة الفاتحة والبقرة: يمكن القول بأنّ سورة البقرة تفصيل لمجمل ما جاء في سورة الفاتحة[1]. في حديث السيوطي عن تعلّق أوّل سورة البقرة بآخر سورة الفاتحة، يقول "افتتحت البقرة بقوله:﴿**الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ...**﴾ (البقرة،1-2)"، فإنّه إشارة إلى الصراط المستقيم في قوله:"اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ"، كأنّهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب"[2]. فالتناسب بين السورتين هنا تناسب مضمون، إذ جاء أوّل سورة البقرة إيضاحا وبيانا لمضمون آخر سورة الفاتحة. ولو تتبعنا السيوطيّ في حديثه عن علاقات التناسب بين السور نجدها ترتكزّ في مجموعة من العلاقات منها؛ تفصيل المجمل كما في سورة البقرة والفاتحة.

2- وبين سورة البقرة وآل عمران: يمكن القول بأنّ سورة البقرة بيّنت قبح اليهود، بيانا واقعيا من خلال واقع حياتهم، مما يبعث في النفوس المطمئنة بغضا عظيما، ونفورا بعيدا من اليهود، ثم جاءت سورة آل عمران لتعلن أن اليهود (ليسوا سواء) فلقد كان منهم آل عمران الذين اصطفاهم إليه (مع آدم ونوح و آل إبراهيم) كما قال في سورتهم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)**﴾ فعمران وامرأته، وابنتهما مريم وحفيدها عيسى ابن مريم، كل أولئك كانوا صالحين على خلاف بني إسرائيل، بدليل أنّه جاء منهم عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .[3] وهذا مؤشر على أنّ السورتين انسجمتا في الطرح الموضوعي وارتبطتا، إذ تمثل سورة آل عمران العلاقة المناسبة التي ينبغي أن يقيمها المتلقي بين السورتين لأن سورة البقرة ذكرت قبائح اليهود وسّودت تاريخهم، حتى جاءت سورة آل عمران لتبيّن بأنّ الحكم على بني إسرائيل كلهم بهذه الصفة لا ينبغي أن يكون مادام فيهم الأنبياء ومنهم آل عمران، عائلة اصطفاها الله من آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام.

---

[1] – الموسوعة القرآنية المتخصصة ،السور القرآنية ، د. عبد البديع أبو هاشم محمد ، ص : 229

[2]- تناسق الدرر في تناسب السور؛ السيوطيّ؛ 35-76.

[3]- المرجع السابق، ص : 229

وأمّا المناسبة التي تظهر العلاقة بين سورة الفاتحة وسورة البقرة، هي علاقة المجمل بالمفصل، وسورة الفاتحة هي أم القرآن الكريم جميعه، ومن البديهي أن تكون أمّاً لسورة البقرة على وجه الخصوص كونها التالية لها مباشرة، سيما وقد ذكر السيوطي أنّ القاعدة التي استقر بها القرآن أنّ كلّ سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجازه، وقد استقر ذلك في غالب سورة القرآن طويلها و قصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة .[1]ومن أوجه التناسب بين السورتين الكريمتين:

– دعاء و استجابة :

مما قال البقاعي في كتابه نظم الدرر مبرزا العلاقة التي تربط السورتين وفي انسجام متكامل بينهما بأنّه قد حصل" من هذه السّورة بأسرها يقصد سورة البقرة بيان الصراط المستقيم على الإستفاء والكمال أخذا وتركا، وبيان شرف من أخذ وسوء حال من تنكب عنه. وكان العباد لما علموا ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)**﴾(**سورة الفاتحة :06**) إلى آخر السورة، قيل لهم : أهل الصراط المستقيم وسالكوه هم الذين بيّن شأنهم وأمرهم، والمغضوب عليهم من المتنكبين هم اليهود الذين بيّن أمرهم وشأنهم، والضالون هم النصارى الذين بيّن أمرهم وشأنهم، فيجب على من رغب في سلوك الصراط المستقيم أن يحذر مما أصاب هؤلاء ممانيه عليه، أن يأخذ نفسه بكذا وكذا، وأن ينسحب إيمانه على كل ذلك وأن يسلم الأمر لله الذي تطلب منه الهداية، ويتضرع إليه بأن لا يؤاخذه بما يثمره الخطأ والنسيان، و أن لا يحمله ما ليس في وسعه، و أن يعفو عنه إلى آخر السورة [2].

– تفصيل العبادة و الاستعانة :

قال تعالى :﴿**إياك نعبد**﴾، فقد دعا الناس في سورة البقرة إلى عبادته وحده ﴿ **يأيها الناس أعبدوا ربكم**﴾ (سورة البقرة :21)، ونفى الريب عمّا أنزل على عبده في قوله تعالى:﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾(سورة البقرة :23)، ليحثهم على إتّباع الوحي عبادة الله، وأكد هذا قوله تعالى في آخر سورة البقرة ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ**﴾ (سورة البقرة :285)، إلى أن قال ﴿ **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾ (سورة البقرة :285)، فتناسب قوله هذا مع قوله في سورة الفاتحة﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾.وهكذا نلاحظ بصورة واضحة ذلك الإنسجام الذي كان بين السورتين، حيث كانت سورة الفاتحة جامعة لكل العبادات و الاستعانة بالله، وأمّا تفصيل ذلك فقد كان في سورة البقرة .

---

[1] – تناسق الدور في تناسب السور ، جلال الدين السيوطي ، ص : 65 .

[2] – نظم الدور في تناسب الآيات و السور، البقاعي ، ج556/1 .

5- تناسب بين خاتمتي السورتين :

أُختتمت سورة الفاتحة بالدعاء للمؤمنين بقوله تعالى :﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ (سورة الفاتحة)، و أختتمت سورة البقرة بالدعاء لهم، بعدم المؤاخذة بالخطأ والنسيان ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ (سورة البقرة)، فكما اختتمت سورة الفاتحة بالدعاء للمؤمنين بألاّ يسلك لهم طريق المغضوب عليهم والضالين إجمالا، ختمت سورة البقرة بالدعاء بألاّ يسلك بهم طريقهم في المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وحمل الإصر، وما لا طاقة لهم به تفصيلا. وقد تضمن آخرها أيضا الإشارة إلى طريق المغضوب عليهم والضالين بقوله :﴿ **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾ (سورة البقرة:285)، فتآخت السورتان في المقطع وذلك من وجوه المناسبة في التتالي والتناسق [1]. وبهذه الطريقة نجد أنّ التناسب بين السورتين كان عامّا وشاملا. ولم يقتصر على موضع واحد، والسورتين من بدايتهما إلى نهايتهما منسجمتان في طرح المواضيع.

-تناسب بين (يوم الدين) في سورة الفاتحة و (الآخرة) في سورة البقرة :

ذكر هذا اليوم في سورة الفاتحة بلفظ (يوم الدين) ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)** ﴾(الفاتحة:04) وفي سورة البقرة بلفظ (الآخرة) في قوله تعالى :﴿ **وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾(سورة البقرة:04)، وكلاهما يعني يوم الآخرة، وتشاء الأقدار وأن يظهر التناسب حتى في رقم الآيتين (04). إن التناسب يظهر من خلال دلالة (لفظتي يوم الدين و الآخر)، وفي مقصد واحد بينهما متّحد يعني يوم الحساب والعقاب. الذي كان لسورة البقرة تفصيلا كبيرا عن هذا اليوم. من خلال تكرار ذكره بأسماء و أوصاف ومظاهر متعددة فكان الإنسجام بين السورتين بين هذه المسميات المختلفة لهذا اليوم الموعود، أين ذكر ذكرا من تفصيل لمظاهره ثم فلت هذه المظاهر وأنواع العقاب في سورة البقرة.

- التناسب بين سورتي الفاتحة و سورة البقرة في (الذين أنعم الله عليهم) :

ذكرت سورة الفاتحة الذين أنعم عليهم الله ولم تفصّل في ذلك لقصرها، وترك ذلك لسورة البقرة لتفصّل فيه بنوع من التفصيل، حيث تحدثت سورة البقرة عنهم وذكرت أوصافهم و أسمائهم وصالح أفعالهم بدءا من آدم عليه السلام- فموسى ثم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وطالوت وداود والنبي الذي لم يذكر اسمه في القصة ومن معهم من المجاهدين، ثم عزير ومحمّد صلى الله عليه وسلم مع صحبته. ونجد التناسب الحاصل بين سورة الفاتحة وسورة البقرة في هذه النقطة هو تفصيل وذكر للذين أنعم عليهم الله سبحانه وتعالى، فنرى الإنسجام واضح بين السورتين تجاوز حدود السورتين و ربط بين محتويهما بتفصيل من هم الذين أنعم عليهم الله سبحانه وتعالى.

[1] – تناسق الدور في تناسب و الآيات و السور ، جلال الدين السيوطي ، ص : 70 .

- التناسب بين سورتي الفاتحة و البقرة في (المغضوب عليهم والضالين) :

أجمع علماء القرآن والمفسرون حسب السيوطي أنّ تفسير المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى، وقد ذكروا في الفاتحة على حسب ترتيبهم في الزمان، فعقب سورة البقرة وجميع ما فيها من خطاب أهل الكتاب لليهود خاصة، وما وقع من ذكر النصارى لم يقع بذكر الخطاب أهل الكتاب للنصارى.[1] وما يميز سورة البقرة عن كل سوّر القرآن الكريم هو إسهابها في الحديث عن بني إسرائيل وأفعالهم وغضب الله منهم .

ويظهر أنّ التناسب الحاصل هنا بين السورتين لتفصل سورة البقرة لأوصاف المغضوب عليهم وهم بنو إسرائيل الذين طال الحديث عنهم في سورة البقرة، أمّا الضالين الذين فسروهم العلماء بالنصارى، فقد ذكروا في بعض الآيات وتم تفصيل الحديث عنهم أكثر في سورة آل عمران، وهذا ما جعل الإنسجام يتوّزع على السورتين الكبيرتين مع سورة الفاتحة لكونهما تفصلان في (المغضوب عليهم) و(الضالين) ، وهم اليهود والنصارى .

وأمّا سورة آل عمران هي السورة الثالثة في المصحف بعد سورة الفاتحة وسورة البقرة. حيث تناسبت مع سورة البقرة في فاتحتها، وكونها من الطوال. وقد وصفهما الرّسول صلّى الله عليه وسلم بالزهراوين. وتنطبق عليهما القاعدة القرآنية من تفصيل كلّ سورة لإجمال ما في السورة قبلها من جهة، وإشارة اللاحقة لما ورد في سابقتها من جهة أخرى، قال البقاعي وكما وقعت الإحالة في سورة البقرة لما وقع الإفصاح به في سورة آل عمران، كذلك وقع في آل عمران من محو ما وقع تفصيله في سورة البقرة. ليصير منزلا واحدا بما أفصح مضمون كل سورة بإحالة الأخرى، فلذلك هما غمامتان وغيابتان على قارئهما يوم القيامة لا تفترقان.[2] وهذا التوصيف لسورتين يتناسب في الواقع مع الكثير من مضامينها لورود الكثير من الآيات المتشابهة بينها . أمّا أكثر وجوه التناسب بينهما فإنها تظهر في ما يلي :

1- تشابههما في حروف الهجاء (ألم).

2- التنويه بشأن القرآن الكريم و الإشادة به.

3- سورة البقرة تدعوا إلى الإيمان بالقرآن والتمسك به، وسورة آل عمران تدعوا إلى إتباع الرسول والمسارعة إلى أوامره وما جاء به من عند ربه.

4- نفي الريب عن الكتاب في سورة البقرة (لا ريب فيه) (سورة البقرة :2)، وفي آل عمران بسط وإطناب لنفي الريب عنه، ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (3)**﴾ (آل عمران :3).

---

[1] – المرجع نفسه ، ص : 68 .

[2] – نظم الدور في تناسب و الآيات و السور، البقاعي ، ج5/2 .

5- جاء في سورة البقرة إنزال الكتاب مجملا . وقسمه في آل عمران إلى آيات محكمات ومتشابهات .

6- ذكر في سورة البقرة ﴿**وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**﴾ (سورة البقرة :4) وقال في آل عمران : ﴿ **أَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ** ﴾ (سورة آل عمران :3-4).

6- التناسب بين خاتمة سورة البقرة وفاتحة آل عمران :

ويُظهِر هذا النوع من التناسب إنسجام في المواضيع بين نهاية وخاتمة السورة السابقة (البقرة)، ببداية وافتتاحية السورة (آل عمران)، وكأن المواضيع تتماشى على نسق واحد، إنّه النسق القرآني المعجز، وعن هذا قال صاحب البحر المحيط" ومناسبة هذه السّورة لما قبلها واضحة لأنّه لما ذكر آخر البقرة:﴿ **أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ (سورة البقرة :286)، ناسب أن يذكر نصره تعالى على الكافرين، حيث ناظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليهم بالبراهين الساطعة والحج القاطعة، فقص تعالى أحوالهم ورد عليهم في اعتقادهم، وذكّر به تعالى عمّا يقولون، وبداءة خلق مريم وابنها المسيح إلى آخر البقرة ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ** ﴾ (سورة البقرة :285)، فكان في ذلك الإيمان بالله وبالكتب، وذكر أوصاف الله تعالى، وذكر ما أنزل على رسوله، وذكر المنزل على غيره صلى الله عليه وسلم.[1]

وهكذا يظهر الإنسجام في أوج علاقاته التي ترتبط بين السورتين، أكانت من حيث المواضيع أم من حيث الترتيب والتنظيم. ويلعب مبدأ المناسبة هنا دور الكاشف في استخراج أهم مواطن الإنسجام الرابطة بين السورتين كما سبق ذكرها، بالإضافة إلى أخرى لم نذكرها وهي موجودة في الكتب التي ذكرناها .

السورة السابقة	الآيات المجملة	الآيات التي فصلتها	السورة اللاحقة
البقرة	لا ريب فيه	3	آل عمران
	إنزال الكتاب	7	
	وما أنزل من قبلك	4-3	
	القتال 190-244-216.	قصة أحد بكاملها 152-158	
	ذكر المقاتلين في سبيل الله (أحياء ولكن لا تشعرون)	170	

[1] – ينظم : تفسير البحر المحيط ، لأبي حيات الأندلسي ، ج09/3 .

	247	26	
	196	97	
	83	113	
	143	110	
	188	77-75	

واستطعنا أن نكشف عن هذا الإنسجام من خلال هذا المبدأ بالإضافة إلى علاقات كثيرة وممتدة إلى سور أخرى كسورة النساء والمائدة و الأنعام فصلت ما جاء في سورة البقرة، وبالتالي كانت العلاقة مع هذه السورة علاقة تناسب وتفصيل بعد إجمال تحت غطاء منسجم في نفس السياق .

و- مبدأ المناسبة بين السورتين من حيث المواضيع :

نظرا لحجميهما الكبيرين فإنهما حوتا مواضيع متنوعة ومختلفة في السورة الواحدة تكاد تتشابه بينهما، وقد قال السيوطي أنّ من أوجه المناسبة بين سورة البقرة وآل عمران ما نذكره هنا" فذكر في البقرة خلق الناس وذكر في آل عمران تصويرهم في الأرحام وذكر هناك مبدأ خلق آدم وذكر هنا مبدأ خلق الناس، وذكر مبدأ أولاده، وأطلق من ذلك أنّه افتتح البقرة بقصة آدم حيث خلقه من غير أب و أمّ. وذكر في هذه نظيره في الخلق من غير أب، لذلك ضرب له المثل بآدم"[1] . ثم واصل في تقديم الأوجه، وقال"وأمر آخر استقرأته هو أنه إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد، فإنّ السّورة الثابتة كون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الإتّحاد. وآخر آل عمران مناسب لأوّل البقرة. فإنّها افتتحت بذكر المتقين، أنهم المفلحون، و اختمت آل عمران بقوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (**سورة آل عمران: 200**). وافتتحت البقرة بقوله سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**﴾(سورة البقرة :4) واختمت آل عمران بقوله:﴿ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ (سورة آل عمران :199) .

إن حشر المواضيع المتناسبة بين افتتاحية السورتين وخاتمتيهما وبصورة متناسبة بينهما . تسوق إلى نفس الترتيب والتنظم، فحتّى السياق اللغوي لكل منهما يكاد يتشابه كون الثانية آل عمران تفصيلا لبعض ما أجمل في سورة البقرة التي سبقتها، وهذا التناسب الموضوعي بين السورتين يوضح طريقة انسجامها، فلو طلب منا أن نستخرج أفكار كل منهما سنجنح إلى تشابه كبير بينهما حقق انسجاما ووحّد تلاءم السورتين، فظهرت متّحدتين في المواضيع؛ بل وتقاربتا من حيث الحجم.

[1] – تناسق الدرر ، السيوطي ، ص :73 .

ز- التناسب بين خاتمتي السورتين :

أبرز سبحاني في كتابه البرهان في نظام القرآن علاقة فاتحتي وخاتمتي السورتين ببعضهما، وكيف انسجمتا إلى حد كبير، وأنّ هاتين السورتين متشابهتان في خاتمتيهما أيضا كما أنهما متشابهتان في فاتحتهما، حيث أن الخاتمتين كلتيهما مدح وثناء لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشتملان على أدعية حارة ضارعة من المؤمنين واستجابة عجيبة من الله[1].

وممّا سبق قوله، نستنتج أنّ علم المناسبة هو علم قديم اهتم بدراسة العلاقة بين أجزاء النّص الواحد، والآليات الرابطة بينها، والوجه الذي ناسب بينها، من العنوان وصولا خاتمة السورة، بل وأكثر من ذلك، فقد أظهر هذا العلم العلاقة بين السور السابقة واللاحقة للسورة. وكشف علماؤه عن تلك المواضع التي تعتبر بؤرة للتلاقي بينها، فشكل ذلك نسيجا منسجما يعجز البشر عن الإتيان به. وهذا ما وجدناه في داخل سورة البقرة، وخارجها في علاقتها مع السور الأخرى.

[1] – ينظر البرهان في نظام القرآن ، سبحاني ، ص :642 .

خـاتمـــــــة

خاتمة:

لقد شهد البحث اللّساني تنوّعا كبيرا في طرق البحث، وإلى حدّ السّاعة لم يتمّ ضبط الكثير من المصطلحات اللّسانية التي تدرس النصوص المتنوعة، وهذا ما وقفنا علية خلال هذا البحث، حيث وجدنا إشكالا عويصا في الفصل بين مصطلحي الإتّساق والإنسجام اللّذان تمت ترجمتهما عن مصطلحي (coherence) و(cehesion).

ومن جملة النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث ما يلي:

- يهتم الإتّساق بالمستوى التركيبي السنتاغماتيكي أكثر من أيّ مستوى آخر.
- الإتّساق ربط نحوي دلالي يسهم في ترابط النص و بحضورية أكثر للعناصر اللغوية.
- معرفة العرب لهذا المفهوم وممارسته ممارسة نقدية على الكثير من أعمالهم.
- تعتبر الإحالة أكبر وأهم علاقة لغوية نصيّة، تنضوي تحتها مجموعة من العناصر الإتّساقية اللغوية المتنوّعة.
- ينظر إلى الإحالة من عدّة زوايا، فمن حيث مركز عنصري الإحالة، المحال والمحال إليه، فإنّها تصنف تارة نحو الأمام وتارة أخرى نحو الخلف، أو نحو اليمين ونحو اليسار، كما تصنّف من حيث القرب والبعد وتسمى بالإحالة القريبة والإحالة البعيدة.
- عرف العرب دراسات كثيرة موّسعة اهتمّت بالعناصر الإشارية الشخصية والزمانية والمكانية تشبه تلك التي تحدّث عنها الغربيون، وبنفس الميزات والخصائص.
- مورست بعض العمليات النقدية عند العرب على النصوص القديمة لاستخلاص أوجه الإتّساق اللغوية من الجانب الإشاري، والحضوري والغيابي خاصّة في الخطابات.
- تشكل العناصر اللغوية أهم وسائل الإتّساق النصي الحاضرة بكثافة.
- يعتبر الربط الزمني آلية لغوية ثاوية في النصوص السردية أكثر من أيّ نمط آخر، وأمّا في النّص القرآني فإنّها تبرز بكثرة في القصص.
- الضمير عنصر لغوي مهم في الوظيفة الاتّساقية، وهو أكثر العناصر اللغوية الحاضرة بكثافة داخل أي بنية لغوية، إذ لا يمكن أن نتخيّل نصا خاليا من الضمائر مهما طال أو قصر، حتى لو كان كلمة مثل (قف).
- يشكل الاسم الموصول رفقة أسماء الإشارة بدائل لغوية ترافق الضمير في مسيرته الإتّساقية على المحور الأفقي والعمودي، ويكون تأثيرها على النص بعلاقات الإحالة المتنوّعة، التي تتشابك لصناعة النسيج اللغوي الذي يشد النص.
- هناك علاقة بين المشار والمشار إليه يحددها المرجع، يظهر من خلالها الإتّساق اللغوي الذي قد يتعدّى الكلمة الواحدة في بعض الأحيان، ويؤدي دورا إحاليا نصّيا، يظهر فيه الإتّساق بصورة واسعة.
- من وظائف اسم الإشارة تحديد المشار إليه قربا وبعدا، ويؤدي هذا العمل إلى الخروج من النّص لتحديد الدلالة. ويظهر هنا الإتّساق ممتدا حتى خارج النص.

- التكرار من العناصر اللغوية المعجمية التي تعين على إتّساق النص. ويحدث التّرابط بها في النّصوص عن طريق عملية التكرار التي تزيد النص متانة وسبكا.
- يعتبر الحذف من الوظائف اللغوية التي تقوم بالربط بين العناصر اللغوية المتواجدة في النّص على المستوى المعجمي، ويعتبره اللسانيون من العلاقات الإستبدالية لكن بدرجة الصفر، بتقدير مكان العنصر المحذوف وتحديد وظيفته الإتّساقية في النص، بجانب الوظائف اللغوية الأخرى كالإيجاز في البلاغة العربية.
- الإستبدال عملية تتم على المستوى المعجمي في النص، إلاّ أنّه يختلف عنه في أنّ العنصر المستبدل منه يكون مذكورا، ويعوّض العنصر المستبدل. وبهذه الوظيفة يتضح إتّساق النص بأنّه متنوّع المورد.
- تتقاطع العلاقات الإتّساقية متضافرة في النّص عن طريق الوظيفة الإحالية التي تخوّلها لها اللغة، وتساهم بكثافة في الربط بين أجزاء النّص مهما قربت أو بعدت، عندئذ تتشكّل مجموعة من الخيوط اللغوية العنكبوتية في كلّ الإتّجاهات التي تتآلف بها معاني النّص.
- يشكل الإنسجام وجها آخر للنّص، وهو نابع من دلالة إنحدار الدموع في غير تنافر منتظمة المسار والتدفّق، وهو يعطي للنص علاقة ثانية تآلفية تبدأ من العنوان الأعلى وصولا إلى الهدف المقصود في خاتمة النص.
- مما لاحظناه، أنّ مؤشرات الإنسجام تهتم بالخطاب أكثر من أي منتج لغوي أكثر لتجلي عناصر التخاطب فيه، وحدوث عملية التخاطب وبث الرسائل بين المخاطِب والمخاطَب.
- الإنسجام ليس هو الإتّساق كما فهمه بعض اللسانيين الأوائل حسب المراجع التي كانت متوفرة لهم، لأنّه ينطلق من الإتّساق النّصي، الذي يكون ثاوٍ فيه، ليخرج إلى السّياق والظروف التي أنتجت النص.
- يعتبر مبدأ السياق العام للنّص من أكبر المبادئ التي يعتمد عليها الإنسجام في إنتاج النص، إذ تشكّل العلاقة بين السياق اللغوي والسياق الخارجي إنسجاما في غاية الأهمية، إذ بها يتحدد الفهم المحلي للنصوص، ثمّ تأوّل على حسب ذلك بناء على قاعدة مبدأ التأويل المحلي.
- تمثّل أسباب النزول في علوم القرآن الظروف التي أوجدت النصوص، وهي تساهم في فهم النصوص وتأويلها، مع إزالة اللبس إن وجد ذلك خاصة في النصوص التي تحتمل عدّة دلالات، لذلك فهي تعطي ترجيحا دلاليا عند التأويل، ويساهم الإنسجام في ترجيح هذا التأويل.
- وجود مفاهيم سياقية في الكتب القديمة دليل على فهم العرب للسيّاق منذ القرون الأولى، وهو ليس بعلم جديد عندهم. وهذا ما نجده في أغلب كتب علم التفسير.
- تشكل العوالم التي ساهمت في تراكم المعارف عند المتلقي، خلفية معرفية تساعده على فهم النصوص، واستحضاره لما تعرض له في تجربته الحياتية كمعين له على التأويل.
- تصنّف الخلفية المعرفية للمتلقي النصوص وتضعها في خانتها الشبيهة بتلك التي تكررت عدة مرات، وهنا يكون المتلقي مضطرا للعودة إلى تلك المواقف التي تنسجم مع الأحداث الجديدة والشبيهة لها، مستحضرة بسرعة كلّ التّأويلات التي لها صلة بالموقف الجديد والمفاضلة بينها، مختصرة الوقت ومختزلة المسافة.

- تظهر علاقة واضحة بين مبادئ الإنسجام، خاصّة مبدأ التّأويل المحلي ومبدأ التشابه، إذ أنّ هناك بعض النصوص التي تتشابه من حيث ظروف الإنتاج قد تنتج نفس التأويل بناء على الفهم المحلي لها. ويسري الإنسجام بينهما محدثا ربطا بين النّص الجديد والنصوص القديمة.
- يعتبر مبدأ التغريض من المبادئ التي تعنى ببنية النص، حيث يتجه فيها المعنى بداية من العنوان أي من الأعلى نزولا إلى الأسفل، لتحقيق الغاية المستهدفة والمقصدية.
- أشهر مبدأ عرفه العرب وطُبِّق على النص القرآني شبيه بعلم لغة النّص هو مبدأ المناسبة، حيث تعرض له الكثير من علمائنا منهم الإمام بدر الدين الزركشي، والعلامة جلال الدين السيوطي والبقاعي وأمثالهم كثر رحمة الله عليهم.
- سورة البقرة هي نص وخطاب قرآني في آن واحد تظهر فيها كل أشكال الإتّساق اللغوي والإنسجام الداخلي والخارجي.
- النّص القرآني حافل بالظواهر النصية، وفيه تتشابك العلاقات التي تنتجها العناصر اللغوية المختلفة من بدايته إلى نهايته.
- يمكن تطبيق أي نظرية لسانية وإسقاطها على النّص القرآني ما لم يتعارض ذلك مع مقاصد الشّريعة الإسلامية، لأنّه ميدان خصب تتوفر فيه جميع العلاقات التي أقرّتها العلوم اللغوية القديمة والحديثة المتمثلة في لسانيات النص وتحليل الخطاب.
- سورة البقرة نص متسق بلغته وتراكيبه، ومنسجم بمواضيعه ومضامينه، لأنّ الطريقة التي بنيت بها وتم تسييقها بها حفلت على الكثير من المواضيع وتنوعت طرق سياقاتها اللغوية. إنّها موضع تقاطعت فيه عناصر وأشكال الإتّساق، بمبادئ الإنسجام وعناصر التخاطب.
- إنّ طريقة التعبير التي تمّ نظم الكلام بها في سورة البقرة إنسجمت مع ثقل التشريع السّماوي ومقاصدها في سورة البقرة.

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية ورش.

1– قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1– أبحاث في علم اللغة العربية وتحليل الخطاب،جاسم علي جاسم،مراجعة:زيد علي جاسم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط2014م. ط 2018م.

2– أبحاث نحوية و لغوية، نادية رمضان النجار،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،الإسكندرية،مصر،ط1 ،2006م.

3– الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، علي عبد الله الكافي السبكي،تحقيق:جماعة من العلماء،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط1، 1414هـ-1995م.

4– الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار، مؤسسة جورس الدولي، الإسكندرية، ط1، 2013م.

5– الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، عليق، مصطفى شيخ مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/2009م.و مكتبة الصفا، ط1، 1413هـ- 1993م.

6– أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، دراسة نصية من خلال سورة يوسف مثالا، محمود سليمان حسين الهواوشة، دار عماد الدين للنشر والتوزيع، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية ط1، 1430هـ – 2009م.

7– الإحالة في شعر أدونيس،داليا أحمد موسى،دار التكوين والتأليف والترجمة والنشر، سورية،ط1، 2010م.

8– أدبية النّص، محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي،د. صلاح رزق،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، (د.ط)، 2002م.

9– آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، عمر إبراهيم رضوان،دار طيبة، ط1، 1993م.

10– أساس البلاغة، الزمخشري، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1992م.

11– الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1405هـ -1985م.

12– أسباب النزول المسمى (لباب النقول في أسباب النزول) ،لجلال الدين أبي عبد الرحمان السيوطي ، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1422 هـ - 2002م.

13– استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

14– أسرار إعجاز القرآن،أ.د.جمال مصطفى النجار،مكتبة الحسين الإسلامية،القاهرة،1417هـ.

15-أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
16-أسرار التكرار في القرآن، المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، مراجعة: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، (د،ت) (د،ط).
17-أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري عبد الرحمان بن محمد ابن أبي سعيد الأنباري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل بيروت لبنان، ط1، 1415هـ-1995م.
18-الأسس الجمالية في النقد العربي-عرض وتفسير ومقارنة-د.عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412هـ -1992م.
19-الأسلوبية في النقد العربي الحديث، (دراسة في تحليل الخطاب)، فرحان بدري العربي، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، 1424هـ-2003م.
20-الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العري الحديث تحليل الخطاب الشعري والسردي، نور الدين السد، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.
21-الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، توزيع دار فارس للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1997م.
22-أسماء القرآن الكريم ، أسماء سوره وآياته معجم موسوعي متيسر ، د/ أدم ، مراجعة وتقديم قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية ، مركز جمعية للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة ،ط 4301 هـ /2009 م .
23-أسماء سور القرآن وفضائلها، د.منيرة محمد ناصر الدوسري، تقديم الأستاذ الدكتور:فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي،دار ابن الجوزي،المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ.
24-إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر مدينة النصر القاهرة، مصر، ط 3، 2002م./ ط4، 2004م.
25-الأصلان في علوم القرآن،محمد عبد المنعم القيعي، المكتبة الشاملة، ط4، 1417هـ/1996م.
26-أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع ، كلية الآداب، جامعة منوبة ، تونس ، ط1 ، 2001م.
27-أصول في النحو، ابن سراج (أبو بكر محمد بن سهل، ت316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ/1987م.
28-الأصول، تمام حسان، عالم الكتاب، القاهرة، 2000م.
29-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، 1415 هـ - 1995م.

30-اطرادات أسلوبية في الخطاب القرآني، رصد واستدراك، محمد إقبال عروي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 1417هـ-1996م.

31-إعجاز النظم القرآني، التناسب البياني، أحمد أبوزيد، منشورات الآداب، الرباط، 1992م.

32-الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، نشر و توزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس،(د.ت).

33-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، ، بيروت، لبنان ،ط9، 1393هـ- 1973م.

34-الإعجاز في دراسات السابقين،عبد الكريم الخطيب،دار المعرفة، بيروت، لبنان،ط3، 1975م.

35-إعراب القرآن الكريم، راجعه وقدّمه: فتحي الدبول، إبراهيم البنا، محمد محمد العيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1427 هـ/ 2008م.

36-إعراب القرآن و بيانه،لمحي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت:1403)،دار الإرشاد،سورية،ط4، 1410هـ.

37-الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر، عمان،(د.ط)،(د.ت)

38-أفاق العصر، مهرجان القراءة للجميع، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.

39-آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،محمود أحمد نحلة،مكتبة الآداب،القاهرة،ط1، 2011م.

40-الاقتضاء و إنسجام الخطاب ،د. ريم الهمامي، دار الكتاب الجديد المتحّدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.

41-أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة فاضل مصطفى الساقي، تقديم: تمام حسان، القاهرة مكتبة الخانجي، د، ط1397هـ 1977م.

42-ألف ليلة وليلة. الليلة السابعة بعد المئة، حكاية العاشق والمعشوق، ج1، الليلة1- الليلة 131، كتاب ناشرون، بيروت لبنان.

43-أنظمة الربط في العربية، دراسة في التراكيب السطحية، بين النحاة النظرية التوليدية التحويلية، حسام البهنساوي،مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، جمهورية مصر العربية،ط1، 1423هـ-2003م.

44-انفتاح النص الروائي، النص والسياق،سعيد يقطين،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط2، 2001م.

45-أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم،د.عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1976م.

46-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد المتعالي بن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدّين الأنصاري الصعيدي، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م.

47-آيات الهدى في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية، فوزية يحي سعيد النجيمي عسيري، جامعة الملك خالد،1432هـ/2011م.

48-أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،أبي بكر جابر الجزائري،راسم للدعاية و الإعلان، المملكة العربية السعودية،ط3، 1410هـ/1990م.

49-الإيضاح في علوم البلاغة ،جلال الدين أبو عبد الله القزويني،مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح وأولاده،تحقيق محمد عبد القادر ،1402هـ/1982م.

50-البحث الدلالي في تفسير الميزان، (دراسة في تحليل النص)، د. مشكور كاظم العوادي، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.

51-البحر المحيط في أصول الفقه،محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي،دار الكتب،القاهرة،ط1، 1404هـ/1994م.

52-البحر المحيط في التفسير ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي الغرناطي،(645هـ-754هـ)،عناية صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت، لبنان، 1431هـ-1432هـ -2010م.

53-البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيآن الأندلسي، تحقيق مجموعة من العلماء،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1413هـ -1993م.

54-البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النّصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م.

55-البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين، خرج حديثه، وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م.ودار الحديث، العربي، القاهرة، ط1422هـ -2006م.

56-البرهان في نظام القرآن ، (نظام سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران) ،د/محمد عناية الله أسد سبحاني، قدم له العلامة دكتور محمد أديب الصالح، العلامة أبو الحسن على الحسني النقدي، دار الكتب للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414 هـ/1994 م .

57-بلاغة الخطاب القرآني وعلم النص، د.صلاح فضل، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، ط1، 1996م/ و طبعة عالم المعرفة، الكويت، 1992م.

58-بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا و تفسيرا بإيجاز، إعداد بهجت عبد الواحد الشيخلي، الفاتحة البقرة، مكتبة دانديس، عمّان الأردن، ط1، 1422هـ-2001م.

59- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط1، 1994م.

60- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2003م.

61- البيان في إعجاز القرآن، للشيخ عبد الوهاب غزلان، دار التأليف، سنة 1384هـ- 1965م.

62- البيان في روائع القرآن، تمّام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2000م.

63- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى،1413هـ/1993 م.

64- البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني، تحقيق : الدكتور غانم قدوري حمد ، منشورات مركز المخطوطان و التراث و الوثائق ، الكويت ، ط1 ،1414هـ/1994.

65- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن حجر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1405هـ/1985م.وطبعة 1998م.

66- بين علمي أصول الفقه ومقاصد الشريعة الإسلامية، الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، 1425هـ/ 2004م.

67- تاج العروس من جواهر القاموس، مجد الدين أبو فيض السيد محمد مرتضي الحسيني الواسطي الزبيدي، ، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مراجعة: عبد السلام محمد هارون، وزارة الإعلام، الكويت، 1413هـ/1993م. و طبعة دار صادر، بيروت، لبنان، 1999م.

68- تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، مارس 2007 م.

69- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت 460هـ)، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة قم. مكتبة الإعلام الإسلامي، ط1، 1379هـ.

70- تجديد النحو، شوقي ضيف، دار المعارف ،القاهرة ، 1982م.

71- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن الأصبع المصري، تح: حنفي الحسن، دار المعارف، القاهرة.

72- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تحقيق: الدكتور خفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، الطبعة الثانية (دت).

73- تحليل الخطاب الروائي، (الزمن-السرد-التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

74- تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الإتساق والإنسجام، الخوالدة، فتحي رزق الله، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م.

75- تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، بن يحي طاهر ناعوس، دار القدس العربي، تعاونية الهداية، بلقايد، وهران، الجزائر، 2014م.

76- تحليل الخطاب، براون.ج، ويول.جورج، ترجمة: الزليطي، محمد لطفي، التريكي، منير، جامعة الملك سعود، د.ط، 1997م.

77- التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 1431هـ/2010م. و ط1، 1425هـ/2005م.

78- تحليل النص، دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، محمود عكاشة، مكتبة الرشد، ناشرون، ط1، 1435هـ/2014م.

79- التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1431هـ/2010م.

80- الترابط النّصي بين الشعر والنثر، زاهر بن مرهون بن خصيف الدّاودي، دار جرير للنشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2010م.

81- الترابط النصي في رواية النداء الخالد، نجيب الكيلاني، عبدة مسبل العمري، جامعة الملك سعود، 1430هـ.

82- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1430هـ- 2009م.

83- ترويض النص، حاتم الصّكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط1، 1998م.

84- التصوير الفني في القرآن،سيد قطب دار الشروق، القاهرة، ط 16، 1422- 2002م.

85- التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1408هـ/1988م.

86- التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية سنة 1929 المستشرق الألماني برحشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه، رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1414هـ/1994م.

87- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمان، عمّان، ط 1، 1418 هـ- 1998م.

88- تعدد المعني في القرآن، ألفة يوسف، كلية الأدب منوبة، تونس، ط2، د، ت.

89- التعريفات، للإمام علي بن محمد علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1983م. و ط1،. دار الكتاب اللبناني، المصري، بيروت، القاهرة، 1991م.

90-تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز،في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،قطر، دار الخير ، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ - 2007م.

91-تفسير البغوي، معالم التنزيل، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، (ت 516هـ)، حقق وخرّج أحاديثه: محمد عبد الله نمر، عثمان جمعة خميرية، سليمان مسلم الجرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،الرياض، ط1، 1409هـ .

92-التفسير البنائي للقرآن الكريم ،د.محمود البستاني، مكتبة مؤمن قريش، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد،إيران، ط1، 1422ق- 1380ش.

93-تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس، 1984م.

94-تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا،،ط1، 1420 هـ - 1999 م.

95-تفسير الشريف المرتضي المسمى ب:نفائس التأويل،إشراف السيد :مجتبي أحمد الموسوي،شركة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،لبنان.

96-تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب،للإمام محمد الرازي،فخر الدين، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 1401هـ/1981م.وطبعة المطبعة البهية المصرية، الجامع الأزهر . مصر، ط1، 1357هـ- 1983م. وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1421،1هـ -2000م.

97-تفسير القرآن العظيم، ابن الكثير،للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقيّ،اعتنى بها وخرّج أحاديثها: محمود بن الجميل أبو عبد الله، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 1430هـ -2009م.

98-تفسير القرآن الكريم، الفاتحة، البقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، صفر1423هـ.

99-تفسير القرآن الكريم، و إعرابه و بيانه ، الشيخ محمد علي طه الدرة ، دار ابن كثير للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان، سورة الفاتحة وسورة البقرة ، المجلد الأول ،ط1، 1430 هـ-2009م.

100-تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،(538-467هـ)، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ-2009م.

101-تفسير المراغي،أحمد مصطفى المراغي،شركة مكتبة و مطبعة مصطفى، ط1، 1365هـ/1946م.

102-تفسير المنار، للسيد محمد رشيد رضا ،الهيئة المصرية العامة للكتاب(د ت).

103-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف،أ.د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات والبحث العلمي،جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة،ط1، 1431هـ-2010م.

104-تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسنين محمد العمّي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416 هـ- 1996م.

105-تقنيات الاتصال التعليمي في القرآن والسنة، عبد العظيم عبد السلام الفرجاني، المغرب، 2000م.

106-التكرار الأسلوبي في اللغة العربية،كلية التربية، الدكتور السيد خضر، جامعة المنصورة، ط1، 2003م.

107-تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، تحقيق العلامة، محمد عبد الغني حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1433 هـ- 2012م.

108-التماسك النصي في المثل القرآني، شهلة عبد الرزاق نادر، جامعة صلاح الدين، أربيل، العراق، 2006م.

109-التماسك و التناسب، دراسة في بلاغة النص القرآني ،د.محمد أحمد أبو بكر أبو عامود، سلسلة رسائل جامعية، دار النابغة للنشر و التوزيع، جامعة القاهرة، ط1، 1435هـ-2014م.

110-التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، أحمد أبو زيد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م.

111-تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق عبد القادر،أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ-1986م.

112-التناصية في: دراسات في النص والتناصية، ليون سمفل، ترجمة: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998م.

113-تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، مراجعة الأستاذ: محمد علي النجّار،الدّار المصرية للتّأليف والترجمة، مطابع سجل العرب،القاهرة. دت.

114-تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمان بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط2، 1422هـ/2002م.

115-تيسير وتكميل شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك،محمد علي سلطاني،دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1، 2015م.

116-جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن حرير بن يزيد بن خالد الطبري، (ت310هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الجرستاني، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1423هـ/2002م.

117-جامع الدروس العربية، موسوعة في ثلاثة أجزاء، الشيخ مصطفى غلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط28، 1414هـ/1993م.

118-الجامع الكبر في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لعز الدين بن الأثير، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي، دار الآفاق العربية، القاهرة.ط 1، 1428 هـ-2007م.

119-الجدل في القرآن الكريم، محمد التومي، فعالياته في بناء العقلية الإسلامية، شركة شهاب للنشر والتوزيع، باب الواد، الجزائر، د، ت.

120-جماليات الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ/2014م.

121-الجنى الدّاني في حروف المعاني ،لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي(ت 749هـ)تحقيق :د/فخر الدين قباوة،الأستاذ محمد نديم فاضل ،دار الكتب العلمية،بيروت ، ولبنان،ط1413،1هـ/1992م.وطبعة مؤسسة دار الموصل للطباعة والنشر، الموصل، 1976م.

122-جواهر الكنز، نجم الدين بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق: محمود زغلول سلام، الإسكندرية، مصر، د.ت.

123-الحذف البلاغي في القرآن الكريم،مصطفى عبد السلام أبو شادي،مكتبة القرآن (د ط)،مصر(د ت).

124-الحذف و التقدير في النحو العربي،علي أبو المكارم،دار غريب،القاهرة،ط2007م.

125-الحذف والتعويض في اللهجات العربية، من خلا معجم الصحاح للجوهري، سلمان سالم رجاء السيحيمي، مكتبة القرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط1، 1415هـ.

126-الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم، د.نصر الدين بن زروق،دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

127-خصائص التركيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1980م.

128-الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986م.

129-الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي، دراسة أسلوبية، عبد الرحمان حجازي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.

130-الخطاب القرآني،دراسة في العلاقة بين النص والسياق،د.خلود العمّوش،عالم الكتب الحديث،جدار للكتاب العالمي، عمّان،الأردن،ط1429،1هـ-2008م.

131-الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان الرباط، المغرب، ط1، 1431هـ/2010م.

132-الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية: عبد الله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، ط1، 1985م.

133-خواطر قرآنية، نظرات في أهداف سور القرآن، عمرو خالد ، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ- 2004م.

134-دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1982م.

135-دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة،دار الحديث، القاهرة،(دط)،(دت)، المجلد8، القسم الثالث، الجزء الأول.

136-دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة، د.سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005م.

137-الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، د.أشرف عبد البديع عبد الكريم، كلية دار العلوم، جامعة ألمانيا، مكتبة دار الآداب، القاهرة، ط2008م.

138-الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ،صفية مطهري،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.

139-دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، عبد الفتاح البركاوي، دار المنار، القاهرة، ط1، 1411هـ.

140-دلالة السياق في القصص القرآني،د.محمد عبد الله علي سيف،أطروحة دكتوراه، جامعة اليمن، 2002م.

141-دلالة السياق، منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب أبو صفية، عمان، الأردن، ط 1، 1989م.

142-دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن الجرجاني (ت471هـ)، تح: د.ياسين الأيوبي، صيدا، بيروت، دط،1428هـ/2007م. وطبعة أخرى علقّ عليها محمود محمد شاكر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،2000م.و ط2، 1989م.

143-دلائل النظام ، عبد الحميد الفراهي ، الدائرة الحميدية و مكتتبيها ، الهند ، 1388 هـ.

144-دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، لعبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم، ط1، 1999م.

145-دور الكلمة في اللّغة، أولمان، ستيفن، ترجمة: بشر، كمال، دار غريب، القاهرة، ط12، 1997م. و ط1، 1992م.

146-دينامية النص، تنظير وإنجاز محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ط2، 1990م./ ط الثالثة، يوليو، 1992م.

147-رسالة البيان في إعجاز القرآن ضمت كتاب ثلاثة رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد خلف وآخرون، دار المعارف، ط4، (د،ت) .

148-الرسالة، الشافعي، تح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1939م.

149-رسائل الجاحظ، للإمام أبي عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م.

150-رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد بن عبد النور المالقي،تحقيق: أحمد محمد الخراط، مجمّع اللغة العربية، دمشق.

151-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1985م. دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ.

152-زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ-1994م.

153-سميائية النص الأدبي، أنور المرتجي، إفريقيا الشرق، تونس، 1987م.

154-السّياق وأثره في المعنى، دراسة أسلوبية، المهدي إبراهيم الغويل، أكاديمية الفكر الجماهيري،دار الكتب الوطنية، بنغازي، سبأ،ط 2011م.

155-السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، دار الثقافة، مطبعة النّجاح، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1421هـ/2000م.

156-السياق وتوجيه دلالة النص، عيد بلبع، بلنسية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1429هـ/2008م.

157-السيرة النبوية الصحيحة،أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة، ط5، 1413هـ-1993م.

158-السيمياء، بييرغيرو، سلسلة زدني علما، ط1، 1984م.

159-شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، لعبد الله بن عبد الرحمان بن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون، 1980م.

160-شرح الأشموني، نور الدين علي بن محمد الأشموني(ت 929هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1955م.

161-شرح التسهيل لإبن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي اللحياني الأندلسي، تحقيق: د/عبد الرحمن السيد، د/محمد بنيوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، ط1، 1410هـ/1990م.

162-شرح التصريح بمضمون التوضيح لشيخ خالد الأزهري،ط عيسى بابي الحلبي.

163-شرح ألفية بن مالك ،ابن الناظم ،تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت.

164-شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، شرح الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

165-شرح المفصّل للزمخشري، لموفق الدّين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت 643هـ)، تحقيق إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.

166-شرح ديوان المتنبي،أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبدالله العكبرى،البغدادي محي الدين،تحقيق:مصطفى سيقا إبراهيم الأنباري،عبد الحفيظ شبلى،دار المعرفة،بيروت (د ط)(د ت).

167-شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد جمال الدين،ابن هشام (ت:761هـ)، المحقق: عبد الغني الدقر، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا،2005م.

168-شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، 2003م.

169-شرح قطر الندى وبل الصدى، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط3، 1419هـ-1998م.

170-شرح ملحة الإعراب،الإمام أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري، تحقيق فائز فارس، دار الأمل، إربد، الأردن، ط1، 1412هـ-1991م.

171-الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركائه، القاهرة، دت.

172-الصِّحَاحُ، تاج اللغة وصِحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، مراجعة: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ/2009م.

173-صحيح مسلم، دار السلام، للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، محرّم 1421هـ-أبريل 2000م، كتاب الحج.

174-صفة المنافق وذم المنافقين، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسين المستفاض، الفريابي، تحقيق: محمد القاضي، وحميد عبد المجيد دار الحديث، د، ت.

175-صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مكتبة الإيمان، دار الصابوني، ط 9، القاهرة.

176-ظاهرة التخفيف في النحو العربي، أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1417هـ/1996م.

177-ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 1998م.

178-الظواهر اللغوية في التراث النحوي (الظواهر التركيبة)، د.علي أبو المكارم، القاهرة الحديثة للطباعة، 1968م.

179-ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، الأنجلو مصرية، ط1، 1995م.

180-العلاقات النّصية في لغة القرآن الكريم، أحمد عزّت يونس، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1435هـ/2014م.

181-علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988م.

182-علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

183-علم اللغة النّصي بين النظرية والتّطبيق (دراسة تطبيقية على السّور المكية) صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للنشر، القاهرة، ط1، 2000م.

184-علم اللغة و الدراسات الأدبية،(دراسة الأسلوب ،البلاغة، علم اللغة النصي)،برند شبلنر،ترجمة: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر و التوزيع، الرياض،ط1991م.

185-علم المناسبات في السور و الآيات و يليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمان السيوطي، محمد بن عمر بن سالم باز حول، المكتبة المكية،ط1، 1423هـ-2002م.

186-علم النص ونظرية الترجمة، البروفيسور، يوسف نور عوض، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط 1، 1410هـ.

187-علم النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر وتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م.

188-علم النّص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد عمر: مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، الدّر البيضاء، المغرب، ط1، 1992م.

189-علم النصّ، ضمن كتاب آفاق التناصّيّة، المفهوم والمنظور، رولان بارت، ترجمة د. محمّد خير البقاعيّ: سلسلة دراسات أدبيّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1998.

190-علم لغة النّص المفاهيم و الإتّجاهات، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر والتّوزيع، لونجمان، ط1، 1997م.

191-علم لغة النص والأسلوب، بين النظرية والتطبيق، نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، (د ط) 2013م.

192-علم لغة النص، النظرية والتّطبيق، عزّة، شبل محمد، تقديم: سليمان العطّار، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430هـ/2009م.

193-على طريق التفسير البياني،فاصل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدّة ، 1423هـ- 2002م.

194-عيار الشعر، ابن طباطبا، مراجعة: نعيم زرزور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

195-غرر الفوائد ودرر القلائد، (الأمالي)، الشريف المرتضى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1967م.

196-فتح الرحمن في تفسير القرآن، الإمام القاضي مجير الدين ابن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا، نور الدين طالب .

197-فتح القدير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1383 هـ.

198-فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ،وهو حاشية الطيبي على الكشاف،للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي،المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب ،د/محمد عبد الرحيم سلطان.جائزة دبي للقرآن الكريم،المكتبة الوطنية،الأردن،ط1، 1434هـ.

199-الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

200-الفروق في اللغة،: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الأفاق الجديد بيروت، ط3، 1979م.

201-فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم، أحمد السيّد الكومي، محمد أحمد يوسف القاسم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2، (د،ت).

202-فنون النص وعلومه، فرانسوا واستيتي، ترجمة: إدريس خطاب، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2010م.

203-في الأدب والبيان، محمد بركات أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1984م.

204-في القص في النظرية والتطبيق، نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، 1992م

205-في اللسانيات ونحو النص،د.إبراهيم خليل،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمّان، الأردن،ط2، 1430هـ-2009م.

206-في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطاب، الخطابة في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق- المغرب، 2002م.

207-في بناء الجملة العربية،د. محمد حماسة عبد اللطيف،دار غريب، القاهرة، ط1، 2003م.

208-في بناء النص ودلالته.محاور الإحالة الكلامية،مريم فرنسيس، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، سوريا، 1988م.

209-في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط الشرعية الثانية والثلاثون، 1423هـ-2003م

210-في علوم اللغة العربية وفنون الضاد، د.أنور عبد المجيد الموسى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،ط1431هـ/2010م.

211-في كتاب الطراز، يحيى بن حمزة العلوي، مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين، دار النشر للكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ.

212-قاموس الأسلوبية والبلاغة، إنجليزي/عربي، عربي/عربي-إنجليزي، د: حسن غزالة، منشورات إلقا، فاليطا، مالطا، 2000م.

213- قاموس الأسلوبية والبلاغة، إنجليزي-عربي/عربي-إنجليزي، حسن سعيد غزالة، دار النشر Elga فاليطا مالطا، ط، 2000م.

214-قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

215-القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مراجعة وتحقيق: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، 1429هـ/2008م.

216-قاموس المصطلحات العلمية والتقنية، إنجليزي- عربي، أحمد عودي، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، بيروت، لبنان، 2008م.

217-القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسانيات، أوزوالديكرو، جان ماري سشفايقر، ترجمة: د. منذر العياشي، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2007م.

218-القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر-آن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، إشراف عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م، سلسلة اللسان.

219-قبس من نور القرآن الكريم، من سورة الفاتحة و البقرة و آل عمران، دراسة موسعة تحليلية لأهداف ومقاصد السور الثلاث، الشيخ محمد علي الصابوني،دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1408هـ - 1988م.

220-القرآن؛ محاولة لفهم عصري، مصطفى محمود : فصل (المعمار القرآني) : دار المعارف، مصر، 1976 .

221-القصص القرآنية وتاريخ الأنبياء، في تفسير الميزان، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط2، 1428هـ -2007م،دار الرسول الأكرم، بيروت، لبنان.

222-قضايا التقدير النحوي بين القدماء و المحدثين، محمود سليمان الياقوت،دار المعارف،مصر،(د.ط)، 1985م .

223-قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2001م.

224-قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب،د/محمد محمد يونس علي،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،لبنان ط1،حزيران يونيو2013م.

225-قطف الأزهار في كشف الأسرار،السيوطي،جلال الدين، تحقيق، د.أحمد بن محمد الحمادي، قطر، وزارة الأوقاف القطرية، ط1، 1414هـ/1994م.

226-كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، تحقيق :مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دط-د ت.

227-كتاب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تعليق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ،1426 هـ/2006م.

228-كتاب موسوعة الفلسفة، لـ عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1984م.

229-الكتاب، سبويه، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1427هـ/2006م.

230-كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ) المحقق: رفيق العجم - علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة :الأولى - 1996م.

231-كلام الله، الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية، د. محمد كريم الكواز، دار السياق، بيروت، ط1، 2002م.

232-الكلمة في اللسانيات الحديثة، د. عبد الحميد عبد الواحد، التفسير الفني، صفاقس، تونس، ط 1، 2007م.

233-اللباب في علل البناء و الإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت616)، تحقيق:د/عبد الإله، دمشق، ط1، 1416هـ/1995م.

234-لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ.

235-اللسانيات الأسلوبية ،عبد الجليل مرتاض،دار هومه،الجزائر،2013م.

236-لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، د.نعمان بوقرّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.

237-لسانيات النص، النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني، نموذجا، ليندة قياس، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م.

238-لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب،محمد خطابي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ،ط1، 1991م.

239-اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، د.أحمد قدور، دار الفكر ، دمشق،سوريا،2001م.

240-اللسانيات والدلالة، منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، حلب، سورية.

241-اللّسانيات والرواية، فاولر روجر، ترجمة: لحسن إحمامة، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1997م.

242-لطائف الإشارات،تفسير صوفي كامل للقرآن،للإمام القشيري، تحقيق و تعليق:د.إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط3، 2000م.

243-اللغة الإعلامية، المفاهيم – الأسس- التطبيقات، أ. د. سامي الشريف، د. أيمن منصور، ندا، كلية الأعلام، جامعة القاهرة، 1425هـ- 2004م.

244-اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م. وطبعة عالم الكتب القاهرة، ط 4، 1425 هـ/ 2004م.

245-لغة القرآن الكريم، دراسة تطبيقية للجملة في سورة البقرة، محمد خان، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2004م.

246-اللغة والإبداع، (مبادئ علم الأسلوب العربي)، شكري محمد عيّاد، انترناشيونال برس، القاهرة، ط أولى، 1988م.

247-اللغة والدلالة، معجم في اللغة العربية ووظائفها وتقنياتها التعبيرية، يوسف مارون المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2007م.

248-اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامّة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1987م.

249-المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، د. أحمد العمري، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1410هـ- 1990م.

250-مباحث في التفسير الموضوعي، أ. د. مصطفى مسلم، مطبعة المعارف، ط1، 2009م.

251-مباحث في علوم القرآن، مناع القطّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط33، 1418هـ/1997م.

252-مبادئ في اللسانيات، طالب الإبراهيمي خولة، الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000م.

253-متن ألفية بن مالك في النحو والصرف، العلامة: محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، إعداد وإخراج: دار بن خزيمة للنشر والتوزيع، ط1، 1414هـ.

254-المثل السائر، ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1999م.

255-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاصي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ -2001م.

256-المحرر في أسباب نزول القرآن (من خلال الكتب التسعة) ، دراسة الأسباب رواية و دراية ، تأليف خالد بن سليمان المزيني ،دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1426هـ.

257-مختار الصّحاح، محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط9، 1425هـ/2005م.

258-المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني، دار الحكمة، الجزائر، 2001م.

259-مدارس نحوية ولغوية عربية وغربية، صبري إبراهيم السّيد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1422هـ/2011م.

260-مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، د.نعمان عبد الحميد بوقرة، دار الكتاب الحديث للنشر و التوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2008م.

261-مدخل إلى القرآن الكريم، عرض تاريخي وتحليل مقارن محمد عبد الله درّاز، دار القلم، الكويت، ط1، 1404هـ-/1984م.

262-مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه *من* و ديتر فيهفيجر،ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ - 1999م.

263-المدخل إلى علم اللغة، كارل ديتر بونتنج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1431هـ/2010.

264-مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصّبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، 2008م.

265-مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، زتسيسلاف واورزنباك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1431هـ/2010م.

266-مدخل إلى علم لغة النص،تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند و لفغانغ دريسلر، إلهام أبو غزالة علي خليل حمد، مطبعة دار الكتاب، مركز نابلس للكمبيوتر، ط1، 1413هـ-1992م.

267-المدخل لدراسة القرآن الكريم،د. محمد أبو شهبة، دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط3، 1407هـ-1987م.

268-مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع، بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتمها، للحافظ جلال الدين السيوطي، قرأه وتممه، د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ..

269-مراعاة المخاطب في النحو العربي ،بان الخفاجي، دار الكتب العلمية،لبنان ،ط2008،1م.

270-مرجع الضمير في القرآن الكريم،مواضعه،وأحكامه وأثره في المعنى و الأسلوب،د.محمد حسنين صبري،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.

271-المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها، علي رضا، تحقيق: عادل أنور خضر، دار الشرق العربي، لبنان، بيروت.

272-المستصفى من علم الأصول، أبو حامد محمّد بن محمّد الغزاليّ، دار إحياء التراث العربيّ ومؤسسة التاريخ العربيّ،بيروت، ط3 ،1993م .

273-مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، مكتبة المعارف، الرياض،ط1، 1408هـ/1987م.

274-المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عنّاني، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة، ط3، 2003م.

275-المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب،دراسة معجمية،د،نعمان بوقرّة، جدار للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث، عمّان الأردن، ط1، 1429هـ - 2009م.

276-المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور، ترجمة عبد القادر فهيم الشيباني ، سيدي بلعباس، الجزائر. ط1، 2007م.

277-المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينك منغو، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 1428هـ/2008م.

278-المصطلحات مشكلة علم اللغة العربي الحديث، دراسة لمعجم مصطلحات علم اللغة الحديث لنخبة من اللغويين العرب،دراسة ومراجعة بقلم: عبد العزيز بن إبراهيم الغويل، مجلّة جامعة الملك سعود،م7، الآداب(1)، 1415هـ - 1995م.

279-معالم التنزيل، للبغوى، دار طيبة للنشر، ط رابعة 1997م .

280-معاني القرآن و إعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، وتحقيق: د. عبد الجليل عيد شلبي،دار الحديث القاهرة،1426هـ/2005م.

281-معاني النحو، فاضل السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، دط، 1987م.

282-المعايير النصيّة في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، د. يسري نوفل، دار النابغة للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، مصر، ط1، 1436هـ-2014م.

283-معترك الأقران في بيان إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد البجاوي، دار الفكر العربي، د.ت .

284-معجم الأسلوبيات، كاتي وايلز، ترجمة: خالد الأشهب، مراجعة: قاسم البرسيم، المنظمة العربية للترجمة، بناية بيت النهضة، شارع البصرة الحمراء، بيروت، لبنان، ط1، 2014م.

285-معجم الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل، بن حماد الجوهري، مراجعة: د/محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ/2009م.

286-معجم اللسانيات الحديثة، سامي عيّاد حنا وآخرون، لبنان ناشرون، بيروت، 1997م.

287-معجم اللغة العربية المعاصر، عمر، أحمد المختار، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1428هـ/2008م.

288-معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ- 1985م.

289-معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، سفاقص، الجمهورية التونسية، ط1، 1986م.

290-معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

291-معجم المصطلحات اللغوية، رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1990م.

292-المعجم المعلم(قاموس قواعد الإملاء)، مسعد الهراوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط2، 1997م.

293-المعجم المفصل في الإعراب، طاهر يونس الخطيب، مراجعة، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 2، 1416هـ-1996م.

294-معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 1429-2008م.

295-المعجم الوسيط، مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية بمصر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1965م.

296-معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو- دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود، مراجعة صلاح الدين شريف، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م.

297-معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريف.

298-معجم علوم اللغة العربية (عن الأئمة)، د/محمد سليمان عبد الله الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ- 1995م.

299-معجم متن اللغة العربية، موسوعة لغوية حديثة، الشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1377هـ/1958م.

300-معجم مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسن بن محمد بن المفضل الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م.

301-المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة الشيدي، دار نينوى للطباعة والنشر، دمشق، 2011م.

302-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1412هـ- 1992م.

303-المفاهيم النحوية بين الدرسين العربي التراثي والغربي المعاصر، محمد عبد العزيز عبد الدّايم، دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ط، 1998م.

304-المفاهيم معالم، د. محمّد مفتاح، المركز الثقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1999م.
305-مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد علي السكاكي الخوارزمي،(المتوفى:626هـ)، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1407هـ -1987م.
306-المفسّر ومستويات الإستعمال اللغوي، د.علي، كاضم أسد، دار الضيّاء للطباعة والتصميم، النجف الأشرف، العراق، ط1، 1428هـ/2007م.
307-مقالات في الأسلوبية، دراسة، منذر العيّاشي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1990م.
308-المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.
309-مقدمة في اللغويات المعاصرة،د/شحدة فارغ،د/جهاد حمدان،د/موسى عمايرة،د/محمد العناني،دار وائل للنشر، عمان ،الأردن،ط3، 2006م.
310-مقدّمة في نظريات الخطاب،ديان مكدونيل،ترجمة:د.عز الدين إسماعيل؛المكتبة الأكاديميّة، القاهرة،ط1، 2001م.
311-من إشكاليات النقد العربي الجديد،د.شكري عزيز ماضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان،ط1، 1997م.
312-من الأنماط التّحويليّة في النّحو العربي، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة،(د.ط)،2006م.
313-من بلاغة النظم القرآني، دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1431هـ/2010م.
314-من قضايا الأدب الحديث، محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1995م.
315- من موضوعات سور القرآن الكريم الإسلام لله تعالى في سورة البقرة،عبد الحميد محمود طهماز،دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت،ط1، 1414هـ-1993م.
316-مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - 1415 هـ - 1995 م.
317-المنجد الوسيط في العربية المعاصر، تحرير أنطوان نعمة- عصام مدوّر- لويس عجيل- متري شمّاس- مراجعة: مأمون الجموي، أنطوان غزال، ريمون حرفوش، دار المشرق، بيروت لبنان، ط1، 2003م.

318-المنجد الوسيط في اللغة العربية المعاصرة، إشراف: صبحي حموي، مراجعة: أنطوان نعمه، عصام مدّور، لويس عجيل، متري شماس، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

319-المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو القاسم محمد القاسم السلجماسي، تحقيق: علال غازي، مكتبة المعارف، الرّباط، ط1، 1980م.

320-منطق الخطاب القرآني، دراسة في لغة القرآن، محمد باقر سعيدي روشن، ترجمة: رضا شمس الدين.مكتبة مؤمن قريش، بيروت، لبنان، ط1، 2016م.

321- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم و تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،ط3، 1986م.

322-منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م.

323-منهج السّياق في فهم النّص، د. عبد الرحمن بودرع، مكتبة الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط 2008م.

324-موسوعة علوم اللغة العربية،إميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ط1، 2006م.

325-الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأنباري ،مؤسسة سجل العرب، 1405هـ-1984م.

326-موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد عليّ التهانويّ، تقديم د. رفيق العجم وآخرين،مكتبة لبنان الناشرون، بيروت،ط1، 1996م.

327-الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، محمد حسين (ت 1981/)ط1، صححه و أشرف على الطباعته الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،1417هـ/1997م.

328-النبأ العظيم ، نظرات جديدة في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز، طبعة دار الثقافة – الدوحة ، قطر، 1405 هـ -1985م.

329-النحو العربي أحكام و معان،محمد فاضل السامرّائي.

330-النحو المصفى، محمد عيد، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ط، د.ت.

331-نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د.أحمد عفيفي،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة، مصر،ط1، 2001م.

332-نحو النص عند سعد مصلوح، عبد السلام السيد حامد،مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم،جامعة قطر، 2015م.

333-نحو النّص في ضوء التحليل اللّساني للخطاب، مصطفى النحّاس، ذات السلاسل، الكويت، د.ط، 2001م.

334-النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د ت).

335-نحو قراءة نصيّة في بلاغة القرآن والحديث، عبد الرّحمان بودرع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1434هـ-2013م.

336-النحو و الدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي،محمد حماسة عبد اللطيف،دار الشروق،القاهرة،ط1، 1420هـ/2000م.

337-النحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصّيّة، (شعر الجواهري نموذجا)، صالح عبد العظيم الشاعر، زهراء مدينة نصر، جمهورية مصر العربية، ط1، 1434هـ-2013م.

338-نزهة الخاطر العاطر روضة الناظر وجنة المناظر،عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن بدران الدومي المقدسي، دار الحديث بيروت ومكتبة الهدى رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة،ط1، 1991م.

339-نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا،الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي،بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

340-النّص الغائب، محمد عزّام، منشورات اتّحاد الكتاّب العرب، دمشق، سوريا، 2001م.

341-النص القرآني وآفاق الكتابة، علي أحمد سعيد إسبر أدونيس، دار الآداب، بيروت، بدون سنة وطبعة.

342-النص القرآني ومشكل التأويل، المصطفى تاج الدين المصدر :إسلامية المعرفة، العدد 14، 1998-1999م.

343-النص بين الدلالة والتأويل (قراءة في خطاب التراث الأصولي)، منقور عبد الجليل،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2004.

344-النص والخطاب والاتصال، محمد العيد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 1423هـ/2005م.

345-النّص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ-1998م.

346-النّص والخطاب، قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، تقديم: صلاح رزق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1430هـ-2009م.

347-النص والسياق، استقصاء في البحث الدلالي والتداولي، فان دايك، تر: عبد القادر قيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000م.

348-النصّ: من القراءة إلى التنظير. مفتاح، محمّد، تقديم: د.أبو بكر الغزّاوي، المدارس، الدّار البيضاء، المغرب، ط 2000م.

349-نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة، مصر، ط1، 1997م.

350-نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان ،د/عبد المالك مرتاض، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، ط2001 م .

351-نظرية السياق القرآني، عبد الفتاح محمود المثنى، دار وائل للنشر عمان، الأردن، ط 1، 2007م.

352-نظرية السّياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2007م.

353-نظرية المعنى في النقد العربي، مصطفى ناصف،دار الأندلس، القاهرة ط2، 1981م.

354-نظرية النحو العربي، في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، بيروت، 1980م.

355-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسّر برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي،(ت885هـ-1480م)،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، **1404هـ- 1984م**.

356-نقد الحقيقة، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط2، 1995م.

357-نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، دت.

358-الوحدة البنائية للقرآن المجيد، سلسلة دراسات قرآنية، طه جابر الحلواني، دار الشروق، 2005م.

359-وصف اللغة العربية دلاليا،محمد محمد يونس علي،منشورات جامعة الفاتح، ليبيا،1993م.

2- الدوريات والبحوث:

360-الاتجاه الوظيفي و دوره في تحليل اللغة، علم الفكر، يحي أحمد، المجلد العشرون، العدد الثالث، 1989م.

361-اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النصّ؛سعيد حسن بحيري، مجلة علامات في النقد؛ إصدار النادي الثقافي؛ جدة؛ ج 38 /م10رمضان 1421هـ- ديسمبر 2000م.

362-اتجاهات معاصرة في تحليل النصّ، سعيد حسن بحيري، مجلة علامات في النقد؛ إصدار النادي الثقافيّ جدة،ج 8 / م 103، ديسمبر 2000م.

363-الإتّساق والإنسجام في القرآن الكريم، سورة البقرة نموذجا، مفتاح بن عروس، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008/1007م.

364-أثر التكرار في تماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات، خالد المينف، نوال بنت إبراهيم الحلوة جامعة الأميرة بنت عبد الرحمان، الرياض، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات والآداب العدد8، رجب 1433هـ، مايو2012م.

365-أثر الربط المعجمي في إتِّساق النص القرآني، سورتا الرحمان والواقعة أنموذجا، دراسة لسانية وظيفية، عبد المالك العايب، جامعة سطيف الجزائر، 2013م/2014م.

366-أثر الكفاية اللغوية في إدراك العناصر المحذوفة في فصحى التراث، تأليف:د.بكري محمد الحاج، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، ع3، 1419هـ/1998م.

367-الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النّصي بين القدامى والمحدثين، ميلود نزار، مجلّة علوم إنسانية، السنة السابعة، العدد44، شتاء2010م.

368-الإحالة النصيّة وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، دراسة تطبيقية على بعض الشواهد القرآنية، د.عبد الحميد بوترعة، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الوطني الأوّل حول: اللسانيات والرواية، يومي22 و23فيفري 2012م، جامعة الوادي، الجزائر.

369-الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النَّص القُرآنيّ،دراسة وصفيّة تحليلية، نائل محمّد إسماعيل، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ،2011المجلد ،13العدد 1(B)ص 1061-1100.

370-الإحالة في النص، دراسة في الدلالة الوظيفية، أحمد عفيفي، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2005م.

371- الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، الزهرة توهامي، المركز الجامعي، البويرة، الجزائر، 2010م/2011م.

372-الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، العربية بين نحو الجملة ونحو النص، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1426هـ-2005م.

373-الإحالة و أثرها في تماسك النص القرآني، أنس بن محمود فجال، رسالة دكتوراه، 1429هـ - 2004م.

374-الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأوّل والثاني من كتاب" Cohesion In English" لـ: ماك هاليداي ورقية حسن بلحوت، شريفة، جامعة الجزائر، 2005م/2006م.

375-أحوال الضمير مع مفسّره، زكية بنت فازع بن مبروك اللحياني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1423هـ-2002م.

376-الاستفادة من الألسنية في تفسير القرآن الكريم، د .عبد الرؤوف مخلوف، ملتقى دولي حول (التحليل، اللساني للنصوص جامعة عنابة- الجزائر، في الفترة (5- 8) مايو 1985م.
377-الأسلوبية علم و تاريخ،سليمان العطار،مجلة فصول،مجلد الأول،العدد الثاني،يناير 1981م.
378-أسماء الإشارة في القرآن الكريم، دراسة تأويلية، (أطروحة دكتوراه) عمر محمد كوفي النعيمي، إشراف الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني، جامعة الموصل، العراق، 1424هـ/2003م.
379-الأسماء الموصولة العامة في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، مطيع سليمان محمد القريناوي، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1435هـ/2014م.
380-الأسماء الموصولة بين المفهوم والوظيفة في ضوء اللسانيات المعاصرة، د. نعيمة سعدية،حوليات المخبر، مخبر اللسانيات واللغة العربية، العدد الثاني، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ديسمبر2014م.
381-الأشكال البديعية في ضوء الإنسجام في القرآن الكريم، د. محمد شاكر ناصر الربيعي، د. أحمد حاسم مسلم الجنابي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة العراق، العدد 17 أيلول 2014.
382-الإعجاز بإيجاز الحذف في القرآن الكريم، سنتا محمد علي، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات، العدد الثاني، فبراير2011م.
383-إنسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي"مقاربة تداولية"فتيحة بوسنة، منشورات مخبر تحليل الخطاب، الأمل، جامعة تيزي وزو، الجزائر، 2012م.
384-الإنسجام والإتساق النصي المفهوم والأشكال، د.حمودي السعيد، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الوطني الأول حول: اللسانيات والرواية يومي 22 و23 فيفري 2012.جامعة المسيلة، الجزائر.
385- بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بأسيوط،الإمام عبد القاهر الجرجاني وجهوده في إثراء علوم اللغة العربية، ظاهرة التناص بين الإمام عبد القاهر الجرجاني وجوليا كريستيفا،د.علاء الدين رمضان السيد، جامعة الأزهر، نوفمبر2014م، المجلد3.
386-البنية الدلالية والإحالية للضمائر، د/أشرف عبد البديع عبد الكريم، كلية دار العلوم، جامعة ألمانيا، 2005م.
387-التحليل النصي، في التفاسير القرآنية البيانية والموضوعية،(دراسة تحليلية في ضوء منهج نحو النص)، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، فوزية ميرتاج، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد-باكستان- كلية اللغة العربية، جمادى الأولى 1434هـ - أبريل، 2013م.
388-تطبيقات نظرية علم لغة النص، دي بوجراند و دريسلر، على القرآن الكريم، إياد عبد الله، مجلة قرآنيكا، د. عدنان محمد يوسف، د. نورة عزيزي إسماعيل، مج9، ع1، يونيو حزيران 2017م، جامعة ملايا، ماليزيا.

389-التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية، أطروحة دكتوراه، نوار محمد إسماعيل الحيالي، إشراف،د/عماد عبد الحي الحيالي،جامعة الموصل،العراق،محرم1425هـ/شباط فبراير2004م.

390-التلازم ودراسة المعنى د.شاهر الحسن، الجملة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 1982 م ، 74 مجلد2.

391-التناص بين التراث والمعاصرة، د.لوشن نور الهدى، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها،مكة مكرمة،صفر،1424هـ/2003م، العدد26، المجلد15.

392-ثنائية الإتّساق والإنسجام في قصيدة الوقت، سامح الرواشدة، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات، ع3، المجلد30، 2003م.

393-جدلية السّياق والدلالة في اللغة العربية، النص القرآني أنموذجا، م.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، م. حيدر جبار عيدان كلية، الآداب، جامعة الكوفة، العراق، مركز دراسات الكوفة، العدد التاسع 2008م.

394-حبك النصّ، منظورات من التراث العربيّ، محمّد العبد؛ مجلة فصول؛ العدد/59، ربيع 2002.

395-الحدّ بين النص والخطاب، ربيعة العربي مجلة علامات، مجلة ثقافية، كلية أكادير، المغرب، ع33، يناير 2010م.

396-الحذف و التقدير في بنية الكلمة،كمال سعد،دكتوراه علوم،دار العلوم، القاهرة، 1993م.

397-الحذف والتقدير في صحيح البخاري، دراسة نحوية دلالية، سهام رمضان محمد الزعبوط، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010م/1431هـ.

398-دراسة علمية للسرديّة الأدبيّة، نظريّة وتطبيق، شميدت (س.ج)؛ ترجمة: قسم الترجمة في مركز الإنماء القوميّ؛ مجلة العرب والفكر العالميّ، مركز الإنماء القوميّ، بيروت، العدد التاسع، شتاء 1990.

399-دراسة لغوية لصوّر التماسك النّصي، في لغتي الجاحظ والزيّات، دكتوراه بكلية دار العلوم، تحت رقم 1077- عام 1417هـ-1996م، مصطفى صلاح قطب.

400-الدرس النصي في كتب أصول الفقه على ضوء لسانيات النص، خالد الرفاعي، رسالة دكتوراه، إشراف: إسمهان الصالح، جامعة حلب، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، 2007م، رقم20941.

401-دلالة السياق، وأثرها في توجيه المتشابهة اللفظي في قصة موسى، فهد بن شتوى الشتوي،جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2005م.

402-السياق القرآني وآثره في الكشف على المعنى، أطروحة دكتوراه، حيدر جبار عيدان.

403-الضمير- بنيته و دوره في الجملة- الشادلي الهيشري، منشورات كلية الآداب،جامعة منوبة ،تونس،2003م،المجلد 17.

404-الضمير وبنيته ودوره في الجملة،الشاذلي الهيشري،كلية الآداب بجامعة منوية،سلسلة اللسانيات، مجلد 17،تونس،2003م.

405-ظاهرة الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم،دراسة سورة البقرة المفصلة في علوم البلاغة، دكتوراه، الحافظ عبد الستار علم الدين،جامعة بنجاب بلاهور، باكستان.

406-ظاهرة الحذف في النحو العربي محاولة للفهم، أبو شعيب برامو، مجلة عالم الفكر، العدد3، المجلد31، يناير، مارس، 2006م.

407-علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، المجلد9، العدد2، 2006م.

408-علم النّص، جميل عبد المجيد، مقال في مجلّة عالم الفكر، المجلد32، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2003م.

409-العنونة وأسماء السور في القرآن الكريم، بقلم، عبد الرحمن حسين، صحيفة الحياة، 22- 09- 2007.

410-في علاقة النص بالمقام (سورة الكهف أنموذجا)، مفتاح بن عروس، جامعة الجزائر، مجلة اللغة والأدب (ملتقى علم النص)، العدد 14، شعبان 1420هـ- ديسمبر1999م.

411-في لسانيات النص و تحليل الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية،كرسي القرآن وعلومه، عبد الرحمن بودرع، جامعة الملك سعود، السعودية، 1434هـ-2013م.

412-اللسانيات والمصطلح، د.أحمد قدور، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق-المجلد(81) الجزء(4).

413-المتلقي في الخطاب القرآني، بوقرومة حكيمة، دكتوراه، جامعة تيزي وزو، 21/04/ 2010م.

414-مجلة فصول– مجلة النقد العربي، اللغة والنقد الأدبي، تمام حسان :مجلد4 ، العدد 01 سنة (1983)، أكتوبر، نوفمبر،ديسمبر.

415-محمد العبد، حبك النص، منظورات من التراث العربي، مجلة الفصول، العدد59، ربيع2002م.

416-مراجعة كتاب، مدخل إلى علم لغة النّص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بو جراند وولفجانج درسلر، عاصم شحادة علي، التجديد- المجلد 16. العدد 31، 1432هـ/2012م.

417-مصطلحا الخطاب و النص، الدلالة في الثقافة العربية، فاتح زيوان، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، ع 70، م 17، 2007م.

418-مظاهر إعجاز القرآن الكريم في تعدد موضوعات السورة، على عبد الله علان، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 41، ملحق 2، 2014م.

419-مظاهر الاتساق في النص القرآني، دراسة وصفية لغوية، لبنى عبد الرحمن، أكمل خزيزي عبد الرحمن- شمس الجميل يوب، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، عدد خاص، فبراير2012م.

420-مظاهر الإتّساق والإنسجام في تحليل الخطاب، الخطاب البنيوي في رقائق صحيح البخاري نموذجا، عاصم شحاذة، على، مجلّة دراسات العلوم الإجتماعية، المجلّد 36، العدد 2، 2009م، جامعة ماليزيا العالمية.

421-مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية، جمعان عبد الكريم، علامات النادي الأدبي الثقافي، جدّة، المملكة العربية السعودية، جمادى الأولى1428هـ/مايو2007م.

422-مقالات في تحليل الخطاب، تقديم حمادي صمود، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة وحدة البحث في تحليل الخطاب، 2008م.

423-من الأثر الأدبي إلى النص، رولان بارت، ترجمة:عبد السلام بن عبد الله، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، آذار 1986م، العدد38.

424-من النصّ إلى الفعل، بول ريكور،ترجمة: محمّد برادة وحسان بورقيّة، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، ط1، 2001م.

425-من بلاغة حروف المعاني في النظم القرآني، د.بدر عبد العال حسين محمد، مجّلة جامعة طيبة، للآداب والعلوم الإنسانية، المدينة المنوّرة، السنة الثانية، العدد3، 1435هـ.

426-من قضايا أسماء سور القرآن الكريم، دراسة لغوية وصفية أ. د عبد الله أحمد إسماعيل ود. عبد الله عبد الجليل المناعمة، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، يناير، 2010م.

427-من مظاهر التماسك النصي في القصص القرآني، الحذف في سورة يوسف نموذجا، زيد شهاب العامري، د/هشام سليمان يوسف اليوسفي، مجلة الآداب، مج26، العدد3، جامعة الملك سعود، الرياض، 2014م/1435هـ.

428-منهج السّياق في فهم النص، عبد الرحمن بودرع، سلسلة كتاب الأمة، (العدد111)، نشر وزارة الأوقاف في الشؤون الإسلامية، قطر، السنة السادسة والعشرون.

429-المنهج السياقي وأثر في تطوير دراسات التفسير، د. عادل رشاد حسين غنيم، بحيث مقدم للمؤتمر الدولي التطوير الدراسات القرآنية، 1434/4/6 هـ- 16/ 2/ 2013م.

430-منهج في التحليل النصي للقصيدة، حماسة عبد اللطيف،مجلة فصول، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، صيف، 1996.

431-نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، د.سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلّد العاشر، العددان الأوّل والثاني،يوليو/أغسطس، 1991م.

432-نحو الجملة ونحو النص، نص محاضرة ألقيت في معهد اللغة العربية بأم القرى،مكة المكرمة،في الموسم الصيفي الثقافي لعام 1995م.

433-نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، مصطفى النحاس، ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1422هـ/2011م.

434-النصّ: بناؤه ووظائفه مقدّمة أولية لعلم النصّ، تون أ.فان دايك، ترجمة: جورج أبي صالح، مجلة العرب والفكر العالميّ، مركز الإنماء القوميّ، العدد الخامس، شتاء 1989م.

435-النقد والسياق، سالم عباس حدادة، مجلة العلوم الإنسانية جامعة البحرين، ع2، 1999م.

436-وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها، رشيد الحمداوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ع3، جمادى الآخرة، 1428هـ.

3- المراجع باللغة الأجنبية:

1- .Patterns of lexis in text. Michael hoey. Oxford university press. 1991.

2- A Dictionary of Linguistics and phonetics ; David Crystal ;Black

3- A Dictionary of Linguistics and phonetics; David Crystal; Black well published; (3rd ed); London 1991.

4- A dictionary of stylistics and rhetori english- arabic/arabic-englisch by dr hassan sais ghazala. Elga publications. Valleta. Malta.2000.

5- ADICTIENSIENARY OF LINGUISTICS DICTIONRY OF APPLIED DAVIDE KRYCTAL.

6- ADICTIONARY OF LINGUISTICS AND PHONETICS SIXTH EDITION DAVID CRYSTAL BLACKWELL PUBLISHING USA 2008.

7- Between text and context: Deixis anaphora and the meaning of Then: Deborah Schiffrin text10/3: 1990

8- coherence. Cohesion and writing quality. College composition and communication Stephen p.witte e lester faigley. October. 1981.

9- Cohesion In English Halliday.M.A.k. and R. Hassan, Longman, London ,1976.

10-Cohesion in English; Halliday (M.A.K.) and Ruqaya Hassan; Long man; 1st pub; New York; 1976

11-Demonstratives in use and Grammar max Planek institute For Evolutionary Anthropolgy Holger Diessel.

12-Dictionnaire de linguistiques j. Dubois et All; Ed Larousse; Paris, Fance ,1972.

13-Discourse Analysis .Barbara Johnstone. Oxford Blackwell. 2001.

14-Discourse Studies: An Introductory Text book Jan Renkema: John Publishing Company: Amesterdam/Philadelphia,1993.

15-ELEMENTS D" ANALYSE DU DISCOURS, SARFATI (G.E) EDETION NATHAN 1997.

16- HOW LANGUAGE WORKS COHION IN NORML AND NON STANDARD COMMUNUCATION ABLEX PUBLISHING CORPORTION .JONATHAN FINE.

17- Introduction aux problèmes de la cohérence des textes, 1978,

18- Introduction To Text Linguistics. Raubert de Baugrande e Dressler London.wolfgang. longman.1981.

19- Introduction to text linguistique Robert de Beaugrand et dressler.

20- la cohérence textuelle : syntaxe sémantique, pragmatique .Lund quist (L) :, NYT Noddiskforlag. Kobenhavn, 1980.

21- le dictionnaire francais-arabe. F.s alwan. G. l. simon et m.said dar al kotob al ilmiyah. Beirut. Lebanon 2em edition. 2004.

22- le point sur la cohesion en englais, wilfried rotgé, sigma anglopinia, press universiares du mirail,n2, 1998

23- Linguistico sémantico, an-Introduction Cambridge université johnessons press, 1995.

24- Oxford (Advanced Learner's Encyclopedic), Oxford University ,press , New York, Oxford 1989.

25-Reflexions In The Mind's Eye: Reference And Its Problematization In Twentieth Century French Fiction'' Brian Fitch. University of Toronto Press. Toronto.

26-Rendition of Syntactic Cohesion: Application of text linguistics on translation; Al-Algawi (Bayda' A. L.) A thesis of Master; Submitted to the council of the college of Arts of the Al-Mustansiriya University). 1996.

27-Ruqaia hassan.Gramatical cohesion in Spoken and written English.london.1st ed.1968

28-Segmentation and Segment Cohesion: on The Sematic. Organization of The Text. Rachel Giora. Text 3 (2) 1983.

29- TEXET AND DISCOURSE ANALYSIS .RAPHAEL SALKIE. ROUTLEDGE.LONDON AND NEWYORK 1995..

30- Text And Discourse Analysis. Raphael Salkie Routledge. London.and new York.1995.

31- TYPES OF LEXICAL COHESION IN EXPOSITORY WRITING . SANDRA STOTSKY.

32- van dijk text and context longman london 1st ed 1977 well published; (3rd ed); London 1991; S.V Text.

4- المواقع الإلكترونية:

1- www.islamspirit.com)/http:www.shamela.ws.

2- البلاغة العالية في آية المداينة، دكتور سعيد جمعة، الأستاذ المساعد في جامعة الأزهر، فرع المنوفية. نقلا عن موقع: صيد الفوائد www.saaid.net موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنةwww.55a.net

3- التداوليات وتحليل الخطاب، جميل حمداوي، شبكة الألوكة، www.alouka.net: ط1، 2015م.

4- التعريف بسور القرآن الكريم، موسوعة القرآن الكريم، إعداد موقع روح الإسلام.

5- تلخيص التمهيد، محمّد هادي معرفة، الأستاذ المحقّق: الشيخ محمّد هادي معرفة (رحمه الله)، مؤسّسة النّشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرّسين بقم ،ط6، 1428هـ/ق، ج487/2. موقع الضياء للدراسات المعاصرة.

6- الجامع لروائع البيان في تفسير آيات القرآن، سورة البقرة، سيد مبارك، شبكة الألوكة.

7- ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، أ د. عبد الشافي أحمد على الشيخ، جامعة الأزهر،كلية الدراسات الإسلامية والعربية – القاهرة،جامعة الملك فيصل، كلية الآداب. Shafy_81@yahoo.com

8- عبد الرحمان بودرع، عن موقع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، https://adibaat.net/?p=388

9- الكتاب:التعريف بالقرآن الكريم، المؤلف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.-https://al-maktaba.org/book/2914

10- الكتاب:التعريف بسور القرآن: ضمن موسوعة القرآن الكريم، إعداد موقع روح الإسلام: www.islamspirt.com

11- لسانيات الخطاب القرآني،مظاهر الإتساق و الإنسجام،د.خديجة إيكر، مركز الدراسات القرآنية،الرابطة المحمدية

12- لسانيات الخطاب مظاهر الاتساق والانسجام، د. خديجة إيكر، مركز الدراسة القرآنية الرابطة المداخلات للعلماء، المملكة العربية، الموقع www.alquran.com

13- للعلماء،المملكة المغربية، موقع: http://www.alquran.ma/Article.asp

14- مقاصد سورة البقرة، **أسماء سور القرآن الكريم.. معانيها ومغازيها (2)سورة البقرة**، لأحمد الجوهري عبد الجواد،https://www.alukah.net/sharia/0/123450 /

15- ملتقى أهل التفسير، محاضرات تفسير سورة البقرة، جمع و إعداد، مفيدة محمد زكي البكر، أم أيمن، المحاضرة الأولى، 1433/05/30-2012/04/21، pm06:17: .

16- المنهج السياقي و دوره في فهم النص وتحديد دلالات الألفاظ، نماذج تطبيقية من القرآن الكريم، د.مسعود صحراوي. موقع شهاب www.chihab.net.php3name.

17- موقع صيد الفوائد www.saaid.net موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net

18- موقع:https://vb.tafsir.net/tafsir9683/#.XIooqSJKjIU

19- الموقع:المعاني لكل رسم معنى:/WWW.Almasnycom/ar/thes/ar-AR

20- النص و الخطاب، د عبد الرحمان بودرع، عن موقع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، https://adibaat.net/?p=388

21- ويكيبيديا، موسوعة حرّة، موقع https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%88%D8%BA%D9%88%D8%B3.

فهرس المواضيع

مقدّمة ..... أ
1– المنهج المتبع: ..... ر
2 – صعوبات البحث: ..... ر
3– أهمية البحث: ..... ش
4– أهداف البحث: ..... ش
5– مصادر ومراجع البحث: ..... ت
الباب الأوّل:من مفهوم النص والخطاب إلى أثر الإتّساق والإحالة في النص القرآني 1
– تمهيد: 2
الفصل الأوّل: مفاهيم أساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب وعلوم القرآن 4
أوّلاً: نظرة على الدراسات اللسانية القديمة والحديثة. 5
1– شمولية الدراسة اللّسانية الموسّعة للنّص و الخطاب: 5
2– أزمة المصطلح أوجدت صعوبات في فرز المفاهيم: 7
3– أزمة المصطلح والمفهوم بين النص و الخطاب: 8
4– أسبقية الممارسة العربية للّسانيات النّصية وتحليل الخطاب: 11
5–إرهاصات و مباديء النّظرية النّصيّة الجديدة: 12
ثانياً: النّص والخطاب بين التداخل و التباين: 14
1– الموقف الأوّل: النّص خطاب: 17
2– الموقف الثاني: النّص غير الخطاب: 19
3– النص المكتوب و الخطاب المنطوق: 21
4– النّص المصطلح والمفهوم: 23
أ– تعريف النص: 23
– لغة: 23
– اصطلاحا: 24
ب– محمد الشاوش يؤكد غياب مصطلح النص عن المعاجم الغربية: 29
ج– السّمة البارزة للنّص: 30
د– بين الجملة والنص: 33
هـ– تعاريف كثيرة و إجراءات متنوّعة: 34
و– نحو النّص (TEXT GRAMMAR): 36
ز– مهام نحو النص: 39
ح– أسس وقواعد التحليل النصّي: 40
ط – علم لغة النص: 42
ي– علم اللغة النصي غير كافٍ كمنهج: 43
ك – الممارسة العربية لعلم اللغة النّصي على القرآن الكريم: 44
5– الخطاب المصطلح والمفهوم: 45
أ– تعريف الخطاب: 45
– لغة: 45
–اصطلاحا: 47
ب– تلاقح الخصائص اللغوية و غير اللغوية في الخطاب: 48
ج– الخطاب في التراث العربي: 50
د– خصائص الخطاب وعناصره: 53
هـ – تحليل الخطاب: 54
و– محاولة لتحديد تمايز بين النّص و الخطاب: 60
6– النصيّة أو نصّي (TEXTUAL): 64
أ– معايير النصّية (TEXTUALITAT) : 67
ب– أهمّ المعايير الجامعة لنصّية النّص : 68
– عند روبرت ألان دي بوجراند ROBERT ALAIN DE BEAUGRAND،و ولفجانج أولريخ دريسلر WOLFGANG ULRICH DRESSLAR: 68
– عند حاتم الصّكر : 69
– عند إبراهيم الفقي: 69
ج– معايير النّصيّة: 70

1– الإتّساق (COHESION): 71
2– الإنسجام (COHERENCE): 71
3– المقبولية ACCEPTABILITY : 72
4– القصدية (المقصدية) INTENSIONALITY: 73
– بين المقبولية والقصدية: 74
5– الإخبارية: الإعلاميّة (INFORMATIVITY): 76
6– الموقفية (رعاية الموقف) SITUATIONALITY: 78
7– التناصّ (INTERTEXTUALITY): 79
د– خلاصة عن المعايير النّصيّة: 81
ثالثا: مصطلحات قرآنية مهمّة: 82
1– في مفهوم القرآن: 82
2– نزول القرآن وترتيبه: 84
3– في مفهوم السّورة القرآنية: 86
4– أهمّ خصائص السّورة القرآنية: 88
5– في مفهوم الآية: 92
6 – التعريف بسورة البقرة: 95
أ– بطاقة فنية لسورة البقرة: 95
ب – فضل سورة البقرة: 97
ج – قصّة و سبب التّسمية: 98
د – الظروف و الأجواء و البيئة التي نزلت فيها سورة البقرة: 101
هـ – المقاصد الكلية داخل سورة البقرة: 102
و– تنوّع الأحكام الشرعية الواردة في سورة البقرة: 107
ز– اجتهادات وتنوّعات في تقسيم سّورة البقرة: 108
ح– محور مواضيع سورة البقرة عند علماء القرآن: 109
ط– في النص والخطاب القرآني: 113
ك – النَّصُّ القرآنِيُّ خطابٌ: 115
ل– التّماسك النّصي وعلاقته بالإتّساق والإنسجام في النّص القرآني: 121
م – الدراسات المعاصر السابقة: 124
الفصل الثّاني: أثر الإتّساق والإحالة في النص القرآن 126
أوّلا– الإتّساق 127
1– تعريف الإتّساق (COHESION): 127
– لغة: 127
– اِصطلاحا: 129
2– مصطلح الإتّساق بين المفهوم والإجراء العربي: 136
3– الإتِّساق موروث عربيّ: 137
4– معيار الإتّساق أساسيّ في الدراسات القرآنية النصية القديمة والحديثة: 141
5– الإتّساق خاصيّة نصّية في القرآن (نصاً/خطابا): 143
6– الإتّساق بين علمي النّحو والبلاغة (قواعد اللغة وعلم المعاني): 146
7– قواعد الإتّساق: 151
8– الإتِّساق والبنية السّطحية للنّص: 153
9– الإتِّساق إجراء تحليلي نصيّ: 154
10– وسائل الإتّساق: 155
ثانيا: وسائل الإتِّساق: 157
1– الإحالة: 157
أ– تعريف الإحالة: 159
– لغة: 159
– إصطلاحا: 160
ب – الإحالة بين العرب والغرب: 163
ج– شرط الإحالة: 165
د – الروابط الإحالية في علاقة الإحالة: 168

هـ–كيفية تفسير الإحالة: 169
و– قيد الضبط الإحالي ودوره في الإتّساق النصّي من خلال أمن اللبس المعنوي: 172
ز– أنواع الإحالة: 173
1– إحالة داخلية (نصّية) (TEXTUAL) (ENDOPHORA): 174
أ– الإحالة على السّابق أو الإحالة بالعودة إلى الوراء (ANAPHORA): 178
ب– الإحالة على اللاّحق أو الإحالة إلى الأمام (CATAPHORA): 181
2– الإحالة المقامية الخارجية السياقية (EXOPHORA)(SITUATIONAL): 184
3– الإحالة من حيث المدى (القرب والبعد): 189
أ– الإحالة القريبة: 190
ب– الإحالة البعيدة: 191
ح– صوّر الإحالة: 193
1– الإحالة الشّخصية (PERSONAL REFERENCE): 193
2– الإحالة الممتدة (EXTENDED REFERENCE): 194
3– الإحالة إلى نص كامل (TEXT REFERENCE): 195
4– الإحالة الخارجية العامّة (GENERAL EXOPHARIC REFERENCE): 196
5– الإحالة الإشارية (DEMONSTRATIVE REFERENCE): 198
6– الإحالة بطريقة المقارنة (COMPARATIVE REFERENCE): 199
أ– المقارنة العامّة (GENERAL COMPARISON): 199
ب– المقارنة الخاصّة (PARTICULAR COMPARISON): 200
ط– العنصر الإحالي والعنصر الإشاري: 201
1– العنصر الإشاري (DEIXIS): 201
– الحقل الإشاري (DEICTIC FIELD): 202
– الحقل الرمزي (SYMBOLIC FIELD): 203
2– العنصر الإحالي (ANAPHORA): 208
أ– العنصر الإحالي: 210
ب – العنصر الإحالي المعجمي: 210
ج– العنصر الإحالي النصي: 211
ي – التّمييز بين الإحالة (ANAPHORA) والإشارة (DEIXIS): 211
ك– تصنيف العناصر الإشارية من حيث اللغة: 213
1– العناصر الإشارية اللغوية: 214
أ– طبيعة العنصر الإشاري: 215
– عنصر إشاري معجمي: 215
– عنصر إشاري نصّي: 216
2– العناصر الإشارية غير اللّغوية: 217
ل – العنصر الإشاري والعائد: 218
م– العلاقة بين عناصر الفعل الإحالي: 221
1– المتكلم أو الكاتب (صانع النص) (المنتج): 221
2– اللفظ المحيل أو العنصر الإحالي : 223
3– المحال إليه أو العنصر الإشاري: 225
4– العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه (التّحاوّل): 227
أ– مضمر مربوط أو مقيد (BOUND): 229
ب– مضمر حرّ (FREE): 230
ن– أثر الإحالة على المتلقي داخل النص وخارجه: 233
س– وظيفة الإحالة: 235
ع – الإتّساق (الربط) الزمني في سورة البقرة: 237
ف– استثناء على قاعدة الترتيب الزمني في الإتّساق: 243
الباب الثاني: أثر عناصر الإحالة ووسائل الإتّساق في النص القرآني 246
تمهيد: 247
الفصل الأوّل: أثر عناصر الإحالة في النص القرآني 249
أوّلا: عناصر الإحالة: 250

أ– تعريف الضمير PRONOUN: 250
– لغة: 250
– اصطلاحا: 250
ب– أنواع الضمائر ومعايير تصنيفها ودورها في الإحالة: 252
ج– الضمير بين الوظيفة النحوية و الأداء البلاغي: 256
د – الضمير بين الإرتباط والربط: 259
هـ– الإحالة الضميرية: 262
و– شروط الإحالة الضميرية: 263
ز– دور الضمير في الإحالة و أهمّيته في النص: 267
ح– مرجع الضمير: 268
ط– مرجعيات الضمائر الشخصية في سورة البقرة ودورها في الإحالة: 270
ي – الإحَالةُ بالضمائر الشَخْصِيَّة (PERSONAL REFERENCE): 271
ك– الدّور الإتّساقي الرابطي للإضمار بين الجمل: 276
ل– دور المتلقي في ترصد إحالة الضمير: 277
م– الضمير في سورة البقرة: 279
1– عود الضمير على المتقين ودوره في اتّساق السورة: 280
2– عود الضمير على الكفار ودوره في إتّساق السورة: 280
3– عود الضمير على المنافقين ودوره في إتّساق السورة : 280
ن– أكثر أنواع الضمائر حضورا أكثرها أداء للإتّساق في سورة البقرة: 283
س– الضمير بين التحديد الإحالي والإشاري: 285
ع– أثر الإحالة الضميرية في إتّساق النص: 288
2– اسم الإشارة: DEMONSTRATIVE 291
أ– تعريف الإشارة: 291
– لغة: 291
– اصطلاحا: 292
ب– الإشارة والإشاريات: 293
1– إشاريات شخصية: 295
2– إشاريات زمانية TEMPORAL DEIXIS: 295
3– إشاريات مكانية: 295
4– إشاريات الخطاب: 296
5– إشاريات اجتماعية SPATIAL DEIXIS FORMAL SOCIAL DEIXIS INTIMACY INFORMAL: 296
ج– الإشارة عند الجاحظ: 296
د– أنواع أسماء الإشارة: 297
هـ– حركة اسم الإشارة الإتّساقية داخل النص وخارجه وعلاقتها بتعدد المشار إليه: 299
و– الدّور الإحالي لإسم الإشارة وأثره في الإتّساق: 301
ز– دور الإتّساق النحوي لأسماء الإشارة في تحديد الدلالة: 304
ح– الدور الإتّساقي لأسماء الإشارة في سورة البقرة: 305
1– إحالة اسم الإشارة في سورة البقرة للمتقين: 306
2– إحالة إسم الإشارة في سورة البقرة للمنافقين: 308
ط– دور التنوع الإحالي بأسماء الإشارة في سورة البقرة: 310
ك– المرجعية و المعنى و الإشارة: 313
ل– أثر أسماء الإشارة في إتّساق النص: 314
م– تضافر (COLLABORATION) العناصر الإشارية و العناصر الإحالية في تماسك النص: 315
3 – الاسم الموصول (RELATIVE): 319
أ– تعريف الموصول: 319
– لغة: 319
– اصطلاحا: 320
ب– أقسام الموصولات: 322
1– الموصول الحرفي: 322

2- الموصول الاسمي:.....323
أ- الموصول الاسمي الخاص أو المختص: 323
ب- الموصول الاسمي العام المشترك: 328
ج- الوظيفة الإحالية للاسم الموصول: 330
د- أثر الأسماء الموصولة في الإتّساق: 332
الفصل الثاني: أثر وسائل الإتّساق في النص القرآني 336
أوّلاً: الحذف (ELLIPSIS):.....337
أ – تعريف الحذف: 337
– لغة: 337
– إصطلاحا: 338
ب- شروط الحذف: 340
ج- الحذف في بنية النص: 342
د- الحذف بين علم النص وعلوم اللغة: 344
هـ- صلة الحذف بالروابط النصية في بعض الدراسات:.....345
و- أثر الحذف في اتساق النص:.....345
ز- علاقة الحذف بالإحالة: 349
ح – الحذف ومرجعيته و دوره في تحقيق الإتّساق في النصّ:.....350
ط- صور الحذف: 352
1- الحذف حرفي: 353
2 – حذف الكلمة:(NOMINAL ELLIPSIS)/ (VERBAL ELLIPISIS):.....357
3- حذف الجملة (CLAUSAL ELLIPSIS):.....361
4- حذف نصي: 366
ثانيا: الإستبدال (SUBSTITION):.....368
أ- تعريف الإستبدال: 368
– لغة: 368
– اصطلاحا: 369
ب- علاقة الإستبدال بالإبدال:.....371
ج- علاقة الإستبدال بالحذف:.....372
د- علاقة الإستبدال بالإحالة: 373
هـ- الإستبدال هو تعوض:.....374
و- أنواع الاستبدال:.....375
1- الإستبدال الاسمي (NOMINAL SUBSTUTION): 376
2- الاستبدال الفعلي (VERBAL SUBSTUTION): 381
3- الإستبدال الجملي (CLAUSAL SUBSTUTION):.....384
ز- أثر الإستبدال في اتساق النص:.....389
ح- بين الإستبدال والمجاورة: 392
– ثالثا: الإتّساق المعجمي (LEXICAL COHESION):.....393
1- التكرار REITERATION: 397
أ- تعريف التكرار:.....397
– لغة: 397
– إصطلاحا: 398
ب- ظاهرة التكرار عند العرب:.....401
ج- التكرار أو التكرير (RECURENCE /REITERATION):.....404
د- أنواع التكرار:.....405
1- التكرار الصريح : 405
أ- تكرار نفس الكلمة أو العبارة (THE SAME WORD OR PHRACE): 405
ب- التكرار الجزئي للكلمة: PARTIAL REPETITION/ PARTIAL RECURRENCE: 408
ج- من صور التكرار الصريح (المحض) في سورة البقرة: 410
1- التكرار الحرفي في سورة البقرة:.....410
2- التكرار الإسمي والفعلي في سورة البقرة: 412

3– الإتّساق بتكرار الضمير في سورة البقرة:..... 418
4– الإتّساق بتكرار العبارة أو الجملة في سورة البقرة: 420
2– الإعادة الضمنية أو التكرار غير صريح: 422
أ– التكرار الغير صريح (الغير محض/ الإعادة الضمنية) في سورة البقرة..... 423
ب– الإتّساق عن طريق تكرار البنية التركيبية في سورة البقرة:..... 424
2 –التّضام (COLLOCATION): 426
أ– تعريف التضام: 427
– لغة: 427
– اصطلاحا: 427
ب – عوارض التضام:..... 429
ج– أقسام التضام: 430
1– التضام المعجمي: 431
2– التضام النحوي:..... 431
د– أوجه التضام: 432
– رابعا: إتساق النص القرآني بعلاقات المتنوعة: 434
1– الإتّساق بعلاقتي الفصل والوصل في سورة البقرة: 435
2– أنماط علاقات العطف: 439
3– الإتّساق بأدوات الرّبط و حروف العطف:..... 446
4– بلاغة الإتساق بـ (الواو – الفاء–ثم) في النظم القرآني: 458
5– الإتّساق عن طريق الإحالة بـ "أل"التعريف:..... 462
6– الدور الإتّساقي للأسماء العامّة:..... 463
7– الكلمة العامة:..... 463
8– الإتّساق بالتضاد OPPOSITION / التقابل CONTRAST في سورة البقرة:..... 464
9– علاقة التفصيل بعد الإجمال في سورة البقرة:..... 468
10– علاقة الربط بين المقدمة بالنتيجة أو العلّة بالمعلل:..... 469
11– الإتّساق بعلاقة ذكر الخاص بعد العام في سورة البقرة: 472
12 – علاقة الجزء بالكل: PARTE TO WHOLE 473
13– الارتباط بموضوع معين: ASSOCIATION WITH PARTICULAR TOPIC..... 475
14– دور الإتّساق الكلي(العام) وأثره في فهم النصوص:..... 476
الباب الثالث: أثر الإنسجام في النص القرآني 478
– تمهيد:..... 479
الفصل الأوّل: اثر الانسجام ومبدأ السياق في النص القرآني..... 481
أوّلاً– الإنسجام (COHERENCE): 482
1– تعريف الإنسجام:..... 482
– لغة:..... 482
– اصطلاحا: 483
2– الإنسجام في المفهوم العربي:..... 485
3– أهمّ خصائص الإنسجام: 488
4– علاقة الإنسجام في البنى النصّية الكبرى:..... 491
5– بين الإتّساق والإنسجام: 494
6– أدوات وآليات الإنسجام:..... 498
7– قواعد الإنسجام عند شارول:..... 499
8– الإنسجام في الدّراسات القرآنية وعلوم القرآن: 501
ثانيا:– السّياق : CONTEXT:..... 504
1 – تعريف السياق:..... 504
– لغة:..... 504
– اصطلاحا: 505
2– أنواع السّياق:..... 508
أ– السّياق اللغوي الداخلي LINGUISTIC CONTEXT:..... 511
1– دور الكلمة في انسجام البنية اللغوية للنص:..... 513

2– انسجام الكلمة في سياق الجملة والتركيب لتحقيق المعنى: 518
3– أثر السياق اللغوي في انسجام النص: 529
4– أثر الكلمة في انسجام النص من خلال السياق: 535
5– السياق النصي: 539
6– الإنسجام بين سياق السورة والسياق القرآني العام: 544
ب– السياق الخارجي (المقامي)CONTEXTE EXTERNE : 546
3– دور مبدأ السياق في انسجام النص في اللغة العربية: 548
– علاقة السياق بالإحالة في سورة البقرة: 552
4 – السياق العام لسورة البقرة: 559
أ– الإنسجام بين وحدة السورة وتنوع المواضيع في سورة البقرة: 560
ب – الإنسجام بين القصص في سورة البقرة : 567
5– علاقة السّياق بالمقام: 568
6– علاقة السياق بأسباب النزول: 570
7– أسباب وظروف نزول سورة البقرة: 577
8– أثر الإختلاف في سبب نزول الآيات والقصص في سورة البقرة على انسجام النص: 579
9– الإنسجام بعلاقة التفصيل بعد الإجمال في سياق سورة البقرة: 581
10– دور الإنسجام في تحديد العلاقة بين سبب النزول و ترجيح دلالة السياق القرآني : 590
11– دور السّياق في تحقيق الإنسجام بين المشاركين في الخطاب: 593
12– الإنسجام بين السياق وعناصر التخاطب: 594
13– عناصر التخاطب ودورها تحقيق الإنسجام: 596
14– عناصر التخاطب و انسجامها في النص القرآني: 599
15– تبدّل الأدوار بين البث و التلقي في الخطاب القرآني: 600
أ– المرسِل في الخطاب القرآني (الباث – المخاطِب): 602
– المرسل/ المخاطِب /الباثّ (الله سبحانه وتعالى): 602
ب– المرسَل إليه (المتلقي– المستقبل – المخاطَب): 604
– المخاطبون في سورة البقرة: 606
1– المخاطب الأوّل رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: 607
2– المخاطبون (المتلقي الثاني) المؤمنون/المتقون: 610
3– المخاطبون (المتلقي الثاني) الكفار: 613
أ– المخاطبون من فئة الكفار(المشركون): 615
ب– المخاطبون من الكفار (بنو إسرائيل/اليهود/والنصارى): 619
ج – المخاطبون من الكفار (المنافقون): 623
ج– الرسالة (الخطاب/ النص): 625
16– مخطط النص/ الخطاب والوحدة الموضوعية PLAN DE TEXTE/ DISCOURS: 631
الفصل الثاني: مبادئ الإنسجام وأثرها في النص القرآني 635
أوّلا– مبدأ التأويل: 636
1– تعريف التأويل: 636
– لغة : 636
– اِصطلاحا: 637
2– قيود التأويل: 640
3– مبدأ التأويل عند العرب: 643
4– دور المتلقي في عملية التأويل: 645
5– دور التأويل في انسجام النص: 652
6– علاقة التأويل بالمقام: 655
7– مبدأ التأويل في النص القرآني: 657
ثانيا– مبدأ التشابه والتمثيل في القرآن وعلاقته بالإنسجام: 661
1 – مبدأ التشابه والتمثيل: 661
2– المتلقي بين الفهم و التأويل ودوره في تحقيق الإنسجام : 663
3– معرفة سبب النزول ودوره في الكشف عن التجربة السابقة: 667
4– توارد الأمثلة (المعرفة المسبقة) وعلاقتها بالإنسجام: 670

5- الثابت والمتغيّر في مبدأ التشابه: 673
6-أثر مبدأ التشابه على الإنسجام في سورة البقرة: 676
ثالثا-مبدأ التغريض و دوره في إنسجام النص: 678
1- مبدأ التغريض: 678
2- بداية التغريض من العنوان إلى النّص: 679
أ- العنوان في سوّر القرآن الكريم (اسم السورة): 682
ب- علاقة التغريض بحروف التهجي والإعجاز القرآني في سورة البقرة: 686
ج- التغريض من بداية الجمل الأولى في النص: 688
2- الإنسجام و مبدأ تغريض المقاصد في سورة البقرة: 689
ثالثا- مبدأ المناسبة وعلاقته بالإنسجام: 694
1- مبدأ المناسبة: 694
- لغة : 694
- اصطلاحا: 695
2- أهمية علم المناسبة وفائدته: 695
3- علم المناسبة عند العرب: 697
4- أشهر الكتب التي ذكر فيها مبدأ المناسبة : 699
5- المناسبة عند الغرب: 701
6- أنواع المناسبة: 702
أ- المناسبة بين اسم السورة وموضوعها وتحقيق الإنسجام: 704
ب- المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها : 705
ج- تناسب وإنسجام الآيات في سورة البقرة: 708
د- تناسب وإنسجام المقاطع في سورة البقرة: 711
هـ- المناسبة بين سورتي الفاتحة والبقرة، ثم سورتي البقرة و آل عمران: 715
و- مبدأ المناسبة بين السورتين من حيث المواضيع : 721
ز- التناسب بين خاتمتي السورتين : 722
خاتمة 723
قائمة المصادر والمراجع 727
فهرس المواضيع 762

الملخص باللغة العربية:

يهدف هذا البحث للإجابة عن طرح كثيرا ما ظل يشغل الباحثين العرب، فقد كان العلماء العرب يرون في المناهج العربية القديمة قصورا لبلوغ تحليل نصي شامل؛ خاصة إذا ما تعلّق الأمر بالنص القرآني الذي تسيّجه القدسية. وهذا ما دفعنا بالولوج إلى ساحة البحث للتقريب بين المفاهيم اللسانية العربية والغربية قدر المستطاع. وقد حاولنا في الكثير من المرات في أبواب هذا البحث الوقوف على تأصيل العديد من المصطلحات التي راج استعمالها في اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، نذكر من أهمها مصطلحين اختلطت بينهما سبل البحث، وهما مصطلحي الإتساق والإنسجام. وما هو الأثر اللساني لهما في النص القرآني؟ وهل تطبيق الدراسة التحليلية اللسانية بهذين المعيارين كفيلة لإظهار الأثر البنيوي على النص؟ وأين يكمن التلاقي والإفتراق بينهما كمصطلحين؟.حاولت أن أجيب على هذه التساؤلات وغيرها من خلال التأصيل العربي لهذين المعياريين اللذين يعتبرهما اللسانيون عنصران مهمّان في عملية التحليل اللغوي النصي وتحليل الخطاب، من خلال دراسة اللغة داخل النص (السياق اللغوي)، وغير اللغوي أي السياق الخارجي. فاستعنت بالكثير من النظريات لإثبات نصيّة القرآن الراقية الفريدة من نوعها التي فاقت النصوص التي ينتجها البشر، وذلك من خلال دراسة تطبيقية على سورة البقرة.

Résumé en français:

Le but de cette recherche est de répondre à la question posée par les chercheurs arabes: dans l'ancien curriculum arabe, les érudits arabes voyaient des lacunes pour réaliser une analyse de texte complète, en particulier en ce qui concerne le texte coranique sanctifié par le caractère sacré. Et cela nous a amenés à entrer dans le domaine de la recherche pour amener autant que possible les concepts d'arabe et d'occident. Nous avons maintes fois tenté, aux portes de cette recherche, d'identifier l'enracinement de nombreux termes utilisés en linguistique et en analyse textuelle du discours, les plus importants étant deux termes mélangés entre les méthodes de recherche, à savoir les termes de cohérence et d'harmonie. Quel est leur effet linguistique dans le texte coranique? L'application de l'analyse linguistique de ces deux critères est-elle suffisante pour montrer l'effet structurel sur le texte? Et où est la convergence et la séparation entre eux en tant que termes?.J'ai essayé de répondre à ces questions et à d'autres par le biais de l'arabisation de ces deux critères, considérés par les linguistes comme des éléments importants du processus d'analyse textuelle et d'analyse du discours, à travers l'étude de la langue dans le texte (contexte linguistique) et contexte non linguistique. Et aidé avec de nombreuses théories pour prouver que le texte du Coran est unique, dépassant les textes produits par des êtres humains, à travers une étude appliquée sur la sourate al-Baqarah.